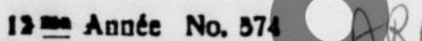
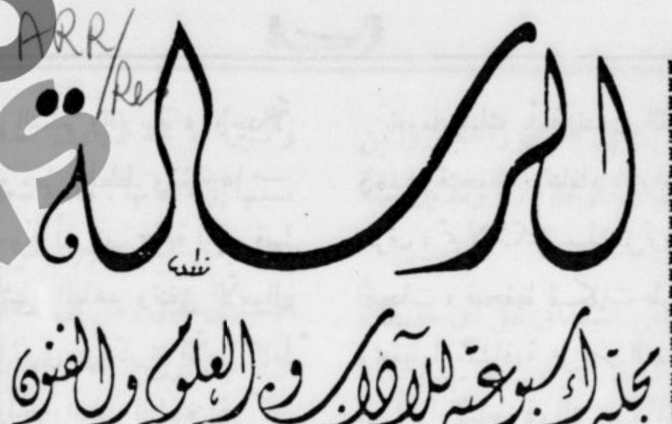


12 me Année No. 574 — Lundi - 3 - 7 - 1944



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٧٤ «القاهرة في يوم الإثنين ١٢ رجب سنة ١٣٦٣ — الموافق ٣ يولية سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـرس

العـــلم والعلماء
في رعاية الإسلام والعربية
للدكتور عبد الوهاب عزام

إن الذين يعيشون في حماية القانون وحراسة الشرطة ورقابة القضاء ، الذين يعيشون في الحضَر بين جُدرانه وأبوابه وشوارعه ودروبه ، يحسبون أن جماعة لا يسيطر عليها سلطان قاهر ولا يقهرها قانون نافذ ولا يقوم بين أفرادها قوّامون من الشرط والجنود هي جماعة مُسلَّمة للقتال والنهاب ، يبطش قويها بضعيفها ، ويفتك المسلح فيها بالأعزل ، ولكنا نرى جماعات بادية تعدل بينها سُنن العيش ، وتمسك بها دون العدوان الرغبةُ والرهبة ، ويقوم عليها عرف عادل مسلط . وربما يظفر فيها الفرد من الحرية ورعاية الحق والواجب بما لا يظفر به إنسان الحضر ، ويقيده العرف بأكثر مما تقيد الحضري سلاسل القانون

وكذلكم يحسب الذين يعيشون في هذا العصر ، يرون ضروباً من دور التعليم تتداول الناشئ منذ الطفولة إلى أن يبلغ الثلاثين أو يجاوزها ، ويرون وزارات للمعارف تسيطر وتدبر وتنفق ، ويبصرون سُنناً شتى ونظماً مختلفة لتلقين العلم وتفقيه

التعلم ، ويسمون دوياً مستمراً فى التعليم والتربية ، وجدالاً متمادياً فى وضع القوانين ونقضها وخط الخطط وتغييرها — يحسب الذين يشهدون هذا ويسمونه أن جماعة ليس فيها وزارة المعارف تضع القوانين وتنشئ المعاهد وتنفق الأموال ليس لها من العلم نصيب ، ولكنا نرى فى تاريخ الأمم كلفاً بالعلم ودأباً عليه وتبحراً فيه . ونقرأ عن العلماء النابغين فى كل علم والصناع الماهرين فى كل صنعة ، ولم يقم على هذه العلوم والصناعات وزارة للمعارف ولا حشر لها ما نمهد اليوم من الموظفين والقوانين والأموال والأعمال

وفى تاريخ الإسلام ما يحير القارئ من الحث على العلم والدأب على تحصيله والولع به واحتمال المشقة فى سبيله والرحلة إلى الأقطار البعيدة من أجله ، والتنافس فيه ، فقد جاء الإسلام داعياً إلى العلم حاثاً على النظر فى ملكوت السموات والأرض وسمي دستوره الكتاب والقرآن ، وكانت أول كلمة نزلت من القرآن (اقرأ) . وحمل العرب أمانة الإسلام ، ورعوا سنن القرآن، فاجتمعت الأمم فى رعايتهم على حب العلم وطلبه ، والكد فيه والدأب عليه حتى صار العالم الإسلامى كله كمدرسة واحدة يجد معلموها ومتعلموها فى التعليم والتعلم . ويقوم عليها خلفاء وأمراء وكبراء يبذلون من جاههم ومالهم لأولى العلم . وقد بلغ الخلفاء بالعلم والعلماء منزلة التقديس . وأثرت عنهم فى هذا سير لا يعرف الزمان نظائرها ولا يعى التاريخ أشباهها . هذا هرون الرشيد يصب الماء على يد عالم ضرير ويقول إنه يفعله إكراماً للعلم ، وولداه الأمين والمأمون يتنافسان فى تقديم النعلين لأستاذهما الكسائى . والخليفة المعتضد بالله ، كان يوماً يطوف فى بستانه وهو آخذ بيد ثابت بن قرة الحرانى ، فجذبها دفعة وخلاها ، فقال ثابت ما بدا يا أمير المؤمنين ؟ قال : كانت يدى فوق يدك والعلم يُعلى ولا يُعلى عليه

وقد سار الخلفاء الأمويون والعباسيون والفاطميون وملوك بنى أمية بالأندلس وأمراء العرب جميعاً، ثم الملوك المسلمون من بعدهم على سنن واحدة فى نشر العلم والحث عليه وإعزاز أهله والبذل لهم ، وبناء المدارس وخزائن الكتب وبلغوا فى هذا غاية ليس وراءها غايات

وما ظنك بأمة تدون القرآن ثم لا تعتمد على مصاحفه وحدها فتحفظه وتتلقاه بالرواية الشفوية لا تشذ منه كلمة ولا حرف ، ثم لا تكتفى بهذا بل تروى طرائق النطق به على اختلاف اللهجات ، فتحفظ للكلمات طرقاً للأداء تخلدها فى الصحف وتحفظها بالمشافهة على مر العصور ؟ ثم ما ظنك بجماعة جمعت من أفواه الناس فى المشرق والمغرب أحاديث الرسول وقد مضت عليها عشرات السنين غير مدونة . بهذه الهمة سار المسلمون فى هداية شرعة الإسلام الواسعة ، وأخوة الإسلام الجامعة ، وفى رعاية العرب الأحرار وملوكهم الأخيار

طلب المسلمون العلوم الدينية واللغوية والعقلية فى كل مكان ، بكل الوسائل وعلى كل الأحوال ، وكانت البلاد الإسلامية كالبلد الواحد يرحل طلاب العلم فيه والعلماء من جهة إلى أخرى ويقطعون الفيافى البعيدة كما ينتقل أهل القطر الواحد من جانب فيه إلى جانب ، حتى صارت الرحلة سنة بين العلماء ، فمن لا يَرحل ولا يُرحل إليه لا ينال بينهم مكانة عالية . وكم تغلغل علماء اللغة والأدب فى البوادى يتلقون عن الأعراب جيلاً بعد جيل

وحسبنا مما تفيض به أخبار العلماء هذه المثل :

الحافظ ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق المتوفى سنة ٥٧١ طلب العلم فى مكة ، والكوفة ، وبغداد ، وأصبهان ، ومرو الشاهجان ، ونيسابور ، وهراة ، وسرخس ، وأبيورد ، وطوس ، والرى ، وزنجان ، وقد عد شيوخه ألفاً وثمانمائة ، منهم نيف وثمانون امرأة

والخطيب التبريزى اللغوى الأديب . يقول فيه ابن خلكان : (وكان سبب توجهه إلى أبى العلاء المعرى أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة تأليف أبى منصور الأزهرى فى عدة مجلدات لطاف . وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعرى . فجعل الكتاب فى مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة . ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلل . وهى ببعض الوقوف ببغداد ، وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب)

وأبو القاسم سليمان بن مطير اللخمى الطبرانى الشامى المتوفى

سنة ٣٦٠ ، رحل فى طلب الحديث إلى العراق والحجاز واليمن ومصر والجزيرة الفراتية ، ولبث فى الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة وعدد شيوخه ألف

وتاج الإسلام أبو سعد التميمى السمعانى نقل ابن خلكان أنه وصل فى طلب الحديث إلى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها وسافر إلى ما وراء النهر وخراسان عدة دفعات ، وإلى قومس والرى وأصبهان وهمذان وبلاد الجبال والعراق والحجاز والموصل والجزيرة والشام وغيرها ... وكان عدة شيوخه تزيد على أربعة آلاف شيخ

وانظر هذا المثل فى الحرص على العلم إلى النفس الأخير . روى ياقوت عن بعض العلماء قال : دخلت على أبى الريحان البيرونى وهو يجود بنفسه قد حشرج نفسه ، وضاق به صدره ، فقال لى فى تلك الحال : كيف قلت لى يوماً مسألة كذا وكذا؟ فقلت له إشفاقاً عليه : أفى هذه الحالة ؟ قال لى يا هذا أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة ، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها

غير العلماء الذين رحلوا لرؤية البلاد والأمم ووصفها عن عيان ، كالمسعودى الذى رحل إلى بلاد الفرس والهند وأطراف الصين وبلاد السودان وزنجبار ، فضلاً عن البلاد العربية وقال :

نطوف آفاق البلاد فتارة
إلى شرقها الأقصى وطوراً إلى الغرب

وغير الرحالين المعروفين كابن جبير وابن بطوطه وابن سعيد

ولم يكونوا فى هذا الجمع كحاطب ليل بل كانت سنتهم فى أخذ العلم التثبت والإسناد . التزموا هذين فى الحديث ثم أشاعوهما فى العلوم الأخرى فصار ديدنا لكل عالم ومتعلم . وكان من تثبتهم أنهم لم يكتفوا بما يكتب وحده وسموا من يعتمد عليه صحفياً . والتزموا السماع من المشايخ الموثوق بهم والقراءة عليهم ، والاستجازة منهم ، فلم تقبل رواية شفوية أو مكتوبة إلا بسند مقبول ولم تقبل الكتب إلا بنسب يصلها بمؤلفيها . لم يقصروا عنايتهم على كتب الدين ، بل نالت كتب الأخبار التى لم تمت إلى الدين بصلة أو التى يتحرج منها المتدينون كأخبار الشعراء والمغنين ، كثيراً من عنايتهم . وحسبنا كتاب الأغانى .

وكثيراً ما نجد دواوين الشعراء فى نسخ عليها سماع يصحح نسبتها إلى أصحابها . وقد وضعوا للسماع أصولاً التزموها واهتدوا بها ، ومن عجيب ما روى من التثبت فى الرواية أن أبا على القالى البغدادى الذى رحل إلى الأندلس وأدب الحكم المستنصر ولى عهد عبد الرحمن الناصر ، أعار تلميذه الحكم كتاباً من كتبه فأبقاه الحكم عنده مدة طويلة فلما رده إلى أستاذه أسقط الرواية به وقال : لا آمن أن يكون لحقه تغيير وهو عند الحكم

هذا وقد كان التعليم فى أكثر مقاصده يراد به وجه الله وحفظ الدين وما يتصل به أو تكميل النفس ، والاستجابة لنزوعها إلى المعرفة . ولم يكن موصولاً بالمناصب والمرتبات كما نرى فى هذا العهد . لم يكن أهل العلم مضيعين ولم يكونوا محرومين من الجزاء الحسن ، ولكن لم يكن طلب العلم مرتبطاً بالشهادات والدرجات ارتباطه فى هذا العصر ، بل اختلف علماؤنا فى جواز أخذ الأجر على التعليم ، واستقبحوا أن يطلب العلم للمال والجاه ونحوهما

وسنذكر بعد ما قاله بعض العلماء حينما أنشئت المدارس ورتبت فيها الوظائف لطلاب العلم

دور العلم

كان طلب العلم فى المساجد وفى دور العلماء أحياناً ، وكانت خزائن الكتب مباءة درس كذلك . ثم أنشئت مدارس للتعليم خاصة

فأما المساجد فقد كانت دور علم فى البلاد الإسلامية على اختلافها فى هذا ولا سيما المساجد الجامعة . فالجامع العتيق فى مصر وهو المعروف اليوم بجامع عمرو كانت فيه دراسة متصلة . وكان به فى بعض العصور أربعون حلقة للدرس لا تبرحه ، وبهذا الجامع درس الشافعى وتلاميذه ، وبه أملى الطبرى ديوان الطرماح . وفيه نثنى أبو تمام ، وغشى حلقاته المتنبى

وجامع ابن طولون وهو أكبر جوامع القاهرة وأقدمها كانت تدرس به العلوم الدينية كما يدرس الطب والميقات ، وكذلك كان الجامع الأموى . قال ابن جبير : « وقد أجرى فيه كل يوم لأكثر من خمسمائة إنسان » . وكذلك كان جامع قرطبة فى الأندلس وجامع الزهراء ، وفيه أملى القالى كتاب

الأخــــذ عن أوربا

للدكتور محمد مندور

يردد بعض الناس هنا وهناك أن الشرق غير الغرب ، وأنه لا سبيل لالتقائهما ، ونحن فى الحق لا نعرف قولاً أكذب من هذا وبخاصة فى مجال الثقافة ، حيث يشهد التاريخ أن التيارات الفكرية لم ينقطع لها مدد بين شطرى العالم ، وإن كان من الصحيح أن لكل من هذين الشطرين خصائص مميزة إلى جانب ما يجتمعان فيه حقائق إنسانية عامة

والناظر فى تاريخ الحضارات يلاحظ أنها لم تتوقف قط عن التأثر بعضها البعض ، ولئن كان من الثابت أن الشرق قد كان مهد الحضارات ؛ فإن الغرب لم يلبث أن أخذها عنه واتجه بها وجهات جديدة فنشر فى الروح مبادىء العقل واتجه بالنظر إلى العمل، وبذلك وسع من أسس الحياة الروحية كما مكن للانسان من استخدام المادة والسيطرة عليها

ولقد سبق للعرب أن اتصلوا بالحضارة الإغريقية القديمة ، وأخذوا عن تلك الحضارة ما أمكن أخذه مما يصح عند العقول كافة كأصول التفكير الرياضى والفلسفى ، وأما ما يتصل من تلك الحضارة بمقومات الحياة الاجتماعية والعاطفية، وهو ما تتميز به الحضارات، فلم يستطيعوا بداهة فهمه ولا قبوله أو نقله، ومن هنا لم يترجموا إلى لغتهم شيئاً من شعر الإغريق وإن كانوا على العكس من ذلك قد ترجموا جانباً من أشعار الفرس كالشاهنامه وغيرها . وربما كان ذلك لأن حياة الفرس التى يصورها ذلك الشعر كانت أقرب إلى حياة العرب من حياة الإغريق ، ثم إن الدين قد لعب فى هذه المفارقة دوراً حاسماً ، فالفردوسى شاعر مسلم وهوميروس وثنى

ولقد تجردت نفس الظاهرة ببلادنا منذ أن أخذنا ننقل عن أوربا فى أوائل القرن التاسع عشر إلى يومنا هـذا ، فالشعر بل والنثر الأدبى بمعناه الضيق كان آخر ما أخذنا فى نقله ، بينما

الأمالى . ولا تزال المساجد حتى اليوم موضع درس

وأعظم المساجد صيتاً فى التعليم فى عصرنا الجامع الأزهر بمصر ، وجامع الزيتونة فى تونس ، وجامع القرويين بفاس

ثم أنشئت دور للتعليم خاصة ، من أقدمها بيت الحكمة الذى بناه الرشيد فيما يظهر ، وكان للترجمة والتعليم . روى القفطى فى أخبار بنى موسى بن شاكر أن المأمون أوصى بهم إسحق ابن إبراهيم المصيصى وأثبتهم مع يحيى بن أبى منصور فى بيت الحكمة . . . إلى أن قال : نخرج بنو موسى بن شاكر نهاية فى علومهم ، وكان أكبرهم وأجلهم أبو جعفر محمد ، وكان وافر الحظ من الهندسة والنجوم عالماً بأقليدس والمجسطى وجميع كتب النجوم والهندسة والعدد والمنطق

وفى القرن الثالث الهجرى أراد المعتضد بالله العباسى أن يبنى ببغداد جامعة . روى المقريزى أن الخليفة المعتضد لما أراد بناء قصره فى الشماسية ببغداد استزاد فى الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد ، فسئل عن ذلك فذكر أنه يريد ليبنى فيه دوراً ومساكن ومقاصير يرتب فى كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية ، ويجرى عليهم الأرزاق السنية ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه ، ولم يكن رأى المعتضد عجبا فى ذلك العصر الذى أولع فيه الناس بالعلم ومهدت وسائله ، ولم يكن جديداً فيه إلا جمع الناس فى مكان واحد

ثم أنشئت جامعة القاهرة التى سميت دار العلم فى القرن الرابع . أنشأها الحاكم بأمر الله ، وفتحت للناس يوم السبت عاشر جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ ، وحملت الكتب إليها للنسخ والقراءة ، ودرس بها القراء والنحويون والأطباء والمنجمون ودرس الحساب والمنطق

قال المقريزى : وأباح ذلك كله للناس على اختلاف طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها . . . وحضرها الناس على طبقاتهم ، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ، ومنهم من يحضر للنسخ ، ومنهم من يحضر للتعلم ، وجعل فيها ما يحتاج إليه الناس من الحبر والأقلام والورق والمحابر

(للحديث بقية)

عبد الوهاب عزام

اتجهت جهود بعثات محمد على وخريجو مدرسة الألسن إلى نقل العلوم أولاً ، ولهذا الاتجاه سبب مزدوج ، فوالى مصر العظيم محمد على كان رجلاً ذا طموح عملى ، ولقد رأى الأوروبيين يسيطرون بعلومهم التى تمكنهم من القوة المادية ، ولهذا أرسل معظم أعضاء بعثاته للتخصص فى تلك العلوم كالهندسة والكيمياء والطب وصناعة السفن والفنون الحربية المختلفة ، والسبب الثانى هو ما سبق أن أشرنا إليه من بعد الكتابات الأدبية شعراً ونثراً عن محيط حياتنا فى الشرق واتصالها الوثيق بنوع الحياة والإحساس الغربيين

هذا ، إلى ما فى نقل الأدب من مشقة ، بل من استحالة فى بعض الأحيان وبخاصة الشعر

وبعد : لقد سبق فرأينا أن نهضتنا الحالية تقوم على أساسين : بعث التراث العربى القديم ثم الأخذ عن أوربا . ولامراء فى أن البعث لا يثير بيننا جدلاً ، وكلنا مجمعون على وجوبه بدافع قومى وثقافى معاً . وليس كذلك أمر الأخذ عن أوربا فهنا يجب أن نميز بين نوعين مما نأخذ : أخذ مبادىء العلوم المادية والعقلية وهذه لا نظن أن صوتاً جدياً يرتفع لمقاومتها . وهى فى الحق ليست ملكاً للعرب ولا للشرق ، بل ولا من السهل أن نقول أين نبتت وأين نمت ، ومثلها مثل السيل يجتمع من جداول لا حد لها تأتيه من كافة الآفاق ، وعلى العكس من ذلك أخذ الأدب ؛ فهنا ترتفع الخصومة ويشتد الصخب ، ولتلك الخصومة ما يبررها وهى حقيقة بأن ننظر فيها عن قرب ، وذلك لما للأدب من خطورة لا يدانيها شىء ؛ فالأدب وعاء لتقاليد الأمة الاجتماعية والأخلاقية ، بل والدينية ، وفيه تتركز روحها بحيث يعتبر بحق مرآة حياة الأمم ، ثم إنه من أخص المجالات التى تظهر فيها أصالة الشعوب فى الخلق والحساسية وإدراك مواضع الجمال والقبح ، ومن الطبيعى أن تحرص كل أمة على مقومات حياتها كما تحرص على أصالتها

ولكننا نلاحظ برغم ذلك أننا قد أخذنا فى الربع قرن الأخير ننقل عن أوروبا أدبها شعراً ونثراً ؛ فهل فى هذا حقيقة ما يهدد كياننا القومى أو يمس أصالتنا كشعب شرقى له مميزاته التى رسبت عن السنين الخالية ، حتى استقرت بروحه ؟

ذلك ما لا نراه . فحياتنا الراهنة قد تأثرت بما نقلنا عن أوروبا من علوم وتطبيقات لتلك العلوم أكبر التأثر حتى أصبحت اليوم بلا جدال أقرب إلى الحياة الأوروبية منها إلى حياة البداوة الأولى . ونحن اليوم نجاهد شعباً وحكومة لنشر هذا النوع الجديد من الحياة بأقصى وسعنا . وهذا شىء من السهل أن يفسره العقل ، فبمواصلة الطَّرْق لا بد أن تصبح حداداً . بل إنك لتستطيع أن تصل إلى الإيمان ذاته بالمواظبة على شعائره وحركاته الخارجية ، فما بالك بالأثر الخطير الذى تحدثه مظاهر الحياة المادية فى نوع الحياة اليومية التى نحياها ؟ ومن هنا لا يستطيع أحد أن يزعم أن مقومات حياتنا لا تزال بعيدة عن أن تجد فى الأدب الأوروبى ما يعبر عنها بل ويغذيها . وليس من شك فى أن هناك الكثير من مبادئ الأخلاق والاجتماع ، بل ومن مبادئ الدين التى نتفق عليها مع الغربيين بحيث لا نكاد نتبين مواضع الخطر على حياتنا القومية فى النقل عن أوروبا . ونحن بعد لا نجهل أن هناك جوانب من الحياة الاجتماعية نخشى محاكاتها بغير حذر واستنارة . وأهم تلك الجوانب مشكلة العلاقة بين المرأة والرجل ، وتلك مشكلة تمد الأدب فى الشرق والغرب أكبر المدد . ولكننا وإن كنا مجبولين بطبعنا على وجوب التبصر إلا أننا نلاحظ أن الأدب العربى ذاته قد وصل فى تصوير تلك العلاقة إلى حد من الحرية بل والإباحة لا نحتمله نحن اليوم ، بل ولا يجرؤ عليه شعراؤنا ، وفى قصائد امرئ القيس وعمر بن أبى ربيعة وبشار وأبى نواس من ذلك الشىء الكثير . وبالرغم من هذه الحرية وتلك الإباحة لم تتر نائرة العرب ولا قوضت أركان حياتهم ولربما كان فى الأدب متنفس أهون ضرراً من الكبت والتزمت .

ثم إن الهيئة الاجتماعية بوجه عام تأخذ الأدباء وبخاصة الشعراء منهم فى جميع بلاد العالم بشىء كثير من التسامح حتى لنلاحظ أننا فى مصر نفسها كثيراً ما نقرأ للشعراء ما لا يجرؤ ناثر أن يقوله . ولقد سبق لروسو عند مناقشته للدور الذى يلعبه المسرح فى الحياة أن أنكر قدرته على تقويم معوج أو إصلاح فاسد، لأن الناس لا يذهبون إليه لتلقى درس فى الأخلاق والاجتماع بل لمجرد التسلية أو المتعة العقلية وفى هذه التسلية وتلك المتعة ما يكفى لأنها تهون علينا حمل الحياة . والأمر فى الأدب عامة كالأمر فى المسرح

***

وأما عن الأصالة فى خلق الأدب والمحافظة على خصائصه المميزة ، فهنا أيضاً لا نرى خطراً من المحاكاة ، بل نراها على العكس المدرسة الأولى للأصالة ، ومن ناشئة الأدب من يظنون مخطئين أن الأديب يُخلق من العدم ، وأن الموهبة فى غنى عن القراءة والتحصيل والاستيحاء ، بل والمحاكاة أحياناً ، مع أن تاريخ كبار المؤلفين وكتبهم تشهد بنقيض ذلك . فلافونتين قد أخذ « حكاياته » عن إيزوب اليونانى ولابروبير ابتدأ « صوره الأخلاقية » بالنقل عن تيوفراست ، بل وشكسبير نفسه قد استقى موضوعات رواياته من « بلوتارخ » و « تاسيت » و « جيرالد دى سنتيو » وغيرهم . ومع ذلك لم يقل أحد إن هؤلاء الكتاب الكبار قد فقدوا أصالتهم . ولقد يقول قائل فليكن . ولكن لم نحاكى الأوربيين ونستلهمهم ولدينا تراثنا القديم الخليق بأن يمدنا بما نريد

وجوابنا على ذلك هو أننا لا نريد أن نقصر الأخذ على أوربا . ولقد قلنا فى المقال السابق إن فى الأدب العربى ، بل وفيما نظن أنه قد مات منه ما لا يزال ولن يزال حياً أبد السنين كالحنين إلى الديار ، وذلك لضربه فى الشعور الإنسانى بأعراق عميقة ، ولكننا مع ذلك نلاحظ أنه ما دامت حياتنا قد تغيرت، وما دام الأوربيون قد استحدثوا من الأدب أنواعاً لم يعهدها أدبنا العربى ، فإنه من الحق أن نزج بالاعتبارات القومية فى هذا المجال ونحرم أنفسنا من أنواع الثقافة والغذاء الروحى . ولو أن الأوربيين كانوا مكاننا لما أحجموا عن الإفادة منها، ولقد سبق لهم أن نهبوا تراث الشرق قبل أن يغزوه بأسلحتهم . فما بالنا نتقاعد تقاعد الكسالى الذين يحتجبون خلف نعرة باطلة ليخفوا ما هم فيه من عجز عن اللحاق بقافلة العالم التى تسير حثيثة الخطى

محمد مندور

الرصافي، والحر، ووحدة الوجود

للأستاذ دريني خشبة

الدنيا حر ! والكلام في الفلسفة، وفي وحدة الوجود كما يفهمها الأستاذ الفاضل، معروف الرصافي، يزيد رهق هذا الصيف القاهري القائظ، والناس لهذا السبب محتاجون إلى ما يسليهم لا إلى ما يكربهم، ويؤجج الدنيا من حولهم، ويزيدها سموماً إلى سموم ...

إلا أننا مع ذلك لا نرى بداً من العودة إلى هذه القضية، قضية الأستاذ الفاضل، معروف الرصافي، أو قضية وحدة الوجود، مكرهين، بعد إذ حسبنا أننا قلنا فيها الكلمة الأخيرة، أو كلمتنا نحن الأخيرة على أقل تقدير ...

فأستاذنا الفاضل المحبوب (نقولا الحداد) يتفضل فيشرف هذه القضية بالاشتراك فيها، في حيّز خاص، ويلاحظ أننا لم نورد تعريفاً لنظرية وحدة الوجود، ولا اقتبسنا هذا التعريف عن كتاب الرصافي (إن كان الرصافي قد عرّفها) ثم قال حفظه الله إن مقالنا الثالث زاد النظرية غموضاً، بل جعلها (تغيب وراء سحب تلك الفلسفات السفسافية التي يعجز القارئ عن أن يحصل منها معنى معقولاً) . ثم أخذ الأستاذ الجليل يفيض علينا بعد ذلك من علمه الغزير الذي طالما انتفعنا به، شارحاً رأيه، أو رأي العلم الحديث، في نشأة الخليقة، مما لا نعرض له هنا بخير أو شر ... لأن الدنيا حر، كما بدأنا هذه الكلمة، ولأن الرجل الذي لا يعترف بالوجود إلا للمادة، ويقرر أنه ليس وراء الطبيعة شيء ... وأنها — أي الطبيعة — هي كل شيء وأنه يعتبر مسئلة نسبة الله إلى الوجود، أو نسبة الوجود إلى الله مسئلة فقهية لا هوتية لا يتعرض لها بتاتاً ... ذلك الرجل الفاضل الذي يقول هذا جازماً به غير متردد فيه، لا بد أن يكون بطل هذا الموضوع . والبطولة في هذه الموضوعات الشوائك تفتح أبواباً ليس في فتحها خير لأحد، لأنها تفضي إلى مجادلات فارغة، وتولد خصومات مرة . بل ربما أحدثت فتنة لا تصيبن الذين ظلموا خاصة

ونحب أن نوضح موقفنا في هذه القضية التي ابتلانا بها الأستاذ الفاضل معروف الرصافي، كي يقتصد بعض كتابنا الأجلاء، وأدبائنا المحترمين، فلا يحرفوها عن مواضعها، ولا يمدوا بها عما أردنا أن نحصرها فيه . فقد ألف الأستاذ الرصافي كتابه تعليقاً على كتابي صديقنا الأعز الدكتور زكي مبارك : التصوف الإسلامي والنثر الفني، ثم تعليقاً على كتاب لمستشرق إيطالي يدعى (لئونا كايتاني) سماه (التاريخ الإسلامي) ، والتعليقات على الكتابين الأول والثالث تعليقات من وجهة نظر تعد إسلامية بحتة، وقد ذكرنا شيئاً كثيراً عن معتقدات الأستاذ الرصافي الذي لا يفهم معنى للآية : لا إله إلا الله ... ويرى الصحيح أن يقال : لا إله إلا الوجود . وينكر الوحي على الصورة التي يؤمن بها المسلمون، وينكر أن القرآن كلام الله . ويكرر عبارة ... قال محمد في القرآن، في معظم صفحات كتابه، ثم ينكر البعث على صورته الإسلامية، وينكر الحساب والثواب والعقاب، ويؤولها تأويلاً سخيفاً مضحكاً أشرنا إليه فيما كتبنا من قبل . ويؤمن — كما ننقله بحروفه من مقالنا الثاني (العدد ٥٧١) — بوحدة الوجود فيقول : « إن البحث والتفكير قد ألجآني إلجاء لا محيص عنه إلى الإيمان بوحدة الوجود (ص ١١) » ، وأن الله هو الوجود المطلق اللانهائي (ص ١٣) ، ويدعى أن كل شيء في هذا العالم جزء من الله، أو أن المخلوقات « مظاهر للوجود الكلي » كمظاهر الأمواج لماء البحر المائج، (وقد فاتنا أن نذكر أن هذا التشبيه ليس من اختراع الرصافي، بل إنه قد أخذه عن شيخه التلمساني أحد القائلين بهذا الإفك — ولا يؤاخذنا الأستاذ زكريا — (كتاب الحجج النقلية والعقلية للعلامة ابن تيمية ص ٧٩) ، وهذه هي وحدة الوجود التي يؤمن بها الرصافي، الله هو العالم والعالم هو الله، وأن مما قال ذلك في القرآن في سورة الحديد : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » ؛ فإن هذه الآية تدل بمفهومها دلالة صريحة على أن لا موجود إلا الله . . . هو الأول الذي ليس له بداية، والآخر الذي ليس له نهاية، وليس معنى هذا إلا أنه هو السرمدي اللانهائي، وهو الظاهر الذي نراه بأعيننا وندركه بحواسنا، (أي نراه ونشمه ونسمعه ونذوقه ونحسه، ولا أدري ماذا

أيضاً !) والباطن الذى لا نراه ولا ندركه ، وليس معنى هـذا إلا أنه هو كل شىء ، وأنه لا موجود غيره . ونحن إذا أخذنا صفو المعنى من عبارة الآية قلنا بأن الله هو الموجود الكلى المطلق اللانهائى ، وأنه لا موجود غيره . هذه هى وحدة الوجود التى هي أساس مذهب التصوف وهذا منشؤها » (بحروفه من الرسائل ص ١٣)

وقد فرع الرصافى من هـذه النظرية كل ما ذهب إليه من إنكار ما أنكر من صميم العقائد الإسلامية التى تخرج منكرها من حظيرة الإسلام ، ثم فرع منها تساوى المتضادات ، فالخير مثل الشر ، ومصيرهما واحد ، والتقى مثل الدعارة ، والكفر مثل الإيمان ، والأبيض مثل الأسود ، والعقل مثل الجنون ، وتفكير العلماء المهذبين مثل تخريف الجهلاء المخرفين ، ولا فرق بين فضيلة ورذيلة . والمغفل لهذا السبب ، هو الذى يحرم نفسه من لذة أتيحت له ، سـواء أتاحها له الرحمن أو هيأها له الشيطان ...

والأستاذ الفاضل معروف الرصافى ، يدعونا فى آخر كتابه إلى الأخذ بآرائه هذه ، ويعزو غفلة المسلمين وتأخرهم إلى التمسك بحرفية الإسلام وعدم تأويله كما تزخرف له الأباطيل التى فرعها عن تلك النظرية .. وقد ذكرنا فى مقالنا الأول ، كما ذكرنا فى مقالنا الأخير أنه لولا هذه الدعوة لأهملنا الرد على ترهاته إهمالاً تاماً . . . لأننا لسنا موكلين بأفهام الناس ، ولا جعلنا الله قوامين على حرية الفكر

من هذا يرى أستاذنا الفاضل المحبوب نقولا الحداد أن القضية قضية إسلامية ، زعم الرجل المسلم الذى أثارها ـ أنها من تفكير رسول المسلمين ، وأن متصوفة المسلمين هم الذين أذاعوا بها ونشروها ، مما اضطرنا إلى نقض هـذا الزعم بإثبات وجودها فى الفلسفة اليونانية . . . فى ذلك المقال الذى لا أدرى والله كيف زاد النظرية غموضاً

ومن هذا يرى أستاذنا الفاضل المحبوب نقولا الحداد ، أننا قوم مسلمون ، قام فينا رجل ينقض لنـا معتقداتنا ، ويزعم لنـا أن الحمير والبغال والجمال والحمام والبط والأوز والهوام والضفادع وكل ما يدخل فيها ويخرج منها هو جزء من الله الذى نعبده ونؤمن به ... وأننا نستطيع أن ندرك هذا الإله فنراه ونشمه ونتذوقه ونسمعه ونحسه ونأكله ونشربه ونلفظه ونبنى به بيوتنا بجميع غرفها وجميع « مرافقها ! » فننام فيه ونخرج منه ـ ولا نخرج منه إلا إليه ! ـ ثم بأى يوم فنهدمه !

أفإن زعم لنا هذا الرجل تلك المزاعم ، وزعم لنا أن رسولنا الكريم هو صاحب هذا اللغو . وأن ما نؤمن به من إله قدير خلق هذا العالم ولا يعقل أنه هو ... أو هو إياه ! ـ باطل أوقعنا فيه قصر نظرنا . ثم غلا بعد ذلك فهدم المعايير الأخلاقية بقوله فى تساوى المتضادات ... فهل يوافق أستاذنا الجليل المحبوب ، « نقولا حداد » على ترك هـذا الإفك ، يسمم عقول المسلمين ، وإغفال تلك الأراجيف تعبث بالفضائل التى يحثنا عليها ديننا الكريم القويم ؟!

لست أدرى لماذا أوجه هذا الحديث كله إلى الأستاذ نقولا الحداد ، ولا أوجه شيئاً منه إلى الكاتب الأديب الفاضل الأستاذ زكريا إبراهيم (الليسانس فى الآداب والفلسفة بدرجة الشرف الأولى) الذى طالما أثنيت على رقائقه الجيلة لأستاذنا الزيات ، شفاه الله وعافاه ، وحفظه للأدب والدين ، وإن أنكر الرصافى المنوار فائدة الصلوات والأدعية

لست أدرى لماذا لا أوجه شيئاً من هذا الحديث إلى أخينا الأستاذ زكريا ؟! ألكونه جعلنا فى كلمته الطيبة من العوام الذين يرمون الناس بالإلحاد ويمنحونهم ألقابه التى لا تكلفهم شيئاً ؟ أم لكونه جعلنا نكرة حيث تفضل علينا بتلك الأشارة العظيمة الكيسة التى سوف تكسبنا الخلود ! لا هذا ولا ذاك ... فنحن مع ذلك نعترف بقيمة ما قرأناه لهذا الأديب المفكر المهذب ، ولكننا بالرغم من حسن رأينا فيه ، نصر على توجيه السؤال التالى إليه :

أيؤمن حضرته بأن هذا العالم غير موجود ؟ وبما انتهى إليه ابن عربى من أن العالم متوهم ماله وجود حقيقى ، لأنه ليس ثمة غير حقيقة واحدة لا تتكثر ولا تتغير ، وهـذه الحقيقة الواحدة هى الله أو الحق ، وأنه ما ثم إلا الله الواجب الوجود ، الواحد بذاته ... الخ ؟

على هامش النقد

عرائس وشياطين

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

للأستاذ سيد قطب

« هذه الصفحات نخبة مجموعة من وحى العرائس ذوات الشياطين ، أو من وحى الشياطين ذوى العرائس . تلقيناها من من هؤلاء وهؤلاء وجمعناها هدية إلى القراء . وكل ما توخيناه فيها أن نتجنب التكرار كما نتجنب الاسفاف والاطالة

« فهذه قصائد من الشعر العربى أو العالمى ، يكثر فيها الايجاز ويقل الاسهاب ، ويندر فيها المشهور المتكرر على جميع الأسماع ...

« وحسبنا منها شرط واحد نرجو أن يتحقق لها جميعاً فى رأى قرائها ، وذلك أنها — وهى من وحى العرائس والشياطين — خير ما يقرب الانسان إلى قلب الانسان »

عباس محمود العقاد

جدّ لى رأيان متناقضان فى هـذه المجموعة ، هما اللذان أستعرضهما هنا مع القراء : ففى أثناء القراءة الأولى السريعة ، ولم أنته بعد من المجموعة ، ولم أتبين مواقع قصائدها ومقطوعاتها فى نفسى . فى هـذه القراءة التى يلتفت فيها الذهن إلى أكثر الأشياء التماعا ويلتفت فيها الحس إلى أشد الأصوات تصدية ... عندئذ قلت : إن الشعر العربى يستطيع أن يقف على قدميه أمام الشعر العالمى

وحينما انتهيت من قراءة المجموعة وخلوت إلى نفسى أتبين موقع كل قطعة وكل قصيدة ، وألمح وراء الألفاظ والمعانى ، ما ترسمه من ظلال إنسانية وما تصوره من حالات نفسية . عندئذ قلت : إن هـذه المجموعة صحيفة اتهام للشعر العربى !

فأى الرأيين هو الخطأ ، وأيهما هو الصواب ؟

مرجع الحكم فى هذا هو طريقة إحساسنا بالحياة ، وحقيقة مطالبنا من الشعر . فأما أنا فلا أتردد فى القول بأن الحياة فى صميمها إن هى إلا انفعالات واستجابات ، وعواطف وحالات نفسية ، وأن الأفكار والمعانى إن هى إلا بلورات صغيرة على سطح الحياة ، وكثيراً ما تكون معوّقات لجريان الحياة ، وإن كانت فى أحيان قليلة تساعدها على التعمق والنفاذ

أيؤمن حضرته بأن هذه الأرض التى نعيش فوقهـا وهى تسبح بنا فى السموات وهم فى وهم ؟ وأن الشمس التى تنير لنا ظلمات البر والبحر ، وهم فى وهم ، وأن كل شىء من هذه المدركات وهم فى وهم ، حتى الأستاذ زكريا نفسه وهم فى وهم ، وأن ليسانسيه الآداب والفلسفة بدرجة الشرف الأولى التى حصل عليها بعد أن أذاب بصره وسهر مخه وهم فى وهم ، وأن أساتذته المحترمين المبجلين وهم فى وهم ، وأن البطيخ اللذيذ البارد الذى يطفئ حر الظمأ فى هذا الصيف القائظ وهم فى وهم ، وأن باعة هذا البطيخ الذين يشتطون فى ثمنه هذه الأيام وهم فى وهم ؟!

أيؤمن حضرته بأن جدار غرفته التى يقرأ فيها كتب فلسفاته وهم فى وهم ، وأنه لو نطح برأسه هذا الجدار لما سال الدم منه لأن الجدار وهم فى وهم ، ولأن رأسه وهم فى وهم ، وحتى لو فرض أن سال الدم ، فالدم وهم فى وهم ؟ ! ما هـذه الفلسفة يا عالم ؟! ولماذا يعز عليكم أن نصف هذه الفلسفة بأنها إفك وأنها تنطوى على كثير من الأراجيف ؟ ولماذا يكون من قلة الإنصاف أن نحكم على الفلسفة باسم الدين ، ما دامت هذه الفلسفة كما رأى الأستاذ زكريا تحاول نقض ديننا الكريم القويم ، وما دامت هـذه الفلسفة تدعونا إلى ذلك التدهور الأخلاقي والتحلل من جميع الآداب ؟ أيؤمن الأستاذ الفاضل زكريا إبراهيم بتساوى المتضادات كما يؤمن الرصافى ؟ أيؤمن بأن الدعارة كالتقى ، وأن إكباب المرء على حليلته لا يقل عن سجوده بين يدى الله ؟ أم أن هذا هو حكمنا على الفلسفة باسم الدين ، وهـذا قدر ذلك الحكم من الخطأ والمجازفة والتعسف ؟

وما رأى أستاذنا الفاضل المحبوب نقولا الحداد فى هـذه الفلسفة التى لا تعترف بالعالم ، أو بالطبيعة التى لا يؤمن حضرته بما عداها ؟!

يا عالم ... الدنيا حَر ، ونحن موجودون ... فكونوا أنتم وهماً فى وهم ... ودعوا لنا ديننا الفطرى الجميل الساذج ... فالعالم يجد وأنتم تلهون .

دريني خشبة

وليس « الإنسان » الراقى هو الذى تستهويه المعانى المجردة والأفكار المبلورة ، - كما يعتقد الكثيرون - ولكنه الإنسان الذى يتعمق حسُّه أدقّ المشاعر وأجلها ، والذى يدرك نبضات الحياة وانفعالاتها ، والذى يتخذ من ذلك كله غذاء لحسه وفكره جميعاً

والشعر هو نبضة قلب قبل أن يكون لمة فكر ؛ وهو خفق حياة ، قبل أن يكون فكرة ذهن ، وهو حالة نفسية قبل أن يكون قضية فكرية ؛ وهو ظلال إنسان قبل أن يكون أنماع أفكار ، ووسوسة أفئدة قبل أن يكون رنين ألفاظ

فإذا نحن نظرنا إلى الشعر العربى بهذه العين فى مجال الشعر وجدناه فقيراً فى الظلال الإنسانية والحالات النفسية بمقدار ما هو غنى بالأفكار والمعانى والاستجابات الحسية المباشرة التى لا تتعمق النفس الإنسانية إلى مدى بعيد

والتعبير العربى - وبخاصة فى الشعر - تعبير مباشر أقرب ما يكون إلى الاستجابة الحسية ، فهو يؤدى الفكرة أو المعنى ، ثم لا تلمح وراءه مخلوقاً إنسانياً . إنك تلمح ولا شك فكراً وحساً ، ولكن المخلوق الإنسانى الذى يشتمل الفكر والحس ويشتمل بجوارهما حياة آدمية كاملة قلما تلمحه وراء التعبير العربى

ولقد خيل إلى مرة أن هذه اللغة نبتت فى الظهيرة على صحراء مكشوفة . فهى لا تلقى حولها ظلا . ليس هناك ما يسمونه « بين السطور » كل لفظ وكل تعبير يقابله معنى أو فكرة ، ثم لا شىء وراء المعنى ووراء الفكرة . لا ظل . لا صورة . لا رؤى فى الضباب غير مميزة الملامح بينما تثير فى النفس شتى التخيلات وشتى الاهتزازات

وبمقدار الغنى فى الأفكار والمعانى الذى تضمنه الشعر العربى ، كان الفقر فى الرؤى والأحلام ، وفى الصور والظلال ، وفى الحالات النفسية ، والملامح الإنسانية ؛ وهذا هو مفرق الطريق بين الشعر العربى وكثير من الشعر العالمى فى مجموعة « العرائس والشياطين »

حتى شعر الغزل عند العذريين وغير العذريين ، قلما تجد فيه وراء اللفظ إلا المعنى ، ووراء التعبير إلا الفكرة . قلما تلمح الحالة النفسية والملامح الإنسانية ، قلما تسمع الوسوسة والهينمة التى لا تعرف مصدرها ، ولا تدل عليها الألفاظ بذاتها ، ولكن تدل عليها الظلال التى تلقيها الألفاظ وتتوارى خلف التعبيرات .

إن بيتين ساذجين بسيطين كقول مسلم بن الوليد (فيما أذكر) وقد حضرته الوفاة وهو وحيد غريب وليس حوله إلا نخلة بجرجان يناجيها فيقول :

ألا يا نخلةً بالسفح من أكناف جُرجان
ألا إنى وإياك بجرجان غريبان

إن هذين البيتين لهما نموذج راق فى الشعر العربى ، وهو نموذج متواضع بالقياس إلى الشعر العالمى ، ولكنه كذلك نموذج نادر !

فماذا فى هذين البيتين الساذجين . فيهما أن المعنى والفكرة يتواريان ليفسحا المجال للصورة الإنسانية والحالة النفسية . صورة الإنسان الغريب المفرد تقربه الغربة من كل مخلوق ، ويرهفه الانفراد إلى الأنس بكل كائن ، وخلع الحياة عليه ومعاطفته معاطفة القريب للقريب

وعلى هذا النحو ينبغى أن ننظر إلى الشعر ، على أساس ما يثير فى نفوسنا من أحاسيس ، وما يرسم لخيالنا من صور ، وما يطلقنا من أعيان الفكر المحسوسة المحدودة ، ويصلنا بصور الإنسانية وبالحياة المكنونة . وذلك فيما اعتقد واجب شعراء الشباب

ولكن حذار أن نفهم من هذا ما يفهمه بعضهم من تلك الفوضى . إن الشعر - مع هذا - ليس تهيؤات مخبول ، ولا تهاويل مذهول . والحالات النفسية المطلوب تصورها ، ليست هى خلط المجانين ، وتداخل الاستعارات وتراقص التعبيرات . إن بين الشعر وبين هذه التهيؤات والتهاويل لبعداً سحيقاً ، فإذا لم يكن بد من هذا البلاء فلا ، والشعر العربى القديم بحسيته وتجريده أقوم وأهدى ، وأخلد فناً

* * *

وإلى القراء بعض الأمثلة الحاسمة بين المعانى والأفكار ، وبين الحالات النفسية والصور الإنسانية فى قطعة من مجموعة العرائس والشياطين ، للشاعر الإنجليزى الحديث « هوسمان » بعنوان « إلى السوق أول مرة » وليست هى بأغنى ما فى هذه المجموعة من هذا الرصيد

يوم أنشأت أذهب إلى الأسواق ، أوائل عهدى بالأسواق
كانت الدراهم فى الكيس جد قليل
وكم طال بى النظر وكم طال بى الوقوف
على أشياء فى السوق لا تنال

* * *

تغير الزمن اليوم ، فلو أردت الشراء لاشتريت
هنا الدراهم فى الكيس ، وهناك أشياء الأمس في السوق
ولكن أين يا ترى ذلك الفتى المحروم ؟

* * *

« طالما شكا قلب الإنسان ، لأن (اثنين واثنين : أربعة) لاهى ثلاثة كما نودها حيناً . ولا هى خمسة كما نودها بعد حين وأحسبه سيشكو إلى آخر الزمان .

فبقياس الأفكار والمعانى ، هذه القطوعة لا شىء ! إن معانيها قريبة قريبة ، فهى لا تزيد على قولهم : (كل ممنوع محبوب) و « كل ما تملكه اليد تزهده النفس » و (ما كل ما يتمنى المرء يدركه)

ولكن أين هذا من تلك الأحاسيس الإنسانية الخالدة الغامضة التى تثيرها هذه المقطوعة فى نفس كل (إنسان) عانى ما عاناه الشاعر من « أن اثنين واثنين أربعة لا هى ثلاثة ، كما نودها حيناً ولا هى خمسة ، كما نودها بعد حين » وأحس بحلاوة التشهى وزهادة المشتهى بعد حين . واضطرب بين واقع الحياة الذى يحتمه المنطق ولا مفر منه ورغائب النفس التى لا تستند إلا للشوق المجهول الذى ينكر المنطق المحتوم !

ليس المعنى هنا هو المهم ، إنما هو المخلوق الآدمي الذى تحس دبيب انفعالاته ووسوسة وجداناته ، وليست الفكرة التى تحويها المقطوعة هى المهمة ، وإنما هى الصورة المترائية بين الظلال الشفيفة

ثم طريقة تناول الموضوع واستعراض الصورة واحدة بعد الأخرى وتسلسل الصور الحية المتخيلة ، كل هذا له شأنه وله قيمته فى استثارة الأحاسيس . لا إلقاء المعنى مبلوراً مجرداً كأنه قذيفة !

* * *

وسنعود إلى استعراض بعض المقطوعات الأخرى فى هذا الصدد الذى يستحق فى اعتقادى أن نعود إليه مرة ومرة لتصحيح الفكرة السائدة بيننا عن الشعر والشعور

أما الآن فنقول : إن العقاد قد أحسن إلى الأدب العربى بهذه المجموعة ، وإنها لمحسوبة له كأى كتاب من كتبه ، وإننا لفى حاجة إلى غيرها من المجموعات . وإذا لم يكن لها من فضل إلا إثارة مثل هذه التفسيرات للشعر وتصحيح مقاييسه تصحيحاً عملياً ، فإن هذا وحده يكفى

والطريقة التى اتبعها فى التعريف بكل شاعر وعصره وطريقته ومنزلته تجعل للمجموعة هدفاً آخر غير المادة التى احتوتها . ذلك هو التعريف السريع المفيد لعدد من الشعراء فى العالم لا يتسنى للكثيرين أن يتعرفوا إليهم بمثل هذا الوضوح .

سيد قطب

١ – فســـاد الطريقة
فى كتاب النثر الفنى
« عدم الدقة »

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

أردنا بما قدمنا من أمثلة لتناقض صاحب الكتاب أن ندل على فساد تفكيره . وورود مثله فى أى بحث بل فى أى كلام كاف فى إسقاطه ، فلا يقام له وزن فى ميزان الحق والصواب . لكننا لا نريد أن نقف عند هذا ، بل نريد أن ندل أيضاً على فساد طريقته ، لأنه قد جمع فساد الطريقة إلى فساد التفكير

وسنبدأ من عيوب طريقته بعيب يمت إلى سوء التفكير بسبب وثيق ، ذلك العيب هو عدم الدقة . وصاحب الكتاب يعلم أن الدقة أول شروط البحث ، وأن مراعاتها أول ما يجب على الباحث . وما أظنه إلا قد اجتهد أن يكون دقيقاً : دقيقاً فى التفكير ، دقيقاً فى التعبير ، دقيقاً فى الفهم ، دقيقاً فى الاحتياط لما يظنه الحق . لكن أخطأه التوفيق أو أعوزته المقدرة فى كل هذا ، فلم تنجه محاولة الدقة فى التفكير من الوقوع فى التناقض الذى رأيت ، وأسلمته محاولاته الأخرى إلى ما سترى

وسأبدأ من الأمثلة بمثل جامع أو شبه جامع لعدم الدقة فى كل هذا . ذلك أن صاحب الكتاب أراد أن يحكم فى مسألة الشعر والنثر أيهما أفضل فقال من صفحة ٢٥

« أحب أن أدون رأيي فى الفرق بين منزلة الشعر ومنزلة النثر ، وهو رأى لم أسبق إليه : رأيي أن الموضوعات هى التى تحدد نوع الصياغة ؛ فهناك مواطن للقول لا يصلح فيها غير النثر ومواطن أخرى لا يصلح فيها غير الشعر . والبليغ الموفق هو الذى يفهم سياسة الفطرة فى مثل هذه الشئون »

وأراد أن يضرب مثلاً يوضح معناه . فهل تظنه جاء بشعر لا يصلح لموضوعه النثر ، أو بنثر لا يصلح لموضوعه الشعر ؟ لا هذا ولا ذاك ، بل جاءك بمحاورة بينه وبين المسيو مرسيه فى مغزى عدول معاوية رضى الله عنه عن سجعة كان أملاها على كاتبه ، فأخطأ كلاهما الصواب كما سنبينه فى موضعه ، وأخطأ هو فى الاستطراد . ثم قال تماماً للتوضيح : « ولو تتبعنا آثار الكتاب الذين منحوا موهبة الشعر لرأيناهم يجنحون إلى القريض فى مواضع لا يغنى فيها النثر شيئاً ؛ فبديع الزمان يمضى فى رسائله ومقاماته ناثراً ، ثم ينتقل إلى الشعر فجأة حيث يرى الشعر أقرب إلى ما يريد . وقد رأينا عبد العزيز بن يوسف يراسل الصاحب بن عباد فيبدأ خطابه ناثراً ، ثم يميل إلى النظم ولا يفوته أن يعلل ذلك فيقول : ابتدأت أطال الله بقاء مولاى الصاحب بكتابى هذا وفى نفسى إتمامه نثراً فمال طبعى إلى النظم ، وأملى خاطرى على يدى منه ما كتبت ونعم المعرب عن الضمير مضمار القريض : »

هذا اقتباس طويل ، أليس كذلك ؟ لكن لا بأس بطوله ما دام يعين على ما نحن بصدده من ضرب المثل لعدم الدقة عند صاحب الكتاب فى أكثر من ناحية

وأول ما يلفت من كلامه هذا هو بُعد ما بين أوله وبين آخره ، أو ما بين رأيه وبين استشهاده على ذلك الرأى ، فرأيه عبر عنه بصيغة القصر والحصر : « مواطن للقول لا يصلح فيها غير النثر ومواطن أخرى لا يصلح فيها غير الشعر » . . . « يجنحون إلى القريض فى مواضع لا يغنى فيها النثر شيئاً » . . . فهو هنا لم يدع لاشتراك النثر والشعر موضعاً ، لكنه فيما استشهد به يخبرك عن بديع الزمان فى رسائله ومقاماته إنه (ينتقل إلى الشعر فجأة حيث يرى الشعر أقرب إلى ما يريد) فهل كون الشعر عندئذ أقرب إلى ما يريد بديع الزمان معناه أن النثر لا يغنى شيئاً عن الشعر فى ذلك الموضع ؟ أم معناه ، أن النثر قريب إلى ما يريد البديع ولكن الشعر أقرب ، حتى فى رأى صاحب الكتاب ؟ فرأى صاحب الكتاب فى الآخر غير رأيه فى الأول ، أو دعواه على بديع الزمان فى الآخر تقصر عن دعواه فى الوسط وعن تفرقته بين ما لا يصلح له إلا الشعر وما لا يصلح له إلا النثر فى الأول . ولا أريد أن أسمى هذا تناقضاً ، ولكنه تقصير فى الفهم وتقصير فى التعبير ، فيما يتعلق ببديع الزمان وفيما يتعلق بعبد العزيز بن يوسف

ومع ذلك فقد نفى صاحب الكتاب فى صفحة ٢٦ عن عبد العزيز بن يوسف أن يكون جيد الشعر (والقطع التى وصلت إلينا من شعره باردة الأنفاس) فى قول صاحب الكتاب ، مع أنه قد أدخله قبل فى « الكتاب الذين منحوا موهبة الشعر » ، كما رأيت . وإذن فقد استشهد به ، على علات تلك الشهادة ، ثم كر عليه بما يبطل شهادته فى صلاحية الشعر حيث لا يمكن أن يصلح

النثر . فماذا تسمى هذا من صاحب الكتاب ؟ إن لم يكن تناقضاً فهو على الأقل عدم دقة في الفهم والتفكير

ولعلك لاحظت أن صاحب الكتاب حين أراد أن يحكم بين الشعر والنثر فى المنزلة بادعائه مواطن للقول لا تصلح إلا لأحدهما دون الآخر ، لم يتمم التقسيم من ناحية ، ولم يبين تلك المواطن من ناحية أخرى . لكن يظهر أنه ترك بقية التقسيم لفطنة القارىء ، وإن كان هو ليس عنده من الفطنة ما يتجنب به إبطال شهادة ثانى شاهديه ؛ أما مواطن كل من الشعر والنثر ، فقد عاد إلى تبيينها بقوله من صفحة ٢٦ : « قلنا إن الموضوعات هى التى تحدد نوع الصياغة ، فلنعمد إلى ذلك بكلمة حاسمة فنقول : إذا كان موضوع القول متصلاً بالمشاعر والعواطف والقلوب كان الشعر أوجب ، لأن لغته أقدر على التأثير والإمتاع ، وإذا كان الموضوع متصلاً بأعمال العقل والفهم والإدراك كان النثر أوجب ، لأن لغته أقدر على الشرح والإيضاح والإفهام والتبيين والإقناع » . وتلاحظ أنه هنا قد عدل عن صيغة القصر إلى صيغة التفضيل ، فهو يبيح لكل من النثر والشعر أن ينوب عن صاحبه ، وإن لم يسد مسده ويغن غناءه ، لكنك تلاحظ أيضاً أن كلمته الحاسمة هذه ، وإن كانت أرخى زماماً من كلمته الأولى التى لم يسبق إليها ، قد أخرجت الشعر من مجال العقل وأخرجت النثر من مجال القلب من حيث السبق فى الإجادة والصلاحية للتعبير ؛ فالسبق دائماً للشعر فى مجال القلب ، وللنثر فى مجال العقل من غير نظر إلى الشاعر ولا إلى الكاتب . أى أنه لم يعر شاعرية الشاعر ولا كاتبية الكاتب أى التفات : فعنده أن المواضيع المتصلة بالقلب يجب أن يتناولها صاحبها بالشعر ؛ فإن لم يكن شاعراً لم يكن له أمل فى النبوغ . ومثل هذا يقول طبعاً فى المواضيع المتصلة بالعقل . ولسنا ندرى — ولا نظنه يدرى — من أين له هذا الحكم النظرى البحت ، وإن ادعى له الحسم . كما لا ندرى ما رأيه فى مثل معلقة الحارث بن حلزة ، وهى خطبة جدلية فى قصيدة . لكن الأهم من هذا وذاك أنه وهو يبحث ويأتى بالحاسم من الرأى لم ير داعياً لأن يحدد الاتصال بالمشاعر والعواطف والقلوب ما نوعه وما مداه ، إذ غير معقول أن يكون كل ما اتصل بالشعور أولى به الشعر ، ولا كل ما اتصل بالفهم أولى به النثر ، وإن كان الثانى أقرب إلى المعقول من الأول . فالحارث بن حلزة ألقى خطبة شعرية للعقل والجدل منها أكبر النصيبين ، ولم يمنعه ذلك أن يذكر بها مدى الدهر . والخطب الوعظية أو الحماسية فى الصدر الأول ، وبعد الصدر الأول، لها من القلب والشعور أكبر النصيبين ، ولم يمنعها ذلك أن تؤثر ويذكر بها أهلها مدى الدهر ، فأين هو ذلك الحسم الذى ادعاه صاحب الكتاب لكلمته تلك ؟ إنها كلمة مبهمة ، لا حسم فيها ولا فصل ، فهى مثل للتقصير فى النظر ، وعدم الدقة فى التفكير وفي التعبير

على أننا سنفرض أن صاحب الكتاب أراد بذلك الذى سماه اتصالاً بالمشاعر والعواطف والقلوب ، على أقل تقدير علاقة الحب . فهل نظنه حتى فى هذا كان أدنى إلى الدقة فى بحثه والاحتراس فى التعبير ، فلم يسو بين النثر والشعر فى هذا الباب ؟ إن كنت تظن هذا فاقرأ له ما كتب فى صفحة ١٥٧ فى فصل النسيب : « وفى القرن الرابع يظهر الغزل فى النثر ظهوراً رائعاً بحيث يمكن مقارنة الرسائل الغرامية بأقوى قصائد التشبيب ، ولا يمكن الارتياب فى قدرة كتاب القرن الرابع على إجادة هذا الفن وتفوقهم فيه وتصرفهم فى ضروبه تصرف المبدعين » . فأين ذهبت إذن تلك الكلمة الحاسمة وذلك الرأى الذى لم يسبق صاحب الكتاب إليه ؟ أم هو مجرد كلام يثبت باسم البحث فى صفحة ٢٦ وينفى باسم البحث أيضاً فى صفحة ١٥٧ ؟ وإذا كان صاحب الكتاب لا يستطيع الاحتراس والتزام الدقة حتى فى أضيق الدوائر وأظهرها وأقربها إلى ما ألف وألف الناس ، فمتى يرجى منه أن يقوم بما يوجبه البحث من الدقة والاحتراس والاحتياط ؟ ولا تنس أن عبارته هذه قد كتبها وهو يبحث عن خصائص النثر الفنى فى القرن الرابع ، أو هكذا على الأقل قد ترجم للباب الثانى من الجزء الأول من كتابه ، فلا يمكن أن يعتذر له عنها بالمبالغة أو بالتحمس كما يعتذر للناشئين ، لأن النثر الفنى فى القرن الرابع هو موضوع بحثه الأصيل ، وما عدا ذلك فهو ملحق به محشور فيه . فإذا كان هذا الرجل جاداً فى بحثه ، يعتقد ما يقول وما يقرر ، فلماذا لا يطبقه ؟ وإن كان يطبقه فلماذا لا يتعلم كيف يحسن التطبيق ؟

محمد أحمد الغمراوى

إعجاز القرآن

فى كتاب النثر الفنى

للدكتور زكى مبارك

انتهت مقالات الأستاذ الغمراوى فى الثورة على آرائى فى إعجاز القرآن ، الآراء المبثوثة فى كتاب النثر الفنى ، انتهت مقالاته بأسرع مما كنت أتوقع ، ففى كتاب النثر الفنى آراء فى إعجاز القرآن أخطر من الآراء التى تحدث عنها بإسهاب ، ولو كنت أستظرف هذا الرجل لدللته على تلك الآراء ، فهو فى أشد الاحتياج إلى أن يعلن عن نفسه بتكفير الدكتور زكى مبارك ، كما أعلن عن نفسه أعواماً بتكفير الدكتور طه حسين

لقد أشقى نفسه ، وأشقى المطابع ، وأشقى باعة الورق ، ليخرج كتاباً ضخم الحجم فى نقد كتاب الشعر الجاهلى ، وهو اليوم يصوم ليدّخر ما يطبع به كتاباً أضخم وأفخم فى نقد كتاب النثر الفنى

أعانك الله يا أيها الأستاذ المفضال على نفسك ، فما بعد شقوتك شقوة ، ولا بعد ضياعك ضياع

وأنا مع هـذا أعطف عليك ، لأنك من قراء كتاب النثر الفنى ، وبقراءته ستدخل الجنة بغير حساب ، فهو تميمةٌ لنجاتك من تكفير المؤمنين بلا دليل ولا برهان

وإذا صح زعمك الأثيم بأنى أحارب القرآن فلن يسمع الله لك ، ولن تجد من يستريح إلى بهتانك ، يا كاتباً يؤذى الرجال باسم الدين ، وهو أجهل من أن يفهم أسرار الدين

إن مقالاتك فى مجلة الرسالة كانت وبالاً عليك ، فقد صورتك بصورة من لا يفهم حرفاً واحداً من حروف القرآن ، وهى أيضاً شهدت عليك بالعجز عن الصراحة فى مجادلة رجل قضى شبابه فى الاعتصام بالرأى الصريح

أنت تعرف جيداً أن إدارة الرقابة بوزارة الداخلية لا تسمح بنشر المجادلات الدينية ، ومن هنا كان طغيانك ، وإلا فما الذى أسكتك عن نقـد آرائى فى إعجاز القرآن وقد ظهر كتاب النثر الفنى قبل عشر سنين ؟

لا يؤذينى أن تزعم أنى ملحد ، ولا يؤذينى أن يتفق الناس جميعاً على أننى ملحد ، فأنا أصافى الله وحده ، ولا أقيم لبنى آدم أى ميزان

ولو أن الله أنعم عليك بإيمان مثل إيمانى لكان لك من الوجود الذاتى ما يعصمك من الافتراء على الرجال

هل يعرف القراء هويّتك يا أيها الأستاذ المفضال ؟

استخبرت عنك فعرفت أنك أستاذ كيمياء بكلية الطب

فما الذى ابتكرت فى علم الكيمياء ؟

إرجع إلى المعمَل كما يعبِّر المصريون ، أو المختبَر كما يعبر العراقيون ، واحبس نفسك هناك لتصل إلى شىء ، يا شخصاً يستر تقصيره فى عمله بالتطاول على الرجال

لن تفلح أبداً ، يا هذا الشخص ، ولن يكون لك من المجد العلمى أو المجد الأدبى نصيب ، وإصرارك على الإفك بتكفير الدكتور زكى مبارك لن يزيد فى إيمانك ، وهل يكون لمثلك إيمان ؟

أنا الملحد فى زعمك لم أستعن بغير الله ، ولم أستنصر بغير الله ، ولم أحول وجهى إلى وجهة ينكرها الله ، وقد صرّحت مرّات ومرّات بأنى لا أخاف الله إلا تأدباً مع ذاته العليّة ، فكيف أخاف الناس ؟

سهمك مردودٌ إلى صدرك ، يا هذا الفلان ، وستموت مسلولاً بفضل حقدك ، فارحم نفسك من الحقد لتعيش

بيدى — بعد استئذان الأقدار — حياتك أو موتك ، فانظر ما الذى تختار لنفسك ، يا هذا الفلان !

لم تكن أول كاتب يدعو إلى تشكيك الناس فى إسلامى ، وقد اندحر من سبقوك إلى اتهامى ، فلتندحر أنت أيضاً ، وستحقّ لعنتى عليك فيكون اسمك محمد احمد الغمراوى

ولن أعاتب الأستاذ الزيات بعد اليوم على أن ينشر لك ما تريد فى الغض من أقدار الباحثين ، فقد عرفتُ أن مجلة الرسالة تعبتْ من تلوّم بعض من القراء على إكثارها من الأبحاث المتسمة بالحرية الفكرية ، فهى تنشر مقالاتك لتقول إنها

حديقة تجمع بين الأزهار والحشائش ، وبين الأسود والثعابين

وأنت لجهلك فرحت بمخاصمتي لمجلة الرسالة ، فهل كنت تنتظر أن أخاصم مجلة الرسالة من أجلك إلى آخر الزمان ؟

إن قراء الرسالة سألوا عني حين غِبتُ ، ولن يسأل عنك سائلٌ حين تغيب

ومن أنت حتى يسأل القراء عنك ؟

بضاعتك تنحصر في تكفير المؤمنين

وأنا مع هـذا أعطف عليك ، لأنك من قراء كتاب النثر الفني ؛ والله عز شأنه سيتفضل فيرفع من يقرأون كتاب النثر الفني

ولـكن كيف ؟

أفترع الجواب فأقول :

آرائي في إعجاز القرآن بكتاب النثر الفني آراءٌ تُقنع المستنيرين بإعجاز القرآن ، وهم الفئة التي نخاف عليها من الارتياب في إعجاز القرآن

لا خوف من إلحاد العوامّ ، فإيمانهم لن يتعرض لأيّ زلزال ، ولـكن الخوف من إلحاد الخواصّ ، وقد أقنعتهم في كتاب النثر الفني بصحة إعجاز القرآن

هؤلاء الخواصّ كانوا في بالي وأنا أؤلف كتاب النثر الفني ، فأشبعتهم إيماناً بإعجاز القرآن ، ولن يرضيهم كلامٌ غير كلامي

***

ثم ماذا ؟

ثم أترك محاسبتك على حقدك ، ولا أرجو الله أن يغفر لك ، فما لمثلك مكان في فردوس الغفران

وإن بدا لك أن تعاود الإصرار على اتهامي في إسلامي فسأقول بعبارة صريحة إن إسلامك مدخول ، وإنك تستر جهلك بدعوى الغيرة على الدين الحنيف

وما غرامك بأن تُفهم قُراء الرسالة أني أحارب القرآن ؟

ما هذا الغرام الأثيم بإيذاء المؤمنين يا هـذا الشخص المسلم بالصورة لا بالوجدان ؟

إن آرائي في إعجاز القرآن شرحت صدور الألوف من المسلمين ، وأقنعتهم بأن القرآن قوة روحية لا قوة لفظية ، وأن روحانيته هي السر في ظفره بالخلود

إن مجلة « الرسالة » غير مسئولة عما تصنع بنفسك ، ولو نشرتْ لك ألف مقالة لبقيت حيث وضعك القَدَر العادل أستاذ كيمياء لم يبتكر شيئاً في علم الكيمياء

أترك تكفير الدكتور زكي مبارك وتكفير الدكتور طه حسين يا هذا الفلان ، واشغل نفسك بمصيرك ، يا شخصاً لن يكون له مصير ، ولو اعتصم بالخيوط الفانية مما ينسج السراب

أنا أقنعتُ المثقفين بإعجاز القرآن ، فماذا صنعتَ أنت ؟

***

أما بعد فهذا جوابي لقرائي ، وهو جواب رجل يقال إنه ملحد ، رداً على مفتريات يذيعها عني جهولٌ يدعو إلى اتهامي في إسلامي

لك الويل يا هـذا الفلان ، فلن أترك الرد عليك ما دامت مجلة الرسالة ترى أنك أهل لنشر ما تسوق من المفتريات

رأيي هو الرأي ، ويكفيني مجداً وشرفاً أني أقنعت المثقفين بإعجاز القرآن ، وعند الله جزائي ، وما عند الله أخلد من الخلود

زكي مبارك

وحدة الوجود
بين الفلسفة والدين
للأستاذ محمد يوسف موسى

تناول في هذه الأيام الأخيرة مذهب وحدة الوجود بعض كتاب الرسالة وقرائها النابهين الأفاضل ، بمناسبة « رسائل التعليقات للرصافي » ونقدها للأستاذ دريني خشبة ، وكلٌّ عرض لهذا المذهب من الناحية التي يراها جديرة بالاهتمام . وقد رأى أحدهم ، وهو الأستاذ زكريا ابراهيم المعروف باصطناع الدقة في التعبير والحكم ، أن من التعسف والخطأ والمجازفة أن يقال عن هذا المذهب إنه إفك ينطوي على كثير من الأراجيف وإنه لا يتفق وعقائد الدين الحقة

لذلك أرجو أن يكون لي التقدم بهذه الكلمة ؛ لعلها تكشف بعض الحقيقة ، أو تساعد على الوصول إليها

* * *

الذهاب إلى فكرة « وحدة الوجود » ليس إلا أحد الحلول أو الأفهام التي حاول بها المفكرون والفلاسفة في القديم والحديث أن يحلوا أو يفهموا مسألة صلة الله بالعالم ، وقد أنتج التفكير في هذه المسألة كثيراً من المذاهب التي وعاها الزمن وسجلها تاريخ الفلسفة

ومحيي الدين بن عربي من زعماء القائلين بهذه الفكرة ، وكان له من أجل ذلك أنصار وخصوم ؛ هؤلاء يقذفونه بالزندقة والكفر ، وأولئك يجعلونه الشيخ الأكبر وأحد أولياء الله وأصفيائه ، ولكل أمارات ودلائل ، ولا يتسع المقام لذكر ذلك أو الإشارة إليه . إلا أني أشير إلى أن عبد الوهاب الشعراني ، وهو من أكبر أنصار الشيخ ، حاول أن يوفق بين الشريعة وبين ما ورد في مؤلفات الشيخ مما لا يتفق والدين ، فلم يستطع إلى ذلك سبيلاً ، فلجأ أخيراً إلى حذف ما لا يتفق وما عليه أهل السنة والجماعة من كتاب الفتوحات ، كما روى ذلك بنفسه في مختصره لهذا الكتاب ، وتلك لعمري خطة إثمها أكبر من نفعها !

ولكن ، ما معنى هذه الفكرة « وحدة الوجود » التي تؤدي إلى التكفير في رأي كثير من الناس ؟ هي ، كما يتبين من كتب ابن عربي نفسها ، القول بأنه ليس هناك إلا وجود واحد هو الله والعالم كله مظاهر له ، أو بعبارة أخرى ليس جميع الممكنات إلا مظاهر للحق (الله) يتجلى فيها ولولاه لكانت عدماً[1]

ومعنى هذا أن الحقيقة التي هي الوجود الحق هي ذاته تعالى : وهي في عالم الحيوان حيوان ، وفي عالم النبات نبات ، وفي عالم الجماد جماد ؛ فالله منبث في كل شيء من سماء وأرض وشجر وحيوان ، وما إلى ذلك كله مما خلق حتى عجل بني إسرائيل هو بعض مجالي الله ومظاهره ، ولهذا صح لموسى عليه السلام أن يقول للسامري : « وانظر إلى إلهك »[2] !

هكذا يقول ابن عربي ويتناسى تتمة الآية : « وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً » مما يدل دلالة واضحة لا تحتمل الجدل والمكابرة على ما في خطاب موسى عليه السلام للسامري من تهكم به وبما صنع !

وليست هذه النصوص متفردة في مؤلفات ابن عربي ، إنها مليئة بكثير أمثالها الدالة على هذه النظرية الغامضة الصعبة التصور والعسيرة الفهم ، والبعيدة عن العقل والدين فيما أرى ، ويرى كثير غيري إنها لا تتفق مع الدين الذي يرى وجود موجودين – الله والعالم – متباينين في كل شيء ومنفصلين تمام الانفصال ، أحدهما وجوده رهن بإرادة الآخر ، ولا تتفق كذلك معه بحال ما ، ما دام الدين ينزه الله عن أن يكون أشرف مخلوقاته مجلى ومظهراً له ، فكيف بعجل بني إسرائيل وما دونه

ولا تتفق كذلك مع العقل الذي يرفض أن يؤمن بشيء يعجز عن إدراكه على أي نحو كان ، كما أنه لا يرى ضرورة للإيمان بها في سبيل فهمه الله والعالم والعلاقة بينهما

ولعل رفض العقل والشرع لفكرة وحدة الوجود هو الذي جعل بعض المفتونين بابن عربي يبرئونه من القول بها أو الذهاب إليها ؛ أمثال السراج البلقيني والسيوطي والشعراني وعبد الغني النابلسي[3] ، ولكن كيف يمكن هذا ، والفتوحات والفصوص قاما على هذا المذهب ولا يستطاع تأويلهما جميعاً !

قد يقبل الإغماض في عبارة يجري بها لسان صوفي أخذه الوجد ، وارتفع به الحال ، وشاهد ما لا نشاهد ، فقال في لحظة من لحظات التجلي والمشاهدة : أنا الحق – مثلاً ! – ولكن ليس من المقبول الإغماض في نظرية قام عليها مذهب ، وامتلأت بها كتب ، وسجلها صاحبها وهو هادئ النفس يحس بما يقول ويقدره قبل أن ينطق به !

---

(1) الفتوحات ج ٢ : ٢١٥ – ٢١٦ (2) شرح الفصوص ص ٢٣٦ وما بعدها (3) كتابي : فلسفة الأخلاق في الاسلام وصلاتها بالفلسفة الأغريقية ص ١٩٦

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٧٠ — إن الكفاف لراهب أو زاهد

أبو القاسم عامر بن هشام القرطبي :

قالوا : الكفاف مقيم . قلت : ذاك لمن

لا يستخف إلى بيت الزراجين(١)

ولا يبلبله هبُّ الصَّبا سحراً ولا يلطفه عرف الرياحين

ولا يهيم بتفاح الخـدود ورمان (م

الصـــدور وترجيع التلاحـــين

(١) من قصيدته المسماة عند أهل الأندلس بكفر الأدب . وقد قالها لما زين له بعض أصحابه الرحلة إلى حضرة ملك الموحدين : مراكش . (الكفاف) في المصباح : قوته كفاف أي مقدار حاجته من غير زيادة ولا نقص سمي بذلك لأنه يكف عن سؤال الناس ويغني عنهم (يستخف) يسرع والمعروف خف (الزرجون) الخمر . فارسية معربة أى لون الذهب (اللسان)

لقد أبنت رأيي بوضوح وتفصيل فى ابن عربى — معتمداً على مؤلفاته — من الناحية الدينية والأخلاقية ، فى كتابى الذى ذكرته بالهامش ، وأتبعت ذلك برأى ابن تيمية فيه وفى أمثاله ، وفعلت ذلك للعلم وحده ولتوفية ما يجب للدراسات العلمية من أمانة وعدم تعصب ، ولا أريد هنا أن أذكر شيئاً مما ذكرته هناك فى هذه الناحية

ولعل الأخ الفاضل الأستاذ زكريا ابراهيم لا يرى بعد هذا أن من التعسف والخطأ والمجازفة وصف مذهب وحدة الوجود بأنه إفك ينطوى على كثير من الأراجيف ، بل لعله يرى أن هذا الوصف فيه غير قليل من الاعتدال !

وأما القول بأن «من دأب العامة أن تتمرد على كل ضرب من ضروب الامتياز» ، ولهذا «ليس أيسر على الناس من أن يقرفوا الفلاسفة والمفكرين بالكفر والإلحاد» ، فلن يصرف من يرى الحق أن يصدع به ، ومع هذا ، ليت شعرى أكان الغزالى وأمثاله من العامة ؟ على أنى أرى أن نتشدد جميعاً ونقتصد اقتصاداً كبيراً فى الحكم بالتكفير والزندقة والإلحاد ونحو هذا مما يتصل بالعقيدة والدين .

محمد يوسف موسى

٥٧١ — فأصلح الأمر أن يبقوا مفاليسا

الحسن بن شاو المعروف بابن النقيب :

فى الناس قومٌ إذا ما أيسروا بَطِروا
فأصلحُ الأمر أن يَبقَوا مفاليسا

لا تســـألِ الله إلا فى خمولهم
فهم جيـــادٌ إذا كانوا مناحيسا

٥٧٢ — ما تطاق فى الشعر يا أصمعى !

إسحق الموصلى : سأل الرشيد عن بيت الراعى :

قتلوا ابن عفان الخليفة مُحرماً ودعا فلم أر مثـله مخذولا

ما معنى (محرما) ؟ فقال الكسائى : أحرم بالحج . فقال الأصمعى : والله ما كان أحرم بالحج ، ولا أراد الشاعر أنه أيضاً شهر حرام فيقال : أحرم إذا دخل فيه كما يقال : أشهر إذا دخل فى الشهر ، وأعام إذا دخل فى العام . فقال الكسائى : ما هو غير هذا . فقال الأصمعى : ما أراد عدى بن زيد بقوله :

قتلوا كسرى بليـل محرما فتولى لم يُمتّع بكفن(١)

أى إحرام لكسرى ؟ فقال الرشيد فما المعنى ؟ قال : كل من لم يأت شيئاً يوجب عليه عقوبة فهو محرم لا يحل منه شيء . فقال الرشيد : ما تطاق فى الشعر(٢) يا أصمعى !

٥٧٣ — ليس له عدو بين أضلاعه إلا معدته

قال أبو الفرج الأصبهانى : وجدت فى كتاب الشاهينى : أنشـد أبو الحارث جميد قول العباس بن الأحنف :

قلبى الى ما ضرنى داع يكثر أســقامى وأوجاعى

كيف احترامى من عدوى إذا كان عدوى بين أضـلاعى

إن دام هجرك لى يا مالـكى أوشك أن ينعانى الناعى

فبكى ثم قال : هـذا شعر رجل جائع فى جارية طباخة مليحة ، فقيل له : من أين قلت ذاك ؟ قال : لأنه بدأ فقال : (قلبى البيت) ، وكذلك الإنسان يدعوه قلبه وشهوته إلى ما ضره من الطعام والشراب فيأكله فتكثر علله وأوجاعه ، وهـذا تعريض ثم صرح فقال : (كيف احترامى : البيت) ، وليس للانسـان عدو بين أضلاعه إلا معدته ، فهى تتلف ماله ، وهى سبب أسقامه ، وهى مفتاح كل بلاء عليه ، ثم قال : (إن دام لى : البيت) ، فعلمت أن الطباخة كانت صديقته ، وأنها هجرته ففقدها وفقد الطعام ، فلو دام ذلك عليه لمات جوعاً ، ونعاه الناعي

(١) يريد قتل شيرويه أباه أبرويز بن هرمز (٢) فى فهمه ، فهم غريبه

الطبيعة في الصيف

جـــلاد الظلال ...

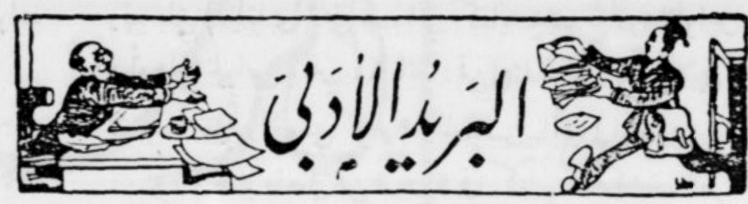
«المهجر»

[الجزيرة في هاجرة الصيف]

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

دعوها على راحاته الخضر ترتمي   فَقَدْ شفها برح الهجير المسمم
رمت فوقه أشجانها وتنفست   إليـه بشكوى عابر لمخيَّم
ولاذت به مفطورة ، فظلالها   أساريرُ وجه اليائس المتجهم
وأدواحها ركبان دوّن أحالهم   ضلال الفلا أصنام دير مهدم
تناجت بصمت أيقظت همساته   يمامات ظهر صاحيات كنوم
هففن ، وذرّفن التغني صبابةً
تخطّفن إحساس الغصون المتكتم
وأغفت على حضن من الموج ناعم   بخيل الرُّؤى إلا على كل ملهم
هو النيل رباها على الحب والهوى   وعانق شطيها عناق المتيم
وطوق جنبيها فلاحت غريبة   على ساعديه من أسى البين تحتمي
وتحكي له أشجانها ، وحديثها   يغني بلا عود ، ويشكو بلا فم
تضوع غراماً وانتظاراً وحيرةً   وشعراً إلى غير الهوى لم ينغم
يمر على محرابها الناس غفلاً   كما مر بوذيٌّ على دار مسلم
وتسري حواليها السفائن خشعاً   سرى تائب في كعبة الله محرم
تشق عباباً مات همساً موجه   فلاح كمشتاق إلى نفسه ظمي
ولولا خطا تياره لحسبتها   تماثيل طير في سراب مدوّم
لها شرع بيض الحواشي متونها   كأعلام جيش مستجير مسلم
سكون ولكن في حنيات صدره   بقايا لهاث الشدّ في قلب مجرم
وأقعي على الأسوار قيظ رأيته   يطل بوجه الحانق المتندّم
يلوح جلاد الظلال وهـذه   سياط اللظى منه طوال التضرم
يكدن يحلن الظل وهماً وغصنه   تهافت مفزوع عميق التوهم
تشاكى من التعذيب فرع وطائر   وعشب فكان الروض إيحاء مأتم
وأوقف نعش الريح لا كفٌّ لأحد
ولا خطو بكّاء كثير الترحم
تعرّى عن الأستار ، فهو مكفّنٌ
بضوء على الأغصان حيران مُحجم
شواظ ولا نار ، ونار ولا لظى   وموقد عبّادين مات لهيبه
وكدت أرى والنار لم تبد سجدة   مجوسية قامت على كل مجثم
وركباً من التهويد تخفي وجوهه   وتنظر من وجه الأثيم الملثم
وحائرة من عالم الزهر أطرقت   حداداً على عطر الصباح الملثم
مقيدة ، ملهوفة ، ذات آهة   مقيدة تبدو كطيف مجسم
تمد يديها للغدير ، وقلبه   إلى عودها يجري بكوب محطم
أظمآى تنادي ظامئاً ؟ من رأى الأسى
يغيثُ الأسى في الخاطر المتألم ؟!
لقد بُحّ صوت الجو برحاً ولهفة   كما بحّ سر الغيب صوت المنجم
ورزء بالهيب في خيالي وفي دمي
وشبت أغانيه سعيراً بأعظمي

وهاجرة يشوى بها الظل مثلما   يقلب في الأشواق قلب المتيم
لها وهوهات في الربى خلت أنها   فحيح أفاع من زوايا جهنم
رميت بها حران أحكي حكاية   عن الصيف لم أنبس ولم أتكلم
ولكنني أروي عن الوحي كيفما   روى لي بأطياف الخيال المهمهم
لنفسيَ أحكيها ، ومن هول سحرها
طلاسم سمع الغافلين المختّم ...
رأيت جحيماً لم تباركه فارس   بعباد نار من بنيها مزمزم
ولم يرن طواف إلى قبسانه   بقلب من التسبيح شاد مرنم
ولا حدثت عنه الخرافات أهلها   ولا خط عنه الوهم حرفاً بمرقم
له وهج يصلى الوجوه بحرّه   ويفهق كاليحموم في مسرب الدم
وألسنة بيض لهُنّ رطانة   بمثل لغاها كاهن لم يتمتم
كأن عفاريت الظهيرة طنبوا   خياماً على هذا البساط المضرم
تنادوا بألفاظ صداها وساوس   سمعت معانيها بآذان أعجم ...
وجو غضوب الذر يكظم نقمة   ويكتم غيظ الساخط المتبرم
شممت به ريح المعاصي سخينة   محملة الأنفاس من كل مأثم
يفح بجراع الشكوك هواجساً   لهن دبيب السم في رأس أرقم
وألحد صوفي النخيل ، فما أرى   به هزة كانت إلى النسك تنتمي
لقد كان رعاش الأيادي تبتّلاً   إلى الله لم يدنس ، ولم يتأثم
ولم يجن ذنباً يبتغي عنه توبة   مع الناس يدعوها بكف ومعصم
أما قام في الفجر الرطيب مؤذناً   يصيح بتكبير على العقل مبهم
فما باله أصغى وأصغت ظلاله   كمنتظر حكم القضاء المحتّم !
وألقى على الأفق المصفد نظرةً   كأصفاد عيسى والتفاتات مريم
وأزهق إحساس الطبيعة ، فاغتدت
بحزن على كتم الشكايات مرغم



حمد وشكر

أسرة الرسالة تحمد الله على ما أسبغ من نعمة العافية على رئيس تحريرها . وتنوب عنه فى شكر الأمم العربية قاطبة ، أفراداً وجماعات لما طوقته به من كريم رعايتها وجميل برها ونبيل عواطفها ، وسؤالها المتصل عنه أثناء مرضه ، مما كان له أطيب الأثر فى تخفيف ألمه وسرعة إبلاله . وإن لم يكن بد من أن تخص بالشكر أحداً فهى تقدمه خالصاً موفوراً إلى صديقها الفاضـل الدكتور عبد الله الـكاتب بك الذى أجرى العملية للأستاذ الزيات بمستشفى الروضة ، وتولاه بعنايته حتى تماثل للشفاء . ثم تخص بالشكر وزراء مصر ونوابها وعلماءها ، وكل من تفضـل بالسؤال عن الأستاذ بحضوره إلى المستشفى أو بإرسال البرقيات والرسائل ، وتبتهل إلى الله اللطيف أن يتم للأستاذ من كمال الشفاء ما هو أمنية أصدقائه ومحبيه ، إنه سميع مجيب .

البستان

أهدى الأديب الـكبير والأستاذ الجليل إسعاف بك النشاشيبي مجموعة من مؤلفاته إلى صـديقه الشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن . ومنها كتاب « البستان » الذي هو مجموعة من الشعر والنثر أحسن الأسـتاذ الجليل فيها الاختيار . فـكتب إليه الشاعر هذه الأبيات :

بستانك الناضر فى حسنه ... لله ما أبهى وما أفتنا !
أمتعتنى منه بما يَسْتَبى ... ويخلبُ الألبابَ والأعينا
آويتنى منـه إلى روضة ... آنستُ منهـا الظلَّ والمجتـَنى
فى كل سطر منه تفريدةٌ ... يُوشك منها العقل أن يُفتنا
جمعتَ فيه كلَّ أصل زكا ... ورُمتَ فيه كلَّ فرع دنا
واخترتَ من نظم ونثرٍ به ... ما جوَّدَ المنشىْ أو أتقنـا
ما كنتَ فيه كاتباً منشئاً ... بل كنتَ فيه راوياً محسنا
ورب شعر أنت أحييته ... وكاد بالنسيان أن يدفنـا
هذا اختيارٌ فيه من عقلـكم ... ما قد رأيناه عياناً هنـــا
فى فندقٍ (١) ذكرنا « بابلاً » ... قد بَلْـبلَ الله به الألسـنا
فى موطن العجمة مِنْ حيِّه ... صادَفتِ (الضادُ) لها موطنا
أيامَ ما أنحلَّ لـكم مجلسٌ ... صبحاً ولا انفضَّ لـكم موهنا (٢)
تَدورُ فيه القولَ مستوعباً ... وتنشُدُ الأشعار مستحسنا
تلك الليالى البيض يا سيِّـدى ... لم يبق منها غير حلو المنى

تكرار « بين » بين الاسمين الظاهرين

تفضـل الأسـتاذ دربنى خشبة فأصـدر مقاله القيم فى الرسـالة عدد ٥٦٩ معنوناً على هـذا الوجـه : بين « أنات حائرة » وبين « قيس ولبنى » ، فجاءت « بين » مكررة بين الاسمين الظاهرين ، كما جاء فى الرسالة العدد ٢٧٣ ص ١٥٧٤ فى البريد الأدبى بعنوان : « وزير المعارف يحكم بيننا وبين لجنة إنهاض اللغة العربية » ، جاء تحت نفس العنوان ما يأتى :

« وصنيع الأسـتاذ هيكل باشا هو الفرق بين وزير يقرأ

(١) إشارة إلى فندق « الـكنتنتال » ، وفيه عصبة أدبية رفيعة كان يزينها الأستاذ الجليل ...   (٢) الموهن : نحو من نصف الليل

كأن ثكالى مخرسات على الرُّبى ... شليلات همس الروح والجسم والفم
وقفن عليهـا ينتظرن معزياً ... وطرف المعزِّى عن طريق الأسى عمى
طرحن مناديل الظلال على الثرى ... وكاد بهن العود كالظل يرتمى
وأطرق فيها كل شىء فما بها ... سوى طيف مصلوب وإيماء مسقم
كأن القصور الشامخات بأرضها ... محاريب جن فى مزار محرَّم
يطن حواليها الهجير كأنه ... تخافت عار حول عرض مثـلم
وينفخ كالحداد ناراً شرارها ... تناهش خزى في ضمير مذمم
مشيت بها حيران أشبه خاطراً ... بقلب ملول جازع اليأس مظلم
أفتش عن سحر الربيع وعطره ... كأنىَ نقَّابٌ بأحشاء منجم
لقد مات ! واغتالت مغانيه بغتة ... كما اغتال عصف الشك أحلام مغرم
ألا أين هفهاف النسيم بأيكها ... وأين مزامير الضحى المتبسم ؟
وأين أغانى الموج والموج شاعر ... وإن لم يُذِعْ شعراً ولم يترنم
وأين الهوى إنى حملت ربيعهُ ... بقلب من الأشواق عات مدمدم
وهمت على صيف الجزيرة شارداً ... بجي كسيرٍ فى حشاها مطلسم
أحب لياليها ، وأهـــوى تُرابها ... وأهوى غروب الشمس فى أفقها الظمى
فقدْت أليف الروح بين شعابها ... وعدت بحزن المستطار المتيم
كأنى هجير تائه فوق أرضها ... يغنى بناى من أسى النفس ماجم

محمود حسن اسماعيل

ويقضى وبين وزير آخر يسمع ويعصى » ، ونعتقد أن الصواب هو عدم جواز تكرار « بين » بين الاسمين الظاهرين

وكنت قد قرأت للمؤرخ واللغوى العراقى المنسى المرحوم « رزوق عيسى » صاحب مجلة « المؤرخ » البغدادية رأياً فى هذه القضية وجدته فى بعض المسودات من تراثه الأدبى القيم أرغب فى عرضه على أنظار حضرات أساتيذ اللغة ليبدوا رأيهم فى ذلك وإليكم النص عنه :

« من أوهام فريق كبير من كتاب العربية أنهم يوسطون « بين » بين الاسمين الظاهرين المتعاطفين فيقولون مثلا : (الحرب قائمة على ساق وقدم بين اليابان وبين الصين) ، والصواب : بين اليابان والصين ، لأن « بين » تقتضى الاشتراك فلا تدخل إلا على مثنى أو مجموع ، ولإثبات صحة ما نحن بصدده ننقل بعض ما جاء فى كتاب « درة الغواص فى أوهام الخواص » للحريرى :

« ويقولون المال بين زيد وبين عمرو » بتكرير لفظة « بين » فيوهمون فيه . والصواب أن يقال : « بين زيد وعمرو » ، كما قال سبحانه وتعالى : « من بين فرث ودم » ، والعلة فيه أن لفظة « بين » تقتضى الاشتراك فلا تدخل إلا على مثنى أو مجموع ، كقولك : « المال بينهما والدار بين الأخوة » ... قال الشيخ الرئيس أبو محمد - رضى الله عنه - : وأظن الذى وهمهم لزوم تكرير لفظة « بين » مع الظاهر ما رأوه من تكريرها مع المضمر فى مثل قوله عز وجل : (هذا فراق بينى وبينك) ، وقد وهموا فى المماثلة بين الموطنين ، وخفى عليهم الفرق الواضح بين الموضعين ، وهو أن المعطوف فى الآية قد عطف على المضمر المجرور الذى من شرط جواز العطف عليه عند النحويين من أهل البصرة . تكرير الجار فيه ، كقولك : مررت بك وبزيد . قال أبو القاسم المرتضى :

بينى وبين عواذلى فى الحب أطراف الرماح
أنا خارجى فى الهوى لا حكم إلا للملاح

وقد جوز بعضهم إعادة « بين » بين اسمين ظاهرين ، ومنهم السيد أحمد شهاب الدين الخفاجى ، ولكنه مذهب ضعيف يناقض ما ورد فى الفرقان العظيم من الآيات البينات فى عدم إعادة « بين » مع الاسمين الظاهرين . قال ابن برى : إعادة « بين » هنا جائزة على جهة التأكيد ، وهو كثير فى كلام العرب ، كقول الأعشى :

بين الأشج وبين قيس باذخ بخ لوالده وللمولود

وقال عدى بن زيد : بين النهار وبين الليل قد فصلا . وقال ذو الرمة

بين النهار وبين الليل من عقد على جوانبه الأوساط والهدب

وقد علق (الخفاجى) على هذا فى كتابه « شرح درة الغواص فى أوهام الخواص » ص ٩٤ قائلا : فمن هنا يعلم أن إعادة « بين » لا تفسد نظماً ولا معنى كما توهمه المصنف - أى (الحريرى) -

وجاء بحث مفصل عن « بين » فى كتاب « كشف الطرة عن الغرة » للسيد محمود شهاب الدين الآلوسى ص ١٣٦ ومن قوله : « ومن أوهامهم أنهم يوسطون « بين » بين الاسمين الظاهرين المتعاطفين فيقولون : « المال بين زيد وبين عمرو » . والصواب : « بين زيد وعمرو » بترك التوسط والتكرير ، لأن « بين » تقتضى الاشتراك فلا تدخل إلا على مثنى أو مجموع ، كقولك : (المال بين الأخوين ، والدار بين الأخوة) .

هذا ما أردنا بيانه ، والمرجو أن نقع على الصواب الذى يراه أساتذة اللغة الكرام « بغداد » ضياء الدين أبو الحب

أغلاط

قرأت فى عدد الرسالة ٥٧٣ قصيدة عنوانها « السراب » للدكتور ناجى ، وهى من عيون الشعر الحديث ، غير أنى مررت فيها بهنات أحببت أن يعلمها الشاعر الكبير وقراء الرسالة :

١ - القصيدة من بحر الخفيف وأجزاؤه : (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن) ، وقد تصير فاعلاتن فَعِلاتن أو مفعولن ، وقد يحول مستفعلن إلى مُتَفعلن ، ولكن البيت :

اسمك العذب أروع الأسماء مهما تعددت أسماء

لا يوافق هذا البحر ، ولا ما تحول إليه أجزاؤه ، فهو بيت مكسور

٢ - لا أعرف فى اللغة (صدفة) ولا (هناء) ، وإنما أعرف مصادفة وهناءة ، وكذلك لفظ (الأبد) يعرفه اللغويون بمعنى الزمن ، ولكن الشاعر يقول :

أبد لا يحد للعين قد ضا ق فأمسى والسجن هذا الفضاء

ولا يفوتنى أن أقول إن الشاعر عبد الغنى حسن له قصيدة فى نفس العدد وفيها : « تتلاشى على الرمال وتنثر » ، ولا أعرف فى اللغة (تتلاشى) هذه ، فلعل الشاعرين يدلانى وقراء الرسالة على مصدر صحة هذه الكلمات

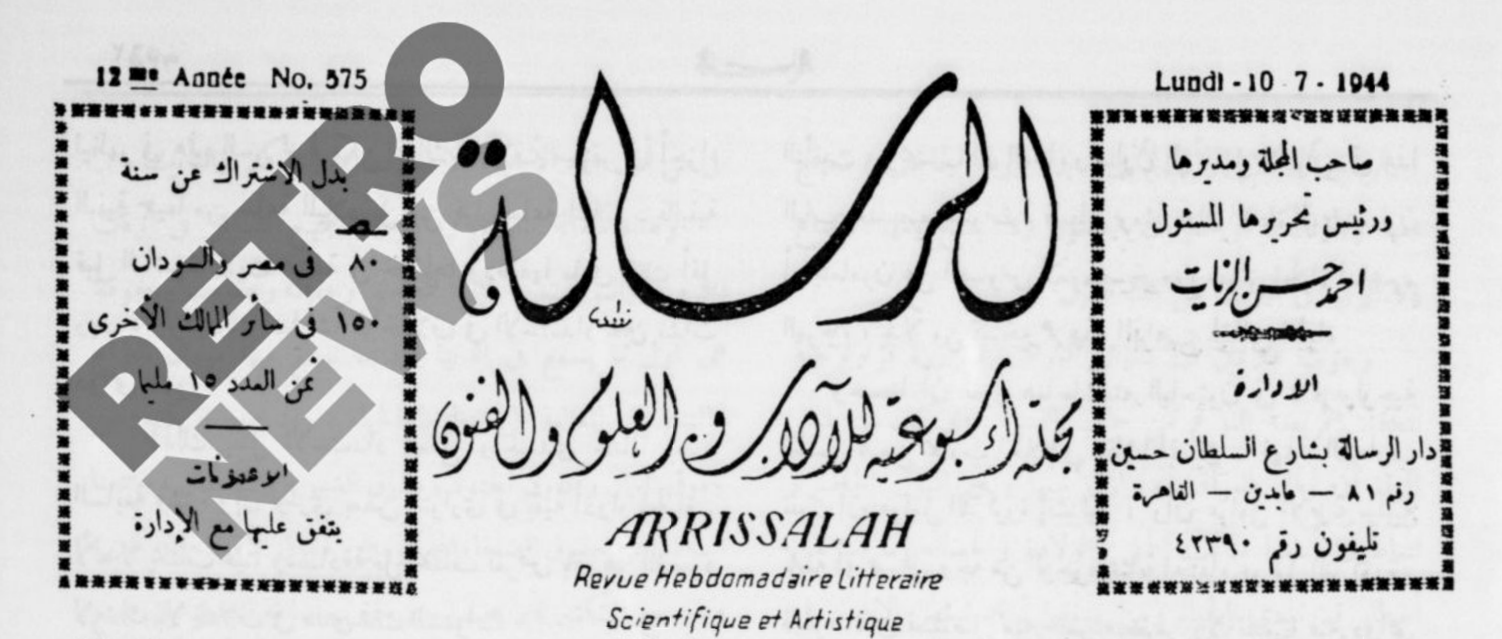
٣ - العواصف الهوجاء وأمواجه السوداء عبارتان مغلوطتان ، وصوابهما : (الهوج) و (السود)

٤ - ولست بدار الفرق بين سنة مقفرة وسنة خالية ، وهما متقابلتان فى شعر الدكتور

هذا وللشاعر الكبير تقديرى واحترامى على محمد حسن
مدرس بالأزهر



12me Année No. 575 — Lundi - 10 - 7 - 1944



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٧٥ « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ رجب سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٠ يولية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

مسألة الجنسين

للأستاذ عباس محمود العقاد

في مقالنا الماضي عرضنا لقرار الحكومة الروسية الذي أمرت فيه بفصل الصبيان والبنات في بعض مراحل التعليم، لأن الذكور والأناث يختلفون في استعداد النمو ما بين العاشرة والسابعة عشرة، فيبطئ تكوين الذكور ما بين العاشرة والرابعة عشرة ويسرع تكوين الأناث، ثم يبطئ تكوين الأناث ما بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة ويسرع تكوين الذكور

وهذا مع اختلاف الإعداد للمستقبل بعد انتهاء الدراسة. فالذكور يعدون للجندية والأناث يعددن للأمومة، وكلتا الوظيفتين تدعو إلى تعليم خاص لا يشترك فيه الجنس الآخر ولا يفيده أو يفيد الأمة أن يشترك فيه

وقد قلنا في التمهيد لذلك: « إن الفارق إذا وجد في البنية لا يوجد في زمن ويختفي بعد ذلك أو قبل ذلك في أزمان. بل هو موجود في دخائل البنية وأعماقها، وإن تفاوتت درجات ظهوره بين حين وحين.»

وهذا الذي نريد أن نتوسع فيه بعض التوسع في هذا المقال. لأن الاختلاف بين العاشرة والسابعة عشرة ما كان

ليظهر فى هذه السن لو لم يكن هناك اختلاف مستقر فى أجزاء البنية جميعاً من ساعة الميلاد بل من قبل ساعة الميلاد . فالبنية قبل العاشرة كانت مختلفة فى خلاياها ودقائقها ما فى ذلك أقل ريب ، ولولا ذلك لما نشأ الاختلاف فى الاستعداد حين نشأت دواعى ظهوره

كذلك يظل الاستعداد العقلى والجسدى مختلفاً بعد السابعة عشرة وإن توارى بعض التوارى فى بقية أدوار الحياة . لأنه لا يختلف عبثاً ومصادفة بل يختلف لغرض باق هو المقصود لا شك بالاختلاف فى مدى تلك السنوات

وهذه حقيقة يستطيع العلم أن يفسرها ولكنه لا يستطيع أن ينفيها ويمنعها بحال من الأحوال . لأن نفيها أو منعها من وراء سلطان العلم والعلماء

فالاختلاف بين الجنسين فى الطاقة والملكة موجود من زمن قديم ، ونتائج هذا الاختلاف فى الحياة العامة والحياة الخاصة موجودة كذلك منذ زمن قديم ، وغاية ما ينتظر من العلم أن يفسر لنا أسباب هذا الاختلاف أو يفسر لنا دلالاته ومعانيه ، ولكنه ينقض نفسه حين ينفى وجوده أو يعترف بوجوده ثم ينفى دلالته فى الماضى ووجهته فى المستقبل ، فليس للعلم ولا للعلماء هذا السلطان

على أن اختلاف الجنسين فى الطاقة والملكة سابق لاختلافهما فى نوع الإنسان . فلا مساواة فى الحيوانات العليا بين الذكور والأناث ، وليست حقوق الأناث مساوية لحقوق الذكور فى تلك الحيوانات ، إن صح التعبير هنا بكلمة الحقوق . ولم تشاهد قط جماعة من الحيوانات الاجتماعية تقودها أنثى أو تحتل منها محل الزعامة كما تفعل الذكور ، ولم تشاهد قط أنثى تستتبع لها طائفة من الذكور لتختار منها ما تشاء حين تشاء

والعلم لا يستطيع أن ينكر هذا ولا يستطيع أن يجرده من الدلالة ، ولا يستطيع بعد هذا وذاك أن يزعم أن الحيوان يحتاج إلى التنوع فى وظيفة الجنسين ولا يحتاج إليها الإنسان .

على أن العلم قد أخذ منذ سنوات قليلة فى كشف هذه الحقيقة من مكامنها الأولى التى تبين لنا أن الاختلاف فى القدرة الإنشائية كان من أبدأ البداءات بين خلايا التذكير وخلايا التأنيث ، ونحسب أن العلماء واصلون إلى فصل الخطاب فى هذا الباب بعد بضع سنوات . فيبطل يومئذ محال الدعاة الذين يعمون أو يتعامون عن المحسوس لأنهم يسخرون حقائق الحياة لمذاهبهم العوجاء ، بدلاً من تسخيرهم هذه المذاهب لحقائق الحياة

وحسبنا أن نقرر هنا ما أثبته الباحثون فى « فزيولوجية الجنس » من تجارب الخلايا في كلا الجنسين . فهذه التجارب تثبت أن عوامل الذكورة إنشائية ، وأن عوامل الأنوثة سلبية تابعة أو هى على وجه من الوجوه بمثابة اختفاء عوامل الذكورة . فالجزء الذى تستأصل منه خصيته يضمر ولا تنبعث فيه دواعى النماء ، ولا يحدث مثل هذا فى أنثاه إذا نزع منها المبيض ولو من أوائل الطفولة ، لأن نموها الأنثوى لا يحتاج إلى عامل مضاف من عوامل الإنشاء

ومع هذا لا نحسب أن الأمر يلجئنا إلى الميكرسكوب والخلايا لنعلم أن طبيعة الذكورة تقتضي الإرادة الإيجابية وأن طبيعة الأنوثة تقتضى المطاوعة والمتابعة وما يمتزج بهما من الخلائق والنزعات

فالذكور فى جميع الحيوانات هى المجتهدة الطالبة والأناث فى جميع الحيوانات هى الملبية المطلوبة ، وإن اشترك الجنسان فى رغبة التناسل واستبقاء النوع

وقد خلق الذكور ، نفوساً وأجساماً ، بحيث يريدون تحقيق رغباتهم الجنسية ويستطيعون تحقيقها كرهاً إذا بدا لهم الإكراه ، ولم تخلق هذه المزية للأنثى فى نوع من الأنواع ، وليس إمكانها بمعقول

ولا عبث فى هذه التفرقة بين مزية الجنسين ، لأن الأنثى ليست بها ولا بالنوع حاجة إلى تسليط إرادتها بعد الحمل الذي يشغلها عدة شهور . فمن العبث أن تمطى الإرادة لتمطل وظائف الذكور فى خلال هذه الشهور ؛ ومن مصلحة النوع أن تكون مزية الإرادة والسيطرة للرجل ومزية الطاعة والتلبية للمرأة . وهكذا شاءت حكمة الخليقة سواء عندها من يشاء من اللاغطين ومن لا يشاءون .

وكما قضت حكمة الخليقة بالإرادة والسيطرة للرجال قضت بفارق آخر بين الجنسين يجمل التدبير وبعد النظر خاصة للرجال لا يرزقها النساء

فكثيراً ما تلام المرأة، لأنها أسيرة ميولها الحاضرة، تندفع معها ولا تفكر في عواقب الأمور ولا يفلح معها الإقناع ولا الوعيد في تحويلها عن تلك الميول

ويفوت اللائمين أن نسيان العواقب ضرورة فزيولوجية لتحقيق فريضة النوع من جانب النساء. فلو كان من طبع المرأة أن تبالي بالعواقب وتوازن بينها وبين الميول الحاضرة لتعاظمت أمامها متاعب الحمل والولادة والحضانة وما فيها من أخطار قد تودي بالحياة ومن منغصات قد تبغض الإنسان في أقدس الواجبات

فهذه ضرورات الخلقة التي لا كلام فيها لعلم علم ولا لتحليل محلل قد ميزت الرجل بالسيطرة والإرادة في صميم الفارق بين الذكورة والأنوثة، وقد جعلت وظيفة الرجل وظيفة لا يناقضها التدبير والنظر البعيد، كما يناقضان وظيفة المرأة

وحكمة الخليقة هنا يؤيدها الشاهد المحسوس، فإذا علمنا أن تكوين النساء لا يتيح لهن جملة أن يساوين الرجال في مزايا الإرادة والعزيمة والتدبير والنظر البعيد؛ فكل كلام عن تشابه الملكات بعد ذلك محض هراء

نعم تعرف للمرأة مزاياها التي لا يشابهها فيها الرجال، وهي مزايا يفيد فيها التخصيص والتوزيع، ولا مناص فيها كما قدمنا من التباين والافتراق في مراحل التعليم وفي مراحل العمل والمعيشة، وهذا الذي نعنيه ونخشى أن يغفل عنه المتعجلون والمغرمون في انتحال المذاهب واتباع الدعوات

ونعيد هنا ما قدمناه في مقالنا السابق حيث نقول: «إن المسألة التي نحن بصددها ليست مسألة تقدير للمنازل والمراتب في ديوان من دواوين التشريفات، ولكنها مسألة القيام بأعمال الرجال وأعمال النساء على الوجه الصالح لكل من الجنسين»

فلا يضير الناس أن يقال ما يقال عن تساوي الأقدار وتعادل المراتب بين النساء والرجال ما فهموا حقيقة الاختلاف بين استعداد هؤلاء وهؤلاء، وما وكلوا لكل منهما عمله الذي يحسنه ولا يعطل فيه ملكاته التي توارثها من أول عهد التاريخ، بل من أول عهد الأحياء بالاختلاف بين التذكير والتأنيث

وهذه مسألة تثار الآن كما تثار جميع المسائل في أوقات الحروب والثورات. فإن كلمة حق وحقك وحقوقهم وحقوقنا هي أول ما يسمع في الدنيا عند ما يتسع فيها ميدان النزاع والتنافس والمغالبة على حظوظ الحياة، وقد سمعنا الكثير عن حقوق العمال وحقوق الجنود وحقوق الشيوخ والأطفال، وسمعنا الكثير عن حقوق الضعفاء المحكومين وحقوق الأقوياء الحاكمين، وسنسمع الكثير غير هذا حين تقترب ساعة الفصل بين جميع هذه الحقوق. فلا عجب أن تتردد بيننا وبين الأمم الأخرى كلمات الداعين والداعيات إلى حق المرأة في كل شيء حتى ما ثبت للرجال كل الحق فيه

لا عجب في ذلك ولا مدعاة فيه للتشاؤم والإنكار. إذ لا شك أن التنبه الخاطئ بغير فهم وسداد أنفع من الجمود الخاطئ بغير فهم وسداد، وقد جمدت المرأة زمناً طويلا؛ فلها اليوم أن تأخذ كفايتها من اليقظة كما أخذت كفايتها من الجمود، ولها في هذه اليقظة أن تخطئ ثم تخطئ حتى تصيب طائعة أو ترد إلى الصواب بحكم الحوادث التي تنفرد أبداً بالحكم الأخير

والذي نحن على يقين منه أن المرأة ستظفر بكل حق هي قادرة عليه ومحتاجة إليه، أو هي به في حدود الأنوثة التي أقيمت لها حدودها قبل المذاهب والقوانين، وستبقى لها حدودها بعد المذاهب والقوانين

ستظفر المرأة بكل حق من هذه الحقوق، ولكنها ستعدل بمشيئتها عن تلك المطالب التي لا تريدها لأنها قادرة عليها أو محتاجة إليها، بل تريدها لأنها «زي جديد» كتلك الأزياء الجدد التي يشغف بها بنات حواء

وسيأتي اليوم الذي يصبح فيه هذا الزي الجديد قديماً؛ فإذا هو منبوذ غير مطلوب، وفوات المدة هو كل ما يلزم لمناقشة هذه الدعاوى وتفنيد تلك الآراء. إن صح أنها آراء

عباس محمود العقاد

محو الأمية فى مصر

المشروع الجليل الذى تضطلع به وزارة الشئون الاجتماعية

للأستاذ دريني خشبة

ليس أخزى لأمة من الأمم أن تشيع فيها تلك الأمية الذميمة على الصورة التى تشيع بها فى مصر . وبالنسبة العالية التى ترتفع إلى ٨٥ ٪ فى بلادنا ... وأى خزى ألا يكون فى مصر من الملمين بالقراءة والكتابة أكثر من مليونين وربع المليون وأن يكون بها من الأميين أكثر من اثنى عشر مليوناً وثلاثة أرباع المليون !

أى خزى أن تكون هذه حالنا بالرغم من الملايين العشرة من الجنيهات التى شرعنا ننفقها على التعليم سنوياً ؟

وكيف أغمضنا عيوننا على هذه الحال كل تلك السنين الطوال ، والمسألة تتعلق بكرامتنا وقوميتنا واستقلالنا وحياتنا وبكل ما هو عزيز علينا ؟

وإذا عددنا أدواءنا الاجتماعية ، فأى داء وبيل يكون أقسى على المجتمع المصرى من تلك الأميه الذميمة المتفشية فى طبقاته على هذا النحو ، وبتلك النسبة العالية ؟

وإذا عددنا أمراضنا المتوطنة ، فأى مرض فتك بنسبة تزيد على اثنين بالمئة أو سبعة بالألف من سكان مصر ، كما تفتك تلك الأمية الوبيلة بثمانمائة وخمسين من كل ألف مصرى عزيز ؟

وماذا يصنع التيفود والتيفوس والملاريا والرمد والأنكلستوما والبلهرسيا أشد مما تصنعه تلك الأمية بإخواننا المساكين المصريين من فلاحين وعمال وصناع وتجار وجنود وشرطة ؟

إن هذه الأوبئة التى ذكرنا ، وغيرها مما لم نذكر ، ليس مصدرها الميكروب كما يزعم الأطباء ، وإنما مصدرها تلك الأمية التى تغشى عقول هذه النسبة العالية من إخواننا المصريين البائسين

إن الفلاح الذى يشرب من البركة الراكدة ، والفلاحة التى تغتسل فى تلك البركة ، إنما يصنعان ذلك بعامل الأمية التى حالت قسوة الأمة ونومها الطويل الذى نامته دون إنقاذ غالبية الشعب من براثنها

وإن المرابى الذى يغتال أموال الفلاحين وغير الفلاحين من طبقات الشعب ، إنما يغتالهم من طريق أميتهم التى رانت على أبصارهم ، ونامت على عقولهم ، وحجبت عنها النور بتلك الطبقة الكثيفة من السذاجة والغفلة والجهل المبين

إن اضطلاع وزارة الشئون الاجتماعية بمهمة محو تلك الأمية الذميمة هو أشرف الأعمال التى تضطلع بها وزارة من الوزارات بل هو أجل خدمة تؤديها للوطن ، الوزارة التى أنشئت لخدمة المجتمع المصرى ، وانتشاله من تلك الوهدة التى تتردى فيها غالبيته المسكينة البائسة التي لا تنتفع من ملايين التعليم العشرة إلا بأزهد مقدار وأضأله ، وبطرق بعيدة غير مباشرة

وإن مهمة محو الأمية فى مصر لعمل تنوء به وزارة واحدة ، ويجب لهذا أن يعد خدمة وطنية عامة تُعَبَّأ له جهود الشعب كلها ، بحيث يكون مرتكباً لجريمة الخيانة الوطنية الكبرى كل مصرى يستطيع أن يساهم فى هذا العمل ثم يحجم عن المساهمة ، أو يتراخى فى القيام بنصيبه فيه

إن هذه النسبة العالية من إخواننا وآبائنا وأمهاتنا وأخواتنا وأبنائنا المصريين ، المحرومين من نعمة القراءة والكتابة ، هم فى الحقيقة محرومون من النور ، بل من الحياة ، بل من الكرامة الإنسانية . وإن من الأنانية التى ليست وراءها أنانية أن تنتفع نسبة ضئيلة من سكان البلاد بمائة مليون من الجنيهات أو تزيد كل عشر سنوات ، دون أن تنتفع غالبية الشعب بشيء من هذه الملايين

فالمسألة جد إذن ، ونحن منها إزاء خطر وطنى يجب أن تتضافر الجهود على التغلب عليه ... لقد أنشأنا وزارتى التموين والوقاية المدنية من الغارات الجوية لأسباب لو اجتمعت كلها ومعها عشرة أضعافها ، لما بلغت أسباب هذه الأمية بعللها وآثامها وعقابيلها الوخيمة ، لأنها أصل العلل ، ولو أنصفنا هؤلاء الإثنى عشر مليوناً وثلاثة أرباع المليون من إخواننا المصريين الأميين التعساء لأنشأنا لهم وزارة لمكافحة تلك الأمية التى تنحط بهم إلى مراتب الحيوانات بين أسماعنا وأبصارنا ، نحن إخوانهم المتعلمين الأنانيين !

فإذا نهضت وزارة الشئون الاجتماعية لهذا الأمر ، وجب ألا تضطلع به وحدها ، بل واجب على كل وزارة أن تعاضدها فيه ، بل وجب على جميع المصريين ، أفراداً وجماعات ، أن يقدموا لها معونتهم الصادقة المثمرة ، بحسبان أن هذه المعونة خدمة وطنية عامة ، وفرض مقدس فى عنق كل مصرى أن يضطلع بنصيبه فيه

ولعل وزارة المعارف هى أولى الوزارات التى ستتقدم لوزارة الشئون النصيب الأوفى من المعونة الصادقة ، وستقدمه شاكرة ذاكرة معترفة بالجميل ، لأن قيام وزارة الشئون بهذا الأمر دون وزارة المعارف فيه معنى من أنبل معانى التضامن الوزارى فى الحكم الصالح ، لأن أحداً لم يقل إن وزارة المعارف قادرة على كل شيء ، بل إن أحداً لم يقل إن أية وزارة من الوزارات قادرة على القيام بالعمل كله الذى أنشئت من أجله ، بل إن أية وزارة من الوزارات لعاجزة أتم العجز عن تحقيق الأغراض التى أنشئت من أجلها مالم تعاونها فى ذلك معظم الوزارات ، بل كل الوزارات ... فإذا اعترض أحد بأن مكافحة الأمية هو أول الأعمال التى أنشئت من أجلها وزارة المعارف ، قيل له إن كل الأعمال التى أنشئت من أجلها وزارة الشئون الاجتماعية كان مفروضاً أن تقوم بها وزارة المعارف ، فلما أنشئت وزارة الشئون كان إنشاؤها إتماماً لوزارة المعارف ، وتركيزاً للأعمال والواجبات ، والخدمات العامة التى تنوء بها وزارة واحدة ، على أن نصيب وزارة المعارف من هذا المشروع الجليل سيكون أكبر الأنصبة كلها وأوفاها ، فهي التي ستقدم مدارسها كلها للتعليم الليلى ، وهى التى ستقدم مدرسيها فى جميع فروع التعليم ، الأولى منه والابتدائى والثانوى والخاص والعالى والجامعى ، لتعليم إخواننا المصريين البائسين مبادئ القراءة والكتابة والحساب ... وهى ستفعل هذا عالمة أن أساتذتها من التعليم الإلزامى إلى التعليم الجامعى ، لن يشق عليهم أن ينتدبوا لهذه الخدمة الوطنية الكبرى ، لأنها دين مقدس فى أعناقهم للوطن المرزوء بتفشى الأمية فى طبقاته ، بل إن أستاذ الجامعة سوف يشعر وهو يقوم بتلك الخدمة الوطنية أنه لم يؤد لبلاده خدمة أجل منها من قبل . . . وها نحن أولاء نرى بين صفوف الجنود الخليفة بيننا أطباء ومهندسين وحاملى درجات جامعية رفيعة يعمل كل منهم برتبة جاويش بسيط ، أو عسكرى لا يحلى ذراعه غير شريط واحد ، وهو مع ذلك يشعر أنه يؤدى واجبه المقدس لبلاده أولاً ، وللمدنية المضرجة بالدماء ثانياً ، وهو مع ذلك يشعر أن قيمته قد ازدادت ، وأن ضميره قد استراح ، وأن درجته العلمية لم تنقص ...

ستفعل وزارة المعارف ذلك ، وستعبىء كل رجالها وكل جهودها فى هذه السبيل ، وستفعله شاكرة ذاكرة معترفة بالجميل لوزارة الشئون الاجتماعية ، وستحذو جميع الوزارات حذو وزارة المعارف فى معاضدة وزارة الشئون ، فتساعدها وزارة الصحة فى مكافحة الأمية الصحية بين طبقات الفلاحين والعمال والصناع والتجار ومن إليهم من سائر طبقات الشعب . . . وتساعدها فى مكافحة الأمية الصحية بين الأمهات والآباء بيث أطبائها ومفتشيها فى القرى والمدن والمساجد والأسواق لتنظيم الاجتماعات للتنوير ، ولتبصير الآباء والأمهات بما لا بد من تبصيرهم به من معضلات الصحة والوقاية من الأمراض العامة ، وسيفعل الأطباء ذلك راضين متواضعين شاعرين أنهم يقومون بنصيبهم فى هذا الجهاد المشترك والخدمة الوطنية العامة الكبرى

وتساعدها وزارة الدفاع الوطنى بتعليم جنودها مبادئ القراءة والكتابة تعليما إجباريا تخصص له ساعات قليلة من ساعات العمل والتدريب العسكرى

وتساعدها وزارة الداخلية بمثل ما تساعدها به وزارة الدفاع ، فلا تقبل شرطياً أمياً بين شرطتها ، ولا خادماً أمياً ولا خفيراً أمياً بين خدمها وخفرائها ، وبذلك تضطرهم إلى تعلم مبادئ القراءة والكتابة اضطراراً وتحملهم عليه حملا . وكذلك سائر الوزارات

وتساعدها وزارة الأوقاف أكبر المساعدة بوضع مساجدها ودور أوقافها المعطلة تحت تصرفها . . . وبتعبئة الأئمة والخطباء والوعاظ ورجال الدين للقيام بنصيبهم فى التدريس ومكافحة أمية الخرافات والشعبذة ... وبهذه المناسبة نشير إلى ما ينبغى أن يساهم به الأزهر والأزهريون من نصيب موفور مشكور ، فهم أقرب إلى نفوس العامة ويتمتعون بينهم بالثقة والمحبة ، ومثل هذا يقال عن رجال الأديان الأخرى المحترمين

على هامش ذكرى المعرى

«داعى الدعاة» مناظر المعرى

للدكتور محمد كامل حسين

الآن يستعد العالم العربى للاحتفال بالعيد الألفى للفيلسوف الشاعر أبى العلاء المعرى ، فرأيت أن أميط اللثام عن شخصية معاصره ومناظره « المؤيد داعى الدعاة » بعد أن ظل مجهولا طوال هذه السنين ، بالرغم من أنه كان رجلاً له خطره وشأنه يرجف الناس باسمه فى القرن الخامس الهجرى ، خشى بأسه الخليفة العباسى ببغداد ، وأبوكاليجار البويهى وطغرلبك التركانى ، وخشيه المعرى فى مناظراته ، هذا الرجل الذى وصفه المعرى بقوله : «لو ناظر أرسطاليس لجاز أن يفحمه ، وأفلاطون لنبذ حججه » . فمن الغريب حقاً أن تظل شخصية هذا الداعى غامضة مجهولة بالرغم من المحاولات العديدة التى قام بها جماعة من المستشرقين للبحث عنه ، ولو لم أعثر على نسخة خطية لسيرته كتبها بنفسه عن نفسه ما كنت أستطيع معرفة شىء عن هذا الداعية الداهية

عرف هذا الداعى فى التاريخ بلقبه « المؤيد فى الدين » ، واسمه هبة الله بن موسى بن أبى عمران ، ويكنى بأبى نصر ، ولد بشيراز فى أواخر القرن الرابع من الهجرة ، وأرجح أنه ولد حوالى سنة تسعين وثلثمائة من أسرة تدين بمذهب الفاطميين ، وكان أبوه داعى دعاة هذا المذهب فى فارس ، وقد عثرت على جزء من رسالة من أبيه إلى الحاكم بأمر الله الفاطمى يطلب فيها من الحاكم أن يعترف بالمؤيد داعى الدعاة بعده ، ولكن الحاكم أجابه بشىء من الجفاء والغلظة ، لأن أمر الدعوة لا يورث ، ومع ذلك استطاع هبة الله أن يصل إلى مرتبة أبيه ، وأن يصبح حجة جزيرة فارس ، (وهذا بالاصطلاح الفاطمى ومعناه داعى دعاة إقليم فارس) . أما كيف ومتى وصل إلى هذه المرتبة فهذا مالم نوفق لمعرفته إلى الآن ، وكل الذى وصلنا أنه نجح فى اجتذاب عدد كبير من الناس لدعوته ، وأنه كان محبوباً عند جمهور أهل مذهبه حتى قالوا عنه لوزير أبى كاليجار البويهى سنة ٤٢٩ : « إنهم يتخذون هذا الرجل أباً لهم وأخاً وصاحباً ومحلاً لكل سر ومفزعاً فى كل خير وشر » .

نحن لا نعرف من أمر المؤيد قبل سنة ٤٢٩ شيئاً إلا أنه كان مضطهداً من جمهور أهل السنة لتمذهبه بمذهب الفاطميين ، وأن العلماء أغروا به السلطان البويهى ، ورموه هو ومذهبه بكل

وتساعدها وزارة الزراعة بمكافحة الأمية الزراعية بين طبقات الفلاحين ، ولا بد أن تصنع وزارة الزراعة ذلك جادة غير عابثة ، فالفلاح الذى لا يجيد زراعة غير محصولات ثلاثة ، وهو مع ذلك يجهل آفاتها ، هو فلاح أمى جدير بالرثاء خليق بالتنوير . ولقد آن الأوان الذى يجب فيه التفكير فى مستقبل هذا الفلاح إذا ألغيت زراعة القطن تحت ضغط الحرير الصناعى وصوف اللبن .. وسيكون مستقبل هذا الفلاح المسكين أشد تماسة إذا لم نكافح أميته الزراعية منذ الآن . وإذا لم نكافح هذه الأمية مكافحة فنية على أحدث أصول التربية الزراعية

هذا واجب الوزارات ... أما واجب الأفراد والجماعات فهو عندى أعلى وأسمى ... إننا محتاجون إلى بث الدعوة الواسعة العريضة لمكافحة الأمية بين طبقات هذا الشعب المسكين ، حتى يصبح وجوب مكافحتها عقيدة ، بل إيماناً ... وهذا يقتضى تضافر الجهود كلها ، وخاصة جهود الكتاب والخطباء والرؤساء والصحافة على نطاق واسع ... فالصحيفة أو المجلة التى تصدر دون أن تطرق هذا الموضوع تنسى مهمتها الأولى المقدسة ، وتؤثر الخوض فى الفساف على التمرس بالجد . . . والهيئة التى تستطيع أن تساهم فى هذا المشروع بنصيب موفور مشكور ، ثم تقصر فى المساهمة هى هيئة تفر من صفوف الجيش الوطنى فى ساعة الخطر . فهى جديرة بالازدراء بل بالعقاب

وفق الله وزارة الشئون الاجتماعية فى إنجاز أشرف الواجبات الوطنية لخدمة الجيل الجديد ... ووفقها الله فى تنظيم هذا المشروع العظيم وتوقيته ووضع خطته وتدبير ماله ، إنه سميع مجيب .

دريني خشبة

موبقة ، حتى أن السلطان أبا كاليجار ما كان يطيق سماع شيء عنه لشدة مقته له ، مع أنه لم يعرفه معرفة شخصية ، ولما ضاق السلطان ذرعاً بما كان يسمعه عن المؤيد أمر بإخراجه من شيراز في رمضان سنة ٤٢٩ ، وأمهل المؤيد عدة أيام ليخرج فيها من المدينة ، على أن يظل في داره لا ينتقل منها ولا يقابل فيها أحداً ، فكبر ذلك عند شيعته وأثاروا فتنة شعواء في المدينة بين السنة والشيعة ، فاضطر الوزير إلى أن يسمح للمؤيد بعقد مجالسه ، وأن يفتح بابه لزائريه ، كما هدد علماء أهل السنة بالقتل والتشريد إن هم أثاروا مرة أخرى مسألة الخلافات المذهبية ؛ فركن الجميع إلى الخضوع على كره وبقيت حزازات النفوس كما هي

أما المؤيد فقد عمد إلى الدهاء والمكر حتى استطاع أن يقابل السلطان أبا كاليجار ، بل استطاع بقوة حجته وفصاحة منطقه أن يكسب عطفه وأن يحوز إعجابه ورضاه ، حتى أمره السلطان بأن يحضر المجلس السلطاني متى شاء كما سمح له بمناظرة مخالفي مذهبه ، وكانت هذه المناظرات إما كتابة يطلع عليها السلطان بنفسه أو كانت شفاهاً على مسمع من السلطان ، والمؤيد قوي الحجة بليغ في مناظراته مجادل له خطره فكان يخرج من مناظراته منتصراً دائماً مما أبهر السلطان وازداد به إعجاباً حتى قال له يوماً : « إني أسلمت نفسي وديني إليك وإنني راض بجملة ما أنت عليه » وهكذا اعتنق السلطان أبو كاليجار البويهي مذهب الفاطميين ودخل دعوتهم على يد المؤيد ، ولكنه اعتنق هذا المذهب سراً فلم يجرؤ على الخطبة باسم الخليفة الفاطمي ، ولم يستطع أن يعلن بين الناس تحوله عن مذهبه واعتناقه مذهب التشيع ، إنما كان دخوله في الدعوة الفاطمية أمراً أخفاه إلا عن أستاذه المؤيد الذي خصص للسلطان مساء كل خميس لتلقينه أصول المذهب وجرت هذه الدروس بأن تبدأ بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم ؛ ثم بباب من كتاب « دعائم الإسلام » للقاضي أبي حنيفة النعمان بن حيون المغربي ، ثم يناقشه السلطان في بعض ما أشكل عليه من أمر المذهب ، ثم يختم المؤيد دروسه بالحمد والدعاء للخليفة الفاطمي ، ثم للسلطان أبي كاليجار البويهي

على أن أمر هذه المجالس الليلية سرعان ما عرفه الناس ، وانتشر خبرها بين جمهور أهل السنة ولكنهم لم يستطيعوا أن يحركوا ساكناً ، وإن كان بعض المقربين إلى السلطان نصحوه بالابتعاد عن المؤيد ؛ والسلطان لا يزداد إلا تقرباً منه وتعلقاً به ، وكلما مرت الأيام ازداد السلطان حباً لأستاذه وإعجاباً به ، حتى قال الناس إن السلطان لا يقطع بأمر إلا بعد استشارة المؤيد ؛ واعتقد المؤيد نفسه أن السلطان أصبح طوع أمره وأنه لا يخالفه في شيء فانتهز المؤيد هذه الفرصة وأخذ في تهجين الشراب والخلاعة للسلطان فأغضب ذلك جماعة الندماء الذين حول السلطان فانضموا إلى أعداء المؤيد وأجمعوا أمرهم على الإيقاع به والعمل على إبعاده عن السلطان حتى لا يستأثر به من دونهم ، فأخذوا يحيكون الدسائس ويدبرون المؤامرات حتى نجحوا في مكائدهم وأظهر السلطان موجدته على المؤيد فأمر بقطع المجالس الليلية ، وعدم السماح للمؤيد بدخول المجلس السلطاني .

في هذا الوقت أي في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة تولى أبو منصور هبة الله الفسوي الوزارة لأبي كاليجار ، وكان هذا الوزير الجديد من أشد الناس بغضاً للمؤيد ، ومن أشد الناس نقمة على الشيعة عامة والمذهب الفاطمي خاصة ، فكسب أعداء المؤيد بهذا الوزير الجديد ركناً مكيناً يأوون إليه وعضداً قوياً يعتمدون عليه في الإيقاع بالمؤيد ؛ فالتفوا جميعاً حول الوزير يتلقون منه ما يحيكون به الشراك للمؤيد حتى كانت قصة مسجد الأهواز التي استغلها هؤلاء الأعداء في اقتلاع المؤيد من فارس بأسرها ، أما هذه القصة فتتلخص في أن المؤيد سافر إلى الأهواز لزيارة شيعته ورجال دعوته ، وهناك احتوى على مسجد مهدم فأمر أتباعه بتجديد عمارته وكتب على محرابه اسم النبي الكريم (ص) وأسماء الأئمة الفاطميين من علي بن أبي طالب حتى اسم المستنصر بالله وأمر دعاته بالأذان « بحي على خير العمل » ولم يكتف بذلك بل أقام الخطبة باسم المستنصر الفاطمي . فأثار عمله هذا ثائرة الناس بالأهواز وقامت ضجة بالمدينة من أنصاره المهللين وأعدائه المستنكرين والناس في عجب من أمر هذا الرجل الذي استطاع أن يقيم دعوته ظاهرة مكشوفة في بلد يدين بمذهب يخالف مذهبه حتى أن قاضي الأهواز اضطر إلى أن يرسل إلى الخليفة العباسي ببغداد ينعى الخلافة العباسية ، وينعى مذهب الجماعة والسنة وهول في القضية إن ترك المؤيد طليقاً حراً ، ووجه

لوماً عنيفاً للسلطان أبي كاليجار لأنه احتضن هذا الرجل مدة من الزمان ، وفي ختام خطاب القاضي نصيحة للخليفة العباسي بأن يداهن أبا كاليجار حتى يسلمه المؤيد وإلا حلت الدعوة الفاطمية بالبلاد بدلاً من الخلافة العباسية

وهنا نرى مقدار ما وصلت إليه الخلافة العباسية من الضعف حتى لم يبق للخليفة العباسي إلا الخطبة باسمه على المنابر ، أما السلطة الحقيقية فكانت في أيدي البويهيين والوزراء إذ لم يستطع الخليفة العباسي القائم بأمر الله أن يفعل شيئاً عند ما بلغه قضية مسجد الأهواز إلا أن يرسل رسولاً من قبله إلى أبي كاليجار ومعه بعض الهدايا والخلع نظير السماح للرسول في القبض على المؤيد ، فاشتد بذلك ساعد أعداء المؤيد وأشاعوا في البلاد أن الخليفة أهدر دمه وانتهزوا فرصة وجود رسول الخليفة في شيراز وأقاموا مظاهرات صاخبة في أيام ركوب السلطان يلهجون بمدح السلطان الذي نقم على المؤيد ويرمون المؤيد ومذهبه بكل نقيصة حتى أحرج السلطان نفسه ولم يدر ماذا يصنع بعد فرط حبه وإعجابه بالمؤيد ، وأخيراً أمر المؤيد بأن لا يخرج من داره

أما رسول الخليفة ؛ فكان يخشى المؤيد ويتجنب التعرض لذكره خوفاً من الشيعة ، وخاصة من الديلم الذين دخلوا الدعوة الفاطمية ، فلم يستطع إلا أن يكتب للمؤيد يحذره من الاندفاع في عصيانه وخروجه عن الستر إلى الجهر ، وأخذ يحبب إليه ترك المذهب الفاطمي والدخول في سلك الجماعة ويمنيه الأماني الطيبة من مراكز سامية في الدولة وأموال تتدفق عليه ؛ فكان رد المؤيد على ذلك بأنه لن يترك ما هو عليه ، وأنه سيمضي في دعوته جهراً ولو أدى ذلك لموته لاعتقاده أنه على الحق وأن غيره على الباطل ، فلم يسع رسول الخليفة إلا الرجوع إلى بغداد ، أما السلطان فخرج إلى الصيد وبقي المؤيد بين أعداء ألداء فخشي على نفسه بغتة من بغتاتهم فرأى أن يخرج لزيارة شيعته ولكنه خشي أن يغتال في الطريق ولا سيما بعد شاع في الناس أن الخليفة أهدر دمه ولذلك خرج خفية ، وكان في طريقه يلتمس الطرق الموحشة ولا يطرق الأماكن الآهلة ، ومع ذلك كان يسمع من حين لآخر أن السلطان فعل به كيت وكيت ، أو أنه قتل وقطع إرباً إرباً ، وأن بناته مزقت إلى غير ذلك من هذه الأقاويل التي كان يروجها الناس عنه وما بالك بمن يسمع بنفسه عن نفسه مثل هذه الأقاويل !

وانتهى به الطواف إلى الأهواز مرة أخرى وهناك قابل أنصاره فدهش الناس من وجوده بينهم ، وعلم السلطان بوجوده في الأهواز ، فأقسم لينتقمن منه لمخالفته أمره بالبقاء في داره ، ولأن جماعة الندماء أدخلوا في روع السلطان أن المؤيد فر إلى الأهواز لينظم ثورة ليقلع السلطان عن عرشه ، وكان للمؤيد عيون في مجلس السلطان أبلغوه نقمة السلطان وغضبه وألحوا عليه في الخروج من الأهواز ، لأن السلطان في طريقه إليها ؛ فخرج المؤيد إلى حلة منصور في ضيافة أميرها الحسين ابن منصور الذي استمع لقصة المؤيد فوعده الأمير بالتوسط لدى أبي كاليجار لتعود المياه إلى مجاريها الأولى ، وبالفعل قام هذا الأمير ليصلح بين السلطان والمؤيد وكادت تنجح مساعيه لولا أن توفي أبو طاهر البويهي ملك بغداد ، وطمع أبي كاليجار في ملك بغداد ، وذلك لا يتأتى إلا برضاء الخليفة العباسي ، وهذا ناقم على المؤيد وناقم على أبي كاليجار بسبب المؤيد ، فلم ير أبو كاليجار إلا أن يصانع بدوره الخليفة العباسي ووزراءه ، وأن يضحي بالمؤيد في سبيل الوصول إلى ملك بغداد ، وجرت مكاتبات عديدة بين السلطان والمؤيد وبين السلطان والأمير الحسين ابن منصور وأخيراً رجحت كفة الهوى على كفة العقل وأصبح محالاً أمر التوفيق بين مطامع السلطان وعودة المؤيد إلى داره ، فاضطر المؤيد إلى أن يغادر حلة منصور وإلى أن يرحل إلى قرواش بن المقلد وهو أمير العرب إذ ذاك . ولكن قرواش كان يتلاعب بالخلفاء ، ينضم إلى العباسيين إذا أغدقوا عليه نعمهم وعطاياهم ويستجيب للفاطميين طمعاً في خلعهم وألقابهم ، ويصانعه البويهيون خوفاً من سطوته وقوته ، فلما وجده المؤيد على هذا الحال تركه واتجه إلى مصر حيث إمامه الفاطمي ومقر الدعوة الفاطمية .

(يتبع)

الدكتور
محمد كامل حسين
بكلية الآداب بالقاهرة

الأحلام

للأستاذ عبد العزيز جادو

الأحلام — كما درسها بعض العلماء — تبين اشتغال الشعور الباطن ، وتقيم الدليل على تلك المشكلة التي طالما حير الإنسان فهمها . والحلم حالة نفسية يشتمل على ما نراه في نومنا من صور وتمثلات غريبة في الترتيب عجيبة في الظهور . وهذه لا تتكون دائماً من الأشياء والشئون المعلومة لدينا في اليقظة ، بل قد تكون أشياء وأموراً نجهلها تماماً . وللأحلام معنى مهم يتعلق بتوازن حياتنا اليقظة Waking life وليس اللاشعور مجرد نظرية ، ولكنه جزء من الطبيعة البشرية التي يمكن أن تظهر بواسطة الأحلام . فلكي نفهم الحلم علينا أن ندرك معنى اللاشعور . الشعور هو جزء صغير فقط من شخصيتنا . أما اللاشعور — الذي يتألف غالباً من التأثيرات ، والنزعات الموروثة والمكتسبة ، والرغبات الجنسية المكبوحة — فيكوّن الجزء الأكبر من الذات الحقيقية Real self

فإذا كانت هذه الحياة اللاشعورية غير منسجمة مع الذات الشعورية فإنها ستستولى علينا بالتدريج وتتلف فهمنا للحياة . هذا من حيث إمكان مساعدة الأحلام لنا

إننا جميعاً نرغب في أكثر مما نملك . ولما كان الطموح هو ينبوع الحياة ، فإن النزعات المكبوتة يمكن أن تقلب حياتنا المنتعشة إلى حياة خاملة . فالأحلام تمهد السبيل للتهرب من الحقيقة ، وفي الأحلام يقوم الناس بما قد يكون مستبهماً عليهم في عالم الحقيقة

كثير من الأحلام يأخذ صورة إرضاء الرغبة Wish-fulfilment والرغبة يمكن أن تميَّز بسهولة ، ولكن هناك كثيراً من الرغبات الغامضة . وهذه الرغبة الغامضة هي التي تسبب معظم القلق . وفي اللاشعور يكتمن الكثير من الرغبات الغريزية التي لا يمكن أن تكون مرضية في الحياة العادية من غير ما تناقض مع الدستور الاجتماعي للفرد ، واحترامه الذاتي

وهكذا نرى أن الميول التي نرضيها ونشبعها أثناء النهار لا تحتاج إلى إرضاء في الأحلام

والأحلام ربما تكون في الأصل جنسية ، سواء أكانت الذكرى من الطفولة المبكرة أم من الكبت الحالي ، أو ربما تكون متعلقة بذوي القربى في صورة رغبة لاشعورية لموتهم أو لبعدهم ؛ أو ربما تكون أيضاً شهوة للقوة . هذه الأمثلة غالباً ما تكبح ولا يسمح بظهورها ، لأنها متناقضة مع الحياة اليومية ، الحياة الواعية الشعورية ، ولأن الرقيب Censor من جهة أخرى يمنعها من الظهور بضغطه عليها . ولكنها قادرة على إظهار نفسها أثناء النوم عندما تتعطل الحواس وتنقطع عن العمل ، وتكون الرقابة الأخلاقية على العقل الواعي مسترخية Relaxed . عندئذ يدأب اللاشعور في عمله فينسج لنا حياة أخرى يعيش المرء فيها غاطاً في إحساساته وتصوراته وانفعالاته وآماله المكبوتة التي لم يتمكن من تحقيقها ، فتتجسم إذ ذاك تلك الإحساسات والتصورات ، وتتوالد وتظهر منها سلسلة وقائع قد تكون من الغرابة بمكان . إلا أن هذى الرغبات لا تجرؤ على الظهور بمظاهرها الحقيقية حتى ولا في الأحلام ، بل تتستر وراء أشكال ورموز ظاهرها برىء

وهذا هو السبب في أن أكثر الأحلام مزاج Jumble من الماضي والحاضر ، ومجموعة مختلفة من الناس ؛ وهذه التمثلات تتلون غالباً بصور معاني ما اختزنه الإنسان في عقله الباطن في حالة صحوه ويقظته . كما أن الأفكار والرغبات وآثار الأعمال ، وما يُلقَّن عن الغير من صنوف الإيحاء قد تكون مادة الأحلام وأشكالها

ومن هنا تنشأ الفكرة بأن الأحلام ما هي إلا صحيفة أخرى من صفحات حياتنا الكثيرة ، ومظهر آخر من مظاهر فعالية النفس

اتجاه الأدب العـــــربى
بعد الحرب القائمة
للأستاذ منصور جاب الله

قيل إن أبا بكر الخوارزمى وقف بباب الوزير الصاحب بن عباد فقال له الآذن : إن سيدى قد ألزم نفسه ألا يلج بابه إلا من كان يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فأجاب الخوارزمى على الفور : هذا القدر من شعر الرجال أو من شعر النساء ؟ ... وإذ علم الصاحب بجواب الخوارزمى قال : دعه فإنه الخوارزمى !

إنما كان ذلك رأياً قديماً فى الأدب العربى ، إذ كان القدامى يعدون الأديب أديباً بكثرة حفظه ، على حين أن كثرة الحفظ لا تجعل من الإنسان أديباً وإنما تخلق منه « راوية » . وليس أدل على ذلك من أن الخوارزمى الذى صدرنا بحكايته هذا الفصل قد هزم هزيمة نكراء حيال بديع الزمان الهمذانى ، وهو الشاب الحدث ، هزيمة اختصرت حياته فخانه العمر ولم يأت عليه إلا ما دون العام حتى كان فى عداد الثاوين

الحق أن معنى كلمة « الأدب » قد لقى تحولاً كبيراً فى سائر اللغات ، ومع أننا ما برحنا ننظر إلى معنى كلمة الأدب نظرة رجعية ، لا نستطيع أن نغفل التحول الكبير الذى طرأ على الأدب العربى بعد الحرب العالمية الماضية ، فقد كانت لأدبنا مظاهر نحب أن نناقشها ونفحصها حتى تتكون على ضياء البحوث النضيجة عناصر الأدب الجديد بعد انقضاء الحرب الناشبة وعودة الأمور إلى مجاريها

لقد كان من مظاهر الأدب العربى فيما بعد الحرب الماضية أن اتجه الأدباء إلى الترجمة والنقل عن اللغات الأجنبية ، حتى عدّ عدم التمكن من إحدى اللغات نقصاً لا يغتفر فى الأديب ، ورأى الكثيرون أن اللغة العربية وحدها لا تكفى فى تكوين الأديب العربى . وكان من جراء ذلك أن ذهب الأدباء مذاهب عدة ، فكانت هناك النزعة « اللاتينية » والنزعة « السكسونية » ولكل من النزعتين أنصار وخصوم ، حتى لقد بصرنا بأدباء يكتبون بالعربية على حين أن أحدهم لا يطالع كتاباً عربياً مهما تكن قيمته العلمية ، ومن ثم لم يكن « أدب ما بعد الحرب » أدباً إنشائياً ذا نزعة استقلالية ، وإنما كان عالة على سواه من الآداب الغربية ، حتى لقد صدق كاتب محدث بوصفه الأدب عندنا بأنه (مستعمرة !) فالنقل عندنا هو كل شىء ؛ فإذا شئنا التحرر من ربقة النقل الصريح فزعنا إلى « الاقتباس » والمحاكاة ، ومن

ويهمنا هنا أن نعرف أن الحلم — إذا حاولنا استعادته عند استيقاظنا من النوم — كثيراً ما يمحى منه أثر أشياء كبيرة الأهمية ، ويحل محلها عند اليقظة عمل آخر للرقيب ، بواسطته يُنسى الجزء المكبوت من الحلم

وإذا ترسم الحالم ارتباط عدة أحلام فلا ريب فى أنه سيجد أنها جميعاً تتجه إلى نقطة واحدة فى حياته ، هى مركز الكبت ، نقطة البداية لبله الحالى

هذى هى الأحلام التى تتعلق باللاشعور ، والتى تمدنا بالدليل على تناقضنا . إلا أن هناك عناصر معروفة تنشأ عنها الأحلام العادية هى :

١ — التأثيرات التى تأتينا من الداخل كامتلاء المعدة ، وسوء الهضم ، أو عدم انتظام الدورة الدموية وارتباك المخ . وهذه كلها أو بعضها يسبب فى الغالب أحلاماً مزعجة نسميها بالكابوس

٢ — الذكريات المحفوظة فى أعماق اللاشعور . بيد أن هذه الذكريات تتولد منها أفكار أخرى تناسبها فيتوسع النطاق فيبنى صروح أحلام شامخة

٣ — التهييج والانفعال النفسى الذى ينعكس إلى مراكز الدماغ فيجعله فى حالة عمل متواصل ، ويحصل العمل غالباً فى تداعى الأفكار ، وهى توضح لنا سبب تنوع الأحلام واختلاف مناظرها وحادثاتها

ومن تلك العناصر نرى أن أكثر الأحلام مصدرها الحادثات اليومية الواقعة فى حياتنا . وقد تتركب هذه الحادثات فتنشأ منها قصة أو واقعة غريبة

وللأحلام نوع آخر لا يقل رتبة عن الإلهام ندع الكلام فيه لمقال تال .

عبد العزيز جادو

هنا كان الكاتب ينقل القصة — مثلاً — عن كاتب غربي ثم يحور أسماء الأشخاص والأماكن ، ويغير طابع الرواية بعض التغيير ، ثم يخرجها إلى الناس قصة مصرية !

وحالنا في هذا تحاكي الحال التي آل إليها الأدب في العصر العباسي حين كان الكتاب لا يقرأ إلا إذا نص عليه بأنه منقول عن الفارسية ، وقيل في هذا الشأن إن عبد الله بن المقفع وضع كتاب « كليلة ودمنة » وضعاً ، ثم نحله إلى الهند وفارس ليقرأه الناس ويجدوا فيه متاعاً !

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ؛ فإن كاتب هذه السطور يذكر أنه كان محرراً بإحدى الصحف اليومية المصرية ، وكان صاحب الصحيفة من المولعين بالترجمة ؛ فكان لا يسيغ مقالاً من إنشاء المحرر ، ولو ضرب به المثل في البلاغة ونصاعة البيان ، بيد أنه كان يتطاير طرباً كلما بصر بمقال مترجم عن كاتب أوربي مهما تكن قيمته ! ومن هنا كان كل محرر منا يبذل الجهد الجهيد في كتابة مقال ، فإذا شاء أن يحظى بتقدير صاحب الجريدة نسبه إلى التيمس أو الطان — مثلاً — رحمه الله وغفر لنا وله !

هذا مثال لسنا مغرقين فيه علم الله ، يدل على مقدار ما بلغه الأدب عندنا من التدهور ... وعلى ذلك يقتضينا الأمر أن نفك الأغلال التي ناء بها أدبنا حتى يكون أدب ما بعد الحرب الراهنة أحسن حالاً من أدب ما بعد الحرب الماضية

نريد أن يكون أدب ما بعد الحرب أدباً ذاتياً مستقلاً يصدر عن أحاسيس ذاتية وخوالج نفسية صحيحة ، وليس معنى ذلك أن نخنق « الترجمة » ونقضي على المنقول من اللغات الأخرى ، وإنما نريد أن نتخير من كل حسن أحسنه ، ثم يكون النتاج أخيراً أدباً عربياً خالصاً فلا يضطرب المزاج ولا يطغى عنصر على عنصر . ولا نريد أن نسهب في هذه النقطة فسنفرد لها بحثاً خاصاً إن شاء الله

ولقد عابوا على الأدب العربي خلوه من القصص ، على حين أنه يفهق بالقصص ، وإنا لنكتب هذه الكلمة وبين أيدينا كتاب « مجمع الأمثال للميداني » ، وهو كتاب لو نسق على الطريقة الحديثة لكان من أروع كتب القصص في سائر اللغات . وحتى لو سلمنا جدلاً بخلو الأدب العربي من القصص ، فإن ذلك إنما يكون طبيعة مزاجية فيه ، لا نقصاً يحسب عليه ، على أن العرب ليس لهم أن يشكوا خلو أدبهم من القصص بعد الحرب الحاضرة ، فقد خاضوا غمراتها واشتركوا في ملاحمها ، ولا مشاحة في أن هذا الصراع العالمي يخلق فيهم روح « القصة » ، إذ كانت الحرب السالفة مادة لا يستهان بها في القصص الغربي

ولقد استطاع كتاب قلائل من المحدثين أن يخلقوا القصة « المصرية » ، ولكنه بقي علينا أن نكتب القصة « العربية » ، وهذا ما نحاول العمل في سبيله الآن

ولقد كان الأدب العربي فيما بعد الحرب الماضية إقليمياً أو محلياً إلى حد بعيد ، فضعفت الصلة بين الأدباء المصريين والسوريين والعراقيين وغيرهم ، فالكاتب المصري قل أن يعقد صلة أدبية مع كاتب آخر في سوريا أو العراق مثلاً ، والصحف المصرية لا تنشر في الغالب سوى مقالات الكتاب المصريين أو مقالات الكتاب الغربيين المترجمة ، ولذا لا نحسب قارىء الصحف العادي يعرف أحداً من كبار الكتاب العرب خارج مصر ، ونحن المصريين لا نخلي أنفسنا من تبعة هذا القصور ، ولا نحاول دفع التهمة إلا بإزالة أسبابها

وهنا يؤدي بنا الكلام إلى التعريج على (الفكرة الإسلامية » و « الفكرة العربية » وأيهما أولى بالتفضيل . ونحن هنا في مصر نمزج الفكرتين ولا نجد فرقاً بينهما . أما في البلاد العربية الأخرى فيأخذون على المصريين تمسكهم بهذا المزج . ويرون في ذلك ضرباً من التعصب الديني . ولا نحسب الأمر على هذا التصوير يصيب الحقيقة المجردة . ذلك لأن الفكرة (الإسلامية) أعم من الفكرة (العربية) ، فكان من الطبيعي أن تطوى أولاهما أخراهما وتحتويها ، ولقد سفه الإسلام النعرة العنصرية والجنسية

وهنا نقول أيضاً إن الشقة بعدت بين الكتاب المصريين ورصفائهم العرب بسبب النزعتين (الفرعونية) و (العربية) ثم « الشرقية » و « الإسلامية » ، وقد ذهب أحد الزعماء المصريين إلى لبنان مصطافاً قبل بضعة عشر عاماً وأقيم له حفل خطب فيه زعيم لبناني معروف فقال « نريد أن تكونوا منا

٧ – القـــرآن الـكريم
فى كتاب النثر الفنى

« وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله ،
ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون »
[قرآن كريم]

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

طلع زكى مبارك بعقاليه كما يطلع الشيطان بقرنيه . لا يستجيب إلى خير ، ولا يبصر هدى ، ولا يدعو إلى رشد ، ولا يأتى إلا بإثم أو إفك أو ضلال

وبضاعة زكي مبارك كلام يلقيه لا يدرى أعليه يكون أم له ، بل يلقيه بظن أنه له فإذا هو عليه ، وهـذا من خذلان الله له ، ومن يحارب الله مخذول .

إن كان أحد عدو نفسه فذلك زكى مبارك . يبلغ منها بجهله وغروره ما لا يبلغ الخصم بعقله . يريد أن يخفى معايبها فيدل عليها ، ويريد أن يدرأ عنها فيبدى عن مقاتلها

لقد كتب يدافع عن نفسه فأمكن منها فى كل موقف من مواقف الدفاع :

أمكن منها حين صاح مرتين يستغيث بالدكتور طه حسين ، وما ذا يملك له الدكتور طه وهو يجمع على نفسه من الاعترافات ما يوبق أقله ويهلك

وأمكن منها حين اعترف متطوعاً مختاراً بأن فى كتابه آراء فى إعجاز القرآن أخطر من الآراء التى رويناها له . وهو يعلم أى آراء روينا ، ويعلم أن ما كشفناه للناس من آرائه قد هدمه وهده ، ولا زال يمضه ويقض منه المضاجع . فأى نفع له فى أن يقول إن هناك فى كتابه ما هو شر وأخطر ، اللهم إلا أن يكون أراد أن ينسب غيره إلى الغباوة ، فنسب نفسه إلى الغباوة والحمق معاً . فإن الغبى الأحمق هو وحده الذى يريد أن يدفع عن نفسه فيعترف عليها اعترافاً كهذا فيه كل التأييد لما قال الخصم ، وفيه بعد ذلك مزيد

وأمكن من نفسه حين أكد هذا الاعتراف بقوله إنه لو شاء لدل الخصم على تلك الآراء التى هى شر وأخطر ! ونحن نعرف من كتابه كل ما يخاف كما قد أنذرناه ، ومع ذلك فما الحاجة إلى تلك الآراء وقد دمغته أخواتها دمغة سيعرف بها ما عاش ؟ ألا يكفيه من الوسم ما بلغ العظم ؟ ألا يكفيه من الغل ما أحاط بالعنق ؟ أم هو يريد غلاً يأخذ منه بالمخانق حتى يكتم منه الأنفاس ؟ لينتظر فسيرى أنا نعرف منه ومما كتب ما لا يخطر له ببال .

وأمكن من نفسه حين زعم لنفسه الشجاعة والصراحة ونفاها عن غيره . وأى صراحة يدعى أو أى صراحة يبغى بعد الذى كان ؟ لقـد صارحناه رأينا فيه ، وأنصفناه إذ لم نقتصر على الادعاء كما يفعل هو مع الناس ، بل جئنا على الدعوى بالدليل

عرباً لا شرقيين ولا فراعنة » والحق أن المصريين لا يستطيعون أن يجردوا أنفسهم من ميراثهم الفرعونى القديم ، ولـكن هذا لا يحملهم على الازورار عن القافلة العربية والتخلف عن الركب الإسلامى العظيم ، ولا نستطيع أن نفرق بين النزعتين العربيـة والإسلامية ، فقد كان الإسلام على فطرته وبساطته يوم كانت الأمبراطورية الإسلامية عربية خالصة ، ولم تدخل المذاهب الملية المعقدة إلا حين دالت دولة العرب وخرج الأمر عن أيديهم ، وكان العرب كذلك أعرف الناس بالتسامح الدينى لأن القرآن الـكريم نزل بلسان عربى مبين ، فلما آل الأمر إلى الأعاجم جهلوا معنى التسامح فـكانت الحروب الصليبية الغاشمة

فإذا صحح الـكتاب المصريون نظرتهم إلى « الفرعونية » تحتم على الـكتاب العرب فى الأقطار الأخرى أن يصححوا نظرتهم إلى الفـكرة (الإسلامية العربية) على اعتبار أنها وحدة لا تتجزأ

بقى بعد ذلك أن يعالج الأدب مسائل الإصلاح الاجتماعى علاج الباحث المحقق ، فـكاننا ما برح فى مثل هذه المسائل كحاطب ليل ، على حين أنها من صميم الأدب الحديث

ولعل اتجاه الأدب العربى بعد الحرب القائمة يكون منصرفاً إلى الدعوة إلى زيادة الإنتاج القومى والأخذ بأسس الاقتصاد الصحيح . وهـذه كلها نقاط مجملة نرجو أن تسمح لنا الظروف بعلاجها فى شىء من التفصيل .

(الرمل) — منصور جاب الله

لتمكينه من إبطال الدليل إن استطاع . واجهناه وجابهناه بالتهمة ودليلها وهو حى يرزق يستطيع أن يدفع عن نفسه : بالحق إن كان لديه، أو بالباطل كما يفعل الآن . ألا يقارن هـذا بما فعل هو مع الشيخ مصطفى القاياتى رحمه الله ؟ زعم فى بعض ما كتب ما لم يكن ليجرؤ على زعمه لو كان الشيخ القاياتى حياً ، وما ليس يصدقه فيه أحد ، من أنه كان - أى زكي مبارك - وهو تلميذ يحضر لمصطفى القاياتى محاضراته وهو أستاذ ! ثم لا يستحيى زكي مبارك بعد هـــذا أن يحشر نفسه فى عداد الصرحاء الأشراف !

هكذا أمكن زكى مبارك من نفسه ، كما أمكن منها حين سمي ظهورى عليه بالحجة طغياناً ، وحين علل هذا الطغيان بعلمى أن الرقابة تمنع نشر المجادلة الدينية ! أما إنه الحق يطغى على الباطل ولؤمه ، لا الحق يمنع من ظهوره الرقيب . ومع ذلك فما حاجة زكى مبارك إلى المجادلة مطلقاً إن كان رأيه فى القرآن وإعجازه رأى المسلمين من لدن عصر النبى الكريم إلى اليوم ؟ ما حاجته إلى المجادلة الدينية التى يمنع منها الرقيب ، إن كان يمكنه التوفيق بين النصوص التى أوردناها عليه من كلامه وبين عقيدة المسلمين فى القرآن ؟ إن أحداً لا يعرف أن الرقابة تمنعه من تأويل كلامه إلى ما يطابق عقيدة المسلمين ويوافق إجماع علمائهم . أما الجدل الذى يراد به تبرير إنكار إعجاز القرآن أو إثبات أن القرآن من كلام البشر فنعم منع الرقابة منه ، ونعم عقاب القانون عليه . فهل هـذا هو الجدل الذى كان يريد زكي مبارك والذى لا يجد إليه السبيل ؟ إذن فقد أراد أن يعتذر عن نفسه فاعترف عليها حين أراد أن يحتمى هذا الاحتماء بالرقيب

ومع ذلك فالمسألة بيننا هى رأى زكى مبارك فى القرآن لا دليل زكى مبارك على ذلك الرأى . فإذا كانت الرقابة تمنعه من الجدال عن رأيه بالدليل فذلك شهادة منه ومن الرقابة أن رأيه ليس مما يجوز عنه الدفاع ، كما لا يجوز الدفاع مثلاً عن رأى زاعم لو زعم أن مصر لا يحق لها الاستقلال

إن هذا الغبى الأحمق لا يستطيع أن يفهم أنه ينال من نفسه أكبر النيل بدفاعه عنها هذا الدفاع . إنه كالغريق فى الحمأة لا يزيده جهاده للخلاص منها إلا غوصاً فيها حتى يلتئم سطحها فوق رأسه ، وكان خيراً له ألا يقربها ، فإذ قد قاربها فقد كان أنجى له ألا يتورط فيها

ومحاولة الرجل الخلاص بالكذب أو بالمكابرة أو بالمغالطة والمهاترة لا تنفع ولا تجدى . فليس ينفعه مثلاً أن يلجأ إلى حيلته القديمة التى نبهنا إليها فى التمهيد ، فيسمى الأشياء بغير أسمائها أو بضد أسمائها ، كما يفعل من تسمية العلم جهلاً والجهل علماً ، أو الإسلام إلحاداً والإلحاد إسلاماً وإيماناً . فهذه الحيلة التى قد تجوز على الناس عند انبهام الأمر ، لا يمكن أن تجوز على أحد فى البسائط الواضحة والبديهيات المسلمة

وموضوع الخصومة بيننا وبين هذا الآفك هو فى دائرة البسيط البديهى ؛ دائرة المسلَّم المعروف من الدين بالضرورة ؛ دائرة الأمور التى هي فصل بين الإسلام وغير الإسلام ، بين المسلم وغير المسلم : دائرة إعجاز القرآن ، وأن القرآن كلام الله لا كلام البشر ، وأن الأنبياء والرسل ليس لهم من الدين إلا تبليغه ، وأن وحى الله إليهم ليس كهذا الذى يسميه الشعراء والمفكرون إلهاماً . هذه الأصول المسلَّمة عند المسلمين كافة ، المعلومة من الدين بالضرورة هى موضوع الكلام بيننا وبين زكى مبارك ، وموضوع الخصومة . وهو ينكرها ويكابر فيزعم أننا نفترى عليه الإلحاد

المسلمون كافة يقولون إن القرآن معجز ، ويفهمون من إعجازه إعجاز الأسلوب قبل كل شىء ، وهو يقول إن القرآن غير معجز وإن أسلوبه أسلوب عادى يقدر عليه جميع الكاتبين . ثم يزعم أنه قد أقنع المثقفين بإعجاز القرآن !

إن إنكار إعجاز الأسلوب يستتبع حتماً إنكار إعجاز المعنى إلا فى المواطن التى يكون فيها المعنى من النبوءات التى تحققت بالفعل ، أو يكون من العلميات التى يحققها البحث العلمى على مر الزمان . فكثير مثلاً من قصص القرآن كان معروفاً ، إن لم يكن للعرب فللنصارى واليهود فى التوراة والإنجيل . ومن السهل على المكابر أن يدعى أن محمداً درس أو أن محمداً سمع . وقد قيل ذلك بالفعل . قالوا فيما حكى الله عنهم : « لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين » . حتى لو لم يكن القصص معروفاً لسهل على المكابر بعد معرفته أن

يدعى أنه كان غير مجهول ، بل لصعب جداً على غير المكابر أن يطمئن إلى أنه لم يكن معروفاً من قبل ، ولاستحال إثبات ذلك إثباتاً يرتفع معه كل شك ، إن لم يكن فى عصر النبي ففى ما بعد عصر النبي من العصور . فما الذى حال بين المنصفين من العرب فى زمن النبي صلوات الله عليه وبين مثل هذا الشك فى إعجاز القرآن وفى رسالة النبي ؟ إعجاز الأسلوب ! إعجاز الأسلوب حال بينهم وبين الشك

إن المعنى بعد أن صار معروفاً لهم كان يمكنهم التعبير عنه بالطبع ، ولكن لا بأسلوب القرآن ولا بشيء يشتبه بأسلوب القرآن . وهذا بعض وجه الحجة عليهم فى مثل قوله تعالى : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » . وسنعود فيما نستقبل من الكلمات إلى موقف صاحب الكتاب من هذه الآية بالذات كمثل ناطق بسوء فهمه وخلطه وإحالته حين يعرض للقرآن . أما الآن فيكفى أن ننبه إلى أن التحدى فى الآية الكريمة بقوله تعالى (مثله) وفى غيرها من الآيات إنما هو تحد بالأسلوب قبل كل شيء ، لأنهم بعد أن سمعوا بعض السور وعرفوا معناها كانوا يستطيعون أن يزعموا أن المعنى ملك للجميع ، أخذوه هم كما أخذه محمد ، ويعبرون عن المعنى بأى أساليبهم يرون أنه يقوم لأسلوب القرآن . ولو فعلوا وكان ذلك ممكناً لسقط التحدى به إلى الأبد . لكنهم لم يفعلوا ولم يكونوا ليفعلوا ، لأنهم كانوا إزاء أسلوب لا يمكن تحديه ، لا كما يزعم هذا الأفاك الأحمق إنه أسلوب فى مقدور جميع الكاتبين

فالذى ينكر إعجاز الأسلوب مثل صاحب النثر الفنى يلزمه حتما أن ينكر إعجاز بعض القرآن على الأقل كالقصص القرآنى أو بعضه ، أسلوباً ومعنى ، لأنه يستحيل عليه وقد أنكر إعجاز الأسلوب القصصى أن يزعم أن القصص نفسه معجز بالمعنى أو بالروح ، كما يزعم أنه أقنع المثقفين بهذا النوع من الإعجاز فى القرآن . وإذا سقط التحدى بقصص القرآن سقط التحدى بسورة من مثل القرآن ، لأن كثيراً من قصص القرآن سور بأسرها ، أو فى قدر سورة من غير القصص ، وإذن يسقط التحدى بالقرآن بأسره ، لأن الله سبحانه حين تحدى عباده بسورة من مثل القرآن لم يقيدهم بأى قيد فى اختيار السورة . فلو اختاروها سورة قصص ، أو جاءوا بقصص فى قدر سورة ولو قصيرة من غير القصص ، وكان ما جاءوا به يلتبس بالقرآن من حيث الأسلوب ، لكانوا قد كسروا التحدى وبطلت معجزة القرآن بين العرب ، فضلاً عمن جاء بعدهم ممن ليس له بصرهم بالفصاحة والبيان

فانظر فى هذا وتأمله جيداً وحكم عقلك ومنطقك ما شئت ، تجد أن إنكار إعجاز الأسلوب يؤدى حتماً إلى إنكار الإعجاز كله فى القرآن كله ؛ فإذا تبين لك هذا فاحكم حكمك على صاحب النثر الفنى ، منكر إعجاز أسلوب القرآن ومدعى إقناع المثقفين بإعجاز القرآن من ناحية الروح !

إن الرجل يلعب ويلهو بالخطير العظيم من الحق ، ويكذب ويأفك على الناس وعلى الله رب الناس . لكن لا عجب فهو يخبرنا أنه لا يخاف الله إلا تأدباً ، فهو لا يستشعر خوفاً حقيقياً منه سبحانه . فماذا يمنعه من الكذب والافتراء على الله ؟

على أننا لم نفرغ بعد من هذا الأفاك

محمد أحمد الغمراوى

بضاعة القلم

للأستاذ توفيق حسن الشرتونى

لا جدال أن بضاعة القلم هى البضاعة التى تصدر خاماً من منجم الدماغ الإنسانى، وتتحول إلى مصنع الحافظة للقيام بمهمة فرزها وضروب حياكتها. وما مصنع الحافظة سوى مستودع يعج بمفردات اللغة وشواردها، ومسبك يصب ألفاظها وتعابيرها. والملهمون وحدهم يحسنون خلق هذه البضاعة وإبداع نسجها، لأنها بضاعة فريدة صعبة المراس، تقدر بالجودة لا بالكثرة.

فكم فص من الماس لا يساويه ألف فص، وكم قلادة من قلائد اليراع لا يعدلها ألف قلادة. فالثرثرة إذاً ليست أدباً، وحوشى اللفظ ليس بياناً، وانتحال أفكار الغير لا يعدّ نتاجاً، واجترار أقوالهم لا يعتبر فناً. إنما الأدب والبيان والفن نتاج يرتكز على دعائم الابتكار فى المعنى، والبلاغة فى المبنى، والجزالة فى الأسلوب، والإيجاز فى التعبير

أما الابتكار فى المعنى وهو بيت القصيد، فلا يبدعه غير الموهوبين. والموهوبون أنفسهم لا ينتجونه طريفاً إذا لم يستثمروا مناجم أدمغتهم، ويغرزوا فى أعماق تلافيفها ومطاوى أغوارها معاول تفكيرهم ومهاميز جهادهم ليكشفوا عن مستغلق أرواحهم، وعن كل ما تلبد فى مستودع أذهانهم، وتستتر فى مكنون طباعهم وخفايا غرائزهم. وأدباء العربية أحوج الأمم فى هذا العصر إلى استغلال مناجم أدمغتهم. فهى ما تزال بكراً لم يستثمر منها غير اليسير الذى لا يروى غلة ولا يبل ظماً

ومن العار أن تظل حياتنا الأدبية والعلمية مقصورة على معارف الجدود، أو مستمدة من نتاج أدمغة الغربيين نأخذ منهم ولا نعطيهم، ونتمتع بمستحدثاتهم العلمية وروائعهم الأدبية والفنية، ولا نبادلهم علماً يستحق الذكر، أو أدباً جديراً بالتقدير، أو فناً خليقاً بالإعجاب

إن العاجز يمثل دور الطفيلى ويعيش عيالاً على غيره. أما نحن فلسنا بالعاجزين. نحن أبناء أمة عريقة، لنا من ماضيها الزاخر بغرر الفكر، ومن تاريخها الحافل بجليل المآثر، ما يؤهلنا لمجاراة أرقى الأمم حضارة وعلماً، وما يذكى فينا روح المساهمة الواجبة علينا إزاء العالم، فى حلبة الإبداع والتجدد.

وليس يعوزنا غير التضلع فى العلوم والفنون والصناعات، والاطلاع على طارفها وتالدها، والتعمق فى درسها وتمحيصها لاستجلاء كنوزها. ثم التمرن على إشغال الذهن ومواصلة التفكير لبعث ملكة الاستنباط الراقدة فى حنايا أدمغتنا البكر، وهذا كله فى متناول أيدينا. فجامعاتنا ومدارسنا ومكتباتنا كلها تزخر بمختلف المعارف الإنسانية، ينهل منها الطالب ما يشاء، ويثقف نفسه ما شاء لها من التثقيف.

ولكن هل من السهل إجهاد الذهن لاستخراج ما فيه من الدرر واللآلئ؟ إنه لعمرى إجهاد عنيف لا يضاهيه إجهاد الغواص لاستخراج لآلئ البحر، يتطلب علماً وجلداً وخبرة فى الحياة، ويستدعى جهداً خارقاً فى التفكير، ورهفاً دقيقاً فى الملاحظة، وإنعاماً خالصاً فى الروية، تتعاون كلها على بعث اليقظة فى الحواشى والوعى فى البصيرة. والحواشى المستيقظة والبصيرة الواعية مصراعا الدماغ، لا ينفذ إلى دخائله دونهما، ولا تستخرج درره الكامنة فى أغواره إلا بهما.

فلا شىء فى هذا الكون يجنى عفو الخاطر، بل بشق النفس وإجهاد الجسم والعقل

فالعلم الذى نستوعبه بحول، هو نتاج كفاح الأجيال. والكتاب الذى نتصفحه بساعة هو نتيجة جهاد الأعوام.

والصناعات التى نتمتع بأدواتها المدهشة ، قد صرف مبدعوها العمر كله لإيجادها . والأدوية الناجمة التى نفزع إليها عند الحاجة ، ونتناولها ساعة نشاء ، قد بذل فى سبيل تحضيرها واكتشافها دماء القلب وعصارة الروح

فارتقاء الإنسان إذاً مصدره الفكر . ولولا أعمال الفكر الشاقة ، لما كانت الحضارة ومستحدثاتها ولا العلم ونواميسه . فكل جليل وجميل فى الكون تمخض فكراً فى الذهن قبل أن تجسم كتاباً ، أو تحول آلة أو تقمص فناً

فمن شاء الخلق والإبداع فليفكر . وألا يمل من التفكير . فمن لا يزرع لا يحصد ، ومن لا يواصل التفكير لا يخلق ولا يبدع

إن الجسم لا تقوى عضلاته بلا مواصلة العمل والرياضة ... هكذا الدماغ وهو خير ما فى الجسم من عضل وخلايا لا تتفتح مواهبه الخالقة ، وتشتد قواه المبدعة إلا بقوة المران والتفكير المستمر . ولا يعزب عن البال أن الثقة بالنفس هى أساس الفكر ، فمن وثق بنفسه فكر بدماغه دون أن يتوكأ على أدمغة الآخرين . وما الإحجام والخمول والتواكل سوى قيود مرهقة للنفس . يتحتم علينا أن نتحرر منها ليتسع أفق تفكيرنا ونتاج عقولنا

أما البلاغة فى المبنى فزينتها خلوها من الحشو والتكلف ، وبعدها عن الإبهام والتعقيد ، وحرصها على الوضوح والطلاوة وبحبها عن محض الشمور والسجية . هكذا الأسلوب لا يعتبر جزلاً إلا إذا كان سهلاً ممتعاً ، مؤدياً المعنى بلغة صحيحة ، وعبارة رشيقة ، ولفظ متلائم

أما الإيجاز فى التعبير ، فهو من أهم لزوميات هذا العصر الخاطف ، الذى جعل الناس يتنقلون من قطر إلى قطر بسرعة تبز جوارح الطير ، ويرسلون أصواتهم وأفكارهم من قطب إلى قطب ، كما ترسل الصواعق

لقد مضى عهد المداورات والمترادفات ، وتصرم زمن الاستغراق فى الكنايات والاستعارات ، وجاء العهد الذى يستدعى الكاتب النفاذ إلى لب الموضوع بسرعة توازى سرعة العصر الذى نعيش فيه

فالمعانى التى تستوعب بصفحة من خطل الرأى أن نعبر عنها بصفحات . والفكرة التى توضح بجملة من الخطأ أن نمدها فى كثرة الجمل . فالكتاب الشائق فى هذا العصر هو الكتاب السهل المأخذ ، الغنى بروى البيان والفكر والتعبير الموجز

أما المطولات فقد تصرم عهدها وطويت الرفوف

إنى أوثر اليوم أن تنسج بضاعة القلم على هذا النحو ، فلكل عصر بضاعة كما لكل عصر رجال .

(بيروت) توفيق حسن الشرتونى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٧٤ — فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه

فى السياسة الإلهية لابن تيمية :

سئل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين فى الغزو . أحدهما قوى فاجر والآخر صالح ضعيف مع أيهما يغزى

فقال : أما الفاجر القوى فقوته للمسلمين ، وفجوره على نفسه . وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه ، وضعفه على المسلمين . يُغزَى مع القوى الفاجر

٥٧٥ — قارئ عجيب

فى (الحوادث الجامعة فى المئة السابعة) لابن الفوطى : فى سنة (٦٣٧) توفى الشيخ على بن حازم القارئ المعروف بالأبله ، كان آية فى حفظ القرآن المجيد ، وتجويد قراءته ، يقرأ كل سورة شاء معكوسة ، واختير له مرة على سبيل الامتحان سورة (الرحمن والقمر والجن) فقرأ ثلاث السور معكوسة دفعة واحدة من كل سورة آية ، وكان يقرأ من كل سورة شاء آية من أولها وآية من آخرها ويختمها فى وسطها . ومع هذا كله كان عنده بله ، وميل إلى اللعب مع الصغار والتشبه فى أفعالهم مع علو سنه

٥٧٦ — يأكل ليعيش لا يعيش ليأكل

فى (رسائل أبو بكر الخوارزمى) : حق على العاقل أن يأكل ليعيش ، لا يعيش ليأكل ، وكفى بالمرء عاراً أن يكون صريع مأكله . وقتيل أنامله ، وأن يجنى بيمضه على كله ، ويهين فرعه على أصله ، فكم من لقمة أتلفت نفس حر ، وكم من أكلة منعت أكلات دهر (١) ، وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت ، وكم من عذوبة خلفها بشاعة الفوت . ومن غلبت شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية وانخلع عن ربقة الإنسانية

٥٧٧ — لم يكن من يجور

« المحاسن والمساوى » لابراهيم بن محمد البيهقى :

لولا من يقبل الجور لم يكن من يجور

٥٧٨ — لا تحسن أن تقول كقوله

فى « الصبح المنبى » : حكى صاحب المفاوضة قال : كان سيف الدولة يميل إلى أبى العباس النامى الشاعر ميلاً شديداً إلى أن جاء المتنبى فمال عنه إليه ، فغاظ ذلك أبا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا به وعاتبه وقال :

الأمير لمَ يفضل علىّ المتنبى ؟ فأمسك سيف الدولة عن جوابه فلجّ وألحّ وطالبه بالجواب ، فقال : لأنك لا تحسن أن تقول :

يعود من كل فتح غير مفتخر
وقد أغذ إليه غير محتفل (٢)

---

(١) فى رسالة الصاحب بن عباد فى الطب : قال الحكيم الأول بقراط فى البدن السقيم : إنك متى ما زدته غذاء زدته شراً

(٢) أغذ : أسرع فى السير ، ومراد المتنبى مطلق السير لا كما فسر الواحدى ، والبيت فى قصيدة مطلعها :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل — والطعن عند محبيهن كالقبل

الضمير فى (محبيهن) يرجع إلى الممالك أو إلى الأسل لا كقول العكبرى : كان الوجه أن يقول عند محبيه ، لأن الطعن مصدر طعن إلا أنه جمله جمع طعنة

ملحمة السراب . . . !

القسم الثانى

للدكتور ابراهيم ناجى

ما بقائى وأجمل العمر ولَّى وانتظارى حتى يحين الشتاء
تعست حِقبة تغير وجه الـكون فيها وحالتِ الأشياء
يطلع الفجر مرهقاً شاحب النو ر عليه الـكلال والإعياء
وأرى الصبح فى المشارق يحبو ما به نضرةٌ ولا لألاء
قد علا طلعةَ النهار شحوبٌ واصفرار واعتلَّت الأضواء
وبنفسى دب المساء وحلَّ الليـل من قبل أن يحين المساء
عُدتنى كالربيع فى موكب الزهـر له روعة وفيه رُواء
ولك الوجه أومض السحر فيه والتقى الحسن عنده والذكاء
وشحوب كظل راحٍ وللنـد مان تجلو شحوبها الصهباء
ولك الكرم ذو العناقيد رفَّت وتهادت فروعـه الملساء
ولك الجيد أتلعاً أودع الصا نع فيه من قدرة ما يشاء
قُدَّ من مرمرٍ وشمشمه الفجـ ر بورد وصُب فيه الضياء
ولك المقلة التى يشرب السهـم من لحظها ويغفى الحياء
ولك اللفظة التى تبعث الها مد حيًّا كأنهـا كهرباء
وأنا الطائر الذى تصطبى نفـسى السموات والذُّرا الشماء
راشنى صائدٌ رمانى فأدمانى وولَّى الجانى وعاش الداء
كلما مرت الليالى يزيد الجرح غـوراً والطعنة النجلاء
طُويتْ رحلتى وودعتُ أحـ
لامى فنفسى من الأمانى براء
كثرت حَيرتى وزادت تباريحى
وشكى وما لحزنى انتهاء
مرحباً بالهوى الـكبير فإن يبـ قَ وإن تسلمى يطب لنفسى البقاء
فهو القمة التى تهزم المو ت ولا يرتقى إليها الفناء

ابراهيم ناجى

مزامـــير !

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

ليتنى كنتُ صلاةً فى كهوف الناسكينا
أتلاشى فى طريق اللـه شوقاً وحنينا . . .

ليتنى كنت غِناء تائهاً فوق الصحارى
هزَّنى طيرٌ غريبٌ فوق رُكبان حيارى

ليتنى كنت شعاعاً فى ليالى الحائرينا
أسكب السُّلوان للدمـع وأغتال الأنينا . . .

ليتنى كنت سكوناً خاشعاً بين الجبال
تتلاقى فىَّ آيا تُ وجودى بالزوال

ليتنى كنت غداً لا تعلم الأقدار سرَّهْ
أو نشيداً ضنَّ شادى الغيب أن يعزف نبرهْ

ليتنى كنتُ على لُجِّ (م) البحار الخضر زورقْ
كيفما شاءت بى الريح (م) على الأمواج تخفقْ

ليتنى كنت حفيف السحاب فى آذان بيدِ
يسمع الليلُ صبابا تى ويُصغى لنشيدى

ليتنى كنت صفير الحـب من نايِ الرُّعاةِ
تشرب الوديان والقطـمان خمراً من لهاتى

ليتنى كنت عصاً فى كف أعمى لا يراها
هى تهديه ولكن مَن إلى النور هداها !

ليتنى كنت غراماً بين جنبَى عاشقَينْ
سَمَرُها إنشادَ نيرا نى . . . فظلا خاشعَينْ

ليتنى كنت رياحاً تهتفُ الآبادُ منها
أنا أهواها . . . ولكن رغم أنى لم أكُنْها

محمود حسن اسماعيل



الوجود المادي

١ — أشكر عظيم الشكر لحضرة اللوذعي الفضال الأستاذ دريني خشبة تفضله عليّ « بالفاضلية والمحبوبية » وهو بهما أجدر مني وأليق

٢ — أرجو من حضرته ألا يزجني في معركة وحدة الوجود لأني لا أصلح جندياً فيها . وما تعرَّضتُ لها في العدد السابق من الرسالة إلا لأنني كنت أود حقيقة أن أعلم ماذا يراد بوحدة الوجود

٣ — أرجو من الأستاذ دريني أن يراجع ما قلته في مقالي السابق لكي يتحقق جيداً أني لم أقل إن مقاله الثالث زاد النظرية غموضاً . بل قلت بكل وضوح وصراحة لا تقبل التأويل ، إن ما سرده من نظريات فلاسفة اليونان زاده غموضاً لأنها سلاسل سخافات كنشوء الكون من الرطوبة الخ . فهي لا تستحق أن يُستشهد بها ولا يستفاد منها شيء لتعريف وحدة الوجود . لذلك أرجو منه أن يصحح عبارته لكيلا يفهم القراء أني نسبت إليه قولاً لم يقله

٤ — فهمت من كلمة « الوجود » الكون المادي ، لأن ما استشهد حضرته به من أقوال فلاسفة اليونان يدل دلالة صريحة على أن هؤلاء الفلاسفة عنوا بالوجود أصله المادي لا غير . كذا فهمت . وهو واضح من قولي « إذا كان المراد بوحدة الوجود أن الكون كله من ذرات وأجسام نشأ من هيولي واحدة الخ . فهو ما أثبته العلم الحديث الخ » . فعن الوجود المادي تكلمت ، وهو الذي عنيت ، وطبيعته قصدت . ولذلك لا أسلم بهيولي أخرى غير هيولاه ما دمت لا أحس بهيولي أخرى . ففي عقيدتي أن كل ما أحس به بإحدى حواسي هو من طبيعة هذا الوجود الهيولي ولا غيره . وما وراء الطبيعة لا أحس به إذن فليس هو من الوجود المادي . ولذلك قلت إنه لا شيء وراء الطبيعة المادية . أما إذا كان وراء الطبيعة شيء آخر وهو الروح فهو وجود غير مادي ، غير طبيعي . ولذلك تنصلت من التعرض له

٥ — أما قول أستاذنا الفاضل دريني إن القضية قضية إسلامية فأقول بشأنه أني لم أنازع في هذه القضية ولن أنازع على الرغم من أن قضية نسبة الوجود إلى الله (رب العالمين) ليست إسلامية بحتة بل هي قضية عالمية ولا تحتكرها أية أمة دون أخرى . على أني لا أتعرض لها بأي حال

٦ — وهو موضوع خرج من دائرة قصدي فيما كتبت وإنما استدرجني إليه أستاذنا دريني بقوله أخيراً : ما رأى الأستاذ نقولا الحداد في هذه الفلسفة التي لا تعترف بالعالم أو الطبيعة الخ . رأيي أني لا أستطيع أن أعتقد بأن ما أحس به بحواسي الخمس هو وهم كما حاول الفلاسفة التصوريون Idealists أن يقنعونا وكبيرهم الفيلسوف بركلي Berkeley في أواخر القرن السادس عشر على الرغم من مقدرته المنطقية في الإقناع . إن حواسي بنات أفعال المادة في جسدي فلا أقدر أن أكذبها أو أقول إنها تخدعني . وهذا موضوع عويص جداً أتهيب أن أتصدى له .

نقولا الحداد

الجائزة الأدبية

كنت في مجلس ضم عشرة من الأدباء ، فيهم ثلاثة من الأقطاب ، أي إذا ذكر الأدب في مصر أو في العالم العربي كان هؤلاء من المتقدمين

جرى الحديث في قصيدة بشر فارس والجائزة الأدبية التي لم يفز بها واحد من الأدباء ، فحمل واحد من هؤلاء الأقطاب (ولا أسميه الآن) على شعر بشر فارس حملة تؤيد الغرض الذي رميت إليه في وضع الجائزة ، وتؤيد أيضاً رأي الأستاذ الجليل (ا . ع) في أنها غير مفهومة لا يمكن شرحها ولا معرفة غرض ناظمها

ثم بلغني من رجل صادق الرواية ، أن ذاك الأديب القطب الكبير قال للشاعر بشر فارس ، إن قصيدته وعنوانها : « إلى زائرة[1] » واضحة مفهومة ، وأنه شرح لي ستة أبيات من ثمانية أبيات هي كل القصيدة ففهمتها ، وقال أيضاً إن العيب ليس في شعر بشر فارس بل المرض في فهم من لا يفهمون هذا الضرب من الشعر ولا يفطنون إلى بدائعه !

لا يسمني ، وقد بلغتني الرواية كما وقعت ، إلا مطالبة الأستاذ الأديب القطب الكبير ببعث شرح الأبيات الستة التي قال إنه شرحها لي ففهمتها ، إلى الرسالة ليعرض على القراء ، وإني أنقده أجراً على ذلك عشرة جنيهات لا خمسة .

حبيب الزحلاوي

(١) انظر الرسالة عدد ٥٦٨

حول وحدة الوجود أيضاً

علمتنا الفلسفة أن الباطل لا يصير حقاً بكثرة منتحليه، والحق لا يستحيل باطلاً بقلة معتقديه. فلئن كثر الناقمون على وحدة الوجود من كُتاب «الرسالة» وقرائها، إلا أن هذا لن يصرفنا عن تبرئة أصحاب هذه المقالة مما ينسب إليهم. فأما القول بأن وحدة الوجود تدعو إلى التدهور الأخلاقي والتحلل من الآداب، فهذا قول باطل مردود، وليس أدل على فساد هذا الحكم من أن ابن عربي نفسه — وهو إمام أصحاب هذا المذهب — كان «يفرق بين الظاهر والمظاهر فيقر الأمر والنهي والشرائع على ما هي عليه، ويأمر بالسلوك بكثير مما أمر به المشايخ من الأخلاق والعبادات»، كما شهد بذلك ابن تيمية نفسه[1]. وأما القول بأن عبارة ابن عربي القائلة بأن العالم ما له وجود حقيقي (وهي تلك العبارة التي جعل منها الأستاذ دربني خشبة محوراً لرده، واتخذها ذريعة للسخرية من الفلسفة) عبارة فاسدة تنبو عن العقل، وتند عن المنطق، فهذا قول مرفوض منقوض، لأن ابن عربي لا يعني بالوجود هنا، ذلك الوجود الحسي الملموس، بل يعني الوجود الحقيقي الذي لا يتطاول إليه الوهم، ولا يرق إليه العقل الإنساني القاصر. فكل ما تدل عليه هذه العبارة، هو أن وجود المحدثات المخلوقات ليس بوجود حقيقي، لأنه وجود عارض يلحقه التغير، ويتوقف على وجود غيره؛ في حين أن وجود الله الذي لا يثبت كونه إلا بعينه، وجود واجب لا يعرض له التغير والإمكان، ولا تلحقه الإضافة والتقييد بحال[1].

أما تلك الأحكام السريعة المبتسرة التي يطلقها البعض على مذهب فلسفي عميق كمذهب وحدة الوجود، من غير تثبت أو تحقيق، ومن دون بحث أو تدقيق؛ فهذا ما لا نمني أنفسنا بالرجوع إليه وإدامة النظر فيه - وحسبنا أن نقرر هنا ما لمذهب وحدة الوجود من نزعة واحدية تتفق مع اتجاه العلم الحديث (وهو ما أظهرنا عليه أرنست هيكل عند حديثه عن هذا المذهب في كتابه «لغز الكون»)، وما ينطوي عليه هذا المذهب من تنزيه بالغ استحال معه العالم إلى موجود متوهم ما له وجود حقيقي وأصبح الله وحده هو الموجود!

هذه كلمة ثانية أكتبها دفعاً لكل شبهة، ولن أردفها بأخرى مهما بدا للأستاذ الفاضل دربني خشبة أن يقول. فإن مثل هذه المسائل المعقدة قد لا تحتملها أعصاب القراء الفائرة في هذا القيظ!

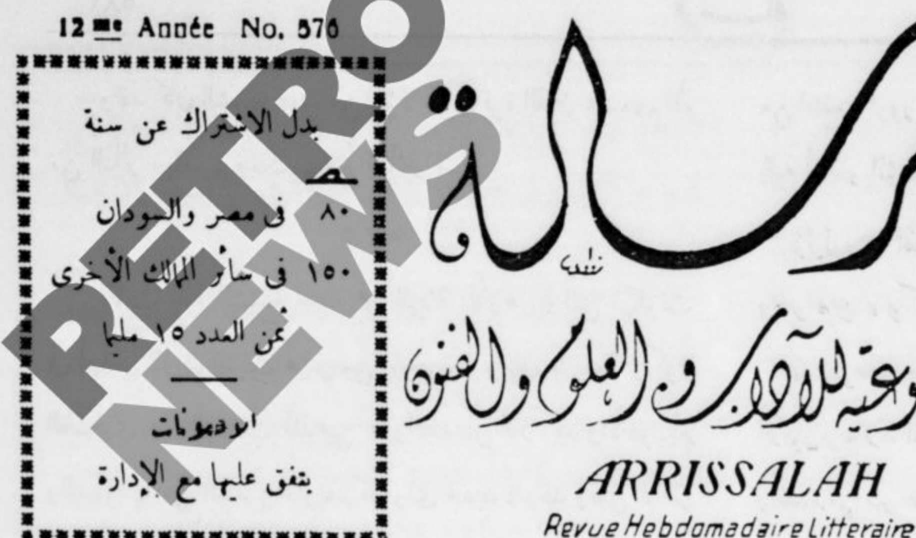
زكريا ابراهيم

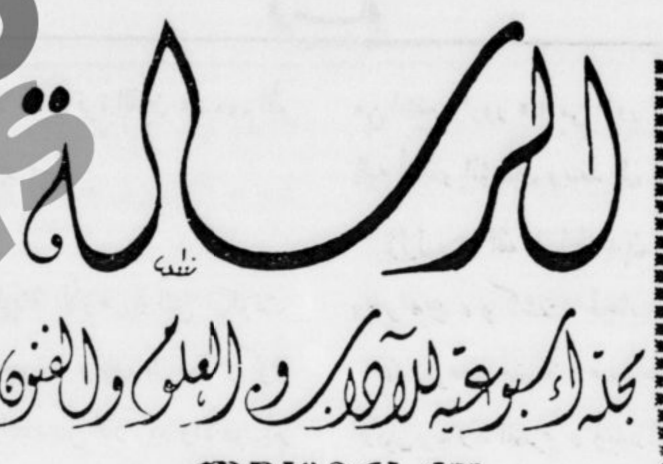
(١) «مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية، الجزء الأول، الرسالة السابعة، ص ١٧٦

(١) «فصوص الحكم» لابن عربي، الفص اليوسفي. والفتوحات ج ١، ص ٨٨٣، ٨٨٤



12 me Année No. 576 — Lundi - 17 - 7 - 1944





بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثانية عشرة — « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ رجب سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٧ يولية سنة ١٩٤٤ » — العـــدد ٥٧٦

الفهـــرس

الشـــيخ عبـــده

وطريقته فى التفسير

للأستاذ محمود شلتوت

من المعروف أن البيئة تؤثر فى الإنسان تأثيراً كبيراً فهي تطبعه بطابعها وتنشئه على أخلاقها وتحمله بقوتها وسلطانها على أن يكون عضواً فيها ، يعيش كما نعيش ، ويفكر كما تفكر ، وينزل على إرادتها وحكمها مطمئن القلب راضى النفس

ولكن مع هذا قد يظهر فى الأمة أو الجماعة من الحين بعد الحين أفراد يحمل الله منهم مظهر رسالة خاصة إلى الأمة أو الجماعة ، فيصنعهم على عينه ويعصمهم من التأثر ببيئاتهم ، فينشأ الواحد منهم بيئة برأسه أو أمة فى نفسه ، لا يتأثر بجماعته ، ولا يتقيد بقيودها ، ولا يزن الأشياء بميزانها بل بالعكس يؤثر هو فيها ويقتحم عليها حصونها ، ويعيش معها ما عاش فى كفاح وجلاد وهو فى كل يوم يفتح فتحاً جديداً ويدك حصناً عنيداً ، ويتعهد من وراء ذلك بذوره التى يضعها حتى ترسخ أصولها ، وتسمق فروعها ، وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها

أولئك هم المصلحون فى كل زمان ومكان : منهم رسل الله المبلغون عنه ، المؤيدون بوحيه ، ومنهم دون ذلك من عباقرة الأمم وأفذاذ التاريخ

ولقد كان الشيخ عبده من هؤلاء العباقرة الذين عصمهم الله من التأثر ببيئاتهم ومكنهم من التأثير فيها

* * *

كانت بيئة الشيخ عبده هى البيئة الأزهرية التى تكونت فى أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة . وكان طابعها الركود الفكرى ، والتعصب المذهبى ، والتقديس للآراء والأفهام والسمو بها عن النقد ومحاربة كل رأى جديد ، وقد وصل الأمر بهذه البيئة إلى أن أوجبت التقليد فى دين الله وحرمت الاشتغال بالعلوم العقلية والرياضية وقاومت من حاول الخروج عليها فى ذلك زماناً طويلاً . وكانت أكبر جناية لهذه النزعة جنايتها على القرآن فقد صورته كتاباً عزيز المنال بعيداً عن الأفهام لا يدركه إلا الراسخون الذين مضوا وقد درسوه واستنبطوا منه جميع ما يلزم المسلمين فليس لأحد بعدهم أن ينظر فيه كما نظروا ولا أن يستنبط منه كما استنبطوا ، ولا أن يفسره بغير ما فسروا

ظل القرآن فى ظل هـــذه النزعة يدرس دراسة أساسها الإسراف فى المناقشات اللفظية لعبارات المفسرين ، والاعتماد فى قصصه على الروايات الغريبة والإسرائيليات الموضوعة وفى تشريعه على المذاهب الفقهية وفى عقائده على الآراء الكلامية . وقد صار القرآن بهذا كأنه تابع لا متبوع ومحكوم عليه لا حاكم

* * *

ولقد تهيب الناس بهذا الوضع كتاب الله وصاروا لا يعرفون من مزاياه سوى أنه كتاب يتعبد بتلاوته ويتبرك به وتستمطر به الرحمة على الموتى ويستشفى به من الأمراض والعلل الجسمية

* * *

فى هذه البيئة نبت الشيخ عبده كما ينبت الورد بين الأشواك أو كما ينبع الماء الصافى من بين الصخور . فكان بحق مجدداً لأمر هذه الأمة وكان بحق نوراً انبثق من أفق الأزهر انتفع به من انتفع وازور عنه من ازور ، وبقى على ذلك قوياً وهاجاً يجذب إليه أنظار المؤمنين وينفذ إلى بصائر المخلصين

زلزل رحمه الله على الجامدين حصونهم ، ودمدم عليها بالحجج ، والبراهين ، وكشف الحجاب الذى أسدله الجمود والتعصب على الدين شرعة وعقيدة ، فبدا منه ما كان خافياً وعاد إليه بهاؤه الأول وجلاله القديم ، وبدد الغبار الذى عقد حول كتاب الله وأنقذه من شر هذه النزعة التى جملته وراء الظهور ، وآثرت عليه قول فلان وفلان

وليس من الممكن أن نبسط آثار هذا المجدد العظيم فى كل ناحية من النواحى ، ولكننا نعرض فى اختصار إلى موقفه من القرآن ؛ فإنه كان يراه أصلاً للدعوة الفكرية الإصلاحية مهما تشعبت فروعها ، وكان ينظر إليه على أنه أساس القوة ومصدر العزة للدولة الإسلامية والمسلمين جميعاً . فاستقبله على أنه — كما أنزله الله — كتاب هداية وتشريع وأخلاق ، ونهى عن اتخاذه لغير ذلك من الأغراض المادية التى لا تليق بجلاله ، والتى تصرف المسلمين عن الانتفاع بهديه وإرشاده ، ونبه المسلمين عامة وأهل العلم خاصة إلى مركز القرآن ، وأنه المسيطر على كل ما سواه فى العلميات والعمليات ، يجب أن يتحاكم إليه المختلفون ، وأن يخضعوا لحكمه وأن يتركوا جميع الأقوال لقوله ؛ فليس أمام حكمه حنفى ولا شافعى ولا سنى ولا معتزلى

وقد عنى رحمه الله أشد العناية بتجريده التفسير من كل ما لا ثقة به من الروايات والإسرائيليات ، وأوجب الوقوف عند الحد الذى قصه القرآن من أحوال الماضى أو أخبر به من شئون المستقبل

ولم يكن رحمه الله ذا اهتمام كبير بأسباب النزول ، بل كان يعتمد فى فهم المعنى وربط الآيات على ما يفيده الموضوع وترشد إليه الألفاظ والأساليب ، حسب المعهود من اللسان العربى المبين

* * *

هذه هى طريقة الشيخ عبده فى تفسير القرآن ، عرفناها

واضحة جلية مما كتبه بنفسه كتفسيره لجزء (عم يتساءلون)، الذى فرغ منه كما يقول فى آخره — منتصف الساعة السادسة بعد الظهر من يوم الأحد ٢٣ أغسطس سنة ١٩٠٣ فى مدينة جنيف من بلاد سويسرا، وكتفسيره لآيات خاصة تفنيداً لشبه[1] أثارتها، عند خصوم الإسلام، مكانة الجمود والرواية من التفسير. وما دونه عنه تلميذه البار السيد رشيد رضا، وهو من أول القرآن إلى قوله تعالى فى سورة النساء: (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن)

***

لم يكن الشيخ عبده من هؤلاء الذين يقترحون ويدعون إلى ما اقترحوا دون أن يكون منهم أسوة عملية تشق للناس طريق ما يقترحون، بل كان رحمه الله عملياً قبل كل شيء، فلم يدع فرصة فى حضره أو سفره تمر حتى يلقى فيها دروس التفسير على طريقته ومنهاجه. وقد واظب على ذلك فى دروس متتابعة ظل يلقيها بالأزهر نحو سبع سنين، وكان يحضرها كثير من علماء الأزهر والنابهين من طلابه، ويحضرها الكبراء من رجال الدولة والتفكير، حتى أحدث فى الأزهر حركة فكرية حادة لفتت أنظار العلماء والمشتغلين بالمسائل الإسلامية فى الشرق والغرب إلى الأزهر وإلى الإسلام

بهذا مما ذكرنا وبغيره مما لم نذكر كان الشيخ عبده هو المجدد الإسلامى العظيم للقرن الرابع عشر من الهجرة، له نمطه المعروف وفكرته الواضحة التى أسهر لها ليله وأضنى بها جسمه، وتعرض فى سبيلها لحقد الحاقدين وكيد الكائدين، ثم لبى دعوة ربه معتزاً بما لم يترك سواه من علم وإصلاح

***

وإذا كانت تعاليم الشيخ عبده قد أثرت من نصف قرن مضى فى التفكير الإسلامى تأثيراً قوياً؛ فإن المخلصين للأزهر لا يزالون إلى الآن يرجون أن يسرع الأزهر فى الاقتراب من هذه التعاليم، وأن يجعلها من أسس دراسته وأساليب تفكيره ولا بد أن يقترب الأزهر — وهو معقل الدين — من طريقة الشيخ عبده مهما طال الأمد. لأنها طريقة السلف الصالح التى فهم بها الدين وعز جانبه، وآخر هذا الدين لا يصلح إلا بما صلح به أوله

أيها السادة: هذه ناحية من نواحى عظمة الشيخ عبده وأحب ألا أغادر موقفى هذا حتى أسجل أن عظمة الشيخ عبده لم تكن ترجع فقط إلى علمه الواسع وإحاطته بأساليب الحياة الصحيحة، ولكنها فى الواقع ترجع إلى صفات صيغ بها وطبع عليها؛ فقد كان مؤمناً قوى الإيمان، كان مخلصاً لفكرته، كان شجاعاً فى الحق لا يعرف التردد ولا المجاملة، كان متجرداً عن الأهواء والمطامع، ليس مشغولاً إلا بفكرته ولا معنياً إلا بنجاح دعوته، كان معتمداً على الله وعلى قوة الحق وعلى الصراحة والوضوح، وما كان يعرف ركناً يأوى إليه سوى هذه الصفات

وكان بكل هذا شخصية مهيبة يحيط بها الوقار ويحفها الجلال، ويشع منها نور الحق وروعة الصدق فتجذب إليه الناس فيملك عليهم السمع والبصر والفؤاد

ذلكم هو المصلح وذلكم هو الإمام رحم الله الإمام وأسبغ عليه رضوانه:

محمود شلتوت

(١) من ذلك مسألة سحر الرسول، ومسألة زيد وزينب، ومسألة الغرانيق، ومسألة الجبر والاختيار

العـــلم والعلماء
فى رعاية الاسلام والعربية
للدكتور عبد الوهاب عزام

وقد أنشئت فى أرجاء البلاد الإسلامية دور أخرى للعلم عرفت باسم المدارس ومن أقدمها مدارس نيسابور : المدرسة البيهقية ، ومدرسة الأمير نصر أخى السلطان محمود . ثم جاء الوزير نظام الملك وزير السلاجقة فى القرن الخامس فأنشأ مدارس كثيرة فى بغداد ونيسابور وهراة وأصفهان ومرو والبصرة والموصل . وقد فتحت نظامية بغداد للدرس سنة ٤٥٩ ، وتولى التدريس بها على مر العصور جماعة من كبار العلماء منهم : الغزالى ، وابن عساكر ، وأبو اسحق الشيرازى . وأقام بها الغزى الشاعر ، وتولى الأبيوردي خزانة الكتب بها

ورتب نظام الملك فى مدارسه أرزاقاً للعلماء وجرايات للطلاب ليفرغوا لطلب العلم . وقد روى أنه كان ينفق على مدارسه ٦٠٠ ألف دينار فى السنة

وقد روى الحاج خليفة أن بعض العلماء اغتموا لبناء هذه المدارس وخشوا أن تكون ذات أثر سيئ فى العلم والعلماء قال :

« على أن من تعلم علماً للاحتراف لم يأت عالماً إنما جاء شبيهاً بالعلماء ، ولقد كوشف علماء ما وراء النهر بهذا ونطقوا به . لما بلغهم بناء المدارس ببغداد أقاموا مأتم العلم وقالوا كان يشتغل به أرباب الهمم العلية والأنفس الزكية ، الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به ، فيأتون علماء ينتفع بهم وبعلمهم . وإذا صار عليه أجرة تدانى إليه الأخساء وأرباب الكسل فيكون سبباً لارتفاعه

قال جيبون : إن ولاة الأقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء فى إعلاء شأن العلم والعلماء ، والإنفاق على دور العلم ، ومعاونة الفقراء على التعلم . فأولع الناس بالتعليم والتعلم ما بين سمرقند وبخارى إلى فاس وقرطبة . وقد أنفق وزير واحد لأحد السلاطين (نظام الملك) مائتى ألف دينار على بناء المدرسة النظامية ببغداد وجعل نفقتها خمسة عشر ألف دينار فى السنة .

وكان فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن العظيم وابن الفقير . إلا أن الغنى ينفق من مال أبيه والفقير يأخذ من ريع المدرسة . وكان للمعلمين رواتب كبيرة

وكثرت المدارس على مر الزمان وتنافس فيها الأمراء والكبراء . قال ابن جبير فى الكلام عن بغداد : « والمدارس بها نحو الثلاثين وهى كلها بالشرقية . وما منها مدرسة إلا يقصر القصر البديع عنها وأعظمها وأشهرها النظامية . ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محتبسة تصير إلى الفقهاء والمدرسين بها ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم »

ولا ننسى المدرسة المستنصرية التى بناها الخليفة العظيم المستنصر بالله العباسى (٦٢٣ — ٦٤٠) ولا تزال آثارها قائمة على شاطئ دجلة . وكان يدرس بها العلوم الدينية والتاريخ والطب والحساب والمساحة . وكان يتصل بها صيدلية ومستشفى . وقد بلغ عدد الفقهاء المدرسين بها ثلاثمائة تجرى عليهم الأرزاق . وكان لكل طالب جراية من الطعام ورأتب من المال . وكان من مدرسيها أبو الفرج بن الجوزى وغيره من كبار العلماء

وكانت هناك دار للاجتماعات والحفلات الرسمية كما يكون فى جامعات هذا العصر أحياناً . وكان من شروط الواقف فيها أن يكون لكل مدرس فى كل يوم ٢٠ رطلاً من الخبز و ٥ أرطال من اللحم بالخضر والحطب وفى كل شهر ١٢ ديناراً ، ولكل مُعيد سبعة أرطال من الخبز وغرافان من الطعام وثلاثة دنانير فى الشهر ، ولخازن الكتب ١٠ أرطال خبزاً فى اليوم وأربعة لحماً وعشرة دنانير فى الشهر ، والمشرف على هذا الخازن خمسة خبزاً واثنان لحماً ، وثلاثة دنانير فى الشهر الخ . وكان من الشروط أيضاً أن يرتب فيها طبيب مسلم حاذق يعلم عشرة من الطلاب دائماً ويعطى المرضى الأدوية بغير ثمن

تنافس أمراء المسلمين وكبراؤهم فى بناء المدارس ودعوة الطلاب والمدرسين إليها ، وإجراء الأرزاق الكثيرة وتيسير طلب العلم . وقد عد المقريزى مما أنشئ فى القاهرة إلى عصره من المدارس الكبيرة زهاء ثمانين مدرسة أقدمها المدرسة الصلاحية التى بناها السلطان صلاح الدين بجانب مسجد الإمام الشافعى بالقرافة سنة ٥٧٢ ؛ وجعل رئيسها الشيخ نجم الدين

الجنوشانى . ومما يذكر مثالاً لأرزاق العلماء فى تلك المدارس مارواه السيوطي فى حسن المحاضرة أن معلوم الشيخ نجم الدين كان أربعين ديناراً فى الشهر وعشرة دنانير للنظر على أوقاف المدرسة . ورتب له كل يوم سبعين رطلاً مصرياً من الخبز وراويتين من ماء النيل

وبنى القاضى الفاضل المدرسة الفاضلية بجوار داره سنة ٥٨٠ ووقف بها جملة عظيمة من الكتب قيل إنها كانت مائة ألف مجلد . ومدرسة الأمير جمال الدين بنيت سنة ٨١٠ ووقف فيها لكل طالب ثلاثة أرطال من الخبز و ٣٠ درهماً فى الشهر ولكل مدرس ثلاثمائة درهم

وكذلك كانت حواضر البلاد الإسلامية العربية الأخرى غاصة بالمدارس . وقد عد المؤرخون فى دمشق وحدها مائة وثلاثين مدرسة وفى بيت المقدس زهاء خمسين . وقيل إنه كان فى قرطبة وحدها أيام الحكم المستنصر ثمانون مدرسة

كانت تدرس بهذه المدارس العلوم الدينية والعربية والعلوم الفلسفية والطب والرياضة . وكان بكل مدرسة خزانة كتب غالباً ، كما كانت بعض الدور التى بنيت لتكون خزائن كتب مدارس أيضاً . وما كان أعظم جدوى خزائن الكتب فى تيسير العلم والتقاء العلماء فى العصور التى لم تكن فيها مطابع تيسر للناس الكتب بأثمان قليلة وزمن يسير . وكم يحدث التاريخ عن خزائن الكتب فى دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة

روى ياقوت أنه كان بكركر من نواحى القُفص ضيعة نفيسة وقصر جليل لعلى بن يحيى المنجم — وكان من العلماء المقربين عند الخليفة المتوكل ، ومن بعده إلى المعتمد ، وتوفى سنة ٢٧٥ ودفن بسر من رأى — وكان فى القصر خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون فيها صنوف العلم . والكتب مبذولة لهم في ذلك والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة فى ذلك من مال على بن يحيى . فقدم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحج وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيء فى النجوم فوصفت له الخزانة فمضى ورآها فهاله أمرها ، فأقام بها وتعلم فيها علم النجوم ، وقد جمع على هذا للفتح بن خاقان وزير المتوكل من الكتب أكثر ما اشتملت عليه خزانة حكمة قط ، كما يقول ياقوت

ويقول ياقوت كذلك فى ترجمة جعفر بن محمد الموصلى المتوفى سنة ٣٢٣ : «وكان له ببلده دار علم قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفاً على كل طالب للعلم لا يمنع أحد من دخولها ، وإذا جاءها غريب يطلب الأدب وكان معدماً أعطاه ورَقاً وورِقاً . تفتح فى كل يوم» . ويقول ياقوت عن مدينة مرو : «فارقتها وبها عشر خزائن للوقف لم أر فى الدنيا مثلها كثرة وجودة ، منها خزانتان فى الجامع : إحداهما يقال لها العزيزية بناها رجل يقال له عزيز الدين من خدام السلطان سنجر ، وكان فيها اثنا عشر ألف مجلد أو ما يقاربها - إلى أن يقول عن إحدى هذه المكاتب : (وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلى منها مائتا مجلد وأكثره بغير رهن تكون قيمتها مائتى دينار . وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره مما جمعته ، فهو من تلك الخزائن) ، فهذه خزائن فى مدينة مرو مكنت ياقوتا من تأليف كتبه ، وحسبك بمعجميه الجامعين : معجم البلدان ومعجم الأدباء

ويحدثنا التاريخ أن أبا تمام الشاعر كان ماراً بهمذان فى بعض أسفاره ؛ فنزل البرد وسدت الطريق فأقام عند بعض معارفه ، فجمع ديوان الحماسة من خزانة له

فهذه خزائن العلماء والكبراء من أطراف البلاد الإسلامية ، فما الظن بخزائن الخلفاء والملوك فى المدن الكبرى ؟ لقد كانت خزائن الكتب من سنن الحضارة الإسلامية والعربية ، ولا تزال بيوت الخاصة فى الأقطار العربية مشتملة على خزائن قيمة . ولا تزال بقية الخطوب من تلك الخزائن تحدث أخبارها . وقد أدركنا فى خزائن استامبول مثلاً مما كان فى العواصم الإسلامية الأخرى

وكان الناس إذ ذاك لا يجدون الورق ميسراً رخيصاً كما نجده فى هذا العصر ، وكان كل كتاب ينسخ ويصحح على حدة . فغلت أثمان الكتب ، وكانت النسخة من الكتاب تصحح وحدها على مؤلفها أو عالم يوثق به ؛ فكان لا بد من الجهد والدأب لضبط نسخ قليلة من كتاب واحد

ولم يكن الأمر كما نرى اليوم تصحح نسخة واحدة للمطبعة فتخرج على غرارها آلاف النسخ مصححة رخيصة ميسرة

للفقير والغنى . ومع هذا نرى الكتب المطبوعة غير مستندة إلى نسخ يوثق بها ونجدها مملوءة بالتحريف والغلط ، فأين الهمم من الهمم ؟ ومع هذا نرى خزائن الكتب في عصرنا أقل منها في العصور الماضية ، أيام لم يكن الورق رخيصاً والمطبعة تنشر آلاف النسخ من كتاب في زمن يسير لا يزيد على زمن كتابة نسخة واحدة منه . فلعل أهل العصر يكفون من غلوائهم ، ويقلون من زهوهم وإعجابهم بأنفسهم والزراية على أسلافهم

هذا الإجلال للعلم ، والجد في طلبه وتيسير السبل له وتنافس الناس فيه وحرص الكبراء على إنشاء المدارس وخزائن الكتب والإنفاق على دور العلم ، كل هذا أشاع العلم في أرجاء البلاد ، فشمل وعم ، وكانت للمسلمين حضارة كاملة ومعارف شاملة ، ومؤلفات سجلات كل ما أدركه العقل وعرفته الصناعة إلى تلك العصور . وكانت الجماعة تفي بحاجاتها من العلم وفاء طبيعياً فيكثر المحصلون في الفن على قدر حاجة الأمة إليهم أو على قدر الرغبة في المعرفة والكمال دون نظر إلى المناصب ، فلم يعان الناس إذ ذاك ما يعاني أهل هذا العصر من كثرة المحصلين المبتغين الوظائف وقلة هذه الوظائف

ومن الأدلة على سعة المعارف الإسلامية وشمولها كتب التراجم . كتب المسلمون تراجم شتى بعضها عام كتاريخ ابن خلكان وذيوله وبعضها خاص بطبقة من الناس كتراجم الصحابة أو تراجم المفسرين والمحدثين والفقهاء والحفاظ والرواة والقراء والأدباء والشعراء والنحاة والنسابين والمعبّرين ، والأولياء والصوفية وتراجم المتكلمين والفلاسفة والأطباء والمصورين الخ ، وكثرت كذلك تواريخ المدن والأقطار ومن خرجت من العلماء كتاريخ بغداد ودمشق والقاهرة . وقد أثبت صاحب كشف الظنون نحو سبعين تاريخاً للمدن . وأكثر تاريخ المدن تاريخ العلماء من أبنائها ، وحسبك تاريخ صقلية لابن القطاع الذي ترجم فيه لمائة وثلاثين شاعراً من جزيرة صقلية وحدها ، وتاريخ الأندلس الأدبي لابن بسام الذي سماه (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) . وهو بحر زاخر بأخبار العلماء والأدباء

وحسبنا دلالة على سعة العلم ووفرة العلماء أن المقرى صاحب نفح الطيب ترجم للسان الدين بن الخطيب ، ثم استطرد إلى ذكر شيوخه فملأ مجلدين كبيرين في أخبار الوزير وأساتذته . وكذلك فعل في كتابه زهر الرياض في أخبار القاضي عياض .

ومطالع التاريخ يستطيع أن يأتي بالمثال بعد المثال ، ويقيم الحجة إثر الحجة على ما كان لأسلافنا من سيرة مجيدة ، وخطة رشيدة في طلب العلم ورعايته وإكرام العلماء وتشييد المدارس والخزائن ، وهي سيرة لم يحدثنا التاريخ بمثلها في الحضارات الماضية ، لقد فتحنا للناس أبواباً من النظر ، وهديناهم سبلاً في المعرفة والنقد والتثبت . وأخذنا إلى ما عندنا تراث الماضين وأمانة القرون الأولى فما قصرنا في الاختراع والابتداع ولا فرطنا في حفظ الأمانة ورعايتها

والمنصفون يعرفون حقنا وإن أنكره الناس فنحن أعرف بأنفسنا وأبصر بتاريخنا . وسنبني على مجدنا التليد مجداً طريفاً وملء أنفسنا الإعجاب بتاريخنا والثقة بأنفسنا واليقين بمستقبلنا ، والإيمان بالله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا .

عبد الوهاب عزام

١ - الأدب الأغريقي
في عصر الاسكندرية
للدكتور محمد مندور

يذكر القراء أن الإسكندرية كانت في زمن ما عاصمة عقلية للعالم أجمع ، حتى ليصطلح علماء التاريخ على تسمية القرون الثلاثة السابقة لميلاد المسيح بعصر الإسكندرية . وهو عصر إغريقي بلغته وثقافته . ومع ذلك فمن واجبنا نحن المصريين أن نعنى بدراسته لا تصاله الوثيق بتاريخ بلادنا . وما نظن فهمه يستقيم ما لم نلم بملابساته التاريخية لنرى كيف احتلت الإسكندرية هذه المكانة ، ونحدد أهميتها بالنسبة للعواصم الأخرى التي عاصرتها ، وبخاصة آثينا . وعندئذ سوف نرى خصائص الأدب الإغريقي في ذلك العصر تتحدد بذاتها متميزة عما عداها

ونقطة التحول كانت بلا ريب ظهور ملوك مقدونيا ، وبخاصة فيليب وابنه الإسكندر الأكبر في القرن الرابع ق . م . فإلى ذلك الحين كانت بلاد الإغريق عبارة عن مدن مستقلة ، تكون كل مدينة وضواحيها دولة قائمة بذاتها . ومع ذلك فقد استطاعت تلك المدن أن تأتي بالمعجزات في المجال الثقافي والمجال العملي على السواء . ونخص بالذكر آثينا التي وإن لم يبلغ قط سكانها هي وضواحيها نصف المليون ؛ فقد خلفت من التراث العقلي ما لا يزال يبهرنا حتى اليوم ، كما استطاعت أن تتزعم المدن الإغريقية الأخرى لترد جحافل الفرس وتحمي الحرية في بلاد اليونان كافة ، ولكنها لم تكد تستوي في الزعامة بفضل انتصاراتها الباهرة حتى أخذها الصلف فنفرت إسبرطة الأبية ، وكانت بين المدينتين حروب طاحنة دامت ما ينيف على ربع القرن ، وقد اشتركت فيها جميع المدن ، وخرجت منها ضعيفة متهافتة . وعندئذ ظهر المقدونيون الذين امتد طموحهم إلى السيطرة على بلاد اليونان ، بل على العالم أجمع في وحدة شاملة

ولكن العرين كان لا يزال به أسود وبخاصة آثينا ، حيث صمد الزعيم الوطني الشهير « ديموستين » لفيليب وابنه ، وقد رفض أن يستسلم على الرغم من ضعف مدينته ، وذلك لأنه لم يكن يعرف غير الجهاد مهما تكن احتمالات الفوز أو الهزيمة ، وعنده أنه ليس أشرف للرجل من أن يموت وسلاحه بيده

ولا شك أن موقعة كيرونيد التي حدثت سنة ٣٣٨ ق . م . بين فيليب المقدوني وجنده من جهة ، وجيوش آثينا وطيبة من جهة أخرى ، قد كانت من المواقع الفاصلة في تاريخ الإنسانية ؛ فانتصار فيليب على ديموستين هو انتصار عالم على عالم آخر . مضى عالم المدن . . . عالم الحرية ، وحل محله عالم الحكم المطلق والروح العالمية . وقتل فيليب سنة ٣٣٦ ق . م . وخلفه الإسكندر ، وكان ما نعرفه من سيطرة هذا القائد العظيم على الشرق والغرب . ومات الإسكندر سنة ٣٢٤ ق . م . وهو يعد العدة لغزو شمال إفريقية وإسبانيا وبلاد الغال ، ليعود إلى وطنه من الغرب بعد أن تركه من الشرق . وكان في اتخاذه من بابل عاصمة لملكه ما يرمز لفكرته في توحيد العالم والجمع بين الشرق والغرب

بعد موت الإسكندر تطاحن قواده على اقتسام أمبراطوريته العظيمة ، وكانت عدة معارك وعدة تقسيمات إلى أن حدثت معركة إبسوس سنة ٣٠١ ق . م . فكان التقسيم النهائي . وليس يعنينا من تلك المدة المضطربة غير نتائجها النهائية ، وقد تمخضت عن ثلاث ممالك كبيرة : مملكة أنتيجونوس بمقدونيا وبلاد اليونان ، ومملكة سايكوس بسوريا ، ومملكة بطليموس بمصر

أما مملكة أنتيجونس فما زال اليونان يناهضونها العداء وتناهضهم ، حتى انتهى الأمر بوقوع بلاد اليونان بيد روما الناشئة ؛ فأصبحت مقاطعة رومانية منذ سنة ١٤٦ ق . م . وإنه وإن تكن الثقافة الآثينية لم تخب دفعة واحدة ، إلا أن مراكز الثقافة الأخرى أخذت تحتل مكانها ، ونحن لا نجد بآثينا خلال القرن الرابع غير الفلسفة والكوميديا ، وأما ما دون ذلك من مظاهر النشاط الروحي فقد ذوى . فالشعر الغنائي قد جفت ينابيعه حتى لم يعد يقصد لذاته ، بل لمصاحبة الموسيقى على نحو ما نرى في الأوبرا كوميك الحديثة . والشعر الهجائي وشعر الوجدان «elegie» لم يعودا غير عبث باطل أو سخرية مصطنعة « Parodie » . وأما الملاحم فكان عهدها قد انقضى بحيث أنه عندما كتب أنتماخوس ملحمته عن أساطير طيبة ومغامرات هرقل لم يهز شعره نفساً ، لأنه شعر مصنوع علم الشاعر فيه أوضح من روحه ، وكذلك الأمر في التراجيديا التي لم يعد لها وجود يذكر

لم يبق إذن بآثينا من فنون الأدب غير الكوميديا ؛ فهي التي ترعرعت في ذلك الزمن ، وقد انتهى بها الأمر إلى ما يسمى بالكوميديا الجديدة على يد فيليمون ومينادروس ، وهي

الكوميديا الأخلاقية : شيء مغاير للكوميديا القديمة ، كوميديا أرستوفانس . فهي لم تمد نقداً لنظم الحكم وتيارات التفكير ، بل تصوراً لشخصيات عادية يأخذها الشاعر من الحياة اليومية ، ولكنها لا تصل إلى كوميديا النماذج البشرية أمثال : ألسست وهرباجون وترتيف لموليير ، تلك التي يخلقها كبار المفكرين ؛ فيهتدى بها الناس إلى أنفسهم

ومع الكوميديا نجد كما قلنا الفلسفة ، فقد نهضت إلى جوار الأكاديميا والليسيه مدارس أخرى : مدرسة الرواق ، وحديقة أبيقور ، ثم مذهب پرون والمذهب الكلبي ، ونحن وإن كنا ننظر عندئذ ، فلا نجد مقراً للفلسفة غير آتينا إلا في القليل من نحو ميجارا وبرقة ، إلا أننا نلاحظ أن الكثيرين من فلاسفة ذلك العهد قد كانوا غرباء عن آتينا ، فزينون من مستعمرة فينيقية بجزيرة قبرص وكليانتوس من مدينة أسوس بآسيا الصغرى ، وكرزيبوس ولد بمدينة سوليس بآسيا الصغرى أيضاً . وفلسفتهم وإن تكن إغريقية بما فيها من تحكيم العقل والربط بينه وبين نظام العالم إلا أنها شرقية بروحها الذي يكاد يكون دينياً . ولقد نادت الرواقية بالجبر وقال الإبيقوريون بالمصادفة ، وأنكر هؤلاء وجود الروح وأثبتها أولئك وتبلبلت الأفكار ، فانتهى الأمر بالشك البيروني وامتدت كل تلك الآراء إلى تعاليم أفلاطون نفسه ، فإذا بالأكاديمية تقول بالاحتمالية ، وقد انهارت المثل فانهار بانهيارها عنصر الثبات في المذهب . ومن هنا يتضح كيف أن كل هذه الفلسفات برغم ما في بعضها من نبل كالرواقية لم تكن بلا ريب إلا السبيل الذي قاد إلى الانحلال ، وفيها إنكار للإرادة البشرية أو استسلام لأحداث الحياة أو توقف في الحكم ، فيها عنصر سلبي خليق بأن يقوض حياة الشعب

ذلك ما كان من أمر آتينا التي لم يعد بها كما رأينا غير الكوميديا والفلسفة ، ولكن المملكتين الأخريين قد نشأت بهما مراكز فنية للثقافة ؛ ففي آسيا الصغرى وسوريا نشأت بمملكة السيليكيين مدن كبيرة كبرجاما وأنطاكية ، وفي مصر نشأت بمملكة البطالسة الإسكندرية ونيوقراطيس وبتولمايس

وإنه وإن تكن كل تلك المدن قد ازدهرت فيها الحياة المادية والروحية إلا أن واحدة منها لم تبلغ ما بلغته الإسكندرية ، ومن هنا يصطلح علماء التاريخ ، كما قلنا ، على تسمية العصر الذي يقع بين الإسكندر الأكبر وأوغسطس أمبراطور روما باسمها .

وهو عصر لم يكد يتأثر بالثقافات الشرقية التي عاش بينها بينها بحيث يخيل إلينا أن تيتيوس ليفيوس المؤرخ الروماني الشهير قد أصاب الحقيقة عند ما قرر أن المدن اليونانية التي نشأت بالشرق إذ ذاك كانت « كجزر يونانية تضربها من جميع النواحي أمواج بحر من البرابرة » ، ولقد كان الإغريق ينظرون إلى شعوب الشرق نظرة الغالب للمغلوب ، نظرة السيد للمسود ، وكانت شعوب الشرق بدورها تمقت أولئك الغزاة وتصدف عنهم ، ولقد وجدنا في دستور نيوقراطيس ما يحرم على الإغريق الزواج من المصريات ، وكانت مدن الإغريق في الشرق تعيش على النظام اليوناني ، فلكثير منها مجالس تشريعية (إكليزيه وبوليه) ، وحكام كحكام المدن الإغريقية الأوربية وإن تكن اختصاصات تلك المجالس وهؤلاء الحكام قد كانت شكلية استشارية أكثر منها فعلية نافذة ، وكانت السلطة الحقيقية بيد الملك

لم يصبغ الإغريق إذن بلاد الشرق بصبغتهم ولا لقنوه ثقافتهم في ذلك العصر ، بل ظلوا غرباء عنه لا يكادون يؤثرون فيه أو يتأثرون به ، وإنما تداخلت الثقافات في العصر الروماني وبعد ظهور المسيحية حيث امتزج التفكير اليوناني بالإيمان الشرقي في الإفلاطونية الحديثة التي هزت الروح الإنسانية كلها في القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد

عصر الإسكندرية إذن عصر إغريقي بحت ، وهو مجرد اصطلاح تاريخي . فالحديث عن أدب الإسكندرية يتناول كل ما قيل من شعر ونثر في البلاد اليونانية كلها خلال ثلاثة قرون . والملاحظ على ثقافة ذلك العهد أنها أصبحت ثقافة علمية محصلة أكثر منها أدبية خالقة ، كما أصبحت عالمية لا قومية وصناعة لا حياة . ولا غرابة في ذلك ، فقد انتقلت الحياة الفكرية من الساحات العمومية (الأجوار !) إلى المكاتب والصالونات ، انتقلت من حرارة الحياة إلى برودة الكتب ، انتقلت من الحاضر إلى الماضي ومن الواقع إلى الفكر المجرد ، نمت الدراسات التاريخية : تاريخ عام وتاريخ الفن والفنانين والكتب والكتاب ، تاريخ الفلاسفة والعلماء . لقد ابتدأ العالم يعيش على ماضيه ، ويجد في ذلك الماضي خيراً من حاضره . ونمت الدراسات العلمية : رياضة وطبيعة وطب وتاريخ طبيعي وجغرافيا ونحو وفقه لغة وموسيقى وكل هذه الدراسات مع ذلك لم تكن أصيلة . كانت جمعاً لا فلسفة فيه ولا نقد إلا بمقدار . لقد امتاز هذا العصر بثقافة موحدة سمحت حتى لذوى النفوس التافهة بأن يصبحوا

أدباء وشعراء وبذلك امحت الفروق الشخصية ولم يعد للأسلوب الفردى غير وجود محدود

فى هذا الوسط العلمى نشأ أدب الإسكندرية ؛ فكان نصف قائليه من العلماء . ولفهم البون الشاسع بين هذا الأدب والأدب الإغريقى القديم لا بد من أن ننظر فى نشأة الفنون الأدبية المختلفة نظرة عاجلة

نشأت فنون الأدب القديمة نشأة شعبية ، فالقصص والغناء وإن كانا قد ظهرا معاً ملازمين فيما يبدو لنشأة الإنسانية ، إلا أن القصص الأدبى قد سبق الغناء ؛ فأعمال البطولة الماضية أفعل فى خيال الرجل الفطرى من الحاضر والقصص خليق بأن تستجيب له نفوس رجال يعيشون فى نظام ملكى ، حيث للملك هيبة وجلال يحملان أفراد الشعب على الإعجاب بالأبطال السابقين . وكانت الشعوب فى جملتها زراعاً وبحارة وعمالاً لا يجدون فى عملهم اليومى غير حرارته التى تشغلهم حيناً ، ثم ينقضى العمل غير مخلف ما يشغل النفس ، أو يهز الخيال . ولهذا صادفت ملاحم هوميروس ظمأ فى النفوس حتى كان القرن الثامن ق . م . وقد انهارت الملكيات وحلت محلها نظم أرسطوقراطية أو ديمقراطية لا يتخللها الاستبداد الفردى إلا من حين إلى حين ، وتقهقرت الحيوة الجماعية القبلية وأخذت الشخصية البشرية تظهر وسط المجموع ، وأصبح الحاضر يشغل الناس ويتملقون به ناظرين فيما يحمل من مسرات وآلام ، فظهر الشعر الغنائى بما يحمل من عنصر شخصى ومن أصداء الحاضر . وسارت الحياة وقد أصبح الإغريقى لا يقنع بالقصص أو الغناء بل يود لو تُصوَّر حياته وحياة آلهته ليراها بعينى رأسه ويشهد أحداثها بما فيها من معان فنشأ الشعر التمثيلى فى القرن الخامس

وكانت نشأة تلك الفنون موزعة بين الشعوب الإغريقية ، فالقصص نشأ فى إيوليا بآسيا الصغرى حتى ليكاد ينحصر الخلاف الجدى عن مولد هوميروس بين جزيرة كيوس ومدينة أزمير ، ومن إيوليا انتشر فى إيونيا لينتهى أخيراً إلى أتيكا بأوروبا حيث دون بأمر بيزيستراتس مستبد آتينا فى القرن السادس قبل الميلاد . وأما الشعر الغنائى فقد ظهر موزعاً حسب أنواعه . فالأغانى الشخصية : أغانى الشراب والغرام ولدت وازدهرت بلزبوس الإيولية . جزيرة « ألسية » و « سافو » تلك التى قالوا إن رأس أورفيوس قد أرست بها فأوت إلى أحد خلجانها . وشعر الجوقات ، شعر الجماعات ، شعر النصر والمواكب قد نشأ بين الشعوب الدورية الخشنة المحمولة على الجهاد النازعة إلى الحياة القبلية والنظم الأرسطقراطية : ففى طيبة ولد بنداروس وباللهجة الدورية كتب أناشيد النصر التى لدينا . والشعر الهجائى وشعر الوجدان ذهبت بهما القبائل الأيونية ، وأما الشعر التمثيلى ففن آتينى فى جوهره

ولقد كان لنشأة تلك الفنون بين هذه الشعوب ما يبررها ، فالجنس الإيولى جنس مرهف الإحساس فنان المزاج مقبل على الحياة متأثر بأحداثها ، والجنس الدورى كما قلنا جنس خشن مولع بالمعارك والانتصارات والإيونيون قوم أغنياء بالهم وبحياتهم العقلية ، والسخرية والوجدان خصائص تلازم حساسية العقل ولين الحياة . وأما الآتينيون فأهل نشاط عملى وإقدام على المغامرات ولا شك أن فى المسرح ما يرضى تلك النزعات

هكذا نشأت فنون الأدب ، شعبية إقليمية . ومع ذلك لم تلبث أن أصبحت إغريقية عامة ، فتكونت لغة قصصية مزيج من الإيولى والإيونى والأتيكى ولغة إيولية للأغانى الشخصية ولغة دورية لشعر الجوقات ثم اللغة الأتيكية للمسرح . وبلغ من ثبات تلك اللغات الأدبية وتخصصها أن رأينا شعراء آتينا مثلاً يكتبون باللغة الدورية الأجزاء الغنائية من مسرحياتهم

تكونت إذن لغات أدبية مصطنعة ، ولكن ذلك لم ينل من قوة الأدب الذى ظل متصلاً بالحياة حتى جاء عصر الإسكندرية ، وقد اختلطت فى المدن الجديدة الأجناس وانهار استقلال المدن القديمة وجفت الحياة العامة فنضبت ينابيع الأدب الذى لم يعد يتجه إلى الشعوب بل إلى نخبة من المثقفين . لم يعد خلقاً تلقائياً بل صناعة أو تزجية فراغ . لقد حلت فيه المهارة محل العبقرية ، حل العلم محل نبض الحياة ، حل الظرف والكياسة محل وثبات القلب وتأجج القرائح

لقد نشأ أدب الإسكندرية بعيداً عن الشعب ، بعيداً عن الحياة ، فجاء الكثير منه أدباً متكلفاً قليل الحظ من الصدق

أدب الإسكندرية كنبات فى بيوت من زجاج . ومع ذلك لم يذو النبات كله كما سنرى فى المقال الآتى .

محمد مندور

مشروع محو الأمية أيضاً

وجوب عقد مؤتمر أو مجلس أعلى

من كبار رجال التربية للنظر في المشروع

للأســـتاذ دريني خشبة

تمنينا في كلمتنا السابقة أن يوفق الله وزارة الشئون الاجتماعية إلى النجاح في هذا المشروع العظيم الذي اضطلعت به ، والذي يجب أن ننظر إليه باعتباره الأساس القويم الذي يجب أن تنهض عليه جميع مشروعاتنا ، لتنهض على هدى وعلى نور مبين

ومشروع مكافحة الأمية أو محوها ليس من السهولة واليسر بحيث يقف عند حدود تعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، وقليل من مبادئ الدين وتدبير الصحة . . . فهـذا القسط من التعلم قسط زهيد لا يكافح الأمية ولا يمحوها ... إن لم يضاعفها ويزد طينها بلة ...

لقد همت الأمة بمثل هذا المشروع من قبل ، حينما فكرت في تعميم التعليم الإلزامي ، وذلك منذ نحو من عشرين سنة . . . فماذا كانت النتيجة ؟ ! هـذا هو الضوء الذي يجب أن نسير على هداه . . . ونحن على يقين من أن وزارة الشئون الاجتماعية سوف لا تتردى في مهاوى الفشل الذي تردت فيه وزارة المعارف في عهودها السابقة ، والتي أضاعت فيه على الأمة جيلاً من طفولة أبنائها ومن صباهم ومن شبابهم ... دون أن يتعلموا شيئاً ... كما أضاعت نحواً من خمسين مليوناً من الجنيهات لو أن نصفها أو ربعها أنفق على هدى وبصيرة ، وفي ضوء تجارب الأمم الأخرى ، بل في ضوء التجارب التي أجراها في مصر محمد علي الكبير ، الحاكم الأمي العظيم ، لسهلت على وزارة الشئون الاجتماعية اليوم أعباء القيام بما تبقى من هذه المهمة الشريفة الهائلة

لنذكر دائماً أننا أمام مشكلة من أشد مشكلاتنا تعقيداً . . . لنذكر أن وزارة الشئون أخذت على عاتقها مهمة انتشال اثنى عشر مليوناً وثلاثة أرباع المليون من إخواننا المصريين ، من براثن الأمية الذميمة . . . من ظلمات الجهالة المهلكة . . .

فكيف يا ترى تنهض بهذا المشروع الضخم ؟ وعن من هؤلاء الاثنى عشر مليوناً وثلاثة أرباع المليون تبدأ ؟ أتبدأ بالأطفال وأمرهم موكول إلى وزارة المعارف ، أم بالغلمان وأمرهم موكول إلى سياسة التعليم العام الذي شرعت وزارة المعارف تعدله برنامجاً ذهبياً ؟ أم بالشباب والشيوخ ، ومشكلة تعليمهم ليست هنة من الهنات ، بل هي مشكلة المشكلات ! وهل يكون للمرأة — أو الفتاة — نصيب من مشروع وزارة الشئون ، بوصفها تشغل من الأمية نسبة أعلى مما يشغلها الذكور ؟ وإذا استقر الأمر بوزارة الشئون على أن يشمل مشروعها الذكور والإناث على السواء ، فما هي الوسيلة — أو الوسائل — التي سوف تروض بها تلك الكتلة الهائلة العجيبة من الأميات المصريات البائسات ، وتروضهن بها على قبول الفكرة أولا ، فكرة محو الأمية ، ووجوب إقبالهن على تعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب وما هو وراء الكتابة والقراءة والحساب من محتوم الثقافات ؟ أم تفضل وزارة الشئون أن تبدأ بتعليم الذكور ، فإذا فرغت من شأنهم شرعت في حربها ضد أمية النساء ؟ ومتى تفرغ من إبادة الأمية بين الذكور لتبدأ إبادة الأمية بين النساء يا ترى ؟ وهل من الخير لمصر والمصريين أن يهملوا إبادة الأمية بين النساء حتى يفرغوا من أمر الذكور ؟ وأيهما خير : البدء بمكافحة الأمية بين النساء ، أم البدء بمكافحتها بين الذكور ؟ وإذا نهضنا بالحرب ضد الأمية في الميدانين في وقت معاً ، فكيف نبدأ في حدود الوسائل التي تيسرها لنا ظروفنا الحاضرة ، ومواردنا المالية ؟

هذه بعض مشكلات البدء في مكافحة الأمية

وثمة مشكلات لا تقل خطورة عن تلك التي ذكرنا ، تتعلق بالهيئة التي سوف تتولى الإشراف على هذا المشروع الشريف الضخم ... هل يشترك في ذلك نفس الرجال الذين اضطلعوا بمشروع التعليم الإلزامي ففشلوا فيه فشلاً ذريعاً تاماً كما عبر وزير المعارف الحالي ؟ وهل حقاً كان هؤلاء الرجال الأفاضل سبب الفشل في هـذا المشروع . لا يشاركهم في ذلك أحد ممن يتولون في مختلف الظروف سياسة التعليم في مصر ؟ ثم ما هي الوسيلة ، أو الوسائل ، التي تتقي بها وزارة الشئون تكرر المأساة التي وقعت لسوء الحظ من قبل ؟

وثمة مشكلات أجل خطورة من كل ما ذكرنا ... تتعلق باختيار المعلم — أو المعلمين — الذين سوف نعبئهم للنهوض بهذا المشروع ... ومما لا ريب فيه أن المعلم الإلزامي سوف ينهض بأثقل الأعباء فى تلك الحرب ، يعاونه سائر المعلمين فى سائر فروع التعليم ؛ فهل هؤلاء المعلمون جميعاً صالحون لأن توكل إليهم تلك المهمة النبيلة السامية ؟ والمعلم الإلزامى بنوع خاص ما خطبه ؟! لقد عبنا عليه قلة العلم وقلة الثقافة ، بل منا من اتهمه هو نفسه بالأمية الشنيعة في أفكاره وفى معلوماته ، بالرغم من وجود عدد لا يستهان به من المعلمين الإلزاميين المثقفين ثقافة ممتازة استطاعوا أن يلمسوا هذا العيب فى أنفسهم ، فعالجوه بالإكباب على القراءة وحسن الدرس واقتناء الكتب ، حتى أصبح منهم الكتاب والشعراء والمفكرون . فماذا صنعت الدولة لإصلاح حال هذا المعلم البائس ؟ لقد تناول المستشار الفنى لوزارة المعارف حياة هذا المعلم المصرى الكريم فى كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر) فى أكثر من فصل من فصوله . فصوره لنا فى صورة مؤلمة . . . وطلب له من الدولة العناية اللائقة به فى ناحيته الأدبية والمادية ؛ فماذا حققت الدولة إلى اليوم من رجاء المستشار يا ترى ؟ نعترف أنها أوشكت أن تفرغ من إنصافه مادياً ، ولكن متى تنصفه أدبياً ؛ فتكمل هذا النقص العلمى والثقافى الذى أخذه عليه المستشار فى كتابه ، بالطريقة التى يراها الفنيون ، والتي من أجلها وأكثرها نفعاً تلك الدراسات الصيفية التى أخذت بها مراقبة التعليم الحر لتكميل النقص الذى لمسته في ثقافات الكثيرين من مدرسيها . لقد استكثر المستشار الفنى على هذا المعلم أن يضطلع بحالته تلك بمهمة تعليم الأطفال فى المدارس الإلزامية . فكيف نترك العبء الأكبر من مكافحة الأمية بين الكبار يقع على كاهله . وهو لا يزال فى الحالة التى عهده المستشار عليها منذ ست سنوات . أى عند ما فرغ من تأليف كتابه

إن المعلم الصالح سيكون المثل الأعلى الذى تقيمه الدولة بين الأميين ، يعلمهم ويهذبهم ويهديهم إلى الرشد . ويقيم عليهم من شخصيته سلطاناً أدبياً جديراً بالمحبة والاحترام ... فأى بلاء يصيب أمانينا إذا كان هذا المعلم أحوج من الأميين إلى من يكافح فيه أميته الكامنة ، التى تزيدها قشور المعلومات الفجة سوءاً على سوء ؟؟

أما مشكلة البرنامج ، فبالرغم مما يبدو من سهولتها ويسرها وبالرغم من أن مجرد التفكير فيها يثير الضحك ، فهى لا تقل تعقيداً عن سابقاتها ... إن الذين يظنون مشكلة البرنامج سهلة ميسرة ، يحصرون تصورهم فى مكافحة الأمية فى ذلك الميدان — أو النطاق — الضيق المحدود . . . نطاق القراءة والكتابة والحساب . ولو فكروا فى ألوان الأميات التى ينبغى مكافحتها ، لاعترفوا بتعقد هذه المشكلة وتشعبها . وقد أشرنا إلى ألوان من الأميات الزراعية والصناعية والصحية فى كلمتنا السابقة ، والذى نريد أن نخصه بالذكر هنا ، هو المدة التى تكفى لمحو عار الأمية عن الرجل العادى أو المرأة العادية ، ثم القدر اللائق من التعليم والثقافة الذى يكفل محو هذا العار ، ثم الوسيلة التى نتقي بها انصراف من علمناهم من الأميين عن القراءة والكتابة والاطلاع حتى لا يعودوا أميين كما بدأوا ... ونكون قد انتهينا إلى ما انتهي إليه أمر التعليم الإلزامى من فشل ذريع ، ساحق ماحق ، لسوء الوسائل التى اتخذناها ، وللأرض البور التى بعثرنا فيها بذورنا ، ولقصر نظرنا الذى حصرناه فى ذاك النطاق الضيق المحدود ... نطاق القراءة والكتابة والحساب ، الذى ربما ظننا أننا نفرغ منه فى أشهر أو فى عام أو عامين

ماذا ندرس إذن لهؤلاء الأميين ؟ ماذا نعلمهم حتى يصبحوا مواطنين صالحين ذوى كرامة ، صحاح الأجسام لا تخترمهم العلل ، صحاح الأفهام لا تجوز عليهم الترهات ، صحاح الأيدى لا يقترفون سوءاً ، صحاح النظر يستحقون أن ينعموا بنعمة الديمقراطية ؟!

وكم من الزمن يكفى يا ترى لضمان بلوغ الأمي الواحد هذه الرتبة ؟ وكم من السنين تكفى لمحو الأمية من مصر ؟

وهل يكون البرنامج واحداً فى فترة المكافحة كلها ؟ أم عساه يختلف فى السنة الثانية عن السنة الأولى ، وفى السنة الثالثة عن الثانية ... وهكذا !... وماذا أعددنا من الكتب والأدوات لهذه الحرب الطاحنة ؟! وماذا أعددنا من المكتبات المتنقلة وأشرطة السينما التهذيبية والثقافية ، والمصابيح السحرية ، والفرق التمثيلية وغير ذلك من المشوقات التى لا غناء عنها ؟!

كل هذه مشكلات يجب أن ينعقد مؤتمر أو مجلس أعلى يضم النخبة المختارة من كبار رجال التربية فى مصر لدراستها ووضع خطة السير لكل منها

يجب أن نسير على هدى أخطائنا الماضية ، والله ندعو أن يوفق خطانا

دريني خشبة

بمناسبة انتهاء العام الدراسي

عهد التلمذة

للأستاذ راشد رستم

أول العهود وأميزها

وأمتن الروابط وأدومها

تدور الدنيا وتدور ، وتذهب الأيام ولا تعود ، وتتفرق الجماعات ولا تدوم ، وهذا الحرم المدرسي المعنوي قائم لا يحول ولا يزول

واسع الرحبات ، فسيح الجنبات ، يستقبل الأجيال بعد الأجيال ، في رضا ومهابة وسلام

هؤلاء الذين نراهم فيه اليوم رأي العين ، هم أولئك الذين كنا نراهم فيه ، أيام كنا فيه بالأمس ، رأي الغيب — وهكذا حلقة إثر حلقة وجيلاً بعد جيل

ها هم أولاء يلعبون كما كنا نلعب ، ويدرسون كما كنا ندرس — أبناء لآباء ثم آباء لأبناء ، والكل عند المحراب سواء

* * *

ساحة دائمة البقاء ، نتلاقى فيها ما لا يتلاقى إلا فيها من حلاوة الدهر ، وبراءة السن ، وبداوة العمر

ساحة تتجلى فيها حياة الفكر والروح ، وتلعب فيها حكمة الشعوب لعبتها الكبرى في صقل العقول وتكييف الميول

هنالك تشهد الإنسانية أبناءها الصغار بين أيدي أبنائها الكبار ، فترجو أن ترى في هؤلاء الصغار أسمى معانيها الكبار

* * *

في البيت تتجلى مسؤولية الفرد ، وهنا تتجلى مسؤولية الجماعات

إن مراكز الجماعات من نواد وجمعيات وتشكلات وما يخرج عنها للسلام وللعراك ، من حروب ورحلات واجتماعيات ، هي لا شك في حياة الشعوب والأمم روابط وعهود وذكريات ، يختلط فيها الدم بالدم ، واللحم باللحم ، والفكر بالفكر .

ولكن يشهد الله أن عهد المدرسة هو عهد الجميع ، وهو فوق جميع العهود ، بل هو قبل جميع العهود ، هو عهد الصداقة والأخوة والصفاء

هو الحقل الذي توضع فيه البذرة الأولى لشجرة الأخوة الأولى ، تنمو وتنمو ، فتنمو معها الفروع والأغصان والأوراق والظلال ...

* * *

إن نظام المدرسة اليومي ، رغم تكراره اليومي ، لا يدعو إلى السأم ولا إلى الملل — ذلك أنه نماء متدفق وتجديد مستمر ، مرحلة بعد مرحلة وعاماً بعد عام ، بل يوماً بعد يوم

هذا التكرار اليومي لهذا المعهد المدرسي لا يحيله جوداً ، بل هو يزيد في معناه ثبوتاً ورسوخاً وخلوداً ، ويرتفع به إلى طبقات ليس فيها غير صفاء النفس ، ودوام الربط ، وسعادة الذكر ...

بل إن هذا التكرار المتنوع المستمر يصهر النفوس الناشئة صهراً هيناً ليناً شديداً قوياً يجعلها صالحة للعمل صالحة للبقاء

وهو المعهد الذي يشعر فيه الإنسان مهما كان صغيراً ، أنه قوة ، وأنه ينمو ، وأنه سيصير قوة أخرى

حركة دائمة ، وتنافس محبوب ، وآمال متتابعة ، وحياة لها كل المستقبل ولا تنسى أبداً

هي الوحدة الموسيقية التي تضبط خطى الجيل ، والتي تربط بين أفراده وهم يسيرون في الحياة لخدمة الأوطان . هنالك تتجلى عظمة هذه الموسيقى إذا ارتفعت بالنفوس إلى مراتب التضحية وخدمة المجموع

* * *

نعم ما أحلاه عهداً ، وما أحبه إلى النفوس عوداً ، فكلما تقدم المرء في السن كلما عرف قدره ، وعاد به الحنين إلى تلك السنين

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

يود المرء أن يرجع إلى هذا المعهد الذي أقام له بينه وبين إخوانه زمالة هي زمالة الدهر ، والتي هي أسمى من قرابة اللحم والدم ، ورب صداقة خير ألف مرة من قرابة ، وإذا لم يكن القريب صديقاً فهو والغريب سواء بل أشد غرابة

على هامش النقد

الشعر العربي والشعر العالمي
في عرائس وشياطين

للأستاذ سيد قطب

في كلمتي الماضية عن هذا الموضوع قلت : « بمقدار الغنى في الأفكار والمعاني الذي تضمنه الشعر العربي ، كان الفقر في الرؤى والأحلام ، وفي الصور والظلال . وفي الحالات النفسية والملامح الإنسانية . وهذا هو مفرق الطريق بين الشعر العربي وكثير من الشعر العالمي في مجموعة « العرائس والشياطين » وضربت لذلك مثلاً قطعة : « إلى السوق أول مرة » للشاعر الإنجليزي الحديث « هوسمان »

فاليوم أضرب أمثلة أخرى تشرح هذه الفوارق وتوضحها .

في المجموعة قطعتان متقاربتا الموضوع ، فاستعراضهما معاً قد يكون أقرب إلى توضيح الفروق

فأما القطعة الأولى ، فهي لابن زهر الأندلسي بعنوان : « في المرآة »

إني نظرت إلى المرآة أسألها   فأنكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيت فيها شيخاً لست أعرفه   وكنت أعهد فيها قبل ذاك فتى
فقلت : أين الذي بالأمس كان هنا   متى ترحل من هذا المكان متى ؟
فاستجهلتني وقالت لي وما نطقت   قد كان ذاك ، وهذا بعد ذاك أتى

وهي أبيات جيدة في موضوعها ، ولفتة لها قيمتها ، ووقفة بين صورتين من صور الحياة أجمل ما فيها أن إحدى الصورتين تنكر الأخرى وهي تكملها . وذلك أقصى ما نستطيع أن نسنده إليها من المزايا مع الاعتراف بأننا نضيف إليها من أنفسنا بعض ما قد تقصر عنه ألفاظها !

ولكنها – مع هذا – وقفت عند الحس لا تتعداه إلى أغوار النفس . فهذا شاعر لا يدرك الفرق بين الفتى الذي كانه والشيخ الذي صاره ، إلا حين يقف على المرآة ، فيرى تغير الملامح وتنكر السمات – وهذه أمور مردها إلى الحس – فإذا علم بهذا الانقلاب الظاهري لم يتجاوزه إلى التفتيش في أحناء النفس عما هنالك من انقلابات . ولم تثر في نفسه أشتات الذكر ، وألوان الخواطر التي تعتلج في نفس « الإنسان » ، وترد على الخاطر ولو لم ينظر في المرآة !

ولا أحب أن أنكر جمال اللفتة في قوله : (متى ترحل من هذا المكان متى ؟) فإنه نبضة « إنسانية » لها قيمتها ، ولكنها نبضة واحدة ، تكاد تلتقي بومضات الذهن ، ولفتات الفكر

وهل أشق على التلميذ من فراق الإخوان ، وهل أحب إليه من العودة بعد الأجازات لرؤية الإخوان !

***

قد تمر الفترات يكره فيها البعض مدرسته ، يرجو هدمها ويتمنى حرقها !! ولكنه لا يدري أنه يحبها . . . ويحب العودة إليها ، يلعب كما كان يلعب ، ويعيش كما كان يعيش ، لا يحمل العبء الذي يحمل ، لا هرباً منه ، إذ ليس منه مفر ، وإنما حباً وحنيناً إلى تلك التي كان يظن أنه لا يهواها ، وما هو إلا العاشق الولهان ، غيور . . . يثور ويثور . ثم يثوب ويثوب ، يعيده حبه وغرامه إلى حبيبه ومحبوبه

***

البيت هي ألطف العهود وأقساها ، وأنها في الحالين ما أحلاها ... بل إن شدتها التي كان المرء – وهو صغير – يخشاها ، ما هي إلا تلك الراحة التي – وهو كبير – دوماً يتمناها ! وإن راحتها التي كان يظنها خيالاً ، ما هي إلا الحقيقة التي يود لو أنه استطاع فاستبقاها ؟!

***

لعب مع تلقين ، وجهد في تهوين ، وشدة في لين ، وشك إلى يقين ، وحياة في سكون ، ونمو في تمكين – ذكرى وحنين ، وعهد لن يمين

من عنده لي عهد لا يضيعه   كما له عهد صدق لا أضيعه

راشد رستم

للصور المتناقضة ، وأياً ما كانت ، فهي تنبض مرة واحدة ، ثم تجمد بلا حراك

على مقربة من هذه القطعة فى الكتاب قطعة أخرى للشاعرة الإنجليزية (أليس ميتل) تحت عنوان : « خطاب فتاة إلى العجوز التى ستكونها بعد سنين » وهى مقطوعة طويلة ، ولكنا سننقلها كاملة لأن الاجتزاء ببعض منها دون بعض لا يجدى .

فهنا (إنسانة) تطل بشطر منها على شطر ، وتنظر بعين الفتاة الناضرة العابثة إلى العجوز المستكينة الفانية ، فلا تستطيع أن تتماسك أمام الصورة التى تستحضرها بعين الخيال ، فترثى لنفسها بنفسها . وتشتبك الأحاسيس والمشاعر ، وتظل رائحة جائية بين المستقبل الأعجف المظلم والحاضر النضر النير وتعرض أمام خاطرها شريطاً حافلاً بالخواطر والأحاسيس . وهى بين ذلك كله (الإنسانة) و (المرأة) فى مخلوقة واحدة ، وهذه هى المقطوعة :

اسمعى ! أيتها المرأة التى أبلتها السنون
إذا طويت يدك الناحلة على هذا القرطاس
فاذكرى تلك التى باركته بلمساتها وقبلاتها

* * *

أناديك : يا أماه ؛ فإن أثقال السنين كسرتك
بل أناديك : يا بنتاه ؛ فإن ذكرى الزمن أيقظتك
ومن أطوار قلبى . يخلق الزمن كل ما فيك

* * *

آه أيتها الساعة المكدودة . إن الصبيحة فى السماء لشمطاء
أفلا تذكرين السحب كيف تساق ؟
أرينها كانت تهدأ عند المغيب ؟

* * *

تمهلى هنيهة فى ختام مطافك الطويل
فإن فى هذه الساعة الموحشة
لألفة لساعة التدبر والتذكار

* * *

يؤلك أيتها الصامتة الخافقة تذكيرى إياك
بتلك الهضاب ـ هضاب الشباب ـ التى عصفت عليها السماء
وتلك الأعاصير الأوابد من القوة والعافية ، التى خلفتها وراءك
اعلمى أن البطحاء الموحشة التى تدرجين فيها الآن
إنما هى دنيا مساء صموت

وتأملى فى تلك القمم المغشاة . إنها تسفر عن صباح

* * *

اسمعى ... هاتيك رياح الجبل تهب بالغيوث
وهاتيك القمم على حين غرة تتألق بالشعاع
حاشاى أن أدعك تذهبين ـ ناسية ـ إلى الموت

* * *

ليتنى أعلم أى جانب من قلبى هذا المضطرم سيتبعك
إلى حيث الرياح لا تعصف ولا تهزم
وحيث أزهار الجبال الصبية لا تعيش ولا تجود

* * *

ولكن دعى خطابى وفيه ما فيه من خواطرك المفقودة
ينبئك كيف كانت الطريق فى بداية الطريق
ويصحبك إلى الغاية ، حين إلى الغاية تنتهين

* * *

آه . رب ساعة من ساعاتك تقودك فيها خواطرى
فما تشعرين إلا والرياح من وطنك القديم تحوم حواليك
وإن أخفاك عنها الزمن والظلام والسكوت

* * *

تقول لك : كم جاشت بالفتاة هذه الذكريات
وكم رانت على الصباح ظلمات هذه الظلال
وكم خيم عليها هذا الحزن الذى تفارقينه بقلب حزين

* * *

وبعد . فمالى أفقوك بخواطرى هذه ليت شعرى ؟
إن الحياة تتبدل ، وإنك مع الأيام تتبدلين
فيأيتها الطبيعة التى لا تتبدل . ليتك تردين إليها فؤادى الضليل

* * *

ستعود إلينا نسماتها بقبلاتها
وستسرى إلينا فى المساء كأنها قبلة فى الصباح
وسينفث الصيف نعمته التى لا يغيرها الزمان

* * *

ونحن وقد تبدلت لنا لمحة بعد لمحة ، ونسمات بعد نسمات
نتعقب إحدانا الأخرى فى شتى المسارب والدروب
على نفحات الطفولة الخالدة التى تتأرج بها الرياحين أطفال الخلود

* * *

وما أكتب إليك هذا الخطاب المستطلع الناظر إلى الغيوب

لأموه لك الذبول بأكاليل من المجد والفخار

وأحف هذا الذواء ببشارات النصر والنجاح

* * *

كلا ! إنما هو شباب واحد وينطوى من الحياة الضياء

إنما هو صباح واحد وُيغشى النهارَ السحابُ

إنما هى شيخوخة واحدة تتلاقى فيها الأشجان والهموم ، جوعاً وراء جوع

* * *

صه يا لسانى ، إن كمانى أسالت عبرات عينيك

صه صه . فما أغزر ينبوع الدموع

يا للجفون البائسات . ما أسرع ما تبكي وهى قريبة إلى الرقاد !

* * *

عذراً للفتاة ! لقد وسوست لها نزوة من غرائب نزوات الشباب

أيتها المرأة البائسة ! ألق من يدك هذا الخطاب

إنه حطم قلبك فانسى أننى كتبته إليك

* * *

إن التى كانت تنظر منك إلى ذلك الحيـاة

هى الآن تلمس براحة البنوة شعرك المشتعل

وتبارك هذا الشفق الحزين بدموع الصباح

* * *

هذه هى المسارب النفسية التى سارت فيها خطرات تلك الفتاة ، وتلك هى المسالك والدروب المتعرجة الطويلة . وهى (إنسانة وامرأة) حين تحس بخطوات الزمن هذا الإحساس ، وحين تزج بخيالها إلى المرهوب من شيخوختها — وهى فى حمى منها بفورة الشباب الحاضر — ومع ذلك تفزع وتضطرب فتلجأ إلى خيال الذكريات التى ستعتادها فى الشيخوخة المرتقبة ذكريات الشباب التى (ستسرى إلينا فى المساء كأنها قبلة الصباح) فإذا هدأ روعها وتماسكت عادت تواجه (العجوز التى ستكونها) بالحقيقة الأليمة (إنما هو شباب واحد وينطوى من الحياة الضياء) . شباب واحد والمرأة أحس ما تكون بوحدانية هذا الشباب ! .

وإننا لنمضى فى تتبع هذه الخطرات النفسية فى نفس هذه (الإنسانة) فلا نبلغ مداها ، بأبصر ولا أوضح مما بلغته بألفاظها ، فلا ضرورة إذن للشرح والبيان

هنا فيض إنسانى من الخوالج والخواطر والأحاسيس ، قلما تعثر فيها على (معنى) بارز ، أو فكرة مبلورة ، أو حكمة سائرة . ولكنك لا تخطئ فيها وجه الإنسان وانفعالاته وخطراته ، تماوج وتتداخل ، وتضطرب وتختلج وتسمع فيها حركة الحياة وتلمح فيها ظلالها من وراء الألفاظ والتعبيرات

ذلك شعر . وشعر كله . وشعر يحسن أن نتأثره لا مقلدين ولكن مستفيدين . ففى نفوس الكثيرين منا ينابيع طليقة ، تحبسها الطرائق التقليدية للشعر العربى فى التعبير . وإن كانت المسألة فى صميمها أكبر من الألفاظ وأوسع من التعبير .

سيد قطب

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٧٩ – تشبهها في ذنبها وقرونها

قال القاضي أحمد بن خلكان : كان أبو البقاء يعيش ابن علي بن يعيش حسن التفهيم ، طويل الروح على المبتدئ والمنتهي . وقد حضرت يوماً حلقته وبعض الفقهاء يقرأ عليه (اللمع) لابن جني فقرأ بيت ذي الرمة بباب النداء

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل
وبين النقا آأنت أم أم سالم ؟[1]

فقال الشيخ موفق الدين : إن هذا الشاعر لعظم وجده بهذه المحبوبة وكثرة مشابهتها للغزال – كما جرت عادة الشعراء في تشبيهم النساء الصباح الوجوه بالغزلان والمها – اشتبه عليه الحال فلم يدر هل هي امرأة أم ظبية ، فقال : آأنت أم أم سالم وأطال الشيخ القول في ذلك بحيث يفهمه البليد البعيد الذهن وذلك الفقيه منصت حتى يتوهم من يراه على تلك الصورة أنه قد تعقل جميع ما قاله الشيخ ، فلما فرغ من قوله قال له الفقيه : يا مولانا ، إيش في هذه المرأة الحسناء يشبه الظبية ؟ فقال له الشيخ موفق الدين قول منبسط : تشبهها في ذنبها وقرونها فضحك الحاضرون ، وخجل الفقيه وما عدت رأيته حضر مجلسه

٥٨٠ – فسكت وسكتنا

في (الأغاني) : أقبل عيينة بن حصن إلى محلة بني زبيد في « الكوفة » فسأل عن محلة عمرو بن معد يكرب ؛ فأرشد إليها ، فوقف ببابه ونادى : أي أبا ثور ، أخرج إلينا ، فخرج إليه ، وقال : انزل ، فإن عندي كبشاً ، فنزل فعمد إلى الكبش فذبحه ، ثم ألقاه في قدر وطبخه حتى إذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها ، وأكفأ القدر عليها فقعدا فأكلا . ثم قال له : أي الشراب أحب إليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية ؟ قال : أوليس قد حرمها الله علينا في الإسلام ؟ قال : أنت أكبر سناً أم أنا ؟ قال : أنت . قال : فأنت أقدم إسلاماً أم أنا ؟ قال أنت . قال : فإني قد قرأت ما بين دفتي المصحف فو الله ما وجدت لها تحريماً إلا أنه قال : « فهل أنتم منتهون » فقلنا : لا فسكت وسكتنا ، فقال له : أنت أكبر سناً وأقدم إسلاماً فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا ، ثم انصرف عيينة وهو يقول :

جزيت أبا ثور جزاء كرامة فنعم الفتى المزدار والمتضيف
قريت فأكرمت القرى وأفدتنا تحية علم لم تكن قط تعرف
وقلت : حلال أن تدير مدامة كلون انعقاق البرق والليل مسدف
وقدمت فيها حجة عربية ترد إلى الإنصاف من ليس ينصف
وأنت لنا (والله ذي العرش) قدوة إذا صدنا عن شربها المتكلف
يقول أبو ثور : أحل حرامها وقول أبي ثور أسد وأعرف

٥٨١ – ضعف الإسناد . . .

في (خاص الخاص) للثعالبي : كان أبو محمد السرجي من ظرفاء الفقهاء والمحدثين ببغداد ، فركب يوماً في سفينة مع نصراني ، فلما بسط سفرته ، سأل السرجي مساعدته ففعل ، ولما فرغا أحضر شرابه فحكى لونه عين الديك وريحه فأرة[1] المسك ، وأراد السرجي أن يجد رخصة فقال : ما هذه ؟ وتوهم النصراني مراده ، فقال : خمر ، اشتراها غلامي من يهودي فقال : نحن أصحاب الحديث نكذّب سفيان بن عُيَيْنة ويزيد بن هرون أفنصدّق نصرانياً عن غلامه عن يهودي ؟ والله ما أشربها إلا لضعف الإسناد . ومدّ يده إلى الكأس وشربها

---

(١) الوعساء : رملة لينة . جلاجل (بفتح الجيم وضمها) مكان ، قال الشنتمري : ويروى بالحاء . النقا : الكثيب من الرمل . والقول من أبيات (الكتاب) والشاهد فيه إدخال الألف بين الهمزتين من قوله (أأنت) كراهية لاجتماعهما كما أدخلت بين النونات في قولهم : اضربنان كراهية لاجتماعها .

(١) فأرة المسك : نافجته ، وعاؤه . في (الأساس) : شممت يده فكأنها يد عطارة ذبحت فارة

سجعة الكروان...

للدكتور عزيز فهمى

هاتفٌ فى السَّحَرْ   بارعٌ مُقتدِرْ
صادحٌ مُطنِبٌ   ساجعٌ مُختصِرْ
مطربٌ هزّنى   لحنُه المبتكَرْ
لم يزل هاتفاً   فى ليالى القمر
عاده وجْدُهُ   ودعتنى الذِّكَر
فاحتسيْتُ الهوى   والصبا المحتضِر
ودعوت المنى   والشباب النَّضِر

بين همس الرُّبى   وخرير النَّهَرْ
ودبيب المُنى   وحفيفِ الشجرْ
وهبوب الصَّبا   واعتراض الدُّبُرْ
طاب لى مجلسى   وحلا لى السهرْ

جَنَّةٌ عندَها   يعذبُ المُستقرْ
دوحُها حافِلٌ   بِشَهِىّ الثَّمَرْ
روضها عابقٌ   وَرْدُهُ والزَّهَرْ
ماؤها سَلْسَلٌ   وِرْدُه والصَّدَرْ
جنّة حفّها   نخلها المُشْتجِرْ
بينما يستوى   قائماً ينأطِرْ(١)

ليلةٌ فى الزمن   لم يشبها كدر
ليلةٌ فَذّةٌ   من هِبات العُمُرْ
فتزوّدْ بها   لِلَيالٍ أُخَرْ

يا غلام اسقنا   هاتِها وابتَدِرْ
هاتها مُرّةً   حُلْوَةَ المختَبَرْ
فى كؤوس ذهب   وأوانٍ حُمُرْ
هاتها رَطبةً   فى دمى تستعر
هاتها وابتدر   لم أعُدْ اصطبِرْ
ها كَها ها كَها   يا نديمى اعتبر

عانسٌ زانها   ثوبها والخَفَرْ
من عقيق العنبْ   دَمُها المُنْهَمِرْ
فِتنةٌ للنظرْ   من رآها سكرْ
وزرها هَيّنٌ   ذنبها مُغتفَرْ

خمرة عُتِّقَتْ   من قديم العُصُر
أمُّها بابلٌ   وأبوها مُضَرْ
قهوة صُهْرِجتْ   فى أقاصى الحُفَر
دنّها كاهنٌ   قبل عهد الحَضَر
لم يذق مثلها   قيصرٌ ذو سُرُرْ

يا طيورَ الرُّبى   روضكم مُزْدهِرْ
كلُّكم نائحٌ   ويحكم! ما الخبر؟
حسبكم حسبكم   بعض هذا الخور!
شاعر نائمٌ   ومُغَنٍّ ضجِرْ
كلكم عازفٌ   فوق هذا الوتَرْ
كلكم ريشةٌ   فى مهبّ الغِيَرْ
كلكم هدّه   دَهْرُه فانكسر
كلكم مُوجَعٌ   مُشتكٍ مُفتقِرْ
عاشقٌ مُدْنَفٌ   قد براه الحَوَرْ
وأخٌ يائسٌ   من ضحايا القَدَرْ
لم يَعُدْ صادحٌ   فى ليالى السمر!

الزم الألزم من لزوم ما لا يلزم (*)

الناس بالناس من حضرو بادية
بعض لبعض ـ وإن لم يشعروا ـ خدم

والنسل أفضل ما فعلت بها   وإذا سعيت له فمن عقل

ورفقاً بالأصاغر كى يقولوا   غدونا بالجميل معاملينا
فأطفال الأكابر إن يُوقّوا   يروا يوماً رجالاً كاملينا

لا تزدرُنّ صغاراً فى ملاعبهم   فجائز أن يروا سادات أقوام

(١) ينثنى

(*) مخطوط للنشاشيبى



١ — إلى الأستاذ الفاضل نقولا الحداد

يؤسفني أيها الأستاذ أن تكون قد فهمت من كلمتي السابقة شيئاً غير ما أكنه لك من المحبة الصادقة والإجلال الأكيد... فأنت أستاذنا الفاضل، وكاتبنا العالم المحبوب، وذلك مذ كنا تلاميذك الصغار المعجبين بك... وتشككك في صدق هذا الاعتراف هو موضع أسفي وألمي. أما ما عنيته، بل كتبته صراحة، من أن الذي كتب عن نظرية وحدة الوجود - تلك النظرية المشئومة - قد كتب من وجهة نظر تكاد تكون إسلامية بحتة، فلا يعني أن تكون احتكاراً لأمة دون أخرى ولا يعني منع أحد من الخوض فيها، وإلا كنا متناقضين مع أنفسنا حينما نفينا ما وهمه الأستاذ الرصافي من نسبتها إلى نبينا الكريم، وحينما استعرضنا آراء الفلاسفة اليونانيين فيها. ونحن نزيد المسألة بياناً فنقرر أن نظرية وحدة الوجود ليست من الإسلام في شيء. بل هي الكفر الصريح في رأي كبار الأئمة المسلمين، أما ما فهمه أستاذنا الفاضل المحبوب من مقالنا عن النظرية في الفلسفة اليونانية، وأنه خرج من المقال بأن اليونانيين عنوا بالوجود أصله المادي لا غير، فهذا كان ولا يزال موضع عجبي، فقد أوردت في المقال آراء من قالوا بالوجود المادي لا غير. ومن قالوا بوجود Noös أي عقل مدبر حكيم وراء هذا الوجود المادي، وآراء من قالوا بعالم المثل. ثم ألمت إلى رأي أرسطو في الصورة ورأيه في الله. الخ

على أننا نكرر لأستاذنا الفاضل المحبوب شكرنا ونعرب له عن حسن قصدنا

٢ — الدفاع عن وحدة الوجود

كال لنا الأستاذ زكريا كيلاً شديداً دون أن يعرض للنظرية بشيء مقنع؛ فهل يتفضل حضرته فيتناولها في صراحة، وليبدي لنا رأيه فيما ذهب إليه العلامة ابن تيمية بصددها في كتابه الفريد «الحجج النقلية والعقلية فيما ينافي الإسلام من الجهمية والصوفية، كالحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، ونفي القدر، أو الاحتجاج به على الرضا بالمعاصي. الخ»، وما تناول به ابن عربي من التكفير والزندقة والإزراء بالرسالة

يا أخي... اقصد في دفاعك عن ابن عربي، حتى تفرغ من دراسة هذه القضية، وأسأل الله لك السداد.

دريني

«أفتوني في رؤياي»

لعل الأستاذ الفاضل «عبد العزيز جادو»، وقد تعرض للأحلام تعرض الفاحص الخبير، أن يكشف ما التبس عليّ من أمر هذه الرؤيا. وله مني ومن قراء هذه الكلمة الشكر على إيضاحه سلفاً

في ظهر يوم الإثنين ٢٧ رمضان «من العام الفائت» كنت أطالع في كتاب نظام العالم والأمم للشيخ طنطاوي جوهري (جزء ٢ ص ١١٣)

وكنت مجهد البدن محروراً، فلذت بفراشي واستلقيت على ظهري، وأسندت الكتاب مفتوحاً إلى صدري، ثم تابعت القراءة، وهذه عادة مقيتة أعترف وأنا آسف بأني ما زلت أتبعها! على أني أنصرف إلى غايتي فأقول إني استغرقت فجأة في نوم مضطرب خفيف، ثم رأيت كأنني أركب قطاراً أعود به من

وأكرموا الطفل عن نكر يقال له
فإن يعش يدع كهلاً بعد أعوام

رب شيخ ظل يهديه إلى — سبل الحق غلام ما احتلم
إذا الإنسان فض العقل منه — فما فضل الإناس على النمال؟
فانفع أخاك على ضعف تحس به — إن النسيم بنفع الروح هباب
فجد بعرف ولو بالنزر محتسبا — إن القناطير تحوي بالقراريط
تروم رزقاً بأن سموك متكلا — وأدين الناس من يسعى ويحترف
فإذا ملكت الأرض فاحرم ترابها — من غرسه شجراً بغير ثمار
إذا فاتك الأثراء من غير وجهه — فإن قليل الخل أولى وأبرك

القاهرة إلى الصعيد وقد توقف عند محطة بنى مزار . ووجدتنى أخترق بعض شوارع هذه البلدة — والواقع أنى لم أزرهـا من قبل — ثم أقف أمام بيت أساوم صاحبه فى بيعه ! وبعد قليل كنت أحادث الرجل نفسه عن كتاب له ، وقد تناولته فاحصاً ، ثم رحت أقرأ فيه هذه العبارة : (ويسبق السبق هى المعالى ؛ فإذا لاحظنا الحياة) ، وفجأة استيقظت وأنا أكرر هذه الجملة من الكتاب وأراها بعينى فيه وما كان أشد عجبى حين وجدت أمامى ـ حقيقة ـ هذا السطر من كتاب المرحوم الشيخ طنطاوى : « والناس يتسابقون وقصب السبق هى المعالى ، فإذا لاحظنا الحياة » الخ

وعليه فأكون قد قرأت وأنا نائم الكلمات السبعة الأخيرة من السطر الذى أمامى قراءة صحيحة لم أحرِّف فى أثنائها إلا الكلمة الأولى فجعلتها « ويسبق » بدل « وقصب » فهل معنى هذا أن العين وهى مغمضة تجيد القراءة الصحيحة إلى الحد الذى يعيه العقل ؟

وإذا صح أن أذن النائم تعى أصواتاً حقيقية ، فتختلط هذه الأصوات بأحلامه مع شيء من التكييف — وذلك ما يحدث كثيراً — فكيف يصح أن ترى العين أشياء حقيقية رؤية يعيها العقل ، والعين فى كل ذلك منطبقة ؟ ...

وقد نفترض أن العين لم تكن مغمضة تماماً ، فهل يؤدينا هذا إلى الإقرار بأن الإنسان قد ينام ويرى الرؤى فى نومه ، وعينه مع كل ذلك مفتوحة تبصر ؟

(جرجا) محمود عزت عرفة

ذكرى الإمام محمد عبده

فى يوم الثلاثاء الماضى (١١ يولية سنة ١٩٤٤) احتفل الأزهر الشريف بدار « الإذاعة اللاسلكية المصرية » بذكرى الأستاذ الإمام المصلح محمد عبده . فألقى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء كلمة قيمة عن (الشيخ عبده وطريقته فى التفسير) صدر بها هذا العدد من الرسالة ، وألقى بعده الدكتوران الفاضلان محمد البهى ومحمد ماضى — وهما عضوا بعثة الإمام محمد عبده إلى ألمانيا — كلمتين أخريين

وقد سر أهل الفكر والعلم بهذا الاحتفال يهتم به الأزهر ، ويذيعه باسمه على المسلمين فى الشرق والغرب ، لأن فى ذلك وفى الكلمات التى ألقيت ، دلالات على روح جديدة نرجو أن ينتفع الأزهر بها ، وأن تكون عوناً له على بلوغ ما يصبو إليه من آمال إن شاء الله .

(م ...)

فى اللغة

قال الأستاذ على محمد حسن فى عدد الرسالة ٥٧٤ (ولا يفوتنى أن أقول إن الشاعر عبد الغنى حسن له قصيدة فى نفس العدد — ٥٧٣ — وفيها : « تتلاشى على الرمال وتنثر » ولا أعرف فى اللغة « تتلاشى » هذه ...)

قال فى (نهج البلاغة) : وما تلاشت عنه بروق الغمام . قال ابن أبى الحديد : هذه الكلمة أهمل بناءها كثير من أئمة اللغة ، وهى صحيحة وقد جاءت ووردت ، قال ابن الأعرابى : لشا الرجل إذا اتضع وخس بعد رفعة ، وإذا صح أصلها صح استعمال الناس : تلاشى الشيء بمعنى اضمحل . وقال القطب الراوندى : تلاشى مركب من (لا شيء) ولم يقف على أصل الكلمة

وقال البديع الهمذانى فى رسائله : فإن أطفئت بارت وتلاشت . وفى مقاماته : وتلاشت صحتى . وفى معجم الأدباء لياقوت : التفاوت فى تلاشى الأشياء غير محاط به . وفى المثل السائر لابن الأثير : وأوسعها توشية وإذهاباً إذا وسع غيرها تلاشياً وذهاباً . والتلاشى فى كلام ابن خلدون كثير جداً . ووردت اللفظة فى شعر الغزى فى مواسم الأدب ، وفى نقد النثر لقدامة ، وأوردها التاج فى مستدركه وأبو البقاء فى كلياته . وفى تفسير الإمام الطبرى : لما خرج ابن مسعود من الكوفة اجتمع إليه أصحابه فودعهم ثم قال : لا تنازعوا فى القرآن فإنه لا يختلف ولا يتلاشى ولا ينفد لكثرة الرد[1] ...

احمد صفوان

---

(١) من مقال العلامة النشاشيبى فى مجلة المجمع العلمى العربى (م ١٩ ج ٣) باختصار

ابن جميع لا ابن جميع

كنت نبهت الأستاذ الفاضل الدكتور باول كراوس إلى صواب اسم ابن جميع الطبيب الإسرائيلي على وزن كريم لا على وزن فعيل بالتشديد

ولكن الأستاذ أصر في مقال آخر له بمجلة الثقافة عدد ٢٨٦ على الإسم الخطأ . فأرجو منه وهو مولع بالتحقيق والتدقيق أن يتقبل هذا التصحيح مرة أخرى من المخلص .

محمد عبد الغني حسن

إلى الأستاذ السيد محمد حمزة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد فأشكر لكم حسن ظنكم بي ، وجميل تقديركم لما أكتب في مجلة الرسالة الغراء ، وإن تعليقكم على مقالي في قضية نسب زياد ليدل على ميزة عظيمة في أدب النقد ، وحسن فهم لقضايا التاريخ ، وإني أعتقد أنه لم يفتني ذلك التوجيه الذي أشرتم إليه في هذه القضية ، لأني حينما أنصفت معاوية وزياداً فيما قضيت بذلك على الروايات التي فيها تحامل عليهما ، وكان لتدوينها في عصر العباسيين أثر في ذلك التحامل ، وهذا غاية ما يمكن أن يسلك في تحقيق هذه القضية ، لأننا نجد أنفسنا بعد هذا أمام أمر لا يصح الشك فيه ، وهو أنه كان هنالك قضية في نسب زياد ، وأن زياداً كان ينسب قبلها إلى غير أبي سفيان فألحق بعدها بنسبه ، وأن خير توجيه لهذا هو ما روى من اتصاله بأمه على ذلك الوجه من أنكحة العرب في جاهليتهم ، ولا سيما أنه لا يوجد في التاريخ توجيه غيره لذلك النسب ، ولا يقدح في كون سمية من البغايا أنها كانت تحت زوج ، لأن البغي بغي على أي وضع كانت ، ولا سيما في ذلك العهد الذي وصلت الإباحية فيه إلى أبعد الحدود ، وكذلك لا يقدح في عظمة زياد أن ينشأ من ذلك النكاح الجاهلي ، لأن عظمته كانت ترجع إلى شخصه لا إلى نسبه ، ومثل هذا ونحوه من السهل أن يستساغ في التاريخ ، ولا يسهل أن ترد به تلك القضايا الظاهرة

عبد المتعال الصعيدي

الأغوار

(ديوان شعر للأستاذ الأديب المعروف أحمد الصافي النجفي — صدر عن دار المكشوف — بيروت — ١٩٤٤)

باقة يانعة من شعر التأملات والخطرات الفكرية — تقرأه فينقلك من هذه الدنيا الممتلئة بالآلام ... إلى عالم من التأمل الذي لا يورثك غير الآلام أيضاً . . . لكنها آلام لذيذة . . . إنها آلام الإنسانية التي تبكي في كل مكان . . . وتضحك في أمكنة قليلة ...

لا نريد أن نستطرد ... ففي نيتنا الكتابة الطويلة عن هذه « الأغوار » في فرصة أخرى ، نرجو أن تكون قريبة . . . فتحياتنا سلفاً لشاعرنا الرفيق المحبوب الأستاذ النجفي

مجلة السودان

(أسبوعية — تصدر نصف شهرية مؤقتاً — عمارة إيموبليا شارع شريف — القاهرة) عدد يونية سنة ١٩٤٤

صدر من هذه المجلة الرشيقة عددها الأول فجاء مبشراً بما هو ظننا دائماً بشباب السودان المثقف ، وما هو أمل كل مصري يؤمن بأن السودان هو نصفه الثاني . والعدد حافل بأنباء السودان العزيز وأخبار أعيانه ومرافقه ؛ والمجلة تمثل الجالية السودانية في مصر أصدق تمثيل — ونحن حين نقول الجالية نقصد بها هذا الشباب الشقيق الذي لا يختلف منا ولا نختلف منه ، والذي نكن له أصدق عواطف الأخوة وأنبل مشاعر الوفاء . وقد خصصت المجلة أبواباً للشعر والقصص والسينما والمسرح ، وهي تحرر هذه الأبواب بروح سوداني نرجو أن ينفعنا في تتبع الحركة الأدبية الفنية في السودان . . . ونكرر تهنئاتنا

تصويب

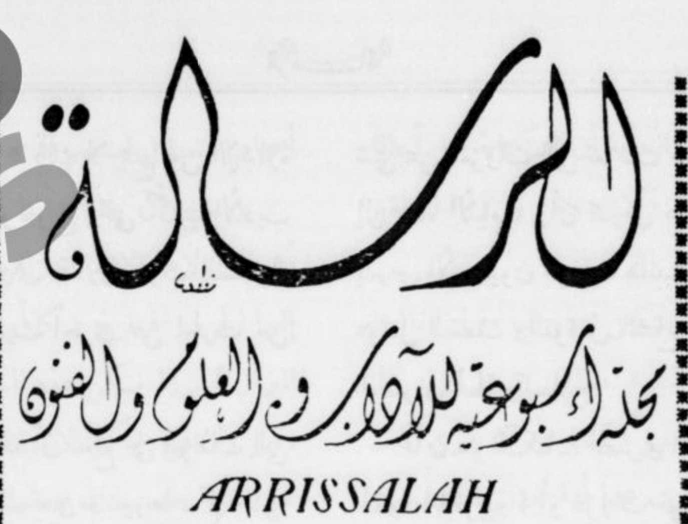
تغيرت في المقال الافتتاحي للعدد الماضي كلمة يتغير بها معنى الجملة كلها ، وهي : « الجزء الذي تستأصل منه خصيته يضمر ولا تنبعث فيه دواعي النماء ، ولا يحدث مثل هذا في أنثاه إذا نزع منها المبيض ... » ، وصوابها : « الجرذ . . . »



12me Année No. 577

Lundi - 24 - 7 - 1944





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثانية عشرة — «القاهرة في يوم الإثنين ٤ شعبان سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٤ يولية سنة ١٩٤٤» — العـــدد ٥٧٧

الفهـــرس

موضوعات الـكتب

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتبت منذ أسابيع مقالاً بمجلة «آخر ساعة» عنوانه «أريد من هؤلاء» قلت فيه :

«أريد من زعمائنا أن يشغلوا أوقات فراغهم ، لأن الذى لا يحسن تدبير الفراغ لا يحسن تدبير الأعمال»

ثم قلت : «وندع رجال السياسة والأعمال ، ونلتفت بعض الالتفات إلى طائفة من كبرائنا لهـا فى العصر الحاضر عمل لا يغنى عنه عمل الآخرين

«إن العصر الحاضر عصر حرب ، وإن مصر قد أصبحت من هذه الحرب ووجب أن تعرف على التحقيق كيف تتعرض لها وكيف يكون الدفاع عنها . وقد ظهر عن معارك العلمين وطرابلس وأفريقية الشمالية ما لا يقل عن خمسين كتاباً فى اللغة الإنجليزية ولم يظهر كتاب واحد من رجالنا المختصين بشئون الحرب فى هذا الموضوع . وعندنا طائفة غير قليلة العدد من كبار ضباطنا المحالين إلى المعاش ، فلماذا لا يكتبون لنا رأيهم فى معركة العلمين وفى خطط القتال الذى دار بين أوكنلك ومنتغمرى وروميل وجرازيانى وسائر القواد والضباط ؟ »

وقد عقب على مقالنا هذا الأستاذ عبد الخالق يوسف المحامي

فقال إنه يوافقنا على رأينا ولكن « ذلك لا يمنع من الإشارة إلى المؤلفات التي وضعت في هذا الموضوع والتي كتبها الأديب الملازم الأول السيد فرج » ... وهي تتناول حرب الصحراء المصرية وأفريقيا الشمالية ، وأحاديث أخرى عن الحرب من وجهة عامة

ونحن ، والحق يقال ، قد فاتنا أن نطلع على المؤلفات التي أشار إليها الأستاذ عبد الخالق يوسف حين صدورها ، ثم اطلعنا على بعضها بعد أن نبهنا إليها قراؤها المعجبون بها فألفيناها من الموجزات الوافية بمقاصدها في هذا الموضوع ، وصح أن يقال إن مؤلفها الفاضل قد قام بما يسميه الفقهاء « فرض كفاية » عن الكتاب العسكريين في مصر ، أو الذين كانوا ينبغي أن يحسبوا في مقدمة الكتاب العسكريين

فكتابه عن حرب الصحراء المصرية ملم بمقدمات هذه الحرب وأطوارها واختلاف عوامل النصر والهزيمة فيها ، وقلما اتصلت بهذه الحرب مسألة من المسائل التي تعنى العسكريين إلا كان له إلمام بطرف من أطرافها

كذلك اطلعت في مجلة الجيش على بحوث كثيرة عن الحرب في جميع ميادينها وأطوارها يضارع بعضها أحسن ما نقرأه لخبراء هذه الموضوعات في المجلات الأوربية والأمريكية

ولكننا نرى بعد هذا أن ملاحظتنا الأولى لا تزال قائمة في مكانها ، لأنها متجهة إلى زعمائنا العسكريين وغير العسكريين ليشغلوا أوقات فراغهم بدراسة الموضوعات التي لا يغني فيها غيرهم ، وليس ظهور الكتب والفصول في هذا الصدد مما ينفي عن زعمائنا في مختلف ميادين الحياة أنهم متى فرغوا من العمل لم يشغلوا هذا الفراغ كما يشغله أمثالهم في البلاد الأخرى

ولا تزال ملاحظتنا الأولى قائمة من وجه آخر وهو الابتداع والإنشاء في درس شئون الحرب التي تمس البلاد المصرية من قريب

فالصحراء الغربية مصرية قبل كل شيء

ومن الواجب أن يكون علم المصريين بها وتفقيهم على أساليب الدفاع والهجوم فيها هو العلم الأصيل الذي يرجع إليه الخبراء من أمم العالم بأسره ، وأن يكون بين أيدينا اليوم كتب شتى عن الغزوات التي تعرضت لها مصر غرباً من بداية التاريخ إلى هذه الأيام ، وأن تدرس هذه الغزوات دراسة عصرية كما يدرس الأوربيون غزوات هانيبال وأتيلا في بلادهم ليعلموا منها عوامل الضعف والقوة في الدفاع والهجوم على حسب اختلاف العصر والخطة والسلاح

فأين هو الكتاب المصري الذي يحقق لنا غزوات الليبيين لحدودنا الغربية ؟ أو غزوات قواد الرومان ثم الفاطميين لتلك الحدود ؟

وأين هو الكتاب المصري الأصيل الذي يحقق لنا المصادفات والمفاجآت والعوارض المنتظرة وغير المنتظرة مما حدث في أرضنا وتخومنا ونحن أحق الناس أن نعرف كل صغيرة وكبيرة من تلك الأرض وتلك التخوم ؟

ليس لي شأن بالمسائل العسكرية في ناحيتها الفنية ، ولكني أنتم أن نيابتي عن الصحراء الغربية كلفتني أن أراجع كل ما تيسرت لي مراجعته عن تاريخها وتاريخ الغزوات الأجنبية فيها ، وكان الشائع أن النفاذ منها في جميع وجهاتها مستحيل أو قريب من المستحيل ، ولكنني تبينت أن الاطمئنان إلى هذا الرأي باب من أبواب الخطر الشديد وكتبت في هذا المعنى منذ ثلاث سنوات رداً على المؤكدين لهذه الطمأنينة أقول إن الحيطة واجبة في الشواطئ المصرية وإلا فالنفاذ منها ليس بالمستحيل ، وإن كان عسيراً بالغاً في العسر أقصاه . وبيان هذا من رجال عسكريين أدعى إلى الثقة ووضوح الحقيقة بالحجة الفنية التي تعوز الغرباء عن هذه الفنون

وقد كان هذا النقص في خاطري يوم أردت من زعمائنا العسكريين أن يتداركوه وأن يسقطوا عن كاهلهم هذه الفريضة التي لا تأتي قبلهم على كاهل أحد من الناس

والذي نرجوه أن يتحول فرض الكفاية الذي قام به بعض ضباطنا الشبان إلى « فرض عين » يقوم به كل قادر عليه ، وهل ينبغي أن يقدر عليه أحد قبل ضباطنا العظماء ؟

* * *

ويستطرد بنا الكلام عن الكتب وموضوعاتها إلى بدعة مضحكة تروج على بعض الألسنة التي لا تمل الاقتراح ولا تقترح

إلا غير ما تراه ، وخلاصة هذه البدعة أن الكتابة عن أبطال التاريخ ممنوعة وأن الأدباء يجب أن ينحصروا فى الحاضر الذى هم فيه

وقد رد صديقنا الأستاذ المازنى على هذه البدعة فى مقال له بالبلاغ عن كتابنا « عبقرية خالد » فقال : « هل يراد ترك القديم جملة ؟ إن تاريخ الأمم كالذاكرة للفرد ولا ندري كيف يعيش إنسان بغير ذاكرة ولا كيف تحيا أمة تجهل ماضيها وترى أن تدفنه وتهيل عليه التراب »

ثم اطلعنا فى مجلة الإثنين على كلمة بعنوان « المستقبل لا الماضى » يعيب فيها كاتبها الأديب أن يتكلم الناس عن على وعثمان وموقف أبى موسى الأشعرى من التحكيم ، ثم يقول إنه لا يريد هذا « ولكنا نريد أن نعرف ما عسي أن يصنع ١٧ مليون مصرى ٩٥٪ منهم فقراء معدمون . نريد أن نعرف ما هو مستقبل الوطنية الصحيحة فى مصر وما هو مركز الاستقلال الحقيقى فى هذا البلد . نريد أن نعرف هل الأفضل لمصر أن تبقى زراعية فتعيش فى الذل والاستعباد أم تجمع بين الزراعة والصناعة ليرتفع مستوى الحياة فيها ويسمو ... »

إلى آخر ما يريد أو يريدون

والطريف أن يصدر هذا من محرر « الإثنين » وهو يعلم أن العام ينطوى وقد استنفدت المطابع من صحف المجلات عشرة آلاف صفحة فى توافه المتبطلين والمتبطلات من رواد المراقص والمحافل وميادين السباق ، ثم يستكثر بعد هذا بضع مئات من الصفحات على سيرة خالد بن الوليد أو عثمان بن عفان أو إنسان من ذوى الذكر كائناً من كان !

ويظن الكاتب الظريف أن (التقاليع) الأمريكية تنفع هنا كما تنفع فى أخبار المجالس والأندية وما وراء الستار وما أمام الستار

والتقاليع الأمريكية لا تنفع فى هذا الباب

لأنه يصح أن يذكر أن انتشار الزراعة أو الصناعة وما شابه ذلك من نظم الثروة وتوزيعها أمور فنية لهـا قوم مختصون بها ، هم الاقتصاديون والزراعيون وخبراء المال والنقد والمصارف والشركات ، ودخول الأدباء فى هذه المباحث افتيات على « وظيفة » أصحابها وتعطيل لعملهم الذى هم أحق الناس أن يلتفتوا إليه

ويصح أن يذكر أننا تناولنا من مسائل العصر الحاضر أهمها وأولاها بالالتفات والتحقيق وهى مسألة النهاية التى تصير إليها الحرب الهتلرية ، كما أوضحنا حقيقتها فى كتابنا (هتلر فى الميزان) . ولم تكن هذه المسألة غريبة عن مستقبل الوطنية فى مصر ولا عن مركز الاستقلال الحقيقى فيه ، ولكنها غريبة عن عقول طمسها الله ، فحمات من التبعات التى تجهل مداها ما تنوء به كواهل الأجيال

ويصح أن يسأل نفسه بعد هذا سؤالين وهما : ما هو الوقت الذى يسقط فيه حق التأليف بمضى المدة ؟ أهو خمسون سنة أو مائة ، أو عشرة أسابيع أو عشرة شهور ؟

وأين هى الأمة التى ليس لها حاضر ولا مستقبل ؟ ولماذا لم توجد أمة قط تركت الكتابة عن الماضى ولها حاضرها ومستقبلها فى كل دقيقة من الزمان !

فسنة ١٩٤٤ ليست هى الحاضر الوحيد الذى خلقه الله ، وسنة ١٩٤٤ ليست هي السنة الوحيدة التى اشتغل فيها الناس بمعيشتهم وبحثوا عن أسعار الخبز واللحم والقمح والقطن والشعير سنة ١٩٤٤ فى هـذا كسنة ٩٤٤ وكسنة ٩٤ وسنة ١٩٤٤ قبل الميلاد

كل سنة من هـذه السنين يا أخانا هى وقت حاضر ، وهى سنة يأكل فيها الناس ويشربون ويهتمون بأسعار اللحم والخضر وبمسائل الفقر والغنى ، وبمستقبل الصناعة والزراعة ، أو ما شابه الصناعة والزراعة من مصادر الأرزاق

ومع هـذا لم ينقض « عصر حاضر » قط حرمت فيه الكتابة عن الماضى البعيد أو الماضى القريب

ولم ينقض عصر حاضر قط شغل فيه الأدباء بواجب الخبراء الاقتصاديين والماليين والزراعيين ، مع أنهم لم يبلغوا من قبل ما بلغوه الآن من الكثرة والافتنان والتوسع فى الاختصاص ...

فلماذا يمتنع على الأدباء فى سنة ١٩٤٤ وحدها أن يكتبوا فى الأدب والتاريخ ، ويجب عليهم أن ينازعوا المختصين فى الشؤون الاقتصادية وهم كثيرون أكفاء ميسر لهم سبيل البحث فى هذه الشؤون ؟

١ ـ أحمد رامي

للأستاذ دريني خشبة

حاولت أن أكتب عن أحمد رامى غير مرة ، فكان الشعر يغازل قلمى ، وكانت الدنيا كلها تمتلئ بالغناء والموسيقا من حولى ، وكانت ترجمته تجتمع فى خيالى نشيداً طويلاً تاماً متسق الألحان متنوع النغم ، يضرب العقاد فى مثانيه من هنا ، والقصبجى فى مثالثه من هناك ، وبقية السادة النُّجُب ، أفراد التخت الموقر الخالد من فوق ومن تحت ، يلوِّنون ويفتنُّون ، والصوت الإلهى المقدس يشيع فى اللحن فيرف به فى القلوب ، ويملأ به المشاعر ، ويطوف به على العذارى والمحبين والمكلومين ، فيَطِب للكبد الحرَّى ، ويأسو الفؤاد المحترق ، ويكفكف الدمع فى المقلة المؤرقة ، ويرطب اللسان الظامئ ، والفم الغرثان ، بالأغانى الصامتة ، والآهات الخافتة ، فيسلى محب ، ويرق حبيب

وكنت فى كل مرة أستغنى بهذا الخيال الجميل الحلو عن الكتابة ، لأنه خيال روحى حى تمسخه الكلمات ، وتزيفه تراكيب الجمل ، ويُضَنّ به على هذا الهراء الذى يسمونه التحليل فى عالم النقد ، وأسميه التزييف فى دنيا الجمال ...

يتهمنى كثير من إخوانى القراء بأننى أسخو فى ثنائى على الشعراء الذين أختارهم للكتابة عنهم ، وابتسم لى الأستاذ الزيات مرة وأوصانى بالاقتصاد فى هذا الثناء ؛ فمن عذيرى إذا لم أجد مندوحة عن الثناء على رامى ! ... رامى الذى أغرم العالم العربى كله بأغانيه ، فأنصت إليها ، وتغناها ، وهتف بها ، وداوى بسحرها آلامه ، وأروى بسلسالها أوَامَه ، وجملها مشرع حبه ، وترنيمة وجده ، وتملَّة هواه

من منا أيها الإخوان لم يخل إلى نفسه فوجدها تردد أغانى رامى؟ ترددها راضية وترددها محزونة ، وترددها مشوقة وترددها هائمة وترددها فرحة مرحة طروباً ! مَن مِن أبناء هذا الجيل لم يملأ رامى عشرين عاماً من عمره السعيد المديد بما يمتلئ به قلبه من شعر وغناء ومحبة ؟ من منا لم تسحره منظومات رامى التى أودعها أسرار قلبه ، وسقاها مُنْهَلَّ دمعه ، وخلط بها دمه ونجوياته وأمانيه ؟ !

إن المعرفة الإنسانية يا أخانا ليس لها زمان

وإن النفس الإنسانية يا أخانا ليس لها زمان ، وليست هى من « مودل » سنة ١٩٤٤ دون ما تقدمها من السنين

فإذا كشف الكاتب حقائق المعرفة الإنسانية أو حقائق النفس الإنسانية فى سيرة خالد بن الوليد ؛ فهو قد كشف الحقيقة التى تبقى ألف سنة وألفى سنة بعد اليوم ، بل تبقى ما بقى الإنسان ونفس الإنسان ، يوم تكون مساحة الأرض الزراعية وعدد الآلات الصناعية فى سنة ١٩٤٤ عدماً فانياً ، كأنه لم يخلقها الله قط فى عالم الوجود

يصح أن يذكر الكاتب الظريف هذا كله ، ويصح أن يذكر معه أن إحياء الروح العربى والقومية العربية فى عصرنا هذا موضوع لا يجىء اليوم فى غير موعد ولا على غير أوان

انجلترا والولايات المتحدة تتحدث بالجامعة السكسونية ، وهى القوية الغنية عن الجامعات

والروح العربى لازم جداً فى هذا العصر ، لأن المذاهب الهدامة التى تهدد مستقبل الآدمية كلها تأبى أن تكون للأمم نخوة قومية ، أو نخوة لغوية ، أو نخوة دينية ، ولا تريد من الناس إلا أن يكونوا نقابة أجراء تشتغل بأسعار السوق وأحاديث الخضر واللحوم

ولهذا نحن نكتب عن خالد بن الوليد وعلى بن أبى طالب وعمرو بن العاص ، وكل بطل من أبطال التاريخ

وإذا فرغنا من كتبنا التى ندرسها الآن فأحب شىء إلينا أن نبحث عن بطل مضت عليه خمسة آلاف سنة لنخصه بالتقديم والتفضيل ، ونعتقد أن تقديمه وتفضيله أعون على التعريف بنفس الإنسان من أبطال العصر الحاضر ، لأن الناس يستغربون ما مضى من الأجيال ؛ فإذا رفعنا عنهم الغرابة كان هذا أدعى إلى التعريف بحقائق الإنسان

سنكتب عن هذا وأمثاله ما شئنا نحن أن نكتب فيه ، وشىء واحد لن نكتب عنه طال عليه الزمان أو قصر ، وهو الموضوع الذى يمليه علينا أعداؤنا الماركسيون مستترين أو مصرحين ، وهم فاهمون ونحن فاهمون

عباس محمود العقاد

إن رامى العظيم الخالد ، هو ذلك النبع الأول الصافى ذو الخرير ، الذى تفتأ الحائم الوُرق تحوّم من فوقه وتهوى إليه ، لتحسو من صفحته الحسوة والحسوتين تبل ظمأ وتشفى جُواداً ، ثم تسكن إلى الأفنان لتملأ الدنيا هديلاً ، وتبشر المحبين برسالة رامى ... رامى الذى يقول منذ ربع قرن :

تغلغل الحب فى فــؤادى تغلغل المـاء فى الغصون
وأرسل الحسن فى قريضى من نوره الواضح المبين
فجاء أحــلي من الأمانى يَسمن لليائس الغبين
وجاء أشجي من الأغانى نَدَّين بالوجـــد والحنين
يا ريشة الوهم صوّرى لى فى صفحة الخاطر الحزين
ما جف من يانع جَنِيّ وغاض من سلسل مَعِين
ويا طيور الخيال خفــى فى دولة الليـل والسكون
وابــكى فضاء صـــدرى ورجّعى من صدى أنينى
ورفرفى على فائت تقضّى ترفضّ من ذكره شئونى

ويخيل لى ، وأنا أردد هذا الشعر الجميل من شعر رامى الذى حفظته منذ ذلك العهد ، أن أحداً من الناس لا يستطيع أن يكتب عن رامى دون أن يغازل الشعر قلمه كما يغازل قلمى الآن .
وللكتابة عن الشعراء الممتازين أو الأدباء الممتازين خطط متنوعة سهلة كلها ، يسير على المؤرخ أو الناقد ... ولعل أصعب هذه الخطط وأشدها عسراً على الناقد أو المؤرخ ، هى تلك التى يغازل الشعر فيها قلمه ، فلا يدعه يقول ما يريد ، ولا يتركه يسير فى تلك السبل السهلة المعبدة التى سار فيها الكتاب قبله . فيبدأ بكلمة عن نشأة الشاعر والبيئة التى أرضعت بلبانها خياله وغذت بثمارها وجدانه ، وسلطت ظباءها وألوانها وأضواءها على قلبه تنوشه وتطبع على شغافه الأحمر والأصفر والوردى والبنفسجى ، وتضوّى سويداءه استمداداً لتلقى وحى السماء ... ثم يتناول بعد ذلك الظروف التى هيأت للشاعر قول الشعر ، ومما يتردد فى تلك الظروف من غزل ونظر ودعابة ، تنقلب آخر الأمر إلى قلب يرتجف ولسان يتلجلج ، ودمع يترقرق وعين مؤرقة ، وكبد محترقة وخيال كامل شامل يتسع للأرض والسموات ، ويد تتناول القلم ، هذا المخلوق العجيب ، فتسجل الآيات البينات ، ترسلها كلاماً موسيقياً موزوناً حافلاً بالمعانى الفريدة ، ثم يفرغ — أى الكاتب أو المؤرخ — إلى شعر هذا الشاعر ينقده ويزنه ، ويظل يقول لك هذا جيد وهذا ردىء ، وذلك متوسط ، وذاك غامض ، وتلك الفقرة لا معنى لها ، وهذا الشطر لا خير فيه ، حتى إذا كنت قد كونت لنفسك رأياً فى الشاعر قبل أن تقرأ هراء الناقد . وحتى إذا كنت قد أغرمت بشعره ، ورضيت عن طرائقه وموضوعاته ، تسلمك الناقد المحترم بآرائه فلا يدعك حتى تغثى نفسك ويتقزز خيالك ، وتمسخ الصورة الجميلة الرائعة الحبيبة فتصبح هولة أو سعلاة ...

أما الخطة التى يغازل الشعر فيها شباة القلم ، فلا تتأتى إلا إذا كانت ثمة صلة روحية بين الشاعر والناقد . ولقد أراد المرحوم الأستاذ صادق عنبر أن يكتب كلاماً ما يجمله مقدمة لديوان رامى ، فلم يستطع أن يقول شيئاً . ولكنه كتب سطوراً جميلة ، يحمل كل منها بيتاً منثوراً من الشعر ، لا يصله بالبيت السابق ولا يربطه بالبيت اللاحق سبب من الأسباب ... وإليك نموذجاً من أوائل هذه الأبيات :

عرفته فتياً يخف للشعر ويجتمع له ...الخ

وعرفته وقد لبس الشباب ، وإذا شمائل مرجوة الخايل ...

ثم عرفته شاعراً غزلاً يشبه أن يكون كالبهاء . فى الضحك والبكاء ...

وإنك لتراه ، فتقرأ شعره فيه ... وتقرأ له فتراه فى شعره ، اقدرق مزاج شعره ، وعذب على النفس اطراده ...

ويندر أن تلقاه إلا باكياً أو ضاحكاً ... فإذا بكى ... وإذا ضحك ... وهكذا إلى آخر الصفحات الثلاث التى قدم بها للجزء الأول من ديوان رامى الذى يشمل شعر صباه بين سنتى ١٩١٦ ، ١٩١٧

وأنا والله أعذر المغفور له الأستاذ عنبر وأطلب له من الله الرحمة ، فرامى من الشعراء الذين تصعب الكتابة الموضوعية عنهم ، وقد غازل الشعر قلم عنبر كما يحاول أن يغازل قلمى الآن ، وكما غازل قريحة شوقى — رحمه الله — حينما قدم للجزء الثانى من ديوان رامى بأبيات ثمانية يقول فى أولها :

ديوان رامى تحت حاشية الصبا عذب عليه من الرواة زحام
بالأمس بل صدى النهى وسنينه واليوم للتالى الولى سجام
شعر جرى فيه الشباب كأنه جنبات روض طلهن غمام
فى كل بيت مجلس ومدامة وبكل باب وقفة وغرام

والبيت السابع

أما زهير فقد سما (هرم) به وتسمون بشعرك الأهرام ...

على هامش ذكرى المعرى

«داعي الدعاة» مناظر المعرى

للدكتور محمد كامل حسين

— ٢ —

اتجه المؤيد إلى مصر حيث إمامه الفاطمى ، ومقر الدعوة التي كان يدين بها ، وفى طريقه كان يحدوه أمل باسم مشرق بما سيلقاه فى مصر من تقديم وتكريم لما قام به من جهود فى سبيل الدعوة وعلو كعبه فى علوم المذهب ، فقد كان إليه المرجع في عويص مسائله ، حتى أن داعى الدعاة الأكبر كان يرسل إليه يسأله ويستوضحه فى بعض المشاكل المذهبية ، لهذا كله بنى لنفسه فى الخيال قصوراً شامخة ، وعلا به خياله إلى الوصول أعلى المراتب ، ولكن هذا الأمل كانت تغشاه أحياناً سحابة مظلمة تطغى على فكره فتهدم مابناه خياله وتهبط به إلى الحضيض ، فبالرغم من اعتناق المؤيد لمذهب الفاطمى ، وبالرغم من شدة احترامه لإمامه حتى درجة التقديس كان المؤيد يعلم أن السلطة الحقيقية فى مصر ليست بيد الإمام إنما كانت بيد أم الإمام ، أو بمعنى آخر كانت بيد التسترى وكيلها ، ولم يكن التسترى يأبه بشئون الدعوة الفاطمية بقدر ما عنى بتركيز سلطانه وسطوته ، فخشى المؤيد أن لا يجد فى مصر ما كان يطمح إليه ، وكاد هذا التفكير يثنيه عن المضى فى رحلته إلى مصر ولكنه نظر حوله فلم يجد مكاناً يأوى إليه آمناً على حياته سوى مصر فمضى إليها حتى دخلها سنة ٤٣٧هـ . وذهب إلى دار الخلافة حيث قابل الوزير الفلاحى الذى رحب بمقدمه وأكرمه وأمر بأن تجهز له دار وصفها المؤيد بقوله : « فأخذونى إلى دويرة كانت فرشت لى هى من الكرامة فى الدرجة الوسطى من الحال ، لا بالإكثار ولا من الإقلال » وسمع الناس بمقدمه ، فتوافدوا على داره للترحيب به ونصحوه بالاتصال بالتسترى . فذهب المؤيد إليه ،

وإذا استثنينا البيت الثالث من هـذا الكلام العجيب ، طلبنا من الله لشوقى الرحمة ، كما طلبناها للأستاذ عنبر ...

ولعل أصدق كلمة قيلت فى شعر رامى هى تلك التى كتبها حافظ — رحمه الله — يحيى بها هذا الجزء الثانى الرائع من ديوان رامى ، الذى يجمع شعر صباه أيضاً (١٩١٨ — ١٩٢٠) . قال حافظ :

« أدمنت النظر فى شعر رامى ، فإذا به من ذلك النوع الحسن الذى يعجزك تمايل حسنه . تسمع البيت منه فيشيع الطرب فى نفسك قبل أن تعلم مأتاه ، وقبل أن يتطلع العقل إلى إلى فهم معانيه . ذلك هو شعر النفس ، وهو أرق مراتب الشعر

ورامى شاعر موفق الشيطان إذا تغزل أو وصف ، رقيق حواشى الألفاظ ، بعيد مرامى المعانى ، يقول الشعر لنفسه ، وفى نفسه ، فإذا جلس إليه ، وسنح له المعنى المصرى ، تخير له اللفظ السَّرِى

وهو كثير الاعتماد على نفسه فى شعره ، فلا يتسلق على كلام غيره ، وأثر ذلك بيّن فى غزله ووصفه ، فقد نحا فيهما منحى عصرياً جديداً ، أكرمهما فيه عن عنجهية البداوة ، وركاكة أولئك الذين تصدوا لقرض الشعر ، فوضعوا أمامهم مشقاً من الشعر الغربى ، وترجموا معانيه ، ولكن إلى ألا لفة ، فجاء أسلوبهم يرتضخ أعجمية ، وأسلوب رامى يتدفق عربية . فديوانه سلوة العاشق ، ونزهة المتأمل »

وحافظ رحمه الله صادق جداً فى معظم هذه النظرة السريعة المركزة فى شعر رامى ، وإن ظلمه بقصر نبوغه على الغزل والوصف ، إذ عبقرية رامى عبقرية متعددة النواحي ، إذا جاء الغزل وأسمار الغرام فى أولها ، لم يأت شعر الوصف فى المرتبة الثانية مباشرة ، بل سبقته ألوان زاهية زاهرة من شعر رامى .. فى مقدمتها ذلك الشعر الإنسانى الرفيع الذى سوف نتحدث عنه بعد أن نذكر لك هـذا الكلام الذى جرى الكتاب على إثباته والذى نعرف أكثره ؛ فنذكر أن رامى ولد بالقاهرة سنة ١٨٩٨ ، أى فى السنة التى عرفنا أن أخانا الشاعر المحبوب « ناجى » ، وأن شاعرنا الجليل الموهوب « عزيز أباظة » قد ولدا فيها . وأن والده كان طبيباً كبيراً معروفاً ، وأنه تخرج فى مدرسة المعلمين ، ثم زهد فى حرفة التدريس ففرغ لقرض الشعر مستميناً براتبه الحكومى ومنصبه فى دار الكتب ، وما تدره عليه أغانيه ودراماته الشعبية من ربح حلال لا أظن أنه ينتفع بمعظمه ، وإنما ينتفع به البائسون والمحتاجون ... (يتبع) دريني خشبة

وبالغ التسترى فى إكرامه ووهبه الأموال والخلع ، وأخذ يعده ويمنيه بل أراد أن يختص بالمؤيد دون غيره من وجوه المصريين، ولكن هذه الوعود كانت كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء فلم يف التسترى بما وعد بل كاد للمؤيد ومنعه من مقابلة إمامه المستنصر ، وزاد الطين بلة أن بعض المغرضين سعوا بالفساد بين المؤيد والتسترى ، وخوفوا التسترى من وجود المؤيد وقالوا له : « كيف تطوع لك نفسك أن تأخذ هذا الرجل الأعجمى المقام الذى أنت مخصوص به ، وما يؤمنك أنك إذا أدخلته أخرجك وإذا قدمته أخرك ، وهو أبسط منك لساناً وأقوى جناناً ، وهو يدل بعزة الإسلام والتخصيص بالدعوة والخدمه » فكان لهذا الكلام وأمثاله أثر فى نفس التسترى الذى قلب للمؤيد ظهر المجن وأوعز لبعض حاشيته للتحرش بالمؤيد حتى ضاق المؤيد ذرعاً ، كان يلتفت حوله فلم يجد له ناصراً ولا معيناً حتى الوزير الفلاحى لم يستطع مساعدته ومؤازرته فى هذا الوقت ، وهنا أجد فى سيرة المؤيد التى كتبها عن نفسه صورة دقيقة لحالة رجال مصر فى هذا الوقت ، ولا سيما لهؤلاء الذين يتنافسون للوصول إلى الحكم وإلى المؤامرات التى كان يدبرها بعضهم لبعض التى أدت إلى اضطراب البلاد ، والغريب أن يصدر هذا الكلام من رجل خدم الدعوة الفاطمية وأشاد بذكر الفاطميين وفضائلهم وتهكم بخصومهم ، ومع ذلك كله كان المؤيد فى سيرته مؤرخاً صادقاً صور حالة مصر كما هى دون تحيز لإمامه أو خوف ممن تناولهم من معاصريه ، فقد كانوا جميعاً يخشون ازدياد نفوذ المؤيد فعملوا جميعاً على الإيقاع به . لذلك فكر المؤيد فى الخروج من مصر بل استمد فعلاً للرحيل ، ولكن التسترى خاف من المؤيد إذا خرج من مصر فمنعه من الرحيل ليكون تحت رقابته ورقابة عيونه ، فاضطر المؤيد أن يكشف القناع عن هذا الرجل وأن يهجو التسترى فى كل مناسبة تتاح له ، فبسط فيه لسانه فى المجالس والأندية دون خوف أو وجل إلى أن قتل التسترى سنة ٤٣٩هـ

وصفا جو مصر للوزير الفلاحى الذى كان يعطف على المؤيد بعض العطف . لذلك نراه يسمح للمؤيد بمقابلة إمامه المستنصر . وتمت هذه المقابلة فى آخر يوم من شعبان سنة ٤٣٩ ؛ وهنا أترك للمؤيد وصف مقابلته الأولى لإمامه : « وكنت فى مسافة ما بين السقيفة الشريفة والمكان الذى ألمح فيه أنوار الطلعة الشريفة النبوية ، فلم تقع عينى عليه إلا وقد أخذتنى الروعة وغلبتنى العبرة وتمثل فى نفسي أننى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) ماثل ، وبوجهى إلى وجهيهما مقابل ، واجتهدت عند وقوعى إلى الأرض ساجداً أن يشفعه لسانى بشفاعة حسنة بنطقه ، فوجدته بعجمة المهابة معقولاً وعن مزية الخطابة معزولاً ، ولما رفعت رأسى وجمت على ثوبى للقعود ، وجدت بناناً يشير إلى بالقيام ، فقطب أمير المؤمنين خلد الله ملكه وجهه عليه زجراً على أننى ما رفعت به رأساً ، ولا جملت له قدراً ومكثت بحضرته ساعة لا ينبعث لسانى بنطق ولا يهتدى لقول ، وكلما استرد الحاضرون منى كلاماً ازددت إعجاماً ولعقبة العى اقتحاماً وهو خلد الله ملكه يقول : « دعوه حتى يهدأ أو يستأنس » ، ثم قمت وأخذت يده الكريمة فترشفتها وتركتها على عينى وصدرى وودعت وخرجت »

وعين المؤيد بعد ذلك حاجباً على باب المجلس الذى يدخل منه إلى أم الخليفة المستنصر الفاطمى ، حتى يكون على صلة دائماً بإمامه ، وقنع المؤيد بهذا العمل المتواضع لا لشىء إلا لأنه سيكون على قرب من الإمام ، ولكن اليازورى خليفة التسترى ، خشى مغبة اتصال المؤيد بالمستنصر فعزله بعد ثلاثة أشهر واشتدت نكبة المؤيد بقتل الوزير الفلاحى وتولية الجرجرانى الوزارة بعده، فقد كان هذا الوزير الجديد يخشى على مركزه وسلطته من المؤيد ، فعادت إلى المؤيد سيرته الأولى من كثرة الأعداء حوله وعن ذلك يقول المؤيد « وتحيرت فى شأنى لا أفتح عيناً إلا على عدو ، ولا أرى فى جهة من الجهات إلا ضمير سوء » : فصمم المؤيد على السفر من مصر ، وبلغ اليازورى ذلك فاستدعاه وأقنعه بالعدول عن عزمه ، فظن المؤيد أن هذا التبليغ بإيعاز من المستنصر فاضطر إلى الخضوع ، ولا سيما وقد أصبح اليازورى الداعى الأكبر ، وكان اليازورى ، كما وصفه المؤيد رجلاً عاطلاً من المواهب التى تؤهله لرتبة الدعوة ؛ فأراد المؤيد أن يتقرب إليه وأن يصلح علاقته معه ، فاتفقا على أن يضع المؤيد المجالس والمحاضرات التى يقرؤها داعى الدعاة عادة كل يوم خميس على أتباع المذهب ، واجتهد المؤيد فى تحسين وتجميل هذه المحاضرات حتى

يعلم اليازورى أن المؤيد قد أخلص الخدمة له ، واستمر الأمر على هذا المنوال مدة طويلة كان اليازورى يلقى المحاضرات التى كتبها المؤيد وكأنها من إنشائه حتى ولى اليازورى الوزارة سنة ٤٤٢ ، فلم يشك الناس فى أن أمر الدعوة صار إلى المؤيد ، دون غيره ، ولكن خاب فألهم إذ ندب لها أحد بنى النعمان واعتذر اليازورى للمؤيد بكلام خفف آلامه بعض الشيء ووعده وعداً حسناً ، وانتظر المؤيد الوفاء بهذا الوعد ، ولكنها لحقت بالوعود الأخرى ، فاشتد حنق المؤيد ، وأرسل إلى الوزير يهجوه ، فتوعده الوزير وهدده ، والمؤيد كعادته لم يأبه بوعيد ولم يخش من تهديد ، فاستمر فى حملته ضد الوزير وانقطع عن لقائه سبعة أشهر إلى أن كانت ثورة بنى قرة وانتصار الجيش فى قمع هذه الثورة سنة ٤٤٣ وسارت الوفود لتهنئة الوزير ، فألح أصدقاء المؤيد عليه أن يذهب معهم للوزير ، ففعل مرضاة أصدقائه ، وسر الوزير لقدومه وعينه بعد ذلك رئيساً لديوان الإنشاء ، وضاعف فى رزقه فتحسن حاله ومع ذلك كانت أحواله مع اليازورى بين الرضى والغضب ، وكل ذلك مرجعه إلى طموح المؤيد وطمعه فى الوصول إلى درجة داعى الدعاة

ظل المؤيد صاحب دار الإنشاء فى مصر إلى أن سمع بدخول طغرلبك التركمانى مدينة الرى سنة ٤٤٦ ، وبحكم عمله بدار الإنشاء علم بأن البيزنطيين اتفقوا مع السلجوقيين لغزو أملاك الفاطميين فى الشام وأعالى الجزيرة ، فعمد المؤيد إلى المكر والخديعة ، فكاتب الكندرى وزير طغرلبك وكاتب غيره ممن توهم أنهم على اتصال بالسلجوقيين ، واجتهد فى أن يستميلهم جميعاً للمذهب الفاطمى وإلى مساعدة الفاطميين ضد البيزنطيين والعباسيين ، وكان يرمى بذلك إلى هدفين ، إما أن ينجح مسعاه ويدخل القوم فى الدعوة الفاطمية أو أن تصل إلى مسامع الخليفة العباسى أمر هذه المكاتبات ، فلا يطمئن إلى طغرلبك وصحبه ويحاربه ليبعده عن أملاك الدولة العباسية ، ولكن جيوش طغرلبك زحفت إلى العراق وخطب له على منابر بغداد سنة ٤٤٧ ، وسمع المؤيد بهروب البساسيرى من بغداد خوفاً من التركمانية ؛ فانتهز المؤيد هذه الفرصة وكاتب البساسيرى ووعده بالأموال والسلاح ليحارب السلجوقيين باسم الفاطميين ، ومن الطبيعى أن يرحب البساسيرى بالعمل باسم الخليفة الفاطمي ، وأرسل إلى المؤيد بذلك ، فذهب المؤيد إلى الوزير اليازورى وأطلعه على هذه المكاتبات فوافقت هوى الوزير ، واستعد الفاطميون فى تجهيز الأموال والخلع والسلاح التى وعدوا بها البساسيرى ، ولكن اليازورى لم ينس للمؤيد تصرفه هذا بدون استشارته فى أول الأمر ، وانتهز هذه الفرصة لاقتلاع المؤيد من مصر لازدياد نفوذ المؤيد فى البلاد ؛ فقد اكتسب المؤيد فى هذه الفترة الطويلة احترام وحب عدد كبير من المصريين وخاصة بعض حاشية الإمام المستنصر . لذلك نرى اليازورى يعهد إلى المؤيد أن يكون على رأس الركب المسافر بالأموال والخلع ؛ فاعتذر المؤيد وأدرك من توه ما كان يجول بخاطر اليازورى ، ولذلك كان يقابل مكر الوزير بمكر أشد منه وأقوى ، حتى كاد اليوم الذى حددوا فيه السفر تمسك الوزير بأذيال المؤيد ، وأخذ يستعطفه ويلح عليه بأن يتولى توصيل الأموال إلى البساسيرى ، والمؤيد يمعن فى الرفض كلما أمعن الوزير فى الإلحاح ، حتى اضطر الوزير أن يقول للمؤيد : « افتقرنا إليك وافتقرت الدولة والإسلام والمسلمون ، وديانتك تقتضى أن تصرخ صريخهم وتجير مستجيرهم » . فسخر المؤيد من كلامه هذا ، وأجابه متهكماً : « سبحانى سبحانى إن كنت بهذه المثابة ومحلاً لهذه المخاطبة ! » ولكن الوزير ازداد إلحاحاً واشتد دفع المؤيد ، وأخيراً قبل المؤيد أن يتولى هذا الأمر بشرط أن يخرج توقيع الإمام المستنصر بأن لا يوجه إليه لوم لو فشل فى مهمته ؛ فأجيب إلى ذلك وصدر التوقيع وبه الإنعام على المؤيد بخلع الوزارة ، ودعى المؤيد للبسها ولكنه رفض ، واعتذر عن ذلك مفضلاً أن يظل فى زى أهل العلم

وأخذ الركب فى السير بين جلبة عظيمة ، والناس فى عجب من أمر المؤيد الذى قبل السفر فى هذه المهمة الشاقة ؛ فقد كان مقدماً على خطر جسيم وعمل لا يستهان به ، وهو قلب نظام الحكم فى العراق وإسقاط الدولة العباسية . والغريب حقاً أن يطلب المؤيد ألا يصطحب معه جنداً وأكتفى بما معه من خزائن المال والسلاح

تجاوز الركب حدود مصر فى طريقه إلى الرحبة ، وكان اليازورى قد نصح المؤيد بالابتعاد عن ابن صالح الردامى صاحب حلب ، لأنه نقض عهد الفاطميين واستقل ببلاده ، فصار عدواً للفاطميين بعد أن كان تابعاً لهم ، ونصحه كذلك أن يصطنع عدداً من الكلبيين ليحاربوا مع البساسيرى ، فكانت هذه النصائح موضع تفكير المؤيد طول سفره ، حتى بلغ دمشق

ما هذه الحرب وما وراءها؟

للأستاذ توفيق حسن الشرتوني

لم يبق في المعمور قطر مهما يكن قصياً عن مناطق القتال ، لم يصطدم بشظايا هذه الحرب ، ولم يحمّل عبء ويلاتها وشرورها . إنها لعمري حرب غريبة بفظائعها وأهوالها ، خارقة بعددها ومعداتها ، فاقت كل حدس وتخمين ، وبزت أقاصيص الجن وأساطير الأقدمين

فالتاريخ لم يرو لها مثيلاً في كثرة الضحايا واتساع الجبهات ، وجسامة التخريب والتدمير . لقد شملت نارها العالم بأسره ، حتى أمسى لا يأمن مغبتها الطفل النائم في سريره ، ولا الراتع في أحضان أمه ، ولا المريض المستلقي على فراشه ، ولا الشيخ القابع في داره ، ولا الساكن مشارف الجبال ، ولا العائش في بطون الأودية ومطاوي الأدغال

صدام فظيع هذا الصدام البشري الهائل الذي لم يبق ولم يذر . فالمدن التي يجتاحها يدعها قاعاً صفصفاً ، والأرض التي يعركها يجعلها خراباً يباباً . كيف لا والسابحات في الجو تدك أمنع الجبال دكاً ، وتهتك أوعر الفاوز هتكاً ، والغائصات في اليم تقد بطن العباب قداً ، وتبلغ أعمق الأغوار خداً . والقاطمات البيد تنهب أرذل القفار نهباً وتقطع موحش المجاهل قطعاً وهي تنشر الموت والدمار في كل مكان

فأين المفر من حرب طاحنة كهذه الحرب . أضرم نارها جنون الإنسان على أخيه الإنسان ، وأثارها حرباً شعواء تقذف نيران الجحيم من آلاتها الجهنمية ، فتتلف الضرع والزرع وتفتك بالإنسان والحيوان ، وبكل ما هب ودب على سطح الأرض وما تمخض في أحشائها

خمسة أعوام تصرمت على هذه الحرب ، أو تكاد تتصرم . تحمّل منها البشر ما لم تتحمله القرون ، وبذلوا في ساحاتها الأرواح بالملايين ، والأموال « بالبلايين » وضحّوا من تراث الحضارة ومن مخلفات الآباء وآثار الأجداد بما لا يقدر بثمن ولا يعوض بأجيال

والحرب دائرة بعد ما خمد أوارها ، ولا خفتت نارها ، وهي ما تزال مسعرة تتأجج لهيباً وتزداد ضراماً

أيود الإنسان الغافل أن يروى الأرض بالدماء ، ويغمرها بالخراب . فيقضي قضاء مبرماً على أينع ما في الدوحة البشرية من مخضلّ الغصون . ويلوى على البقية الباقية من ذخائر الحقب ونفائس الدهر التي هي خلاصة العقل البشري ونتاج جهاده على مر العصور والدهور

أما كفى البشر ما قاسوه حتى الآن من فظائع التقتيل والتخريب ، وما كابدوه من ضروب الشقاء والحرمان ! وما تحملوه من وطأة الأوبئة والمجاعات !

لقد هللوا كثيراً لاختراع السيارات والطيارات واستبشروا خيراً بتقدمهم الباهر في صناعة الكيمياء واللاسلكي ، وعدّوا العصر الذي نعيش فيه عصراً للرخاء البشري والتمدن العالي . فكانت النتيجة كالعسل الممزوج بالسم يحلو طعمه ويقتل مذاقه كيف لا وقد انقلبت السيارات الوفيرة في هذه الحرب الآلية الطاحنة دبابات تزرع الويل والثبور ، وتبدلت الطائرات

ومكث ليستريح قليلاً ، نراه يكاتب ابن صالح ويعرض عليه العودة إلى الدعوة الفاطمية ، بل يطلب منه مساعدته في حروب العباسيين ، وأخذ يمدح ابن صالح في كلام طويل أثبت المؤيد نصه في سيرته ، ولست أدري كيف استجاب ابن صالح إلى المؤيد ؛ فأعاد الخطبة على المنابر باسم المستنصر الفاطمي ، وذهب هو نفسه لمقابلة المؤيد الذي خلع عليه ولقبه بتاج الأمراء . ثم نرى ابن صالح وجيشه ينضمون إلى المؤيد ويسيرون معه لمحاربة العباسيين ، والواقع أن تحول ابن صالح بسهولة تعد من أغرب ما ذكره المؤيد ، لأن المؤيد استطاع بخطاب منه أن يكبح جماح ثائر له خطره وقوته ، بل استطاع أن يتخذ منه عوناً وعضداً . ثم استطاع أن يسترجع حلب إلى أملاك الفاطميين ، كل ذلك تم بخطاب من المؤيد إلى ابن صالح . أما الأسباب التي جعلت بن صالح يقبل هذا كله فهذا ما لم نستطع تعليله

(يتبع)

الدكتور
محمد كامل حسين
بكلية الآداب بالقاهرة

الجالبة الغبطة والحبور قاذفات تلق على الأرض أفدح الشرور . هكذا الأجهزة اللاسلكية والسوائل الكيماوية التي كانت نعماً للأرواح والأبدان قد تحولت جحيماً لاهبة وغازات خانقة ...

ما شاء العلماء ولا أئمة الفكر والاختراع أن يجنوا على الإنسانية بمختلف علومهم ومستحدثاتهم . فهم صفوة خلق الله وأكثرهم نفعاً لعباده . لكن الغريزة البشرية المرتكزة على الجشع وحب الأثرة هي التي تحول الخير شراً والعلم ضراً . وستبقى هكذا عائشة في مقررات الحياة البشرية ما دامت وسائل علاجها مستعصية على مدارك علماء النفس والجسد ، وسر إصلاحها مغلقاً في وجوههم

ولهذا أعتقد أن الأخلاق الشاذة والغرائز الملتوية في هذا الكائن المجهول الذي يُدعى الإنسان ، لا تتعدل ولا تتغير ، بمجرد تعديل الأنظمة أو تغيير القوانين . فمهما يُبدع المصلحون والمشترعون يظل إبداعهم حبراً على ورق ، ما لم يؤتوا علماً راهناً يسيطر على الغرائز البشرية نفسها ، ويتمكن من التحكم في عناصرها الأصلية ، ليتم له تعديل نزعاتها وتوجيهها توجيهاً صالحاً لقبول الأنظمة المستجدة والشرائع المستحدثة

فنتائج الحرب الماضية ما تزال ماثلة للعيان ، وهي حرب تعد في مجموع خسائرها أعظم حرب عرفها التاريخ — ما خلا هذه الحرب — زُهقت فيها الأرواح بالملايين ، ناهيك بفظاعة تدميرها ، وفداحة الأوبئة والمجاعات التي انتشرت بسببها في معظم أنحاء الأرض ، وفتكت بالناس فتكاً ذريعاً ، حتى أمست ضحاياها تزيد على ضحايا المعارك زيادة هائلة

فماذا جنت الإنسانية من هذه الخسائر الجسيمة ؟ لقد انتهت تلك الحرب المشؤومة وأسفرت عن عصبة أمم كسيحة ، لم تقو يوماً على تطبيق الشرائع والأنظمة التي استحدثتها لسلامة الأمم والشعوب . ولم تتمكن من مجابهة المغيرين الذين كانوا ينتهكون حرمة قوانينها ويعبثون بشرائعها . والاعتداء على بلاد الأحباش وعلى الصين ، وبقاء العصبة مكتوفة اليدين تجاههما ، يدل دلالة واضحة على إفلاسها

غير أنها ولو باءت بالفشل وانتهت بالهزيمة ؛ فإنشاؤها عقيب الحرب الماضية بمد محاولة في سبيل الإصلاح . وهي لعمري محاولة لها قيمتها ووزنها في ميدان التجدد الفكري واليقظة الاجتماعية . لأنها برهن على الوعي البشري الذي شمل العالم المتمدن ، حتى أصبح يرى من الضروري إنشاء عالم أفضل من عالمنا ، يحفظ حقوق الناس على اختلاف أجناسهم ، ويسبغ عليهم جميعاً نعم الحياة وخيراتها

أجل إن عصبة الأمم لم توفق لإنشاء هذا العالم المنشود . وقد جرنا فشلها وفشل ما سبقها من المعاهدات الناقصة إلى هذه الحرب الضروس التي أثقلت كاهل الإنسانية . فأقفرت أرضها ودُكت معالمها ، ويُتم أطفالها ، وقُضى على خيرة شبابها

فما وراء هذه الحرب ، أرخاء ووفاق يشمل العالم بأسره ، أم بلبلة وشقاق ؟ لا أدري . لكني أتفاءل خيراً بتدرج الإنسانية نحو المثل العليا التي تضمن سلامها ورخاءها ورقيها

فميثاق الأطلنطي بادرة أمل ورجاء . إذا تمكن العالم في الغد من تطبيق بنوده وتعميم نفعه ، صحت الآية القائلة : على الأرض السلام والرجاء الصالح لبني البشر

ولكن لا يعزب عن بال المصلحين أن الطبيعة البشرية أمارة بالسوء . فمن الواجب درسها وتمحيصها على ضوء العلم ، والتغلغل في أعماق جذورها ، لتفهم عناصرها واستقصاء أطوارها . فعندئذ لا يصعبُ على البشر أن يتبينوا لها طريقاً قويماً . فبمقدار ما تصلح الطباع البشرية يصلح الكون

(بيروت) **توفيق حسين الشرتوني**

---

٨ - القـــرآن الـكريم
فى كتاب النثر الفنى

« إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا »
[قرآن كريم]

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

لم نفرغ بعد من إفك صاحب النثر الفنى

فالمسلمون كافة يدينون بأن القرآن كلام الله ليس لإنسان فيه حرف ، وصاحب النثر الفنى يتكلم عن القرآن كأنه كلام النبى ، ويبنى على ذلك فى بحثه ما قد بنى . وقد أوردنا على ذلك النصوص من كلامه فى كلمتينا الرابعة والخامسة ، لكننا قلنا فى كلمتنا السادسة إننا لن نحتاج إلى تكرار نص إذا لج زكى مبارك العناد فألجأنا إلى معاودة الاستشهاد

فهاك نصاً لم نذكره يجمع صنوفاً من الجهل وسوء الأدب قال من فصل النسيب صفحة ١٤٧ من الجزء الأول :

« ولم نجد فى المجموعات الأدبية مختارات نثرية فى النسيب لأن مصنفى المجموعات كانوا يفهمون أن الغزل لا يخرج عن الأنفاس الشعرية » . وقد كشف بقوله هـذا عن قلة اطلاع ، لأن كتاب (النثر المختار) يحوى أكثر من نص طويل من النثر الجاهلى فى النسيب على مذهبه ؛ لكن لا علينا ، فليس هذا من همنا الآن وإنما همنا ما كتب عقب كلامه السابق عن القرآن قال :

« غير أننا نجد فى النثر لأقدم عهوده نماذج غزلية كالذى وقع فى القرآن وصفاً للحور والولدان نحو :

(وحور عين ؛ كأمثال اللؤلؤ المكنون)

ونحو : (ويطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين)

وكما جاء فى سورة الواقعة :(١)

(إنا أنشأناهن إنشاء ؛ فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً)

فهذه كلها أوصاف تدخل فى باب النسيب . ونسب إلى إحدى النساء حديث فى وصف الرسول هو أيضاً نسيب ، لأنها تكلمت عن أوصافه الحسية التى تبين أنه إنسان جميل ، ووصف الجمال من ألوان النسيب . ثم جاء القصص الغرامى الذى شاع فى عصر بنى أمية وأول عصر بنى العباس »

وأول ما نلاحظ على كلامه أنه أدرج القرآن مع كلام البشر فى فصل من باب عقد لبحث خصائص النثر الفنى فى القرن الرابع ، وكلامه السابق مقدمة هذا الفصل ليريك فى زعمه تطور النسيب والغزل فى النثر من أقدم عهوده إلى القرن الرابع ، فهو بهذا يقول بلسان الفعل والتطبيق أن القرآن من كلام الناس ، يحشر مع كلام الناس ويصنف مع ما يناسبه من أصناف كلام الناس . والصنف الذى وضع فيه الآيات السابقة هو الغزل والنسيب

فهل قرىء أو سمع فى الأدب العربى قبل كتاب النثر الفنى أن القرآن به غزل ونسيب ؟ هل سمع أو قرىء لباحث مسلم أو غير مسلم قبل أن يكتب زكي مبارك كتابه أن آيات سورة الواقعة من الغزل والنسيب ؟

ما هو الغزل وما هو النسيب عند الأدباء وعند كل الناس ؟ أليس هو فى أضيق حدوده إعراب إنسان عن الافتتان بجمال إنسان ؟ فأى ركن من هذه الأركان يمكن أن يطبق على ما ذكر زكى مبارك من نصوص القرآن ؟ دع عنك ما يصحب الغزل عادة من التمنى الظاهر أو المستتر ، فهل ذلك الوصف للحور فى الآخرة يمكن أن يعد غزلاً بأى وجه من الوجوه ؟

إن أحداً لم ير الحور ، حتى يفتتن فيصف . وليست الحور من متاع الدنيا ونعيمها حتى يكون وصفهن ووصف نساء الدنيا من باب سواء . ولو تخيل كاتب أو شاعر نساء القرن الآتى فوصف من جمالهن وبالغ ما عد أحد ذلك من الغزل ، فكيف يمكن أن يكون من الغزل جمال وصف الحور فى الآخرة وهن من الغيبيات عند المؤمنين ومن الخياليات عند الملحدين ؟

ولنفرض أن الحور حاضرات يراهن فى الدنيا كل إنسان ، أفيعد جمال وصفهن من الغزل والنسيب ؟ إن وصفهن عندئذ يكون مثل وصف نساء قطر من أقطار دنيانا هذه ، فهل يعد

---

(١) الآيات كلها من سورة الواقعة
والشاهد الثاني صحته (يطوف عليهم) من غير واو وإن ورد فى الكتاب بالواو كما نقلنا

هذا غزلاً ونسيباً ، أم الغزل يقتضى تخصيص أنثى معينة أو أناث معينات بالافتتان أو الإعجاب ؟

وعلى أى حال فمن هو المفتتن المعجب بالحور العين فى القرآن ؟ إن الغزل يستلزم متغزِّلاً كما يستلزم متغزلاً فيه . يستلزم شاعراً أو كاتباً فى طرف ، كما يستلزم أنثى – أو غير أنثى فى مذهب صاحب النثر الفنى – فى الطرف الآخر . فما هو الطرف الذى منه الافتتان فالوصف فى القرآن ؟ محمد بن عبد الله ؟ ! إذن لقد دار البحث ورجع إلى نفس النتيجة التى ظهرت من الأول : أن صاحب النثر الفنى يرى القرآن من عند محمد لا من عند الله ، إذ لا يمكن أن يجوز أن يصدر من الله جل جلاله غزل أو نسيب

لقد كان فى نفس النصوص القرآنية التى أوردها ذلك المغرور المتعالم ما يرده إلى صوابه لو كان يبحث حقاً ، فقد عد من النماذج الغزلية فى القرآن الآيات الكريمة (إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكاراً . عُرباً أتراباً) . وهذا الكلام لا يمكن أن يكون من قول مخلوق ، بشر أو غير بشر ، لأنه لا يمكن أن يستقيم فى عقل عاقل أن يكون أحد من الخلق أنشأ أو ينشئ صنفاً من النساء إنشاء فى الدنيا فضلاً عن الآخرة . وإذا حاول مكابر أن يتجاهل دلالة المصدر ليصرف فعل (أنشأ) عن معناه الحقيقى إلى معنى مجازى يمكن أن يقوم به بشر ، فقد حال الله سبحانه بينه وبين ذلك بقوله تعالى : (فجعلناهن أبكارا) ، لأن الله وحده هو الذى يخلق الأنثى بكرا ، لا يقدر على ذلك غيره سبحانه . أما البشر أجمعون فيعجزون حتى عن أن يردوا الثيب بكراً مهما حاولوا . فضمير المتكلم فى تلك الآية الكريمة لا يجوز فى عقل أن يرجع إلى محمد أو إلى غير محمد من العرب أو من الخلق أجمعين . لا يجوز ولا يمكن أن يرجع ضمير المتكلم فى تلك الآية إلا إلى الخالق سبحانه ، فهو دليل قائم ومذكر دائم أن القرآن ليس من كلام مخلوق ، فلا يجوز أن يجريه أحد مجرى كلام البشر كما فعل زكى مبارك حين أجرى تلك الآيات الكريمة – وكلها من سورة واحدة – مجرى الغزل ، وحشرها بجهله وسوء أدبه فى فصل النسيب ، برغم خلوها من كل شرط من شروط الغزل والنسيب

على أن خطل زكى مبارك لم يقف به عند أمر الحور بل جمله يتعداهن إلى الولدان ، فاجترأ على أن يدخل فى باب النسيب قوله تعالى فى أهل الجنة : (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق ، وكأس من معين)

وليس يدرى أحد ماذا فى هذه الآية الكريمة مما يمكن أن يدخل فى النسيب من قريب أو من بعيد حتى على فرض أنها من قول النبى لا من قول الحق سبحانه . فالأكواب والأباريق والكأس لا يمكن أن يعد ذكرها من باب الغزل بحال ، حتى لو كانت من خمر تغتال العقل ؛ فكيف وهى من معين لا يصدع ولا يغتال كما أخبرنا الله سبحانه فى الآية التى بعدها ليحول بين العقلاء وبين إنزال نعيم الآخرة منزلة ما يألف الناس فى الدنيا ، وليبطل إفك آفك إن زعم أو أراد أن يزعم أن الآية من الغزليات أو الخمريات . وما هى الآية التى بعدها ؟ هى قوله تعالى : (لا يُصدَّعون عنها ولا يُنزِفون) . واسأل صاحب النثر الفنى – البحاثة المتجرد عن الهوى – لماذا لم يذكر هذه الآية عقب أختها ليتم المعنى وليكون القارئ على بينة من الأمر وهو يقرأ لصاحب الكتاب إفكه المبين ؟

لقد عرف صاحب الكتاب أن ذكر الآيتين معاً يفسد معناه ويفوت عليه غرضه . وغرضه أن يوقع فى نفس القارئ أن الوصف وصف مجلس شراب كالمعروف فى الأدب الخليع ، إذ ماذا تنتظر من شرب بين خمر وولدان ؟ فهذه هى القرينة الوحيدة التى أراد زكى مبارك أن يأتفكها ليصح له أن يقول إن آية (يطوف عليهم ولدان مخلدون) هى من باب الغزل والنسيب ، وليوحى إلى القارئ أن ما سماه بعد فى نفس الفصل بغزل المذكر كان معروفاً عند العرب ، أو سيكون معروفاً فى الجنة ، أو ما شاء الشيطان أن يسخر صاحب الكتاب لنفثه وبثه فى الصدور والنفوس . فان لم يكن هذا من مقصود صاحب

الكتاب ومراده ؛ فليخبرنا وجهاً آخر يمكن أن تدخل به تلك الآية فى الغزل والنسيب بأى شكل أو على أى احتمال ، مع أنه ليس فيها إلا مجرد لفظ الولدان ، وليس فيها من وصفهم إلا أنهم « مخلدون » . فليسوا من ولدان الدنيا التى علم منزل القرآن سبحانه أن سيجعل الشيطان لبعضهم أوصافاً لا تليق ، فنزههم سبحانه عن تلك الأوصاف بقرينتين مانعتين : وصفهم بالتخليد ، ووصف ما يحملون من شراب بأنه ليس مما يصدع الرأس أو يغتال العقل ، وذلك فضلاً عن القرائن الأخرى المنبثة فيما قبل هاتين الآيتين وما بعدها من الآيات .

وبعد فإن من أعجب عجائب القرآن الكريم وأروع مظاهر إعجازه أن تأبى آياته الكريمة هذا الإباء على من يبغيهن عوجاً ، أو يبتغى لهن نقصاً ، كهذا الذى أراد أن يجعل منهن غزلاً ونسيباً ، وقد أكرمهن الله ونزههن وأعزهن أن يكون بهن غزل أو نسيب . ولو أفلح زكي مبارك أو غيره فى مثل ما ابتغى وبغى ، لكان ذلك الغزل والنسيب من كلام البشر ، ولما كان القرآن هو القرآن الذى وصفه الله سبحانه بقوله : (وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد) . وقد رأيت مثلاً من عزة القرآن كتاب الله ، ورأيت كيف يرتد عنه الباطل مقهوراً مدحوراً لم ينل من قدس القرآن وحماه شيئاً ، ولم يعلق بذلك القدس والحمى منه شيء .

فالقرآن يدفع عن نفسه هذا الدفاع العجيب ، ويمتنع من عدوه ذلك الامتناع التام الأشم ، امتناع الحق من الباطل . وكل الذى يلزم لإدراك ذلك عقل يدرك وقلب يفقه ونية خالصة لله لا تعرج على ما سواه ، وهى صفات تجتمع للمسلم حيناً ويعز اجتماعها كل حين

ومهما يكن من أمر الناظر فى القرآن ، فالقرآن فيه دلائل الإعجاز لمن يبصرها ، وفيه كل قوى الحق ليس فى الوجود ما يقهرها . (والله متم نوره ولو كره الكافرون)

محمد أحمد الغمراوى



حول بعث القديم

للأستاذ محمد خليفة التونسى

قرأت مقال الدكتور محمد مندور الذى نشرته الرسالة فى عددها (٥٧٢) فى «بعث القديم» وقد عنت لى عليه الملاحظات الآتية :

أولاً : ذهب الدكتور إلى أننا لم نستخدم الطباعة إلا فى سنة ١٨٢٢ ، ولا أدرى إلى أى مطبعة يشير الدكتور ، ولكنى أرجح أنه يشير إلى المطبعة التى أسسها محمد على باشا ، ولو رجعنا إلى كتب التاريخ حتى ما كان فى أيدى صبية المدارس الابتدائية فضلاً عن كتب تاريخ الأدب العربى فى العصر الحديث لوجدناها تذكر أن هذه المطبعة أسست سنة ١٨٢١ وإن اختلف فى اسمها فهى تدعى المطبعة الأهلية أو المصرية أو مطبعة الباشا أو بولاق والإسم الأخير أشهرها[1]

ثانياً : ذهب فى الكلام عن الجمعيات التى تألفت لنشر الكتب — إلى أن جمعية المعارف أسسها محمد عارف باشا وأنها لا ترجع إلى أبعد من سنة ١٨٦٠ ، وجمعية المعارف إنما أسسها ابراهيم بك المويلحى سنة ١٨٦٧ . قال الدكتور تشارلز آدمس فى ترجمته : « وأسس حوالى سنة ١٨٦٧ جمعية سماها « جمعية المعارف » لتعمل على نشر الكتب العربية القديمة . وأنشأ أيضاً مطبعة سماها باسم الجمعية لنشر مثل تلك الكتب »[2]

وذكر الأستاذ الزيات سبب إنشائها فقال فى ترجمته بعد أن ذكر إفلاسه فى التجارة ، وفشله فيما ولاه الخديو اسماعيل من مناصب : « وجاءت وزارة شريف تريد أن تضع الدستور الأول فكان المويلحى ممن اختيروا لوضع (اللائحة الوطنية) ولكن آماله كانت تسفر دائماً عن الفشل، فابتغى الوسيلة إلى الرزق فى الكتابة والنشر ، فأنشأ « جمعية المعارف » لطبع الكتب القيمة وإذاعتها فى مطبعة اشتراها لنفسه »[3] واسماعيل لم يل مصر إلا فى سنة ١٨٠٣ والمويلحى لم يؤسس الجمعية والمطبعة إلا بعد وضع اللائحة الوطنية ، ومجلس شورى النواب الذى وضعت لائحته الوطنية فى وزارة شريف لم يفتح إلا فى ١٩ نوفبر سنة ١٨٦٦ وهذا مما يرجح أن إنشاء الجمعية كما قال الدكتور تشارلز آدمس كان سنة ١٨٦٧ . وقد ذكر المفصل أن تأسيس المطبعة كان سنة ١٢٨٥هـ وهى توافق سنة ١٨٦٧[1]

ثالثاً : بعد أن أشار الدكتور إلى جمعية المعارف السابقة وأنها لا ترجع إلى أبعد من سنة ١٨٦٠ قال ما نصه : « إلا أن حركة البعث أقدم من ذلك بكثير فهى لم تنتظر تكون الجمعيات لتبدأ ، ولعل انتشار الأفكار الأوربية بفضل أعضاء البعثات كان من أهم الدوافع لهذا البعث ، فرجل كرفاعة الطهطاوى قد فطن بلا ريب أثناء إقامته بفرنسا إلى أن النهضة الأوربية التى رآها قد ابتدأت بحركة بعث قوية للآداب القديمة لاتينية ويونانية ، ولهذا كان يؤمن بأن نهضة بلادنا لا يمكن أن تعتمد على النقل عن أوربا فحسب ، بل يجب أن تمضي إلى جانب ذلك ببعث القديم العربى »

وإن البعث قد بدأ قبل رفاعة الطهطاوى وليس الدافع إليه انتشار الأفكار الأوربية أولاً بل الدافع الأول الحاجة إلى ترجمة الكتب عن اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، فليس انتشار الأفكار الأوربية من أهم الدوافع إذ ذاك ولا هو منها فى شىء . والترجمة بدأت على التحديد فى سنة ١٨٢٧ ، وهى السنة التى أسس فيها محمد على باشا مدرسة الطب فى أبى زعبل وجلب لها الأساتذة من أوربا وأسند رياستها إلى الدكتور كلوت بك . وكانت اللغة الشائعة إذ ذاك قد وصلت إلى منتهى ما قدر لها من الانحلال والتهافت بعد أن وسعت كل ما قدم لها من المعارف زمن الدولة العباسية ، كما كانت العلوم التى تدرس بمدرسة الطب قد نضجت فى الغرب فنات العربية الشائعة عن حملها إلى الطلبة الذين كانوا — من مصريين أزهريين وغير مصريين — عاجزين عن فهم ما يدرس لهم باللغات الأوربية ، وكان الأساتذة لا يعرفون العربية ولو قد عرفوها كما كانت فى عهدهم لعجزوا لقصورها وقصورهم عن إفهام طلبتهم ما يريدون ؛ لذلك اضطر محمد على إلى إحضار المترجمين من السوريين والمغاربة والأرمن ليترجموا فى الفصول ما يقول الأساتذة فيها بلغاتهم الأجنبية إلى العربية كيما يفهمه الطلبة . وليترجموا أيضاً ما يؤلف الأساتذة لطلبتهم من الكتب فى الطب البشرى والبيطرى والتشريح والأقراباذين ، وعلم وظائف الأعضاء ، ولما كانت العربية المعروفة عاجزة عن الترجمة اضطر المترجمون إلى الاستعانة بما وضع العرب قديماً من مفردات فنية ، وبهذا بدأ بعث القديم فى مصر . قلت

(١) المفصل جـ ٢ ص ٣٨٥

(١) الأستاذ الزيات فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » هامش ص ١٧ ؛ الطبعة السادسة . و « المفصل » لجماعة من الأساتذة المصريين جـ ٢ ص ٣١٤ و « المجمل » لهم أيضاً ص ١٧٤

(٢) الاسلام والتجديد ترجمة الأستاذ عباس محمود ص ٢٠٢ و ٢٠٣

(٣) تاريخ الأدب العربى للزيات ص ٤٣٦

فى مصر لأننى أقيد نفسى ببعث القديم والترجمة فى مصر وحدها اعتماداً على أن الدكتور لم يتعرض لها فى غيرها فى مقاله بعث القديم، مع ملاحظة مقاله السابق «مصر الإسلامية» «الرسالة العدد ٥٧٠»، وإن كان مما يفهم من ذلك ضمناً أن هناك من سبقوا المصريين فى بعث القديم والترجمة، كالمستشرقين فى أوربا، وكما وقع فى سوريا بعد أن وفدت عليها البعوث التبشيرية من البروتستنت والكاثوليك، فقد أسسوا أول مطبعة فى أوائل القرن السابع عشر، أى قبل أن يؤسس محمد على باشا مطبعة بولاق بنحو قرنين، كما أسس الآباء اليسوعيون مطبعتهم فى منتصف القرن التاسع عشر[1] فبعثوا بما طبعوا كثيراً من الكتب، وقد كان المترجمون فى مدرسة الطب فى أبى زعبل من السوريين والأرمن والمغاربة — كما قدمنا — وعلى أيدى أولئك المبشرين تعلم أولئك المترجمون، وبدأت ترجمتهم وبعثهم القديم فى مصر سنة ١٨٢٧؛ فإذا بحثنا عن رفاعة الطهطاوى حينئذ وجدناه فى باريس يتعلم مبادىء هجاء الفرنسية لأنه لم يبعث إلى فرنسا إلا فى إبريل سنة ١٨٢٦[2]، وعاد إلى مصر سنة ١٨٣١، ولم يهتم ببعث الكتب القديمة إلا فى عهد سعيد باشا بعد أن رجع من السودان، فأحيا قلم الترجمة بنفوذه بعد أن مات فى أيام محمد على، وهنا ذكر الشيخ عهده بالمستشرق ده سامى والمستشرق كوزن وما يقوم به المستشرقون من أعمال قيمة فى خدمة اللغة العربية بنشرهم أمهات الكتب؛ فوضع مشروعاً للعناية بتصحيح الكتب القديمة القيمة وطبعها بمطبعة بولاق، وعرضه على سعيد باشا فأجازه»[3]، ونحن نعلم أن سعيداً لم يل مصر إلا فى سنة ١٨٥٤، فإسناد الدكتور سبب بعث القديم إلى رفاعة الطهطاوى خطأ بلا ريب، وإلصاقه به إيمانه بأن «نهضة بلادنا لا يمكن أن تعتمد على النقل عن أوربا فحسب، بل يجب أن تعنى إلى جانب ذلك ببعث القديم العربى» إلصاقه برفاعه ذلك تخرص بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، بل هو يدل على أن الدكتور فى مقاله يحوم حومان الصحفيين ويحدس حدسهم، ولا يقع وقوع العلماء ويتثبت تثبتهم، وإن كان ما قلناه لا ينفى أن رفاعة قد شد أزر البعث وتوسع فيه وإن لم يكن المبدع له حتى فى مصر، ولا ينفى أنه أصبح يؤمن بعد ذلك بحاجة نهضتنا إلى بعث القديم إلى جانب النقل وإن كان ما دفعه إلى هذا البعث تقليده المستشرقين فى هذا الميدان إذ كان قد صادف أيام وجوده فى باريس علمين من أعلامهم: أحدهما الأستاذ سلفستر ده سامى مدير مدرسة اللغات الشرقية، وكان واسع الاطلاع فى العربية، نشر كتباً عربية كثيرة وألف شرح مقامات الحريرى المتداول بين أيدينا وقد توفى سنة ١٨٣٨؛ وثانيهما الأستاذ كوزن وقد نشر كثيراً[1]

فرفاعة إذن لم يبدأ البعث إلا مقلداً المستشرقين، وذلك بعد تأسيس مدرسة الطب بنحو ثلاثين سنة وقبل تأسيس المويلحى جمعية المعارف بنحو عشر سنوات

رابعاً: وإذا رجعنا إلى صدر الفقرة السابقة لم نجد مفراً من الجزم بأن آثار البعث قد ظهرت فى النثر قبل ظهورها فى الشعر. فالبارودى الذى يمثل أول أثر البعث فى الشعر لم يكن قد ولد حين نهض النثر ليحمل تراجم تلك الكتب، فالبارودى لم يولد إلا سنة ١٨٣٩ (١٢٥٥ هـ) بينما الكتب التى ترجمها وألفها المترجمون كالمسيو عنحورى والمسيو رفائيل وغيرهما تبدأ قبل مولد البارودى بنحو اثنتى عشرة سنة، والكتب التى ترجمها وألفها رفاعة وأصحابه وتلاميذه بدأ ظهور بعضها قبل سنة ١٨٣١ حين عاد رفاعة إلى مصر وظهر كثير منها والبارودى لم يولد وبعضها وهو ملفوف فى أقمطته إذ كانت مدرسة الألسن قد أسست برياسة رفاعة نحو سنة ١٨٣٤ وما أسرع ما نبغ كثير من تلاميذه فى الترجمة والتأليف مثل عبد الله أبو السعود واحمد عبيد وخليفة محمود[2] فألفوا وترجموا كثيراً من الكتب، ولا ريب أن هذه الكتب التى ظهرت قبل شعر البارودى كانت تكتب نثراً لا شعراً، ولا ريب كذلك أن نثرها — وإن لم يبلغ مبلغاً عالياً من البلاغة — يرتفع كثيراً عن نثر الجبرتى والشرقاوى، وغيرهما قبله وإذن فالنثر قد تأثر قبل الشعر ببعث القديم لا كما زعم الدكتور فى مقاله وكرر زعمه مرتين من أن الشعر تأثر ببعث القديم قبل النثر، ولكن لا مفر لنا من تقييد النثر الناهض بأنه النثر التأليفى وليس النثر الفنى أو الأدبى، وإن كان هذا لا ينفى أن النثر الأدبى أيضاً قد استمد من بعث القديم مادة غزيرة للفكر، وذلك لأن نواة النهضة الثقافية فى مصر هى العلوم التى كانت تدرس فى مدرسة الطب بأبى زعبل. وفى ذلك قال الزيات: «لم ينل الأدب من عناية الأمراء العلويين ما نال العلم»[3]

خامساً: قال الدكتور: «فى الحق إننا لا نعرف أسلوباً يتميز به الأدب الحديث بأضيق معانيه غير أسلوب القصة، فهى

(١) تاريخ الأدب العربى للزيات ص ٤١٧، والمفصل ص ٣١٦
(٢) الأستاذ أحمد أمين. الثقافة: العددان ٢٣٠، ٢٣١
(٣) الثقافة: العدد ٢٣٥

(١) الثقافة: العدد ٢٣٢، والمفصل ص ٤١٢
(٢) الثقافة: العدد ٢٣٤ (٣) تاريخ الزيات ص ٤٢٤

أكبر مظهر من مظاهر الأدب الحديث ، وليس بخاف أن القصة حديثة العهد ببلادنا ، وهي بمجرد ظهورها أخذت تغذى السجع بمادة الفكر وتنقله من التفاهة إلى الجد ، وهذا واضح من حديث عيسى بن هشام ، فأسلوب المويلحى برغم حرصه على أوجه العبارة البلاغية لا يخلو من فكر وإحساس صادقين ، وذلك لأن القصة بطبيعتها تقدم للكاتب مادة ، وكل مادة تحتاج إلى العبارة عنها ، فيأتى الأسلوب محملاً بتلك المادة . ومنذ أن خطا أسلوب النثر تلك الخطوة أخذ يشيع في غير القصص حتى امتد إلى المقالة أو الموضوع القصير » ونلاحظ أولاً في عبارة الدكتور أنه استعمل الأسلوب بمعنى القالب فسمى القصة أسلوباً ، وخير أن تسمى قالباً وسنسميها هنا كذلك ، واستعمل الأسلوب بمعنى طريقة التعبير ونحن نوافقه على ذلك ، ثم نذكر أن عبارته تشتمل على قضيتين : الأولى أن القصة هى التى غذت السجع بمادة الفكر ونقلته من التفاهة إلى الجد ، ويستشهد على ذلك بحديث عيسى بن هشام للمويلحى . والقضية الثانية أن مادة الفكر قد أثرت هذا الأثر في القصة ثم في المقالة أو الموضوع القصير

أما عن القضية الأولى فإننا نعلم من تاريخ ابراهيم المويلحى أنه لما عاد من الآستانة إلى مصر سنة ١٨٩٤ أو سنة ١٨٩٥ أسس جريدته الأسبوعية مصباح الشرق ، وقد قال فيها الزيات : (هي صحيفة أسبوعية كان يدبجها باللفظ الرشيق والأسلوب الأنيق ، ويرسلها بالسهام النافذة في الاجتماع والنقد والسياسة ، فقضت حاجة في نفوس الأدباء ، ونهجت لهم الطريق السوى في الإنشاء ، ووطأت له هو أكناف الرؤساء والكبراء ، واستمر على إصدارها حتى حان يوم وفاته)[1]

وذكر في المفصل أنها « كانت نموذجاً من أعلى نماذج الأدب الحر في هذا العصر ، يتطلع إليها المتأدبون في شوق ولهف لما تطالع به من مصفى الكلام ومنتقاه ، وأبدع البيان وأحلاه في أبواب السياسة والعلم والفلسفة والأدب ، ويترقبها الكبراء في قلق ووجيب قلوب ... فلقد كان المويلحى أقدر كتاب العربية على النقد وأمرهم وأوجعهم ... وكان يعاونه في تحرير هذه الصحيفة الفذة ولده الأديب الكاتب العالم محمد بك المويلحى وهو الذى كان يكتب رسائل (حديث عيسى بن هشام) التى سوبت بعد كتاباً »[2] وأريد أن أقف هنا ولا أرجع القهقرى الآن لأسأل الدكتور : أكان ما تنشر هذه الصحيفة في العلم والفلسفة والاجتماع والأدب والنقد كلاماً فارغاً من المعانى ، ولم تكن تحتوى على المادة الفكرية فيها إلا رسائل حديث عيسى ابن هشام وهى لا تخرج في مضمونها عن النقد ، وقلم ابراهيم المويلحى الذى كان يرسل بالسهام النافذة في الاجتماع والنقد والسياسة ، فيترقبه الكبراء في قلق ووجيب قلوب ، أبقى هذا القلم لا يكتب إلا اللغو حتى جاء الإبن محمد فزودها بمادة الفكر ونقله من التفاهة إلى الجد ؟ أيهما أكبر يا سيدى جحا أم ابنه ؟ وأيهما علم الآخر النقد : الأب أم الإبن ؟

ولنرجع إلى ما قبل ذلك مع المويلحى الأب حين أصدر هو وعثمان جلال صحيفتهما (نزهة الأفكار) سنة ١٨٦٩ ، وكانت شديدة اللهجة فلم يلبثها اسماعيل باشا حتى ألغاها . فهل كان ما تكتب هذه الجريدة كلاماً خالياً من الفكر حتى يلغيها اسماعيل ؟ وأسأل الدكتور ثانياً هنا : أكان الإبن محمد قد ولد في هذا الوقت أم لم يولد ؟

أحسبك هـذا يا سيدى أم تريد التوغل إلى الوقائع المصرية التى أسست سنة ١٨٢٨ ، وما كانت تنشر من بحوث علمية وأدبية واجتماعية وفلسفية ودينية وقانونية منذ أسست ، لأنها لم تكن قبل كما نراها اليوم قاصرة على الأمور الرسمية ، بل كانت تتسع لكل ما تتسع له جرائدنا اليوم ، فقد كتب فيها رفاعة وأصحابه وتلاميذه ومحمد عبده وتلاميذه ، ثم صحيفة « اليعسوب » الطبية التى أنشأها محمد على البقلى باشا سنة ١٨٦٥ وجريدة وادى النيل التى أسسها عبد الله أفندى أبو السعود سنة ١٨٦٥ ومجلة (روضة المدارس) التى أسست سنة ١٨٧٠ ، وفيها يقول المفصل : « كانت تفيض بسابغ الفصول فيها أقلام أئمة العلم والأدب من أمثال رفاعة بك وعلى مبارك باشا وإسماعيل باشا الفلكى والشيخ حسين المرصفى وعبد الله باشا فكرى ، والواقع الذى لا مرية فيه أن هذه المجلة كانت مما نفخ في روح النهضة اللغوية والأدبية في هذه البلاد »[1] ، وفيها قال الزيات : « مجلة علمية أدبية يحررها نخبة من ذوى المكانة في العلم والأدب »[2]

وما ألف وترجم رجال الثقافة في مصر في القرن التاسع عشر من كتب في العلوم المختلفة إلى منتصف العقد العاشر قبل تأسيس مصباح الشرق . أكل أولئك كان لغواً من القول وزوراً حتى ظهرت القصة وهى المعجزة السحرية التى أجراها الله على يد محمد المويلحى في حديث عيسى بن هشام ، فأخذت كما قلت : تغذى السجع بمادة الفكر ، وتنقله من التفاهة إلى الجد ، وهل خفى على الأستاذ وهو يتعرض لتاريخ الثقافة في العصر الحاضر أنها بدأت علمية ؟

(١) تاريخ الزيات ص ٤٤٠ (٢) المفصل ج ٢ ص ٣٨٦

(١) المفصل ج ٢ ص ٣١٩ (٢) تاريخ الزيات ص ٤١٩

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٨٢ — فلم أر فيه للشراب حدوداً

في (مطمح الأنفس) للفتح صاحب (القلائد): قال أصحاب محمد بن عيسى «قاضي قرطبة» ركبنا معه في موكب حافل من وجوه الناس، فعرض لنا فتى متأدب قد خرج من بعض الأزقة سكران يتمايل، فلما رأى القاضي هابه، وأراد الانصراف فخانته رجلاه، فاستند إلى الحائط وأطرق، فلما قرب القاضي رفع رأسه وأنشأ يقول:

ألا أيها القاضي الذي عم عدله ... فأضحى به بين الأنام فريداً
قرأت كتاب الله تسعين مرة ... فلم أر فيه للشراب حدوداً

فإن شئت أن تجلد فدونك منكباً ... صبوراً على ريب الزمان جليدا[1]
وإن شئت أن تعفو تكن لك منة ... تروح بها في العالمين حميدا[2]
وإن أنت تختار الحديد فإن لي ... لساناً على هجو الزمان حديدا

فلما سمع شعره وميز أدبه أعرض عنه وترك الإنكار عليه[3] ومضى لشأنه

٥٨٣ — تباً لها! قد كان بصري فيها ثابتاً

في الطبقات لابن سعد:

عثمان بن مظعون حرم الخمر في الجاهلية وقال: إني لا أشرب شيئاً يذهب عقلي، ويضحك بي من هو أدنى مني، ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد، فنزلت هذه الآية في سورة المائدة في الخمر. فمر عليه رجل فقال: حرّمت الخمر، وتلا عليه الآية فقال تبّاً لها! قد كان بصري فيها ثابتاً.

(قلت): هذه هي الآية الكريمة العظيمة:

«يا أيها الذين آمنوا، إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه، لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون»

---

(١) «أن تجلد» بسكون الدال وحقها الفتح. وفي كتاب سيبويه وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المرفوع والمجرور في الشعر قال:

إذا اعوججن قلت (صاحب) قوم ... بالدو أمثال السفين العوم
فاليوم (أشرب) غير مستحقب ... إثماً من الله ولا واغل

وفي رواية للشريشي في بيت الأندلسي: فإن شئت لي جلدا

(٢) أن تعفو: مثله:

أرجو وآمل أن تدنو مودتها ... وما إخال لدينا منك تنويل

وفي هذا البيت شاهد آخر وهو حذف ضمير الشأن في (إخال) وهو المفعول الأول

(٣) في (كتاب القضاة بقرطبة): ما أتى عن القضاة من الاغضاء عن السكارى والتغافل لهم والرقة عليهم، فلا أعرف لذلك وجهاً يتسع لهم فيه القول، ويقوم لهم إلا وجهاً واحداً وهو أن حد السكر من بين الحدود كلها لم ينصه الكتاب المنزل، ولا أتى فيه حديث ثابت

أما القضية الثانية وهي أن القصة تأثر سجعها بمادة الفكر حتى انتقلت من التفاهة إلى الجد ثم امتد ذلك إلى المقالة أو الموضوع القصير — فنحن لا نوافق الأستاذ على رأيه فيها — فما قدمناه في الرد على القضية الأولى يكفي لبيان فساد الثانية، لأن ما كتب أولئك الأئمة في الصحف التي أشرت إليها قبل مصباح الشرق لم يكن قصصاً، بل مقالات. والنتيجة التي لا مفر لنا من استخلاصها إذن هي أن المقالة قد تأثرت بمادة الفكر، وانتقلت من التفاهة إلى الجد قبل القصة، ثم شاع ذلك في القصة وفي غيرها، فالعلوم قد أمدت أولئك الكتاب بالمادة، وكما قال الدكتور: (كل مادة تحتاج إلى العبارة عنها؛ فيأتي الأسلوب محملاً بتلك المادة) وهذا تسلسل منطقي مقبول ولا ريب.

وبعد فقد طال المقال، ولنا رد على رأي الدكتور في المنفلوطي وانقسام النثر إلى تيارين الآن ورأيه في نثر الإمام محمد عبده، والأسلوب الشائع في عصره والمقام لا يتسع لأكثر من ذلك، فلنقف عند هذا الحد مكتفين فيما سبق بالإيجاز المخل، لأن الموضوعات التي تعرضنا لها تشتمل على الثقافة في النهضة الحديثة كلها؛ فلابد لها من البحث المستفيض، ولكن حسبنا من الكلام فيها ما يؤدي بنا إلى الإفهام.

هذا وللدكتور مني إعجابي وتحياتي — **محمد خليفة التونسي**

سلام على أسمهان !

للأستاذ على أحمد باكثير

غرقت ؟ كيف يغرق النور والحسـ
ن وفن الخلود فى شبر ماء ؟
ما تقولون ؟ هل تجدون أم تلـ ... ـهون أم هل يجد صرف القضاء ؟
لو حواها البحر العريض لضاق الـ ... ـبحر ذرعاً عن روحها الشماء !
أو حوتها الصحراء لانتفضت ظـ
ـلاً وماء فى جنة خضراء !
لِمَ لَمْ تغرق الكواكب والشهب
وشمس الضحى وبدر السماء ؟
صوتها العبقرى قد كان يغنى ... عن ضياء ينير فى الظلماء !

* * *

مَن شدا بعد أسمهان بلحن ... فلأذنى عن لحنه صماء
ما عزائى من بعدها بنشيد ... أو غناء ولات حين عزاء ؟
ضلة قيل إنها بلبل أو ... كروان أو عندليب غناء
أين من صوتها حناجر طير ... أو أرانين آلة خرساء ؟
صوتها الصوت للخلود وللفر ... دوس لا للدنيا ولا للفناء !
أسمع الله منه للناس حيناً ... ليحنوا شوقاً لدار الجزاء
ليروا أن ما على الأرض فان ... والنعيم النعيم فى الفيحاء !

* * *

ليت عينى تذهبان ويضحى ... خطبها كاذباً من الأنباء !
شهر يوليو من ذا يردك ابريـ ... ـل وأعطيه مهجتى وذمائى ؟
شهر يوليو لا كنت يا شهر يوليو ... أنت شهر الدموع والأرزاء

* * *

آه يا أسمهان ! يا بهجة الدنيـ ... ـا وأغنية السنا والسناء
خرست بعدك البلابل فى الرو ... ض وجفت جداول السراء
وظلال الفن الرفيع اضمحلت ... وتولت بشاشة الندماء !
كنت أبكى - إذا سمعتك تشـ ... ـدين - بدمع يندى على أحشائى
صرت أبكى - إذا سمعتك تشـ ... ـدين - بدمع مورد بالدماء !
ليت عيسى يعود حياً فيحييـ ... ـك لتحيى موتى من الأحياء !
أنتِ أولى بمعجزات رسول ... بشّر الله صوته فى العذراء
فاذهبى كالربيع ... كالكوكب الهاوى ... كسارى النسيم ... كالأنداء !
واخلدى فى القلوب ما خلد الفـ ... ـن وجاشت بلابل الشعراء
وارقدى فى ثرى الكنانة واقضى
ما تشائين من هوى ووفاء !
نضّر الله بالنعيم محيّا ... كِ وأولاكِ منزل الشهداء

(المنصورة) على احمد باكثير

ألزم الألزم من لزوم ما لا يلزم(*)

لأبى العلاء المعرى

منع الفتى هيناً فجر عظائما ... وحمى نمير الماء فانبعث الدم

لا يتركن قليل الخير يفعله
من نال فى الأرض تأييداً وتمكينا

وأحسب الناس لو أعطوا زكاتهم ... لما رأيت بنى الأعدام شاكينا
فإن تعش تبصر الباكين قد ضحكوا
والضاحكين لفرط الجهل باكينا

قبيح مقال الناس جئناه مرة ... فكان قليلاً خيره لم يعاون
إذا أنت لم تعط الفقير فلا يبن ... له منك وجه المعرض المتهاون

إذا ما فعلت الخير فاجعله خالصاً ... لربك وازجر عن مديحك السنا
فكونك فى هذى الحياة مصيبة ... يعزيك عنها أن تبر وتحسنا

فتفعل النفس الجميل لأنه ... خير وأحسن لا لأجل ثوابها

أشد عقاباً من صلاة أضعتها ... وصوم ليوم واجب - ظلم درهم

توهمت يا مغرور أنك دين ... على يمين الله مالك دين
تسير إلى البيت الحرام تنسكا ... ويشكوك جار بائس وخدين

والظلم يمهل بعض من يسعى له ... ويحل نقمته بنفس الظالم

(*) مخطوط للأستاذ النشاشيبي



تفسير الحلم

رداً على سؤال الأستاذ الفاضل محمود عزت عرفة فى العدد السابق من الرسالة نحيل حضرته إلى مقالنا المنشور بالعدد ٥٧٣ من الرسالة بعنوان « العقل الباطن » ، وفيه تفسير واف لحلمه ؛ فإن العقل الباطن أنشط بكثير من العقل الواعى . ولحلمه هذا ، الذى يعده علماء النفس من أحلام اليقظة ، تأويلان :

أولهما : أن عقله الباطن سبق عقله الواعى واستدرك عليه ما نقص من مطالعته

ثانيهما : أنه يغلب على الظن أن حضرته طالع الفقرة التى يشير إليها فى الكتاب وهو بين اليقظة والنوم فى حالة كان الفكر فيها مكدوداً تمر به الحقائق مر الأطياف ؛ فلم يدرك أنه قرأها ، ومن ثم فسرت القوة الباطنة ما تبهم على القوة الواعية . ولعل القارىء كان تفكيره مصروفاً إلى ناحية أخرى على حين أن نظره كان متشبثاً بالحروف التي تكون الجملة المشار إليها

وسنعود إلى علاج هذا الموضوع فى شىء من التفصيل إن شاء الله .

(الاسكندرية) عبد العزيز جادو

عودة إلى وحدة الوجود

لم يكن فى نيتى أن أعود إلى « وحدة الوجود » بعد كلمتى الأخيرة التى كنت أعتقد أن فيها دفعاً لكل شبهة ؛ ولكن يظهر أن طريقتى فى الإيجاز لا تستقيم مع الأسلوب الجارى عندنا فى الجدل ، فلا بد لى إذن أن أسهب وأطيل حتى يكون فى القول شفاء ومَقْنَع . وما دام الأستاذ الفاضل دربنى خشبة قد دعانا إلى اتخاذ الصراحة فى القول ، فلابأس من أن نأخذ بنصيحته ، داعين الله أن يقينا شر العواقب !

ولسنا نريد أن نمضى فى دفاعنا عن وحدة الوجود ، دون أن نبين الفرق بين هذه النظرية وغيرها ؛ فإن هذه التفرقة من شأنها أن تجلى لنا جانباً كبيراً من المشكلة التى نحن بصددها . ولعل أهم فرق بين مذهب وحدة الوجود panthéisme ومذهب المؤلهة Théisme أن الثانى ينظر إلى الله باعتباره طرفاً مقابلاً للطبيعة ، أى باعتباره موجوداً خارجاً عن الكون : extramundane يخلقه ويحفظه ويتصرف فيه من الخارج بينما ينظر الأول إلى الله على أنه يكون مع الطبيعة شيئاً واحداً ويعمل فى الكون من الداخل باعتباره « قوة » أو (طاقة) . فالفرق الجوهرى بين مذهب وحدة الوجود ومذهب المؤلهة ، ينحصر فى مسألة علو الله على الكون ومباينته له . أو بطونه فيه ومحايثته له

وإذا نظرنا الآن إلى هذه المسألة نظرة عقلية خالصة ، فإننا نجد أن الأدنى إلى الصواب أن يكون الله باطناً فى الكون ، لا عالياً عليه : ذلك أن الذات الإلهية لا يمكن أن تكون ذاتاً مشخصة ، وإلا كانت محدودة معينة ؛ فلا بد لنا إذا أردنا أن ننزه الله التنزيه الواجب ؛ أن نتجنب كل ضرب من ضروب التشبيه أو التجسيم أو التشخيص ، فنقول إن الله ليس كمثله شىء ، أى أنه ليس لذاته حد ولا وصف . ولما كانت الصفة الوحيدة التى نستطيع أن ننسبها إلى الله (وهى فى الحقيقة صفة سلبية خالصة) ، هى أنه غير متناه ، فلا يمكن أن يكون هناك شىء غير الله ، ولا بد إذن بالتالى أن يكون العالم جزءاً منه . وعلى ذلك فإن الكون مظهر لله ، أو مجلى من مجاليه ، إذ لوكان ثمة شىء غير الله ، لكان الله محدوداً ، ولما وجد فى كل مكان

هذه هي الحقيقة الجوهرية التى يقوم عليها مذهب وحدة الوجود ، وهى عندى حقيقة ثابتة تتأيد بكل وجه من الوجوه ؛ وقد انبرى جيته للدفاع عنها ، فقال : « إن من خطل الرأى أن نتحدث عن الله باعتباره منفصلاً أو مستقلاً عن الطبيعة ، فإن الفصل بين الله والطبيعة هو بمثابة الفصل بين النفس والبدن . وإذا كنا لا نعرف النفس إلا عن طريق البدن ، فكذلك نحن لا نعرف الله إلا عن طريق الطبيعة . فمن التعسف إذن أن نكيل التهم لأولئك الفلاسفة الذين يوحدون بين الله والطبيعة ، وليس من شك فى أن كل ما هو موجود لا بد أن يكون متعلقاً بالجوهر الإلهى ، لأن الله هو الموجود الوحيد الذى يشمل وجوده

سائر الموجودات ويستوعبها جميعاً ... وإن الكتاب المقدس نفسه لهو بعيد عن معارضة هذه الحقيقة، على الرغم من أننا نختلف في تفسير عقائده حسب ما يتراءى لكل واحد منا »

وفي استطاعتنا أن نضيف إلى عبارة جيته، أن الكتاب المقدس ينطوي على أقوال تؤيد وحدة الوجود بصراحة؛ فإننا نجد عبارة للقديس بولس يقول فيها: « إننا في الله نحيا ونتحرك ونوجد »، وعبارة أخرى يقول فيها: « إن منه (أي من الله) وبه، وله كل الأشياء »؛ فليس مذهب وحدة الوجود إذن وقفاً على الفلاسفة والمفكرين، بل إن هذا المذهب شائع في كثير من الديانات كما يظهر بالنسبة إلى المسيحية التي تقول إن الله حي في كل شيء، وكل شيء في الله

بقي لنا بعد هذا أن نتعقب الاعتراضات التي وجهت إلى هذا المذهب، فنرد على كل اعتراض منها على حدة. وقد سبق لي أن كتبت بحثاً عن « الاتحاد والحلول ووحدة الوجود » عرضت فيه لنقد ابن تيمية الذي هاجم فيه هذا المذهب، فلعلي أستطيع أن ألخص طرفاً منه في كلمة أخرى إن شاء الله.

زكريا ابراهيم

الفهم والشعر والمال

قرأت « إلى زائرة » وليست « إلى زائرة » من أجود قصائد بشر فارس ولكنها على كل حال ترمز إلى ترجرج العاطفة عند الشاعر وقد تولته نوازع الغريزة فكتب بها فكانت قصيدته تلك ظلاً لحالته النفسية

وبعد ليس الشعر ألهية عارضة يقرأ كما يقرأ الخبر المحلي في الصحيفة

فليعد الأستاذ الزحلاوي إلى إعادة قراءة زائرة فلعله يكون أول الفائزين. ولي رجاء أن لا يتبرع الزحلاوي بعد اليوم بالمال من أجل الفهم

بهذه الفقرات ختم (صلاح الأسير) كلمته التي نشرها في مجلة الأديب البيروتية عن (الجائزة الأدبية) واعتقد أنه لم ينل ناقد من أديب بمثل ما نال (صلاح الأسير) من صديقه بشر فارس في تصديه للدفاع عن شعره واجتهاده في تفسير حالته النفسية عند ما نظم قصيدته إلى زائرة، وهل من سلاح أقتل من سهم مسموم يريشه عدو إلى صدر شاعر يدافع عنه فيقول فيه: إنه (مترجرج العاطفة تتولاه نوازع الغريزة) فكانت قصيدته المشؤومة تلك ظلاً لحالته النفسية؟

كنت ولا شك، رءوفاً بالشاعر بشر فارس عندما تظاهرت بالتواضع فنسبت لأداة فهمي الركود والعي، فاستنجدت بأرباب الفهم، في مصر والبلاد العربية، حتى لا أنسب إليه عيوب ترجرج العاطفة، والتواء الذهن، والحمى الحيوانية التي تنتاب من تتولاهم نوازع الغريزة

ما كنت أود أن أقول إن الدكتور بشر فارس ليس بشاعر ولا يمت إلى الشعر بصلة، وأن ليس بينهما إطلاقاً أواصر قربى ووشائج تعارف، ولكن الأستاذ الأسير — عافاه الله — قالها على طريقته هو، طريقة الصداقة والعداوة، الجاهلة والعاقلة، فلينعم إذن بشر فارس المتهم بصلاح الأسير المدافع

أي أديب ياصاحبي لا يعرف أن الشعر ليس بألهية عارضة؟ بل يجب أن تعلم يا صاحبي أن الأديب الذي لا يعرف أن الشعر صدق، ووضوح، وملاحظة، ونقد، وإنسانية، وعطف، وفلسفة وحب، إنما هو أديب مشكوك فيه. بل يجب أن تعلم مرة ثانية أنه لا يكفي الشعر المعنى المبتكر، ولا الديباجة الرائعة بل يجب فيه الاتساق الفني بين المعنى والديباجة يربطهما الجرس الموسيقي، وعندها تحس النفس بجمال لدني وبطرب ونشوة تعجز عن تحليل عناصرها، فكيف به إذا خلا من كل هذه العناصر الأساسية؟

رجاني الأستاذ الأسير أن لا أتبرع بعد اليوم من أجل الفهم، فأنا أطمئن الأستاذ على أني وقفت حياتي (من المهد إلى اللحد) على العلم والفهم، فهل أضن بمالي من أجل الفهم؟ وليفهم الأستاذ الأسير « أن كل ما في الأرض من مال لا يكفي لتفتيح ذهن من الأذهان ليفهم مثل هراء بشر فارس »

حبيب الزحلاوي

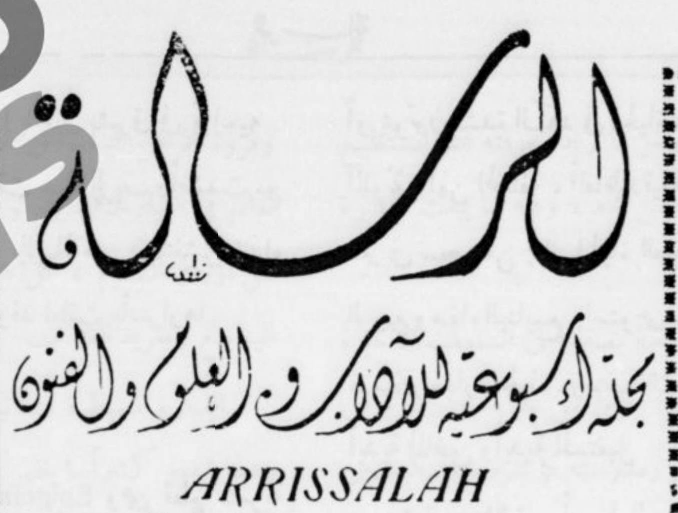
مكتبة نقابة الصحفيين

أهدى إلى مكتبة نقابة الصحفيين ١٢ كتاباً من رياسة مجلس الوزراء و ٤٧ من وزارة الأشغال و ٧ من إدارة المطبوعات و ٧ من المتحف الحربي و ٨ خرائط وأطالس كبيرة من مصلحة المساحة والمناجم و ٥ مجلدات من مصلحة الإحصاء والتعداد و ٨ من مرصد حلوان و ١٠ من لجنة التأليف والترجمة والنشر (هدية أولى) و ٣ من الاتحاد المصري للصناعات و ٦٣ من مكتبة المعارف و ٥ من مكتبة العرب و ٢٣ من المطبعة المصرية



12me Année No. 578 — Lundi - 31 - 7 - 1944





صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

العـــدد ٥٧٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١١ شعبان سنة ١٣٦٣ — الموافق ٣١ يولية سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

٢٣٠٦

الأدب الأغريقى
فى عصر الأسكندرية

للدكتور محمد مندور

خلصنا من المقال السابق إلى أن الأدب الأغريقى فى عصر الإسكندرية كان كنبات فى بيوت من زجاج ، فهو بمعزل عن الفضاء الطلق حيث تهب نسمات الحياة منبعثة عن الشعب . ومع ذلك فالنبات — كما قلنا — لم يذو كله وإن شحبت نضرته وقل ماؤه

ولما كانت ملابسات الحياة لم تدفع إلى فن أدبى بذاته ، ولا غلبت فناً على فن . فقد كتب أدباء ذلك العصر فى كافة الفنون . ولكننى لا أستطيع أن أقف مع القارئ عند كل منها ، وقد سئمت القبيح حتى أعود استخرجه من بطون الكتب . وأى خير فى أن أطلعك على شعر أو نثر ترى فيه مدح الملوك قد حل محل الوطنية ، والتملق محل حرارة القلب ، والخرافة محل الإيمان ، والتعلق بالخوارق محل تبجيل الآلهة ، ثم التفيقه والتبجح بالمعرفة المحصلة المكتسبة محل استطلاع المجهول والحرص على الفهم الصحيح . وإنما أقف بك حيث

يعود هذا الأدب فيتصل بالحياة وإذا بالجمال يشرق فى نواحيه . أقف عند نفس تفتحت للحب فتذوقت حياة الريف وأنشدت مع الرعاة أناشيدهم . أقف عند نفس تحن إلى الماضى فتستنشق شذاه أو تمعن فى الحاضر فترصد أحداثه وقد نطقت بأسرارها

شعر المقطوعات

ولنبدأ بشعر المقطوعات Epigramme وهى قطع شعرية صغيرة لا تكاد تعدو العشرين بيتاً ، ولكنها كثيرة العدد حتى لتملأ أكثر من مجلد فى المجموعة المعروفة « بالمختارات الأغريقية Greek Anthology » . وهى لأكثر من أربعين شاعراً من شعراء ذلك العصر ، وإن يكن معظمهم من ضعاف الشعراء . ومع ذلك فمن بينهم من تطرب النفس لشعره طرباً حقيقياً . خذ مثلاً الشاعر ألكبيادس الساموسى تجد له ما يقرب من ثمان عشرة مقطوعة شديدة الشبه بشعر ألسيه وسافو :

« اشرب يا ألكبيادس . لِمَ هذه الدموع ؟ أية محنة قد أصابتك ؟ ! لست الوحيد الذى اتخذت منه كبريس Cypris « إلهة الحب » فريسة . لست الوحيد الذى أردته سهام إروس القاسى . لِمَ تدفن نفسك في التراب ؟ ! لنشرب نبيذ باكوس صافياً . ها هو الفجر ينبثق . إذا كان المصباح قد انطفأ أتريد أن ننتظر حتى يستيقظ ؟ لنشرب فى مرح . أيام أخرى قلائل — أيها المسكين — ثم بطويك الظلام الرحب تستريح بين أحضانه »

أو ما تحس فى شعره بجمال الأسرار . جمال الاعترافات . نجوى نفس أليفة . شاعر مرهف

وخير من ألكيبيادس فيما أظن ليونيداس الترنتى من شعراء القرن الثالث ق . م . ولد فقيراً وعاش مشرداً ، فتوثقت معرفته بالحياة . كتب لوحات للمقابر والنذور ومحفورات للتماثيل وصوراً للشعراء والفنانين وقطعاً فلسفية وأخلاقية ، كتب الكثير منها لصغار الناس : صيادين وغزالات يحملون القربان إلى الآلهة أو يموتون لشدة الكد فى الحياة ، ومن ثم واقعية شعره وألفاظه الملونة بالمهن المختلفة ، ألفاظ دقيقة تشف عن عاطفة حبيبة . لقد عبر فى سحر عن جمال الحياة الفقيرة الجاهدة كما عبر عن روعة الربيع وصفاء الينابيع . استوحى مثلاً الشاعر القديم سيمونيدس فوصف حقارة الحياة . وصف تلك النقطة ، الهروب بين أبديتين : أبدية الماضى وأبدية المستقبل

« لقد انقضى أيها الرجل زمن سحيق قبل أن تأتى إلى الحياة وسينقضى زمن سحيق بعد نزولك إلى هاديس « العالم الآخر » . ما هى برهة حياتك ؟ نقطة أو أقل من ذلك ، وهذه الحياة شاقة ، فاللحظة الراهنة ذاتها لا سرور فيها ، بل إنها لأشد إيلاماً من الموت البغيض . اهرب إذن من الحياة ، اهرب إلى المرفأ »

ولربما كان أقوى الجميع ملياجر الذى جمع مختاراته المسماة « بالتاج » فكانت نواة للمختارات الإغريقية التى بين أيدينا . ولنستمع إليه يرثى هليودورا حبيبته :

« لتذهب إليك دموعى ، هليودورا ، هدية ! لتذهب إلى هاديس كأثر مقدس لحبى ! دموع قاسية الإراقة . هأنا أسكب فوق قبرك الذى طالما بكيته ، أسكب الأمى ذكرى لغرامى . أنا ملياجر ، أئن من أجلك أيتها العزيزة الراحلة ، أئن فى ألم ، ألم مبرح . قربانا للأكيرون لا خير فيه . وا أسفاه ! أين غصنى الأخضر الذى طالما أحببته ! لقد سلبنى إياه هاديس ، وهذه الزهرة المتفتحة قد غبرها التراب ، آه إننى أضرع إليك جاثياً ، أضرع إليك أيتها الأرض الكريمة الثمار أن تتقبلى فى رفق منذ الطفلة المبكية ، تقبليها فى رفق أيتها الأم وضميها إلى صدرك ، بين أحضانك »

أغانى الرعاة

وهنا أيضاً دعنا نكتفى بتيوقريطس ؛ فهو أكبر شعراء الرعاة ، بل أكبر شعراء عصر الإسكندرية ، ولدله من

كبار شعراء الإنسانية ، ولنوجز ما تريد معرفته عنه لنستطيع بعد ذلك أن ننصت إلى شيء من شعره وفيه ما يبعث النضرة في القلوب

ولد تيوقريطس في سيراكوسة بصقلية في السنوات الأخيرة من القرن الرابع ق . م وأمضى جزءاً من حياته بجزيرة كوس حيث تعرف إلى الشاعر فيليتاس ومدرسته كما تعرف بألـكبيادس الساموسي السابق الذكر وبأراتوس، وعاش جزءاً آخر في إغريقية الـكبيرة (= جنوب إيطاليا) . أرسل قبيل سنة ٢٧٠ ق . م إلى هيرون مستبد سيراقوسة قصيدة مدح ليمنحه رعايته ولـكنه لم ينجح فانصرف بمديحه إلى بطليموس فيلادف وعاش في الإسكندرية بعض الزمن . وأما تاريخ موته فلا نعرفه على وجه التحقيق

لدينا من شعره عدد من المقطوعات الصغيرة ثم ثلاثون قصيدة تسمى (إيدليا) Idylia وهذه اللفظة تصغير للفظة إيدوس Eidos الإغريقية ، وإيدوس معناها قصيدة غنائية إطلاقاً ، وإذن فالإيدليا هي القصائد أو اللوحات الصغيرة . ولـكنه لما كانت قصائد الرعاة تغلب في المجموعة ؛ فقد غلب هذا المعنى على اللفظ في العصور الحديثة

ولـكن شعر تيوقريطس في الحقيقة ليس كله من أغاني الرعاة ؛ فمن بين الثلاثين قصيدة نسقط خمساً منتحلة واثنتين مشكوك فيهما ، وننظر في الباقي فنجد من بينها أغاني الغرام وفصول المحاكاة «mime» ، التي تشبه أشعار هيروندواس . ومنها الريفيات التي تجمع بين الغناء والمحاكاة ، ومنها القطع القصصية ، ومنها الأناشيد ، وأخيراً منها المدائح

كل ذلك إلى جوار أغاني الرعاة

لقد تملك تيوقريطس القدرة على الإحساس ؛ ثم القدرة على خلق شخصيات حية في أسلوب شخصي . لقد استمر الرجل الطبيعي حياً فيه . استمر فلم يقتله الأديب . فهو يرى العالم : يرى صيفه وألوانه وعبيره . الكأس لا يزال يفوح نخاره ، وفروة الراعي ليكيداس تشم منها الخيرة ، وروائح الخريف تطفو في أعياد التاليسيا . وعذوبة الماء والظلال ، ولين المخدع من أوراق الـكرم ، كل هذا يدركه تيوقريطس مختلطاً بخرير الينابيع وتغريد العنادليب

الفكرة المسيطرة عند تيوقريطس هي الحلم بالحياة الريفية . وهذا شعور كثيراً ما يظهر في عصور الحضارة . وموضع المشقة فيه هو أن يأتي طبيعياً . وبهـذا تميز تيوقريطس عن غيره من اللاحقين .

الطبيعة عنده ليست الطبيعة القاسية التي عرفها هزيودوس ، ولا الطبيعة الحزينة الحالمة ، التي تغنى بها فرجيليوس ، ولـكنها طبيعة مشرقة يراها الشاعر دائماً في فصل الضوء بأعلى الجبال حيث ترعى القطعان . وما نظن شاعراً قد حملنا على الإحساس بأواخر الصيف وأوائل الخريف مثلما فعل تيوقريطس في وصف التاليسيا ، العيد الذي أشرنا إليه فيما سبق :

« أنى ليكيداس في ابتسامة عذبة عصاه ، أعطاها رمزاً لصداقتنا باسم ربات الوحي ؛ ثم اتجه إلى اليسار متابعاً طريق البسكا ، وأما إقريطس وأنا وأمينتوس الجيل ؛ فقد يممنا بيت فرازيداموس ، حيث رقدنا فوق أسرة كثيفة من ورق الـكرم النضر . وكان كثير من السرو والعبل يترنح فوق رءوسنا غير بعيد من الموجة المقدسة التي تخر من كهف النامف « Nymph » . وفي الأعشاب المتشابكة كانت الصراصير التي أحرقتها حرارة الشمس تغنى حتى بح صوتها ، والضفدعة الخضراء تصيح قصية تحت الأشواك المتداخلة . والقبرة وعصافير الجنة تغرد ، واليمام يئن ، والنحل الأصفر يطن حول الينابيع . من كل فج كانت تنبعث رائحة الصيف ، وقد مازجها عبير الخريف ، والـكمثرى والتفاح تتساقط وفيرة على أرجلنا وإلى جانبنا ، وقد ثقلت الأغصان بالبرقوق ، فتدلت حتى مست الأرض . وأزيل عن الدنان طين عتيق . يا نامف Nymph كاستاليا : يا ساكنة البرناس ! هل قدم كيرون العجوز كأساً كهذه إلى هرقل

فى كهف الفولوس الخصيب ؟ ليتنى أستطيع أن أعود فأضع المذراة فى القمح ، بينما تضحك هى وقد امتلأت يداها بالسنبل والحبوب »

هذه لوحة ناطقة موحية . سر جمالها فى بساطتها وصدقها ؛ فالشاعر يسمى الأشياء بأسمائها ، وهو أرهف حساً من أن يصطنع لغة شعرية متحجرة . فالضفدعة والصرصار لم يتحولا تحت قلمه إلى كروان وعندليب ، وكل من يعرف الريف يذكر صدق ما وصف . وبفضل طبيعية أسلوبه نحس بأعقاب الصيف وأوائل الخريف وقد غمرها الشعر ، فإذا هي أفعل فى النفس من الواقع .

وما يحببه تيوقريطس من الرعاة هو بساطتهم : شعر أشعث وحزام من جلد الشجر ، وفتاة طبيعية يتغنىَّ بجمالها . وما يعنيه ما يظن الناس بذلك الجمال

« يا ميز Muse بيريه ! غن مى الطفلة الرقيقة . فكل ما تمسينه أيتها الإلٓهة يصبح جميلاً . بومبيكا أيتها الفتاة الباسمة الخفيفة الدم ! يدعوك الجميع سورية عجفاء قد أحرقتها الشمس ، ولكنى أنا ، أنا وحدى ، أقول إنك شقراء كالعسل . البنفسج أيضاً أسود ، والزنبق مجمد . ومع ذلك يُجمعان للتيجان قبل غيرهما من الزهور . الجدى يجرى وراء شجرة النحل ، والذئب وراء النعجة ، والبجع خلف المحراث ، وأنا مجنون بك . بودى لو كنت غنياً كقارون . إذن لأقمت لنا تمثالا من الذهب هدية لأفروديت : أنت بالناى ووردة وتفاحة ، وأنا بثوب جديد وأحذية فخمة . بومبيكا أيتها الباسمة الخفيفة الدم ! أقدامك كعقل الأصابع ، وصوتك كالحلم ، وأما جمالك فلا أستطيع أن أصفه »

ولقد يحمل السيكلوب بوليفيم فى إحدى قصائده على التغنى بجمال معشوقته جالاتيه بقوله :

« جالاتيه أيتها البيضاء ، لماذا تردين من يحبك ؟ أنت أنصع بياضاً من اللبن المخيض ، أنت أرق وداعة من الحمل ، وأشد حيوية من البقر ، وأمتن لذعاً من عنقود العنب الأخضر »

هذه قصائد فيها اهتزاز من انفعال الحب ، فيها نغمة صادقة كأنها من حرارة الحياة

تيوقريطس شاعر الريف . شاعر الغرام . وأما ما دون ذلك من شعره فى المديح فتافه

وهو إلى جانب ذلك شاعر المحاكاة Mimes حتى ليعتبر حواره بين نساء سيراقوسة أنموذجاً لذلك النوع من الأدب الذى سنتحدث عنه فى المقال الآتى

محمد مندور

٢ ـ أحمد رامي

للأستاذ دريني خشبة

كل الناس على أن موهبة رامي فى الغزل وشعر الغناء هى خير مواهبه ... ونحن لا نرى هذا الرأى

لا نرى هذا الرأى بالرغم من هذه الخمسين والمائة أغنية التى تملأ آذاننا وقلوبنا ، وتتدفق مع أعذب الأصوات وأرخمها فى كل جوارحنا ، وتطوى مع الأثير فى كل لحظة ألفاف الهواء حول كوا كبنا ؛ فتداوى كلوم المحبين ، وتذهب بلواعج المدنفين وتترنم بها الأصوات كلها حتى المنكر منها والأجش ، فيخيل لها أنها صارت بلابل !

لا نرى مطلقاً أن موهبة رامى هى روحه الغنائية التى تجيد الغزل ، وتفتن فى مذاهبه هذا الافتتان الحلو الموفق ، الذى يحس الناس فى ثناياه حرارة الحب ، ويتسمعون إلى دقات القلوب العاشقة ، ويشهدون من فنون الجفون المؤرقة ، والأنفاس المحترقة ، أشكالاً وألواناً

إن رامى الذى يحترق من أجلنا ، ويذيب قلبه وروحه كيما يطب لنا ، هو شاعر الإنسانية ولسانها الناطق وترجمانها الأمين

إن الذين يزعمون أنه شاعر الليالى الحمر ، والسهرات الصوادح، أولئك يصدفون عن حقيقة رامى ، ويخطئون جوهره ، إنما رامي هو شاعر الإنسانية كلها ... الشاعر الذى صدق فى التعبير عن آلامها ، لأنه بلا منها الشىء الكثير والشىء المتنوع ، والغزل ـ أو شعر الحب ـ هو أحد الألوان التعبيرية الصارخة التى أذهلت الناس عما هو أشد منها من ألوان رامى التعبيرية الأخرى ، لأنهم سمعوه من هذين اللسانين الخالدين[1] وحياً بديعاً ، لا تسجيعاً ولا ترجيعاً ، ولو ذكرنا قلب رامى المعذب ونحن نلتذ أغانيه تشيع بالنشوة فى أرواحنا ، لحق أن نتذكر قوله :

أنا فى غيهب الحياة منار ... ضاء من فرط نوره الديجور
لم أذق فى الحياة للسعد طعما ... كيف يدرى الحلو الفم المرور
أطرب الناس بالأغانى من الشـعر وفى القلب لوعة وسعير[1]

ولذكرنا أن رامى يستمين بشعره للتنفيس عن آلامنا بما ينظمه لنا من تباريح قلبه شعراً نحسبه يفيض بهجة فى حين أنه يقطر دماً . ونخاله ينذى بشاشة فى حين أنه يتنزى ألماً

دعينى يا بنات الشعر أبكى ... على ما نالت الأيام منى
أمان مِتْن فى قلبى صغاراً ... كما ذوت الأزاهر فوق غصن
وزرع طاب لم أقطف جناه ... وكم بذرت يداى ولست أجنى
وأهل أصبحوا بدداً وشدوا ... إلى دار النوى أرحال ظعن
ولست أطيق بعدهم ، ولكن ... أروح عن فؤادى بالتمنى
فكونى يا بنات الشعر أهلى ... وأشياعى لدى البلوى وركنى
وغنّى من أساك والهمينى ... فبينك فى الهوى عهد وبينى
أراك بخاطرى وأودأنى ... أراك بناظرى وأن تربنى
إذن أشفقت من وجدى وسقمى ... وشفك لاعجى وشحوب لونى[2]

ولسمعناه يستعبر قائلاً :

أحن إلى الماضى كما يذكر الحمى ... طليح نوى ترمى به الفلواتُ
وأندب أيامى اللواتى تصرمت ... لشعرى إذا ضمتنىَ الخلوات
وفى الشعر تأساء وفيه رفاهة ... وفيه لقلب يانظ نشوات
أنيم به حزنى كما يبعث الكرى ... إلى عين طفل صارخ نغمات
وأكذب نفسى أننى إن صدقتها ... أغار عليها الهم والحسرات
لقد ألفت نفسى الشقاء وإن يكن ... ألماً فمن آلامه الخطرات
وما يحسن الأشعار إلا معذب ... تضرمُ فى أحنائه الحرقات
ولو كان كل ناعماً فى حياته ... لما بهرتكم هذه النفحات

لقد صنعت لنا الآلام من رامى هذا الشاعر الرهف الحس ، الدقيق الشعور ، الذى حرك ألسنتنا ، كما ملأ عواطفنا ، بأغانيه ولعل كارثته فى المغفور له والده العزيز ـ الدكتور محمد رامى ـ المتوفى بالقاهرة يوم الأحد ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٩ ، هى التى وجهت قلب رامى ، أو شعره ، تلك الوجهة الإنسانية التى تجتمع فيها عواطف الألم والرحمة والرثاء للضعفاء ، وإسعاد المحزونين ، وتمنى الخير للناس جميعاً ... وذلك أن الشاعر قد ألقيت على كاهله بوفاة والده مسئوليات عائلة كاملة ، فيها الأم البارة الرؤوم

(1) أم كلثوم وعبد الوهاب

(1) ديوان رامى ج ٢ (٢) ج ٢ ص ١٠

وفيها الأخوة الصغار الخُضْر كأفراخ القطا ، وفيها الشاعر نفسه الذى لم يكن يغنى ، وينظم خلجات شبابه الغض وصباه المتفتح ، باقات يانعة من هذه القصائد التى يضمها الجزء الأول من ديوانه ١٩٢٦ — ١٩٣٧ حتى قذف بقلبه جميعاً فى خضم اليّم المصطخب ذى الأمواج والأثباج ، ولهذا لا نكاد نرى ديواناً عربياً من دواوين شعرائنا يفيض بالروح العائلى ، كما يفيض به الجزء الثانى من ديوان رامي وماجاء من ذلك فى الجزءين الأول والثالث ، وما لم ينشره رامى من شعره فى ديوان بعد ... وذلك إذا استثنينا ديوان « أنات حائرة » لشاعرنا الجليل الأستاذ عزيز أباظة بك

اسمع إلى رامي ينظر إلى سرير أبيه المريض ، ثم يتوجع ويقول من قصيدته « نهر الحياة » ، ذاكراً أخاه النازح ، وأمه وإخوته :

يا نهر أيامي ، أما آخر ... لشقة العيش التى أقطع
أربت همومى فنبا مضجعي ... وصاحب الآلام لا يهجع
أب طريح فى فراش الضنى ... أقض فى رقدته المضجع
تتابعت فى الليل أناته ... وكل أنات الدجى تسمع
شكا من الداء الذى شفه ... وانهمرت من عينه الأدمع
وقال أخشى أن يحل الردى ... ولى قطا زُغْبٌ ولى مطمع
أخاف أمضى عنهم تاركاً ... عشهم تلوى به زعزع
ولى أخ يا نهر عيشى خلت ... منه ديار وخلا مهيع
وكان أنسى فى ضمير الدجى ... وكان لى من عطفه مرتع
فهل لذى العلة من صحة ... وهل لنضو نازح مرجع
وهل لليل العيش من مشرق ... يجلو ظلام اليأس إذ يطلع
لو كنت فرداً لم أرع إربة ... إن كان يعطى الدهر أو يمنع
لكن لى أماً ولى إخوةً ... ولى أباً فى ظله نرتع
ولا يطيب العيش إلا إذا ... ساقهم حوض المنى المترع

هذا شعر يحس فيه القارئ لذع الألم الذى يرتجف أمام شبح اليتم

ثم مات الوالد المريض ، وبعد أن خفت وقدة الحزن فى نفس رامى ، رثاه بتلك المنظومة الفريدة التى أومأ فيها إلى أيام مرضه ، ثم إلى الأمانى التى كان الوالد يعلقها على الشاعر الشاب ، وإلى الوضع الذى وضعته فيه المقادير بعد هذا الخطب الجلل :

كم جنى والد على ابن ولكنا ... جنينا عليك ـ صفحاً وغفرا
ثم هنيئاً فليس بالميت من خلّف من بعد موته ابناً أبرا
أنا أحنو على اليتامى وأرعى ... أيما عاشرتك بالطهر دهرا
ثم أحيى ذكراك ميتاً وقد خلد ... ت ذكرى تضوع فى الكون نشرا

ولم يفتأ رامى يذكر أباه ويرعى عهوده ، ويذرف عليه دموع أمانيه :

كم مر بى عيد تمنيت أن ... يكسونى فيه جديد الثياب
وكم تقضت بى ليال ولا ... سمير لى فيهن إلا الكتاب
وحين أدركت المنى لم أفز ... من ثغره بالبسمات العذاب
وكم جلسنا أسرة نرتجى ... رجوعه بعد طويل الغياب
نرنو إلى موضعه بيننا ... وقد خلا من بشره والحباب

... ...

نشأت فى يتم ولى والد ... فما اكتفى الدهر بهذا العذاب

نرنو إلى موضعه بيننا ! ما أبسط هذا التعبير وما أبدعه وما أشد لذعه ! لقد كان يتم رامى مفجر ينابيع الإنسانية فى قلبه الشاعر النابض الكبير ! لقد صحبه ذلك الشعور باليتم حتى فى رثائه أصدقاءه ، ولعل ما رثى به صديقه ، فقيد الأدب والشعر والمسرح المرحوم محمد تيمور ، هو من عيون الشعر العربى فى باب رثاء الأصدقاء :

كيف أرثيك يا رفيق شبابى ... يانجيى من شيعة الأحباب
أبدمعي ؟ الدمع أرخص ما يبكى به صاحب على الأصحاب
أنت أولى بأن يبلل مثوا ... ك بنضح من الفؤاد مذاب

وهو يلم فى القصيدة كلها تلك الإلمامات العائلية المؤلمة التى لا يقدرها إلا من جربها ، والتي تذيب القلوب وتقطع نياطها ألماً وحزناً :

طار لبى لما نعيت وضاقت ... بى دنيا كثيرة الأسباب
تلك حالى ؛ فكيف حالك يا تيمور لما غدوت فى الغياب
خلت الدار منك يا بهجة العمر وأقوت من سرحها المخضاب
ثم أضحت (ربرى) تنادى أبى أيـ ... ن ولا من يرد رجع الخطاب
طرت من عشها وكنت لها عطفاً وزقاً تحت الظلال الرطاب
ثم طال انتظارها لك حتى ... يئست بعد صبرها من إياب
فاطمأنت على مصارحة الدهر وقرت على أليم المصاب

محرجات...

الأستاذ على الجندى

كان المجلس مرصعاً بكواكب لامعة من الأدباء والأدبيات، فدار الحديث حول مبالغة بعض الناس فى كتمان سنهم، وأن أديباً كبيراً قضى نحبه ولم يعرف سنه أحد! حتى كأنها من مفاتح الغيب التى استأثر الله بعلمها! وهنا انبرت أديبة نابهة فقالت: الناس جميعاً فى ذلك سواء، بدليل أن الأستاذ - وأشارت إلى - لا تسعفه شجاعته بإخبارنا عن سنه! فدارت بى الأرض الفضاء، وأطرقت قليلاً أزور فى نفسى كلاماً، فلحظت الشيطانة ذلك، وعلمت أن وراء الإطراق ما وراءه! فاستدركت قائلة: على شرط أن يقول الصدق كل الصدق، لا شىء غير الصدق!

ويحك أيتها الإنسانة! إن الصدق ليكون أحياناً معجزة للمرء كما يقول بعض السلف رحمه الله!

ومع أنى لم أتجاوز دائرة الشباب، وهى دائرة (مصونة) والحمد لله! ومع أنى لا أستجيز الكذب إلا فى الشعر، فقد أحسست ميلاً شديداً إليه! وخيل إلى أنه لا بأس فى هذا المقام أن أطرح من عمرى بضع سنوات! ولكنى عدت فتذممت من ذلك، ووجدت عنه مندوحة فى قولى:

أعلم أنى ولدت فى أيام حرب من الحروب المشهورة، فقال أديب: لعلها حرب البسوس! وقال آخر: لعلها حرب الردة! فقالت الأديبة: هذا تحامل شديد! أظنها: حرب «المائة عام»! فقلت: ولم لا تكون حرب «الوردتين»[1]! فضحكوا وضحكن! وانفسح المجال للفكاهة البريئة، فتنوسى السؤال، وكفى الله المؤمنين القتال!

وحينما كنت مدرساً بالتجارة، جاءتنا من الوزارة (نشرة) تطلب فيها من المدرسين أن يخبروها بأسمائهم وعناوينهم وشهاداتهم ومرتباتهم وأسنانهم، والخطب فيما عدا السن يسير، ولكن من الذى يستطيع أن يدون اسمه على مرأى ومسمع من زملائه؟! أشهد لو أن الوزارة ضاعفت لهم الحصص، أو قطعت عنهم المرتبات ما ثاروا عليها هذه الثورة! وطال تردد المسألة بين الناظر والمدرسين على غير طائل حتى كادت تحدث الجفوة، وأخيراً فطن الناظر لما كان يجب أن يفطن له أولاً، فاستدعاهم إلى مكتبه، وقال - وهو يضحك - لقد عرفت السر! ليبح كل واحد منكم لى بسنه على انفراد وعلى عهد موثق أن أطويه فى صدرى! وهنا برح الخفاء وانفرجت الشفاه عما أجنته السرائر! ولكن أستطيع أن أزعم: أن كثيراً مما قيل تبرأ منه شهادات الميلاد!

وإنى لأعرف قوماً يجهلون زمن مولدهم! أو قل: يتجاهلونه فلا يحتفلون به، كما يحتفل بعض الناس! وبلد لهم أن يذهلوا

وقد لزمت رامى هذه الروح الرثائية فى معظم شعره، وفى معظم نظراته التى كان ينظم فيها الشعر لنفسه خاصة، ونقول لنفسه خاصة، لأن لرامى منظومات كان (يصنعها تحت الطلب)، وهى منظومات - أو أغان - لنا فيها رأى ربما أعلناه فيما بعد.

وتتجلى هذه الروح الرثائية فى قصيدته (إلى أخي البعيد ج ٢)، التى يتمنى فيها أوبة هذا الأخ المسافر. فيحسب الإنسان أنه يرثيه بشعر من أجود أشعار الرثاء... وتتجلى أيضاً فى قصيدتيه الفريدتين (الجمال العاطل - والجمال الراحل ج ٢). ثم قصيدته (اللقيط)، وفى (غريب يغنى)، و (مستقبل الحب) و (إلى البدر)، و (شكوى عليل)، و (طيور الأمانى)، و «شعر الدموع»، و «الشيب الباكر». إلى آخر هذه المجموعة المؤثرة من أشعار رامى الإنسانية الباكية التى جمعها الجزء الثانى من ديوانه، والتى ترن أصداؤها فى جميع أغانيه

(يتبع) دريني خشبة

---

(١) حرب (المائة عام) والوردتين من حروب أوربا فى القرون الوسطى

عنه عامدين متعمدين! ومع أن ذلك مغالطة فى الحقيقة المرة لا تجدى عليهم شيئاً، إلا أن النفوس تأنس لهذه المغالطة وتسكن إليها!

ولا يصح أن يكون هذا موضع العجب، لأنه فطرة فى الإنسان يستوى فيها الرجل والمرأة، فالتعلق بالشباب يعادل التعلق بالحياة، بل الحياة فى أنضر عهودها وأبهى مظاهرها، وكل سنة تمر علينا تبعدنا من هذا الشباب المحبب الموموق بقدر ما تدنينا من شىء كريه مقيت هو الهرم الذى يسلمنا إلى الفناء!

وإنه ليروعك أن ترى شاعراً زميتاً جاداً صارماً كالمتنبى يبكى الشباب، وهو يرفل فى ورقه النضر ويمرح فى ظله السابغ فيقول:

ولقد بكيت على الشباب ولمتى مسودة ولماء وجهى رونق
حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفنى أشرق

وصدق عمرو بن العلاء فى قوله: ما بكت العرب شيئاً ما بكت الشباب، وما بلغت به قدره. كما صدق الأصمعى حين يقول: أحسن أنماط الشعر: المراثى والبكاء على الشباب!

وإنك لتستطيع أن تقدر مبلغ حرص الإنسان على الشباب، وحسرته على زواله من هذه النادرة التى حدثت بين الرشيد ومغنيه ابراهيم الموصلى، مع ما يملك الملوك من وسائل تغنيهم عن الشباب أو تعزيهم عنه على الأقل: جاء فى أمالى المرتضى: أن إسحاق الموصلى حدث عن أبيه ابراهيم. قال: غنيت بين يدى الرشيد يوماً والستارة منصوبة:

وأرى الغوانى لا يواصلن امرءاً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فطرب الرشيد واستعاده وأمر لى بمال. فلما أردت الانصراف وجه إلىّ كلاماً شديداً وقال: أتتغنى بهذا الصوت وجوارىّ من وراء الستارة؟! لولا حرمتك لضربت عنقك! قال ابراهيم فتركت الصوت والله حتى نسيته!

وقد كنت أظن أن كتمان السن والمغالاة فى إخفائه من سمات هذا العصر الذى لانت فيه الأخلاق، واشتد الحرص على التمتع، وكثر فيه الزور والزيف، ولكنى وجدت ذلك سنة القدامى من أعلام السلف؛ ففى النجوم الزاهرة: أن الإمام أبا بكر الأنصارى كان إذا سئل عن سنه يقول: أقبلوا على شأنكم، لا ينبغى لأحد أن يخبر عن سنه؛ إن كان صغيراً يستحقروه، وإن كان كبيراً يستهرموه! ثم ينشد:

لى مدة لا بد أبلغها فإذا انقضت وتصرمت مت
لو عاندتنى الأسد ضارية ما ضرنى ما لم يجئ الوقت

وفى نفح الطيب يحدث المقرى الأكبر عن نفسه قائلاً: كان مولدى بتلمسان، ووقفت على تاريخ ذلك، ولكنى رأيت الصفح عنه، لأن أبا الحسن بن مؤمن سأل أبا طاهر السلفى عن سنه، فقال: أقبل على شأنك؛ فإنى سألت أبا الفتح بن زيان عن سنه فقال: أقبل على شأنك؛ فإنى سألت على بن محمد ابن اللبان عن سنه فقال: أقبل على شأنك؛ فإنى سألت حمزة ابن يوسف السهمى عن سنه فقال: أقبل على شأنك؛ فإنى سألت أبا بكر النقرى عن سنه، فقال: أقبل على شأنك؛ فإنى سألت الترمذىّ عن سنه فقال: أقبل على شأنك؛ فإنى سألت بعض أصحاب الشافعى عن سنه فقال: أقبل على شأنك؛ فإنى سألت الشافعي عن سنه فقال: أقبل على شأنك؛ فإنى سألت مالك بن أنس عن سنه، فقال: أقبل على شأنك؛ ليس من المروءة للرجل أن يخبر عن سنه!

وقد زاد بعض الأقدمين على كتمان السن، كتمان السرّ والمال والمذهب، وفيها يقول الحسين البغدادى كما نقله معجم الأدباء:

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة سن ومال، ما استطعت، ومذهب
فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة بمكفر وبحاسد ومكذب

وقد جاء فى كتمان المال: ما رواه الكامل فى المبرد: من أن عبد الملك بن مروان سأل عبد الله بن يزيد بن خالد — وكان من العقلاء — عن مقدار ماله، فقال له: شيئان لا عيلة علىّ معهما: الرضاء عن الله، والغنى عن الناس. فلما خرج قيل له: هلا أخبرت الخليفة! قال: لا يعدو أن يكون قليلاً فيحقرنى، أو كثيراً فيحسدنى.

على الجندى

صفحة من كتاب

نيتشـــه والزواج

[صفحة مهداة إلى الآنسة المهذبة « ا . م . »]

للأستـــاذ زكريا إبراهيم

في ظلال الوحدة القاسية ، ومن خلال الحياة العقلية الباردة ، أرسل نيتشه صيحته العالية : « إن ما تسمونه الحب ، ليس إلا سلسلة من الحماقات القصيرة المتتالية . أما الزواج فهو الحماقة المستقرة الكبرى التي تجيء خاتمةً لتلك الحماقات » ! وليس من عجب أن يعلن نيتشه مثل هذا الحكم على لسان نبيِّه زرادشت ؛ فإن فيلسوفنا قد جهل المرأة، ففاتته بذلك معرفة جانب كبير من جوانب الحياة الإنسانية . وقد شهدتْ بذلك أخته فقالت : « إنني لم أشهد لديه أدنى أثر من آثار عاطفة المحبة . فكل اهتمامه كان منصرفاً إلى المسائل العقلية ، وأما ما عدا ذلك فلم يكن يلقى منه غير اهتمام سطحي . ويظهر أنه هو نفسه قد عانى كثيراً فيما بعد ، بسبب انعدام كل عاطفة من عواطف الحب لديه » . وإذا كان نيتشه قد جهل ذلك العلم الكبير الذي سماه سقراط باسم « الحب » ؛ فليس بدعاً أن تجيء أحكامه التي أطلقها على المرأة . أحكاماً قاسية لا تثبُّت فيها ولا هوادة . وهو نفسه قد فطن إلى أن جهله بالمرأة لا بد أن ينحرف به عن جادة الصواب ؛ فذكر على لسان تلك المرأة العجوز التي التقى بها حكيمه زرادشت : « إن من الغريب أن ينطق زرادشت بالحق في حديثه عن النساء ، مع أنه لا يعرف عنهن إلا الشيء القليل ! »

ولكن ما هو هذا الحق الذي نطق به زرادشت في حديثه عن المرأة ؟ ألا فلنستمع إليه وهو يفضي إلى تلك المرأة العجوز بسر « المرأة » الذي كشفت له عنه الحياة ! : « كل ما في المرأة لغز ، وليس لهذا اللغز من حل إلا الولادة ... ليس الرجل للمرأة إلا وسيلة ، أما الغاية فهي دائماً : الولد . . . يجب أن يُنشَّأ الرجل للحرب والقتال ، أما المرأة فيجب تُعدّ للترويح عن المحاربين ، وكل ما عدا ذلك فهو حمق وضلال » . أما المساواة بين الرجل والمرأة فهي حديث خرافة ، لأن الجنسيْن مختلفان ، ووظيفة كل منهما مختلفة كذلك عن وظيفة الآخر . ويصف نيتشه هذه المساواة بأنها مساواة مضادة للطبيعة Antiphysis ، لأن من المحال أن تنقلب المرأة رجلاً ، مهما أجهد الخياليون utopistes أنفسهم في توطيد أسباب ذلك الانقلاب . ومهمة الرجل في نظر نيتشه هي أن يقوم بجلائل الأعمال ، ومختلف ضروب الحرب والقتال ؛ أما المرأة فإنه ليس ثمة لديها شيء سوى الحب والطفل . وتبعاً لذلك فإن سعادة الرجل هي : «أنا أريد» ، وأما سعادة المرأة فهي : « هو يريد »

وقد حمَل نيتشه على « الزواج الحديث » — كدأبه في الحمْل على كل ما هو مُحدَث — ، وأخذ عليه أنه زواج يقوم على العواطف الصاخبة التي لا تدوم ، والأهواء الجامحة التي لا تستقر . فالزواج لا يمكن أن يقوم على الحب ، لأن الحب يعصف برجاحة الحكم ؛ وإنما الواجب أن يقوم على أساس من التدبر والحكمة . وإذا كان نظام الزواج ، في المجتمع الأوربي الحديث ، قد أخذ يزحف على ساقين ؛ فما ذلك إلا لأن زواج الحب قد أصبح يُنظر إليه اليوم نظرة ملؤها التسامح والتساهل . أما الزواج الكامل الذي تتحقق فيه حكمة هذا النظام على أحسن وجه ، فهو ذلك الذي تكون فيه الرابطة بين الزوجين ، رابطة قوية لا تنفصم عُراها ، بحيث لا يمكن أن تعصف بها الأهواء العابرة والنزوات العارضة . ومثل هذا الزواج لا يمكن أن يكون الأصل فيه هو الحب ، بل « غريزة النوع » أو « غريزة الامتلاك » (باعتبار أن الزوجة والأبناء بمثابة ممتلكات للزوج) ، أو «غريزة السيطرة» . ويؤكد نيتشه قيمة غريزة السيطرة في الزواج ؛ فيقول إن الأسرة أشبه ما تكون بمملكة صغيرة تحتاج إلى أبناء وورثة لكي يدوم بقاؤها ، ففي مجال الأسرة يستطيع الرجل أن « يباشر » إرادة القوة التي توجد لديه !

بيد أن نيتشه سرعان ما يعدل عن هذه النظرة ، لكي يقدِّم لنا عن الزواج صورة أخرى محببة جميلة ، يُدخل فيها فكرته عن الإنسان الأعلى ؛ فيقول : « أنت شاب في مقتبل العمر ، وتتمنى أن تكون لك زوجة وأولاد ، ولكنني أسائلك : هل أنت رجل يحق له أن يطمع في البنين ؟ هل أنت الرجل

الظافر المنتصر على نفسه ، المسيطر على حواسه ، السائد على فضائله ؟ أم أن الشهوة الحيوانية والحاجة الضرورية هما اللتان تتكلمان بلسان رغبتك ؟ أم هي العزلة قد دعتك إلى ذلك ؟ أم هو اضطرابك وتنازعك مع نفسك ؟ إنني أريد أن يكون ظفرك وحريتك هما اللذان يتشوفان إلى الولد ؛ وإن عليك أن تبتني الأنصاب الحية لظفرك وحريتك . أجل ، إن عليك أن تبتني شيئاً يعلو عليك ، ويسمو فوق مستواك . ولكن يجب قبل ذلك أن تكون أنت نفسك متين البنية ، قوياً في الجسم والروح . فليس عليك أن تتناسل وتنتج فحسب ، بل إن عليك أن تُنتج في صمود ، فترتفع بنفسك إلى ما فوق ... وإنما الزواج عندي هو اتحاد إرادتين أو شخصين ، لكي ينشأ منهما واحد يكون خيراً منهما »

وعلى هذا النحو لا تعود المرأة مجرد الْهِيَّة ، ولا تقف مهمتها بعد عند الترويح عن المحاربين ، وإنما تصبح مخلوقاً جديراً بالاحترام والتقدير ، نظراً لأن قيمتها لا تقل عن قيمة الرجل في خَلْق الإنسان الأعلى ، والتأدِّي بالإنسانية إلى تلك الغاية السامية التي تعلو عليها .

زكريا إبراهيم

القضايا الكبرى في الإسلام

قضية الشاعرين هدبة وزيادة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٧ —

هذه قضية الشاعرين العُذْريين : هُدْبة بن خشْرَم وزيادة بن زيد ، بل مأساة الشعر الذي أراد الإسلام أن يجعل منه رسالة إصلاح ، وصلة تراحم ، فأبى إلا أن يمضي على ما كان عليه قبله ، يثير العصبية بين العرب ، ويقطع صلة التراحم بينهم وقد شغلت هذه القضية الناس ثلاث سنين ، بوقائعها المثيرة ، وأخبارها المؤثرة ، وأشعارها البليغة ، وكان أهل المدينة أكثر الناس افتتاناً بأخبارها وأشعارها ، لأن وقائعها جرت فيما بينهم ، وكان هدبة أول من أُقيد منه في الإسلام ، فأحدث ذلك في أهل المدينة الوادعة أثراً عظيماً ، حتى قال مصعب الزبيري : كنا بالمدينة أهل البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبر هدبة وزيادة ازدريناه ، وكنا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بهما .

وكان من أمر هذه القضية أن هدبة وزيادة اصطحبا في ركب من قومهما إلى الحج ؛ فكانا يتعاقبان السوق بالإبل ، وكان مع هدبة أخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز فقال :

عوجي علينا واربعي يا فاطما ... ما دون أن يرى البعير قائما
ألا ترين الدمع مني ساجما ... حذار دار منك لن تلائما
فعرَّجت مُطرداً عُراهما ... فعماً يَبُذُّ القطف الرواسما(١)
كأن في المثْناة منه عائما ... إنك والله لأن تباغما(٢)
خَوْداً كأن البوص والمآكما ... منها نقاً مخالطٌ صرائما(٣)
خير من استقبالك السمائما ... ومن مناد يبتغي معاكما(٤)

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته ، فنزل فرجز بأخت زيادة ، وكانت تدعى أم خازم أو أم القاسم ، فقال :

لقد أراني والغلام الحازما ... نزجي المطى ضُمَّراً سواهما
متى تظن القلص الرواسما ... والجلة الناجيـة العياهما
يبلغن أم خازم وخازما ... إذا هبطن مستحيراً قاتما
ورجع الحادي لها الهماهما ... ألا ترين الحزن مني دائما
حذار دار منك لن تلائما ... والله لا يشفي الفؤاد الهائما
تماحك اللبات والمآكما ... ولا اللمام دونُ أن تلازما
ولا اللزام دون أن تفاقما ... ولا الفقام دون أن تفاغما
وتركب القوائم القوائما

فشتمه زيادة وشتمه هدبة ، وتسابا طويلاً ، ثم صاح بهما القوم : اركبا لا حملكما الله ، فإنا قوم حجاج

وقد خشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه ، وهدبة أشدهما حنقاً ، لأنه رأى

---

(١) الطرد المتتابع السير ، والعراهم الشديد ، والرواسم الابل تسير الرسيم وهو فوق الدق

(٢) المثناة الزمام ، والعائم السابح ، وتباغم تكلم

(٣) البوص العجز ، والمأكمان ما عن يمين العجز وشماله ، والنقا ما عظم من الرمل ، والصرائم دونه

(٤) ويروى — ومن نداء يبتغي — أي رجلا تناديه أن يعينك على عكمك حتى تشده .

أن زيادة قد ضامه إذ رجز بأخته وهى تسمع قوله ، ورجز هو بأخته وهى غائبة لا تسمع قوله ؛ فمضيا ولم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حجهما ، ورجعا إلى عشائرهما

وكان هدبة من بنى عامر وزيادة من بنى رقاش ، فتفاقم الشر بين الرهطين ، والتقى نفر من بنى عامر فيهم أبو جبر وهو رئيسهم الذى لا يعدونه ، وخشرم أبو هدبة ، وزفر عم هدبة ، ونفر من بنى رقاش فيهم زيادة وإخوته عبد الرحمن ونفاع وأدرع ، وكان ذلك بواد من أودية حرتهم ؛ فكان بينهم كلام ؛ فغضب أدرع وأبو جبر، وكان زفر عم هدبة يعزى إلى رجل من بنى رقاش ؛ فقام أدرع فرجز به فقال :

أدُّوا إلينا زُفَرا نعرف منه النظرا
وعينه والأثرا

فغضب رهط هدبة وادعوا حداً على بنى رقاش ، فتداعوا إلى السلطان . ثم اصطلحوا على أن يدفع إليهم أدرع فيخلو به نفر منهم ؛ فما رأوه عليه أمضوه . فلما خلوا به ضربوه الحد ضرباً مبرحاً ؛ فراح بنو رقاش وقد أضمروا الحرب وغضبوا ، وكان على السلطان أن يتولى إقامة الحد على أدرع ، حتى يهدئ تلك النفوس التى لا تزال تنزع إلى جاهليتها ، وتحاول الرجوع إلى عاداتها التى قضى الإسلام عليها

ثم جعل زيادة وهدبة يتهاديان الأشعار ويتفاخران ، ويطلب كل واحد منهما العلو على صاحبه فى شعره ، وجرت بينهما فى ذلك أشعار كثيرة روى صاحب الأغانى بعضها ، ولم يزل هدبة يطلب غرة زيادة حتى أصابها فبيته فقتله ، ثم تنحى مخافة السلطان . وكان على المدينة يومئذ سعيد بن العاص ؛ فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم بالمدينة . فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه ، وتخلص عمه وأهله ؛ فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن أخو زيادة إلى معاوية بدمشق ؛ فأورد كتابه إلى سعيد بأن يقيد من هدبة إذا قامت البينة فأقامها ؛ فمشى رهط هدبة إلى عبد الرحمن وسألوه قبول الدية فامتنع . وقال :

أنختم علينا كلكل الحرب مرة فنحن منيخوها عليكم بكلكل
فلا تدعنى قومى لزيد بن مالك لئن لم أعجل ضربة أو أعجل
أبعد الذى بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذى تراب وجندل
أذكر بالبقيا على من أصابنى وبقياى أنى جاهد غير مؤتل

وقيل إن سعيد بن العاص كره الحكم بين هدبة وعبد الرحمن . فحملهما إلى معاوية بدمشق ؛ فلما صارا بين يدى معاوية قال عبد الرحمن : يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتى ، وقتل أخى ، وترويع نسوتى . فقال معاوية لهدبة : قل . فقال هدبة : إن هذا رجل سَجَّاعةٌ ، فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاماً أو شعراً فعلت . فقال له معاوية : لا بل شعراً . فقال هدبة :

ألا يا لقومى للنوائب والدَّهر وللمرء يُردى نفسه وهو لا يدرى
وللأرض كم من صالح قد تأكَّدت عليه فوارته بِلَمّاعة قَفْرِ
فلا تتق ذا هيبة لجلاله ولا ذا ضياع هن يترك للفقر

إلى أن قال :

رمينا فراميناً فصادف رمينا منايا رجال فى كتاب وفى قدْر
وأنت أمير المؤمنين فمالنا وراءك من مَعْدًى ولا عنك من قَصْر
فإن تك فى أموالنا لم نضق بها ذراعاً وإن صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية : أراك قد أقررت بقتل صاحبهم . ثم قال لعبد الرحمن : هل لزيادة ولد ؟ قال : نعم ، المسور ، وهو غلام صغير لم يبلغ ، وأنا عمه وولى دم أبيه . فقال له معاوية : إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق ، والمسور أحق بدم أبيه

ثم رد معاوية هدبة إلى المدينة ، فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور ، فذهب عبد الرحمن به إلى والى المدينة وهو سعيد بن العاص ، وقيل مروان بن الحكم ، فسأل سعيد عبد الرحمن أن يقبل الدية عن أخيه ، وقال له : أعطيك ما لم يعطه أحد من العرب ، أعطيك مائة ناقة حمراء ، ليس فيها جدَّاء ، ولا ذات داء . فقال له عبد الرحمن : والله لو نقبت لى قبتك هذه ثم ملأتها ذهباً ما رضيت بها من دم هذا الأجدع . فلم يزل سعيد يسأله

ويعرض عليه فيأبى ، ثم قال له : والله لو أردت قبول الدية لمنعني قوله :

لنَجِدنَّ عن بأيدينا أنوفكم ويذهب القتل فيما بيننا هدرا

فدفعه سعيد إليه ليقتله ، وكان الأولى أيضاً أن يتولى قتله بنفسه

فلما مضى من السجن إلى القتل التفت فرأى امرأته وكانت من أجمل النساء ، فقال :

أقِلِّي عليَّ اللومَ يا أمَّ بوزعا ولا تجزعى مما أصاب فأوجعا

ولا تنكحى إن فرَّق الدهر بيننا

أغَمَّ القفا والوجه ليس بأنزعا

كَلِيلاً سوى ما كان من حد ضرسه

أُكَيْبِدَ مِبْطانَ العشيات أروعا

ضروباً بلحييه على عظم زَوْرِه إذا الناس هشوا للفعال تقنَّعا

وحُلِّى بذى أكرومة وحميَّة وصبر إذا ما الدهر عض فأسرعا

فمضت إلى السوق حتى انتهت إلى قصاب فقالت له : أعطنى شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها عليك . ففعل فقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ، ثم جدعت أنفها من أصله ، ثم ردت الشفرة وأقبلت حتى دخلت بين الناس وقالت : يا هدبة ، أتراني متزوجة بعد ما ترى ؟ قال : لا الآن طاب الموت

ثم خرج يرسف فى قيوده فإذا هو بأبويه يتوقعان الثُّكلَ وهما بسوء حال ، فأقبل عليهما وقال :

أبلياني اليوم صبراً منكما إن حزناً إن بدا بادىء شر

لا أراني اليوم إلا ميتاً إن بعد الموت دار المستقَرْ

اصبرا اليوم فإني صابر كل حىٍّ لقضاء وقَدَرْ

فلما دفع هدبة إلى عبد الرحمن ليقتله استأذن فى أن يصلى ركعتين ، فأذن له فصلاهما وخفَّفَ ، ثم التفت إلى من حضر فقال : لولا أن يظن بى الجزع لأطلتهما ، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما . ثم قال قبل أن يقتل :

إن تقتلونى فى الحديد فإننى قتلت أخاكم مطلقاً لم يُقَيَّدِ

فقال عبد الرحمن : والله لا قتلته إلا مطلقاً من وثاقه . فأطلق فقام إليه وهز السيف ثم قال :

قد علمتْ نفسى وأنت تعلمُهْ لأقتلنَّ اليوم من لا أرحمه

ثم قتله . وقد رثاه واسع بن خشرم فقال :

يا هدب يا خير فتيان العشيرة من

يُفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا

الله يعلم أنى لو خشيتهم

أو أوجس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوه ولم أُسْلِمْ أخىَّ لهم حتى نعيش جميعاً أو نموت معا

وكان هدبة قد بعث إلى عائشة يقول لها : استغفرى لى . فقالت : إن قتلت استغفرت لك . فلما قتل وفت بوعدها واستغفرت له .

عبد المتعال الصعيدى

٢ – فســـاد الطريقة
فى كتاب النثر الفنى

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

« عدم الدقة أيضاً »

ومثل آخر[1] يجمع صنوفاً من عدم دقة صاحب الكتاب، موقفه من السجع . فإننا إذا صرفنا النظر عن موقفه من سجع القرآن نجد صاحب الكتاب غير دقيق فى تعبيره ، وغير دقيق فى تفهم كلام غيره ، كما نجده غير دقيق فى تقسيمه بل فى تفكيره ، حتى لتبلغ أغلاطه من هذه الناحية أحياناً مبلغ التناقض

فمن عدم دقته فى التعبير خلطه بين السجع والازدواج فى شاهدين من شواهد ثلاثة استشهد بها من كلام ابن المعتز « على أن التزام السجع لم يغلب غلبة مطلقة كما سنرى عند كتاب القرن الرابع ، وإنما هى طلائع لهجوم السجع نراها عند كتاب القرن الثالث » كما يقول

فأول الشاهدين قدم له صاحب الكتاب بقوله من صفحة ٨٢ من الجزء الأول : « ولابن المعتز من كلمة ثانية يغلب عليها السجع والازدواج » ثم ذكر سطرين أو أكثر قليلاً من كلام ابن المعتز يغلب عليهما الازدواج وليس فيهما إلا سجعة واحدة . فليس فيهما إذن ما يدل على غلبة السجع على كلمة ابن المعتز وإن كان فيهما ما يصح أن يدل على غلبة الازدواج . والدقة كانت تقتضى أن يأتى بشاهد يدل على غلبة الاثنين ، فإن كان لا بد أن يكون أحدهما أظهر فليكن السجع لا الازدواج ، لأن الموضوع موضوع السجع ، والفصل فصل أطوار السجع ، والاستنتاج متعلق بالسجع وطلائع هجومه عند كتاب القرن الثالث

وثانى الشاهدين كأولهما فى دلالته ، فقد اقتبس صاحب الكتاب لنفس الغرض من كلمة أخرى لابن المعتز ما يزيد قليلاً عن أربعة أسطر يغلب عليها الازدواج ، ولا تحوى إلا سجعتين متفرقتين لا تدلان على أن السجع كان يغلب على كلمتى ابن المعتز كالازدواج ، ولا على ما أراد صاحب الكتاب أن يستدل عليه من بدء هجوم السجع فى القرن الثالث ، لأن مثل الفقرتين المشار إليهما يمكن استخراجه لكاتب ما من المشاهير أو غير المشاهير بين كتاب أى قرن . فليس فيهما إذن دلالة خاصة عن السجع فى قرن خاص كالقرن الثالث ، خصوصاً وقد زعم صاحب الكتاب فى الصفحة قبل ذلك أن السجع بعد أن ضعف سلطانه قليلاً فى العصر الأموى – وكان غالباً فيما زعم على عصر النبوة – أخذ يسترد قوته فى أواخر القرن الثانى . وهذا معناه أن طلائع هجوم السجع ظهرت لا فى القرن الثالث ولكن فى أواخر القرن الثانى إن كان لكلام هذا الرجل قيمة ووزن ، ولم يكن يكتب كل ما يرد على خاطره من غير تمييز أو تمحيص

ولم يقف صاحب الكتاب عند مجرد القول إن السجع « عاد يسترد قوته فى أواخر القرن الثانى » بل تجاوز ذلك فزعم أنه بدأ يرى فى أواخر القرن الثانى « رسائل يكاد يلتزم فيها السجع » . فإن صدق فى قوله هذا كان ذلك أدل على الحين الذى أخذ السجع يغلب فيه من الشاهدين المشار إليهما آنفاً من كلام ابن المعتز فى النصف الثانى من القرن الثالث ، لأن ذينك الشاهدين ليس فيهما التزام ولا شبه التزام للسجع كما بينا لك . صحيح إنه جاء لابن المعتز بفقرة ثالثة طويلة كلها سجع لكنه كذلك جاء بفقرة فيها طول لكلثوم بن عمرو العتابى يؤيد بها قوله إن القرن الثانى شهد فى أواخره رسائل يكاد يلتزم فيها السجع . فهذا كاتب من القرن الثانى وذاك كاتب من القرن الثالث ، وبكل استشهد صاحب الكتاب على أن السجع بدأ يغلب فى زمنه . وواضح أنه إذا كان السجع بدأ يغلب فى أواخر أحد القرنين فمن المستحيل أن يكون بدأ يغلب فى أواخر القرن الآخر ؛ فصحة أحد القولين تبطل صحة القول الآخر من غير ريب

(١) انظر العدد ٥٧٤ من الرسالة

على أننا إذا رجعنا إلى ما زعم صاحب الكتاب فى أول صفحة ٨١ من أن السجع « كان يغلب على النثر فى عصر النبوة ، ثم أخذ سلطانه يضعف قليلاً فى العصر الأموى وإن حرص عليه القصاص والخطباء وناقلوا أحاديث الأعراب » وقارنا ذلك بقوله عن السجع عقب ذلك مباشرة « إنه عاد يسترد قوته فى أواخر القرن الثانى ، وبدأنا نرى رسائل يكاد يلتزم فيها السجع » . فإننا نجد رأياً ثالثاً لصاحب الكتاب لا يتفق مع بدء غلبة السجع لا فى أواخر القرن الثانى ولا الثالث . ذلك أن السجع إذا كان غالباً فى عصر النبوة فضعفه قليلاً فى العصر الأموى معناه نقص فى مقدار غلبته لا امحاؤها ، فهو إذن فى زعم صاحب الكتاب كان أيضاً غالباً فى العصر الأموى وإن دون غلبته فى عصر النبوة ؛ وهـــذا هو معنى وصف الضعف بالقلة إن كان لذلك الوصف معنى . وإذن تكون عودة السجع إلى استرداد القوة فى أواخر القرن الثانى معناها عودته إلى ازدياد الغلب لا إلى اكتساب الغلب . فالسجع حسب هذا الكلام من صاحب الكتاب كان غالباً فى العصر النبوي ، وظل غالباً فى العصر الأموى ، وإن إلى درجة أقل ، ثم ازداد غلبه وظهوره فى أواخر القرن الثانى . فلا معنى إذن لقوله بعد ذلك إن طلائع هجوم السجع بدأت تظهر فى القرن الثالث فى حين لم يسبق قول بأن السجع فقد الغلبة التى كانت له فى القرنين الأولين إن صح ما زعم صاحب الكتاب

فالمسألة كما ترى ليست مجرد عدم دقة فى التعبير ولكنها فى حقيقتها قلة تحقيق وعدم دقة فى التفكير

لكن من عجيب أمر صاحب الكتاب ، وذاك كلامه عن السجع فى القرنين الأولين ، أن يسمى السجع فى القرن الثالث بدعة كما ترى من قوله فى صفحة ٨٣ :

« ومن أظهر الدلائل على ذيوع بدعة السجع فى القرن الثالث ما رأيناه من حرص ابن داود على وضع عناوين الفصول مسجوعة فى كتاب الزهرة » ، وهو لم يكن ذكر قبل أن السجع كان قد اختفى أو تضاءل لا فى القرن الثانى ولا فى أوائل القرن الثالث حتى يصح إذا عثر على نص منه أو نصوص فى أواسط القرن الثالث أو أواخره أن يعد ذلك بدعة ذاعت يستدل على ذيوعها باطراد السجع فى عناوين الفصول من كتاب

ثم بينا أنت تقرأ له هذا فى صفحة ٨٣ إذا بك تقرأ له فى صفحة ٩٦ من نفس الفصل : « وكلام ابن الأثير يؤيد ما انتهينا إليه فى أثناء هذا الفصل من أن بناء الجملة لم يخرج فى جوهره عن السجع طوال القرن الثانى والثالث » ! وابن الأثير صاحب المثل السائر عاش فى أوائل القرن السابع ، وكلامه لم يكن فى تاريخ السجع متى ظهر وغلب ، أو متى ضعف واختفى ، ولكن كان فى مدح السجع إذا استوفى شروطه ؛ فكيف يمكن أن يكون فى كلامه ذلك ما يؤيد ما انتهى إليه صاحب الكتاب فى تاريخ السجع وتطوره ؟ ثم إذا كان ما انتهى إليه صاحب الكتاب فى أثناء الفصل هو « أن بناء الجملة لم يخرج فى جوهره عن السجع طوال القرن الثانى والثالث » فكيف يمكن أن يكون السجع عاد يسترد قوته فى أواخر القرن الثانى ؟ أم كيف يستقيم أن يسمي السجع فى القرن الثالث بدعة يلتمس لذيوعها الدليل ؟ إن تلك الجملة التى لخص فيها صاحب الكتاب ما انتهى إليه لا تدع له محلاً للاستثناء فى أمر السجع وذيوعه ، لا من ناحية الزمن ولا من ناحية الكلام ، فليس أشمل من ناحية الكلام من أن بناء الجملة لم يخرج فى جوهره عن السجع ، وليس أكثر استغراقاً من ناحية الزمن من قوله إن ذلك كان طوال القرنين الثانى والثالث

فهذه نقطة واحدة بسيطة تضارب صاحب الكتاب فيها عدة مرات

على أننا إذا تركنا اضطراب صاحب الكتاب فى السجع فى القرون الثلاثة الأولى ، وذهبنا إلى القرن الرابع الذى هو الأصل فى بحثه ، لم نجده فيه أقل اضطراباً ولا أكثر دقة وتحقيقاً

وأول ما تلقاه من فصل السجع والازدواج (صفحة ١١٣) أربعة أسطر يخبرك صاحب الكتاب فى الأولين منها أنه بين لك أطوار السجع فى النثر الفني ، وأنك رأيت كتاب القرن الأول والثانى والثالث يتنقلون بين السجع والازدواج ، ويذكر لك فى السطرين الآخرين أن التزام السجع صار من خصائص نثر القرن الرابع ، وأن كتابه لا يتحررون من السجع إلا إلى الازدواج ! فإن كنت ترى فرقاً بين هذا الذى ذكر لك عن كتاب الرابع وذلك الذى أخبرك عن كتاب الأول والثاني والثالث كنت كبير النصيب من قوة الخيال ، فإذا قرأت له عقب ذلك عن القرن الرابع قوله : (ولم يخرج من كتاب هـذا العصر إلى الحرية فى الصياغة الفنية إلا عدد قليل) عجبت أولاً كيف يكون التزام السجع من خصائص النثر الفنى فى القرن الرابع ويكون بين كتابه مطاقاً من يؤثرون الحرية فى الصياغة الفنية ، قلوا أو لم يقلوا ، وعجبت ثانياً كيف ينبه صاحب الكتاب إلى الحرية الفنية فى القرن الرابع دون القرون الثلاثة قبله ، كأن القرن الرابع كان أقل التزاماً للسجع من تلك القرون

ثم تقرأ له بعد ذلك تقسيم كتاب القرن الرابع إلى طوائف ثلاث : طائفة تلتزم السجع وتزاوج قليلاً ، وطائفة تؤثر الازدواج وتسجع قليلاً ، وطائفة تؤثر الحرية ، فلا تسجع أو تزاوج إلا قليلاً . وقد عد لك من الأولى تسعة ، منهم الخوارزمى ومن الثانية ثمانية منهم ابن العميد ، ومن الثالثة سبعة منهم ابن مسكويه

فإذا قارنت بين عدد من عدّ لك من كتاب الطوائف الثلاث عجبت كيف وصف الطائفة الثالثة من قبل بالقلة وهى سبعة أثمان الثانية وسبعة اتساع الأولى إن كانت تلك الأرقام تتناسب مع اتساع كل طائفة كما ينبغى أن تكون . على أنه بعد ذلك قد زاد فى الطائفة الثالثة حين عد منهم إخوان

ثم يأخذك عجب أشد حين تقرأ له فى صفحة ١١٥ : « وإذا نظرنا فى نثر ابن العميد وجدنا الحرية غالبة عليه ، ولكنا نراه يلتزم السجع أحياناً ، كأن يقول . . . » . ويأتيك بمثل كله سجع . يشتد عجبك حين تقرأ هذا ، وتتساءل كيف أمكن أن يخطىء صاحب الكتاب هذا الخطأ ، أو كيف أمكن أن يتراخى فى التعبير إلى هـذا الحد : يجعل ابن العميد على رأس الطائفة الثانية ، ثم يقول إن الحرية تغلب عليه فيحشره مع الطائفة الثالثة ! أى باحث هـذا الذى يقسم فلا يحسن التقسيم ، أو يطبق فلا يحسن التطبيق ؟

فإذا خطر لك أن تستقرى ما أورد صاحب الكتاب من نثر ابن العميد لترى إلى أى الطائفتين ينسبه فى الحقيقة ، انقلب عجبك سخرية بهـذا الباحث الذى يجعل ابن العميد على رأس طائفة ، ثم يدخله بالوصف فى طائفة أخرى ، ثم لا يورد له من شواهد نثره فى كتابه بجزأيه إلا ما يخرجه من الطائفتين جميعاً ويلحقه بالطائفة الباقية ! لأن ابن العميد فى تلك الشواهد يسجع أكثر مما يزاوج ، بل الازدواج قليل فى تلك الشواهد بالنسبة إلى السجع ، أما الحرية فليس له منها إلا أقل من القليل

وإذا كان هـذا هو مبلغ تناقض صاحب النثر الفنى فى الحكم على نثر كاتب مشهور مثل ابن العميد ، حتى فيما الحكم فيه سهل ، فكيف يمكن أن يوثق أو يطمأن إلى حكمه على من ذكر أو لم يذكر من كتاب القرن الرابع أو غير القرن الرابع ؟

الحق أن الرجل لا يحسن تقسيما ولا حكما ، ولا استقراء ولا استنباطاً ، وإن نادى على نفسه أنه باحث كبير يستطيع الخروج على الإجماع حتى فى أمر القرآن

محمد أحمد الغمراوى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٨٣ — بل يتعدى إلى الأعقاب

قال النواجي : قال التيفاشي فى كتابه « سرور النفس بمدارك الحواس الخمس » . وهو عدة مجلدات : إني وجدت جل من يستعمل هذا المشروب لا يفي له خيره بشره ، ولا يقوم نفعه بضره . وذلك لجهله بوجه استعماله ؛ فإن من المعلوم أن المقصود من شرب الخمر منفعتان : إحداهما راجعة للنفس ، وهى التفريح ونفى الهموم ، والأخرى للبدن وهى حفظ صحته عليه ، ونفى الأمراض النازلة به . ويتحقق عند كل من له أدنى مسكة من عقل أنها إذا استعملت على غير ما ينبغي انعكست هاتان المنفعتان مضرتين ؛ فصار عوض السرور هماً وغماً وضجراً وسوء خلق ، وعوض الصحة مرضاً مزمناً أو موتاً فجأة . إلا أنه لا يقتصر الأمر على عكس هاتين المنفعتين فقط ، بل يتعدى إلى مضار أخرى عظيمة إن سلمت المهجة كذهاب العقل والمال والجاه والذكر الجميل . ولا يقف الأمر على ذلك بل يتعدى إلى الأعقاب ؛ فإن الحكماء أجمعوا قاطبة على أن مدمن الخمر لا ينجب ، وإن أنجب كان الولد أحمق

٥٨٤ — هذا الكلام عليك لا لك

لما ناظر أبو الوليد « سليمان بن خلف » الباجي[1] الفقيه أبا محمد علي بن حزم قال له الباجي : أنا أعظم منك همة فى طلب العلم ، لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب ؛ وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق

فقال ابن حزم : هذا الكلام عليك لا لك ؛ لأنك إنما طلبت العلم وأنت فى تلك الحال رجاء تبديل بها مثل حالي ، وأنا طلبته فى حين ما تعلمه وما ذكرته ؛ فلم أرج به إلا علو القدر العلمي[1] فى الدنيا والآخرة . فأفحمه

٥٨٥ — . . . زادتها ستة أذرع

فى « الحوادث الجامعة » لابن الفوطى : فى سنة (٦٤١) أنفذ محيي الدين بن يوسف الجوزي رسولاً إلى ملك الروم « كيخسرو بن كيقباذ » ، فاجتمع به فى إنطاكية ؛ فلما عاد حكى أشياء غريبة ، منها أن النساء يتعممن كالرجال ، والرجال يلبسون السراقوجات ، وعمائم النساء تختلف فى الكبر والصغر ، لأن المرأة إذا جاءت بولد تعممت بعمامة طولها ستة أذرع ، وكلما جاءها ولد زادتها ستة أذرع . وذراعهم ذراع ونصف بذراع بغداد

٥٨٦ — دعانا إلى الخروج عليك

أسر عتاب بن ورقاء جماعة من الخوارج ؛ فوجد فيهم امرأة فقال : وأنت يا عدوة الله ممن مرق من الدين ، وخرج على المسلمين ، أما سمعت قول الله تعالى :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

فقالت : حسن معرفتك بكتاب الله دعانا إلى الخروج عليك يا عدو الله

---

(١) الباجى هو صاحب « المقالة » المشهورة فى كتابة النبي (صلوات الله عليه) . قال ابن عساكر فى تاريخه : جرى بينه وبين علماء الأندلس مناظرة فى أن النبي كتب أم لم يكتب ؛ فذهب الباجي إلى أنه كتب ، وألف رسالة فى ذلك : وفى (نفح الطيب) : « بين فيها أن ذلك غير قادح فى المعجزة ، إذ ليس من عرف أن يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه أمياً ، لأنه لا يسمى كاتباً ، وجماعة من الملوك قد أدمنوا = على كتابة العلامة ، وهم أميون والحكم للغالب لا للصورة النادرة » . وقد شنع على الباجي علماء عصره وكفره أبو بكر الصائغ

(١) قال صاعد فى تاريخه : كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة . أخبرني ابنه أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تآليفه نحو (٤٠٠) مجلد

من وادى عبقر

معركة الثلوج ... !

« من أدب الحرب »

يا صاحبي هـلا شهدت اليوم معركة الثلوج ؟
حشد الحمام بهـا وسائله على بيض المروج
ومشى إلى الغابات مصطخب الخطى جم الضجيج !
هو منجل الحصّاد يقتطف الجـنى قبل النضوج !
كم من شباب باسم الخطوات وثاب بهيج !
حُشِدوا إلى الموت الذى يسموا له حشد الحجيج !
فوق الجـوارى المنشآت وتحت ألوية البروج

* * *

حرب الحضارة هذه يا صاح هـل بلغت مداها ؟
تلد الذى تلد العـلوم وما تغار على جناها
مجنونة بالفتك طـاغية تجـور على فتاها
كم آلة للبطش قاسـية تهدّم من بناها !
ويح امقـل يبتنى مجـداً ويهدمه سـفاها
سكت النهى وتكلم الفولا ذ وا أسـفى ، وتاها

* * *

قد حرتُ فيمَ يهدم الر جل المثقف أو يحاربْ
أبقيـة الوحش القـديم بنفسه تلد العجائب !
أم تلك فطرته استوى فى لؤمها ذئب وراهب ؟
أم فى سبيل المجـد قد حشد الفواتك والكتائبْ
ما المجد غير مظاهر خد اعـة ومنى كواذبْ
يا ويح من شاد القصو ر وبات يرتع فى الخرائب !
ركب الهواء وغاص تحت المـاء يغلب أو يغالب !

* * *

أترى يشيد العـلم أر كان الحضارة من جديد ؟
أترى تزول فوارق الأجنا س فى الزمن الرشيد !
أترى نشيد ثقافة كبرى تجل عن الحدود ؟
وتعيش أسرة آدم فى عالم مرح سـعيد ؟
لا شعب يفخر بانتصار ناضـح بدم الجنودِ
أو سـيداً يختال فى الد نيا على شرف المسود
المجـد نعرفه ولكن فى مؤازرة وجـود !

(الخرطوم — سودان) محمد العربى . أ . فوزى

ألزم الالزم من لزوم ما لا يلزم (*)

لأبى العلاء المعرى

خف دعوة المظلوم فهى سريعة طلعت فجاءت بالعذاب النازلِ
عزل الأمير عن البلاد وما له الادعاء ضعيفهـا من عازل

إذا ما تبينا الأمور تكشفت لنـا وأمير القوم للقوم خادم

وفى كل مصر حاكم فوفق وطاغ يحابى فى أخس المطامع
يجور فينفى الملك عن مستحقه
فتسكب أسراب الدموع الهوامع
ومن حوله قوم كأن وجوههم صفا لم يلين بالغيوث الهوامع

ذرّية الأنس ، لا تزهو، فإنكم ذرا تمدون أو نملا تضاهونا

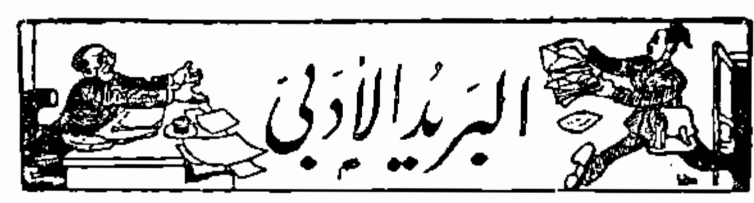
تجنّب الزهو فى الدنيا فلو زهيت غر الغمام لذُم القطر إذ نزلا

وليحذر الدعوى اللبيب فإنها للفضل مهلكة وخطب موبق
لو قال بدر التّم : إنى درهم
قالت له السـفهاء أنت : مزأبق

وكيف يؤمل الإنسان رشداً وما ينفك متبعاً هـواه
يظن بنفسه شرفاً وقدراً كأن الله لم يخلق سـواه

لا يفخرن الهاشمى عـلى امرىء من آل بربر
فالحـق يحلف ما عـلى عنـده إلا كقنبر

(*) مخطوط للأستاذ النشاشيبى



حول بعث القديم

نشرت « الرسالة » بعددها الأخير لأديب أظنه أحد طلبة المدارس تعليقات على مقالى بعث القديم . ولم يكن هذا المقال يقصد إلى تحقيق جزئيات بل إلى استخلاص حقائق عامة بقيت بنفسي من تدريس الأدب المصرى المعاصر بالجامعة . والظاهر أن الطالب الأديب لم يفهم ما قصدت إليه لحشد كتبه المدرسية ليحاجنى بها

قلت : « إننا لم نستطع أن نستخدم الطباعة إلا فى سنة ١٨٢٢» وفى موضع آخر ، « إننا لم نستخدمها على نحو مطرد إلا منذ سنة ١٨٢٢ » والمعنى واضح ، فالمقصود هو ابتداء طبع الكتب . وهذا ما يثبته ما نقله جرجي زيدان فى تاريخ الأدب العربى الجزء الرابع ص٥٨ عن بيانكى إذ قال « إن أول ما طبع كان قاموساً إيطالياً عربياً سنة ١٨٢٢ » ، وأضاف جرجي زيدان إلى ذلك فى نفس الموضع أنه « اطلع فى مكتبة محمد بك آصف بمصر على كتاب في صباغة الحرير ترجمه القس رفائيل راهب عن الفرنسية وطبع فى بولاق سنة ١٨٢٢ » وإذن فما قلته صحيح . ومع ذلك يأتى الطالب الأديب فيخبرنى مشكوراً أن كتب التاريخ حتى ما كان فى أيدى صبية المدارس الابتدائية تذكر أن مطبعة بولاق أسست سنة ١٨٢١ . وهذا ما لم أتحدث عنه . ومع ذلك فأنا أخبر الطالب الأديب دون أن أنتظر منه شكراً أن كتب صبية المدارس التى اطلع عليها كذابة وأنه قد اكتشفت منذ عشر سنوات ببولاق لوحة تركية دون فيها تاريخ افتتاح مطبعة بولاق ونشر صورتها الدكتور إبراهيم عبده فى كتابه عن « تاريخ الوقائع الرسمية » ، وهي تثبت أن هذه المطبعة قد افتتحت سنة ١٨١٩ — ١٨٢٠ لا سنة ١٨٢١ كما حدثته كتب صبية المدارس

وذكرت أن « أقدم الجمعيات التى تألفت لنشر الكتب وهى جمعية المعارف التى أسسها محمد عارف باشا لا ترجع إلى أبعد من سنة ١٨٦٠ » وإيراد التاريخ على هذا النحو لا يفيد تحديداً ومع ذلك لم يفهم الطالب الأديب فقال وكتبه المدرسية بيده إن مؤسس الجمعية هو إبراهيم بك المويلحى وإن تأسيسها كان سنة ١٨٦٧ والأمر لم نتركه بغير تحديد إلا لأنه ليس من البساطة بحيث يظن الطالب الأديب ، ونحن لم نكن بحاجة لذلك التحديد لتستقيم الحاجة ، ولهذا لم نقف عنده . وفى المرجع الذى أشرنا إليه فيما سبق يذكر جرجي زيدان أن محمد عارف باشا قد أسسها سنة ١٨٦٨ ، ولكن نفس المؤلف يذكر فى « تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر » طبعة سنة ١٩١١ جزء ٢ ص ١١٥ ما يأتى : « اتفق المويلحى مع المرحوم عارف باشا أحد أعضاء مجلس الأحكام بمصر وصاحب المآثر الكبرى على نشر الكتب على تأسيس جمعية عرفت بجمعية المعارف غرضها نشر الكتب النافعة وتسهيل اقتنائها وأنشأ هو مطبعة باسمه سنة ١٢٨٥ لطبع تلك الكتب وهى من أقدم المطابع المصرية . على أن الجمعية كانت تطبع كتبها فى مطابع أخرى وخصوصاً المطبعة الوهبية » . والذى يستفاد من هذا النص هو أن المويلحى قد أنشأ مطبعة سنة ١٢٨٥ هـ أى حوالى سنة ١٨٦٧ ميلادية ، ولكن المطبعة شيء والجمعية شيء آخر ، وأظن أنه من الطبيعي أن المطبعة لم تنشأ إلا بعد تأسيس الجمعية خصوصاً وأن الجمعية كانت تطبع فى مطابع أخرى ، والراجح أن اتفاق المويلحى مع عارف باشا كان على طبع الكتب التى تريد الجمعية نشرها فى مطبعة المويلحى ، ولقد تفادينا فى المقال كل هذه التفصيلات التى لا تحتملها مجلة وأخذنا بخصوص مؤسسها برأى زيدان الذى صرح فيه أن المؤسس الحقيقى للجمعية كان عارف باشا ، وأما عن تاريخ إنشائها فحيث أننا لم نستطع أن نجزم به فقد قلنا إطلاقاً إنه لا يرجع إلى أبعد من سنة ١٨٦٠ ، وفى هذا ما يكفينا لنمضى فى محاجتنا

هذه هى الوقائع التاريخية . وأما ما دون ذلك من الآراء التى أوردها الطالب الأديب ، فهي لا تستحق المناقشة لأنها مبنية على عدم فهم لما ذكرنا أو خلط فيه لالتماس مجال للكلام . فالذى نقصده بأسبقية الشعر على النثر فى النهوض قائم على الموازنة بين النثر الأدبى الفنى والشعر فى بدء النهضة . والنثر الفنى الأدبى غير نثر الترجمة أو التأليف ، بل إن هذا الأخير نفسه لم يتحرر

من الزخرفة اللفظية إلا من عهد قريب ، وعناوين الكتب التي ترجمت في عصر محمد علي ومن يليه بل والكتب التي ألفت كانت مسجوعة مثل « تخليص الإبريز في تلخيص باريز » للطهطاوي مع أنه كتاب ذكرياته عن مدة البعثة بفرنسا . وفي كتاب جواهر الأدب للهاشمي مئات من الأمثلة للنثر الفني الأدبي في ذلك العصر من رسائل شكر على هدايا إلى وصف لفصول العام إلى مناظرات بين مدن القطر المختلفة مما يعرفه جميع صبية المدارس القدماء ، وأما عن الطهطاوي ؛ فأنا لم أقل إنه أول من بعث القديم . بل قلت إنه كان يؤمن به ويدفع إليه بحكم ثقافته المستنيرة التي عاد بها من أوربا ، وهذا ما أقر به الطالب الأديب بعد أن نفاه

وأما عن المعلومات الكثيرة التي سردها الطالب الأديب عن الصحف والترجمة في الكتب الأكبر من مراجعه معلومات أكثر منها وهو يستطيع أن يعود إلى كتب بروكلمان وشيخو وزيدان وعبد الرحمن بك الرافعي وغيرهم كثيرين لينسخ صفحات مكدسة بأسماء الكتب والكتاب والصحف والصحفيين ، ولا شك أن هذه المراجع أغنى من (المجمل) (والمفصل) ، ولا شك أن وضعها في الهوامش يدل على علم أغزر واطلاع أوسع . وهذا لا ريب خير من المهاترة التي ضيعت على الطالب الأديب ما كنت أود أن أتبسط معه في شرحه وإيضاحه لو أنه قصد إلى فهم ما لم يفهم بدلاً من التخبط والتناقض الباديين في مقاله المضحك .

محمد مندور

عمرو بن العاص

استعرض الباحث النابه الأستاذ سيد قطب في صحيفة النقد بالعدد ٢٨١ من مجلة الثقافة ، مؤلف (عمرو بن العاص) للكاتب الجليل عباس العقاد ؛ فجلا روائعه أحسن جلاء يستوجب جزيل الشكر وعاطر الثناء

ولقد رأى مخالفة المؤلف في عدّه عمرا من عباقرة الأخلاق لأنه لم يكن عظيما في أخلاقه ، ولكنه لم يدعم ما ارتآه بدليل على أننا لا نظن أن شيئاً من هذا يجل عن أن يقف عليه أستاذنا العقاد ولو قد وقف لكان له من أخلاق عمرو موقفه الصائب الحكيم

ومما يشهد لعلم الإسلام بسمو سجاياه وجلال فضائله ؛ قول إبراهيم بن مهاجر عن الشعبي عن قبيصة بن جابر : صحبت عمرو ابن العاص فما رأيت رجلاً أبين منه قرآنا ، ولا أكرم خلقاً ولا أشبه سريرة بعلانية منه .

دسوقي ابراهيم

تلاشى

أخذ الأستاذ الشيخ علي محمد حسن في عدد سابق من الرسالة ، على بعض الشعراء استعماله كلمة « تلاشى » وذكر أنه لا يعرفها في لسان العرب

وطلع علينا العدد السابق بمحاولة يرمي الكاتب فيها إلى تصحيح هذه الكلمة ، وكلها نقل عن مجلة المجمع من بحث للأستاذ الجليل النشاشيبي

وهي تدور على قطبين ، أولهما وجود الكلمة في النهج ، ونقل الشارح كلمة « لشا » عن بعض أئمة اللغة – فأما وجودها في النهج فإن أول من يدفع الاستشهاد بما فيه هو أستاذنا النشاشيبي ، وأمر الخلاف فيه بيّن ، ويكاد الإجماع الأدبي ينعقد على أن بعض ما فيه عن كلام الصدور بمنأى . وأما وجود « لشا » فغير مدفوع ، بيد أنه لا يقتضي بحال وجود تلاشى ، والأستاذ خبير بأن جمهرة المزيدات غير مقيسة ، ثم هذا التحول في المعنى ماذا أحله – فإن « لشا » من الضعة والخسة ، وأختها أو لصيقها « تلاشى » من الاضمحلال

والقطب الثاني هو ورود الكلمة في كلام المؤلفين الثقاة ، ولكن متى كان كلام المؤلف – مهما كان موثقاً حجة ثبتاً – قاطعاً في ثبوت كلمة لغوية ، ودليلاً على أنها صريحة النسب في اللسان العربي

كثر أولئك الذين روى لنا عنهم الكاتب ناقلاً عن الأستاذ الجليل ، ولكنها كثرة قلة لا تأتي بقطع دليل ، ولا بنير برهان

وكأنها إلى معاونة النفي أقرب منها إلى مؤازرة الإثبات .

كامل السيد شاهين
المدرس بمدرسة رأس التين الأميرية

الاتحاد والحلول ووحدة الوجود

كثرت المناقشات حول وحدة الوجود في الأعداد السابقة من الرسالة الغراء ، واتجهت في آخر كلمة للأستاذ الفاضل دريني خشبة إلى الرغبة في تحديد وجهة الخلاف وبيان مقدار سلامة أو عيب دعوى الاتحاد والحلول ووحدة الوجود ولست أريد بهذه الكلمة الرد على الأستاذ دريني أو الأستاذ الفضال زكريا إبراهيم وإنما أقصد بها عرض هذه القضايا عرضاً موجزاً مع مناقشتها والرد عليها

فإن فكرة التصوف الأصيلة بعيدة كل البعد عن ترهات الحلول وضلالات الاتحاد وظلمات الوحدة، فقد ظل مذهب التصوف غير مشوب بها إلى القرن الثالث حيث تمكن واشتد اختلاط المتصوفة بغلاة الشيعة القائلين بدعوى الحلول فنقلها عنهم متأخرو الصوفية الذين قال بعضهم بأن السالك إذا أمعن وتوغل وجاهد فعبر (لجة الوصول) وانتهى سلوكه إلى الله وفي الله واستغرق في بحار التوحيد وكان صادقاً في هذا السلوك؛ فإن الله (عند أصحاب هذه الدعوى) قد يحل فيه!

هذا وقد ظهر الاتحاد والحلول عند النصارى فقد قالوا بأن الله تعالى ثلاثة أقانيم هي الوجود والعلم والحياة وهي ما يعبر عنها (بالأب والابن والروح القدس) وتفصيل ذلك معلوم

كما أن هناك جماعة من غلاة الشيعة، رأوا جواز ظهور الله في صورة بعض الكاملين من الناس وقدموا بطبيعة الحال سيدنا علي على سائر الكاملين، كما قدموا أيضاً أولاد سيدنا علي

ولئن فرض علينا التحقيق العلمي دراستها كتراث عقلي إنه ليفرض علينا أيضاً التأمل في بطلانها والرد عليها وإنا لنقول بصدد الرد على دعوى الحلول والاتحاد

إن الله واجب والواجب يتنزه عن صفات الحلول وأن الحلول محال على الله تعالى لأسباب كثيرة؛ ذلك لأن القديم يختلف عن الحادث لاختلاف الماهية في كل منهما وهذا الاختلاف يوجب استحالة حلول القديم في الحادث

ثم إن الله واجب الوجود، وهذا الوصف ينفي الحلول، لأنه في حالة حدوثه يصبح الحال تابعاً لما حل فيه كما يصبح معلولاً لهذا المحل ومتأثراً به، بل إنه ليصبح في غير الإمكان تصور الحال إلا بتصور المحل! وإذن ينتفي الحلول في هذه المرة كما استحال في الأولى

ثم إن الله واجب الوجود، والواجب ليس عرضاً أو ليس جوهراً. فإذا كان الحلول حلول عرض في جوهر؛ فلا يمكن بالنسبة لله تعالى لأنه ليس بعرض، وإذا كان حلول جوهر في جوهر؛ فلا يمكن أيضاً لأن الله تعالى ليس بجوهر

... هذا من ناحية الحلول، أما من ناحية الاتحاد؛ فكما تنزه الواجب عن الحلول، فهو يتنزه عن الاتحاد، لأنه لو حدث أن اتحد الواجب بغيره نتج عن ذلك حالتان: إما أن يبقيا موجودين، وإما أن يدركهما العدم معاً ويخرج منهما ثالث أو يدرك العدم أحدهما ويبقى الآخر

ففي بقائهما موجودين: فهما إذاً في هذه الحال اثنان متباينان متمايزان، وهذا التمايز ينافي الاتحاد، لأن الاتحاد يستلزم أن يصبحا واحداً

وفي عدمهما معاً يبطل الاتحاد، لأن المعدوم لا يتحد بمعدوم، وفي حالة عدم أحدهما فقط فإن الاتحاد لم يتحقق أصلاً

أما وحدة الوجود فمذهب أحدثه في الإسلام متأخرو الصوفية المتكلمون فيما وراء الحس، وخلاصته أن الله تعالى هو الموجود المطلق وأن غيره لا يتصف بالوجود أصلاً، فلو قيل إن الإنسان موجود فمعنى ذلك عندهم أن له تعلقاً بالوجود وهو الله تعالى. وإن جميع العوالم سواء اختلفت أنواعها وتباينت أجناسها وأشخاصها موجودة من العدم، وإن وجودها هذا محفوظ عليها بوجود الله تعالى وليس بنفسها لأنها معدومة من جهة نفسها بعدمها الأصلي، ومن ثم فوجودها الذي هي به موجودة في كل هو وجود الله تعالى فقط، وإن الوجود الحق هو عين ذات الحق أي الله تعالى، وهو واحد لا ينقسم ولا يتبعض ولا يتجزأ ولا ينتقل ولا يتغير ولا يتعدد أصلاً، ثم هو مطلق عن الكيفيات والكميات والأماكن والأزمان...

هذه خلاصة وحدة الوجود، وإننا لا ننكر كون العالم موجود بقدرة الله وإرادته، ولكن يجب أن نفرق بين وجود الله وهو وجود أزلي لا بداية له ولا نهاية، ووجود العوالم وهو وجود حادث له بداية ونهاية

ثم إننا أيضاً نسلم بأن وجود العوالم مسبب عن الله تعالى ولكن لنا أن نقرر أن هناك فرقاً كبيراً بين السبب والمسبب والعلة والمعلول

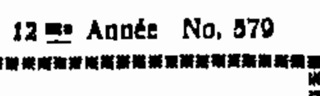
وأغرب ما في الأمر أنهم بعد أن أثبتوا أن وجود الله (لا ينمو ولا يتبعض ولا يتجزأ) أجاز لهم منطقهم بعد ذلك توزيع هذا الوجود على أفراد الموجودات، وحلوله فيها حلولاً أزلياً!!

وبعد: ففي هذا القدر الكفاية، وللأستاذ الفاضل دريني الشكر على غيرته، وللأخ الكريم الأستاذ زكريا الإعجاب بحيويته. ألهمنا الله الصواب.

(الإسكندرية) حسين محمود البشبيشي



12 me Année No. 579



بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

Lundi - 7 - 8 - 1944

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٥٧٩ «القاهرة في يوم الإثنين ١٨ شعبان سنة ١٣٦٣ — الموافق ٧ أغسطس سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

طفيليون ومقترحـــون

للأستاذ عباس محمود العقاد

لبعض الهيئات الإنجليزية نشرات دورية تصدر بأسماء الكتب التي تؤلف وتطبع في الموضوعات المختلفة شهراً بعد شهر وموسماً بعد موسم، وترسل إلى من يشاء في أنحاء الأرض للتوصية والانتقاء

في النشرة التي صدرت أول السنة الحاضرة أسماء كتب كثيرة في موضوعات مختلفة، منها كتاب بعنوان النسر والحمامة، من تأليف سا كفيل وست، يدور على ترجمة القديسة تيريزا راعية أسبانيا، وترجمة القديسة تيريزا اللازية الملقبة بالزهرة الصغيرة !

ومن هذه الكتب ترجمة لقارع الجرس البيروني Alberoni الذي استطاع في القرن الثامن عشر أن يقفز في أسبانيا من قارع جرس إلى كردينال وأن يحكم البلاد الأسبانية بسلطان الدين والدنيا. وعدة صفحات الكتاب نحو ثلثمائة صفحة يباع بواحد وعشرين شلناً

ومنها ترجمة جديدة — شعرية — لقصيدة دانتي الشاعر الإيطالي عن الجحيم

وهذا بعض المحصول في شهر واحد من السنة الحاضرة فأين المقترحون يا ترى في البلاد الإنجليزية ؟

مسكينة تلك البلاد التي لا تظفر بمقترح واحد من مقترحينا الذين يعدون بالعشرات

فأول ما يخطر على البال أن نزود أولئك المساكين بمبعثة من هؤلاء المقترحين يعلمونهم ما يكتبون وما لا يكتبون، ويذكرونهم أنهم في حرب زبون، وأنهم يضربون بالقنابل صباح مساء، وأنهم مواجهون بمشكلة التعمير في لندن والبلاد الإنجليزية، ومشكلة التعمير في أوربا والقارات الأخرى، ومشكلة البلاد الحرة والمستعمرات، ومشكلة النقد والتصدير والمعاملات بينهم وبين الدول كبيرها وصغيرها، ومشكلة التفاهم على توحيد الخطة بينهم وبين الروس والأمريكيين والصينيين، ومشكلة العمال ورءوس الأموال، والتأمين الاجتماعي، والتوفيق بين الديمقراطية وسائر المذاهب الاجتماعية

نسي المساكين هذه الحرب الحاضرة التي يذكرها المقترحون الطفيليون عندنا ويذكرون بها الكتاب والمؤلفين

نسي المساكين أنهم في سنة ١٩٤٤ للميلاد، وأنهم مواجهون بتلك المشكلات التي لا تواجه أمة من الأمم . فظهر بينهم من يؤلف الكتب عن القديسات في البلاد الأجنبية، وعن قارعي الأجراس في بلاد الأسبان قبل قرنين، وعن شعر رجل إيطالي ينظم القصائد قبل ستة قرون

وعندنا نحن في مصر ذخيرة كافية من المقترحين و «المهتكرين» الذين يقفون على أيدي المؤلفين ليعلموهم ما يكتبون وما لا يكتبون

فلماذا نبخل على الناس بحفنة من هذه الذخيرة الكافية تذكرهم ما نسوه، وتحاسبهم على ما فرطوا فيه، وتمر بالمداد الأسود على أسماء الكتب التي لا يجوز أن تكتب أو تطبع في سنة ١٩٤٤، لأنها ترجع إلى موضوعات في سنة ١٨٠٠ أو سنة ١٣٠٠ أو ما قبل ذلك بزمن يقصر أو يطول ؟

لسبب واحد يصح أن نبخل على الناس بحفنة من تلك الذخيرة الكافية، وهو أنها ذخيرة مستغنى عنها في الأمم الصالحة كل الاستغناء، فيوشك أن تعود في السفينة التي ذهبت بها إلى الديار الإنجليزية، لتقترح بيننا ما تشاء في البلد الذي يحب المقترحات ويكره الأعمال

الأمم الصالحة تستغني عن تلك الذخيرة كل الاستغناء، لأنها تعلم أن المعرفة مطلوبة حيث كانت، وأن التاريخ قد خلق ليكتب عن الماضي البعيد والقريب، ولولا ذلك لما خلق التاريخ، وأن المؤلف يحاسب بشيء واحد وهو إحسان ما يكتب وإتقان ما يطرق من الموضوعات ؛ فإن أحسن فهو مقبول نافع، وإن كتب عما قبل الطوفان ؛ وإن أساء فهو مرفوض غير نافع، وإن كتب عن موضوعات يومه ساعة بعد ساعة، ولم ينتظر بكتابته عن اليوم موعد الغروب

الأمم الصالحة لا تفهم تلك البدعة الزرية التي تجعل العقول البشرية مرهونة بالأفران والمطابخ، فلا تفكر ولا تكتب إلا في الطعام والشراب يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وعاماً بعد عام

وأقسم أن الذين يتفيهقون بتلك البدعة عندنا لا يفهمون كذلك ما يقولون، ولا يدرون أو لا يدري كثير منهم أنهم مسخرون لأغراض يساقون إليها وهم لا يشعرون

فالواقع أن الكتابة عن الماضي لا تبطل في زمن الأزمان، لأن الناس كانوا يعرفون أن التاريخ « ماض » حين اخترعوه وكتبوا فيه

وأن الكتابة عن النفس الآدمية وأسرارها في العظماء وغير العظماء تبطل في زمن الأزمان، لأن التعريف بإنسان واحد هو تعريف بالنوع الإنساني كله من قديمه وحديثه وماضيه وآتيه، وهو معرفة ينمو بها العقل الذي تنميه كل معرفة في كل موضوع

ولكن الدعاة المغرضين للمذاهب الهدامة يكرهون الكتابة في بعض الأمور ولا يجسرون على الجهر بعلة الكراهة، لأنها تصرف عنهم الأسماع والعقول، فيحاولون الوصول إلى أغراضهم من طريق غير طريق العقول : من طريق المعدات والبطون

هاتوا الفتة ! نحن لا نريد التاريخ ولا نريد النفس البشرية فتسمعهم البطون وإن لم تسمعهم العقول

أصحاب المذاهب الهدامة يكرهون الكتابة عن عمر ابن الخطاب وخالد بن الوليد وعن الأدب واللغة وتواريخ الأوطان وتواريخ الأديان

يكرهون الكتابة عن كل ما يحيي في الأمم نخوة وطنية أو نخوة روحية أو نخوة أدبية أو لغوية، لأنهم لا يريدون من الناس إلا أن يشعروا بطبقة واحدة تحارب جميع الطبقات ولا تجمعها بالآخرين جامعة دين ولا وطن ولا لغة ولا مطلب

من المطالب الإنسانية التي تتجاوز الأجور والأسواق

يكرهون ذلك ولكنهم يخرسون دون الجهر بما يكرهون ، فلا يقولون إنهم يكرهون الكتابة فيما يحيي الكرامة الوطنية أو الكرامة الروحية بل يصيحون : الفتة الفتة ، والجوع الجوع ، والحاضر الحاضر ، لتعمى العيون وقت البطون كما يقولون

ومتى كانت « مشكلات اليوم » مانعة أن يفكر الناس في مقاصد المعرفة ومطالب النفس الإنسانية ؟

ومتى كان الكلام في التاريخ وسير العظماء وأسرار النفس البشرية معطلاً لبحوث الزراعيين والصناعيين ودعاة الإصلاح الاجتماعي والعدالة الاجتماعية ؟

هنا في مصر — ولا نقول في أوربا وأمريكا — تصدر بين الحين والحين كتب في الزراعة وتربية الحيوان ومستقبل النقد وقواعد المعاملات وأصول السياسة تزيد في العدد على كتب الأدب والتاريخ

فإن كان البحاثون الاقتصاديون لا يحسنون جمع الأرقام واستخلاص الحقائق التي يبنون عليها صلاح المجتمع المصري فقولوا لهؤلاء إنكم مقصرون وإنكم لا تكتبون فيما ينبغي لكم أن تكتبوا فيه

قولوا لبائع الملابس إنك لا تأتي بالصوف الأصيل والقطن الجيد والكتان المتين ، ولكن لا تقولوا للصيدلي أو بائع السكر إنك المسئول دون غيرك عن الصوف المصنوع والقطن المخلوط والكتان المدخول والتفصيل المعيب

أو قولوا إن كنتم مخلصين إن المعرفة مطلوبة وإن دراسة النفوس البشرية حسنة نافعة ، ولكننا نحتاج إلى مؤلفين آخرين يكتبون فيما نقترح عليهم من المقاصد والأغراض

لكنهم لا يقولون هذا ولا ذاك

وإنما الشيء الوحيد « غير اللازم » عندهم هو الكتابة في إحياء النخوة القومية أو النخوة الروحية أو أن تجعل بين أبناء آدم آصرة غير آصرة الأجور والأسواق . وليكتب من شاء بعد ذلك فيما يشاء

ويأتي المقترحون الطفيليون عندنا فلا يكتبون ولا يدعون غيرهم يكتب فيما يحسن أن يدرس ، ويحسن الناس أن يقرأوه

فإن كان بهم لاعج من الهم أن يبسطوا القول في الزراعة والصناعة ومعارض الثروة ومحصول القمح والبرسيم فما منعهم أن يبسطوا القول فيها ويعقدوا الفصول عليها ويملأوا المكتبات بمصنفاتها ومترجماتها وهم يحملون الأقلام ويسطرون ؟

نحن في شهر أغسطس وفيه ذكرى سعد العظيم وهو رحمه الله لا يجهل هؤلاء المقترحين لأنهم عاشوا في زمانه كما يعيشون في هذا الزمان

ففي سياق الذكرى والعبرة نشير إلى كلمة له في هذا الصدد تأتي ولا ريب في أوانها المقدور

قال لي مرة : « إن آفتنا الكبرى ألا نحمل تبعاتنا وأن نحاسب غيرنا على واجباتهم ولا نحاسب أنفسنا على واجباتنا . ثم استطرد قائلاً : منذ نحو ثلاثين سنة دعونا بفراش مشهور طلبنا إليه أن يقيم سرادق عرس وأوصيناه أن يفرغ من إقامته قبل المساء . وفي عصاري اليوم مررنا بالمكان فإذا بالمرادق أكوام من الأخشاب والكراسي والثريات والمصابيح ولا سرادق إلا العمدان مفرقة هنا وهناك لا تؤذن بالانتهاء قبل أيام ... ما الخبر ؟ الخبر أن العمال اختلفوا في التنظيم والتقسيم فراح كل عامل منهم يشير على غيره بما يعمل وينتظر هو تنفيذ الإشارة ! واضع الكراسي يقول إنه لا يدري كيف يصفها قبل أن تقام العمدان ، فيأمر من يقيم العمدان بأن يقيمها حسبما يأمره وعلى عليه ! ومعلق الثريات في خلاف مع الإثنين يقول إن الكراسي ينبغي أن تصف هنا والعمدان يجب أن تقام هناك ... ولو أقبل كل على عمله لانتهوا جميعاً واستطاعوا أن يفضوا فيما بينهم هذا الخلاف — ٥٥٣ من كتاب سعد زغلول »

ونحن نعرف ما نصنع ونكتب ما نريد أن نكتب ونعرف لماذا نكتبه ونريده . فعلى غيرنا أن يلتفتوا إلى كراسيهم وثرياتهم وعمدانهم فيشتغلوا بها عن الاقتراح والإشارة وهم مكتوفو اليدين

أما الذين يتطاولون فيومئون إلى مكاسب الكتب فإنما نقطع ألسنتهم بكلمات معدودات لا نزيد عليها ، وهي أنهم يعلمون وغيرهم يعلم في أنحاء العالم العربي أن كاتب هذه السطور قادر على أن يكسب بقلمه أضعاف ما يكسبه من الكتب إذا سولت له نفسه أن يخدم الدعوات التي يخدمونها أو يخدمون أمثالها ... وفي هذا الكفاية !

عباس محمود العقاد

٣ – أحمد رامي

للأستاذ دريني خشبة

لعلنا لم نفاجيء أحداً بتلك الصورة الشاحبة التي حاولنا أن نرسم بها خطوطاً سريعة لقلب رامي ... ذلك القلب الذي كان الناس يحسبونه خلق للفرح والمرح والغناء ، والليالي الساهرة الطروب . فإذا هم يرونه قلباً ينضج بالآلام ، ويفيض بالمآسي ، التي استحالت في فم الشاعر شدْواً حزيناً باكياً ، وغناء رقيقاً رفيقاً موجعاً . وإذا هم يرونه قلباً عالياً يخفق بآمال الإنسانية وآلامها . يكلم الناى ويناجي البدر ، ويتوجع للمقيط ، ويخاطب الطير ، ويرثي للجمال الراحل ، ويرق للغريب ، ويندب حظ الهزار السجين ، وينتفض لليتيم ، ويبكي للحبيب ، ويأسى للزهرة الذابلة ، ويخفق بجناح الرحمة فوق قبر الجندي المجهول[1]

ونحن لا نعتذر عن هذه الصورة الشاحبة ما دامت هي الصورة الحقيقية لقلب رامي ، وما دامت هي النبع الصافي الذي شاعت موسيقا خريره في أغانيه . في تلك السنين العشرين التي ظل رامي طوالها أسطع شاعر من شعراء الغناء في مصر ، بل في العالم العربي كله

لم يطبع رامي من شعره الكثير الزاخر غير هذه الدواوين الثلاثة التي يجمع أولها شعره بين سنتي ١٩١٦ و ١٩١٧ ، وثانيها شعره بين سنتي ١٩١٨ و ١٩٢٠ ، وثالثها شعره بين سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٥ . كما نشرت له سنة ١٩٤٢ مجموعة من شعره لأغانيه . ويختلف الجزء الثالث عن الجزء الأول والثاني اختلافاً شديداً بيناً ؛ إذ نرى الشاعر في أول الديوان يشكو عزوفاً عن قول الشعر . ونراه يحن إلى جنته الأولى التي طالما خفق فيها بجناحيه . وحلق فوق أفنانها يغازل الحور ويعب من الخمرة الإلهية . . . ونراه لا ينظم في العام الطويل المريض غير قصيدة واحدة أو قصيدتين يتشوف فيهما إلى عروس غابه التي كانت تلهمه وتوحي إليه . ثم صدت عنه فجأة . . . وولت لا يدري إلى أين . . .

أين وحي الخيال والوجدان   يستقي منه خاطري ولساني

طال صمتي حتى خشيت على شعـ   ـري يفني وخمت وأد بياني

أسكوت والكون جم المعاني   وسكون والنفس في ثوران

هـذه نضرة الطبيعة تنشا   ل جمالاً على محيَّا الزمان

وحرام في ليـلة البدر ألا   تسمع الأذن سجعة الكروان

وحرام ألا يُحيي طلوع الـ   فجر طير الصباح بالألحان

وحرام ألا تميل غصون الـ   روض في هبة النسيم الواني

لست أدري أأستجم لخطب الد   هر أم أنطوي على أحزاني

يا بنات الشعر انفحيني وغنـيني وهاتي من شيقات المعاني

ودعيني إما أنوح على حظي وإما أبكي شبابي الفاني

لا أريد المضي عن هذه الدنيـا ولم تمتلئْ ببث جناني

إن صمبا على الزاهر تبلي   لا تناغَى على أكف القيان

وشديداً على النفوس مدارا   ة أساها بالصبر والكتمان

فاجعلي أنّتي روياً فبعض النـوح أشجي من مطربات المعاني

ودعي همسة الضمير تدوِّي   من عميق الآباد في الآذان

ربمـا شاق لحنها قلب محزو   ن وراقت ألفاظها سمع عان

كنت رطب اللسان ينطف منه   ريِّق الشعر بين آن وآن

وإذا بي حرمت نفسي سلوا   ها وحرَّمتهـا على إخواني

هذه أبيات من قصيدة جميلة لم يقل رامي غيرها في مدى ستة أشهر . وإليك أبياتاً من قصيدة أخرى لم يقل غيرها في مدى ستة أشهر كذلك :

إني لأخشى أن تموت عواطفي   ويجف ذاك النبع من أشعاري

وتقر نفسي بعد ثورتها فلا   يهتاجها شيء سوى التذكار

وترى مجال الكون عيني خالياً   من بهجة الآصال والأسحار

إني ليحزنني بقائي صامتاً   ولدي هذا الكنز من أفكاري

وأكاد أندب خاطري ومشاعري

وهمـا إلى نفائس الأذخار

في الشعر تأساني وفيه رفاهتي   وإليه أشكو صولة الأقدار

فإذا سكت فقد حرمت شكايتي   ولرب شكوى نفست أكداري

تُرى ، لماذا صمت رامي هذا الصمت الذي أفزع خياله ، وأرق شيطانه ، وجعل عرائس الشعر تجأر بالشكوى من طول ما سكت البلبل ؟! إن رامي يجيب على ذلك بقوله :

هل زال من دنياي حُسْنٌ هزّني

أم قرّ في قلـبي لهيب النار ؟

(١) هذه كلها أسماء لقصائد نظمها رامي

حب تضرم فى حنايا أضلعى فأصابه يأس بطول قرار (؟؟)
وبكيته حتى ملات بكاءه فسكت منطوياً وحزنى وار
وأردت أسدل فوق ماضى صبوتى
من طول أيامى فضول ستار
فإذا الحياة خلت من الحسن الذى
قد كان فيها متعة الأبصار
وإذا بها أقوت من المغنى الذى
قد راقنى فى سالف الأدهار
وإذا بقلبى فى مناحى أضلعى مثل الغريب غدا رهين سفار
مستوحشاً فى مهمه متطاول بعدت مطارحه على الأنظار

ويزيدنا علماً بمأساة قلبه ، فيقول هذه الأبيات الخوالد :

لمن الغناء أقوله فأصوغه من أدمعى ودمى وطيب سرارى
ومن الذى يوحى إلى من الهوى قبس الخيال ، وصدحة الأوتار
ما أطلق الطير الصدوح بشدوه
مثل ابتسام الزهر والنوار
أو نضر الزرع البهيج زهوره كالشمس والماء النمير الجارى
أو أرقص البحر الخضم عبابه كالبدر يشرق باهر الأنوار
الحب نبع الشعر منه تفجرت عين المعانى والخيال السارى
الحب لحن النفس وقعه على وتر القريض بنان موسيقار
الحب يفسح فى الحياة مراحها ويحفها ببدائع الآثار
فلرب ساعة خلوة هفافة طالت عن الأجيال والأعمار
ولرب وجه أبدعت قسماته أبهى من الجنات والأنهار
ولربما فاقت مناجاة الهوى معنى ومغزى ممتع الأسفار
ولرب ثغر باسم أحيا المنى وأطارها فى النفس كل مطار
هذا هو الحب الذى أشتاقه فيهيج ساكن روحى الزخار
ويمدنى بالشعر معنى سامياً ويبث فيه جلائل الأسرار

وبعد ... فنخشى إذا أطلنا الاقتباس على هذا النحو أن يخرج المقال مكتوباً بقلم رامى نفسه ... وبعد أيضاً ، فلنسأل رامى عن هذا الحب العجيب الذى تضرم فى حنايا أضلعه ، وبكاه حتى مل بكاءه ، ثم سكت منطوياً عليه وحزنه وار ، وأراد أن يسدل ستاراً على ماضى صبوته ، فلما فعل ، وجد الحياة قد أقفرت من معناها الجميل الذى كان يروقه فى الزمان الغابر .

وإذا ...

وإذا بقلبى فى مناحى أضلعى مثل الغريب غدا رهين سفار
مستوحشاً فى مهمه متطاول بعدت مطارحه على الأنظار ؟!

ولله هذه الصورة الرائعة للقلب الذى أقفر من الحب ، يصورها خيال رامى الشاعر المبدع الفنان ! إنها لصورة تذكرنا بصور صديقنا العبقرى الدكتور ابراهيم ناجى ، صاحب القلب :

الشهيد المتوارى فى الضلوع !

وهنا ... يجب أن نقف قليلاً لنقذف فى أسماع شعرائنا خاصة ، وأدبائنا عامة ، بذلك السؤال الذى طالما هممت أن أكتب فى موضوعه كلاماً طويلاً لا ينتهى ، أناقش فيه أولئك الشعراء والأدباء الحساب عن قصص قلوبهم ، وأنباء حبهم ؟

لماذا لا يصارحنا سادتنا الشعراء والأدباء بأنباء ذلك الحب الذى يخفونه عنا ، وهم يعلمون أن :

الحب نبع الشعر منه تفجرت عين المعانى والخيال السارى
والحب لحن النفس وقعه على وتر القريض بنان موسيقار

لماذا يتركنا سادتنا الشعراء والأدباء فى ذلك الظلام الدامس من أنباء حبهم ، ونحن لا نفتح كتاباً من كتب تاريخ الأدب فى الشرق أو الغرب إلا ونطالع من أنباء غرام الشعراء والأدباء المفصلة تفصيلاً تاماً ظريفاً طريفاً ما نقف منه على أهم صفحة فى كتاب حياة كل منهم ؟ أى شاعر من شعراء العرب الجاهليين أو المخضرمين أو الإسلاميين أو الأمويين أو العباسيين لا نعرف قصة حبه رائعة مفصلة ؟ وأى شاعر من شعراء الغرب لم تكتب عن أخباره الغرامية الكتب والمؤلفات ؟ هل يعتبر شعراؤنا الخوض فى أحاديث حبهم فضيحة ؟ حبهم الذى أثمر لنا أشهى ثمار الشعر المصرى الحديث ، والقصص المصرى الحديث ، والأدب المصرى الحديث ؟

إن امتناع رامى هذه الحقبة الطويلة عن قول الشعر بسبب نكبته فى حبه الذى نجهل أخباره ، يشبه امتناع ناجى عن قول الشعر تلك الحقبة الطويلة التى تكلمنا عنها حينما كنا نكتب عنه ، وذلك بسبب نكبته فى حبه الذى نجهله كذلك ، والذى أبى ناجى أن يحدثنا عنه « لأن أوان ذلك لم يؤن بعد » كما قال لنا مرة ونحن نحاوره فى ذلك :

لماذا نجهل حديث حب ناجى ، ونحن نعلم حديث حب شلى ؟
ولماذا نجهل حديث حب رامى ، ونحن نعلم حديث حب قيس ؟
ولماذا نجهل حديث حب على محمود طه ، ونحن نعلم حديث حب بودلير ؟
ولماذا نجهل حديث حب العقاد ونحن نلم بأحاديث حب بيرون ؟

وحـــدة الوجـــود

والأستاذ دريني خشبة في مقاله الثالث

للأستاذ معروف الرصافي

كتب الأستاذ دريني خشبة في مجلة (الرسالة) المصرية، أربع مقالات متتاليات، تعقب بها « رسائل التعليقات » للرصافي، وفند بعض ما جاء فيها من أقوال. ونحن هنا لا نريد أن نعرض إلا لمقاله الثالث فقط المنشور في العدد ٥٧٢ من الرسالة

أما مقاله الأول والثاني والرابع فنضرب عنها صفحاً، لأنها خارجة عن حدود آداب البحث والنقد. والظاهر أنها مكتوبة لغرض آخر غير النقد الذي لا نشك في أن الأستاذ خشبة يعرف حدوده فلا يتعداها، كما يعرف حقوقه فيرعاها، وواجباته فيؤديها؛ إذ وجه فيها إلى الرصافي تهمة هو برىء منها، ونسب إليه أقوالاً لم يقلها، وكل ذلك يدل على أنه لم يقرأ رسائل التعليقات، وإنما تصفحها سريعاً بلا إمعان ولا تثبت، ولم ينقل عبارات الرصافي بنصوصها، بل ذكرها ناقصة مقتضبة ومشوهة واكتفى بالإشارة إلى عدد صفحاتها، ولا شك أن الناقد النزيه لا ينظر في المساوئ فقط، بل في المحاسن أيضاً، وقد تعمد في تعابيره القدح والشتم، مما لا يليق بأقلام النقاد العارفين، إلى غير ذلك مما يدل على أنه لم يقف فيما كتبه موقف الناقد، بل موقف الطاعن الحاقد، لسبب لا نعلمه نحن بل هو

وأما مقاله الثالث المنشور في العدد (٥٧٢) من الرسالة؛ فإنه قد ترجم فيه للقراء أقوال القدماء من فلاسفة اليونان حول وحدة الوجود كما زعم هو، ليثبت بها أن نظرية وحدة الوجود قديمة، وأنها ليست بإسلامية محضة كما يقول الرصافي

فعلى ذلك نقول: كان يجب على الأستاذ أن يذكر أولاً نظرية وحدة الوجود التي يقول بها أهل التصوف كما ذكرها وصورها الرصافي في رسائل التعليقات، ثم يأتي بعد ذلك بأقوال فلاسفة اليونان، لكي يعلم القراء أين تقع هذه الأقوال من وحدة الوجود التي ذكرها الرصافي، ولكنه لم يفعل ذلك، بل أهمل ذكرها، فكان، بسبب ذلك، قراء الرسالة في حكمهم كالقاضي الذي سمع رد المدعى عليه من دون أن يسمع دعوى المدعي. ولا ريب أن ذلك مخالف لآداب البحث والنقد

والنذكر وحدة الوجود التي ذكرها الرصافي في تعليقاته، ثم نذكر تلك الأقوال ونقارن بينها لكي نرى أين هذه من تلك

وحدة الوجود عند الصوفية

يعبر الصوفية عن ذات الله « بالوجود الكلي المطلق اللانهائي » ويقولون بأنه لا موجود غيره، وأن هذه الكائنات ما هي إلا مظاهر وصور للوجود الكلي قائمة به، فليس لها وجود غير الوجود الكلي، ويشبهون ذلك بأمواج البحر؛ فكما أن الأمواج ليست سوى مظاهر وصور قائمة بالماء، وكما أنها لا وجود لها غير وجود الماء، كذلك هذه الكائنات بالنسبة إلى الوجود الكلي

وهذا الغزل الرقيق الذي يطرفنا به الجارم، ولا يزال يطرفنا به، حتى في المؤتمرات الطبية، ما خطبه؟ حب من هذه التي لا تزال توحي إلى أستاذنا الجارم هذا الغزل الراقص الرقيق يا ترى؟!

لماذا تعدون الكلام في أحاديث القلوب عيباً لا ينبغي، وأنتم تطرفوننا بكل هذا الغزل الجميل العلوي الخالد؟

لقد حدثنا العقاد في ساره أحاديث ملفوفة عن وقائع قد تكون فصولاً من كتاب حبه

ولقد حدثنا الحكيم في عودة الروح أحاديث مبرقشة عن وقائع قد تكون فصولاً في كتاب حبه، الذي ربما كان عصفور من الشرق وراقصة المعبد وبعض قصصه الأخرى فصولاً منه كذلك

ولقد حدثنا المازني أحاديثه الطريفة عن مغامراته بمثل ذلك الأسلوب غير الصريح

أما الأستاذ عزيز أباظة فقد كان أصرح أدباء مصر الحديثة وشعرائها جميعاً، حينما صارحنا بقصة قلبه في ديوانه الباكي « أنات حائرة »

هذا سؤال ألقيه في جو مصر الأدبي، وأرجو ألا يثير زوبعة!

وهذا سؤال ألقيه وقد أحسست بالشوك يدمي قدمي وأنا أسير في جنة حب رامي... هذا الحب الذي خاض الناس فيه كثيراً، ولم يعرفوا حقيقته إلى الآن.

دريني خشبة

هذا مجمل ما يقال فى تصوير وحدة الوجود التى يقول بها أهل التصوف ويمثلونها بقولهم لا موجود إلا الله وهم فيها مستمدون من الآيات القرآنية ، كما هو مذكور بالتفصيل فى رسائل التعليقات

ما يقوله فلاسفة اليونانه

لقد ذكر لهم الأستاذ خشبة أقوالاً كثيرة ، وكلها بعيدة عن وحدة الوجود ؛ فلا نعرض إلا لأقربها حوماً حول الوحدة التى يقول بها أهل التصوف ، وإذا ثبت بطلان هذه ثبت بطلان غيرها بطريق الأولى فنقول :

ذكر الأستاذ فى رقم (٥) أقوال (أجزنوفانس) الذى دعا الناس إلى عبادة الله الواحد الذى ليس كمثله شىء ، والذى تنزه عن الأعضاء فهو سميع كله سمع ، وبصير كله بصر ، وعاقل كله عقل ... موجود فى كل الوجود ، إلا أنه كان يؤمن بأن الله (حال) فى العالم ، وأنه ليس شيئاً غيره . قال الأستاذ وهو فى ذلك أول قائل بوحدة الوجود

فنقول إن القول بالحلول ينافى وحدة الوجود كل المنافاة ، لأنه بحكم الضرورة يقتضى حالاً ومحلولاً فيه . فيكون الوجود وجودين ، لا وجوداً واحداً . فكيف يكون الله حالاً فى العالم ، ويكون ليس شيئاً غيره

والصوفية ينكرون الحلول أشد الإنكار ، ويرون القول به كفراً بوحدة الوجود ، فالعالم عندهم ليس له وجود حقيق غير الوجود الكلى فهو قائم به ومظهر من مظاهره ليس إلا ، وكذلك الموجة فى البحر ، فإن الماء لا يكون حالاً فى الموجة ، لأن الموجة لا وجود لها غير وجود الماء . فالوجود واحد ، وهو وجود الماء ، والموجة لا وجود لها وإنما هى صورة قائمة بالماء

فإن كان الأستاذ خشبة يرى قول هذا الفيلسوف اليونانى منطبقاً على وحدة الوجود ، فهذه ليست بوحدة الوجود التى قال بها الصوفية فى الإسلام

ثم نقل الأستاذ فى رقم (١٠) بعض أقوال الذريين من فلاسفة اليونان ، فذكر عن (أناجزاجوراس) أنه كان يقول بتمدد العناصر ، وبوجود قوة عاقلة مدبرة حكيمة هى «العقل» تتولى تحريك تلك العناصر ، وتوجيهها وجهة عالية صالحة تضمن جمال الكون ونظامه ، إلا أنه يعتقد قدم العقل والعناصر على السواء ، وأن أحدهما لم يخلق الآخر ، وإن حرك العقل العناصر وألف معها وحدة الوجود

فنقول حق لنا أن نتمثل هنا بالمثل القائل : (صرحت بجدان)، فإن قول هذا الفيلسوف مصرح عن وجودين قديمين . فأى معنى يبقى لقوله فى الجملة الأخيرة : (وإن حرك العقل العناصر وألف معها وحدة الوجود) . وكيف يصح تأليف الوحدة من وجودين قديمين ، وكيف يصح من الأستاذ أن يعتبر هذا الفيلسوف قائلا بوحدة الوجود . نعود هنا فنقول إن الصوفية يقولون بالوجود الكلى المطلق اللانهائى ، وإنه لا موجود فى الحقيقة سواه ، وإن جميع الكائنات ليس لها وجود حقيق مستقل عن الوجود الكلى ، وإنما هى مظاهر للوجود الكلى ، وصور قائمة به قيام صور الأمواج بماء البحر

نكتفى من تلك الأقوال التى ذكرها الأستاذ بهذين القولين تاركين التعرض لغيرهما ، لأنهما يحومان بعض الحوم حول نظرية وحدة الوجود ، وإن كان بينهما بون بعيد جداً

هذا ما نريد أن نقوله الآن للأستاذ خشبة ، وقد بقى أمران لا بد من التعرض لهما ، الأول أننا نرى الأستاذ خشبة فى مقالاته يتهم الرصافى بأنه : (يدعونا إلى دين جديد) . فعلى هذا نقول :

إن الرصافى فى رسائل التعليقات لم يجىء مقرراً لمبدأ ، ولا واضعاً لمذهب ، وإنما تكلم عن وحدة الوجود التى قال بها كبار الصوفية من قديم الزمان ، فأوضحها وشرح غوامضها ، وكشف النقاب عن وجهها ، وهو فى كل ما قال عنها منتهج مناهج الصوفية الذين يعبر هو عنهم «بفلاسفة الإسلام» ،

سلوا من شئتم ممن عرفوا الرصافى من قريب أو بعيد ، هل ادعى التصوف أو هل تظاهر به ، فانكم لا تجدون من يجيبكم بنعم . على أنكم لو كنتم قرأتم رسائل التعليقات باحاطة واستقصاء ، لعلمتم أن الرصافى يخالف الصوفية فى بعض أقوالهم ، وينكر عليهم بعضها ، وإن وافقهم فى كثير منها ، لا سيما وحدة الوجود

فالرصافى لم يتكلم فى رسائل التعليقات عن وحدة الوجود دعاية للتصوف ، وإنما تكلم عنها بمناسبة مطالعته كتاب «التصوف الإسلامى» للدكتور زكى مبارك بقصد الاستفادة منه ، لأنه منذ أيام الصبا مولع بمباحث التصوف ، وإن لم يكن هو من الصوفية

وإذا كان هذا هكذا فماذا يريد الأستاذ بقوله إن الرصافى

يدعونا إلى دين جديد ، وأى دين يعنى ، وكل من قرأ الرسائل علم أن الرصافى غير داع إلى شىء ، وإنما هو فيما كتبه هناك موضح وشارح ومفسر لا غير ، ولكن الأستاذ أراد التهويل والتشنيع عند العامة فقال هذا القول المخالف للحقيقة من دون مبالاة ، فاللهم غفرا

الثانى : يظهر من الكلمة الأخيرة التى كتبها الأستاذ خشبة فى « الرســالة » رداً على رسائل التعليقات ، أنه يتهم الصوفية أهل وحدة الوجود كلهم ، لا الرصافى وحده ، بأنهم زنادقة وأنهم إباحيون ، وأنهم مثل القورينيين من تلامذة سقراط ينشدون اللذة ، واللذة الجنسية الخسيسة على وجه الخصوص « وأنهم يقولون بأن الهداية والضلال واحد ، وأن التقى والدعارة صنوان ، وأن المصير واحد » إلى غير ذلك من الأقوال التى ذهبت مشرقة والصوفية مغربون ، وهم منها بريئون ، وعنها بعيدون

إن فى هذه الأراجيف لدليلاً آخر على أن الأستاذ لم يقرأ رسائل التعليقات ، بل مر بها الخطفى ، فثارت به حميته الدينية ، لا ثقافته العلمية ، فأخذ يقول هذه الأقوال جزافاً ، ويرمى الكلام على عواهنه رمياً من دون تأن ولا تثبت

ولننظر فى الذى دعا الأستاذ إلى هذه التهم ما هو ، فنقول :

لما كان الصوفية يقولون ، كل ما وقع فى هذا الكون فهو حق ، وأنه لا باطل إلا المحال كما هو مذكور فى رسائل التعليقات ، تساوت عندهم المتضادات ، فالشر كالخير والضلال كالهدى كلاهما حق ، لأنه واقع ، ولو كان باطلاً لما وقع ، لأن الباطل هو المحال الممتنع الوقوع . ولكن هذا التساوى فى المتضادات ، إنما هو بالنسبة إلى الوجود الكلى أى إلى ذات الله ، لا بالنسبة إلينا ، فذات الله فى رأيهم لا يصدر عنها الباطل ، بل كل ما صدر عنها فهو حق ، وهم يستدلون على ذلك بآيات من القرآن كما هو مذكور فى رسائل التعليقات

فإذا كان الأستاذ خشبة ينكر عليهم هذا الرأى فما عليه إلا أن يذكر دليلهم ، ثم ينقضه بدليل مثله أو خير منه ، وأن يفسر لنا الآيات التى استدلوا بها تفسيراً يبطل به رأيهم ، وحينئذ نشكر له ذلك شكراً جزيلاً ، ويكون هو أيضاً فى غنى عن اتهامه إياهم هذه التهم المنكرة بغير حق

ولا بد أن الأستاذ خشبة قد قرأ كتاب التصوف الإسلامى للدكتور زكى مبارك ، واطلع على ما نقله عن الجيلى من أن الله هو الهادى وهو المضل ، وأن الضال متحقق بصفة الضلال كما أن المهتدى متحقق بصفة الهداية ، وأنهما أمام الله سواء ، كما هو مذكور فى رسائل التعليقات أيضاً . وهذا صريح فى أن تساويهما إنما يكون أمام الله ، أى بالنسبة إلى الله ، لا بالنسبة إلينا

إلا أن الدكتور زكى مبارك حفظه الله لم ينتبه إلى أن هذا التساوى إنما هو بالنسبة إلى الله فقط ، فلذا أخذ فى كتابه يتخوف منه على الشريعة والديانة ، والدولة والقوانين والأنظمة ، عما هو مذكور فى كتاب التصوف الإسلامى ولا حاجة إلى ذكره هنا . ونحن فى رسائل التعليقات قد أوضحنا للدكتور زكى مبارك أن هذه المخاوف واقعة فى غير محلها ، بما لا حاجة إلى تكراره هنا

ولو أن الأستاذ خشبة قرأ رسائل التعليقات واطلع على ما كتبناه فى رد هذه المخاوف ، لما وجه هذه التهم إلى الصوفية الأبرياء ، ولعلم أن القول بتساوى المتضادات ، لا يصادم أحكام الشرع ، ولا يستلزم الفوضى ، ولا يجعل الدعارة فى الناس كالتقوى ، ولا الرذيلة منهم كالفضيلة ، ولكن اتباع الهوى ، هوى النفس هو الذى حمله على هذا التهويل والتشنيع ، حتى نثل ما فى كنانته من تهم منكرة على صدور هؤلاء الأبرياء

ومن المعلوم أنه قد انتسب إلى الصوفية فى الأزمنة الماضية أناس ليسوا منهم ، فكانوا ولم يزالوا فى التصوف أدعياء ، وبالصوفية لصقاء ، وكثروا فى البلاد حتى كانت لهم الزوايا والرباطات والخانقاهات ، وانتشرت بدعتهم حتى كتب فى ذمهم وتوهينهم ما كتب بعض المتحمسين من علماء الدين كابن تيمية وابن القيم وغيرهما

ولا ريب أن هؤلاء ليسوا من الصوفية فى العير ولا فى النفير ، وقد تكلم عنهم الرصافى فى رسائله ونفاهم من التصوف ، واستخرج نفاوتهم من الصوفية فرماها جانباً ، وقال نحن إذا

على هامش ذكرى المعرى

«داعى الدعاة» مناظر المعرى

للدكتور محمد كامل حسين

— ٣ —

استجاب ابن صالح المرداسى صاحب حلب دعوة المؤيد؛ فدخل المؤيد حلب ومعه خزائن الأموال والسلاح والخلع ومكث مدة يستريح ويدبر أمر ما هو مقدم عليه، ثم أخذ يرسل الكتب إلى أمراء العرب والأكراد يستميلهم إليه وإلى المذهب الفاطمى ويدعوهم للقيام لنصرته ضد طغرلبك؛ فاستجاب له بعضهم مثل ابن مروان صاحب ديار بكر وابن الأحزم الخفاجى صاحب الكوفة وابن قائد صاحب واسط ووعدوه جميعاً بإمداده بالجند كما أقاموا الدعوة فى بلادهم باسم المستنصر الفاطمى، وقد حفظ لنا المؤيد فى سيرته نص رسائله إلى أمراء العرب وجوابهم له مما يجعل «السيرة المؤيدية» وثيقة تاريخية لها قيمتها لمن يدرس العالم الإسلامى فى القرن الخامس من الهجرة

سار المؤيد ومعه خزائنه وجيوش ابن صالح حتى بلغ الرحبة حيث البساسيرى وجيوشه، وخرج البساسيرى ومعه أمراؤه للقائه، وفى ذلك يقول المؤيد «إلى أن لقينا أبو الحارث البساسيرى والعسكر البغدادى على رحلتين من الرحبة، وإذا هم قد ضربوا مصافهم وضرب خيلنا مصافه؛ فرأيت العسكر تلاحق ميمنة نحو الجبل وميسرة طرف الفرات، وسمعت الأبواق تخرق الحجب بالأصوات، ورأيت أقطار الهواء كأنها صبغت حمراء وصفراء من أصباغ الرايات، ودخلنا الرحبة دخولاً عليه من آثار السعادة وسم، وتجاوزناها إلى شاطىء الفرات فنصبنا الخيام ووسطت جماً جمع كل قاطع زقاق، وكل جلال من الناس ودقاق، تراموا إلى تلك البقعة من كل آفاق ترکی وکردی وعجمى على اختلاف الجنس وعربى من كل طامع ذى ناب من الطمع حديد»

أخذ المؤيد بعد ذلك العهود والمواثيق على الأمراء، وخلع عليهم الخلع الفاطمية النفيسة التى لم يشاهدوا لها مثلاً، ووهب كل فريق نصيبه من الأموال؛ فكان بعضهم يأخذ نصيبه شاكراً، وبعضهم كان يستقل القدر ويرده طمعاً فى المزيد، وتذمر أكثر الجنود وطالبوا بزيادة العطاء، وانتشر دعاة السوء بينهم، فحاول المؤيد أن يرضيهم بالحسنى فلم يوفق. وأخيراً اضطر إلى أن يأنبهم وأن يسامحهم باليمين التى أقسموها بين يديه

قلنا الصوفية فلا نعنى بهم هؤلاء وإنما نعنى بهم رجالاً من الأصفياء الأبرار، أولى النفوس الزكية والتفكير الحر، القائلين بوحدة الوجود

ولكن الأستاذ خشبة قد أبى ضميره المدفوع إلا أن يخلط هؤلاء بهؤلاء، ويجعلهم كلهم فئة واحدة، ويوسعهم ذماً وثلباً، لا سيما القائلين بوحدة الوجود، فإنه قد شدد عليهم النكير، وشنع عليهم قولهم بوحدة الوجود كل تشنيع، وعبر عنهم بالأنجاس، ولم يستثن منهم أحداً حتى الجنيد وأمثاله ممن تقدم عليه أو تأخر عنه. ولم يكتف بذلك حتى أخذ يذكر قراء الرسالة بما كتبه علماء الدين فى الماضى من ذمهم وتوهينهم، كأن ذلك كأقوال القدماء من فلاسفة اليونان، شىء لا يعلمه أحد إلا الأستاذ خشبة

ومما يدعو إلى الحيرة والعجب، أننا لم نر فى الأولين ولا فى الآخرين من اتهم الصوفية بأنهم إباحيون يطلبون اللذة الجنسية الحسية فى جميع أحوالهم، حتى جاء الأستاذ خشبة فافتأت عليهم هذا الباطل الذى ليس فوقه من باطل

إن الكلمة الأخيرة من الأستاذ خشبة قد هتكت لنا ستار ضميره، وكل ما قاله من رسائل التعليقات يدل دلالة واضحة على أنه لم يكن ناقداً، بل كان مشوهاً ومشنعاً، فهل كان هذا منه بدافع من تحمسه الدينى، أو كان بدافع آخر. وإلا فليس من آداب البحث والنقد، ولا من المعقول، أن يهرف (!) برسائل التعليقات كل هذا (الهرف!) من دون داع إليه

وآخر ما نقول، هو أن الرصافى إنما يكتب للحقيقة، لا لأغراض أخرى، فإن أصاب فلله المن والفضل، وإن أخطأ فأجره من الله مأمول، وعذره عند كرام الناس مقبول.

(الرصافى)

وأظهروا أن الأمر إنما هو أمر الدين قبل كل شيء؛ فعادوا جميعاً يعتذرون إليه وجددوا اليمين بين يديه، وبعد أيام دعا أبا الحارث البساسيري وخلع عليه وقرأ عهده على الناس في يوم مشهود. ثم علم المؤيد أن نور الدين بن مزيد الأسدي وهو رجل العرب إذ ذاك وأكبر أمرائهم قد نقم على طغرلبك، فانتهز المؤيد هذه الفرصة وكاتبه ليحثه على اللحاق به والانضمام إليه؛ فذهب ابن مزيد إلى الرحبة ومعه جماعة من العلماء والأمراء، وأخذ يفاوض المؤيد في شروط الانضمام إليه وتحالفه معه، كما أوعز ابن مزيد للعلماء بمناظرة المؤيد أمامه في بعض المسائل الدينية والمؤيد مضطر إلى أن يصطنع الصبر، وأن يداهن ابن مزيد ومن معه، حتى قبل ابن مزيد بعد لأي أن يقسم يمين العهد بين يدى المؤيد؛ فكتب المؤيد له العهد ولقبه «بالأمير سلطان ملوك العرب سيف الخلافة صفى أمير المؤمنين»، ومع ذلك كله أخذ ابن مزيد يطالب المؤيد بأمور من شأنها أن تقسم الجيش وتبعد ابن صالح والمؤيد يقابله بشيء من المكر والدهاء، ويحاول أن يسعى بين ابن صالح وابن مزيد، ولكن سنيه (كان سعى امرىء بين ضباع تهارش، وذئاب تتجارح وتتحارش» فالجيش كما قلت كان من أجناس مختلفة ومذاهب متباينة تدب فيه روح التشاحن والتباغض، مما جعل المؤيد يصبح ويمسى في التوفيق بينهم، وفي ذلك يقول المؤيد «وكنت أصبح وأمسى في أثواب من انقطعت به الحيال، وضاعت على يده الأموال، وضاقت به من الهم السهول والجبال، غير أني أظهر في خلال ما أقاسيه جلداً، ولا أشمرت بحزازات صدرى أحداً، وازداد الأمر سوءاً بورود نجدة من دمشق من بعض الأمراء الكلبيين الذين سرعان ما ضجوا وتذمروا زعماً منهم بأنهم جردوا على أن يشهدوا جيش القبائل العربية خارجاً عن جماعة الأتراك والأكراد، فاضطر المؤيد إلى أن يغريهم بالأموال الجزيلة، وأن يضاعف عطاءاتهم، فساروا مع باقي الجيش إلى أن ظفروا بالانتصار على جيوش طغرلبك في رمضان سنة ٤٤٨ في موقعة سنجار، وهي الموقعة التي أشار إليها ابن حيوس الشاعر بقوله:

عجبت لمدعى الآفاق ملكاً وغايته ببغداد الركود
ومن مستخلف بالهون يرضى يذاد عن الحياض ولا يذود
وأعجب منهما سيف بمصر تقام به بسنجار الحدود

وبانتصار المؤيد في هذه الموقعة استطاعت جيوشه أن تدخل الموصل في شوال، واستطاع كذلك بعض الأمراء الذين ترددوا من قبل في محالفة المؤيد أن يسارعوا بالانضمام إليه وشد أزره، وأن يقيموا الدعوة في بلادهم باسم المستنصر الفاطمي صاحب مصر

ولكن الجيش عاد إلى الانقسام وانفصل عنه بنو عقيل، وتبعهم عدد كبير، وانتهز طغرلبك هذه الفرصة فأسرع للانتقام منه، كما أن الكندري وزيره أخذ في الاتصال بالأمراء الذين انضموا للمؤيد، وأخذ الكندري يخدعهم ويمنيهم بالولايات المختلفة فاستجاب له بعضهم، ولما رأى البساسيري حالة جيشه اضطر إلى الهرب؛ فتشتت بذلك شمل جيش المؤيد الذي كان في الرحبة، وكان يظهر للناس جلداً ويشجعهم ويقوى من نفوسهم ويحاول لم شملهم. أما في قرارة نفسه فكان كما وصف نفسه، «وأنا في باطن أمرى متكفن متخبط أنتظر تخبط الأيدى لى من كل مكان، وأجمع أمرى على أنه إن دهمنى ما أحذره رميت بنفسى في جانب البر؛ فلا أزال أضرب فيه إلى أن يحضرنى حاضر الجوع والتعب والعطش فأهلك، وإن أدركنى طالب من جهة العدو أبيت أن أعطيه قيادى دون أن أقطع قطعة قطعة تفادياً من أن أقاد إليهم حياً». وأمر المقربين إليه بالابتعاد عنه، أو الهرب من الرحبة خوفاً عليهم من سطوات العدو. وأخيراً اضطر المؤيد نفسه إلى أن يهرب من الرحبة؛ فدخل حلب سنة ٤٤٩ ومكث بها يترقب ويكاتب الأمراء والقواد، وفي حلب ناظر المعرى في مسألة تحريم أكل اللحوم، وهي المناظرات المتداولة المعروفة. وسنتحدث عنها فيما بعد

أخذ المؤيد في إرسال الرسائل للأمراء يستميلهم إليه مرة أخرى، ويمدهم النصر على أعدائهم، وكان على صلة بالبساسيري الذي لم ييأس، بل جمع إليه بعض الجند، وكاتب المؤيد يطلب مقابلته دون أن يفطن أحد إلى هذا اللقاء، فتقابلا في دير حافر، (وهي قرية بين حلب وبالس)، واتفقا على الخطة التي يجب أن يسيرا عليها حتى ينجح مسعاها. ثم جاء إلى المؤيد وفد من قبل إبراهيم بن نيال يطلب في الظاهر الخضوع لطغرلبك، وفي الباطن يطلب من المؤيد أن يخلع على ابن نيال، ويلقبه إذا غدر

بطغرلبك ، وشايع المؤيد وملك البلاد باسم الفاطميين ، فرحب المؤيد بذلك ، وأمر البساسيرى بالرجوع إلى الرحبة ، وتمت المؤامرة بالنجاح ، إذ استطاعت جيوش البساسيرى أن تدخل بغداد سنة ٤٥٠ هـ . وأن يدعى على منابرها باسم المستنصر الفاطمى ، وأن يأسر القائم بأمر الله العباسى ، وأن يصلب ابن المسلمة وزيره عدو المؤيد القديم الذى أرسله الخليفة العباسى لأبى كاليجار البويهى لإخراج المؤيد من شيراز ، وقد أظهر المؤيد شيئاً من الابتهاج بصلب هذا الرجل ، وظهر ذلك فى شعر المؤيد بقوله :

وعبوس يوم لابن عباس به ... لاقى الردى متشخصاً لعيانه

إذ بات يعثر فى ذيول مذلة ... يعتاض ضيق الحبس عن إيوانه

ورأى على الصارى ابن مسلمة الذى

ضجت فم الإسلام من عدوانه

فسقى الإله سجال رحمته ثرى ... قبر ثوى فيه أبو عمرانه

إن ابنه كم من مقام قامه ... صعبا بثبت جنانه ولسانه

فى رفع رايات النبى وآله ... وضرابه لعداتهم وطعانه

واتجه المؤيد إلى مصر ، وفى الطريق قابله صاحب البريد ومعه أمر من الوزير المغربى بأن يعود المؤيد إلى حلب ؛ فدهش المؤيد من هذا الأمر وأخذ يفكر فيه ، وأخيراً استقر رأيه على أن يواصل سيره إلى مصر ، ولكنه فوجئ بأمر ثان كالأول فلم يأبه به وواصل رحيله . فإذا بأمر ثالث مما جعل المؤيد فى حيرة من أمر هؤلاء الذين يحاولون منعه من دخول مصر بعد هذه الخدمات التى أداها لهم ، وبعد أن نشر دعوتهم وبسط سلطانهم فى قلب أملاك العباسيين ، بل بعد أن أزال سلطان العباسيين من عاصمة ملكهم وبعد أن أسر الخليفة العباسى نفسه ، وبالرغم من وصول هذه الأوامر إليه فقد أصر على دخول مصر وخشى أن يتخذ فى سيره إلى مصر الطرق المألوفة فيفاجأ بمثل هذه الأوامر ، لذلك عمد إلى أن يتخذ طريقه فى المجاهل ، وسار إلى مصر متنكراً فى رحلته إليها ، كما جاءها متنكراً فى رحلته الأولى ، فما شعر به أحد حتى رأوه على باب القاهرة فأسقط فى يد الوزير ولم يدر ماذا يصنع .

يخيل إلىّ أن المؤيد لم يجد من الوزير المغربى ما كان أهلاً له وما يجدر بمثله ، ولكن الوزير اضطر إلى أن يكل إلى المؤيد أمر الدعوة، وبذلك أصبح المؤيد حجة الدعوة وداعيها المطلق ولقب « بالرئيس الأجل عصمة أمير المؤمنين » . وبذلك وصل المؤيد إلى ما كانت تصبو إليه نفسه وبلغ أعلى درجات الدعوة الفاطمية فقد أصبحت مرتبته تلى مرتبة الإمام مباشرة ، ولكنها مرتبة روحية قبل كل شىء ، وليس لصاحبها أن يتدخل فى شئون السلطة التنفيذية

لا أستطيع أن أحدد المدة التى مكثها المؤيد فى هذه المرتبة ولم يحدثنا أحد من المؤرخين عنه ، ولم يحدثنا هو نفسه عن حياته بعد سنة ٤٥٠ هـ ، وكل الذى وصلنا أن الوزير عبد الله بن يحيى ابن المدبر (الذى تولى الوزارة مرتين إحداها فى صفر سنة ٤٥٣هـ وصرف عنها بعد شهور ، والأخرى فى ربيع سنة ٤٥٥هـ وتوفى عنها فى جمادى الأولى من هذه السنة) قد طلب إبعاد المؤيد من مصر ونفيه إلى الشام فسير المؤيد إلى الشام وعاد إلى مصر بعد مدة ، ولا أدرى متى كان ذلك ، ولا أشك أن المؤيد أصبح له بعض النفوذ فى مصر حتى خشي الوزير سطوته ونفوذه ، فاقترح بإبعاده عن البلد ثم نرى بعد ذلك شيئاً من نفوذ المؤيد إذ تولى صنيعته وكاتبه ونائبه فى ديوان الإنشاء أبو الحسن بن الأنبارى الوزارة سنة ٤٥٧هـ ومع ذلك كله فحياة المؤيد بعد سنة ٤٥٠هـ غامضة أشد الغموض إلا ما كان من أمر علاقته بقاضى قضاة اليمن لمك بن مالك الذى جاء مصر على رأس وفد من علماء اليمن ومكث فى دار المؤيد خمس سنوات وأخذ عنه كل علوم المذهب الفاطمى، وعاد إلى بلاده يبشر بآراء المؤيد وعلومه ، وسنتحدث عن ذلك فيما بعد . ولا تختلف المصادر فى أن المؤيد توفى سنة ٤٧٠هـ ودفن فى دار العلم بالقاهرة وصلى عليه إمامه المستنصر الفاطمى .

(يتبع)

دكتور
محمد كامل حسين
بكلية الآداب بالقاهرة

على هامش العرائس والشياطين

الطبيعة

في الشعر العربي والشعر العالمي

للأستاذ سيد قطب

أثارت مجموعة « عرائس وشياطين » التي اختارها الأستاذ العقاد من الشعر العالمي – ومازالت تثير – في نفسي موازنات شتى بين الشعر العربي والشعر العالمي في الاتجاهات العامة والخصائص الذاتية ، وهذه الموازنات – كما قلت – ضرورية للجيل الجديد من الشعراء ، يرى على ضوئها كيف يحسن أن يكون اتجاهه في الالتفات وطرائق التعبير ، لا على سبيل التقليد والمحاكاة ، ولكن على سبيل الاستفادة والتوجيه . ولهذا سأخرج في مقال اليوم قليلاً عن (العرائس والشياطين) فيما اختاره من النماذج العربية والعالمية

* * *

يخيل إلى من مجموعة الشعر العربي أن (الطبيعة) لم تكن إلا قليلاً – متصلة بإحساس الشعراء العرب اتصال الصداقة والألفة – بله اتصال المجموعة الحية – فهي في الغالب صلة عداء يمثلها قول الشاعر :

وركب كأن الريح تطلب عندهم

لها « ترة » من جذبها بالعصائب

وإن كانت هذه الظاهرة العامة لا تنفي الأحاسيس المفردة لبعض الشعراء حينما تختلف البيئة كقول حمدونة الشاعرة الأندلسية :

وقانا لفحة الرمضاء واد   سقاه مضاعف الغيث العميم

نزلنا دوحه فحنا علينا   حنو المرضعات على الفطيم

وأرشفنا على ظمأ زلالا   ألذ من المدامة والنديم

وكأبيات المتنبي المعجمة في وصف شعب بوان وفيها ذلك البيت الجميل

يقول بشعب بوان حصاني   أمن هذا يسار إلى الطعان ؟!

وظاهرة أخرى تغلب في الشعر العربي ، وهي الإحساس بالطبيعة عند ألفتها كأنها منظر يوصف أو يلتذ ، لا شخوص تحيا ، وحياة تدب . والمواضع التي أحس فيها الشعراء العرب بالطبيعة هذا الإحساس الأخير تكاد تعد . فنحن إذا استثنينا – ابن الرومي – وكان بدعاً في الشعر العربي كله ، لا نكاد نعثر إلا على أبيات ومقطعات يحس الشعراء فيها هذا الإحساس على تفاوت في قيمتها الفنية . نذكر منها على سبيل المثال قول مسلم ابن الوليد :

تمشي الرياح به حسرى مولهة   حيرى تلوذ بأكناف الجلاميد

وأبيات البحتري في وصف الربيع التي مطلعها :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا

من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقول ابن خفاجة الأندلسي في وصف جبل :

وأرعن طماح الذؤابة شامخ   يطاول أعنان السماء بغارب

وقور على ظهر الفلاة كأنه   طوال الليالي ناظر في العواقب

أصخت إليه وهو أخرس صامت   فحدثني ليل السرى بالعجائب

وفيما عدا ابن الرومي وتلك الأبيات والمقطعات التي ضربنا لها هذه الأمثلة تكاد الطبيعة في الشعر العربي (تستعمل من الظاهر !) ؛ فهي مناظر جامدة للوصف الحسي والتشبيه بالمحسوسات ، تعلو في سلم الفن ، حتى تكون كأبيات المتنبي في شعب بوان ، وتسفل حتى تصل إلى تشبيهات ابن المعتز جميعاً !

وظاهرة ثالثة : هي أن الطبيعة في الشعر العربي قد تحيا وتدب ويحس الشاعر بما يضطرب فيها من حياة ، ويلحظ خلجاتها ويحصي نبضاتها ، كما يصنع ابن الرومي في بدائعه . ولكنه هو لا يندمج في هذه الطبيعة ، ولا يحس أنه شخص من شخوصها وفرد من أبنائها ، وأن حركته من حركاتها ، ونبضه من نبضاتها ، وأنه منها وإليها ، وأحاسيسه موصولة بأحاسيسها

فابن الرومي حين يقول :

لم يبق للأرض من سر تكاتمه   إلا وقد أظهرته بعد إخفاء

أبدت طرائف وشي من أزاهرها

حمراً وصفراً وكل نبت غبراء

أو حين يقول :

رياض تخايل الأرض فيها خيــلاء الفتاة بالأبراد
منظر معجب تحيــة أنف ريحــه ريح طيب الأولاد

إنما يبلغ فى هذين المثالين وفى غيرهما أبدع ما يبلغه الشعر العربى من الإحساس بحياة الطبيعة ، ولـكنه يبقى فى منتصف الطريق بين هـذا المدى ، والمدى الذى يبلغه الشعر العالمى عند بعض الأمم فى الاتصال بالطبيعة اتصال الفرد بالأسرة والخلية بالجسم الحى ، والذرة الصغيرة بالـكيان الـكبير

فها هى ذى الشاعرة الإنجليزية المعاصرة « روث بتر » ، تقول فى مجموعة العرائس والشياطين ، للموت :

لا تنادينى والصيف مشرق أيها الموت !
إننى فى الصيف لن أجيب النداء
حين يوسوس العشب ويتمايل بأعطافه
لا ترفع إلى صوتك بالنداء من تلك الظلال السفلى
« حين يحن الصفصاف ويترقرق الماء
حين يتوانى الجدول وينمس الهواء
حين يتموج اللبلاب على الأسوار
لا تنادنى . قلت لك لا تنادنى أيها الموت فى ذلك الأوان
إنك عبثاً تنادى وترفع الصوت بالنداء
فنى إبان الأزاهير النامية لن أصغى إليك »

***

« لـكننى سأصغى إليك حين يتجرد كل حال وحالية
ومرحباً بدعائك حين ينتثر الورق من الشجر على ثراه
حين يسمع للسفوح فحيح فى العاصف المهتاج
حين يشم الرعاة من الشرق رائحة الثلوج
حين يهجر الحقل للريح تتولى حصاده
حين يصبح الإعصار حطاب الوادى الذى يطيح بأعواده
حين يصبح البَرَد بذرة الأرض التى تنثرها السماء
حين ننفر من كل شىء ولا نتوق إلى شىء
ناد يومئذ يا موت ولك الإصغاء والترحاب
فيومئذ أسمع وأنهض وأمضى ! »

وليس لدينا من الفراغ ما نقف به على مواضع الجمال الجزئية فى تصوير الطبيعة فى الصيف إبان الحياة ، وفى الشتاء إبان الموت ، ولا فى تصوير وسوسات الحياة ووساوس الموت هنا وهناك : « حين يوسوس العشب ويتمايل بأعطافه . وحين يحن الصفصاف ويترقرق الماء . وحين يتوانى الجدول وينمس الهواء » ، أو : « حين يسمع للسفوح فحيح فى العاصف المهتاج . وحين يصبح الإعصار حطاب الوادى الذى يطيح بأعواده . وحين يهجر الحقل للريح تتولى حصاده » ... الخ . فهذه جزئيات قد تخطر للشعر العربى ، ولا سيما لابن الرومى

ولـكننا نتجاوز هذا إلى الظاهرة الـكبيرة الجامعة فى هذه المقطوعة . تلك هى شعور الفتاة بأنها لا تستطيع أن تموت والطبيعة فى فصل الحياة ، ولن تلبى الموت إذا دعاها ، لأن الطبيعة حولها حتى وهى خلية حية فى هـذه الطبيعة النامية . أما حين يدب الموت فى الأم الـكبيرة . فهنا يحس أبناؤها أن لا مانع من إجابة دعاء الموت ، وذلك « حين ننفر من كل شىء ولا نتوق لشىء » ، وحين يدب الموت من الداخل تسهل إجابة النداء من الخارج

وفى القطعة مجال لتصوير « المرأة » التى تحسب الموت طوع رغباتها ورغبات الحياة النابضة فى قلبها كأنها الطبيعة ، فهى تناديه أن ينصرف عنها الآن ، كما تنادى الخطيب والحبيب فى تمنع وإدلال ! ولـكننا معجلون عن الإفاضة فى هذا إلى إيضاح الظاهرة الـكبيرة الجامعة فى قطعة أخرى لفتاة جـديدة ! « للورنس هوب » الاسم الرمزى لشاعرة إنجليزية معاصرة أيضاً !

إن رفيق الحياة يدعوها . . . وإنها لترغب فى إجابة دعوة الحب والحياة . ولـكن الطبيعة حولها حزينة والليلة شاتية ، وإنها لتشعر أنها هى وهو وثمرة هـذه الاستجابة إنما هم جميعاً خلايا فى هذا الجسم الحى ، وأن هذا الحزن الذى يدب فى حنايا الطبيعة سيتسرب فى « الروح الهائمة على أعتاب الدنيا تستجدُّ فيها جثمانها » . فتنشأ الثمرة وفيها من هذا الحزن قطرات . فلتؤجل الدعوة إذن إلى حين تـكون الطبيعة كلها فى فرح صبوح :

« لا ... غير هذه الليلة !
إن المطر يقطر حزيناً وانياً ...

عبرات أسى تحت سماء شجية
وعلى البعد « ابن آوى » هزيل خافت العواء
يزيد النسق وحشة وعزلة

* * *

« النهر الدافق يتقدم إلى البحر بهمهمة الشكوى
والظلال تؤوى إليها الوساوسَ الخفية
وعيناى ترنوان نحو عينيك ابتغاء عزاء
فتلقاهما الأهداب مبللة بالدموع

* * *

« إن الروح الهائمة على أعتاب الدنيا تستجِدُ فيها جثمانها
إن دخلتْ من خلال قبلاتنا إلى حظيرة الحياة
ورثت كل ما فى قلوبنا من أسى
وكلَّ ما فى المطر المنحدر من شجن مكظوم

* * *

« لا . حين تشتهي استجابة الحب الكبرى
أقبل إلىَّ والصباح يرتع فى الأنوار
والبلابل من حولنا مشوقة تصدح بالغناء
بين الورود من حمر وبيض

* * *

« وكذلك حين يقضى الله لى تلك الفريضة الحلوة القدسية
مذعنة لمشيئته الإلهية
كى أمنح الدنيا صورة من جمالك
لأسلمنها إذن إلى الدنيا ومعها فرحى فيك »

فهذه شاعرة وامرأة . يبدو فى مقطوعتها طريقة إحساسها بفرح الطبيعة وحزنها ، وتتبين الوشائج الحية بينها وبين هذه الأم الكبيرة ؛ وهذه هى الظاهرة التى نريد إبرازها . ولكن هذا لا ينسينا أن نقف مرتين أمام موضعين من مواضع الإبداع فى القصيدة :

الأول : طريقة الإحساس بحزن الطبيعة وفرحها : فالمطر « الذى يقطر حزيناً وانياً عبرات أسى تحت سماء شجية » يجتمع إلى « ابن آوى هزيل خافت العواء على البعد » فيزيد النسق وحشة وعزلة . و « النهر الدافق يتقدم إلى البحر بهمهمة الشكوى » يجتمع إلى « الظلال تؤوى إليها الوساوس الخفية » وكلاهما يجتمع إلى « عينيها ترنوان نحو عينيه ابتغاء عزاء فتلقاهما الأهداب مبللة بالدموع » . ثم فى الوجه الآخر : « الصباح يرتع فى الأنوار . والبلابل مشوقة تصدح بالغناء » وكلمة « مشوقة » خاصة فى هذا المكان إنها لوحة متناسقة الألوان أو سيمفونية متوافقة الألحان بين الطبيعة وأبنائها الجميع

والثانى : تلك الكناية الدقيقة البارعة عن « الروح الهائمة على أعتاب الدنيا تستجدُ فيها جثمانها » وعن « استجابة الحب الكبرى » التى ترتفع بها وترتفع حتى تجملها « الفريضة الحلوة القدسية التى يقضيها الله » . إنها كناية امرأة . وامرأة تحب . وامرأة شاعرة تجتمع كلها فى سياق !

* * *

وقد توجهنا حتى الآن فى الموازنة بين الشعر العربى والشعر العالمى إلى شعراء الغرب فى مجموعة « العرائس والشياطين » وبخاصة الشعراء الإنجليز ، فلنتوجه نحو الشرق أيضاً فى هذه الموازنة فى الشرق البعيد ، وفى مصر الفرعونية مثل نتقدم بها مطمئنين

يقول الشاعر الصينى « يوان مى » من شعراء القرن الثامن عشر الميلادى بعنوان « زهر الصفصاف » :

« أزهار الصفصاف كنديف الثلوج ... إلى أين ؟
أين تمضى جموعك الضالة مع الريح ؟

* * *

« قلما نبالى . وأقل من ذلك ما ندرى !
إنما سبيلنا من سبيل الهواء
حياتنا فى دوَّاماته العاصفة
وموتنا فى الهاوية هناك »

فهذا إنسان يحس بنفسه وبالناس كزهرة أو أزهار الصفصاف . «سبيلهم جميعاً من سبيل الهواء . حياتهم فى دوَّاماته العاصفة وموتهم فى الهاوية هناك » . فيزيد على إحساس الغربيين بالاندماج فى الطبيعة ، تلك الصوفية الغيبية ، طابع الشرق الجيل العميق البسيط الذى لا يكاد يبدو فى الشعر العربى

وفى المجموعة قطعة أخرى للشاعر نفسه فيها هذه الصوفية

الرقيقة وبجانبها إحساس المودة الصادقة بينه وبين الطبيعة التي تداعبه نسماتها وترسل عليه زحاماً من المطور وتبسم في وجهه وهو لا يدري من زحمة المطور عليه عطر الورد من عطر البشنين :

« على ضفة الجدول الفربى
تطيف بي الأحلام في الفسق المزنبق
وتداعبني نسمات الربيع
فترسل عليّ زحاماً من المطور
وتبسم في وجهي حين لا أدري
عطرَ الورد من عطرِ البشنين »

ونتجاوز مجموعة « العرائس والشياطين » لنقع على أغنية مصرية قديمة حيث : « تدعو شجرة الجميز فتاة إلى موعد حب تحت ظلالها ، واعدة أن تكون أمينة على أسرارهما » !

وفي الموضوع كما ترى تلك الصداقة الحلوة بين شجرة الجميز وبين الحبيبين ، حيث تشترك الطبيعة في مباركة الحب . فإذا أضفنا إلى ذلك أن شجرة الجميز كانت مقدسة عند المصريين لأن إلٰهة « الخصب » « حاتحور » كانت تسكنها وترمم مطلة بين فروعها ، زاد الموضوع قوة . فليست الطبيعة وحدها هي التي تبارك الحب بل الآلهة أيضاً ، وإلٰهة الخصب بنوع خاص !

وهـذه القطوعة مترجمة ترجمة حرفية ربما ذهبت بالكثير من جمالها ولكنها تفي بالغرض الموضوعي :

« غنت شجرة الجميز إلى فتاة جميلة
وكانت كلماتها تتساقط كقطرات الشهد
فأصبح الثمر الذي أحمله بلون الياقوت الأحمر
وكل ما في تعريشتي لأجلك

***

« إن أوراقي تزدان بلون خضرة البردي
وفرعي وجذعي لهما بريق عين الهر
تعالي تحت ظلي الرطب
ليستريح حلم قلبك الذي به تحلمين

***

« سترسل سيدتي رسالة حب
إلى الشخص الذي سيكون سعيداً
قائلة : احضر إلى حديقتي قليلاً
واجلس معي في ظلي
سأجني لك الفاكهة لسرورك
وسأقطع الخبز وأصب النبيذ
سأقطف لك الأزهار النضرة

***

« في يوم هذا العيد السعيد
ستكون سيدتي وحدها مع حبيبها
آه . سأصمت عما أرى
ولا أتفوه بما سمعت ! »

***

إن إحياء الطبيعة والاندماج في حياتها ، كلاهما مرحلة بعد أخرى . وكلتاهما في حاجة إلى رصيد ضخم مذخور من الحيوية الباطنية . وقد كانت حيوية العرب حيوية حس تنفق أولاً بأول في الانفعال القريب والحركة المباشرة ، والعمل المنظور . فلم يبق في نفوسهم ذلك الرصيد المذخور في الباطن للتأملات والتصورات ، التي هي أعلى وأعز ما في الفنون . ولعل في هذا تعليلاً لعدم نمو القصة الفنية في الأدب العربي إلا على نحو قريب من الحكاية والخبر والكلام في هذا الموضوع يطول . وليس هذا المقال موضعه على كل حال .

سيد قطب

من أدب الزراع:

الخـــط الأول...

لصاحب العزة محمد محمود جلال بك

لثمانية أعوام خلت كنت إذا مررت بناحية معينة من زراعتي أشعر فجأة بشبه صدمة يعقبها شيء من الاشمئزاز ، إذ تقع عيني بين نضرة النبات على بقعة جرداء . وحتى في الأوقات التي لا تكتسي الأرض بحلة من زرع كنت أرى في لون التربة معنى من الجدب ولوناً من الإهمال . كنت أراها كالمن يفسد معروف الرجال ، ويجاور هـذه البقعة مقابر « الشيخ عطا » ؛ فـكأنما تفصل بين الدنيا والآخرة . وكم آلمني منظرها ، والفلاح كالفنان يجد أذى في النشاز ؛ فهـذا يسره اتساق المزروعات مرأى ، وذاك يكره تنافر الألوان ، أو إهمال التنسيق في ناحية من تمثاله

وقلت مرة إن إصلاحها يأخذ بيد أهل الدنيا ، ويرفه الجوار لسكان هـذه المقبرة ! . . . كان ذلك سنة ١٩٣٦

ومنذ يومين مررت بها كأي مرور مما يحدث مرتين في الشهر على الأقل . ولـكن ما أدري كيف سبح الخيال إلى عام ١٩٣٦ ، ولم رجعت الذاكرة سراعاً إلى ما كان ؟!

نظرت فإذا الحقل ضمن زراعة القطن هـذا العام ، وإذا الحقل يمتد في نظام ونضرة واتساق إلى آخر حدود المقبرة !

تلفت إلى ناظر الزراعة عن يميني ، وتلفت القلب إلى صفحات تنشر من عمر مضى ، وكادت تشغل الصـحف كل البال ، وتغمر في طياتها الحاضر . ثم تيقظ العزم وتيقظ الحاضر ؛ فتساءلت : أين القطعة التي عملنا على إصلاحها ؟ قال : هي تلك ! مشيراً بيده : انظر ، لقد أصبحت أخصب ناحية في زمام القطن . . . المجاور !

وهل زرعت لحسابنا ؟ قال : كيف ! لقد تقاطر الراغبون حين فراغنا من عملية الإصلاح ، وإني لأذكر كيف كانت مطامح النظر لأول (خط) رسمه المحراث فيها

وفي الشهر الماضي زرت صديقي وأستاذي صاحب الرسالة ، وفي حديثنا أشار بلفظه العذب وأسلوبه الصافي عاتباً على انقطاع كتابتي قائلاً : أهكذا لا شيء من نظمك ولا شيء من نثرك ؟ إني غاضب حقاً . لم يكن ردي غير اعتذار ووعد بإعادة ما كان بيني وبين الرسالة

ولست أخفي على قراء « الرسالة » أني تهيبت العودة إلى ساحتها ، وكل ما فيها رشيق دقيق . تهيبت تهيب من يخشى لأمانته حسن قدره للأمور مع الرغبة في الوفاء

وقمت في بكور اليوم إلى مكتبي أسجل هذه السطور القليلة ؛ ويقوى من عزمي ما أعلم من أن الأدب أوسع صدراً وأبر بمن ينسب إليه ، أو يحاول قربه من أن يرده خائباً ، أو أن يطوي عنه ستره

ومنذ سـنة ١٩٣٦ لم أكتب شيئاً ، ومن العجب اتفاق التاريخين .

وما كدت أكتب السطر الأول في تعليق على ما رأيت حتى ذكرت « الخط الأول » الذي أشار إليه ناظر الزراعة . فالخط الأول في كل سعي هو أشقه ! أو لم يقبل الزارعون إثر الخط الأول في الحرث ؟ وإذن فلتقبل معاني الأدب وعظاته ما تم الخط الأول في المحاولة

ومن أروع ما قرأت حكمة لأبي شرف الأندلسي عنيت بها قديماً ، حتى نقشتها في رحبة داري وجعلتها خلف الباب ، لتـكون أمامي وأمام أولادي شحذاً للعزم ، متى هم أحدنا بالخروج . قال أبو شرف : « إذا خرجت من دارك ، فقد قطعت ثلثي الطريق » .

وإذن فالخط الأول . . . هو الحظ الأول . . .

(الشيخ عطا) في ٥ شعبان ١٣٦٣ / ٢٥ يولية ١٩٤٤

محمد محمود جلال

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٨٧ – ويشرى به للقتيل الكفن

قال أبو الحجاج البلوى فى كتابه (ألف با) : أنشدنى الشيخ الفقيه أبو محمد العثمانى لبعض الشعراء يمدح أحد الملوك، وكان يرى عدوه فى حال القتال بسهام من ذهب ! :

وقد صاغ من ذهبٍ نصلَه فأبدى من المنّ ما لم يُمَنْ
يُداوِى الجريحَ به جرحَه ويشرى به للقتيل الكَفَن

٥٨٨ – حمق شاعر وسخف صوفى

فى تتمة (اليتيمة) : استصفع[1] حيدر الجندى بقوله :

ما إن سألت الله مذ أيقنت نفسى أن الذل تحت السؤال

وإنما كتبته تعجباً من خرقه وحمقه فى الترفع عما يدين به أفضل العالم وسيد ولد آدم نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ونظيره فى الجهل الكثيف والعقل السخيف – الصوفى الذى كان إذا ذكر الله (سبحانه) لا يقول : تبارك وتعالى، ولا عز وجل ؛ فإذا قيل له فى ذلك أنشد :

إذا صفت المودة بين قوم ودام إخاؤهم سمج الثناء ...

٥٨٩ – كتب الدولة وعرضها على أئمة اللسان والفتوى

فى « طبقات الشافعية » للسبكى : كان إلى « ابن برّى »[2] التصفح فى ديوان الإنشاء، لا يصدر كتاب عن الدولة إلى ملوك النواحى إلا بعد أن يتصفحه[3] إمام من أئمة اللسان وكان « القاضى الفاضل » يتصفح الكتب التى يكتبها العماد الكاتب ومن دونه . وكانوا يستعظمون صدور كتاب عن السلطان غير معروض على أئمة اللسان وأئمة الفتوى

وفى (وفيات الأعيان) : كانت وظيفة (ابن بابشاذ)[1] بمصر أن ديوان الإنشاء لا يخرج منه كتاب حتى يعرض عليه ويتأمل ؛ فإن كان فيه خطأ من جهة النحو واللغة أصلحه، وإلا سيروه إلى الجهة التى كتب إليها، وكان له على هذه الوظيفة راتب من الخزانة يتناوله فى كل شهر، وأقام على ذلك زماناً ...

٥٩٠ – البخيل

فى (بخلاء) الجاحظ، فى رسالة أبى العاص بن عبد الوهاب الثقفى : البخيل عند الناس ليس هو الذى يبخل على نفسه فقط، فقد يستحق عندهم اسم البخيل ويستوجب الذم ولا يدع لنفسه هوى إلا ركبه، ولا حاجة إلا قضاها، ولا شهوة إلا بلغ فيها غايته، وإنما يقع عليه اسم البخيل إذا كان زاهداً فى كل ما أوجب الشكر، ونوه بالذكر، وادّخر الأجر . وقد يملق البخيل على نفسه من المؤن، ويلزمها من الكلف، ويتخذ من الجوارى والخدم، ومن الدواب والحشم، ومن الآنية العجيبة، ومن البزة الفاخرة، والشارة الحسنة ما يربى على نفقة السخى المثرى وجود الجواد

٥٩١ – إذا ماتوا لم يخلفوا شيئاً

قال الصفدى : كان أبو الحسين بن السماك يتكلم على رؤوس الناس بجامع المدينة، وكان لا يحسن شيئاً إلا ما شاء الله، وكان مطبوعاً بالتكلم[2] على مذاهب الصوفية فرفعت إليه رقعة فيها : (ما تقول السادة الفقهاء فى رجل مات وخلف كذا وكذا) فلما فتحها ورأى ما فيها من الفرائض رماها من يده وقال : أنا أتكلم على مذاهب أقوام إذا ماتوا لم يخلفوا شيئاً

فعجب الحاضرون من سرعة جوابه

---

(١) طلب أن يصفع، كأنه ما قال هذا القول إلا لذلك . والصفع : قبل مولد

(٢) أبو محمد عبد الله . برى بفتح الباء وتشديد الراء المكسورة .

(٣) تصفح الكتاب قراءته قراءة نقد . وتأمل تصفحت وجوه القوم إذا تأملت وجوههم تنظر إلى حلاهم وصورهم وتتعرف أمرهم

(١) طاهر بن أحمد . بابشاذ : كلمة عجمية تتضمن الفرح والسرور (ابن خلكان)

(٢) فى (الأساس) : هو مطبوع على الكرم وقد طبع على الأخلاق، وهو منطبع بكذا

٣ - السراب ...!

للدكتور ابراهيم ناجي

رب يومى كأمسه مسرحاً تنتـ ـرض فيه الحياة والأحياء
آدم كالقديم قلباً ونفساً راً ولكن تبدل الأزياء
لم يحل طبعه ولا ذات يوم لبست غير نفسها حواء
النضار المعبود رب ومحرا ب وقدس والشهرة الجوفاء
والحطام الفانى عليه اقتتال والأمانى بريقها إغراء
وسفين تمر إثر سفين والرياح اللذات والأهواء
والغيوب المحجبات رحاب تعبث فى رموزها الحكماء
عندها المرفأ المؤمل والشـ ـط المرجى والصخرة الصماء
مر بى اليوم كاسفاً وأتى ليـ ـل مضىء تزف فيه السماء
قدجلت فيه عرسها كل نجم قدح يستحم فيه الضياء
لم تزل تسكب السلاف وللأ داح فيها تجدد وامتلاء
لم تزل! حتى هوم الحان نسيا ن وأغفى البساط والندماء
غير نجم فى جانب الأفق يقظا ن له رونق به وجلاء
ذاك نجم السعيد منى له الشو ق ومنه الوميض والإيماء
كم أغنيه بالحنين كما غنـ ـت على فرع غصنها الورقاء
وذراعاى فى انتظار وصدرى فيه للضيق فرحة واحتفاء
موقداً للغريب نار ضلوعى رب بالنار للغريب اهتداء
قد سرى مدلجاً إلى على خو ف وبينى وبينه بيداء
كم دعوناه وهو نور بعيد فاحتويناه وهو جسم مضاء
كيف خلفتنى وباعدت مسرا ك وما لى إلى ذراك ارتماء
بالذى فيك من سنا لا تدعنى فيم هذا التسويف والإبطاء
ما ترانى وقد ذهبت بحظى أخطأتنى من بعدك النعماء
وانتهى بعدك الجميل فلا فضـ ـل لمسد ولا يد بيضاء
ومضى الحسن بعد بينك والإحـ ـسان طراً والغرة السمحاء
حسنات كانت يد الدهر عندى فانطوت بانطوائها للآلاء

ابراهيم ناجى

تحيـة المعرى

[ألقيت فى مهرجانه الألفى الذى أقيم فى حيفا]

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

سلام عليك حبيس الظلام حليف العذاب، طريد القدر
على قلبك المبتلى بالشقاء على روحك المضطرب المستعر
سلام عليك سلام الندى إذا صافح الزهر غب السحر

***

أمنطلقاً من قيود التراب على حين يرسف فيها البشر
ومتخذاً عزلة المحبسين صفياً بقيه أذاة وشر
ويا من حييت بروح تأبى على ربقة الجسد المنتصر
اجز برزخاً قام ما بيننا وبينك وارفع كثيف الستر
ومن عالم الغيب أشرف علينا وبين لنا كنهه المستتر
وقل كيف بت وراء الزمان وهل طبت نفساً بذاك المقر
أما زلت تسعى وراء اليقين فينأى به عنك عقل عسر
ظللت مدى العمر فى أسره وما قاد يوماً إلى مستقر
فكم حيرتك خبايا الغيوب وأورثك الشك سود الفكر
لقد فلسفتك حياة ألحت عليك بآلامها — والغير
حياة تمر على جانبيها فهذا يسىء وهذا يسر
طوت عنك وجه بشاشاتها وأولتك وجهاً لها مكفهر
فأقفر قلبك وهو الخصيب وعاف الرفاة وعاف الأشر
عذرتك، ما انصفتك الحياة فكيف يطيب لديها العمر
وكيف يروق، ولا نفس تهفو فتحنو عليك بقلب أبر

***

ويا باعث النور يهدى البصائر ما ذاق نعمة نور البصر
تعل من السرمدى البقاء ضياء الألوهية المنتشر
ضياء بفيض الرضى والأمان على من يحط رحال السفر
هنالك لا محنة تبتليك ولا أنت تشقى بحظ عثر
ويا سيرة تملأ الخافقين فتعنو لديها كبار السير
حياة الفتى حلم ينقضى وما العمر إلا خلود الأثر

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان



تعقيب على مقال

طلعت علينا الرسالة الغراء في عددها الـ ٥٧٣ بمقال قيم للأستاذ عبد المنعم خلاف، عنوانه «دليل علمي يدحض مذهب وحدة الوجود»، ولما كانت بعض الآراء التي يحويها المقال المذكور تحتاج إلى مزيد من التمحيص والإيضاح رأيت أن أدل على ذلك باختصار في هذه العجالة

والذي يلفت النظر لأول وهلة قول الأستاذ في مستهل مقاله: إنه اهتدى إلى «دليل علمي قاطع يدحض هذا المذهب، ويلقي ضوءاً جديداً أمام العقل البشري الموغل في بحث علاقة الله بالكون» ومذهب الواحدية أو وحدة الوجود من أقدم المذاهب الفلسفية في العالم وأشدها إثارة للجدل. ويكفي لإدراك خطره في تاريخ الفلسفة الحديثة، أن نذكر الفيلسوف الكبير (سبينوزا) الذي يعد من أساطين هذا المذهب في العصر الحديث ومن أعظم الداعين إليه بالقول والعمل

فليأذن الأستاذ - ونحن من المعجبين بكتاباته - بأن نناقشه الرأي في هذا الموضوع الخطير، الذي لا يصح إطلاق القول فيه من غير حجة أو برهان

١ - بدأ الأستاذ بقوله: «وبدهي أن النظرة الأولى تهدي إلى أن الله غير الطبيعة، وأن هناك انفصالاً بين الخالق والمخلوق...» ونحن لا نوافق الأستاذ على أن هذه القضية من «البدهيات»، بل ينبغي أن تعد من مسائل الفلسفة الكبرى التي شغلت عقول المفكرين القدامى والمحدثين... وعلى أساس الحلول التي قدموها لهذه المشكلة قامت مذاهب لها أثرها في تاريخ الفكر - ومنها مذهب وحدة الوجود

ولعل أقرب دليل على أنها ليست أمراً (بدهياً) أن يعني الأستاذ خلاف بإيراد دليل علمي جديد لإثباتها

٢ - يقول الأستاذ خلاف: «ينبغي للمفكرين التجريديين أن يقتصدوا في تلك الفلسفات الفرضية والشطحات الصوفية. لأنها (ذاتية) وليست (موضوعية)...»

ونسائل الأستاذ مستطلعين لا منكرين: هل يجوز أن نصطنع الطريقة (الموضوعية) في بحث المسائل الدينية؟ ألا يمكن أن تؤدي بنا هذه الطريقة إلى نتائج تشبه ما توصل إليه (رينان) في بحثه القيم المعروف؟ أم ترى ذلك صحيحاً بالقياس إلى الدين المسيحي، وليس يصدق على الدين الإسلامي؟

٣ - أما الدليل العلمي الذي يدحض به الأستاذ مذهب وحدة الوجود. فخلاصته:

«أن العقل البشري تسلط باللاسلكي وتحكم به في الآلات وإدارتها ورصدها من بعد شاسع. كما نرى في (الرادار) وغيره (وعلى هذا الأساس) يجوز أن تقاس علاقة الله بالكائنات، وبذلك تحل المشكلة التي خلقتها عقول (أصحاب) مذهب وحدة الوجود»

وهذا التعليل (العلمي) طريف ولا شك، ولكنه متهافت قليل الغناء. ألا ترى أنه يوقع الأستاذ خلاف - وهو المؤمن المخبت لله - في ورطة أخرى لا قبل له بها، هي (التجسيم والتشبيه)!

وإن كان (ماركوني) قد أضاء مكاناً في أستراليا وهو في أوربا، كما يقول الأستاذ. فالعلم الحديث يفسر هذه الظاهرة تفسيراً مادياً بحتاً... ومَثَلُ (ماركوني) في ذلك مثل الذي يوقد ناراً بحجرين يصك بعضهما ببعض. وحاش لله أن يتصل بنا على هذا الوجه المادي الغليظ...

٤ - ويقول أخيراً: «ينبغي للمفكرين أن ينادوا معنا إلى الصوفية المادية». فما الصوفية المادية التي يدعو إليها الأستاذ؟ فإن رأى الأستاذ خلاف إيضاح ما سبق على صفحات الرسالة الغراء، ليعم به النفع، ويرتفع اللبس، كنا له من الشاكرين.

(بغداد) صدقي حمدي

حول أغلاط

أخذ الأستاذ «علي محمد حسن» في عدد ماض من الرسالة على الدكتور ناجي بعض أغلاط في قصيدته (السراب) أحببت أن أصحح بعضها فيما يلي:

١ — لعل البيت المكسور ينقصه كلمة « عندنا » فيكون هكذا :

اسمك المذب عندنا أروع الأسماء
مهما تعددت أسماء

وبذلك يكون صحيحاً

٢ — (الصدفة) كلمة لغوية بالرغم مما شاع من عدم لغويتها ، فكثير من المعاجم وكتب اللغة كاللسان أوردها .

وفي حديث أبي ذر « ... والبر ما حاك في النفس ولم تلده صدفة » وقال أبو دهبل الجمحي :

فطوراً أمني النفس لقياك صدفة وطوراً إذا ماج بي الحزن أنشج

أما (الهناء) فلم أعثر عليها إلا في قول الشاعر :

هناء محا ذاك العزاء المقدما فما لبث المحزون حتى تبسما

٣ — يوصف الجمع أحياناً بوصف المفرد ، وخاصة فيما كان مفرده على أفعل مذكر فعلاء (المغني والأشموني) كأهوج وهوجاء وأسود وسوداء

قال جرير :

وجوههم السوداء جهم كأنها ظرابي غربان بمجرودة محل

٤ — أما الأبد عند الدكتور ناجي ، فلم يخرج عن الزمن عند اللغويين ، ولكنه زمن الشاعر الذي يتجسم في خياله المني والزمن كأنه محدود .

عبد الحميد ناصف
مدرس بكلية اللغة العربية

الخوارزمي

جاء في مقال الأستاذ منصور جاب الله المنشور في العدد ٥٧٥ من الرسالة ما يأتي :

« كان القدامى يعدون الأديب أديباً بكثرة حفظه ، على حين أن كثرة الحفظ لا تجعل من الإنسان أديباً ، وإنما تخلق منه (راوية) . وليس أدل على ذلك من أن الخوارزمي الذي صدرنا بحكايته هذا الفصل قد هزم هزيمة نكراء حيال بديع الزمان الهمذاني ، وهو الشاب الحدث هزيمة اختصرت حياته »

ولا أريد أن أستعرض مع الأستاذ ما كان يراد بكلمة (أدب) في العصور المختلفة ، ولا أن أناقشه في أن القدامى لم يطلقوا هذا اللفظ على الخوارزمي لكثرة حفظه فحسب ، وإنما رأوا مع ذلك فيه الشاعر الناثر ، لست أريد شيئاً من هذا ، وإنما أريد أن أرفع عن أبي بكر هذا الظلم الذي لحقه طوال هذه القرون

فالخوارزمي لم يهزم في هذه المناظرة من ضعف أو تقصير ، ولكننا نجمل أشياء لعلها ترفع عنه هذا الحيف :

(١) انفرد البديع برواية هذه المناظرة ، وهو شاب حدث يطلب الشهرة ؛ فمن شأنه التزيد والادعاء

(٢) استغل البديع قبل المناظرة سيداً شيعياً من المحكمين ومدحه بقصيدة . ثم ادعى على الخوارزمي كرهه للشيعة

(٣) كان الخوارزمي مبغوضاً من وجوه القوم في نيسابور البلد الذي جرت فيه المناظرة

(٤) استعان البديع بفتانه وحداثة سنه وميل الحاضرين إليه فهوش وشوش ، ولعل الخوارزمي استصغر هذه الأمور فكف وعف

(٥) وعلى فرض أن الخوارزمي هزم حقيقة في هذا الصراع . فالمعروف أن المناظرة لم تكن في أمور أدبية ذات بال ، حتى يستدل بذلك الأستاذ على ما ادعاه

هذا مجمل موجز لهذا الموضوع أحببت به أن أنبه الأذهان إلى الحق في هذه المناظرة التاريخية المشهورة

علي محمد حسن
مدرس بالأزهر

« وجيدة » للأستاذ شعبان فهمي

تفضل الأستاذ شعبان فهمي المحامي فأهداني قصة (وجيدة) التي قامت بنشرها جماعة نشر الثقافة بالثغر الحبيب ؛ فأخذت أنقل البصر بين صفحاتها ، وأرسل الفكر وراء لفتاتها ؛ فما وجدت فيها غير حيوية تفرض عليك شخصية المؤلف الفاضل في رفق وأناة في غير ما مبالغة في التصوير ولا اضطراب في الوحدة القصصية

القصة صورة واضحة التقاسيم ، باسمة الألوان التي تصور البيئة التي أنبتت بطلها ووجد فيها منازع تصوره ومطارح هواه ومهابط إلهامه ، وهي فوق ذلك توشك أن تكون طبيعة صادقة تزخر بالآمال والأحلام وتموج بالأشجان والآلام ، وقد نلمس آثارها في كل صفحة بل في كل كلمة من كلماتها . ولقد صدق الدكتور « المرحوم » إسماعيل أدهم حين قال إنها قد تكون أول قصة مصرية طويلة تنبع من أصول مصرية وتفيض بمشاعر مصرية

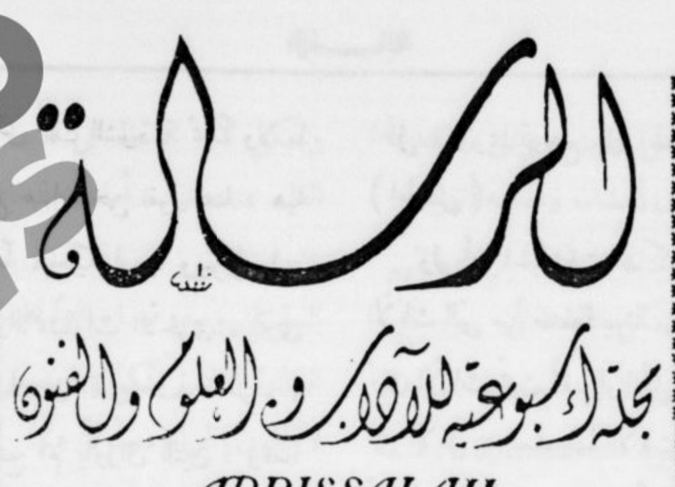
وبعد ، فليس بغريب أن تكون القصة على هذه الحال من الكمال في الوحدة والسهولة في العرض والصدق في التعبير فصاحبها الصديق الفاضل تجري في دمائه الروح القصصية ، بل إن ثقافته القانونية لتفرض عليه ذلك .

(الاسكندرية) **صبحي محمود البشبيشي**



12 me Année No. 580 — Lundi - 14 - 8 - 1944





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٨٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٥ شعبان سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

مسألة الجنسين

الأستاذ عبد العزيز جادو

نستعير هذا العنوان من الأستاذ العقاد لنتكلم في هذا الموضوع من وجهة نظر أخرى يحتمل أن يكون لها اتصال وثيق بما كتب الأستاذ الكبير، وربما تكون متممة لبحثه من الوجهة السيكولوجية والبيولوجية معاً. فمن رأينا أن حركة الأنوثة تستهدف لثلاثة عوامل هي من الأهمية بمكان: (الأول) أنها في حاجة إلى أي ظاهرة متيقظة Conscious؛ و (الثاني) أن قوتها الشديدة لا تزال تكمن في قسمين محكمي السد: السيكولوجيا الأنثوية القديمة التي عليها يترتب ضعف الأنثى مدى حياتها؛ والسيكولوجيا المنيفة الحديثة، ويدخل التحصيل Achievement من ضمن فروعها... وهاتان لا يمكن أن تمتزجا بحال؛ و (الثالث) حركة الأنوثة ويعوزها البرنامج الثابت الذي يحسب للذكر حسابه. ولا يمكن أن ينجح أي برنامج اجتماعي أو سيكولوجي ما لم يكن مشتملا على اشتراطات أو نصوص لكل جماعة اجتماعية وسيكولوجية في حدود اختصاصها...

قام جماعة منذ حين بدعوة يرمون من ورائها نشر ما يسمونه مذهب المُرى، وأسسوا لأنفسهم أندية كانت تعرف بأندية

المراة . بيد أننا لا نعرف غرض تلك الشرذمة تماماً ولا ما يقصدون من هذا العرى . ومع هذا فنحن نقول هنا : هيا نتجرد من ملابسنا المعنوية جميعاً ، سيكولوچيا وبيولوچيا ، طارحين وراءنا القيود الجنسية والاعتبارات الأخرى ، لنرى ما هذه المادة التى بأسفل هذا الحيوان الذى نسميه امرأة ، سواء أكانت متسترة بنبات الخلنج أم بأوراق التين ؛ وهذا الحيوان الذى نسميه رجلاً ، سواء أكان مستوراً تحت ستر سرمدى أو سروال

من المحقق أن جهاز التفكير ، جهاز « حالات الشعور مثلاً » الذى أنتج بضعة أسماء عظيمة كسيكولوجية الأنثى ، كان يجب أن يُهمل من مدة بعيدة . والمرأة بالرغم من حريتها لا تزال مولعة بأعمال الخدم ، فهى تمضى أكثر وقتها فى المطبخ تعمل فى غسل الأوانى . وإذا تأنقت كانت دمية . والذكر أينما كان لا يملك سوى دقيقة واحدة يمضيها معها عند ما يؤثر عليها بطريقة أو أخرى

والحياة كلها استجابة للبيئة . والوراثة ما هى إلا حركة انتقال Transmission لتجارب بيولوجية عالقة بالذاكرة . فالمرأة استجابت لبيئتها بما نعرفه عنها كامرأة ، وملابسات الضعف انتقلت فى خلايا النطفة فى أمشاج كلا الجنسين . وهى لا يعوزها إلا أن تغيّر بيئتها لتغير استجابتها ؛ وهى لا تحتاج إلا أن تُعاد ولادتها سيكولوجياً كى تمحو العوامل المتناقضة التى تصدّها وتقيدها

والمرأة فى أمريكا ربما يكون لها النفوذ والكلمة العليا . والرجل ربما كان مجرد (حصان) ينقل الأحمال ... ولكن كيف تكونت المرأة على هذه الحال من الضعف ، والنعومة ، واللطف ؟ إن أحداً لا يعرف الجواب الصحيح ، لأن هذا كما يقول الأستاذ العقاد من وراء سلطان العلم والعلماء . ولكن هناك من يقول إن هذا راجع إلى نماذج الجنس فى مراكز خلايا النطفة . وهناك أيضاً من يقول إنه يرجع إلى وظيفة الحمل ، وربما ترجع إلى الحادث الشهرى فى الأنثى البشرية (الحيض)

ولو أن الحيوانات الذكور من أى نوع يمكن أن تحوط الأناث التى من صنفها ببيئة من الضعف ، أو بشىء مضعف ، نرى الأناث تحت أضرار الحمل تنسل . والحيوانات الذكور ، على الأقل ، تستميلها الأناث عند ما تكون متأثرة بانفعال أو تأثر . والجهاز يعمل جيداً إذا كنا حيوانات راقية . ولكن الزمن هو الذى جعلنا ننتج مقداراً كبيراً من الأناسى بتحسينات فى المبادئ الأساسية ، وتمحيصات للعمل والمظهر أكثر مما لو كنا نعمل فى إنشاء السيارات وإصلاح الأطارات وتحسين الأنارة كلما واجهنا ضرورات الحياة الحديثة والنظم المبتكرة

لنكشف عن خلايا النطفة أولاً : خلية الأنثى كبيرة ، مستديرة تحمل مخزناً صغيراً من الغذاء ، كما تحمل عدداً معيناً من الأمشاج Chromosomes . وخلية الذكر أصغر كثيراً ، مستطيلة ، لا تحمل غذاء ، ولها ذيل عائم ، تحمل عدداً مماثلاً من الأمشاج التى تشمل نماذج فيزيقية وعقلية لأسلاف الجنين . وحينما تتقابل هاتان الخليتان يطرحان اختلافهما ويجددان ترتيب مادتهما اللقاحية إلى أن يتماثلا تماماً عند ما يتدفقان معاً ويبدآن واجبهما العادى فى تقسيم الخلية

والجنس على الأرجح مثل الشعر يميل إلى السرعة حينما يتم توافق الأمشاج . وعلى أى حال لا يمكننا أن نقرّر جنس الجنين حتى الأسبوع الخامس أو السادس من تكوينه ، غير أن هناك من يزعم معرفة الجنس لكل الخلايا . على أن حقيقة الذكورة أو الأنوثة تربنا اختلافات واضحة حتى فى رحم الأم . وكذلك فى أى جهاز للتناسل . فعلينا أن نعمل ما ازدراه نيكوديموس Nicodemus ، وهو أن ندخل مرة أخرى فى بطون أمهاتنا ونولد ثانية لنؤرخ الميلاد من وقت وصول خلايا النطفة

إن مدة الحمل فى الذكر تقل يومين عن الحمل فى الأنثى ، وذلك لأن الذكورة أشد تحولاً Metabola من الأنوثة . واشتغال نمو الجنين يسير بسرعة ونشاط أكثر . والطفل الذكر أثقل فى

الوزن من الطفل الأنثى ، كما شوهد من بحوث بوديش Boditch وهايبرج Heiberg وآخرين ، كما أن أعضاءه وعظامه أثقل

والأطفال من كلا الجنسين يختلفون فى حجم أعضائهم الجسمانية وفى وزن عظامهم . ولكن يمكننا أن نعزو أى اختلاف بينهم إلى الحقيقة بأن مبيض الأنثى ينتج بويضات Ova على حين أن الذكر ينتج الحييونات المنوية Spermatozoa ، وغدد كلا الجنسين تقتسمها خلية ذات فتحة مشتركة

وفى خلال الفترة التى تسبق المراهقة ينمو البنون والبنات نمواً يكاد يكون متشابها بالرغم من القصور الذاتى فى الأنثى . وليس يبدو على المرأة حتى انقطاع الحيض أنها فى حِلٍ من موانع سيكولوجيتها الأنثوية . إنها سن الفتح ، وهى السن التى يتسنى فيها لنساء أن يصبحن ذوات شخصيات متسلطة قوية . وحينما نجردها من ملابسها يمكننا أن نلاحظ أن تشريحها Anatomies ينتج لنا اختلافات كَمِّيَّة فقط ، من الاستجابة للبيئة . والمرأة يُقوِّيها التشريح السهل ، وإذا كانت نموذجاً حسناً قلنا إنها جميلة ، بمعنى أنها أكثر طفولة وأكثر وداعة . فهى إذن أكثر ميلاً إلى جنسها ، ولذا تُحَب ويُرغب فيها . . . ولو أن الذكر الحالى يعجب بنوع من الجمال الأنثوى الذى كان يعتبر فيما مضى « أداة » للتناسل

وهناك نقطتان ضيقتان فى تشريح الأنثى بجانب مقدار صغير من أنسجتها العضلية ، وأعضائها القليلة الفعالية والكفاية ، الأولى : ميلها إلى البدانة بسهولة . وهذا الميل إلى البدانة عرض من أعراض التحول Metabolism ، فبدلاً من أن يحرق الجسم الغذاء إلى نقطة النشاط يقف فى منتصف الطريق عند نقطة البدانة . وهذا يوضح السبب بنوع ما فى اتساع صدور نساء كثيرات . والبدانة مصدر حيرة شديدة للمرأة الحديثة أياً كان عملها . وهذا الميل إلى البدانة إنما هو نتيجة ضعف أنسجتها العضلية ، لأن حاجزها البطنى الضعيف لم يبين إلا موضعاً عضلياً واحداً . ولكن هذا الشدّ الحقيقى Corset فى غاية الأهمية ، لا لأنه يمسك الأحشاء فى مكانها فحسب ، ولكن لأنه يحافظ على ضغط الدم المناسب ، ويقف خفقان القلب عند حده . أما الرجل فإن له مشداً متوتراً من العضل في حاجزه البطنى ، وهذا يمده بضغط دمه العالى ، ودقات قلبه البطيئة . ويبدو هذا واضحاً غاية الوضوح عندما نذكر أن الحزوز البطنية الممتدة تكون فى بعض الحالات سبباً لصدمة جراحية لا يكون الجراح مسئولاً عنها

والرجل والمرأة في اختبارات الذكاء متساويان ، ولكن المرأة تتأخر فى التحصيل ، لأنها فى حاجة إلى قوة Stamina توصّلها إلى أطماحها . وإن نحولها البطىء ، وحاجزها البطنى الضعيف هما العائقان الرئيسيان لبلوغ تمام القوة

والنقطة الأخرى هى أن الأمراض التى تتعرض المرأة لها تدل أيضاً على أن تحولها أقل قيمة ، فى حين أن الأمراض التى يكون الذكر متعرضاً لها تشير إلى أن هناك تحولاً يعمل زيادة عن المقرر . ومن رأى «ماك ليود» أن تحول الأنثى أقل من تحول الذكر بنسبة ٦٫٨ ٪ . ولقد وجد «ألفاريز» من دراساته فى ضغط الدم أن ضغط الدم عند الذكر أعلى مما هو عند الأنثى بـ ١٦٫٥ ملليمترات . ويعرف كل شخص أن دقات قلب المرأة أسرع منها فى الرجل . وبالطبع يجب علينا أن نتأمل الغدد الصماء بما فيها غدد الجنس . ولكننا لا نعرف إلا القليل لنستنتج النتيجة الأخيرة

إذا سلمنا جدلاً بعبارتى ذكر وأنثى ، نرى أنه ليس هناك ذكورة بحت ولا أنونة بحت ، وما دامت الحالة كذلك نضع اسماً لا يكون مرتبكاً ، ولتكن كلمة « طفل » أو « ناقص النمو » بدلاً مما نعنى بالمؤنث . وعبارة « مراهق » أو « تام النمو » بدلاً مما نقصد بالذكر . وقد ترى المرأة أن هذه التعبيرات غير مقبولة ، ولكن ليس فى كل أنثى ما يجعلها « طفلة » أكثر مما يجعل كل ذكر مراهقاً . إذن ، فحركة المراهقة هى التى يشمل برنامجها وظواهرها كلا الجنسين . وعلى الذين يحبون أن يشتركوا فى المفاضلة بين الرجل والمرأة أن يدركوا تماماً أن الجنسين كليهما مشترك فى التبعة . وربما يكون الرجال أكثر

خطأ في ذلك ؛ فقد ساعدوا المرأة على الاحتفاظ بضعفها لكي تكون أكثر خضوعاً لهم سواء كانت ألعوبة أو خادمة . وربما يعترض الرجال على الكلام المتعلق بالمراهقة على ضوء ما تقدم بقدر ما تستنكر النساء كلمة (الطفولة) التي أصبحت تنطبق على أجسامهن . ويجب علينا أن نفهم بادئ الرأي أن واجب الرجل في حركة المراهقة يكاد يكون ثورياً كما في المرأة ، ولو أنه قد تم فعلاً في مجالات مختلفة

وحركة المراهقة معناها الميلاد الجديد لكلا الجنسين . ففي حالة المرأة مثلاً - يجب أن تستسلم لسيكولوجية المراهقة التي تطغى على الحياة من المهد إلى اللحد . لأن المرأة تولد في سيكولوجية خاصة مضعفة تتمشى معها في الحياة . وسيكولوجية الأنثى هذه هي التي تجعل إضعاف البيئة ممكناً . والتي تحتفظ على الدوام بكلمة السر لتحفظ الأشياء مأمونة هادئة

وهناك حالات في تاريخ البشر انعكست فيها وظائف الجنسين أو حُوِّرت بوضوح . فمن بين الإسكيمو نشاهد الذكر يقوم في بعض الأحيان بما يتطلبه العمل المنزلي ، وهو لذلك سمين مترهل . ويقول أريستوفانس Aristophanes إن نساء أسبرطة كان يمكنهن أن يخنقن ثوراً بأيديهن . ونقرأ في التلمود أن وظائف الجنس تغيرت أثناء عصر واحد من التاريخ العبراني

وبينما تعمل الغدد في إفراز الهرمونات التي تؤثر في التقدم وفي السلوك ، يجب علينا أن نذكر أن معظم الاختلافات تكوِّن شيئاً هاماً في السلالة البشرية Jenus homo ويفهم هذا عند ما نذكر أن المبيض يزن من جرامين إلى ثلاثة جرامات فقط ، على حين أن الخصية تزن من ١٠ جرامات إلى ١٤ جراماً . وهذا جزء من التفاوت في الوزن يتمشى مع القاعدة العامة للوزن الأقل لجميع أعضاء الأنثى . والمرأة القوية يحتمل أن يكون لها مبايض أثقل كما يمكن أن يكون لها قلب أكبر . ولكن تأثير الغدد الجنسية واجد لا يُقدَّر بأكثر من قيمته . والذكورة والأنوثة ليستا خالصتى الذاتية : هما دائماً أخلاط ، فصيلة المراهقين تقدم أخلاطاً موزونة ذات فائدة كبيرة لمصلحة الجنسين . والفرق النوعي الواضح بين الرجل والمرأة هو التركيب المنوى في الذكر والتركيب البيضى في الأنثى Ovogenic

وغدد الجنس ليست منابع لما عرفناه بالمزايا العرضية فحسب ، وإنما تعتبر الكمية والجوهر لكل ما يمكن أن يذكر فيما نعتبره مبدأ بيولوجيا سلبيا ، أى أن الرجل والمرأة كليهما استجابة بروتبلازمية للبيئة Brotoplasms . وما دامت الحالة كذلك يمكننا أن نؤثر بتوسع في الاستجابة بتغيير البيئة . واختلافات الجهاز بين أشكال البروتبلازم الحيوية للذكر والأنثى تافهة وعديمة الأهمية . والاختلافات التي نشاهدها هي في الغالب آثار من صنعنا ، وهي تنشأ في الغالب من حالات العقل والعادات . واختلاف التركيب الجنسي لا يمكن أن يعلل بجرية الذكر وبلوغه ما يشتهي ، ولا يمكن أن يعلل بالخضوع والعجز في العمل من جهة الأنثى

والسبب في تفوق الذكر ليس في حقيقة جنسه ولكن في المنافع التي يفعلها بقواه ، إنه يعيش لا في بيئة (الذكر) ولكن في بيئة من القوى . وإنه لا يستعمل سيكولوجية « الذكر » على الأقل ، حيث ينجح ، ولكنها سيكولوجية من القوة ... ليس « البرهان » ذكراً : إنه منطق التحصيل ... وليست (البداهة) أنثى : إنها عقدة من العبث والكذب والمخادعة ... وضعف الأنثى ليس سببه الغدد في حد ذاتها ، وليس حقيقة أنها أنثى ، ولكن السبب يرجع إلى تحول فسيولوجي وسيكولوجي ناتج عن الاستعمال الضيق المحدود لقواها ، والفكر الحديث والطب أزالا إلى حد كبير الآثار المكبوتة للحيض والولادة . وليس الحب هو كل الحياة لفتاة يافعة أو لامرأة ناضجة .

فالحب الحقيقي يأتي فقط عند ما يفقد المرء حياته ، والعاشق هو الشخص الذي يحاول أن ينقذ حياته فيفقد كل حبه وحياته

والمرأة — بالتأكيد — لها دور خاص Rôle هو ولادة الطفل ، وللرجل دور خاص هو إنتاج الطفل ، ولكن هذه الأدوار التي يقوم بها الجنسان بولغ فيها مبالغة لا يتسع لتفصيلها المقام .

(الأسكندرية) عبد العزيز عادل

الأدب الاغـــريقي
في عصر الاسكندرية
للدكتور محمد مندور

رأينا أن شعر الإسكندرية لا يهز النفوس إلا عندما يعود فيتصل بالحياة ، ولقد شهدنا ذلك الاتصال فى المقطوعات الصغيرة وفى أغانى الريف والرعاة . وبإنعام النظر فيما سقنا من أمثلة ، يلاحظ القارئ بلا ريب أن ذلك الشعر وإن كان نقياً خالصاً فإنه لم يخل من واقعية ، وذلك لا فى الأسلوب فحسب ، بل وفي نوع الإحساس والتفكير. ولقد استمعنا إلى تيوقريطس ينصت إلى الضفدعة الخضراء ، ويتغنى ببمبيكا الباسمة الخفيفة الدم ، وقد جن بها عادياً خلفها كما يعدو الذئب وراء النعجة والبجع خلف المحراث ، وعنده أن جالاتيه ، البيضاء كاللبن المخيض ، لاذعة كعنقود العنب الأخضر .

وهـذه الواقعية لا علاقة لها بالمذهب الأدبى الذى ظهر خلال القرن التاسع عشر بذلك الاسم ، فأدباء ذلك القرن وعلى رأسهم بلزاك وفلوبير وموباسان إنما كانوا يقصدون بالواقعية الـكشف عن الجوانب الوضيعة فى النفس البشرية ، حتى لقـد تطور مذهبهم فانتهى إلى الطبيعية التى نجدها عنـد زولا حيث لا ترى إلا الغرائز الشاذة والقوى العضوية ومخلفات الوراثة الثقلة تقود أبطال الروايات . واقعية شعراء الإسكندرية لا غوص فيها ولا تحليل ولا التماس للجوانب المظلمة فى النفس ، وإنما هى تصوير لواقع الحياة الساذجة ، ولشعور النفس المفطور بأسلوب مباشر

وإذا كانت هذه الواقعية قد طالعتنا من ثنايا الأغانى ، فإنه لم يكن بد من أن تنفرد بنوع بذاته من أنواع الأدب ، وهذا النوع هو ما سميناه فصول المحاكاة Mimes

فصول المحاكاة

نشأ هـذا الفن بصقلية كما نشأت أشعار الرعاة ، وإن يكن أقدم منها تاريخاً ، إذ يعتبره النقاد عنصراً من العناصر التى مهدت للـكوميديا ، وأكبر الظن أنه نشأ فى القرن الخامس ق . م . على يد سُفرون وزينار كوس ، وإن يكن ما كتباه قد ضاع . ولهذا لا نستطيع أن نجزم بطريقة بنائهما لتلك الفصول ، وإن كان من الراجح أنها كانت على غرار ما وصلنا من اللاحقين لها ، وبخاصة هيرونداس (يسميه البعض هيروداس) الذى نشر له العالم الإنجليزى كنيون Kenyon سنة ١٨٩١ سبعة فصول عن ورقة من أوراق البردى موجودة بالمتحف البريطانى . وكل فصل منها عبارة عن حوار بين شخصين أو ثلاثة أشخاص أحياناً من النساء وأحياناً من الرجال ، وهو شديد الشبه بفصل من مسرحية ، وإن كانت تلك الفصول لم تعد للتمثيل ، بل كتبت للقراءة أو الإلقاء . ولقد كان هيرونداس هذا فيما يبدو معاصراً لتيوقريطس . وأشخاص الحوار من عامة الشعب أو من الطبقة الوسطى . فتجد معلم المدرسة وبائع الرقيق والقوادة والجزمجى الشهير ... الخ ... والشاعر يصورهم فى حياتهم اليومية ، وهو يلتمس لحواره أى سبب كان : لقاء فى طريق ، أو احتكاكا فى زحام ، أو مساومة على سلعة . وإذا بنا نشهد ساعة من حياتهم بهمومها الدارجة ، ومسراتها المألوفة ، وشهواتها الصغيرة ، وثرثرتها الأبدية التى نعرفها جميعاً فى أفراد الشعب ، وما يتخلل حديثهم من أمثال وتحيات محفوظة ، وشتائم موروثة ومصطلحات لا نفهم لها وضعاً ولا معنى . من أمثال : «بلا آفية» و «ياسيدى لما إنت» ، وما إلى ذلك مما يستطيع أن يسمعه القارئ بكل ركن من أركان الحسينية أو البغالة ، فتستمع طوراً بعد طور إلى القوادة ذات الناب الأزرق تنقل إلى فتاة مغريات عربيد كبير ، أو بائع الرقيق يقص على المحكمة محنه ويطلب إليها العدل ، أو أب يتحدث إلى معلم المدرسة عن ولده « الشيطان الرجيم » ويقص عليه « عفرتته » التى لا تنتهي ؛ أو نرى بائع الأحذية الشهير يعرض على « مترو » أحذيته الجيدة ويطرى البضاعة

فصول المحاكاة لوحات أخلاقية صغيرة ، لوحات لا عمق فيها ولـكنها تصوير صادق للحياة ، وهى وإن خلت من عنصر الدراما إلا أنها مع ذلك تـكوّن غالباً وحدة لها بدؤها ونهايتها . وموضع الجمال فيها هو سذاجتها رما بها من دقة الملاحظة ، ثم

بقاؤها في مستوى الشعب ، فلن تجد فيها أي تداخل من كاتبها . بإحساسه الخاص أو آرائه ومثله ، فكأن الشاعر سلبي بحت يستمع إلى من حوله ويرصد ما يستمع ، ومع ذلك كم فيها من دقة وصدق وحسن اختيار للتفاصيل الدالة ، وقد تتابعت بها دعارة القول وعفة الحياء ، وقاحة بائع الرقيق وسذاجة نساء الحارات ، مكر بائع الأحذية وتصنع المستهترات

في هذه الفصول مجموعة كاملة من المشاعر المتوسطة التي نجدها عند عامة الناس ، والشاعر لا يحيد بها إلى التزمت ولا إلى التسامح المسرف ، بل يلازم الصدق فهو لا يمتدحها ولا يهجوها بل يصورها كما هي غير متجنب ما فيها من قبح ولا مبالغ فيه . وهو لا يخشى العبارة المسفة ولكنه لا يبحث عنها ، كما أنه لا يغدق العطف على ما يحب ولا يصب اللوم على ما يكره . وشخصياته وإن لم تخل من رذائل وقسوة إلا أن تصرفاتهم لا تصل قط إلى حد المآسي الدراماتيكية . وهم بهذا أيضاً يظلون في واقع الحياة . الحياة الحقيقية التي يندر بها الأبطال الخارقون كما يندر كبار المجرمين

ثم إن هذه الفصول وإن كانت تصور نواحي إنسانية عامة إلا أنها تضيف إلى ذلك حقائق تاريخية خاصة بشعب صقلية في ذلك الحين ، ذلك الشعب الذي اشتهر منذ القدم بكثرة الحركة وخفة اللسان ومرونة الخلق والنزوع إلى الاستطلاع

ولقد كتب تيوقريطس نفسه كما ذكرنا في نهاية المقال السابق بعضاً من تلك الفصول ، ولعل « نساء سيراقوزة » خير مثل يضرب لها . والحوار يجرى بمدينة الإسكندرية في يوم من أيام عيد أدونيس وبطلاه امرأتان أتت بهما من سيراقوزة إلى الإسكندرية بعض المهام التجارية فذهبتا إلى العيد حيث لا تنقضي تعليقاتهما على ما يريان ، فالحصان الرمادى الضخم يخيفهما وكل منهما تشكو من زوجها وإن كانتا في حقيقة الأمر أميل إلى الطيبة ، وهما لا يغنيان ولكنهما يحبان الاستماع إلى الغناء ، وبالفعل ينشد أحد المغنين نشيداً جميلاً لأدونيس وبه ينتهى الفصل . وها نحن بعيدون عن رعاة الجبال وقد انتقلنا إلى المدن حيث تجرى الحياة المتواضعة التي لا شعر فيها ، ولكننا نجد في صدق التصوير وسذاجته ما يعوض من الشعر ، وإن كان تيوقريطس لم يتمالك من أن يختم فصله بنشيد فيه شذا الشعر الجميل

الشعر العلمي « الأكاديمي »

قلنا من قبل إن الكثير من شعر الإسكندرية كان شعراً مصنوعاً وضعه العلماء بعيداً عن الحياة ، ولدينا من هذا النوع الشيء الكثير ، فأراتوس يتحدث عن « ظواهر الطبيعة » في كتاب ضخم . وكاليماكوس يقص نسب الآلهة بمغامراتهم وحوادثهم المعروفة في أسلوب تعليمي في « أناشيده » أو يوضح الأسباب والمسببات في « أصوله » ، بل ومنهم من أخذ في محاكاة هوميروس فحاول أن يضع الملاحم . وأكبر هؤلاء المقلدين هو أبولونيوس الرودسى الذى ألف ملحمة كبيرة يقص فيها رحلة جازون ورفاقه بحثاً عن الجزة الذهبية ، ذلك أن جازون هذا كان عمه قد اغتصب من أبيه العرش ؛ وعندما حاول استرداده طلب إليه العم أن يأتيه أولاً بالجزة الذهبية ، وكانت تلك الجزة ببلاد تراقيا النائية حيث يحرسها تنين ضخم فضلاً عما في تلك الرحلة البعيدة من مخاطر . ولقد استطاع جازون أن يأتي بالجزة ، وذلك بفضل ميديه بنت ملك تراقيا التي أحبت البطل وجنبته بنصائحها وذكائها مواضع التهلكة بل وهربت معه . وهذه هي القصة المعروفة بقصة « الأرجونوت » أي بحارة « أرجو » وهو إسم السفينة التي أبحر عليها جازون ورفاقه

وأبولونيوس وإن يكن بلا ريب من الشعراء العلماء ، شعراء الصنعة . فإنه يعد برغم ذلك شاعراً كبيراً وبخاصة في بعض أجزاء ملحمته التي استرسل فيها مع إحساسه إلى حد ما . ولعل من خير ما كتب وصفه لغرام ميديه : « مدّ الليل ظلاله على الأرض ، وفي البحر نام البحارة بسفنهم وهم يتأملون هيليكيه Heleké ونجوم الأريون . وقد هفا المسافرون في الطريق إلى ساعة النوم ، كما هفا الحراس على الأبواب . بل والأم الحديثة عهد بموت أبنائها قد لفها خدر نوم عميق . وعواء الكلاب لم يعد يسمع بالمدينة . لم يعد ثمة همس لصوت . لقد تملك الصمت ظلام الليل

ولكن ميديه لم يفزها عذب النوم ، لقد أيقظتها آلاف من الهموم ، هموم غرامها ... وكان قلبها يثب فى صدرها بلا انقطاع ، وكأنه شعاع يثب فى غرفة وقد عكسته مياه تصب فى قدر . فهو يهتز دائراً فى سرعة فيقفز هنا وهناك . على هذا النحو كان يدور قلب الفتاة بصدرها

حدثت نفسها حيناً بأنها ستعطى المادة السحرية الثيران « التى كانت ستفترس جازون » لتهدئها ، وحيناً بأنها لن تعطيها . فكرت فى أن تموت ، ثم فى أن لا تموت ، وأن لا تعطى المادة السحرية محتملة ألمها دون أن تفعل شيئاً . وأخيراً جلست وفكرت ، ثم قالت : ما أشقانى ! لقد تحوطتنى المحن . أين المفر ؟ بكل سبيل شكوك لنفسي ! لا دواء لألمى الذى لا يمسك عن إحراقى . آه ! ليت أرتميس « إلهة الصيد » استطاعت أن تقتلنى بسهامها قبل أن أراه . كيف أستطيع أن أعد المواد السحرية خفية عن أهلى ؟ ماذا أقول ؟ أى حيلة أخترع لأدارى معونتى ؟ هل أحادثه سراً بعيداً عن رفاقه ؟ يا للبؤس ! إن موته ذاته لن يدع لى أملاً فى الشفاء من آلامي . بعد موته سيحتضننى الألم . وداعاً عفافى ! وداعاً ضياء حياتى ! فلينج على يدى ولينأ من هنا دون جراح . لينأ إلى حيث يهوى فؤاده »

ولست أدرى ماذا يظن القارىء بهذه الفقرة التى هي بلا ريب من خير ما كتب وإن كنت عن نفسى أحس فيها الصنعة بادية والتكلف واضحاً ، ولا أدل على ذلك من أن ننعم النظر فى تشبيهه المعقد لقلب الفتاة بالشعاع الذى يثب فى غرفة وفى الغرفة قدر وبالقدر يصب ماء ، والماء يعكس الشعاع ، والشعاع يتطاير شرره فى كل ناحية وما إلى ذلك من تفيهق العلماء وصنعتهم المرذولة

ذلك عن فن الملاحم . ولقد سبق أيضاً أن قلنا إن شعراء ذلك العصر قد حاولوا كافة الفنون الأدبيـة ، فهم لم يقفوا عند الملاحم يحاولون بعثها بعد أن كان زمن الفطرة والطبع السليم قد انقضى ، بل كتبوا أيضاً التراجيديات . ومن غريب الأمر أنه أكبر شعراء التراجيديات فى ذلك العصر وهو ليكوفون Lycophon لم يرقه ما أحدثه أوريبدس فى أسلوب التراجيديا من تطور نحو النثرية . فأراد « كأديب مرهف » أن يعود بها إلى اللغة الشعرية القديمة . فأخذ يحاكي أيسكيلوس وبنداروس ، ولكن التكلف أفسد محاولته كما نتوقع ، وكان فى هذا فشل للتراجيديا لا يقل عن فشل الملاحم

ونخلص من كل ما سبق عن أدب عصر الإسكندرية إلى أن لم يجد إلا عند ما عاد إلى الحياة ، لقد جاد فى شعر ليونيداس لأنه لامس بؤس الحياة وخبر أسرارها ، وجاد فى شعر تيوقريطس لأنه هاجر إلى الريف حيث السذاجة الساحرة ، وجاد فى فصول المحاكاة ، لأنه صور واقع الحياة ، ولقد صدقت نغماته فى شعر الغرام ، لأن الحب شعور غلاب ، وأما فيما عدا ذلك فقد جاء شعر علم وتكلف وكتب وصالونات .

« انتهى » محمد مندور

---

٤ ـ أحمـــــد رامي

للأستاذ دريني خشبة

لم نستطع أن نهتدي إلى شيء في قصة حب رامي ، هـذا الحب الذي لمسنا أثره في الكلمة السابقة ، والذي تفجر بعد ذلك ألحاناً صافية ، فيها كثير من الدموع ، وفيها كثير من الألم ، وذلك حينما دخلت في حياة الشاعر مطربة الخلود الآنسة أم كلثوم ، فوجدتها حياة تضطرب بتلك الآلام التي تختلط فيها ذكريات اليتم والحب ... اليتم العابس المتجهم ذي المسئوليات ، والحبّ الخائب المنكوب ذي الصبوات ، وجدته يقول :

هل زال من دنياي حسن هزني ؟ ... أم قر في قلبي لهيب النار ؟
حب تضرّم في حنايا أضلعي ... فأصابه يأس بطول قرار
وبكيته حتى ملأت بكاءه ... فسكت منطوياً وحزنيَ وارِ

وهذا كلام سهل لين ، لكنه مؤثر ، بل مُبكٍ ... وأي قلب ... لا يتأثر حينما يسمع رامي في رقته وسمو عاطفته ، يهتف بهذا الشعر الجميل السهل اللين ، شاكياً باكياً ، ذارفاً دموع قلبه ، مصعّداً أنات روحه ، واقفاً عند الشطر الأخير :

فسكت منطوياً وحزنيَ وارِ !

وقفة العاشق المكروب أمام هذا الحطام المقدس من بقايا حبه !

لقد أرهفت أم كلثوم سمعها حينما سمعت رامياً يئن ذلك الأنين الموجع وسط جنته الذاوية الذابلة ، فوجدته يسائل الأطياف التي تهمهم من حوله :

لمن الغناء أقوله فأصوغه ... من أدمعي ودمي ، وطيب سراري
ومن الذي يوحي إليّ من الهوى ... قبس الخيال وصدحة الأوتار
ما أطلق الطيرَ الصدوحَ بشدوه ... مثل ابتسام الزهر والنوار
أو نضر الزرع البهيجَ زهورَه ... كالشمس والماء النمير الجاري
أو أرقص البحر الخضم عبابه ... كالبدر يشرق باهر الأنوار

وتلفت رامي لجأة على صوت رخيم رضيٍ نديٍّ يقول له :

« أيها الطائر المنفرد المعذب المهيض الجناح ، صُغْ غناءك لي أملأْ به الكون ، وأجعل لك به دماً جديداً وحياة جديدة ... صُغه لي أوح إليك من أفانين الهوى ألوانها الزاهرة الباهرة ، وأنفض الرماد عن قبس خيالك ، والصدأ عن صدحة أوتارك ، وأبتسم لك ابتسام الزهر والنوار ، وأشرق على عباب بحرك الخضم إشراق البدر باهر الأنوار ، وأُدفئ جنتك بمثل الشمس التي جَرَتْ في فلك الدّوّار ، وأرْوِها بماء النمير الجار ، وأتردد في أنفاسك عطراً ، وأتبلج في ظلام يأسك فجراً ، وأرد عليك شيطانك النافر ، وأذُدْ عنك وسواسك الساهر ، وأسحر لك بنات غابك ، وعرائس عُبابك ، فتفرش لك طرقات جنتك بأفواف الزهر ، ولآلئ البحر ، وتمدك بروائع الفكر ، ونفثات السحر ... و ... و ... » . وما إلى ذلك مما يغازل الأقلام من الشعر ، وهي تكتب عن رامي وأم كلثوم

وانتفض فؤاد رامي لذلك الصوت الرؤوف الرخيم انتفاضة هائلة لم تزل تتردد ملء أضالعه عشرين عاماً ، وأحسبها سوف تتردد فيه حتى يشيخ رامي ، وحتى يهرم معه أناس آخرون

لقد رأينا كيف عز على رامي أن يصمت هذا الصمت الذي أفزعه وشغل باله ، وهو شاعر الإنسانية الحزين الذي يقول :

الحزن أدّبني ، وهذب خاطري ... وأنالني عُلو الخيال السامي
وأسال أسراب الدموع فصغتها ... صوغ المعاني في شجيّ نظامي
وأرق إحساسي ومدّ مشاعري ... فوصلت كل الناس في أرحامي
قاسمتهم أحزانهم وحملت من ... أعبائهم شطراً من الآلام

فلما سمع من أم كلثوم هذا النداء الرخيم الندى الرضيّ ، خفق قلبه ، واستجاب له ، وحلت مطربة الخلود عقدة السحر عن لسانه ، فانطلق يصوغ لها أغانيه الخالدة (من أدمعه ودمه وطيب سرازه) ، وانطلقت هي (توحي إليه من الهوى ، قبس الخيال وصدحة الأوتار)

ولقـد كان دخول أم كلثوم في حياة رامي ثورة كاملة في تلك الحياة اليتيمة الحزينة الباكية ، ولقد استطاعت أم كلثوم أن تلهم رامياً كل هذه الثروة الطائلة من المعاني (البكر !) التي لم يسبقه إليها أحد من الشعراء (فيما نعلم) والتي سجلها في (شعره الجديد) وأغانيه المصرية العذبة التي أنقذت الغناء المصري من الأسفاف الذي تردّى فيه زماناً طويلاً قبل أن يهيئ له الله رامياً ، ليجدده ، وليهذبه ، ولينفي عنه ما كان يشوبه من خيال غث ، وتعبيرات رخيصة ، وغزل بارد مكشوف ؛ مما سنخصص له كلمة مستقلة إن شاء الله

واستطاعت أم كلثوم كذلك أن تخفف من برحاء الحزن

في نفس رامي ، وأن تلطف من لذع الحرق التي كان ينطوي عليها من جراء نكبته في حبه ، وقد اعترف هو بذلك في كثير من شعره الذي أخذ يرق ويصفو لدخول أم كلثوم فيه :

صوتك هاج الشجو في مسمعي ... وأرسل المكنون من أدمعي
سمعته فانساب في خاطري ... للشعر عين ثرّة المنبع
ودبّ في نفسي دبيب المنى ... والبرء في نضو الجوى الموجع
سلوى من الدنيا تسلى بها ... قلب شديد الخفق في أضلعي
طال به السهد كأن الدجى ... ضل به الفجر فلم يطلع
حتى إذا غنيتِ ذاق الكرى ... ونام نوم الطفل في المضجع
كأنما لفظك في شدوه ... منحدر من دمعي الطيّع
فيه صباباتي وفيه الضنى ... يشكو تباريح فؤادي معي
نظمت أشعاري وغنيتها ... منظومة الحبات من مدمعي
أودعتها الشكوى فمارق لي ... من راح بالقلب ولم يرجع
ولو تغنيتِ بها عنده ... عاد إلى الود ولم يقطع

أما حديث هذا (الذي راح بالقلب ولم يرجع) فعلمه عند رامي الذي يقول بعد هذا :

يامن شدَت بنسيبي ... ناجيت فيه حبيبي
وردّدت من شكاتي ... ورجّعت من نحيبي
وأودَعت في الأغاني ... تناوحي ووجيبي
فجرتِ نبعَ خيالي ... من بعد طول النضوب
أنمتِ حزن فؤادي ... بصوتك المحبوب
وكنتِ مألف حسي ... وظل روحي الغريب
وآنس اليوم قلبي ... نجيّه في القلوب
حتى غنيت بنجوا ... ك عن هوى وحبيب (١)

فنحن إلى الآن تلقاء حالات ثلاث من أحوال رامي ... أولاها رامي المحب المحزون ، وثانيتها رامي الذي يشكر القدر على هذا الصوت الذي أخذ (يدب في نفسه دبيب المنى ، والبرء في نضو الجوى الموجع) ، رامي الذي لا يزال يحن إلى إلفه القديم فيقول :

أودعتها الشكوى فما رق لي ... من راح بالقلب ولم يرجع
ولو تغنيتِ بها عنده ... عاد إلى الود ولم يقطع

أما الحالة الثالثة ، فرامي الذي أخذ يتسلى عن هواه القديم ، حيث يقول :

أنمتِ حزن فؤادي ... بصوتك المحبوب
وكنتِ مألف حسي ... وظل روحي الغريب
وآنس اليوم قلبي ... نجيّه في القلوب
حتى غنيت بنجوا ... ك عن هوى وحبيب

وذلك اعتراف صريح من رامي بأن قلبه قد آنس اليوم نجيّه في القلوب ، حتى غَنِيَ بنجواه عن كل هوى وكل حبيب

أما تاريخ قلب رامي بعد هذه الأطوار الثلاثة من أطوار حبه فليس من شأننا ، ونستطيع أن نقول إنه أصبح قلباً شديد الصلة بأذنيه ... أي من هذه القلوب التي تعشق بالأذن قبل أن تعشق بالعين أحياناً وإن تك عين رامي من أعشق عيون الشعراء الذين عرفناهم أجمعين . ونستطيع أيضاً أن نلفت النظر إلى حب جديد شب في قلب رامي فجأة ، وجعله لأول مرة في حياته يذكر الشك ويردده كثيراً في أشعاره الجديدة وفي أغانيه المصرية البارعة الرائعة :

تقول أسأت الظن بي فكأنما ... تخال محباً لا تسوء ظنونه
وهل قر قلب في هواه ولو غدا ... يساجله فرط الحنان خدينه
إذا لم يكن في الحب شك وحيرة
فمن أين يحلو للمحب يقينه ؟

ومن قصيدته (بين الشك واليقين) :

قد أحاطت بك العيون فما أسـ ... ـتطيع ألقى مكان عيني منك
وجرت حولك الأحاديث حتى ... كدت أنسى الذي أحدث عنك
وأطافت بك القلوب وقلبي ... ضاع في غمرها ولما يضمك
خبريني أي القلوب تناجيـ ... ـن فقد همت في غيابة شك

ومن قصيدته (كذب الظنون) التي مطلعها :

أخاف عليك من نجوى العيون ... وأخشى أنّة القلب الحزين
وأعلم ميل نفسك أن تكوني ... هوى الدنيا ومُنتَجَعَ الحنين
فأخشى قولة العُذّال مالت ... لغيرك ، وانمحى كذب الظنون
وقفت على هواك مطار فكري ... ومسرى خاطري وهوى فنوني
ووحّدت المعاني فيك حتى ... رأيت الكون خلواً من شجوني
فهل يرضيك ما ألقى فأرضى ... نصيبي فيك من ذل وهون
أم الظن المريب أضل رشدي ... وأرسل ليله يغشى يقيني
وأنت كما عهدتك في غرامي ... نجية قلبي الراعي الأمين

ومن قصيدته (ظن المحبين) :

ساورتني الظنون فيها ولكنـ ... ـني غالبت سوء ظني حينا

(١) نعتذر عن حذف بعض الأبيات لسياق الحديث

على هامش ذكرى المعرى

«داعى الدعاة» مناظر المعرى

للدكتور محمد كامل حسين

— ٤ —

لخصت فى مقالاتى السابقة شيئاً من حياة المؤيد داعى الدعاة، وتحدثت عن شىء من نشاطه فى الحياة السياسية، ولم أشأ أن أدخل فى تفصيلات لا تتحملها الصحف السيارة، والآن أتحدث عن أثر المؤيد فى الحياة العلمية والأدبية. فقد كان المؤيد عظيم الأثر فى معاصريه، واستطاع أن يسحرهم بفصاحته ويبهرهم بقوة حججه فانقاد له خلق كثير، واستطاع كذلك أن يجعل من تلاميذه مدرسة لها طابعه، تتحدث بآرائه وتبشر بتعاليمه، كما وضع عدة كتب لا تزال إلى الآن من أمهات الكتب التى لا يقر بها إلا شيوخ الدعوة الطيبية فى الهند واليمن، (أى طائفة البهرة)، وقد سرد عبد الله بن المجدوع فى رسالته أسماء الكتب التى وضعها المؤيد فى الدين، وهى تبلغ نحو ثلاثة عشر كتاباً، منها كتاب واحد بالفارسية هو كتاب أساس التأويل، وقال إن المؤيد ترجم هذا الكتاب عن العربية عن كتاب «أساس التأويل» لأبى حنيفة النعمان بن حيون المغربى. وقدر لى أن أطلع على هذا الكتاب بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن؛ فإذا هو يبحث فى تأويل قصص الأنبياء بعد أن قدم فى عدة صفحات قليلة بوجوب تأويل القرآن الكريم تأويلاً باطنياً، ووجوب معرفة الظاهر والباطن

ولعل أكبر أثر تركه المؤيد هو كتاب «المجالس المؤيدية»، وهو مجموعة محاضراته التى ألقاها فى مجالس الدعوة، وتجمع كل مذهب الفاطميين. فلم يترك المؤيد شيئاً من مذهبه دون الحديث عنه فى هذه المحاضرات التى بلغت الثمانمائة محاضرة، ولا أدرى تماماً متى جمعت هذه المحاضرات ومن الذى أطلق عليها هذا الاسم، ولكن الذى لا شك فيه أن الداعى اليمنى حاتم بن إبراهيم المتوفى سنة ٥٩٦ رتب هذه المحاضرات حسب

ثم سالتها أتحمل عنى ... بعض ما ذقت فى هواها فنونا

فثنت طرفها وقالت أما تبر ... ح يا ظالمى تسئ الظنونا

وأنا لا أشيم فى قلبك السا ... در نوراً ولا أحس يقينا

كانا سيء الظنون وما أحـ ... ـب إلا أن الأمانة فينا!

وكما يتردد ذكر الشك فى شعر رامى الجديد تتردد الشكوى من كثرة المحبين الذين تتهاوى فراشات قلوبهم فى نار حبيبه المقدسة:

يا من أخذت فؤادى ... أخذ العدو الحبيب

قلبى لديك فقل لى ... ما حاله فى القلوب

وما أعذب مطلع قصيدته «هوى الغانيات»

كيف صرت على هواك القلوب ... فتحيرت من يكون الحبيب؟

ومن قصيدته «بين الشك واليقين»:

وأطافت بك القلوب وقلبى ... ضاع فى غمرها ولما يضمك

خبرينى أى القلوب تناجيـ ... ـن فقد ضعت فى غيابة شك

ثم تكثر فى شعر رامى الجديد تلك المقطوعات الرقيقة التى لا نستطيع أن نسميها إلا «خطابات شعرية» كان يرسل بها إلى حبيبه الجديد، يملأها بالشكوى وبالشك والحنين وهو يصرح فى معظم هذه (الخطابات المنظومة) بأن حبيبه هذا ذو صوت حنون حلو:

عشقتك للصوت الحنون وللشجى

وما كنت أدرى ما يجر هواك

غناء كشدو الطير فى رونق الضحى

ومعنى تناغى فى سماء مناك

وإذا سئل رامى عمن يكون هذا الحبيب أجاب:

أرادونى على أنى أبوح ... وهل يتكلم القلب الجريح

إلى أن يقول:

وتزدحم القلوب على هواها ... فتنكرنى ولى كبد قريح؟

وبعد ... فمن الفضول فى تاريخ شعرائنا أن نعدو هذا الحد. منّ الله على رامى بنعمة الهدوء فى عش حياته العائلى. زوجاً كريماً ووالداً برّاً رحيماً.

دريني خشبة

ونشرها باسم « جامع الحقائق » ، فأدى بذلك خدمة جليلة لمن يبحث فى المجالس المؤيدية

قسم حاتم بن إبراهيم المجالس المؤيدية إلى ثمانية عشر باباً ، جمع فى الباب الأول ما ذكره المؤيد عن التوحيد ، وفى الباب الثانى ما اختص بالإبداع والمبدع الأول ، وفى الثالث ما ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى الرابع عن النبى (ص) وعلى بن أبى طالب ، وأفرد الباب الخامس لعلى بن أبى طالب ، وجمع فى الباب السادس ما قيل فى إثبات الإمامة فى ولد على ، وأن الإمامة تنتقل من والد إلى مولود لا تنقطع إلى يوم القيامة ، وفى الباب السابع حديث عن الأشباح الروحانية وفضلهم ، وفى الثامن ما قيل فى المادة والتأييد والوحى المتصل بالأنبياء ، وحديث عن الأنبياء والأوصياء ، وفى البابين التاسع والعاشر وجوب أخذ العهد على المستجيبين للدعوة ، ووجوب التأويل وصحته ، وفى الباب الحادى عشر نجد رد المؤيد على غلاة الشيعة وعلى القائلين بالتناسخ ، وفى الباب الثانى عشر رد المؤيد على الفلاسفة والمعطلة والمنجمين ، وفى الباب الثالث عشر رسائل المؤيد إلى أبى العلاء المعرى ، ورد المؤيد على المعتزلة وعلماء أهل السنة واليهود وردّه على ابن الراوندى صاحب كتاب الزمردة الذى يحتج فيه على الرسل ، ويحاول أن يبرهن على إبطال الرسالة ، وفى الباب الرابع عشر تحدث المؤيد عن أضداد الأنبياء والأوصياء منذ عهد آدم ، وفى الباب الخامس عشر جمع بعض مناجاة المؤيد وخطبه ومواعظه ، وجعل فى الباب السادس عشر فى ذكر فضل المهدى المنتظر ، أو بحسب اصطلاحهم « قائم القيامة » والباب السابع عشر عن المعاد والثواب وذكر أهل العذاب ، وختم كتابه بالباب الثامن عشر وهو خاص بأهل العذاب

هذه هى الموضوعات التى تحدث عنها المؤيد فى مجالسه ، وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على أن المؤيد كان واسع الاطلاع عالماً بمذهبه وبآراء جميع الفرق الإسلامية الأخرى ، وبما نقل إلى العربية من مذاهب الفلاسفة الأقدمين . والمؤيد فى كثير من مجالسه كان يأخذ آية من القرآن الكريم ، أو قولاً مأثوراً عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو عن أحد أئمة الفاطميين ويشرحه شرحاً يتفق مع ما كان يدعو إليه . فهى مجالس تأويل إن صح أن نسميها بهذا الاسم ، وهنا تتجلى لنا شخصية المؤيد ، إذ أن داعى الدعاة الأكبر أو الحجة هو صاحب التأويل فى عصره ، ولهذا نرى شيئاً من الاختلاف بين الدعاة فى تأويل بعض الآيات القرآنية الكريمة . فالتأويل شخصى يختلف باختلاف الدعاة وباختلاف العصور ، فتأويل النعمان بن حيون يختلف عن تأويل جعفر بن منصور اليمنى صاحب كتاب الكشف ، وكتاب سرائر النطقاء ، وكتاب أسرار النطقاء ، وهما يختلفان عن تأويل المؤيد فى مجالسه . وهم جميعاً يختلفون عن تأويل دعاة اليمن ، وهذا عجيب من قوم يدعون أن التأويل من عند الله سبحانه وتعالى !

كان المؤيد يبدأ مجالسه بمقدمة يحمد فيها الله ويثنى بالصلاة على النبى وعلى وصيه ، ثم يخاطب السامعين بقوله : « معشر المؤمنين » ... معلوم أن ... كما كان يختم كل مجلس بالدعاء لسامعيه ، ثم يعقبها بحمد الله والصلاة على النبى والوصى والأئمة . وكان إذا أراد التحدث عن نفسه فى مجالسه يقول : وقع فى أيدى أحد دعاتنا ... أو « سئل العالم » « قال العالم » ، لأنه كان يستر نفسه موهماً جمهور المستمعين أن هذه المجالس إنما هى صادرة عن الإمام نفسه

وها كم نص المجلس الثانى من المجالس المؤيدية فى موضوع الشرع والعقل بعد حذف المقدمة لطولها « معلوم أن المسلمين يشهدون بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام ضرورة من حيث أن القرآن الكريم مشحون بذكرهما وقصصهما . وهم « المسلمون » خصوم أمتيهما اللتين هما اليهود والنصارى ، وشهادة الخصم لا يحتاج معها إلى بينة ، وهم ينكرون النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا بينة للمسلمين غير القرآن الذى لا يقبلونه ويقولون ما هو بلغتنا ولا يلزمنا فيه حكم إعجاز ، والأخبار التى يأثرونها فى إعجاز النبى « ص » هم يردونها ولا يقبلونها . فكيف الحيلة فى إثبات نبوته عليهم ، من حيث لا يستطيعون ردها !

المناظر من المسلمين إذا ناظرهم قال إن كان موسى الذى دل عليه نبينا (ص) ونطق به القرآن الذى هو كتابه ؛ فقد لزمتكم نبوة صاحبنا كما لزمتنا نبوة صاحبكم ، وإلا لم نعرف صاحبكم كما

لا تعرفون صاحبنا . وعنده أنه دقق فى المناظرة وأحسن وجوّده، ولم يعلم أنه قابل كفراً بكفر ؛ فكان كما قال الله تعالى : « ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء » وإنما الطريق عليهم أن يسألوا عن برهان سبقهم وأحدهم وأوضاع دينهم من حيث العقل فيوافقوا على كون اليهودية والنصرانية عندهم لفظاً بلا معنى وأن معانى ذلك محصورة فى دين الإسلام الذى أتى به محمد (ص) فيتمين على من طلب النجاة منهم ؛ فلم يحل ميل الهوى الإيمان به . وقول آخر : معلوم أن النبي « ص » مبعوث إلى الكافة كما قال الله تعالى « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا » وأن معجزة القرآن الذى هو كلام عربى يختص بلسان العرب، فإنه يستحيل أن يكلف الرومى والهندى والتركى أن يقبلوا القرآن معجزاً ويؤمنوا به وبمن أتى به ، فما حجة نبوة محمد « ص » على هذه الأمم كلها إلا أن يقام عليهم من صورهم وتراكيبهم حجج عقلية هى موجودة فى معانى القرآن دون ظاهر لفظه عند الراسخين فى العلم يقوم منها برهان نبوة النبي « ص » وإلا فلا برهان . وقول آخر مختصر شاف : أن العقل صنع الله سبحانه فى باطن الإنسان يرى به مبصرات الآخرة ككون العين صنعه فى ظاهره يرى بها مبصرات الدنيا ، وقد يشرك الحيوان الإنسان فى العين ، ولا يشركه فى العقل ؛ فما يقال فيمن أعمي عينه بيده فحجب عنها ضياء العالم ونوره؟ وهل يحكم على من فعل ذلك بمين يشركه الحيوان فيها إلا بضعف الرأى وسوء الاختيار؟ أفلا يحكم على من أعمى العين المطموح بها إلى دار القرار بالشقوة والخسار وحلول جهنم دار البوار نعوذ بالله من ذلك . وجملة ما يقال فى قضية قولهم إن الشرع غير موضوع على العقل إن ولى أفاقه من قصر أن يكون بجناح البرهان فيها طائر فرأى أنه إن أثبت لكل شيء برهاناً ودليلاً ، واقع خطباً طويلاً ، وبدل تصحيح جسم رياسته تعليلاً فأبى أن يسلك فى هذا القول مضيقاً ، وآثر أن يقتصر على نفسه طريقاً ، ونفى أن بين الشرع والعقل صحبة أو قربة وسن بقوله هذا سنة أبقت على دين الإسلام سبة . والخ »

هذا نص المجلس الثانى من المجالس المؤيدية بعد حذف الابتداء والانتهاء وهو يدل على مقدار حذق المؤيد وقوة حجته وتهكمه بخصوم مذهبه . ومن الطريف أنى قرأت فى الأسبوع الماضى مقالاً للأستاذ الجليل عزيز بك خانجى يتحدث فيه عما سمعه من المرحوم الشيخ محمد عبده فى تفسير سورة « والتين والزيتون » وأضيف الآن أن المؤيد داعى الدعاة أشار إلى هذه السورة فى ديوانه بقوله :

ففكروا فى التين والزيتون ... واستكشفوا عن سره المكنون
ولم أتى من ربنا به القسم ... كما أتى بالنون أيضاً والقلم

أما فى المجالس المؤيدية فقد أوّل هذا القسم بنفس التفسير الذى سمعه الأستاذ خانجى من الشيخ محمد عبده . فقال المؤيد : « وقعت الكناية عن آدم بالتين وعن نوح بالزيتون لأن كل ثمرة يتقدمها ورق ونوار ، والتين ينشق عنه أعواد الشجر وكل حى يسبقه حبل وولادة ، وآدم استخلصه الله من أديم الأرض من غير حبل وولادة فمن أجل ذلك مثله بالتين . وخلاصة الزيتون هى الزيت المأخوذ عنه كأنه الغرض من الزيتون ومثل ذلك . فخلاصة نوح ابراهيم المستخلص من ذريته حتى كأن الغرض من نوح ابراهيم فهو مضمر فى نفس القسم من الله سبحانه . أما معنى « طورسينين » فالرمز لموسى عليه السلام ، وطورسينين هو موضوع مناجاته ومكان فضيلته ، وفيه إضمار وهو المسيح « وشجرة تخرج من طورسيناء تنبت الدهن وصبغ للآكلين » فالمسيح هو الشجرة الخارجة من طورسيناء النابت من منبعه ملة موسى فشرفه الله ورفعه . وهذا البلد الأمين كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم ، هناك قبلة الله الناسخة للقبل، بيتها أول بنيان بنى على وجه الأرض ، كما قال الله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين » لآخر سابق من أولى العزم من الرسل قال الله سبحانه وتعالى : « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد »

فتوارد الخواطر بين المؤيد والإمام الشيخ محمد عبده فى تفسير هذه السورة أوضح من أن يحتاج إلى شرح فإنى أشك فى أن الإمام الشيخ محمد عبده قد اطلع على تفسير المؤيد ، فسايره فى تفسيره الذى ورد فى المجالس المؤيدية التى اعتبرها من الكنوز التى تركها علماء المذهب الفاطمي ، والتى لا غنى عنها لمن يدرس تاريخ وعقائد الدولة الفاطمية .

(يتبع)

دكتور
محمد كامل حسين
بكلية الآداب بالقاهرة

حول بعث القـــديم

منزلة المنفلوطي بين كتابنا

للأستاذ محمد خليفة التونسي

أوردت في مقـالى السابق « حول بعث القديم »[١] خمس ملاحظات مما عن لي ملاحظته على مقال الدكتور محمد مندور « بعث القديم »[٢]، وهأنذا أعود إلى مناقشة رأى الدكتور في المنفلوطي، وانقسام النثر إلى تيارين الآن، كما وعدت في آخر مقالى السابق، وكما أبيت على نفسي هناك أن أقف فيما لاحظت موقفاً سلبياً، فوقفت بعده موقفاً إيجابياً — سأقف هنا ليكون الرأى أوضح والكلام أتم، وسألزم نفسي الإيجاز هنا، كما ألزمتها إياه هناك لضيق المقام

رأى الدكتور أن القصة بمجرد ظهورها أخذت تغذى السجع بمادة الفكر، على نحو ما نجد في المويلحي « محمد »، ثم شاع الفكر بعدها، ومنها إلى المقالة « على نحو ما نجد عند السيد توفيق البكرى الذى جمع في أسلوبه بين الصنعة اللفظية وجمال الصور الخيالية وصدق الإحساس أو أصالة الرأى » . ثم خطا النثر خطوة أخرى في القرن العشرين على يد المنفلوطي، فأصبح كالنثر الأوربي « تعبيراً مباشراً عن فكر غني أو إحساس صادق » . ثم قال : « واليوم ننظر في نثرنا فنرى تيارين كبيرين ينطوى في أثناء أحدهما المويلحي والبكرى ومصطفى صادق الرافعي وأحمد حسن الزيات، على اختلاف في الأمزجة وعمق التفكير أو الإحساس، ولكنهم يجتمعون معاً في خاصية واحدة، هى أنهم وإن يكونوا أبعد من أن يمثلوا في شيء اللفظية التي سادت في عصور مصر الإسلامية المتأخرة، إلا أنهم رغم ذلك يحرصون على تجويد العبارة تجويداً فنياً، ويخضعون الفكر أو الإحساس لطرق الأداء، حتى ليأخذك في أدبهم جمال الصياغة قبل أصالة الموضوع، أو تحس بأن تلك الأصالة قد اضطرتهم إليها أصول الأسلوب التي ينتهجونها . والتيار الثاني يبتدئ كما قلنا بالمنفلوطي، ذلك الرجل المرهف الإحساس العذب الأسلوب. ذلك الكاتب الذى غذى أجيال الشباب الناهضة أجمل الغذاء، وبلغ من التأثير في نفوسهم ما لم يكد يبلغه كاتب آخر »

ولا تعنيني هنا مناقشة رأى الدكتور في تقدم الجدل الفكرى في القصة على المقال، فقد خالفته في ذلك ونقضته في المقال السابق، بل يعنيني ما نقلته بعد ذلك، وإنما ذكرته لأحفظ لآراء الدكتور اطرادها وتماسكها، ولأن ما لخصت أساس لما نقلت، ومن أجل هذا لجأت إلى نقل ما أريد مناقشته مع طوله دون التلخيص .

وأسأل نفسي هنا سؤالاً يحدد الرأى الذى أريد مناقشته هنا، وسنرى أكان الدكتور موفقاً في الإجابة عنه أم لم يوفق

آلمنفلوطي ممن ينطوون في أثناء التيار الأول كالمويلحي والبكرى والرافعي والزيات، أم ممن ينطوون في أثناء التيار الثاني كطه حسين الذى ضربه الدكتور مثلاً لرجال هذا التيار ؟

يرى الدكتور أن المنفلوطي ممن ينطوون في أثناء التيار الثاني، بل يوغل فيرى أن التيار الثاني يبتدئ به، ونترك الآن أن هذا التيار ابتدأ به، وحسبنا أن نرى أكان أم لم يكن من رجاله ؟

وقبل أن نناقش رأى الدكتور نلاحظ عليه أولاً أنه حدد الخاصية التي يجتمع فيها — كما عبر — رجال التيار الأول وسكت عن الخاصية التي يجتمع فيها رجال التيار الثاني ؛ وقد تكرر هذا السكوت مرات منه حين لجأ إلى التقسيم

وما نظننا في حاجة إلى مقياس جديد غير مقياس الدكتور نطبقه لنرى أى تيار ينطوى فيه المنفلوطي، فعلينا أن نتمسك به وهو وحده كفيل ببيان الحق الذى ننشده، وكفيل ببيان أن الدكتور أخطأ في تطبيق مقياسه وناقض نفسه ولم يصل إلى الغاية التي كان يجب أن ينتهى إليها، فقد استقام على سنن واضح في أول أمره ثم حطم مقياسه فانتهى إلى نهاية لم يتخذ لها بدايتها، ولم تكن البداية التي سلكها تتصل به إليها

أما رجال التيار الأول فهم — كما قال الدكتور — مثل « المويلحي والبكرى ومصطفى صادق الرافعي واحمد حسن الزيات على اختلاف في الأمزجة وعمق التفكير أو الإحساس، ولكنهم يجتمعون في خاصية واحدة، هى أنهم وإن يكونوا أبعد من أن يمثلوا في شيء اللفظية التي سادت في عصور مصر الإسلامية

---

(١) الرسالة العدد ٥٢٧ (٢) الرسالة العدد ٥٢٢

المتأخرة ، إلا أنهم رغم ذلك يحرصون على تجويد العبارة تجويداً فنياً ويخضعون الفكر أو الإحساس لطرق الأداء حتى ليأخذك في أدبهم جمال الصياغة قبل أصالة الموضوع ، أو تحس بأن تلك الأصالة قد اضطرتهم إليها أصول الأسلوب التي ينتهجونها»

والمقام لا يتسع لإيراد الشواهد من كلام المنفلوطي ، وما نظننا بحاجة إلى الوقوف عند شاهد خاص لنتبين أن هذه الخاصية تتحقق في كل ما كتب المنفلوطي كما تتحقق في المويلحي والبكري والرافعي والزيات من رجال التيار الأول ، فأي كلام للمنفلوطي صالح لأن يكون شاهداً على قيام هذه الخاصية بأوضح سماتها ، ومن أجل هذا ولضيق المقام تركت الاستشهاد ، وأترك للدكتور أن يجيل بصره في أي صفحة مما كتب المنفلوطي — وإنه لكثير — سواء ما وضع وما ترجم وأنا واثق أنه سيجد هذه السمات التي رآها في آثار رجال التيار الأول قائمة في آثار المنفلوطي ، بل سيجدها في آثاره أوضح مما هي عليه في آثارهم ، فما أكثر ما لجأ المنفلوطي في سبيل إخضاع الفكر أو الإحساس لطرق الأداء ، وتجويد العبارة إلى إخراج الفكرة مضطربة ، والإحساس شائهاً ، وأظهر ما تظهر هذه السمات فيما ترجم المنفلوطي فإنه — لجهله الأصل الذي يترجم عنه — لا يقف في تصرفه عند حد حتى ليضل من يقرأ جزءاً من ترجمته العربية حين يحاول أن يتعرف مقابله من الأصل الأجنبي ، بل كان يلجأ أحياناً إلى القصة الأجنبية فيجمل مقدماتها أعجازها ، ويشيع فيها الهدم علواً وسفلاً ، ويقص بعض أطرافها ويزيد في بعضها الآخر ، ولا يزال مكباً عليها مسخاً وتشويهاً حتى ليعجز متتبعه عن السير معه وحتى ليكاد يخفى الأصل كله عنه لولا أن يهتدى إليه من طريق آخر كالأعلام مثلاً ، وما علينا إلا أن نرجع إلى ترجمته لقصة غادة الكاميليا فقد غير حتى عنوانها ثم جعلها قصتين بعنوانين ، كما يظهر ذلك من الرجوع إلى مجموعته (العبرات) وهذان العنوانان يظهران حتى في فهرس المجموعة ، ولو وازنا بين ترجمة القصة في آخر مجموعته والأصل الفرنسي أو بينها وبين الترجمة العربية للدكتور أحمد زكي بك لرأينا مقدار ما جنى المنفلوطي بجهله الأصل وحريته التي لا تقف عند حد — على هذه القصة الفريدة الخالدة ، ولقد كان مسخه يمتد إلى كل ما يترجم حتى العناوين ، وما أظن الزيات فيما ترجم — مع حرصه أيضاً على تجويد العبارة — قد اجترح شيئاً من آثام المنفلوطي لأنه يعرف الأصل ولا يترك الاتصال به في أي موضع من المواضع ، وإنما اخترت الزيات لأنه باعتراف الدكتور من رجال التيار الأول

ولم يكن المنفلوطي ليكتفي في الترجمة بما تضمه اللغة العربية بألفاظها وخصائصها من عراقيل في طريقه رغم أنفه ، مع أن كثيراً من ذلك يستمد معناه من البيئة الصحراوية التي نشأت فيها العربية كما يستمده من الحوادث العربية المحضة ، وإنه لعبء أي عبء يحس به من شاء الترجمة الشفافة من أي لغة أجنبية إلى العربية ، بل كان المنفلوطي يضيف إلى العراقيل السابقة عراقيله هو من التشبيهات والكنايات والمجازات والاستعارات العربية التي يستمدها من أساليب الأقدمين ، وإنها لرواسم توارثها العرب لا حقاً عن سابق ، وهي تمت إلى خصائص عربية بدوية وتصبغ الكلام بصبغة عربية بدوية لا تخطر إلا في بال من عاش في هذه البيئة التي نشأت فيها تلك اللغة وتلك الأساليب مما لا يتصوره ذهن غربي ولا يلوكه لسان غربي ولا يوجد في لغة غربية

أما ما كان يضعه المنفلوطي ، فقد كان حرصه فيه على جودة التعبير كما يفهمها هو من حيث البلاغة العربية أكثر منه فيما يترجم ؛ فقد كانت الترجمة تمده بالفكر والإحساس ، فلا يبقى له إلا التعبير ، أما ما وضع ، فالفكر والإحساس فيه له وحده . وإنه لفكر ركيك وإحساس إما فاتر وإما حار ، ولكن المبالغة فيه تبعث الإنسان على السخرية أكثر مما تبعثه على المشاركة فيه والعدوى به

يرى الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني أن الترجمة خير محك للكلام الجميل ، فالجميل في لغة جميل في غيرها ، والردىء في لغة ردىء في غيرها[1] ، ونحن مع ذلك نعتقد أن الكلام في

---

(١) انظر عدد السياسة الأسبوعية الممتاز الذي صدر بمناسبة إسناد إمارة الشعر إلى المرحوم أحمد شوقي بك سنة ١٩٢٧

نقله من لغة إلى أخرى يفقد كثيراً من جماله ، ولكن الأفكار والأحاسيس يستطاع نقلها مع المحافظة على جمالها ، وليس يضيع في النقل إلا جمال التعبير

فماذا على الدكتور لو أنه نقل جزءاً مما كتب المنفلوطي إلى لغة أجنبية يعرفها ثم نظر فيه بعد ذلك !

أنا واثق أن الدكتور لن يجد بين يديه شيئاً تافهاً أو لا شيء ، لأن جودة التعبير هي أبرز فضائل المنفلوطي ، وهي شيء يضيع أثناء النقل ، فلا يبقى له إلا الفكرة أو الإحساس ، وإنهما لشيئان تافهان - هذا إذا كانت هناك فكرة وكان إحساس

وقد لاحظنا أننا نتكلم عن أسلوب التفكير وأسلوب التعبير ، فلنلاحظ أنه كلما كانت الفكرة أو الإحساس أو الصورة أدنى إلى السذاجة كان التعبير عنها أيسر ، فإذا كان المنفلوطي أيسر فهماً من الرافعي والزيات وغيرهما ؛ فمصدر ذلك أنه لا يتعمق في فكره كما يتعمقون ، ولا يرهف إحساسه ويصدق كما يرهفون ويصدقون ، ولا يجهد نفسه ليرتقي إلى آفاق الفكر العليا والمثل الإنسانية الرفيعة كما يجهدون ويرتقون

والصبي إذا استطاع أن يعبر الجدول قفزاً دون أن يصيبه البلل ليس له أن يفخر على الرجل إذ يعجز عن عبور النهر إلا سباحة فيقاسي ما يقاسي في عبوره من هول الأمواج والتيارات ووحوش الماء ، ولا ينال ما يريد إلا بعد أن يأخذ منه النصب كل مأخذ ويلقى من المتاعب ما لا يخطر للصبي على بال ، وما على الصبي إذا شاء الفخر إلا أن يلقي بنفسه في النهر كالرجل وسيعرف أنه ليس الجدول كالنهر

من أجل هذا نرى أن المنفلوطي ليس من رجال التيار الثاني ، فلا يجوز بحال أن نرى ما رأى الدكتور من أن التيار الثاني قد ابتدأ به ، ومن أجل هذا كان المنفلوطي من رجال التيار الأول ، بل إنه لأصل فيه من بعض من يظنهم الدكتور أصلاء فيه ، وخاصة الرافعي وعلى وجه أخص الزيات ؛ فإن الزيات أدنى منه إلى رجال التيار الثاني وأشبه بهم منه

ولطالما هجم الزيات على أعقد مما اضطرب فيه المنفلوطي من المشاكل الفكرية ، ومع محافظته على اطراد آرائه واتزان خطاه وصفاء فكره وخصائص شخصيته - استطاع أن يحتفظ لتعبيره بطلاوته وأناقته وإشراقه على النحو الذي يفهمه من بلاغة أسلوب التعبير في اللغة العربية ، كما أبان لنا عنه في مقالاته حين تعرض للدفاع عن البلاغة

وإنه ليبلغ من بلاغة التعبير ما يريد دون أن ينسى أو ينسيك المشكلة التي يعالجها ، أو يخدعك بجمال الصياغة عن الموضوع الذي يحدثك به ، وما هكذا المنفلوطي ؛ فإنه ليبلغ منه الحرص على جودة التعبير أحياناً مبلغاً يخرجه حتى من رجال التيار الأول المحتفظين بجمال الصياغة ، مع احتفاظهم بوضوح شخصيتهم وخصائص أمزجتهم والصدق في إحساسهم والجد في تفكيرهم - ويدنيه إلى الفئة الذين كل همهم أن يخدعوك عن تفاهتهم بحلية لفظية زائفة كرجال العصور الإسلامية المتأخرة أمثال الحريري وابن زيدون والقاضي الفاضل والوطواط وابن نباتة والصفدي وابن حبيب الحلبي والجبرتي والشرقاوي وغيرهم ممن تخلو كتاباتهم الأدبية من كل فكر جاد وإحساس صادق . ونقول يدنيه منهم ولا نقول يضمه فيهم ، لأن المنفلوطي - مهما يسف - لن ينحط حتى يكون مثلهم ، ولن يتهافت حتى يبلغ مبلغهم من التفاهة والسخافة والفسولة ، ولكنه كثيراً ما نزق مثل نزقهم ، وإن كان أرفع منهم أفقاً وأقوم فكراً وأصدق حساً ، فظهر كالمشعبذ مثلهم ، ولو أن شعبذته من صنف أرقى وأدق وأعمق

المنفلوطي من رجال التيار الأول ، وليس أفضل رجاله ، وإن كان من أفضلهم ، ونحن نظلمه حين نخرجه عن أشباهه إلى غير أشباهه ؛ فلنضعه حيث وضعه الله ووضعته ملكاته ومؤهلاته وتربيته وثقافته ، وبهذا نوفيه حقه ونعرف له فضله ، وإنه لفضل عظيم . . .

ووداعاً يا سيدي الدكتور إلى أن نلتقي في مقال آخر نجيب به عن هذا السؤال : آلمنفلوطي - كما قلت أنت - الكاتب الذي غذى أجيال الشباب الناهضة أجل الغذاء ، وبلغ من التأثير في نفوسهم ما لم يكد يبلغه كاتب آخر ؟

وإليك مني خالص تحياتي وتجلاتي

(سمالوط) **محمد خليفة التونسي**

٣ ـ فساد الطريقة
في كتاب النثر الفني

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

سوء الفهم

من عجيب عيوب الكتاب سوء فهم صاحبه لنصوص تعرض لها ؛ فإن أقل ما ينتظر من أديب متخصص ألا يخطئ معنى نص إن عرض له في بحث ؛ فإذا هو أخطأ كما أخطأ صاحب الكتاب كان ذلك دليل نقص في الفهم أو الفكر أو نقص في الإخلاص للحق الذي زعم أنه يبحث عنه . ونحن موردون لهذه الظاهرة في الكتاب أمثلة شتى تختلف في أهميتها وتتفق في دلالتها

وأول ما نذكر من ذلك موقفه من الآية الكريمة : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذن لارتاب المبطلون » ؛ فقد احتج بها لنفسه على المسيو مرسيه ، كما سبق أن أشرنا في بعض ما سبق من الكلمات . المسيو مرسيه ينكر إنكاراً مطلقاً أن يكون في العصر الجاهلي نثر فني أو مؤلفات نثرية ، وصاحب الكتاب يزعم أنه كانت هناك كتب دينية وأدبية . وحجة المسيو مرسيه أنه لو كانت هناك مؤلفات نثرية لدونت وحفظت ونقلت إلينا كلها أو بعضها ، كما هو الشأن في آثار الهند والفرس والروم . وحجة زكي مبارك أن فقدان تلك الآثار لا يكفي لإنكار أنها كانت موجودة ، وأن القرآن يشير إلى أنه كانت هناك كتب دينية وأدبية لم يطلع عليها النبي ، فيتهم بتلفيق القرآن مما قرأ فيها « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذن لارتاب المبطلون » كما يستشهد صاحب الكتاب

والآية الكريمة لا تدل على شيء مما ذهب إليه زكي مبارك لأن الحجة فيها تصدق بأمية الرسول صلوات الله عليه مع عدم وجود الكتب ، كما تصدق بأمية الرسول مع وجود بعض الكتب . ووجود بعض الكتب يصدق بوجود التوراة التي كان معروفاً أنها موجودة ، وحاكم الرسول أهل الكتاب إليها في أكثر من حادثة . فاستشهاد صاحب النثر الفني بالآية على وجود كتب دينية وأدبية لعرب الجاهلية تعسف وتصيد للدليل .

فهو قد جرى مع الهوى إن كان قد فهم الآية ، وهو لم يفهم الآية إن كان لم يجر مع الهوى . وقد كان واجباً عليه إن كان يبحث للحق لا للهوى أن يقارن هذه الآية بأمثالها من القرآن ليفسر بعضها ببعض ، ولينظر هل تنصره الآيات الأخرى فيما ذهب إليه ؛ ولو فعل لواجهته آيات عدة كلها تشهد ضده : مثل قوله تعالى « أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون »[1]

وقوله تعالى : « ايتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين »[2]

وقوله تعالى : « أم لكم سلطان مبين . فائتوا بكتابكم إن كنتم صادقين »[3]

وقوله تعالى « أم لكم كتاب فيه تدرسون »[4]

وقوله تعالى : « وما آتيناهم من كتب يدرسونها ، وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير »[5]

فهذه كلها آيات تدل على عكس ما فهم زكي مبارك من الآية التي استشهد بها من سورة العنكبوت وأخطأ فذكر أنها من سورة القصص ؛ والآيات التي أوردناها تتدرج في تعميم النفي ، نفي ما ذهب إليه زكي مبارك حتى لا تدع الآيتان الأخيرتان منها عند المسترشد بالقرآن شكاً في أن الجاهليين لم يكن لديهم كتب تدرس في الدين أو في الأدب . وهذا يتفق مع وصف الله إياهم بالأميين في قوله سبحانه من سورة الجمعة : (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) ؛ كما يتفق مع الحديث الصحيح : نحن أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا . فهذه كلها نصوص تشهد على صاحب النثر الفني أنه لم يفهم آية سورة العنكبوت ، وتتركه كالسفينة على اليبس ليس له إلى ما يريد من سبيل

هذا مثل من سوء فهم صاحب الكتاب وفساد طريقته ، أو من عجزه حين يتطلب منه البحث شيئاً من التحقيق . ومثل آخر هو أعجب من هذا وأقبح ، موقفه من آية أخرى ، آية سورة هود . فإنه بعد أن أبدأ وأعاد في أن القرآن من جنس كلام العرب وجوهره ومعدنه ، لا يمتاز — زعم — بالأسلوب ولكن بقوة المعنى وقوة الروح ، أراد أن يفسر لماذا لم يأتوا بشيء من مثله فقال :

---

(١) سورة الزخرف (٢) الأحقاف (٣) الصافات
(٤) القلم (٥) سبأ

« القرآن نفسه فصّل فى هذه المسألة حين قال (فائتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) . فلنتأمل جيداً عبارة (إن كنتم صادقين) ففيها الجواب كل الجواب . وهل كان فى مقدور العرب أن يكونوا جميعاً أنبياء حتى يصلوا إلى ما وصل إليه مواطنهم وزعيمهم وسيدهم محمد بن عبد الله الذى صدقت كلمهم فيه قبل نبوته حيث لقبوه بالصادق الأمين ؟ »

وهذا الكلام من صاحب الكتاب فيه أكثر من عجيبة واحدة فإن قوله « زعيمهم وسيدهم الخ » خلط بين حال النبى بعد فتح مكة وحاله قبل فتحها ، قبل الهجرة ؛ فإن الآية التى ذكر من سورة هود ، وسورة هود مكية أى نزلت قبل الهجرة . ولم يكن عدد المسلمين قبل الهجرة يزيد على بضع مئات إن كان بلغها ، فلم يكن للنبى صلى الله عليه زعامة على أهل مكة بله العرب إذ ذاك ولا سيادة . فصاحب الكتاب إما أن يكون على جهل بالآية متى نزلت ، وإما أن يكون أراد اتقاء التهمة عند الناس

وفى قوله : « وهل كان فى مقدور العرب أن يكونوا جميعاً أنبياء حتى يصلوا إلى ما وصل إليه مواطنهم الخ » عجيبة أخرى ، لأن فيه إشارة خفية أو ظاهرة إلى أن محمداً وصل إلى القرآن من نفسه بصدقه الذى عرفوه فيه قبل نبوته ، ولما لم يكونوا مثله فى الصدق لم يستطيعوا أن يأتوا بقرآن كقرآنه ، ولو كانوا مثله فى الصدق لاستطاعوا . وإذا كان العرب جميعاً لم يكونوا على مثل صدق محمد قبل نبوته ، فليس من الممتنع عقلاً أن يكون بعضهم كان على مثل صدقه ذلك . فكلام صاحب الكتاب هذا يترك الباب مفتوحاً لإمكان إتيان بعض العرب بمثل القرآن ، من غير أن يفسر لماذا لم يأت ذلك البعض بمثله

ولا يتبين ما وراء هذا الكلام لصاحب الكتاب إلا إذا قورن بقوله من مناظرة له فى كلية الآداب : « فيكم من قرأ القرآن وفيكم من قرأ التوراة وفيكم من قرأ الإنجيل ... وهل فيكم من ينكر أن من أعظم الجوانب فى تلك الكتب هى الجوانب الخاصة بالتشريع ؟ ولمن توضع قواعد التشريع إذا اطمأن الأنبياء إلى أن المجتمع فى أمان من شر الفساد والانحلال » وفى قوله : « إذا اطمأن الأنبياء » الدليل كل الدليل إلى رأى صاحب الكتاب فى قواعد التشريع فى القرآن والتوراة والإنجيل هل هى من وضع الأنبياء أو من عند الله . ومن هنا يتبين ماذا أراد بقوله : « وهل كان فى مقدور العرب أن يكونوا جميعاً أنبياء » إلى آخر ماقال تفسيراً لعدم استطاعتهم الإتيان بمثل القرآن

على أن همنا الآن ليس هو العودة إلى تبيان رأى صاحب الكتاب فى القرآن لمن هو ؛ فهذا إنما جاء عرضاً ، ولولا ما جاء متعلقاً به فى الشاهد الذى أوردناه من كلام صاحب الكتاب ما عرجنا عليه . إنما همنا أن ندل على عجيب سوء فهم صاحب الكتاب للآية التى أورد بعضها من سورة هود . وسوء فهمه يتجلى فى حمله (إن كنتم صادقين) فى الآية الكريمة على الصدق الخلق لا على الصدق الإخبارى فى قول خاص قد قالوه ، كما يتجلى فى زعمه أن فى هذه الكلمات الثلاث ، بهذا المعنى وعلى هذا الوجه ، الجواب كل الجواب على سؤال السائل : لماذا لم يأت العرب بمثل القرآن وهو من جنس كلامهم ، لا يمتاز عنه بأسلوب ، ولكن بقوة المعنى والروح . ونفى الامتياز فى الأسلوب يستلزم طبعاً نفى الامتياز بقوة الروح ، كما أن إثبات قوة الروح يستلزم إثبات قوة الأسلوب لو كان صاحب الكتاب يعرف مظاهر قوة الروح فى الكلام . لكنه مشغول عن كل هذا بظنه أن المسألة مسألة صدق معنوى روحى خصب ، فلو صدق العرب مثل صدق محمد لجاءوا بمثل القرآن . وهذا طبعاً يترك الباب مفتوحاً للانسانية فى مستقبل الزمن وحاضره أن تأتى بمثل القرآن إذا وجد فيها من يبلغ من الصدق المبلغ المطلوب !

ولسنا ندرى كيف خفى على هذا الرجل أن الصدق على هذا الوجه يفسد النص الذى ذكره من الآية الكريمة ، ويدخل عليه من الخلل والتناقض ما لا يخطر ببال ، إذ يصير معنى ما اقتضب من الآية هو : فائتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كان خلقكم الصدق فى القول والعمل ! وواضح أن فعل الشرط هو مدار التعجيز لعدم توفره فيهم ، ولو توفر لاستطاعوا أن يأتوا بما طلب منهم أن يأتوا به . فيكون المعنى على فهم صاحب الكتاب أنهم لو كانوا على خلق من الصدق ، وطبع من محبة الحق والبصر به ، لاستطاعوا أن يفتروا عشر سور من مثل القرآن ! وما دام الصدق المشروط قد توفر فى محمد إلى حد لم يتوفر فيهم ، فمحمد استطاع أن يفترى كل القرآن على فهم صاحب الكتاب . ونعوذ بالله من الخذلان !

طبعاً لم يفصل القرآن فى الموضوع هذا الفصل المطابق لفهم زكى مبارك أو الموافق لوحى شيطانه . وإن فهماً يخرج



إلى الأستاذ بشر فارس

قدمت لك رسالتي في «الإسلام والفنون الجميلة» ، وكان جميلاً منك أن عرفت بها قراء المقتطف ، ولكن الذي تولى عنك التعريف — في عدد يونيو سنة ٩٤٤ ص ٨٣ — لم يلتزم جانب الصدق في مهمته ، بل راح يتهمني في جرأة غريبة بخيانة الأمانة العلمية ، فكتبت إليك لترد الحق إلى نصابه وطلبت إليك أن تنشر ردي ، كما نشرت من قبل كلمته كما يقضي بذلك العدل والمنطق السليم ، ولكنك لم تفعل ، فلا نشرت خطابي كما هو ، ولا كنت أميناً في تلخيصه كما ينبغي ، بل اخترت — أو اختار صاحب الإشارة — منه فقرات لا تصور رأيي على حقيقته ، واستباح لنفسه أن يرد على ذلك الذي اختاره من خطابي ، واستبحت لنفسك أن تنشر رده لتوهم القراء أنه رأيي وما هو من رأيي في شيء . وبعد ، فقد تفضلت مجلة الرسالة — منبر الحق — فأفسحت لي من صدرها مكاناً أنشر فيه خطابي إليك الذي أبيت نشره ، ثم أعقب على الرد الذي ظهر في عدد يوليو سنة ٩٤٤ من مجلة المقتطف

أما خطابي فنصه :

القاهرة في ٢١ يونيو سنة ١٩٤٤

سيدي المحترم الأستاذ بشر فارس

قرأت اليوم في مجلة المقتطف كلمة عن كتيبي «الإسلام والفنون الجميلة» وإني لأشكر لك عنايتك بتلك الرسالة الصغيرة ، ولشد ما كنت أحب أن أقف عند حد هذا الشكر لا أتعداه ، لولا أنك يا سيدي لم تكن موفقاً في اختيار الناقد الذي عهدت إليه بنقد تلك الرسالة وتعريف القراء بها ، وأغلب الظن أن ناقدك المحترم ليس من الاختصاصيين في موضوع الرسالة بدليل أنه لم يستطع صبراً على قراءتها على صغر حجمها ، ولم ينفذ إلى ما تضمنته من آراء حتى يناقشها ليهدمها أو يعدلها أو يؤيدها أو يأتي في الموضوع بجديد ، لا سيما والبحث حديث لم يتجاوز

المحكم من القول عن إحكامه هذا الإخراج لهو فهم مختل بالغ الاختلال . وإذا قرأت الآية تامة ، لا كما ابتسرها لك زكي مبارك لغرض في نفسه وجدت المعنى نيراً واضحاً لا عوج فيه ، والحجة مستقيمة ملزمة لا خلل فيها

إن الآية هي : (أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) . والتلميذ المبتدئ إذا قرأ الآية تامة هكذا يدرك حالاً أن (إن كنتم صادقين) معناها إن كنتم صادقين في قولكم إن محمداً افتراه ، لا كما زعم هذا الباحث المتخصص من أن معناها إن كنتم مثل محمد مطبوعين على الصدق مفطورين على محبة الحق

والفرق بين المعنيين هو الفرق بين الحق والباطل ، وبين النور والظلمات . ألا ترى أن ظاهر الآية الذي لا يمكن أن يخفى حتى على المبتدئين هو أن صدقهم في دعواهم يستلزم قدرتهم على الإتيان بمثل القرآن ، فإذا لم يقدروا فهم كاذبون في رميهم النبي بافتراء القرآن على الله ؛ في حين أن ما فهمه زكي مبارك الأديب البحاثة مؤداه أن تخلقهم بالصدق يستلزم مقدرتهم على الإتيان بمثل القرآن ، فإذا لم يقدروا فهم مفطورون على الكذب . كأن خلق الكذب والعجز عن افتراء القرآن متلازمان ، كما أن خلق الصدق والقدرة على افترائه متلازمان كذلك ! وقد شهد صاحب الكتاب للنبي بالصدق فطرة وسجية ، فقد شهد له إذن بالقدرة على مثل القرآن ، أو بالأحرى شهد عليه — حاشاه صلى الله عليه — أنه افترى القرآن على الله كما هو لازم منطق الآية في فهم صاحب الكتاب !

لقد جئنا بالآية مثلاً على النقص البالغ في مقدرة صاحب الكتاب على الفهم ، فإذا بالتحليل المنطقي لفهم صاحب الكتاب الآية يؤدي إلى أن صدق محمد يقتضي في رأي صاحب الكتاب أن يكون القرآن لمحمد افتراء على الله . وخسئ صاحب الكتاب وخسر أي الوجهين فضل أو أي النتيجتين اختار

هذا عجب من سوء فهم صاحب الكتاب لآيتين من كلام الله، وسترى عجباً من سوء فهمه لبعض كلام الناس

محمد أحمد الغمراوي

الذين كتبوا فيه عدد أصابع اليد الواحد ؛ كما ذكرت فى المقدمة

وناقدك المحترم ، يا سيدى ، كذلك ليس من أهل النظر وأعداء الهوى كما تريد له أن يكون ، فلقد أثبت بما كتبه أنه وقف عند الصفحة الثالثة من الرسالة التى تتضمن ثبتاً بالمحتويات ولم يتجاوزها إلا إلى الصور ليلقى عليها نظرة عابرة ، وليته قرأ هذه الصفحة الواحدة بإمعان ، بل تسرع فأخطأ فى نقل بعض ما بها . إذ ذكر فى نقده « النقابات المساعدة » وحقيقتها « النقابات الإسلامية » ، وهو بعد هذا لم يفطن إلى الصفحات الثمانية التى لخصت فيها البحث باللغة الإنجليزية ، فلم يشر إليها ولم تدخل فى حسابه الذى توج به نقده إذ ذكر أن صفحات الرسالة ٣٢ (كما هو وارد فى الصفحة الثالثة) بينما هى فى الحقيقة ٤٠ صفحة ، وأما الصور ، فإن نظرته السريعة إليها قد دفعته إلى الظن بأني اكتفيت بتلك الكلمة التى قصدت بها إيضاح الفكرة ، فحسب ، وجملته يسارع فى اتهامي بما أحرص عليه أشد الحرص ، ولو كان حضرته حريصاً على الأمانة العلمية حرصى عليها لقرأ الرسالة كما يقرأ القاضى النزيه أوراق القضية قبل الحكم فيها ، وعندئذ يجد أننى ذكرت فى الصفحة السابعة والعشرين أسماء الكتب التى نقلت عنها الصور وأسماء مؤلفيها . بقيت مسألة أسف حضرة الناقد ، لأننى نقلت إحدى عشرة صورة بحجمها من كتب نشرت قبل الآن ، ثم أمنيته فى أن أعنى بنشر صور جديدة ، وفى الحق إننى لآسف له ، رثٍ لحاله إذ كشف عن سطحيته إن صح هذا التعبير ، لأنه لو كان قرأ البحث وأدركه حق الإدراك لوجد أنه يدور حول موقف الإسلام من الفنون الجميلة ، وبيان هذا الموقف لا يتطلب أكثر من توضيح الفكرة بأى وسيلة إيضاح ميسورة ، فمن الإسراف حقاً ألا يستفيد الإنسان من « كليشيهات » أنفقت الدولة على صنع معظمها ، طالما أن ذلك لا يؤثر فى جوهر الموضوع ويكشف عن الفكرة بجلاء . ولو كان البحث فى الفنون الجميلة نفسها لكان الناقد على حق فى مطالبته بصور جديدة ، لأن المقصود عندئذ يكون بيان الفن وتنوعه لا بيان الفكرة الكامنة وراءه

وبعد فإننى أعتقد أن من حق عليك ـ يا سيدى الأستاذ ـ ومن حق المكانة العلمية السامية التي تتمتع بها مجلة المقتطف ، بل ومن حق الأمانة العلمية التى تشدق بها حضرة ناقدك المحترم ونسيها فى نقده أن تنشر هذه الكلمة فى نفس الموضع الذى نشرت فيه نقده فى أول عدد يصدر من المجلة لترد الحق إلى نصابه . ولك منى بعد ذلك أطيب التحيات وخالص الاحترام .

محمد عبد العزيز مرزوق

* * *

وأما تعقيبى على الرد الذى نشر فى عدد شهر يوليو سنة ٩٤٤ ص ١٩٠ من المقتطف فهو أننى ما زلت أعتقد من « صاحب الإشارة » ليس من الاختصاصيين فى موضوع الرسالة ، ولا يستطيع أن يستر دعواه بقوله إنه « لم ير مجالاً لمناقشة الآراء وإنها على حسن عرضها ليست على خطر ولا جدة » . ولو كان حقاً من رجال هذا الموضوع لناقش ولو رأياً واحداً من الآراء الكثيرة التي تضمنتها . على أننى لا أعيب عليه هذا قط ولا أطالبه بأن يكون من الاختصاصيين ، وإنما أطالبه بأن يكون أميناً فى التعريف بما يتصدى له من كتب وأبحاث ، مخلصاً فيما يتولاه من هذا العمل ، مدققاً فيما يصدر عنه من أحكام ، لا سيما إذا كانت تمس الآخرين . وأما قصة « الكليشيهات » فأظنه قد عز عليه أن يعود ، إلى الحق مع أن الرجوع إليه ـ كما يعلم ـ من أعظم الفضائل . فعند ما وضعت إصبعه على المكان الذى يرى فيه جلياً أننى شديد الحرص على الأمانة العلمية راح يستر تراجعه بقوله : « بل أريد المصدر تحت الصورة » ، ومع أننى فعلت هذا فعلاً عند ما نشرت البحث فى مجلة الرسالة (راجع الأعداد ٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٤١) إلا أننى لم أشأ أن أشوه جمال الصور فى كتابى بذكر مراجعها ووصفها على نفس الورق المصقول تحت الصورة بل آثرت تحقيقاً للذوق الجميل أن أجمل وصف اللوحات ومراجعها فى مكان واضح فى الكتاب لا يخطئه إلا مهمل أو مغرض ، وكلاهما لا يقام لحكمه وزن .

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

ويل للفلسفة من الناس !

يظهر أن القدماء كانوا على حق حين قال قائلهم : «لا تذيعوا الحكمة بين غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم» . وقد كنت إلى حين قريب أجهل قيمة الشطر الأول من هذه الحكمة ، حتى ورد إلى خطاب غريب من أديب لا أعرفه ، يتهمنى فيه بالكفر والإلحاد (بطبيعة الحال) ، ويسفه فيه بعض آرائى «الفاسدة المضلة» ! وأنا أعترف لهذا الأديب الفاضل بأنى قد أخطأت وأسأت ، ولكننى أرجوه أن يعرف أن الكلمة من صاحبها هى بمعناها فى نفسه لا بمعناها فى نفسها . فإذا كانت كلمتى الأخيرة تنطوى على شىء من هذا الذى توهمه أديبنا الفاضل ، فلعله مما يشفع لى أن أكون قد أسأت التعبير ، أو أن يكون هو قد أساء الفهم ! وليطمئن صاحبنا الهمام ، فإنه لن تكون لنا رجعة إلى هذا الموضوع بعد اليوم ...

زكريا إبراهيم

حاشية : كنت قد وعدت الأستاذ الفاضل دربى خشبة بأن أعرض لنقد ابن تيمية ، وأعقب على اعتراضاته فى كلمة أنشرها بالرسالة ، ولكن يظهر أن المجال لا يتسع لذلك ، فضلا عن أن الوقت لم يحن بعد للكلام فى مثل هذه المسائل عندنا ، فأرجو المعذرة ؛ وعسى أن أرسل البحث بأكمله للأستاذ الفاضل حتى يطلع عليه ... (ز . ا .)

إلى الدكتور محمد مندور

ذكرتُ فى مقالى «حول بعث القديم» فى عدد الرسالة ٥٧٧ خمس ملاحظات لاحظتها على مقالك «بعث القديم» ، ولما تناولت عدد الرسالة الأخير وجدتك قد نشرت رداً لم أفد منه إلا أنك أحياناً تتخلى عما يليق بالعلماء إلى ما لا يليق . فقد بدأت ردك بأنك تظن أنى طالب ثم جزمت بأنى طالب . ولست أدرى أولاً ماذا يعنيك إن كنت طالباً أم لم أكن ، ولست أدرى ثانياً ماذا حملك على الاتجاه إلى شخصى ولم أتقدم إليك إلا برأيى

لقد واجهتُك بخمس ملاحظات فانظر كيف أجبتَ عنها

لقد تركتَ الرد على ثلاث ملاحظات لاحظتُها عليك لم تتعرض لها التوقع فى وهم القراء أنك أفحمتنى بما أجبت عنه وذلك ما لا أرضاه لك ، فلتجب عنها إن كنت تستطيع .

وقد تعرضت للملاحظتين : إحداهما تاريخ الطباعة فى مصر فى عهد محمد على ، وقد لجأت فى تعرضك لها إلى المراوغة والطعن ، ثم قلت إن الكتب التى بين يدى كاذبة ، ولم تأت ببرهان كمادتك

والملاحظة الثانية قد رجعت فيها إلى رأيى ، وهو أن جمعية المعارف ومطبعتها اللتين أسسهما المويلحى ترجمان إلى سنة ١٨٦٧ ، لا كما قلت أنت بأسلوب المراوغ المكابر إنها لا ترجع إلى أبعد من سنة ١٨٦٠ ، وقد اعتمدتُ أنا على ما ورد بنصه فى كتاب «الإسلام والتجديد» للدكتور تشارلز آدمس ، وقد أشرتُ إليه فى هامش ردى ، ومع ذلك تزعم أن هذا المصدر مدرسى . ففى أى مدرسة فى مصر يدرس هذا الكتاب ؟ وإن جورجى زيدان الذى استشهد برأيه يؤيدنى ولا يؤيدك

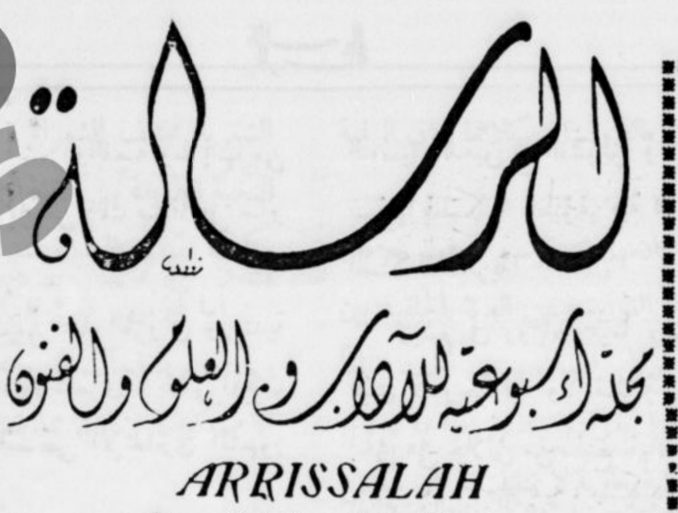
ثم زعمت كذباً علىّ أنى أوافقك فى أن رفاعة الطهطاوى بعث القديم بحكم ثقافته المستنيرة وأنا لم أقل ذلك ، ولكننى قلت اعتماداً على أستاذك وأستاذى أحمد أمين بك وهو يترجم إن رفاعة كان مقلداً المستشرقين ده ساس و كوزن فى بعث القديم ، ولقد نسيت أو تناسيت المصادر ، وما كان لك أن تنسى المصادر ولا أن تتناساها ، وذكرت أسماء بروكلمان وشيخو وزيدان والرافعى ، ولم تذكر ما يؤيدك . فهل تريد أن تقول إنك قرأت ما قالوا فى ذلك و كفى . إن يكن ذلك فما تعرضنا لك فيه .

(سمالوط) محمد خليفة التونسى



12 me Année No. 581 — Lundi - 21 - 8 - 1944





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٥٨١ « القاهرة في يوم الإثنين ٢ رمضان سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢١ أغسطس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

من قراءتهم تعرفونهم

للأستاذ عباس محمود العقاد

بين المطالعة والتدخين مشابهة قريبة في خصلة واحدة، وهي أن المدخن الأصيل في ذوق التدخين يستطيب صنفاً واحداً من التبغ لا يساوي به صنفاً آخر. بل قد يتساوى لديه الإقلاع عن التدخين بتة وتدخين صنف آخر غـــير الذي تعوده واستراح إليه

وكذلك القارئ المطبوع، يتوشج مزاجه على صنف واحد من القراءة يوائمه ويتصل النسب بينه وبين عقله وخلقه وهواه. فإذا عرفت الكتاب ومؤلفه عرفت القارئ ومزاجه، أو عرفت على الأقل أن إقباله على طراز آخر من المؤلفين بعيد، وأن اعتكافه على نمط آخر من التأليف عجيب

وكل قارئ بينه وبين مؤلفه وكتابه نسب في الذهن وصلة في الموضوع؛ فهو القارئ الذي يقرأ بقلبه ويعيش في صفحات كتابه، وليس بالقارئ الذي يعبر الصفحات والساعات للتسلية وتزجية الفراغ، ثم ينسى ما كان فيه وينتقل منه إلى نمط آخر من التواليف بينه وبين النمط الأول مسافة شاسعة في عالم الفهم أو الشعور

الفهـــرس

ويصدق هـذا المعنى على قراء الشعر والقصة وما إليهما من مبدعات الحس والخيال ، ولـكنه أقل من ذلك صدقاً على سائر الموضوعات

ذكرت هذه الحقيقة حين قرأت من أنباء الغزو فى نورمندية أن القائد المعروف فى مصر « برنارد مونتغمرى » يقضى أوقات فراغه بالميدان فى قراءة روايات القصصى الإنجليزى المشهور أنتونى ترولوب

قال المراسل الذى وصف الغزو : « وكان كل يوم ينقضى يزيد التوتر فى ديوان القيادة العليا لقوات الحلفاء المتحالفة . ولـكن الجو كان جو سكينة فى المقر الشخصى للقواد ، وترك مونتى لمرؤوسيه الأعمال التفصيلية التى يتقنها ، وعكف على مؤلفات أنتونى ترولوب وهو آثر كاتب عنده »

ورسالة كبيرة فى ترجمة القائد العبقرى لا تنم على أخلاقه ومزاجه وميول نفسه ، كما تنم عليه هذه الأسطر القليلة ، أو هذه الحقيقة العابرة ، وهى ولعه بترولوب وتفضيله إياه على أبناء جيله ، ومن خلفهم من القصاص وكتاب الروايات

فأنتونى ترولوب قبل كل شئ كاتب القرية « البسيطة » ، ولا سيما قرى الريف الإيرلندى حيث قضى « مونتى » أوائل صباه . وهو كذلك كاتب المعيشة الدينية الصادقة ، فقلما تخلو له قصة من ظل الـكنيسة ومعيشة لورعين الأتقياء من رجالها واللائذين بجوارها . ويغلب على قصصه كلها جو السلامة الفطرية مع شئ من البداهة ومسحة من الشظف والخشونة . وإذا مس الناحية السياسية فهو يمسها من جانب التعميم ، لا من جانب التحيز البغيض والعصبية المقوتة

ومن خصائصه التى يمتاز بها بين معاصريه حاسة الواجب أو الضمير الصراح ، وتشمل هذه الحاسة نساء رواياته ، كما تشمل الرجال البارزين فيها . فيوشك أن ينعقد كل زواج فى رواياته على الشعور بالواجب والوفاء دون المتعة والهوى ، وتقضى المرأة بقية العمر شقية بهذا الواجب فى مصارعة الغواية أو دوافع الفكر والمصلحة

وتقترن « حاسة الواجب » بالصرامة التى تلازمها فى أصحاب هذه الحاسة اليقظى ، وإن كانت صرامة يمازجها الذكاء والتصرف والطبع المستجيب

أما أسلوبه فى شرح وقائعه ووصف مناظره فهو أسلوب التفصيل الدقيق مع التشويق والإحاطة . وفيه ملكة يصح أن نسميها بالملـكة « الطبوغرافية » إذا أردنا أن نقرن بينها وبين الملـكة العسكرية

ويشع فى رواياته جميعاً بريق من التهـكم الطيب الرفيق الذى لا وخز فيه ولا ضغينة ، وكثيراً ما يرسل هذا التهـكم الخفى على خلائق من صنيع خياله الصادق وديدنهم الجد وصعوبة المراس والغلظة الريفية ، ولـكنه إذا تخيلهم فإنما يتخيل فى وصفهم ذلك التخيل « المضبوط » الذى لا يخرج بهم عن الواقع المحسوس

تلك جملة الحقائق التى عرف بها الـكاتب الدؤوب الموهوب ؛ وحسبك من صفاته الخلقية — إلى جانب صفاته الأدبية — أنه كان يدأب على التأليف وهو مقيد بأعمال وظيفته فى مصلحة البريد ، فلا يقصر فى التأليف ولا يقصر فى تلك الأعمال

* * *

وكلا الـكاتب والقارئ إذن عنوان صاحبه فى جملة هـذه الخلائق والطباع . فترولوب هو الـكاتب « المنتقى » لمونتغمرى ، ومونتغمرى هو القارئ المنتقى لترولوب

فالقائد الموهوب الدؤوب قد نشأ فى بيئة دينية مشهورة بالتقوى والبساطة ، وصحب الجنود والضباط فلم تغيره صحبتهم عن هذه الخليقة الموروثة معاً فى أبيه وأمه . تجاوز الخمسين وهو لا يدخن ولا يقرب الخمر ولا يحيد عن سنن الدين . وأخذ مرؤوسيه باجتناب الخمر والتدخين من طريق غير طريق الأمر والنهى اللذين لا يفيدان ، فكان يكلف جميع رجاله وضباطه بالعدو فى كل أسبوع شوطاً يبلغ سبعة أميال . ولا صبر للمدخن ولا لمعاقر الخمر على هذا الشوط ولو مرة فى كل أسبوع

وصرامته فى خلقه وحاسة الواجب عنده خصلتان من أشهر خصاله بين رؤسائه ومرؤوسيه ، فهو إذا جد لا يهزل وإذا عزم لا ينثنى . ومن أقواله لجنوده فى دنكرك : « إذا نفدت ذخيرتكم فمزقوا العدو إرباً إرباً بأيديكم » ولم يكن يعنى غير ما يقول

ومن مزايا مونتغمرى فى قيادته أنه عظيم العناية بالأرض ومواقعها قبل تطبيق خطط القتال عليها . ولعله لم ينس هذه العناية العظيمة فى إعجابه بكتابة ترولوب . فإن وصف ترولوب

لمواقع أرضه ووصفه لخلائق رجاله ونسائه كلاهما وفاق الرغبة من سليقة هذا الجندي الموهوب

فإذا قال القائلون : من كلامهم تعرفونهم ، فهم حريون أن يقولوا مثل هذا القول عن القراءة وعن الصلة الخلقية بين المؤلفين والقراء المطبوعين . وكل إنسان يعرف الجد خلقاً وعادة فهو قارىء مطبوع يقرأ بفؤاده وعقله ومزاجه ، لأنه يأنف أن يضيع الوقت في تسلية خاوية لا تنفذ منه إلى مكامن الفهم والشعور

ولهذا ينبغي فيما نرى أن تكون مطالعات العظماء باباً من الأبواب الأولى التي لا يغفلها المترجم ودارس الأخلاق ، لأنهم سواء قرأوا للجد أو للتسلية ينكشفون للمترجم ودارس الأخلاق فيما يقرأون

* * *

وهنالك حقائق شتى تنكشف من مطالعات العظماء ، ولا سيما في ميادين الحرب إبان القتال

فأول ما يخطر على البال حين يقال إن قائداً من قادة الحرب يقرأ في ميدان القتال أنه يقرأ في كتب التعبئة أو الفنون العسكرية أو سير القواد وأخبار الوقائع والغزوات

ويجوز أن يحدث هذا في الحين بعد الحين ، ولكنه إذا حدث فهو الاستثناء النادر ، وليس بالقاعدة العامة في أكثر الأحيان

لأن القائد لا يتعلم خططه ساعة القتال ، ولا يتمم دروسه وهو بين السيوف والنيران ، ولكنه يقرأ ما يقرأ في ساحة الحرب كلما فرغ من واجبه وخلا بنفسه وأحب الخروج هنيهة مما هو محيط به ومطبق عليه ، وهو في هذه الحالة يختار للقراءة غير ما هو مشغول به مستغرق فيه ، ليظفر بما يبتغيه من الترفيه والترويح ، ويحتسب القراءة من الرياضات النافعة التي تنسيه جهود العمل ومضنياته إلى حين

ومن قواد هذه الحرب الذين عرفوا بالقراءة في ساحات القتال أو في طريقهم إلى الغزو كل من القائدين ويڤل وإيزنهور

فكان ويڤل يقرأ في طريقه إلى الحبشة مسرحية من مسرحيات شيكسبير ، وكان يقضي أوقات فراغه بمطالعة الدواوين الشعرية لمختلف الشعراء ، ومن جملة هذه المطالعات جمع تلك النخبة الطريفة من الأشعار التي سماها : « أزهار أناس آخرين » وكتبنا عنها في الرسالة منذ أسابيع

أما إيزنهور فقراءته المحببة إليه روايات التحليل النفسي وحوادث المفاجآت التي تجرى في حياة الغرب من القارة الأمريكية ، وكلاهما مما يقع في الخاطر أنه محبب إليه وأثير لديه

* * *

وخليق بهذه الملاحظة أن تحضر أبداً في أخلاد أولئك الدعاة المتحذلقين الذين يصطنعون الغيرة على الطبقات الفقيرة أو الطبقات العاملة وهم من أجهل الناس بما يصلح لتلك الطبقات

فمن حذلقتهم في هذه الدعوة – أو هذه الدعوى – أنهم يفرضون على الفقير أن يعيش في عالم الخبز والضرورة ساعة العمل وساعة المطالعة وساعة الرياضة النفسية ، إن اعترفوا بشيء يسمى الرياضة النفسية

وذلك محض خطأ وضلال عجيب ؛ لأن المرء إنما يقرأ للثقافة أو للرياضة والتسرية عن البال ؛ وليس من التثقيف أن يتحول الكتاب إلى رغيف ، وليس من الرياضة أن يحلم المرء بالجهود والضرورات ، وهو لا ينشد الرياضة إلا لفرط اشتغاله بتلك الجهود والضرورات

وإنها مع هذا لمهانة وليست بالخطأ وكفى . لأن الذين يطلبون التسوية بين الطبقة الفقيرة وغيرها من الطبقات لا يجمل بهم أن يسجلوا على الطبقة الفقيرة عجزها عن مجاراة غيرها في مذاهب الفهم والتخيل والشعور المهذب والمطامح الآدمية ، ولا ينصفون عقول الفقراء حين يمثلونها في صورة المعدات والبطون التي لا تحلم ولا تفكر ولا تقضي العمل والفراغ إلا للطعام وبالطعام

ومن شأن الطبقات التي يصمها الأدعياء بتلك الوصمة أن تنصف سمعتها من أولئك الأدعياء

ولكن الإنسانية – كائناً ما كان رأي الأدعياء والطبقات في هذه الأمور – هي أكرم على نفسها من أن تعيش أبداً في « المطبخ الحاضر » الذي لا ماضي له ولا مستقبل له إلا بين القطن والبرسيم والقمح والشعير ، وإحصاء الموازين والمكاييل

عباس محمود العقاد

مسائل في وحدة الوجود

للأستاذ عبد المنعم خلاف

كتب كاتب فاضل من بغداد بتوقيع (صدقى حمدى) فى العدد ٥٧٩ من الرسالة كلمة يعقب بها ببعض المسائل على مقالى فى نقض مذهب وحدة الوجود المنشور بالعدد ٥٧٣ . قال : «والذى يلفت النظر لأول وهلة قول الأستاذ فى مستهل مقاله إنه اهتدى إلى دليل علمى قاطع يدحض هذا المذهب ويلقى ضوءاً جديداً أمام العقل البشرى الموغل فى بحث علاقة الله بالكون » . ومذهب الواحدية أو وحدة الوجود من أقدم المذاهب الفلسفية فى العالم وأشدها إثارة للجدل ، ويكفى لإدراك خطره فى تاريخ الفلسفة الحديثة أن نذكر الفيلسوف الكبير « سبينوزا » الذى يعد من أساطين هذا المذهب فى العصر الحديث ، ومن أعظم الداعين إليه بالقول والعمل » إلى أن قال : « فلا يصح إطلاق القول فيه بغير حجة أو برهان »

وإنى ما أنكرت أن يكون لهذا المذهب تاريخ طويل ومعتنقون كثيرون من الفلاسفة والصوفية القدماء والمحدثين ، وما أطلقت القول فى نقضه بغير حجة أو برهان . وإنما سقت ما اهتديت إليه واعتقدته دليلاً حديثاً كافياً فى دحض هذا المذهب ، وسواء علىّ بعد ذلك أكان محيي الدين بن عربى وسبينوزا وهيجل وغيرهم من معتنقيه أم من مخالفيه . فمن شاء فليأخذ هذا الدليل الذى سقته من حقائق الحياة العلمية الحاضرة ويستأنس به فى بحث العلاقة بين الله والكون ويرفض على ضوئه مذهب الوحدة ، ومن شاء فليتركه على شرط أن يأتى هو بدليل

ومن الواجب أن أذكر أننى كنت أثناء التفكير فى مقالاتى عن الإيمان بالإنسان يحوم فكرى كثيراً حول مذهب الوحدة ، ويكاد يقبل عليه تحت ضغط الإعجاب والتقدير للروح البشرى الخالق والجهد العلمى والعملى الأخير الذى سلك الإنسان فى عداد قوى الخلق والتكوين والإنشاء التى يدير الله بها الكون المادى فى الأرض ... فلم يكن من المستبعد فى الوهم حينئذ أن أنزلق بفكرى إلى الأخذ بهذا المذهب الذى يجعل الإنسان جزءاً من الخالق الأعظم ومظهراً للوجود الكلى قائماً به

ولكن هذا الدليل قضى فى نفسى على بوادر التفكير والتوجه إلى هذا المذهب الذى لا يكاد معتنقه يتماسك أمام نفسه وأمام الكون قلقاً وحيرة حين يخلط فى فكره شعوره بأنه جزء من الخالق ، وشعوره بأنه مخلوق عاجز ، وحين ييأس من أن يرى الله بنفسه مع أنه جزء منه ، وحين يظل فكره دائراً حائراً فى متاهات السموات والأرض يبحث عن « مصدره الأول » فلا يراه إلا فى المظاهر المادية التى كان يراها نفس الرؤية قبل اختلاطه وشعوره بازدواج الشخصية بين خالق ومخلوق وخالد وفان . حينئذ يبتدئ ينشد لنفسه ويبنى على هواها باعتبارها جزءاً من الله ، كالحلاج وابن عربى . وهنا ابتداء التجديف و « الجنون الدينى » والبيان الملتبس الذى تختل فيه مقاييس المنطق الإنسانى ، لأنه يصير خليطاً من منطق الخالق المتوهَّم والمخلوق الواهِم ...

ومذهب الحلول ومذهب الاتحاد أو الوحدة غالباً يكون اللجوء إليهما بعد الإعياء فى البحث عن الله وابتغاء رؤيته والاقتراب منه والأخذ عنه مباشرة ، وما ينبغى لأفكارنا المحدودة العاجزة الرهينة المسجونة فى أقفاص الأرض الضئيلة بالنسبة للكون أن تطالب هذا المطلب الأعلى الذى لا تدركه الأبصار والأفكار ولا يعلم قدره غيره . وقد قال محمد سيد الأصفياء : « إن الله احتجب عن الأنظار ، وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه »

ولعل لنا عودة إلى هذا الموضوع بتفصيل يتناول منشأ الأوهام التى دخلت فكرة البحث عن الله وأفسدتها

***

٢ — لم ير الأستاذ صدقى رأيى القائل : « وبدهى أن النظرة الأولى تهدى إلى أن الله غير الطبيعة ، وأن هناك انفصالاً بين الخالق والمخلوق »

ويلوح لى أنه التبس عليه فهم هذه الجملة ، فخلط بين بداهة هدى النظرة الأولى إلى أن الله غير الطبيعة الخ . وبين القضية فى ذاتها بعد التفكير العميق فيها . . . فالقضية فى ذاتها غير بديهية بعد التفكير العميق وإدارة الرأى والروية ، ولكن

النظرة الأولى الفطرية الساذجة ترى انفصال النفس عن الطبيعة وانفصال الله عنها . لأنها أول درجات الفكر فى الطبيعة ومصدرها . ثم بعد ذلك يبتدئ الفكر الفلسفى الذى يشك فى كل شيء ، ويطلب مبدأ كل شيء ، يحيل هذا البديهى إلى شيء معقد . فيطلب مصدر الطبيعة : فتارة يقول إنه لا مصدر لها ، وتارة يقول إن مصدرها ممتزج بها ، وتارة يقول إن مصدرها منفصل عنها . ولذلك أكرر القول بن النظرة الأولى تهدى إلى ذلك . ثم يأتى التأمل الذى لا يقنع بالظاهر الواضح فيطمس هذه النظرة ، ويوغل فيما وراء سطح الوجود . ويلتبس عليه كثير من البديهى فلا يرى بداهته ، بل يطلب له الأدلة والبراهين .

وحقاً يتحول كل بديهى إلى غير بديهى حين يوغل الفكر فيه ويتعمقه ، ألا ترى أن بعض المدارس الفلسفية تزعم أن حقائق الأشياء غير ثابتة ، وأن المحسوس لا يجوز اتخاذه أساساً ، وأن الموجودات كلها أوهام ، وأنه ليس فى الكون كله حقيقة ثابتة ؟ حتى لقد قال بعضهم « لو وجدت حقيقة ثابتة واحدة لاتخذتها أساساً أبنى عليه جميع الحقائق ! » ألم تسمع بالنظرية الجديدة التى تبطل السببية ، وتقول إن الكون يسير بالاحتمالات التى لا نهاية لها ! ألم تسمع بذلك السفسطائى اليونانى الذى أنكر وجود جدار أمامه وقال إنه وهم من الأوهام ، فلما تحداه مناظره أن يقوم ويخترقه إن كان زعمه صحيحاً قام وجرى إليه حتى اصطدم به فكانت النتيجة ارتطام جسمه وتمزق أوصاله !؟

إن الفكر البشرى كائن عجيب متمرد له قدرة هائلة على الذهاب فى أى اتجاه ، وخلق عوالم صناعية وخيالية لا وجود لها . وصخرة النجاة أمامه هى الاستمساك بالعيش على سطح الحياة وأخذ الحياة بدون تعمق وتعقيد لما تحت البديهى السطحى حتى يبقى لنا شيء ثابت نرتكز عليه . إنما يباح لنا فقط إدمان التعجب مما نرى وتقليب أفكارنا وأيدينا فيه بقدر ما نستطيع أن نسخره ونستغله ونتغلب عليه حتى لا تهددنا عوامل الشقاء والفناء

وقد ظل الناس خاضعين لفلسفة الفروض والتجريدات يدورون فيها دوراناً عقيماً حتى أتى دور الفلسفة التجريبية التى نادى بها (فرنسيس بيكون) ودور الفلسفة الإثباتية التى ثبت قواعدها (ديكارت) فكانت النتائج الباهرة فى العلوم والمعارف الطبيعية والنفسية التى فتحت على الناس بركات من السماء والأرض ، وما تزال تفتح . وقد أقبلت البشرية على هذا الاتجاه العلمى الإثباتى فعاشت به عيشة رحبة زادت ثقتها فى نفسها وحياتها ، وفتحت عليها كنوز الآمال السعيدة ، واستدبرت عالم الفروض الفلسفية والخيالات والشك فيما لا طائل وراء الشك فيه ، ولا قدرة على الاستغناء عنه ، واتخذت بدهيات الحس والفكر قواعد ارتكاز فثبتت أقدامها على الطريق إلى الله ... ووجدت وحدة منطقها وجهدها تتحقق فى هذا الطريق

٣ — استطلع الأستاذ رأيى فى هل يجوز أن نتخذ الطريقة الموضوعية فى بحث المسائل الدينية ؟

ورأيى أنه لا يجوز لنا أن نصطنع الطريقة (الذاتية) إلا فى (الفن) وحده . أما العلم والدين فلن يسمحا (للذاتية) أن تنطلق فى رحابهما

والموضوعية فى العلم أمرها واضح . أما موضوعية الدين فتحتاج إلى بيان :

إن مجال العلم هو البحث فى الكون المادى فيما يستطيع أن يصل إليه بأدواته المعروفة ليصل من وراء ذلك إلى (القوانين) التى تسير بها الطبيعة ليرضى كفاية (الإثبات) فى النفس البشرية . وليستطيع أن (يعتمد) على هذه القوانين كحقائق لا تتبدل ولا تتغير . وليرضى فى النفس كفاية (الاختيار والحرية) بين القوى المادية العمياء الجامدة المجبورة

والمجال الأصلى للدين هو نفس مجال العلم . هو الكون المادى أيضاً ، ولكن لا على الاعتبار السابق ؛ ولكن على اعتبار آخر هو استنتاج (صفات) صانع هذا الكون من الكون ؛ ليرضى فى النفس كفاية (الاعتقاد) وهذه هى الفكرة الأصيلة فى الدين . فكرة الاعتقاد بصانع لهذا الكون له من العلم والقدرة والإحاطة بكل دقيق وجليل فى الكون ما ظهرت آثاره وما وضح فى قوانينه من الدقة والإحكام وعدم التناقض

والذى لا شك فيه عند العقول الموزونة التى لم تنحرف ولم تشذ عن الفطرة أن الإحكام والدقة والجلال والجمال والتنويع والتفريع والاطراد وغيرها من صفات الكون توحى وتلزم

كل عقل غير مدخول أن وراء هذا الكون عقلاً أعظم منه يدبره ويقوم عليه . له من العلم والقدرة والحكمة والإحاطة والهيمنة والقهر وغيرها من صفات الكمال ما يليق بالقوامة والتدبير لهذا الكون الرحب الذى لا تدرك نهايته الأوهام البشرية . هـــذه هى الفكرة الأولى فى الدين . وهى فكرة لا شك (موضوعية) موضوعها الكون كله ليستنتج الناس منه صفات خالقه . وهى صفات لا تختلف باختلاف جمهرة العقول

إن الدين بهذا الوضع (نتيجة) حتمية للعلم وضرورة لازمة للأُلفة (العقلية) التى لا بد منها فى العقل العلمى . ولن يتأتى الكمال فى العقل العلمى إلا إذا جمعت فيه كفاية (الإثبات) وكفاية (الاعتقاد) ورجال الدين بهذا الوضع هم رجال العلم الطبيعى وحدهم لا غيرهم من صناع الفروض والأوهام المفتونين بزخرف الكلام يرسلونه فارغا إلا من نزعات شعرية وبدوات خيالية

ورجل العلم لا يبحث فى ذات الله وكنهها ، لأن الطريقة العلمية عوّدته أن يتدرج فى أبجدية الحقائق ، وهو للآن ولما بعد الآن بكثير من الآباد لم يفرغ من إدراك موجودات الطبيعة المحدودة فى الأرض الضئيلة ولم يدرك الروح الإنسانى ولا أصل الحياة البيولوجية بل لم يدرك المادة ، حتى إن « ملكن » أكبر علماء الكهرباء المعاصرين قال : « خبرونى ما هى المادة قبل أن تسألوا ما هى الروح ؟! »

ولذلك قلت ينبغى للمتأملين التجريديين ألا يسرفوا على أنفسهم وعلى الكون كله فيحاولوا إدراك ذات الله قبل أن يدركوا ذات أنفسهم وذوات الأشياء المادية الضئيلة التافهة

إن الإنسانية إن قدر لها أن تدرك شيئاً من ذلك فلن يكون هذا الإدراك إلا عن طريق العلم الذى فتحت أبوابه وأقبلت حقائقه المخبوءة التى سوف تكون المنطق الإنسانى الحديث الذى لا يقيم وزناً للتأمل الفلسفى أو الصوفى أو الشعرى الشارد الجامح!

* * *

٤ — خشى الأستاذ من أن يجرنا قياس اتصال الله بالكون على اتصال العقل الإنسانى بواسطة اللاسلكى بالآلات وإحاطته بها وإدراكه إياها إلى التورط فى التجسيم والتشبيه !

وهذا الدليل الذى سقته لا يستلزم شيئاً من هـذا . فليس اتصال الله بنا وبالكون بآلات ورواصد ، كما هو الحال فى اتصال الإنسان بالآلات والآفاق بواسطة اللاسلكى ، وإنما هو اتصال مباشر بالعلم المحيط والقدرة التى لا تحتاج إلى وسائط وأدوات ... واللاسلكى فى معرض هذا الاستدلال ليس إلا مثلاً مضروباً يوضح لتلك العقول التى لم تر لها طريقاً للتصور إلا الإيمان بوحدة الوجود وعدم الانفصال بين الله والطبيعة ؛ إذ أن خيالها ضاق عن تصور هذا الانفصال

وخلاصة هذا الدليل أننا إذا كنا نرى العقل البشرى العاجز يتصل بمخلوقاته من الآلات بعد أن كونها وأعطاها قوانينها ، ويتصرف فيها ويتحكم بها باللاسلكى وهو متحرر منها بعيد عنها غير ممتزج بها ؛ فما بالنا لا نرى العقل الأعظم الذى نعرف قدرته يستطيع أن يتصل بنا بعلمه وقدرته بدون حاجة إلى الاتحاد والامتزاج ؟!

وما ندرى ماذا يأتينا به العلم من وسائط الاتصال ؟ لعله يجعلنا نتصل بالأشياء ونؤثر فيها بدون حاجة إلى وسائط اللاسلكى وغير اللاسلكى . لعله يكشف فى النفس قوة قادرة على ذلك . وهذا لا شك كمال لنا ، وليس بمستحيل فرضه عقلاً ...

فقبيح بنا أن يضيق تفكيرنا حتى نخضع رب الكون لما نستطيع نحن العجزة الضعفاء أن نتحرر منه ونستغنى عنه .

إننا نحس فى أنفسنا قدرة على الخلق والتحرر وتنقيح الطبيعة ، فلماذا نجعل الله شبه سجين فيها لا يستطيع من قوانينها فكاكاً مع أنه واضع هذه القوانين ، إذ لا جائز أن تكون وضعت نفسها ؟!

إن أحلام الحرمان التى تطوف برءوس العجزة المحرومين لا يرضيها من القدرة والغنى إلا أن تأمر بالطعام ، فيكون الطعام وببساط الريح فيكون البساط ، وبحك (خاتم القدرة) فيحضر المارد القدير ، وبالنظرة فى (البللورة السحرية) فترى ما استتر واستكن فى طوايا السموات والأرض !

فإذا كان هذا هو ما فى خيال الناس عن قدرة القادرين من العجزة المخلوقين ، فكيف بما فى الخيال حين يتصل بالله الذى يمسك السموات ويحبس البحار ، ويدير ملايين الملايين من الكواكب فى أفلاكها بغير اختلال وصدام ، ويؤلف بين

٥ - أحمد رامي

« فى أغانيه »

للأستاذ دريني خشبة

منذ أن أخذ رامى فى نظم أغانيه للمطربة الآنسة أم كلثوم والثورة على أشدها فى عالم الغناء المصرى ، بل عالم الغناء العربى كله . لقد كانت أغانى رامى حرباً بين القديم والجديد . انتهت بفوز الوجهة الجديدة التى وجه رامى أذواقنا إليها ، وإن وجد كثيرون من عشاق المذهب القديم لا يزالون يحنون إليه ويؤثرونه على هذا التجديد الذى لا يروقهم

وأغانى رامى - من حيث اللغة نوعان ... نوع التزم فيه اللغة الفصحى ، واختار له الديباجة المشرقة الناعمة السهلة ، والألفاظ العذبة الموسيقية التى لا تتضمن لفظة واحدة يصعب فهمها على الشخص العادى ... ونوع التزم فيه العامية المصرية القاهرية الساحرة التى يفهمها العالم العربى كله ، ويستملحها لحسن الحظ

وأغانيه - من حيث الكيف ... أو من حيث الروح - نوعان كذلك : نوع نلمس فيه قلب رامى ، ونحس فيه داءه القديم ، وحزنه الممض المقيم ؛ ومعظمه مما نظم للآنسة أم كلثوم .. ونوع نلحظ فيه بيان رامى ، وفنه ، ومقدرته الكبيرة الثائرة على التلون والتظليل والتخطيط ، وإن لم نحس فيه نبضة واحدة من نبضات قلبه المحترق ، ولا طرفةً مفردة من طرفات جفنه المؤرق ، ومعظمه مما نظم لسائر المطربين غير الآنسة أم كلثوم ، وسبب ذلك واضح معلوم ، فقد كان صوت أم كلثوم اللهم الأكبر الذى أعاد إلى قلب رامى حياته الأولى :

حسبي من الشعر ومن نظمه ... صوتك يسرى فى مدى مسمعى
سلوى من الدنيا تعزّى بها ... قلب شديد الخفق فى أضلعى
سمعته فانساب فى خاطرى ... للشعر عين ثرّة المنبع [1]

* * *

وما ذروة الجدال التى امتد دَرْبها ... على حرّةٍ حَزن ووعر جبال
سوى روحنة الأشعار وشع سَرْحها ... أفانين أفكارى وزهر خيالى

(١) نعتذر عن التصرف فى ترتيب الأبيات

القوانين المتضادة فى الطبيعة حتى يخرج منها « هرمونى » وتناسقاً عجيباً !

إذن فلا تجسيم ولا تشبيه ولا مخابر ولا معامل كيمياء وفيزياء ولا نظارات ولا قارورات ولا اتصال بسيط أو غليظ كما يتوهم الأستاذ . وإنما هى إرادة عاقلة قادرة تقول للمعدوم « كن » فيكون !

لقد حكى القرآن الكريم أن إبراهيم عليه السلام سأل ربه : رب أرنى كيف تحيي الموتى ! قال أو لم تؤمن ؟ قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبى . قال فخذ أربعة من الطير فَصُرْهُنَّ إليك « اذبحهن » ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم ادْعُهُنَّ يأتينك سعياً » وقد فعل إبراهيم فأتته ساعية من غير أن يرى شيئاً يجمعها ويركب أعضاءها ويهندس وضعها !

لقد توهم إبراهيم أن هناك « كيفية » للإحياء ، وأن هناك أدوات ووسائل للخلق والتكوين ، ولذلك سأل ربه سؤاله . ولكن تبين له بعد أن دعا أشلاء الطير المذبوحة المطروحة فى كل أفق ، فإذا بها مقبلة حية أن إيجاد الله ليس إلا بتوجيه الإرادة إليها ، فإذا هى كائنة

٥ — أما الصوفية المادية التى ندعو إليها ويسألنا عنها الأستاذ ؛ فقد سبق لنا أحاديث فيها بين تضاعيف مقالاتنا السابقة ، وبخاصة المقال الرابع من مقالات « أومن بالإنسان » وقد نشر بالعدد ٣٩٦ من هذه المجلة ، ومقال « الحياة صادقة » الذى نشر بالعدد ٢٠٦ من الثقافة

ولعل لنا إليها عودة بتوضيح آخر . والله يهدينا إلى اليقين ويفتح لنا من رحمته !

والسلام على جيرة بغداد العزيزة !

عبد المنعم خلاف

إلى الأستاذ عبد الله زكريا الأنصارى — بالكويت

أشكر لك تحيتك وشكرك على ما تجده فى نفسك من صدى صادق لما أكتب . وأحمد الله إليك على ما وجدته فى مقالى الأخير عن (وحدة الوجود) من معان أزالت آثار التشكيك فى العقيدة الفطرية . وليس لى مؤلفات إلا تلك الأوراق المنثورة فى المجلات !

وأنت بهذا الروض بلبله الذى   يرجّع فى مغناه عذب مقالى
بعثتِ فنون الشرقىّ فصغتُها   وغنيتِها لحن الهوى فحلا لى!

ونستطيع أن نسمى النوع الأول « أغانى الطبع » والنوع الثانى « أغانى الصنعة » ونقول إن معظم ما نظم رامي لأم كلثوم هو من أغانى الطبع ، ولا نقول كله لأنه نظم لها كثيراً من « أغانى الصنعة » التى طلب إليه نظمها من أجل أشرطتها السينمائية . وعلى ذكر الأشرطة السينمائية نلاحظ أن رامياً قد عوض حرارة أغانيه فيها بفنه الرفيع ، وبيانه الرائع ، ومقدرته على التلوين والتظليل والتخطيط كما قدمنا ، ثم باستغراقه ، فى مناسبات بديعة ، فى تصوير الطبيعة المصرية الفاتنة الساكنة ، والتعبير عنها ذلك التعبير الهيّن اللّين الذى تنعكس فيه أروع لوحات تلك الطبيعة الممتازة المليئة بالمفاتن . وليس معنى هذا أنه قصر تصوير تلك اللوحات على غير أغانى أم كلثوم ، ولكن معناه أنه خص الكثرة الغالبة من أغانى غيرها بأروع تلك اللوحات ، وإن أودع بعض أغانيها شيئاً ثميناً قيّماً بالملاحظة من تلك اللوحات

من منا لم يردد فى نفسه ألف مرة « لحن كروان » الذى نظمه رامى لشريط « دموع الحب » ؟ والذى مطلعه :

يالّلى بتنادى أليفك   والفؤاد حيران عليه

ومن منا لم تأخذه مقدرة رامى الفنية فى تصوير الليالى المصرية المقمرة التى ينسكب فيها تغريد الكروان العاشق فيزيدها بهاء وروعة ؟!

كروان حيران   سابح فى نور القمر
والصوت رنّان   ملا الفضا وانحدر
والكون نعسان   حتى الطيور ع الشجر
...   .
هايم بنادى حبيبه   من غير ما يعرف فين
وان كان ح يسمع نحيبه   نحتار تشوفه العين

وتتجلى فى هذا اللحن الخالد مقدرة رامى فى الانتقال من تصوير الطبيعة إلى بث الهوى وشكوى الهيام

أو هذا اللحن الذى مطلعه :

ما أحلى الحبيب بين الميّه   وبين الأغصان

والذى يقول فيه :

آدى النسيم يشكى غرامه   والغصن يسمع منه يميل
والطير يغنى وكلامه   يخلى دمع الزهر يسيل
أسمع لُحَنى الطير الشادى لما يغنى
اسمع حفيف الغصون   تبكى بدمع الغمام
لما شجاها النسيم   باحت بسر الغرام
والموج فى حضن الموج نايم   على شط النيل
إن نبهه الطير الهايم   يشبع تقبيل
كل الوجود حب وشجن   فى السر يشكى والعلَن
تعالى واسى فؤادى   أسقيك من كاس حنانى
واسمّعك لحن حبى   ونطير فى جو الأمانى !!

فهل رأيت هذا التمهيد الطويل من وصف الطبيعة المصرية لينتهي اللحن بهذا الرجاء الجميل فى البيتين الأخيرين

واسمعك لحن حبى   ونطير فى جو الأمانى ؟!

ثم ذاك اللحن البديع الذى يصف الشاطىء المصرى فى جنة المصيف :

يا ما أرق النسيم   لما يداعب خيالى
خلانى وحدى أهيم   واسبح فى وادى آمالى
الجو رايق وصافى   والبحر موجه يوافى
طال به الحنين للبر   والبر عنه بعيد
فِضِل يهيم فى البحر   والشوق فى قلبه يزيد
ولما جا الشط الهادى   رنّح جنبه
ووشوش الرمل النادى   وشكى غلبه
والشمس عند الأصيل   راخيه شعور الذهب
تسبى العيون
والغيم بلونه الجميل   خلانى وحدى أهيم
واسبح ف وادى الأمانى

وهكذا نجد أن اللحن كله أغنية عذبة تغمغم بها مصر المفتان على شاطىء البحر الأبيض . وإذا صح أن من كلام الشاعر كلمات تدل على شاعريته ، فكل كلمة من كلمات تلك الأغنية طابع قوى تشهد لرامى بالشاعرية الفريدة الفذة ... وحسبك أن تتخيل ذلك الموج الهائم فى البحر ، حتى إذا وصل إلى الشاطىء :
رنّح جنبه ... ووشوش الرمل النادى !

ومن الصور القليلة البارعة التي ضمّنها رامى إحدى أغانيه لأم كلثوم ، صورة الليل المصرى القمر فى أغنية « أبات أناجى خيالك » ... كما نسمع الطبيعة المصرية بحقولها وأشجارها

وأطيارها وأنهارها تناديها أعذب النداء، وأرقه فى أغنيات: يا ما نديت . . . و . . . فاكر . . . . و . . . بكره السفر، وفرحة القلب، وليالى القمر، ووداع، . . . ولكنها صور عارضة لا تستغرق الأغاني كلها، كما نلاحظ فى الأغانى التى نظمت لغير أم كلثوم

ومن الصور الجيدة فى أغانى رامى تلك التى يبرز لنا فيها القلب الإنسانى فى شتى انفعالاته الغرامية، وفى مواساته هو له، كأنه صديقه الأول ... من ذلك تلك الصور الرائعة فى أغنيات: يا طول عذابى، ومالك يا قلبى، وإن كنت أسامح، وسكت ليه يا لسانى ... ثم فى أغنية، عنيه فيها الدموع:

عنيّه فيها الدموع والجو ساكن وصافى
والقلب بين الضلوع حيران على خل وافى
طاير يهفهف جناحه عدم فى عشه الأمان
لا حد وامى جراحه ولا سقاه الحنان
لو كان مهنّى لبات يغنّى
لكن حزين شدوه أنين
ينوح على الأغصان وحده ويشتكى لليل وجده
... الخ ...

وأغانى رامى . . . مثل شعره . . . مليئة بالمعانى البكر التى لا نعرف أن أحداً سبقه إليها، وهو مع ذلك يؤديها فى عذوبة ورقة متناهيتين . . . من ذلك قوله فى أبدع أغانيه «ميعاد»:

... ... حرمت عينى الليل م النوم لاجل النهار ما يطمنّى
صعب علىّ أنام أحسن أشوف فى المنام
غير اللى يتمناه قلبى
سهرت أستناه واسمع كلامى معاه
وأشوف خياله قاعد جنبي
من كتر شوقى سبقت عمرى ! !
وشفت بكره والوقت بدرى ! ![1]
وإيه يفيد الزمن مع اللى عايش فى الخيال ... الخ

والأغنية كلها - على طولها - معان جديدة مبتكرة، وإن لف الشعراء حولها أحياناً وداروا ...

وأعجب العجب فى أغانى رامى أن بينها وبين ملحنيها من فنانينا الأماثل وشائج تشبه وشائج القربى الروحية. إنهم جميعاً يفرحون بتلحينها لأن الشاعر الرقيق يفسح لهم فيها، ويلونها لهم تلويناً يغازل عبقريتهم الموسيقية، وينتقل بهم فى كل منها من الضرب العروضى الكامل، إلى المشطور البديع المتألق، ومن بحر إلى بحر، ومن أوزان يخترعها اختراعا

وأعجب من هذا كله ذلك التجاوب التام المنتظم بين روح رامي وشعره، وبين الذين يتغنونه من كبار مطربينا. فلقد يخيل للانسان أن مؤلف شعر رامى وأغانيه ليس رامى وحده، بل هم أولئك المطربون والمطربات والموسيقيون والملحنون جميعاً. إنه مجد كامل يحار الإنسان فى تعيين بانيه، ولكن الذى لا شك فيه أن رامياً هو واضع حجر الأساس فى ذلك البنيان المنيف الذى يتألف منه الغناء المصرى الحديث.

دريني خشبة

(١) اعتمدنا فى اقتباس الأغانى على المجموعة التى أصدرتها مكتبة النهضة سنة ١٩٤٢، وقد لاحظنا أن بعض المطربين كانوا يهملون فقرات من بعض الأغانى لا يغنونها .. وقاتل الله الجهل

على هامش النقد

المعـــانى والظلال

للأستاذ سيد قطب

هناك فارق حاسم بين لغة العلم ولغة الفن ، نستطيع إجماله ، فى أن العلم يعنيه ما فى السطور ، وأن الفن يعنيه ما بين السطور ، وبتعبير آخر إن العلم يعنيه معنى التعبير ، والفن يعنيه الظل الذى يلقيه التعبير . ولا يفهم أحد من هذا ما كان مفهوماً عندنا قبل ثلاثين أو أربعين سنة من أن الفن هو تلك الألاعيب اللفظية ، والبرقشات التعبيرية ، فبين هذا وبين ما نريده فرق بعيد

إن ما نقوله لا يتنافى مع صدق الإحساس ، وصدق التعبير عن الحياة ، وهما مفرق الطريق بين ما كان يعنيه الأدب قبل هذا الجيل ، وما يعنيه الآن . وبعد تحقق هذه المرحلة نبحث عما فى السطور وعما بين السطور أو عن المعاني والظلال فى التعبير عن الأحاسيس الصادقة التى هى الخطوة الأولى فى كل أدب صحيح

وحين نأمن اللبس من هذه الناحية نتحدث - فى حرية - عن أشكال التعبير وعن طرق الأداء التى نفضلها على أشكال وطرق أخرى

لقد أخذنا على الأدب العربى فى جملته أن «المعانى» تعنيه ، أكثر مما تعنيه «الحالات النفسية» وأن التعبير فيه يعنى بهذه المعانى الكلية - الحسية أو الذهنية - قبل أن يعنى «بالإنسان» من وراء هذه المعانى والإحساسات

وعذر العرب فى هذا واضح . لقد كانوا أمة حس ، لا تختزن فى نفوسها رصيداً من الأحاسيس والوجدانات إنما تنفقه للحظة فى الحركة والعمل ، فضلاً على أن طبيعة بلادهم لا تهيئ لهم هذا الرصيد

فما عذرنا نحن - فى مصر خاصة - وبيئتها أبعد ما تكون عن بيئة الصحراء فى ألا ننتفع بالبيئة المواتية والطبيعة العريقة ، فى إبداع فن يأخذ من اللغة العربية ألفاظها وعباراتها ، ويغير فى طريقة الإحساس وطريقة التعبير ، فنكون بهذا أمناء لأنفسنا ، أمناء لطبيعة بلادنا ، أمناء للفن الرفيع فى جوهره ومظهره

لقد تحدثت فى المقالات الثلاث الماضية بمناسبة كتاب «عرائس وشياطين» عما نعنيه بالجانب الإنسانى وعما نعنيه بالحالات النفسية ، فاليوم أتحدث عن طريقة الأداء التى نؤثرها ، ونبين المزايا الفنية لهذه الطريقة

* * *

التعبير الذى يلقى المعنى مجرداً يخاطب الذهن وحده ، والتعبير الذى يرسم المعنى صورة أو ظلاً يخاطب الحس والوجدان ، ويطبع فى النفس صورة من صنع الخيال . وطبيعى أن الطريقة الثانية أقرب إلى طبيعة الفنون ، وأن الطريقة الأولى أقرب إلى طبيعة العلوم . والنموذج يوضح هذه القضية أكثر مما يوضحها أى بيان ، فالنقد الفنى موكل بالمثال أكثر من الإجمال :

لقد اختار القرآن الكريم طريقة التصوير والتخييل ، وجعلها قاعدة فيه للتعبير . ومن العجيب أن يكون القرآن هو كتاب العرب الأول ، ثم لا يستفيد الأدب العربى من طريقته الأساسية شيئاً بعد نزوله ، وتيسيره للذكر فى أيديهم . إلا فلتات فى ديوان كل شاعر ، هى امتداد للتصوير فى الأدب الجاهلى وعلى طريقته ، لا على طريقة القرآن الرفيعة

ولعل مرد ذلك إلى أن الحاسة الفنية عند أولئك الشعراء كانت أقل من أن تتطلع إلى هذا الأفق الرفيع فى ذلك الأوان . فلعلنا أن نكون اليوم أحق بهذا التطلع من جميع من مضوا من شعراء العربية خلال أربعة عشر قرناً

إن تفرد القرآن بطريقته التصويرية فى هذا المستوى بين الشعر الجاهلى قبله والشعر العربى بعده يمكن أن يتخذ دليلاً فنياً على تفرد مصدر هذا القرآن ، لولا أننا هنا فى مقام البحث الفنى ، لا البحث الدينى

والآن نعود إلى نماذج القرآن التصويرية فى التعبير ، لبيان فضل هذه الطريقة من الناحية الفنية :

١ — معنى النفور الشديد من الدعوة إلى الهدى ، يمكن أن يؤدى فى صورته التجريدية الذهنية على نحو كهذا : إنهم لينفرون أشد النفرة من الدعوة إلى الإيمان . فيتملى الذهن وحده معنى النفور فى برود وسكون

ولكن التعبير القرآنى يؤديه فى هذه الصورة الحية المتحركة : « فما لهم عن التذكرة معرضين ؛ كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة » فتشترك مع الذهن حاسة النظر وملكة الخيال ، ويثور فى النفس شعور السخرية وشعور الجمال ؛ السخرية من هؤلاء القوم النافرين كالحمر ، الوحشية المذعورة من الأسد ، والجمال الذى فى الصورة المتحركة الطليقة

فللتعبير هنا ظلال حوله تزيد فى مساحته النفسية ، إذا صح هذا التعبير !

٢ — ومعنى عجز الآلهة التى كان العرب يعبدونها من دون الله ، يمكن أن يؤدى فى عدة تعبيرات ذهنية مجردة كأن يقال : إن ما تعبدون من دون الله لأعجز من خلق أحقر الأشياء . فيصل المعنى إلى الذهن مجرداً باهتاً

ولكن التعبير القرآنى يؤديه فى هذه الصورة :

(إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ؛ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ . ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)

فيحيا هذا المعنى الساكن ، ويتحرك فى تلك الصور المتحركة المتعاقبة

أرأيت إلى تصوير الضعف المزرى ، وإلى التدرج فى تصويره بما يثير فى النفس السخرية اللاذعة والاحتقار المهين :

« لن يخلقوا ذباباً » وهذه درجة « ولو اجتمعوا له » وهذه أخرى « وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه » وهذه أنكى

ولكن أهذه مبالغة ؟ وهل البلاغة فيها هى الغلو ؟

كلا ! فهذه حقيقة واقعة بسيطة . فهؤلاء الآلهة « لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له » والذباب صغير حقير ، ولكن الإعجاز فى خلقه هو الإعجاز فى خلق الجمل والفيل . لأنها معجزة خلق الحياة ، يستوى فيها الجسيم والضئيل ، وليست المعجزة فى صميمها هى خلق الهائل من الأحياء ، وإنما هى خلق الذرة الحية المفردة

ولكن البراعة هنا هي فى عرض هذه الحقيقة بصورة ترسم العجز عن بلوغ مسألة هينة فى ظاهرها ، والجمال هنا هو فى تلك الظلال التى تلقيها خطوات الصورة من خلال التعبير

٣ — والتعبير الذهنى المجرد عن هول يوم القيامة يمكن أن يكون نصوصاً كثيرة ، كأن يقال « إنه لهول مفزع مروع مذهل ... » فلا ترتسم فى النفس صورته كما رسمها التعبير القرآنى المصور :

(إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ؛ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ)

وليس النسق القرآنى وحده فى النظم هو الذى يرتفع بهذا التعبير إلى مستواه الذى تستشعره النفس عند تلاوته . إنما هى هذه الطريقة التصويرية كذلك ، حيث يزدحم الخيال بصور كل مرضعة ذاهلة عما أرضعت ، شاخصة تنظر ولا ترى ، وتتحرك ولا تعى ، وصور الناس سكارى وما هم بسكارى ، فى عيونهم ذهول السكر ، وفى خطواتهم ترنحه

إن هذا الحشد من الصور الذاهلة هو العمل الفنى الضخم فى هذا التعبير

وليست هذه الصور فلتات فى القرآن إنما تلك طريقة متبعة وخصيصة شاملة ، وفى هذا يتفرد القرآن وحده . فالتصوير قد يقع فلتات فى الشعر العربى ، تكثر فى الشعر الجاهلى وتقل فى الشعر الإسلامى . ولا يعد قاعدة فى هذا الأدب كله . ثم تبقى بعد ذلك درجات السمو فى هذا التصوير . ولها مجال غير هذا المجال

* * *

طريقة التصوير والتظليل التى نوجه إليها الأنظار ، هى الطريقة

التى وردت فيها فرائد الشعر العربى التى تهيأت للشعراء على ممر الأجيال

فأجود ما وقع لامرىء القيس هو من الشعر التصويرى مثل :

وليل كموج البحر أرخى سدوله علىّ بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت : له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فتشخيص الليل هنا ومنحه الحياة ، ورسم هذه الصورة المتحركة له ، هى موضع الجمال فى هذه الأبيات لا مجرد معنى أن الليل قد طال وأنه سئم هذا الطول

وكذلك بيته الآخر فى وصف حصانه :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مقبل مدبر معاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل

وما فيه من تشخيص الصورة والحركة ، لا مجرد معنى أنه يكر ويفر ويقبل ويدبر فى لحظة واحدة . وأجود ما وقع لزهير أبياته التصويرية كذلك مثل :

إذا ما غَدَوْنا نبتغى الصيدَ مرةً
متى نَرَهُ فإننا لا نُخاتِلُهْ
فبينا نُبَغِّى الصَّيْدَ جاء غُلامُنا
يَدِبُّ ويُخْفى شَخْصَهُ ويُضائِلُهْ

فى صورة هذا الغلام الشاخصة هنا وفى حركته المرسومة كأنما على الشاشة جمال فنى لا شك فيه

وأجود ما وقع لسويد بن كاهل اليشكرى أبياته التى يصور فيها حاسده صوراً شاخصة فيها الملامح الحسية والانفعالات النفسية . وجميعها صور وظلال لا معان مجردة :

رُبَّ من أنضجتُ غيظاً قلبَهُ
قد تمنّى لى موتاً لم يُطَعْ
ويرانى كالشجا فى حلقه عَسِراً مَخْرَجُهُ ما يُنتزع
مُزبِدٌ يَخطُرُ ما لم يَرَنى فإذا أسمعته صوتى انقمع
لم يضرنى غير أن يحسدنى فهو يَزْقو مثلما يزقو الضوع[1]

فتم الصور المزرية التى يرسمها له بعد أن تترك فى النفس ظلالاً واضحة ، وفى الحس صوراً شاخصة ، فيها كل جمالها الفنى الذى يتيحه التصوير والتخييل[2]

ويكثر التصوير فى الشعر الجاهلى ، ويقل فى الشعر الإسلامى ، على عكس ما كان منتظراً بعد وجود القرآن بين أيديهم ، وتعبيره كله قائم على الطريقة التصويرية ، ولكن قاتل الله « المعانى » ، لقد أصبحت كل هم الشعراء وغلبت طريقة العلم على طريقة الفن ، فتقهقر الأدب العربى من هذه الناحية ، بجانب خطواته التى تقدمها فى نواح أخرى

فإذا نحن تجاوزنا ابن الرومى ـ وهو فريد فى تاريخ الأدب ، العربى كله ـ لم نعثر إلا على فلتات فى ديوان كل شاعر ، قام فيها التعبير بمهمة التصوير . فلتات قد تكون مائة وقد تكون ألفاً ، ولكنها تبدو ضئيلة جداً بين ملايين الأبيات من الشعر العربى على ممر الأجيال

وإن أجود ما وقع للشعراء هنا كذلك ، لهى الأبيات التى عبر عنها بطريقة التصوير والتخييل . مثل بيت مسلم بن الوليد الذى نقلناه فى كلمة ماضية :

تمشى الرياح به حسرى مولهة حيرى تلوذ بأكناف الجلاميد

وما فيه من تشخيص وخلع الحياة على الرياح

ومثل بيتى كثير :

وإنى وتهيامى بعزة بعد ما تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجى ظل الغمامة ، كلما تهيأ منها للمقيل اضمحلت

وما فيها من حركة متخيلة : حركة حسية تقابلها حركة نفسية فى تساوق واتفاق . ومثل بيتى المتنبى :

وقفت وما فى الموت شك لواقف
كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

---

(١) الضوع : ذكر الضفدع !

(٢) فى الجزء الأول من حديث الأربعاء للدكتور طه حسين بك بحث كامل عن هذا التصوير .

التحامق فى العصر العباسى

للأستاذ صلاح الدين المنجد

فى العصر العباسى ظاهرة غريبة تلذ الباحث بطرافتها وإطافتها، هى التحامق وإظهار البلاهة تارة والغفلة مرة

وقد تدهش بادئ ذى بداءة وتعجب ؛ فإذا انثنيتَ على نفسك مفكراً متأملاً معتبراً ، أو مقايساً باحثاً ، علمتَ أن فى هذا التحامق من الصواب ما ينبئ عن حدة ذهن ، ودقة فهم ، وجودة حدس

فلقد وجد الناس فى ذلك ضروباً من الفائدة ، فكانوا يلجأون إليه كلما ضاق عليهم الأمر ، وعسرت أمامهم المسالك ؛ فينالون ما يشتهون ، ويحظون بما يحبون . وما كانوا ليتحامقوا بعد علمهم أن أولئك الناس العوام أشدُّ منهم حمقاً ، وأقل فطنة ، وأكثر غباوة . وما لهم لا يتحامقون فى عصر قال العتابىُّ الشاعر عن ناسه إنهم بقر لا يفقهون

فقد ذكروا عن عثمان الوراق أنه رأى العتابى الشاعر يأكل الخبز على الطريق بباب الشام (فى بغداد) ، فقال له : ويحك ، أما تستحي ؟ قال : أرأيت لو كنا فى دار بقر كنتَ تستحى وتحتشم أن تأكل وهى تراك ؟ قال الوراق : لا . قال فاصبر حتى أعلمكَ أنهم بقر . فقام العتابى ، فوعظ وقصَّ ودعا؛ حتى كَثُرَ الزحام عليه ، ثم قال لهم : « روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار ! » فما بقى أحد إلا أخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة أنفه ويقدّره يبلغُها أم لا ... فلما تفرّقوا التفت العتابى إلى صاحبه وقال : « ألم أخبرك أنهم بقر ... ؟! »

وكان أناس يرون فى الحمق الرَّوْح والراحة ، وطيب العيش فسعوا إليه ، وتحدث الشعراء بذلك ، فقال أحدهم :

الروح والراحة فى الحمق
وفى زوالِ العقلِ والخُرْقِ
فمن أراد العيش فى راحةٍ
فليلزمِ الجهـلَ مع الحمقِ

وما ذلك إلا لأن العقل كان عدو الإنسان فى ذلك الزمان . يقول الشاعر القُمّى :

تحامق ، تطبْ عيشاً ولا تكُ عاقلاً
فعقلُ الفتى فى ذا الزمان عدوُّه

ولأن من يتحامق يربح ويستريح . فقد سُئل مرة زيد بن سعيد العبدى عن تحامقه ، فقال : « جدَدت فشقيتُ ، ثم تحامقتُ فأرحتُ واسترحت »

وفيهما مشهد استعراض متحرك . يضاعف جمال المعنى الذهنى المجرد ومثل بيتى المعرى الفريدين :

رُبَّ قبر قد صار قبراً مراراً ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين فى طويل الأزمان والآباد

وما فيهما من سخرية مصورة شاخصة ، تتسق مع السخرية النفسية ، وتوضح رموزها وتجسمها

* * *

ونكتفى بهذه النماذج لتصوير ما نريده من الجمال الفنى فى الصور والظلال حين يرسمها التعبير . ثم ننبه هنا إلى لبس قد يؤدى إليه سياق المقال :

نحن لا نعنى أن طريقة التصوير وحدها تؤدى إلى أن يأتى كل من يتبعها بقرآن أو ما يشبه القرآن ، ولا أن يبلغ هذا المدى الذى بلغه مسلم والمتنبى والمعرى وكثيّر وغيرهم . فليست طريقة من طرق الأداء عصا سحرية تبلغ بمفردها مدى الإعجاز والعبقرية !

إنما نعنى أن هذه الطريقة أنسب للتعبير الفنى من الطريقة التجريدية ، وأن الشاعر الواحد يبلغ بها فى إنتاجه ما لا يبلغه من الجمال الفنى لو اتبع الطريقة الذهنية . ثم يبقى بعد ذلك مجال التفاضل فى الإحساس لم نمسه ، ولم نحاول البحث فيه . فتلك هبة توهب ، أما الطريقة فهى خطة بلفت إليها النظر ، وإن كان لها من الهبة اللَّدُنّية نصيب

سيد قطب

وكان أناس آخرون يتحامقون لينالوا الغنى . قالوا إنه كان في بغداد رجل عاقل ، أديب فَهِمٌ ، شاعر ، يقال له عامر . وكان مع أدبه محروماً مجازفاً . فلما ضاق صدره ، أظهر التحامق والتجانن ، فتفقده صاحب له ، وجعل يطلبه حتى ظفر به في بعض القرى ، وحوله الصبيان ، يضحك ويضحكون . فقال له : يا عامر ، منذ كم صرت بهذه الحال ؟ فقال :

جَنَّنْتُ نفسي لكي أنال الغنى
فالعقلُ في ذا الزمان حِرمان

وقد يدرك المتحامقُ الملوكَ بتحامقه فتحسن حاله ، ويزيد ماله . قالوا إن علياً القصريَّ كان ممن يجيد الشعر ؛ وكان محروماً لا يُؤبه له . فتحامقَ وأخذ في الهزل ، فحَسُنت حاله ، وراج أمره ، حتى أن الملوك والأشراف أولعوا به ، فأفاد من هزله وحمقه المال الوافر ، والنشبَ الكثير . وذلك لأنه :

إن كنتَ تهوى أن تنال المالا
فالبس من الحمقِ غداً سربالاً

فيسهل ما عسر ، وتوسر وتغنى ، وتقوم بقوت عيالك وأهلك

عذلوني على الحماقة جهــلاً وهي من عقلهم ألذُّ وأحلى
ولقد قلتُ حين أغروا بلومي أيها اللائمون في الحمق مهلا
حمق قائمٌ بقوت عيــالي ويموتون إن تعاقلت هزلا

وقد يتحامقون لينجوا من آفة أو بلاء . أُدخِلَ عُبادةُ المخنث على الواثق ، والناس يُضربونَ ويُقتلون في الامتحان . (قال) : فقلتُ والله لئن امتحنني قتلني ؛ فبدأته ، فقلت : أعظم الله أجرك أيها الخليفة . قال فيمن ؟ قلتُ في القرآن ! قال : ويحك ، والقرآن يموت ؟ قلت : نعم ، كل مخلوق يموت . فإذا مات القرآن في شعبان فبأيش يصلِّي الناس في رمضان ؟ قال : أخرجوه فإنه مجنون !

وكثيراً ما كان العلماء يتحامقون أو يتجانّون إذا دُعوا إلى القضاء . وكانوا يرون فيه مهلكة لا ينجو منها إلا من رحم الله . ويخافون أن يزلّوا فيعاقبوا . دعا المنصور أبا حنيفة وسفياناً الثوري ، ومسعراً ، وشريكاً ، ليوليهم القضاء . قال أبو حنيفة : أنا أتحامق فيكم ، فأُقال وأتخلص . وأما مسعر فيتجان ويتملص ، وأما سفيان فيهرب . وأما شريك فيقع . فدخلوا على المنصور ، فتحامق أبو حنيفة ، وتجانن الثوري ومسعر ، فنجوا

ومثل هذا فعل عبد الله بن وهب لما دعاه الخليفة ليتولى قضاء مصر ، فقد جنّن نفسه ، فلزم بيته

وقد حفلت كتب الأدب بنوادر رائعة ، غير ما ذكرنا ، عن التحامق والتجانن في هذا الباب . فمن أظرف ما يروى في ذلك أن رجلاً آلى بيمين أن لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لِما قاسى من بلاء النساء . فاستشار تسعة وتسعين نفساً وبقي واحد . فخرجَ على أن يسأل أول من نظر إليه . فرأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عَظم ، وسوّد وجهه ، وركب قصبته . فسلَّم عليه الرجل ، وقال له : مسألة . فقال المجنون : سل ما يعنيك ، وإياك وما لا يعنيك . قال الرجل : فقلت مجنون والله ، ثم حدثته أني أصبتُ من النساء بلاء ، وآليت أن لا أتزوج حتى أستشير مائة نفس ، وأنت تمام المائة . فقال اعلم أن النساء ثلاث . واحدة لك ، وواحدة عليك ، وواحدة لا لك ولا عليك . فأما التي لك ، فشابة طرية لم تمس الرجال ؛ فهي إن رأت خيراً حمدت ، وإن رأت شراً قالت : كل الرجال على مثل هذا . وأما التي عليك ، فامرأة ذات ولد من غيرك ، فهي تسلخ الزوج لتجمع لولدها . وأما التي لا لك ولا عليك ، فامرأة قد تزوجت قبلك ، فإن رأت خيراً قالت هكذا يجب ، وإن رأت شراً ، حنت إلى زوجها الأول . فأعجبني كلامه ، وملأ نفسي ، فسألته ما الذي غير من أمره : قال . رشحت للقضاء ، فاخترت ما ترى على القضاء

***

فهذي طرف تضحك باديَ ذي بدء ، فإذا تأملها الإنسان وجد في عمل أصحابها العقل الحسن ؛ والتدبير الحازم ، والرأي السديد

(دمشق) صلاح الدين المنجد

الحب عند المتنبي (*)

للأستاذ حسن الأمين

هل أحب المتنبي وهل أحس بلواعج الوجد وتباريح الغرام؟ هل استطاعت امرأة أن تخلب لبه وتفتن قلبه، فيشيد بها ويتغنى بجمالها ومحاسنها؟

إذا أردنا أن نتخذ شعر المتنبي دليلاً على ترجيح السلب أو الإيجاب، وإذا أردنا أن نرجع إلى ديوانه لنـدلى بالجواب؛ فإننا نستطيع أن نقول بدون تردد إن المتنبي لم يعرف الحب ولم يعانه، فالذي يقول:

وما العشق إلا غرة وطماعة ... يعرض قلب نفسه فيصاب

وغير فؤادى للغوانى رمية ... وغير بنانى للزجاج ركاب

إن الذي يقول هذا القول لا يمكن أن يكون من أهل الحب بل هو من الهازئين بالحب وأهله الشنعين عليهم الرامين لهم بالضعف، فالحب عنده غرة وطماعة، وليس من رأيه أن القلب يرمى من حيث لا يحتسب، بل من رأيه أن القلب هو الذي يعرض نفسه لهـذه الغرة والطماعة فيصاب، ولو شاء هـذا القلب ألا يصاب لما أصيب وهذا قلبه فإنه لم يشأ أن يصاب فلم يصب. ولم يسكت المتنبي عند هذا القول، بل ردده في مواضع شتى فقال:

ممـــا أضر بأهل العشق أنهم ... هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا

تفنى عيونهم دمعاً وأنفسهم ... في إثر كل قبيح وجهه حسن

فالذي يراه المحبون حسناً فتفنى عيونهم به وتذوب نفوسهم ليس إلا الوجوه فقط، وأما النفوس فإنها قبيحة لا خير فيها، ولو أنهم اطلعوا على ما وراء هذا الحسن الخادع لما أضر بهم عشقهم، ولـكنهم أحبوا وعشقوا، دون أن يمعنوا في التأمل بحقائق الدنيا، فلم يعرفوا دخائل من أحبوا، ولم يفطنوا إلى ما ينطوى عليه من غدر ومخاتلة وخداع. وهذا الرأى القاتم متأت ولا شك عن نظرة المتنبي للناس عامة ذكوراً وإناثاً، فلا تحسب المرأة أن المتنبي من أعدائها وحدها، فهو ناقم على الكون ناقم على البشر جميعاً، لأنه يرى نفسه مهتضما مغيظاً لا يبل له أوام ولا يجاب نداء، وهذا الرأى هو صدى لرأيه القائل:

ومن عرف الأيام معرفتى بها ... وبالناس روى رمحه غير راحم

وبعد أن يعلن المتنبي رأيه بالعشق وأهل العشق يلتفت إلى الغانيات المغريات، فيجبههن بأعنف القول وأمر الكلام ويخاطبهن بقسوة وتهكم صارخاً بهن:

تحملوا حملتكم كل ناجـية ... فـكل بين على اليوم مؤتمن

فلا التهـديد بالرحيل ولا الوعيد بالهجر، استطاع أن يلين قلبه ويميل به إلى الهوى، بل أعلن بأن البين لن يضيره، وأن النأى لن يزعجه. ولماذا يهتم ببعدهن ويشغل نفسه بهن، ولماذا يحزن لفراقهن ويأسى على رحيلهن ما دامت مهجته وحدها هى التى ستتحمل عبء ذلك كله، وما دام لن يجد لهذه المهجة إذا ذابت شوقاً وتلاشت حنيناً — لن يجد عوضاً عنها في الظعائن وثمناً لها في الهوادج!

ما في هوادجكم عن مهجتى عوض ... إن مت شوقاً ولا فيها لهـــا ثمن

وإن الذي يقول:

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق ... محتقـــر في همتى كشعرة في مفرق

والذي يقول عن نفسه وعن الناس:

ودهر ناسه ناس صغـــار ... وإن كانت لهم جثث ضخام

وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولـكن معدن الذهب الرغام

إن الذي يقول هذا القول لا يكون غريباً عليه أن يرى مهجته أسمى من أن يذيبها شوق لمخلوق، ونفسه أعظم من أن يقتلها حب لإنسان

وإذا كنا قلنا آنفاً إن المتنبي ناقم على الناس جميعاً وإن نورنه

(*) عطفاً على المقال المنشور في العدد ٥٦٩ من هذه المجلة

ليست على المرأة وحدها ، فهذا لا يعنى أن ليس له فيها نظرة خاصة . فقوله :

إذا غدرت حسناء وفت بعدها   فمن عهدها أن لا يدوم لها عهد

وقوله :

ومن خبر الغوانى فالغوانى   ضياء فى مواطنه ظلام

إن هذا القول صراحة فى تخصيصه إياها بالشطر الوافى من حملاته على بنى الإنسان وصراحة برأيه السيء بها ، بل إن هذا القول يضمه فى صف خصومها الألداء وأعدائها الأشداء . على أنه ربما كان أحسن وصفها كل الإحسان وأنصفها كل الإنصاف حين قال :

وإن عشقت كانت أشد صبابة
وإن فركت فاذهب فما فى فركها قصد
وإن حقدت لم يبق فى قلبها رضاً
وإن رضيت لم يبق فى قلبها حقد

***

ولكن المتنبى صاحب هذه الآراء القاسية فى المرأة والغرام لم يستطع أن يجرد شعره من الغزل فقد افتتح كثيراً من قصائده بالغزل وتحدث عن الحب والنساء ، وتظاهر بالهوى وشكوى النوى ، وشارك العاشقين فى بث الوجد وذكر الوصل والصد ، حتى أنه أغرق فى ذلك أحياناً إغراقاً حاول فيه أن يتسمى بالعاشق كل العاشق :

وما أنا إلا عاشق كل عاشق   أعق خليليه الصفيين لائمه

وأن يجعل عشقه فوق كل عشق :

وطرف إن سقى العشاق كأساً   بها نقص سقانيها دهاقا

وأن يكون شاعراً غزلاً :

أحيا وأيسر ما عانيت ما قتلا   والبين جار على ضعفى وما عدلا

فهو يتحدث عن حب قاتل يعجب معه كيف يبقى حياً ، ويتحدث عن بين جار عليه فلم ينصف ضعفه . ولا يقتصر على هذا الحديث الإجمالى عن الحب بل يعود فيخاطب حبيبة بعينها فيتضرع لها تضرع الولهان :

بما بجفنيك من سحر صلى دنفاً   يهوى الحياة وأما إن صددت فلا

ثم يسهب بوصف عواطفه الغامضة فى عدة أبيات يصل بعدها إلى ما أراده من مدح أحد الناس وينتهى الأمر . وهكذا يبدو غزله بوجه عام ، فهو إما أن يرتفع قليلاً عن هذا المستوى أو ينحط عنه قليلاً أو كثيراً ، ومهما ارتفع أو انحط فهو غزل لا طائل تحته ، ولا عاطفة تذكيه ولا شعور يوريه ويسف أحياناً كل الإسفاف فيقول :

أوه بديل من قولتى واها   لمن نأت والبديل ذكراها
أوه لمن لا أرى محاسنها   وأصل واهاً وأوه مرآها

والمتنبى نفسه يعلن رأيه فى هذا الغزل الفاشى فى بعض قصائده ولا يحجم عن أن يقول إنه سير على سنن غيره من الشعراء ، وأن طريقة الشعر قد اقتضت هذا ، وأن افتتاح القصائد بالغزل ليس دليلاً على الحب والغرام :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم   أكل فصيح قال شعراً متيم

وكأن المتنبى صاحب الدعوة ضد الحب والمرأة قد خشى أن يؤخذ عليه غزله وأن يعتبر تناقضاً مع آرائه الصريحة فاعتذر عن هذا الغزل وأعلن حقيقته ، وأنه ليس فى الواقع الغزل الذى عرفه الناس ونظمه الشعراء ، بل هو غزل رمزى يخفى تحته شعوراً غير شعور الغرام ، وحباً لغير المرأة ، وشغفاً بغير ثناياها الغر وأحداقها النجل ، فبعد أن افتتح قصيدة بالغزل المألوف عاد يقول :

محب كنى بالبيض عن مرهفاته
وبالحسن فى أجسامهن عن الصقل
وبالسمر عن سمر القنا غير أننى   جناها أحبائى وأطرافها رسلى
عدمت فؤاداً لم تبت فيه فضلة   لغير الثنايا الغر والحدق النجل
فما حرمت حسناء بالهجر غبطة   ولا بلغتها من شكى الهجر بالوصل

وهو فى بيته الثالث عنيف متشدد وفى بيته الأخير مستهزئ بلذائذ الوصال مستهتر بالهجر لا يرى أن غضب الحسناء وهجرها يمكن أن يحرم المرء أية غبطة ولا أن وصلها يمكن أن يجلب

أية سعادة وهذا أقسى مظهر من مظاهر آرائه الصلبة . على أننا لا نستطيع أن نجرد جميع غزله من العاطفة والشعور فلا شك أن فى القليل من بعضه عاطفة جياشة وحساً نابضاً ولكن ليس الحب وليست المرأة هى مصدر ذلك ، بل هى ذكريات أيام سوالف وأشواق إلى منازل نائية وأهل بعيدين كأن يقول :

ما لاح برق أو ترنم طائر إلا انثنيت ولى فؤاد شيق

أو يقول :

وكيف التداذى بالأصائل والضحى
إذا لم يعد ذاك النسيم الذى هبا
فيا شوق ما أبقى ويالى من النوى
ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أصبى

أو يقول :

لياليّ بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل
يبن لى البدر الذى لا أريده ويخفين بدراً ما إليه سبيل
وما عشت من بعد الأحبة سلوة ولكننى للنائبات حمول
إذا كان شم الروح أدنى إليكم فلا برحتنى روضة وقبول
وما شرق بالماء إلا تذكراً لماء به أهل الحبيب نزول

وما أدرانا أن لا يكون وهو يرسل هذا الشعر وأمثاله إنما يذكر تلك العجوز الذى رأينا إشفاقه عليها وشغفه بها فى رثائه لها ، وأنه يذكر أيام صباه الماضية فى بلده بين أهله وقومه :

أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيد دونها بيد

ولا بد لنا ونحن فى الحديث عن غزله من أن نلم بالأبيات الجميلة التى تغزل فيها بالأعرابيات وعرض بالحضريات :

ما أوجه الحضر المستحسنات بها كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفى البداوة حسن غير مجلوب
أين المعيز من الآرام ناظرة وغير ناظرة فى الحسن والطيب
أفدى ظباء فلان ما عرفن بها
مضغ الكلام ولا صبغ الحواجب
ومن هوى كل من ليست مموهة تركت لون مشيبى غير مخضوب

ولا شك أن هـذا الغزل البدوى ، والتظاهر بالشغف بالأعرابيات إنما هو أثر من آثار النقمة على المرأة فقد اتخذ من بساطة البدويات وسيلة للحملة على غادات المدن وانشغالهن بالزينة والتطرية والتجمل فتهكم على أصباغهن ومساحيقهن ، وهزأ بمضغهن الكلام وشبههن بالمعزى ، وعاب عليهن تمويه الحقائق وجردهن من كل محمدة وحسن ، ومع ذلك ومع أنه اتخذ الأعرابيات ترساً يتوارى وراءه فى الهجوم على الحضريات فإن سجيته أبت إلا أن تتغلب عليه فلم يستطع أن يترك ثناءه على نساء البدو خالصاً لا شائبة فيه ، بل عاوده داؤه المزمن فى الغضب على الجنس البشرى والنقمة على بنى الإنسان فغمز من البادية وأهل البادية غمزة قاسية :

فؤاد كل محب فى بيوتهم ومال كل أخيذ المال محروب

حسن الأمين

الى الرجال والنساء

الغـــــرام السوقى . . .

للشاعر الأستاذ محمد الأسمر

هذه القصيدة تصف ناحية من النواحى الاجتماعية التى إذا تركت وشأنها انقلبت وباء ، وأودت بسعادة الأسر رجالا ونساء وأطفالا . وهل هناك أشد خطراً على سعادة الأسرة من أن يقع الزوج فى حبائل خدعة له تصرفه عن زوجته وأولاده ، أو تقع الزوجة فى حبائل خادع لها يصرفها عن زوجها أولادها . إن غراماً ينشأ بين زوج وأخرى غير زوجته ، أو بين زوجة وآخر غير زوجها غرام سوقى قائم على الحب الزائف لا على الحب الذى يجلب السعادة المحبين ، خصوصاً إذا كانت بطلة هذا الغرام إحدى بنات الليالى المعروفات بالأرتستات ، وقد تناول الشاعر فى قصيدته تلك هذه الناحية الاجتماعية وبعض ما يتشعب منها . وجعل إهداءها إلى صديقه الأستاذ كامل الشناوى :

لا يُلهينَّك تغريدُ العصافيرِ وناعم الريش عن نَقْر المناقيرِ

واحذرْ من القطة الملساء إن لها أنيابها ، ولها خدش الأظافير

ورُبَّ حسناء أمسى بعض ما صنعتْ

بالناس وهو أحاديث الجماهير

فاحذر غوانىَ إن صدَّتْ وإن وصلت

فهنَّ أشــبه شىء بالمناشير[1]

يُصبينَ حتى أخاسيسَ ليس له صباً فتسخو يداه بالدنانير

هُنَّ التواجرُ فى كل الأمور فما يسقطن إلا على القوم المياسير

وهنَّ حولَ الذى يُلقى بلقمته شواخص الطرف أشباه السنانير

حتى إذا نضبتْ يوماً موائده يحثن عن غيرها بحث المساعير

فاحذر شوارد منها لا رقيب لها ولا تَغُرَّنكَ رباتُ المقاصير

كم من قصور حوتْ أركانُها دنساً

تعجَّبتْ منه أركان المواخير

تلك الغوانى غوانى السوق ليس لها

خِلٌّ ولو كان وهَّابَ القناطير

وماشكرن يداً أسدت لهن يداً بل هن فى الأخذ أشباه الأعاصير

(١) إشارة إلى أنهن وراء المال فى كل أحوالهن

يبيت فى أسرهنَّ المرء مبتسماً يخدعنه فهو وضاح الأسارير

فيا عجيباً تراه وهو مغتبط ولو درى لرأى سُخرَ المقادير

* * *

هذا وكم من رجال أدنياء لهمْ إن صادفوا غِرَّةً فتكُ المغاوير

وإن أحاطوا بسرٍّ ليس يعرفه سواهمْ أعلنوه بالمزامير

ومنهمُ معشرٌ أعداء أمتهم لهم غرام بأعراض المشاهير

مُبالغون ، وقد تلقاهمُ وضعوا ما يأفكون به وضع الأساطير

ياويْحَ من أعرضوا عن بحث أنفسهم

ويبحثون ســـواهمْ بالمناظير

لو أن كل امرئٍ يُعنى بحالته لم يعشِ قومٌ لقومٍ بالأخابير

ومن تأمَّل يوماً ما صحيفتهُ

ألهاه ذلك عن فحص الأضابير[1]

* * *

يالهف نفسى على (الزوجات) ضيَّعها

من الرجال بعـــولٌ كالطراطير

تخْفَى الحقائق عنهم وهى واضحة فينظرون إليها كالسمادير[2]

ولا يثورون بركاناً له حُمَمٌ لكن يثورون أشباه القراقير[3]

كيف اطمأنوا فناموا عن حدائقهم

: مسرى اللصوص فما نوم النواطير ؟ !

وكل بستان وردٍ نام صاحبه عن حفظه فهو منهوب الأزاهير

ولهفَ نفسى على (زوج) تُدنِّسهُ

قرينةٌ زوجُها زوجُ الفوازير

من الغوامض ، لا ارمل يُبيِّنها ولا شيوخ قعود بالطوامير[4]

من اللواتى إذا ماريبةٌ عرضت فهُنَّ ماهنَّ فى خلق المعاذير !

فيا لها من ظلام غير منكشف يلوح كالصبح وضَّاح التباشير

* * *

الله للناس ، عمَّ الشرُّ وامتلأت أسواقه بالأباليس المناكير

فاحذر ، وحذر ، وأصلح ما استطعت ولا

تبغ الفساد ، ورفقاً بالقوارير[5]

(١) الأضابير المجموعة من الصحائف

(٢) الخيالات

(٣) القراقير صوت أمعاء البطن

(٤) الطوامير الصحائف

(٥) المعنى بالقوارير هنا النساء وفى الحديث الشريف (رفقاً بالقوارير)



الرصافي يغضب ويتبرأ

فوجئت بالرد الذي نشره الأستاذ الرصافي وأنا بعيد عن القاهرة . وقد اتهمنا فيه (١) بأننا بدلنا أقواله (٢) ولم نكن أمناء في نقلها (٣) وبأنه استنتج من ذلك أننا لم نقرأ التعليقات قراءة مستنيرة بل مررنا بها مروراً خاطفاً ، (٤) وبأن يداً خفية تحركنا (!!) (٥) وبأننا حاقدون عليه (٦) وبأننا نعرف آداب البحث والنقد والمناقشة لكننا ضربنا صفحاً عنها في تناول تعليقاته لسبب لا يعرفه (٧) وبأننا خلطنا بين آراء الفلاسفة اليونانيين في وحدة الوجود ، وآراء الزنادقة من متصوفة المشرق (٨) وبأن الغيرة الدينية هي التي أعمت بصائرنا عن الحق (٩) ثم ذكر أنه ليس متصوفاً ، وطلب إلينا أن نسأل الذين يعرفونه ليثبت لنا ذلك (١٠) وأنه لا يدعو إلى شيء كما هوّلنا نحن بذلك لدى العامة (!) (١١) ثم ذكر أننا نتجنى على المتصوفة حين نتهمهم بميلهم إلى اللذائذ الجنسية الخسيسة وتحللهم من الشرائع والقوانين والآداب العامة . . . إلى آخر هذا التخبط ونعود فنقول بأننا الآن بعيدون عن القاهرة ... فليست أعداد الرسالة التي سفهنا فيها تعليقات الأستاذ الجليل تحت أيدينا لنرى مقدار ما شوهنا أقواله ، ما دام هو لم يجرؤ أن يقدم لنا دليلاً واحداً على هذا التشويه . وليست رسائل التعليقات تحت أيدينا كذلك ، فقد أعطيناها لصديقنا الدكتور زكي مبارك ليرى فيها رأيه (وذلك منذ شهر تقريباً) ... ونحن نطمئن الأستاذ الرصافي على سلامة تفكير الجمهور من القراء في مصر وفي العالم العربي ... لأنه جمهور لا يكتفي بأن يقال له إن كل ما ذكره دربني خشبة عن الأستاذ الجليل معروف الرصافي باطل ملفق ليصدق هذا القول .. ويسرنا أن نعترف للأستاذ الرصافي **بأنه صحيح أن يداً خفية تحركنا للرد عليه . لأنها يد الله التي تمحق** الباطل والمبطلين دائماً . الله الذي نتواضع في الإيمان به هذا الإيمان الفطري الساذج الذي لا يوقعنا في لغو اللاغين وتناقض المتناقضين ، بعد أن بلونا من مثل ما يلوّن أحوّنا الرصافي الآن ألواناً وألواناً ...

إلا أنني لا أستطيع أن أسكت ، حتى أعود إلى القاهرة بعد شهر إن شاء الله تعالى ، دون أن أعرض على العقلاء في العالم الإسلامي كله جانباً من هذا الذي عاد الأستاذ الجليل معروف الرصافي فتحدث إلينا به في رده المتهافت ، وذلك بخصوص استواء المتناقضات أمام الله لا أمام الناس :

لما كان الصوفية يقولون : كل ما وقع في هذا الكون فهو حق ، وأنه لا باطل إلا المحال كما هو مذكور في رسائل التعليقات ، تساوت عندهم المتضادات ، فالشر كالخير ، والضلال كالهدى . كلاهما حق ، لأنه واقع ، ولو كان باطلاً لما وقع ، لأن الباطل هو المحال الممتنع الوقوع ، ولكن هذا التساوي في المتضادات إنما هو بالنسبة إلى الوجود الكلي - أي إلى ذات الله - لا بالنسبة إلينا ، فذات الله في رأيهم لا يصدر عنها الباطل ، بل كل ما صدر عنها فهو حق ، وهم يستدلون على ذلك بآيات من القرآن كما هو مذكور في رسائل التعليقات

... ... ولا بد أن الأستاذ خشبة قد قرأ كتاب التصوف الإسلامي للدكتور زكي مبارك واطلع على ما نقله عن الجيلي من أن الله هو الهادي وهو المضل ، وأن الضال متحقق بصفة الضلال ، كما أن المهتدي متحقق بصفة الهداية ، وأنهما أمام الله سواء ، كما هو مذكور في رسائل التعليقات أيضاً ، وهذا صريح في أن تساويهما إنما يكون أمام الله ، أي بالنسبة إلى الله ، لا بالنسبة إلينا »

فما رأي العقلاء في العالم الإسلامي كله في هذا ؟!

لقد فزع الدكتور زكي مبارك (نفسه !) من الأخذ بهذا الضلال ، وفزع منه على الأخلاق والقوانين والشرائع ، فطمأنه **الأستاذ الرصافي بأن التساوي إنما يكون أمام الله لا أمامنا نحن ،**

أي بالنسبة إلى الله لا بالنسبة إلينا ... لأننا لا وجود لنا ، لأن الوجود الكلى المطلق هو الله ...

إن الأستاذ الرصافي يطلب إلينا تفسير الآيات التي استشهد بها المتخبطون على لغوهم هذا ، وهو يطلب إلينا ذلك ظاناً أنه يوقفنا أمام مشكل صوره له اضطرابه . ونحن نطمئنه ، لأننا سوف نعود إليه ، ... ثم نسأله هل ينكر أنه ينكر البعث كما يؤمن به المسلمون ، وأنه ينكر أن القرآن كلام الله ، بل هو كلام محمد ألقي في روعه أنه يقوله بلسان الله ، وأنه لا معنى للعقاب والثواب والحساب إلا على الصور الجنونية التي زخرفها له وسواسه ، وأنه ينكر الأدعية ، ومنها الصلوات ، لأنها لن تغير من قوانين (الوجود الكلى المطلق شيئاً) ؟!

وبعد ... فهل صحيح أن الرصافي لم يدعنا إلى شيء ؟ ! هل نسي ما علق به على ذلك المستشرق الإيطالي الجاهل ؟ ألم يطلب إلينا أن نفيق ؟! نفيق مم يا ترى ؟!

وإلى عود قريب إن شاء الله ...

دريني خشبة

إلى الأستاذ زكريا إبراهيم

ما هذا يا أخي ؟ لماذا قطعت أحاديثك عن وحدة الوجود بعد إذ بدأتها ؟ ماذا حدث ؟

د . خ

إلى الأستاذ الجليل النشاشيبي

ذكرت أيها الأستاذ الجليل في العدد (٥٧٦) من الرسالة الغراء ضمن « نقل الأديب » التي لا يفي بمدحها لسان أو بيان قصة ابن يعيش حينما أخذ يشرح قول ذي الرمة :

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل
وبين النقا ... آ أنت أم أم سالم

فأطال القول في ذلك ، بحيث يفهمه البليد البعيد الذهن ، ولكن الفقيه الذي كان يقرأ عليه ويسمع منه سأله بعد كل ذلك : إيش في هذه المرأة الحسناء يشبه الظبية ؟ فتندر عليه الشيخ قائلاً : تشبهها في ذنبها وقرونها ! فضحك الحاضرون ، وخجل الفقيه ، ولم يعد إلى المجلس بعد ذلك ! هذا ولم تعلق على القصة بشيء . . .

ولكن ما رأى الأستاذ الجليل حينما يعلم - وهو خير من علم ويعلم - أن ما ذكره الشيخ موفق الدين على سبيل التندر والانبساط قد ورد على سبيل الجد والنقد ، وأوخذ به ذو الرمة من جارية معاصرة له ، وقد أقر الشاعر لها بهذه المؤاخذة ، واحتال عليها بالمال كي تكتم هذا العيب ؟ ذكر ابن الجوزي في كتابه « الأذكياء » ص ١٦٥ القصة التالية :

دخل ذو الرمة الكوفة ، فبينا هو يسير في بعض شوارعها على نجيب له إذ رأى جارية سوداء واقفة على باب دار ، فاستحسنها ووقعت بقلبه ، فدنا إليها فقال : يا جارية ! اسقني ماء ! فأخرجت إليه كوزاً فشرب ، فأراد أن يمازحها ويستدعي كلامها ، فقال : يا جارية ! ما أحر ماءك ! . فقالت : لو شئت لأقبلت على عيوب شعرك وتركت حرّ مائي ورده ، فقال لها : وأي شعري له عيب ؟ فقالت : ألست ذا الرمة ؟ قال : بلى . قالت :

فأنت الذي شبهت عنزاً بقفرة
لها ذنب فوق استها أم سالم
جعلت لها قرنين فوق جبينها
وطبيين مسودين مثل المحاجم
وساقين إن يستمكنا منك يتركا
بجلدك يا غيلان مثل المآثم
أيا ظبية الوعساء بين جلاجل
وبين النقا آ أنت أم أم سالم ؟ !

قال : نشدتك بالله إلا أخذت راحلتي وما عليها ولم تظهري هذا ؛ ونزل عن راحلته فدفعها إليها ، وذهب ليمضي فدفعتها إليه ، وضمنت له ألا تذكر لأحد ما جرى !

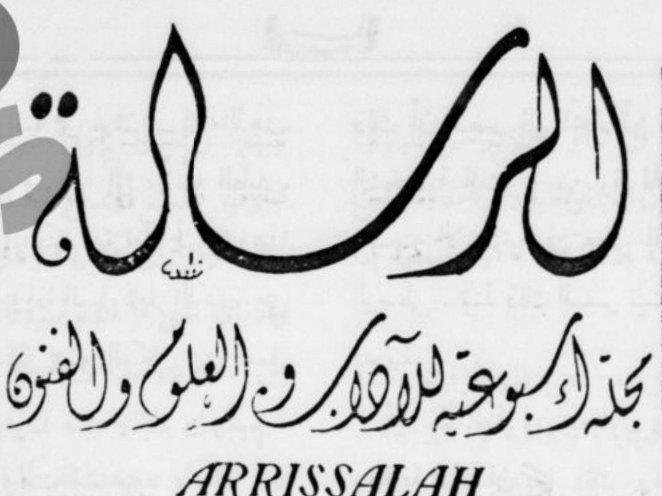
هذه هي القصة ، فما رأى الأستاذ الجليل ؟...

أحمد الشرباصي
خريج كلية اللغة العربية



12me Année No. 582 — Lundi - 28 8 - 1944





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٨٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٩ رمضان سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٨ أغسطس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

العمـــالية الفـكرية

للدكتور محمد مندور

نقصد بالعمالية الفكرية نشوء طبقة اجتماعية جديدة ينزل فيها المشتغلون بالمسائل العقلية منزلة العمال بما لهم من حقوق ومطالب ومشكلات على نحو ما شاهد النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بالنسبة للعمال اليدويين ، وبخاصة عمال الصناعة ؛ وتلك مشكلة ستتمخض عنها الحرب الحاضرة بعد أن مهدت لها الحرب السابقة . ولفهمها لا بد من إلقاء نظرة عابرة على قيمة العمل الإنساني خلال التاريخ ، وتطور تلك القيمة إلى يومنا هذا .

في العصور القديمة كان العمل من اختصاص العبيد ، وأما المواطنون فكانوا يرون عاراً أن يزاول أحدهم بنفســه زراعة أو صناعة ، ولقد أثقلت هذه النظرة تاريخ الإنسانية ، وجاهد المفكرون وطلائع البشر في رفع هذا الثقل قروناً طوالاً ، وبالرغم من أن الإنسانية قد اجتمعت كلمتها على إلغاء الرق ؛ فإنه لا يزال العمل ينظر إليه إلى اليوم نظرة لا تتفق مع قيمته الحقيقية من حيث أنه منبع الثروة الوحيد . ومن غريب الأمر أن قدماء الإغريق أنفسهم قد فطنوا إلى قيمة العمل ، فجسمها أرسطوفانيس

الفهـــرس

المؤلف الكوميدى الشهير فى رواية رائعة هى بلوتس - إله الذهب وهذا إله أعمى قالوا إن الآثينيين ضرعوا إلى الإله الطبيب أيسكيلاب أن يشفيه من عماه فيقيم بمدينتهم اعترافاً بالجميل ؛ وهذا ما كان . واستوطن الإله بآتينا ، وإذا بالسماء تمطر الذهب حتى غصت به الطرق والحارات ، وأمسك جميع السكان عن العمل اكتفاء بهذا الذهب الوفير يغرفون منه لقضاء حاجاتهم . ولكنهم لم يلبثوا بعد أيام أن رأوا المنتجات تنفد ، وإذا بهم يتضورون جوعاً والذهب تحت أرجلهم . وهال عقلاءهم الأمر ، فخفوا إلى الإله الطبيب يرجونه أن يسكب فى عين إله الذهب ما يذهب ببصره ثانية ، حتى يستطيعوا آسفين معتذرين أن يقودوه خارج مدينتهم لترتفع عنهم تلك المحنة القاسية ، محنة الذهب ، ويعودوا إلى نشاطهم المثمر ، يعودوا إلى الكد وعرق الجبين الذى ينتج من الخيرات ما يشبع حاجاتهم الحيوية . هذا ما رآه الإغريق القدماء ، أو ما رآه أحد كبار مفكريهم ، ومع ذلك ظل العمل من اختصاص الرقيق ، ولم يستطع أن يتمتع بما له من واجب الاحترام ، بل التقديس ، وهذا أمر بديهى ، فأنت تستطيع أن تملأ خزائنك بالمال ، وتترك هذا المال بالخزائن طوال السنين ، ثم ترى أنه لم ينتج شيئاً ، وإنما المنتج كد الرجال

وفى خلال القرون الوسطى لم يتغير الموقف ، فكان الرجال ملحقين بالأرض ، تنتقل ملكيتهم بانتقالها من يد إلى يد . ولم يتحرر البشر إلى حد ما إلا عندما أخذت المدن تتكون وتنشأ بها طبقات اجتماعية جديدة من الصناع والتجار . ومن المعلوم أن نشأة هذه المدن هى التى مهدت السبيل لمناهضة أمراء الإقطاع ، والقضاء على نفوذهم القاسى ، وقد اعتمد عليها الملوك فى انتزاع السلطة من يد الأمراء وتوحيد الممالك . وفى مقابل ذلك كان الملوك يمنحون تلك المدن وثائق بها كثير من مبادئ التحرر السياسى والاقتصادى . ومع هذا فإن الحريات التى أعطيت للمدن لم يصب العاملُ منها إلا خيراً يسيراً ، وذلك لأن رق الإقطاع قد قابله فى المدن تكوين اتحادات عمالية كانت لرؤسائها على أفراد العمال حقوق ثقيلة . وفى الحق إنه لم يكن بد لكى يسترد العمل كرامته من أن تظهر الشخصية البشرية أولاً فى الهيئة الاجتماعية ، ويسلم لها باستقلالها الذاتى لتستطيع بعد ذلك أن تنضم إلى اتحاد أو نقابة راضية مستنيرة . وتحرير الشخصية البشرية من رق المجموع هو المكسب العظيم الذى كسبته الإنسانية فى عصر النهضة الذى وضع حداً للقرون الوسطى . فمنذ ذلك العصر نستطيع أن نقول إن فجر الإنسانية قد تنفس

ثم أخذ المفكرون يبحثون فى منابع الثروة ووسائل الإنتاج ، وعلاقة الإنسان بكل ذلك . ولما كانت الصناعات لم تنشأ بعد ، فقد رأى الباحثون فى الاقتصاد عندئذ أن الزراعة هى المصدر الوحيد للثروة ، وأما الصناعة فما هى إلا تحويل للمواد الأولية التى تنتجها الزراعة ، فهى لا تخلق جديداً ، والتجارة ليست إلا نقلاً للمنتجات

وجاء القرن التاسع عشر باختراعاته العظيمة وأخذت الصناعات تنشأ ، ففطن المفكرون إلى أن الإنتاج الاقتصادى ليس تكوين شيء من العدم ، والعدم لا ينتج شيئاً ، وإنما هو خلق لقيم اقتصادية جديدة ، ومقدرة على إشباع الحاجات الإنسانية المختلفة ؛ فالمادة الأولية بتحويلها تصبح قيماً جديدة وتشبع حاجات جديدة ، وأنت كذلك إذا نقلتها من مكان لا يحتاجها فيه أحد إلى مكان تُطلب فيه تعطيها قيمة جديدة أيضاً . وهكذا دخلت الصناعة والتجارة فى ميدان الإنتاج ، وكان فى المناقشات التى دارت حول منابع الثروة وإنتاجها ما انتهى بالمفكرين إلى تقدير العمل الإنسانى . ولكن التقدير شيء ، والتسليم بحقوق هذا العمل شيء آخر ؛ ثم إنه كان تقدير المفكرين ، وهؤلاء فى كل العصور نفر من الخاصة ، والأمر لم يكن يوماً لسوء الحظ بيدهم ليستطيعوا تحقيق نظارهم عملاً ، فهم طلائع البشر ولكنهم ليسوا قادته الفعليين . ومع ذلك فقد كان فى سبقهم إلى تقدير قيمة العمل البشرى قيمته الحقة ما أيقظ ضمائر العمال ؛ ولهذا عند ما ظل أصحاب رءوس الأموال متخلفين عن مسايرة العقلية الجديدة لم يلبث التصادم أن نشأ بينهم وبين عمالهم . ورأى العامل أنه لا يستطيع أن يقاوم بمفرده فتكونت النقابات ، واجتمعت النقابات فى اتحادات ، واستعرت روح الطبقات واحتدم الكفاح بينها ، حتى انتهى الأمر إلى الحركات الاشتراكية والشيوعية المعروفة ، وحتى فى البلاد التى حافظت على الملكية الفردية كحافز قوى للانتاج لم

تفلت نظمها الاقتصادية ، من أن تتأثر بالكثير من المبادئ الاشتراكية بحيث يمكن القول بأن الديمقراطية ذاتها قد أصبحت في جميع بقاع الأرض ديمقراطية اشتراكية ، أو اجتماعية إذا أردت أن تتجنب اللفظ

هذا الجهاد الإنساني الطويل قد انتهى إلى الإقرار بقيمة العمل اليدوي والتسليم لطبقة العمال ، وبخاصة في الصناعة ، بالكثير من حقوقها ، وهي لم تُمنح تلك الحقوق بل أخذتها أخذاً ، بحيث نستطيع أن نقول إن العمال في معظم بلاد أوروبا كانوا قد وصلوا قبل الحرب الحاضرة إلى درجة محمودة من الرخاء لم يصل إليها المشتغلون بالأعمال العقلية . ولقد رأيت في فرنسا قبيل هذه الحرب العامل المتخصص يكسب ما لا يقل عن ثلاثين جنيهاً شهرياً ، بينما يُعطى القاضي الفرنسي ثمانية عشر جنيهاً . ولقد رأيت في جميع أنحاء أوروبا أن الطبقة المهضومة لم تعد طبقة العمال ، بل طبقة أولئك العقليين ، فبينهم تفشت البطالة ، وعن حقوقهم سكتت الهيئة الاجتماعية ، وذلك لأن إنتاجهم غير ملموس النتائج ، وأفرادهم لم ينظموا بعد في نقابات أو اتحادات . هنالك تجد الموظف تحت رحمة الحكومة ، والصحفي مستذلا لصاحب الجريدة ، والكاتب يتحكم فيه الناشر ، والمتعلم يبحث عن عمل فلا يجده . وليس من شك في أن الإنسانية التي لا يمكن أن تفنى لا بد ملتمسة علاجاً لهذه الحالة الصارخة . ولقد عدت إلى مصر فوجدت البلوى أعم : نقابة للصحفيين لم أر لتكوينها مثيلاً في العالم ، فهي تضم العمال وأصحاب العمل ، ومن الطبيعي أن يتحكم هؤلاء في أولئك . والوضع الطبيعي أن ينفصل كل في نقابته ، وأن تتفاوض نقابة مع نقابة لا أن يجتمعوا سوياً كقطاط وفيران في مصيدة واحدة . ورأيت أرباء يخشون أن تطالبهم الحكومة بما يجب أن يدفعوه من ضرائب فيصيحون بها أن أمسكي عن إنصاف المظلومين من الموظفين ، وقد عضتهم الحياة بأنيابها ، مع أن الضرائب في بلادنا قلما تصل إلى أكثر من ١٢٪ بينما هي لا تنحط في أي بلد أوروبي أثناء السلم عن ٣٦٪ على نسب تصاعدية عادلة . ورأيت ناشرين من التجار الجشعين ، يتحكمون في عقول الكتاب وأقلامهم ، وينزلون بهم إلى حد الدعارة العقلية لترويج البضاعة التي يقبلونها منهم . وأخيراً كم بين المتعلمين من عاطلين ؟ ! ولقد جاءت تلك الحرب فقلبت أوضاع الحياة الاجتماعية ، فإذا بالعزيز ذليل والصعلوك ثرى كبير ، ونمت روح الدجل والنصب والاحتيال والنفاق حتى لأعتقد مؤمناً أنه لا بد لتستقيم الحياة الاجتماعية من أن يعاد إليها اتزانها بأية وسيلة كانت

ليست هناك هيئة اجتماعية تستحق الاحترام إذا لم يقدس فيها الفكر ، وهذا الفكر هو القوة التي نسيطر بها ، لا على النفوس فحسب ، بل على المادة أيضاً . وها هي الحرب قد أوشكت أن تنتهي ، وأنا على ثقة من أن العمالية الفكرية ستحزم أمرها ، وهي التي تقود الرأي العام ، فتطالب بحماية حقوقها وتوفير كرامتها وضمان استقلالها المادي حتى لا يستذلها أحد . وإنه لمن غريب الأمر ألا نرى ببلادنا إلى اليوم قانوناً يحمي الملكية الأدبية والفنية ، ولا نقابات للعقليين الذين يزاولون النشاط الحر والثقافة غير المهنية ، وإذا أريد لتلك النقابات النجاح ، فمن الواجب أن تنحى عنها السياسة ، وأن يكون تكوينها سليماً .

محمد مندور

٦ ـ نقـــد رامى

للأستاذ دريني خشبة

لا نحسب أننا فرغنا من محاسن رامي حتى نخلص إلى معايبه ... إن كانت له معايب تزرى بنبله الجم ، وشاعريته الرقيقة ، وروحه الذى ظل للعالم العربى كله برداً وسلاماً وروْحاً ونشوة أكثر من عشرين عاماً مباركاً يسكب فى آذاننا شدو قلبه النابض ، وغناء وجدانه الفياض ، وأنات نفسه الجريحة الدامية

١ — وأول ما يلفت النظر فى حياة رامى وإنتاجه الأدبى هو انصرافه العجيب المفاجئْ عن قرض الشعر ، واقتصاره على توشية أغانيه المصرية الساحرة ، وذلك منذ أن دخلت فى حياته الآنسة أم كاثوم ! . . . لماذا؟ لماذا يا ترى رضى الشاعر الإنسانى أن يكون بلبلاً فحسب ؟ ! حقيقة إنه نظم ثلاثين أو أربعين أو خمسين مقطوعة . . . ولا نقول قصيدة . . . لكنها جميعاً من ذلك النوع الذى ذكرنا آنفاً أنه يصح تسميته (خطابات منظومة) كان الشاعر يضمّنها بعض بثه إلى المخلوق السعيد الذى أعاد الحياة إلى قلبه ، والإيمان إلى روحه ، وإن تكن حياة كلها شكوى وشك وغيرة ، وإن يكن إيماناً قلقاً مزعزعاً ينضح بالدموع والآلام

لقد ذكر رامى لصديق الشاعر الذى سفر بينى وبينه تمهيداً لكتابة هـــذه الفصول أن لديه مجموعة كبيرة من الشعر الذى نظمه فى خلال هذه الحقبة الطويلة من عمره ولم ينشره ؛ وقد حاولت أن أطلع على هذه المجموعة ولكنى لم أشهدها لأن السفر أعجلنى عن ذلك ... ومهما يكن من أمر هذه المجموعة ، فرامى مقصر ولا شك ، وثروة الشعر العربى لن تفتأ تطالبه بعشرة أجزاء من ديوانه الخالد الذى كان يصدره بمعدل جزء عن كل عامين ؛ ونحن لا نشك فى أن إنتاجه الشعرى قد أصبح قلة فى جانب إنتاجه الغنائى ، وإن يكن قد أودع أغانيه كل ما كان يودع شعره من قطع قلبه وروحه ودموعه ... ويسرنا أن نسجل أن شعر رامى القليل الذى نظمه فى الشطر الأخير من عمره المبارك (الطويل إن شاء الله) أحسن ديباجة وأرق نسجاً ، وأحفل بالموسيقا الداخلية من جميع شعره القديم الذى شملته دواوينه الثلاثة ؛ ونحن نعنى بالموسيقا الداخلية ذلك التوافق الصوتى الجميـل الخلاب ، الذى اكتسبه رامى بلا شك من طول اختلاطه بالموسيقيين والملحنين والمطربين ...

ولعل القطعة التالية التى شدا بها فؤاده من أجل ولده ، والتى تذكرنا فى رامي بشاعر الإنسانية ، هى خير ما نقدمه دليلاً على استنتاجنا :

يا بُنىّ ! ما أُحَيْلى يا بُنَىّ   أنت ظـل مده الله علىّ
نعمة العمر وتذكار الصبى   والأمانىّ التى عزّتْ لدىّ
لست أنساك جنيناً خافياً   فى ضمير الغيب أدعوك إلىّ
أتمناك لعينى قـــرة   حين ألقاك وليداً فى يدىّ
أرقب اليوم الذى تبسم لى   وترى آى الرضى فى مقلتىّ
فأناجيك بألحان الهـوى   سابقات خاطرى فى شـفتىّ
كلمات هى لا معنى لهـا   غير أن تسمع منى أى شيّ
فتراعينى ولا تقـوى على   غض أجفانك عنى يا بُنىّ !

وتشبه هذه القطعة فى موسيقاها الداخلية قطعة (القمرية) المنشورة بعدها فى مجموعة مكتبة النهضة (١٩٤٢)

إن رامى يستطيع فيما نعتقد أن يعدل فى إنتاجه بين أغانيه المصرية وبين شعره هذا الجميل الرائع العذب ... ولولا أننى أوثر ألا أنزلق إلى الخوض فى قضية العربية والعامية الآن ، لأشرت على رامى بإيداع معانيه (البكر) ، التى لفتت نظر حافظ من قبل ، والتى ضمنها أغانيه المصرية ، حيثما طغت هذه الأغانى على أشعار رامى ، . . . لأشرت عليه بإيداعها بعض قصائده ، ليكسب بها الشعر العربى ثروة ثمينة خالدة ... ولـكن ... هل هذا مستطاع ؟ !

٢ — ولن نعرف الرحمة ولا (الذوق !) ونحن نأخذ على رامى جنايته على الغناء المصرى ، أو الغناء العربى الحديث ، بتركه تلك الفرصة الذهبية النادرة التى أتاحها الله له ليجدد لنا غناءنا تجديداً كاملاً شاملاً ، ولتوسيع آفاق أغانينا بإدخال الأوبرا والأوبريت ، اللتين لا بد أنه يعرفهما معرفة جيدة ، ويزن الفائدة الجليلة البعيدة الأثر التى كانت تعود على الموسيقا

العربية — أقصد المصرية — والغناء المصرى ، لو أنه استغل هذا (التخت) العظيم الذى عاش أكثر من عشرين عاماً (يجتر) أغانيه ويرددها ويسندها ويبدئ ويعيد فيها ... لقد أساء رامى استغلال هذا (التخت) العظيم ، كما أساء استغلال دخول الآنسة أم كلثوم - فى حياته ، فلم يوجه فيها أغانينا التوجيه الصالح الواسع الأفق ، الذى يخرج بتلك الأغانى من « دنيا التخت » إلى دنيا المسرح ، وإلى دنيا الأوركسترا الراقصة الطروب اللعوب ... وقد يُعترض على هذا بأنه ليس من عمل الشاعر الذى ينظم لحساب غيره ... ونحن نرد على ذلك بأنه كلام لا يصح أن يعتذر به لرامى المثقف الذى يعرف من فنون الثقافة الشعرية الأوربية أزهى ألوانها وأبدع ضروبها ، ويعرف أن الأغنية التى ترسلها أم كلثوم على التخت ، غير تلك الأغنية ذاتها إذا أرسلتها وهى تؤدى دورها فى مأساة أو ملهاة أو درامة أخلاقية ، لأن الأغنية حينئذ يكون لها جمالها الخارجى الذى يضفيه عليها الموضوع ، لا جمالها الداخلى الذى تكسبه من ذاتها فحسب ... ورب معترض يقول إن رامى قد صنع هذا الذى نطالبه به فى أغنياته الكثيرة التى نظمها للأشرطة السينمائية الإثنى عشر التى طلب إليه نظم أغانيها كلها أو بعضها ... وأنه مؤلف « وداد ودنانير » ... ونحن نوافق على أن هذا صحيح وجميل ، إلا أنه شىء آخر غير الذى نطالب به رامياً ... إننا محرومون إلى اليوم من الرواية التمثيلية الغنائية الكاملة أو التى يصل أغانيها وكثيراً من حوارها النثر الخفيف ، وهذه الرواية التمثيلية الغنائية شىء عظيم بارع فى آداب أوربا وموسيقاها وهو غير موجود إطلاقاً فى أدبنا أو فى موسيقانا ... فمن من شعرائنا جميعاً - غير رامى - هيأ الله له تلك الفرصة الذهبية النادرة من حيث اتصاله بالموسيقيين والملحنين والطربين ثم أساء استغلالها كما أساء استغلالها رامي ، فلم ينتفع بها فى إحداث تلك الثورة التى سوف تظل أغانينا ناقصة معيبة شوهاء مالم يجرفها تيارها ، وما لم تحترق فى نارها فتخرج زكية سنية ذات روح وذات لألاء وذات جوهر نقى مُصفّى

٣ — ولعل غلطة رامى فى ذلك — أنه قصر صداقته الفنية على أبطال موسيقيي (التخت) — وهم — مع إجلالنا لهم وإعجابنا بهم والإشادة بذكرهم فى غير مناسبة ، قوم أميون فى ثقافتهم الفنية ، فهم لا يفهمون ما الأوبرا وما الأوبريت ، ومن الخبال أن نطالبهم فى ذلك الميدان بشىء هو ضد طبائعهم ، وعكس سلائقهم الفنية ، التى لا تزيد كثيراً على تكرير الغناء وتسنيده أو التمهيد له - ولذلك فنحن نستحثهم أن يتقفوا بفرصة معهد الموسيقا والغناء المسرحى ، فلا يدعوها تفلت منهم ، لأن فى إفلاتها القضاء عليهم ... وهذا موضوع آخر له حينه ومقامه إن شاء الله

نريد أن نعيب على رامى عدم انتفاعه بأحد ممن ثقفوا الموسيقا الغربية ومرنوا فيها ، بل برزوا فى التأليف بها ... والمؤلم أنه يعرف الكثيرين منهم ، وأن الكثيرين منهم يعرفونه . والرجل الذى تضعه المقادير فى المكان الذى يهيىء له القيام بثورة إصلاحية ثم ينكص على عقبيه ، فلا ينتهز الفرصة التى هيأتها له هذه المقادير هو رجل مقصر بلا ريب ، إن لم يكن شيئاً آخر لا نؤثر التعبير به

٤ — ويزيد فى أسفنا - بهذه المناسبة - إعراض رامى عن التأليف للمسرح فى دائرة اختصاص مواهبه الشعرية : ولعل الذين لا يعرفون ماضى رامى المسرحى يسألون : وما بال رامى ، وما بال مطالبته بشىء لم يدرسه ، أو لم يألفه ؟ فعلى هؤلاء أن يعلموا أن رامياً قد خدم الثقافة المسرحية فى مصر خدمة طيبة سيذكرها له الذاكرون دائماً ؛ فقد أخذ نفسه بترجمة مجموعة كبيرة من أشهر الروايات مثلت جميعاً على المسرح المصرى ، وخلبت ألباب نظارتها بجمال أسلوبها وحسن اختيارها ومرونة ترجمتها حتى تلائم المتوسط العام لجمهور مسرحنا ، ومن هذه الروايات هملت ويوليوس قيصر والعاصفة والنسر الصغير ، ويهوديت وفى سبيل التاج وجان دارك وشارلوت كورداى وسميراميس ... ومجرد ذكر أسماء هذه الروايات يذكرنا بماضيها المسرحى الناجح فى المسرح المصرى . ولست أدرى كيف يبلغ رامى هذه الدرجة من المجد الشعرى ، وكيف يبذل كل هذا المجهود فى دنيا المسرح ولا يفكر مطلقاً فى نظم الدرامة المسرحية ... ماذا نسمى هذا التقصير الذى يحدث هوة سحيقة فى مجد رامى ؟ وما سبب هذا التقصير يا ترى ؟ هل سببه أنه كان

يخضع لمقتضيات البيئة الفنية التي كان يعمل لحسابها؟! تلك البيئة التي صرفته - أو أوشكت أن تصرفه - عن قول الشعر، وعن التفكير في نظم الأوبرا أو الأوبريت، لقد حاول رامي مرة أن ينظم الدرامة المسرحية، وكانت محاولته جيدة ناجحة، وذلك حينما نظم (غرام الشعراء) التي نشرها في «الرسالة» (على ما أذكر)، والتي مثلتها إحدى الفرق المصرية ولا تزال محطة الإذاعة الحكومية تعيد إذاعتها بين الفينة والفينه. فماذا وقر في ذهن رامي بعد هذه المحاولة؟

٥ - ومما يؤخذ على رامي أنه وقف بتجديده في الأغاني المصرية عند حد الابتعاد بها عن الابتذال القديم، وتوسيع أفقها بتضمينها تصوير الطبيعة المصرية والإفاضة في تحليل العواطف الإنسانية مما أشرنا إليه من قبل، ومما شكرناه لرامي الشكر الذي يستحقه؛ وقد كنا نطمع من رامي أن يذهب في التجديد إلى أبعد من هذا الحد، فكان يحاول مثلاً نظم الأغاني القصصية البارعة Ballads التي حرم منها الشعر المصري الحديث ذلك الحرمان المزري المعيب، فعسى أن يتحفنا الشاعر الذي عمر حياتنا بأعذب ألحانه وأرق أغانيه بهذا اللون المفقود في غنائنا المصري... القديم والحديث

٦ - كان رامي موفقاً في معظم أناشيده... إلا أنها وا أسفاه جاءت كلها أناشيد غنائية يصعب على الجماعة أداؤها. وليس ذلك لطبيعة تلحينها كما يتبادر إلى الذهن أول الأمر، ولكن لطبيعة تأليفها دخل كبير في ذلك... ومن السخف أن نطالب رامي بنشيد قومي... ولكن من الواجب أن نطالبه بأناشيد مصرية متنوعة يسجل فيها رامي بأسلوبه الساحر وتصويره الشاعر ونظمه العذب الدقيق: مصر الحديثة الناهضة، مصر الفلاحة العاملة. مصر التي تذهب كل صباح إلى الكتاتيب والمدارس والجامعات... مصر المتضامنة التي تأبى أن تتخلف عن قافلة المدنية... تلك القافلة التي جد بها المسير

٧ - أما لغة رامي، وموسيقا شعره الخارجية... أعني أوزانه وبحوره وقوافيه... فالنقد الذي يعنى بالناحية الجدية يستحيي أن تقول فيها شيئاً...

عاش رامي حياة طويلة طيبة، تنبض بالحب في قلب مصر الحديثة، وعاش لمصر والشرق يملأهما شدواً وغناء وتجديداً...

دريني خشبة

ها هو ذا الإنسان

لحن ثائر وطبيعة منحرفة!

للأستاذ زكريا إبراهيم

شعلة متوهجة تقدح الشرر، ولهب حار تتراقص فيه النيران، وسيل جارف تتدفق منه الأمواه: تلك هي ملحمة نيتشه الفلسفية الرائعة!

إنها شعر دافئ ينبض بالحياة، ولحن ثائر يزخر بالقوة، وموسيقى صاخبة تفيض بالنشوة ... هي فلسفة حية نبعت من قلب الوجود، وسرت في دماء صاحبها حارة فائرة، ثم تدفقت على لسانه عاصفة هوجاء تهدر وتزفر! ولكنها فلسفة قد شاقها الأفق البعيد، واستهواها النجم القصي، فلما حلقت بجناحيها كالنسر في أجواز الفضاء، وأشرفت على الوجود من قبة السماء، لعبت برأسها نشوة العلو، فتضاءل الوجود في عينيها المشدوهتين، وتصاغر الكل تحت جناحيها المنشورين!

... أجل، إن في شعر نيتشه سحراً غريباً يستأثر بالخيال؛ فإن الصور والمشاهد تتابع فيه كالرؤى والأحلام، والنفس تتنقل معه كأنما هي في رحلة رومانتيكية رائعة في بلاد ساحرة فاتنة: تمر بها المشاهد الأليمة المرعبة، بعد المشاهد السارة المبهجة، ويطوف بها الغريب المضحك، بعد الجليل الرائع؛ ولكن الأمر الوحيد الذي يفسد على الإنسان كل ما في نيتشه من الجوانب الوجدانية المستحبة، ويدفعه إلى النفور منه والعزوف عنه، هو تلك الكبرياء المتعالية التي اصطبغت بها فلسفته، وذلك الغرور المتطرف الذي اتسمت به أحكامه ...

كان نيتشه يعتقد أنه نسيج وحده، ولذلك فقد اتخذ في كل مؤلفاته موقف فاوست المتمرد ذي النزعة الرومانتيكية، وثار معه على كل قانون، وكل أخلاق، وكل حياة اجتماعية. ولما تضخمت عنده شخصيته، أصبح ينظر إلى ذاته على أنها مركز للعالم كله، لا بل أستغفر الله، على أنها تستوعب العالم كله وتضمه تحتها! فإذا قال نيتشه بفكرة، فقد وجب ألا يكون أحد قد سبقه إلى تلك الفكرة؛ وإذا أصدر نيتشه حكماً، فلا بد أن يكون هذا الحكم صحيحاً، ولو أجمعت الإنسانية كلها على أنه غير صحيح! ... لقد عاشت الإنسانية على قيم فاسدة وشرائع كاذبة، فلا بد من أن يأتي نيتشه بلوحة جديدة للقيم يقضي بها على كل تلك الأوهام والخرافات التي ظلت الإنسانية تحرق لها البخور طوال حياتها! أليس نيتشه هو مسيح العصر الحديث الذي اعتقد في نفسه أنه أعظم رجل أنجبه عصره؟ ألم يقل نيتشه إن الثورة الفلسفية التي سوف تحدثها آراؤه، ستكون نقطة البدء لانقلاب هائل يحل بالإنسانية كلها؟ ألم يعتقد نيتشه أنه حطم شريعة المسيحية ووضع حداً لقيمها الكاذبة ومعاييرها الخاطئة؟ إذن فليس من حرج عليه إذا قال بملء شدقيه: «إن الناس تخطىء الحساب، إذ تعتبر بداية التاريخ، ذلك اليوم المشئوم الذي بدأت به المسيحية. أجل، لماذا لا تكون بداية التاريخ هي نهاية المسيحية؟ إذن فلنحسب القرون والأجيال، ابتداء من اليوم، فإن يومنا هـذا هو يوم تحول مطلق للقيم والمعايير كلها»!

هكذا قال صاحب لوحة العهد الجديد، الذي آمن بالأرستقراطية المتطرفة، وانتهى به غروره إلى قمة الجنون البارد. وليس بدعاً أن يعتقد نيتشه في نفسه أنه مسيح العهد الجديد، فقد خيل إليه أن شريعة المسيح قد تهدمت على يديه، وأن عليه هو أن يقدم للانسانية شرعة جديدة يقيم بها بناء القيم من جديد! وقد قارن نيتشه بين نفسه وبين المسيح، وقدم نفسه في كتابه: «ها هو ذا الإنسان!»: Ecco Homo باعتبار أنه المسيح الجديد! وحينما كان الجنون قد أخذ يتسلل إليه، نراه يوقع خطابه الأخير إلى «براندس» بإمضاء «المصلوب»! Le Crucifié، وليس من عجب أن يعتقد نيتشه ذلك في نفسه، فقد توهم أن العمل الذي قام به في عالم الأخلاق والفلسفة، عمل فريد لم ينهض به أحد من قبل ... وأما مؤلفاته فقد اعتبرها من قبيل ذلك الوحي الذي يجيء به الأنبياء المرسلون، وإن كانت تختلف عنه في أنها وحي صادق لم تموهه الأكاذيب والأساطير! وتبعاً لذلك فقد تحدث نيتشة عن كل كتاب من كتبه، باعتباره حدثاً هاماً بالنسبة إلى العالم كله؛ ووسم واحداً من هذه

الـكتب باسم « الفجر » ، ظناً منه أنه هو فجر اليوم الجديد الذي طلع على العالم بأسره !

وحينما نظر نيتشه إلى عالم القيم Valeurs ، ألفى أن النقد السائد فيه نقدٌ زائف بهرج ، فأعلن بقوّة وحماسة أن الوقت قد حان لتغيير مادة ذلك النقد وصورته معاً ... أجل ، إن الإنسانية قد أخطأت حتى الآن في كل قيم الحياة التي اتخذتها لنفسها ، فلا بدّ من أن يأتي مشرّع هذا العصر ، فيقدم لها صورة صادقة للحياة الوحيدة التي يمكن أن تـكون جديرة بأن يتحمل المرء في سبيلها مرارة العيش ! وقد نادى نيتشه بقيم الحياة الجديدة ، ثم هتف في نشوة وسرور : « إن آلاف الأجيال القادمة لن تُقْسِم إلا باسمي » !

وتضخّمَتْ في نفس نيتشه عاطفة الأرستقراطية ، فلم يلبث شعوره بنفسه أن تزايد ، حتى استحال إلى شعور مريض غير طبيعي . وليس أدلّ على انحراف نفسيته في هذا الصدد ، من أنه كان يعتقد أنه ينتسب إلى سلالة نبيلة من جنس سلافي ، كأن السلافيين جنس راق ليس أنبل منه ، وكأنما هو سلافيٌّ أصيلٌ حقاً ! — فهذا الألماني الذي تجري في عروقه دماء جرمانية خالصة ، كان يفخر طوال حياته بأنه ينحدر من أصل بولوني عريق ، هو آل نيتسكي Nietzky ؛ على حين أن أخته نفسها قد ذكرت أنه ليس في عروقه قطرة واحدة من الدم البولندي ! وهذا الإبن الذي أنجبه قسّيس ألماني من مقاطعة بروسية ، كان يتوهّم دائماً أنه ليس بألماني ! وقد كوّن عنده ذلك الأصل البولوني المزعوم فـكرة متسلطة idée fixe سيطرت على نفسه وكان لهـا تأثير كبير في حياته ، حتى لقد أصبح يخضع لها في كل تفـكيره وعمله

ولما كان النبيل البولندي — فيما يروى نيتشه — يفصل في الحـكم الذي يُصْدره مجلس بأكمله ، فيحكم عليه بجرة قلم واحدة أنه منقوض أو ملغى ، وبذلك ينسخ حكم ذلك المجلس بكلمة واحدة ، فقد شاء نيتشه أيضاً أن يقضي على كل ما حكمت به الإنسانية مثل هذا القضاء ، ومن ثم فقد تقدم في بطولة وإقدام ، وكتب تحت كل ما قضت به الإنسانية حتى الآن : « منقوض » ! ونحن نعلم أن كوبرنيكوس كان بولونياً ؛ وقد غير كوبرنيكوس نظام الـكون ، فلا بد أيضاً من أن يقلب نيتشه نظام الأفـكار والمعايير رأساً على عقب ، ولا بُدّ من أن يجمل الإنسانية تدور حول محور مما كانت تحتقره وترذله — وإذا كان شوبان Chopin البولندي (وهو في الحقيقة فرنسي أيضاً بحكم أن أباه كان فرنسياً) قد حرّر الموسيقى من التأثيرات الألمانيـة ، فإن نيتشة لا بد أيضاً أن يحرر الفلسفة من هذه التأثيرات الألمانية ! ولـكن كل ما فعله نيتشة في الواقع هو أنه عدّل فلسفة شوبنهور واتجه بها اتجاها خاصاً ؛ فلم يتجه بإرادة الحياة اتجاهاً تشاؤمياً ، ولم يَلْقَ ضروب التغير وما يجيء معها من ألوان الألم المختلفة بكلمة « لا » (كما فعل شوبنهور) بل اتجه بإرادة الحياة اتجاهاً تفاؤلياً ، وتقبّل كل ما يجيء به التغير من ضروب الألم . أما الذي جعله يعتقد أنه قد اتجه بالفلسفة اتجاها جديداً خالصاً ، فهو ميله إلى اعتبار نفسه رائد الإنسانية الأول ! فإن نيتشة حينما كان ينتج فـكرة من الأفـكار ، كان يتوهم أن أحداً قبله لم يسبقه إلى تصور تلك الفـكرة ؛ ومن أجل ذلك فإن كل عبارة من عباراته ، وكل قول من أقواله ، يرن في السمع كأنه كلمة الخالق : « ليكن نور » ! Fiat lux ، أي كأنما هو يستخرج عالماً من العدم !

وعلى الرغم من أن نيتشه قد انقض على الفلاسفة الألمانيين جميعاً ، فإنه قد اعتقد بمثل ما اعتقد به هؤلاء « ابتداء من هيجل حتى شوبنهور » وهو أن ليس في استطاعة أحد غيره أن يفهمه ! وفي كتابه « عدو المسيح » tudesques نجده يذكر أن اليوم الذي سيكون ملـكاً له إنما هو اليوم الذي يتلو الغد ... « إن هناك أناساً يولدون بعد موتهم ؛ وأنا أعرف جيداً ما هي الشروط التي لا بدّ منها ، لـكي يفهمني الناس : آذان جديدة تستطيع أن تتسمّع الموسيقى الجديدة ... أعين جديدة تستطيع أن تستشف الأشياء البعيدة . شعورٌ جديد يستطيع أن يتقبّل الحقائق التي ظلت صامتة خرساء حتى الآن . إن من يتهيأ لهم هذا كله ، هم وحدهم قرائي ، قرائي الحقيقيون ، المقدّرون لي منذ الأزل ؛ فماذا يعنيني عن الباقين ؟ إن الباقين هم الإنسانية (أو العامة ، فالمعنى واحد) ؛ ولا بد أن نسمو على الإنسانية في القوة ، ورفعة النفس ، والقدرة على الاحتقار » !

هذا هو نيتشه كما بدا لنفسه ، فقد اعتقد فيلسوفنا أنه ليس ثمة رجل يدانيه بين أهل عصره . وعلى الرغم من أن نظرته إلى نفسه لا تخلو من الصدق فى بعض النواحى ـ لأن شخصية نيتشه فى الواقع شخصية فريدة ، قلما يعثر المؤرخ على نظير لها ـ إلا أن فى هذه النظرة أيضاً شيئاً غير قليل من الإغراق والتهويل . ومهما يكن من شىء ؛ فإن قارىء نيتشه تتوزعه عاطفتان مختلفتان أثناء مطالعته لكتب فيلسوفنا : عاطفة الإعجاب من ناحية ، وعاطفة الشفقة والرثاء من ناحية أخرى (بالرغم من أن نيتشه قد اطرّح هذه العاطفة الأخيرة واعتبرها إهانة أو مسبّة) فنحن نجد لدى نيتشه ، وفى تضاعيف كثير من الأفكار السامية ، شيئاً ينطوى على الانحراف والشذوذ ، وهذا الشىء يستوقف أحياناً ، ويضيع على القارىء أروع التأثيرات العقلية والقلبية فى أحيان أخرى . وإذا كان نيتشه قد وسم كتاباً من كتبه باسم « مسألة فجنر ، مشكلة موسيقية » ، أفليس فى استطاعتنا نحن أيضاً أن نقول : « مسألة نيتشه ، مشكلة مَرَضيَّة » problème pathologiue

زكريا ابراهيم

فى رمضان . . .

للأستاذ منصور جاب الله

لكل أمة مواسمها وأعيادها ، وللمسلمين فى رمضان موسم حافل جليل ، فأما حفوله فيرجع إلى أن له طابعاً يمتاز به على سائر الشهور ، فله مطاعم خاصة ومشارب خاصة لا تلذها الأعين فى غير أيامه ، ولا تشتهيها الأنفس إلا فى صيامه ، وهو بعد موسم التجارة ونفاق الأسواق ، وزيادة الكسب ، وتضاعف المرابح ، فكم من تجارة معطلة أو بضاعة مزجاة تجد فى غضونه موسمها الرائج ، وعصرها الذهبى ، وكم من صناعة يحييها رمضان من العدم ، وتبقى ما بقيت أيامه ، فإذا مضى انقضت بانقضائه ، وأمست فى قرارة النفس منها ذكرى

فهو ولا غرو شهر تحيى فيه النفوس وتستمتع به القلوب والعيون ؛ وإذا كان رجل التقوى والورع يجد فيه متاع نفسه ولذتها ، فرجل الفن ولا ريب واجد فيه طلبة روحه وبغيتها ، فللحكمة فيه بلاغ ، وللتذكرة مساغ ، وللفكاهة تطريب ، وللعلم ترغيب . وإذا كان المسلم يجد فى رمضان متاعاً من جهة الدين والتقى ، فغير المسلم واجد متاعه من جهة الفن والملهى

وكم شهدنا صدقاناً لنا على غير الإسلام يطوون هذا الشهر المبارك صائمين نهارهم فإذا جنهم الليل عمدوا إلى فطور المسلمين متلذذين فرحين ، ولقد كان بعضهم يرى فى الإمساك عن الطعام مشاطرة لإخوانه المسلمين ، وحفاظاً على تقاليد البلد الإسلامي ، وتأدباً دون المجاهرة بالإفطار ، فرمضان من هذه الناحية قاس على المفطرين ، فما يُرى المرء مفطراً يطعم الطعام جهاراً نهاراً إلا أحس منه خروجاً على العرف ومخالفة مشنوعة للتقاليد ، قد تتاخم فى بعض الحين جريمة الاعتداء على المال أو العرض ! ولقد كانت الدولات الإسلامية فى ذرورها تعاقب المفطرين من غير عذر ، بإقامة الحدود عليهم ، وهكذا يكون عقاب المستهترين بدين الله وشعائر الدولة والخارجين على نظام الحكومة وتقاليدها ، ردعاً لهم وتماً لشهوات الناس المطوّحة بهم فى سبل من المنكر لا ترضى

وإذا كان قد رفع الحد عن المفطر لما تخاذلت الدولات الإسلامية ، وتداخل العنصر غير العربى فى إدارة الشئون ، فلقد بقى على الأيام الحد الأدنى ، فما أفطر بغير عذر إلا طريد مجتمع أو أضحوكة فى المجالس

وأما الآخرون من غير المسلمين فيصومون رمضان لا ورعاً ولا تقى ، ولكن يصومونه صوماً فنياً بمعنى أنهم لا يشعرون بالأحاسيس الوجدانية والنفحات اللدنية التى يستحسها الصائمون القائمون من المسلمين . وإنما يرون فيه حمية قامعة لا تحتاج إلى استشارة الطبيب ، وهم إذا يرون ألوان المطعوم والمشروب يتشهون ما تقع عليه العيون ، ويتحلب منهم اللعاب ثم يقبلون على الشراء وإذا هم يذكرون أنهم مأخوذون من تلقاء أنفسهم بالحمية والامتناع من مزاولة الطعام والشراب ، فيمضون فى الحمية إلى غاية النهار ، يروضون النفس على قوة الإرادة . وتلك هى « فنية » الصوم عند الصائمين المشاطرين من غير المسلمين

على أن للصوم حكمة تسمو على « الفن » يستشعرها الصائم

صوماً حقيقياً لا أثر فيه للرياء ولا للمكابرة ، وتلك هى المقصودة من قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فما يبعث الصوم إلا على التقوى ، وما يستثير فى النفس غير الورع والرثاء لحال ذوى الخصاصة والمخمصة والفقراء والمساكين ، وما تشمر النفس إلا بالحدب على هؤلاء ، وإيثارهم بالصدقة ، وبرهم بالزكاة

وإن الله جلت قدرته لعليم بما يضار به الصائم وما يلحقه من أذى إذ يترك - بأمره تعالى - طعامه وشرابه ، ويقتسر اقتساراً على هجران كيوفه ولذاذاته ، وما كانت تلك منه إلا بمنزلة النفس يتردد ، أو القلب يتحرك !

فهذا وهذا يجتمعان على النفس ، ويأتلفان على الروح ، مما يصعب فى قليل أو كثير على الناس ، ولكن لا مناص لهم من هجران مطاعمهم وكيوفهم وإذلال نفوسهم ، حتى تعرف النفس الناعمة الراضية مقدار ما يعانى أهل المخمصة من ألم الجوع وحرارة العطش وأوصاب المرض وبرحاء الألم

وهذه ، ولا ريب حكمة تسمو على كل حكمة ، وما تخفى مراميها على أحد سبر كنه الصيام

والصائمون وكثير ما هم ، أتراهم يحسون حكمة فى الصيام ؟ لعل كثرتهم الكثيرة لا ترى فى الصوم إلا أنه ضرب من التسلية والتلهى ؛ فلا نشق الشهر الأطول إلا بنهار نؤوم وليل ماجن ؛ فإذا جاء العيد انقلبوا فكهين . وعادوا إلى ما كانوا يقارفون من فنون الفطر . وكأن هؤلاء ما صاموا ولا طووا النهار عطاشاً جائعين

ولقد تجد فرداً من الناس اقتعد من الناس مكان الصدارة ، وتبوأ كرسى الرياسة ، وإذا به يستفتح مجلس اللغو ، مرسلاً لسانه يخوض فى عرض هذا ويثلم شرف هذا وينحى باللوم الشديد على هذا ، حتى إذا وقف لسانه فى حلقه من شدة التعب — تعب الكلام وتعب الصيام — ونال من كل الناس مبتغاه وقضى من كل ما يريد وطراً . رفع بصره إلى السماء وصاح فى ورع متكلف « اللهم إنى صائم اللهم إنى صائم » ، وكأن هذه العبارة فى عرفه تجبُّ كل ما سبق ، وتنسخ سائر ما قبلها ، وتفتح له باب السماء ، وتكون توبة نصوحا يلقى بها وجه الله راجحة حسناته سيئاته ، وما هذه إلا صورة لا تخفى من صور رمضان ، وما زلنا فى حاجة إلى استيعاب غيرها من الصور ؛ فالكلام فى رمضان لا يتناهى عند حد ، والكلام فيه لا يمل له دفع ولا رد .

ونخلص من هذا إلى القول بأن رمضان فى هذه الأيام العصيبة التى أخذ الناس فيها يدركون معنى الإسلام الحقيقى .

وتقدمت فيها الصفة الإسلامية للدولة ، إلى مقام الصدارة من سائر بلدان الإسلام ، نقول إن رمضان قد أصبح فى هذا العهد ذا صفة بارزة محسوسة ، إن كاد ليكون شيئاً مادياً تلمسه الأيدى وتراه العيون ، وإن كاد ليأخذ بتلابيب المفطر ليدله على احترام شعائر الله وأداء فرائضه . وما هذا إلا من بشائر التوفيق ونصرة دين الله .

منصور جاب الله

على هامش الغفران

للأستاذ كامل كيلانى

[مقدمة كتاب « على هامش الغفران » الذى يصدر فى أول سبتمبر بمناسبة العيد الألفى لأبى العلاء المعرى]

تمهيد

١ – شجر الحور

صوّر فيلسوفنا « أبو العلاء » فيما صور من روائع أخيلته فى « رسالة الغفران » ما لقيه صاحبه فى موقف الحشر – قبل أن يؤذن له بدخول الفردوس – وما كابده يومئذ من شدائد وأهوال ، يتضاءل بالقياس إليها كل ما قاساه فى حياته الأدبية من عناء البحث والدرس . ثم صور ما نعم به – بعد ذلك – فى رحاب الفراديس من أطايب ولذائذ مرتقيات ، يتضاءل – بالقياس إليها – كل ما يبهج الأديب فى أفقه الفكرى من متع عقلية ، ومعان فلسفية ، وصور بيانية . ثم تمثل فيلسوفنا صاحبه وقد رافقه فى دار الخلد ملك كريم ، فجعل يريه من رياض الجنة عجائب ، لا يعرف كنهها إلا الله سبحانه . وثمة قال الملك :

« خذ ثمرة من هذا الثمر فاكسرها ، فإن هذا الشجر يعرف بشجر الحور »

فيأخذ سفرجلة ، أو رمانة ، أو تفاحة – أو ما شاء الله من الثمار – فيكسرها ، فتخرج منها جارية حوراء عيناء ، تبرق – لحسنها – حوريات الجنان »

٢ – قارئ الغفران

ثم التفت فيلسوفنا إلى قارئ رسالته ، وقد خشى أن تحول غرابة بعض ألفاظها بينه وبين دخول فردوسه الأدبى البهيج واجتناء ثمار جنته الفكرية ، فقال :

وإنما أفرق (أفزع) من وقوع هذه الرسالة فى يد غلام مترعرع ، ليس – إلى الفهم – بمتسرع ، فتستعجم عليه اللفظة (يستبهم معناها ويستغلق فلا يتبينه) فيظل معها فى مثل القيد ، لا يقدر على العجل (السرعة) ولا الرُّوَيد (المهل)

٣ – ترجمة النصوص

وما أجدرنا أن نستشعر – من الإشفاق والحذر – أضعاف ما شعر به فيلسوفنا – قبل مئين عشر من السنين ، وأن نزيد ، إلى شرحه – أضعاف ما أثبته ، وأن نترجم نصوصه إلى الأسلوب المصرى ، وأن نصنع بها صنيعنا فى أجزاء « حديقة أبى العلاء » و « رسالة الهناء » ، حتى لا يضجر شبابنا الذكى بما يعترض طريقه إلى هذه الجنات الفكرية – بين خطوة وخطوة – من صخور وهضاب ومتاعب وصعاب ، إن كانت تؤمن معها العثرات ، فلا مرية أنها – على الأقل – معوقات

٤ – فى صحبة المعرى

ولا أكتم القارئ أنى – كلما امتدت بى صحبة هذا الفيلسوف الموهوب ، ورأيت إقبال الخاصة على أدبه الصادق وخياله الأصيل – وجدت لذلك فى نفسى غبطة لا يعدلها إلا غبطتى بما أكن من حب وتقدير لهذه الشخصية العالمية الفذة التى تفتن الباحث بما انفردت به من الخصائص والمزايا ؛ فيؤثرها على غيرها من الشخصيات – فى عالم الفكر والبيان – ولا تلبث عبقريتها أن تملك عليه من مذاهب التكريم والإعجاب قدر ما ملكت آثارها الرائعة من مذاهب الجودة والإبداع .

٥ – تبسيط الآثار العلائية

وإنه ليطيب لى أن يكون فى موالاة الحديث عن « أبى العلاء » تجلية لما بقى فى أيدينا من روائعه بين قراء العربية ، وإذاعة لخصائص ذلك الفكر النفاذ بألمعيته إلى أسرار الكون ودقائق الحياة ، المؤيد بقدرة ساحرة على التصور والتصوير ، وتملك شامل لناحية اللغة فى الإبانة والتعبير .

ولست أشك فى أن تبسيط هذه الكتب العلائية ، وترجمة جمهورها إلى الأساليب العصرية ، سيخلق من المتأدبين أشياعاً جدداً لأبى العلاء ، ومريدين عارفين بدقائق مراميه ، وغوامض أهدافه ومعانيه ، ونصراء لأدبه الرفيع ، وصحابة يؤمنون بفنه العالى ، فلا يلبث صاحب « الغفران » و « اللزوميات » ،

و « الفصول والغايات » أن تزف إليه مكانة الصدر التى ينفرد بها بين قادة الفكر العربى غير منازع

٦ — جزاء العاملين

وقد تضافرت الحوافز البعيدة ، والجهود الموفقة الرشيدة ، على استثارة هذا الكنز العلائى الذى كان مغيباً فى ظلمات الأيام ، وكان هذا دليل اليقظة الأدبية الصادقة فى هذا العصر ، كما أسلفنا القول — منذ عشرين عاماً أو تزيد — فى مقدمة اللزوميات ، كما كان هذا التقدير خير جزاء للعاملين

٧ — صديق وأستاذ

لقد كان من دواعى السعادة التى ظفرنا بها فى مستهل حياتنا الفكرية ، أن شببنا ونحن شديدو الولوع بهذا الأديب الموهوب ، وما زلنا مأخوذين بما نظم ونثر ، نديم التفكير فى فلسفته العالية التى تمتح من قريحة صافية ، مفتونين بنظراته التى تمدها بصيرة كأنما أودعها الله حرارة كوكب آلى لا يفتأ يشع ، حرصاء على استنفاد الوسع فى تقصى بدائعه . فكان « أبو العلاء » لنا — منذ نشأتنا الأدبية — صديقاً بل أستاذاً لا نريم مجالسه ، ولا نمل حديثه ، فما نزال نبدى فى روائعه ونعيد ، حتى لقد أفقدتنا تلك الروائع كراهة الحديث المعاد .

والحق أن الاستماع إلى البيان الساحر كالنظر إلى الجمال الساحر ، كلاهما أخاذ يستولى على نفس الرائى والسامع جميعاً ، متجدد الفتنة أمام أعينهما أبداً ، كأنما عناه « ابن الرومى » حين قال :

« ليت شعرى إذا أعاد إليها
كرة الطرف مبدىء ومعيد
أهى شىء لا تسأم العين منه
أم لهـا — كل ساعة — تجديد
بل هى العيش لا يزال ـ متى استه
مرض ـ يجلو غرائباً ويفيد »

٨ — سحر البيان

ولولا هذا السحر الذى غمر نفوسنا من الأدب العربى ، وذلك الولاء الذى طوينا عليه جنوبنا للفن العلائى ، لما تيسر لنا أن نظفر بتذليل ما لقيناه من المصاعب فى تحقيق النصوص الكاملة لرسالتى الهناء والغفران ، وترجمتهما ـ مع ما ترجمناه من رسائله الأخرى وأشعاره ـ إلى الأسلوب العصرى .

٩ — حوافز ومرغبات

وكان من الحوافز التى زينت لنفوسنا هذه الفكرة التى ترمى إلى تقريب البيان العلائى ، من أذهان الجمهور العربى فى عصره العتيد ، أننا عنينا — من قبل — بترجمة طائفة من روائع كتاب الغرب وشعرائه ، وكان لما نقلناه من أدب « شكسبير » حظ من الإقبال والتقدير ، بعيد المدى عظيم التأثير ، جدير بعبقرية هذا الشاعر العالمى الكبير

١٠ — ترجمة إنجليزية

ثم يسر الله لنا — من بعد — أن نتعاون مع الأديب الإنجليزى المترجم . براكنبرى على إخراج ترجمة إنجليزية لرسالة الغفران مقتبسة من الطبعة الثالثة ، وترجمة ثانية مقتبسة من « حديقة أبى العلاء » ، وقد ظهرت الأولى ؛ فلقيت من أدباء الغرب ومفكريه ما هى خليقة به من الإعجاب والإطراء . وسنتبعها الثانية بعد قريب .

١١ — درر فى أصداف

وما أحق هذا ، بأن يوحى إلينا أن يكون الأدب العلائى قريب الجنى ، عذب المنهل ، لكل وارد عربى ، يسمع بالمعرى ، ويعلم مكانته وعبقريته ، ثم تحول الحوائل بينه وبين الاستمتاع بما ترك من روائع الفكر ، وخوالد الأثر ، إذ ألف ذلك العربى أسلوبنا العصرى ، وتصعب عليه ما سواه من تليد البيان ، ويوده أن تتفتح له الأصداف عن غوالى الدرر ، وتتكشف له الأقنعة عن واضح الغرر

١٢ – تجلية الغامض

وما أجدر رواد الأدب العربي عامة والأدب العلائي خاصة أن يطيلوا الروية والجلاد والمصابرة ليتسنى لهم الاهتداء إلى حل طلاسم التحريف التي عقدتها أنامل النساخ، وتجلية الغامض من العبارات، وتحقيق المشكل من المفردات، والتعليق على المعاني بما يؤيدها من شعر «أبي العلاء»، حتى يستعين القارئ بذلك كله على استطلاع وجوه الرأي في أغراض ذلك المفكر العبقري، واختلاف الصور في شعره وضوحاً وغموضاً، وإجمالاً وتفصيلاً، ولكي يصبح ذلك كله باباً من أبواب البحث الأدبي، وهو لا ينفتح إلا بطول الاستقراء، واستحثاث الملاحظة، وإذكاء الفطنة.

١٣ – عرائس الخيال

وإن ذلك ليستعصى على الباحث إذا لم نحبب إليه ملازمة أبي العلاء، فنوضح له من أسراره ودقائقه ووجوه آرائه، ما يستغلق على من يكتفي بالنظرة العابرة، والخطرة الذاهبة. ومتى ظفرنا بتحقيق هذه الغاية، أنس القارئ بفيلسوفنا، وأحسن معه الصحبة، فلم يضجر بأسلوبه، ولم ينفر من غرابته، ولم يجد في فردوسه من الثمار إلا ما وجده «ابن القارح» في جنة الحور، فلا يكسر منها ثمرة إلا خرجت منها عروس أخاذة من بنات الأفكار، بارعة الجمال، تبرق (تتحير) – لحسنها – أبكار المعاني وعرائس الخيال.

١٤ – أغراض الهامش

وقد جعلنا هـذا الهامش تبياناً لما أحاط برسالة الغفران من ملابسات، وما بعث عليها من دوافع، حتى يأنس القارئ بجلية خبرها، فيما يطالع من صورها. وعقبنا على ذلك ببسط جمهرة من الأغراض العلائية البعيدة الأغوار، مما لم يتسع له تعليقنا على النص الكامل الذي توخينا في شرحه ما وسعنا من قصد وإيجاز.

***

وقصارى رجائنا أن تكون فصول هـذا الهامش وأجزاؤه عوناً لشبابنا على تفهم ما استسر من مغالق الغفران وخباياها، ورائداً يكشف لهم ما دق من غوامضها وخفاياها، وهادياً يؤمنهم مخاوف الطريق، إلى روائع هذا الكنز السحيق، ويقفهم على مرامي هذا الفيلسوف البارع، ويجلو لهم بدائع لفتاته وأمثلته، ومفاتن صوره وأخيلته، ويسلمهم مقاليد فلسفته.

١٥ – ذهب ونحاس

وقد أضفنا بما ترجمناه وقبسناه وشرحناه – كما أسلفنا القول في «حديقة أبي العلاء» – إلى ما يحتويه المنجم العلائي من حر ذهبه الأصفر، قليلاً من النحاس الأحمر، ليصبح كالعملة الذهبية الحديثة، أقرب تداولاً، وأدنى تناولاً، وأيسر جدوى.

كامل كيلاني

في مؤتمر المحامين العرب

وزير مصر ممهد للوحدة العربية

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

التعارف سبيل التآلف في الميول والرغبات ، والتفاهم على المقاصد والغايات ، والأخذ بأسباب المودة الوطنية الأكيدة ، وإذا قلت التعارف فلست أقصد ما يجرى من ذلك على الأوضاع الرسمية والتقاليد الدبلوماسية ، وإنما أعنى التعارف الذى تتقارب به الأرواح ، وتمتزج فيه العواطف ، وتتضامن به الفكر والغايات ، فيكون كل فرد فى دائرته قِبلة صاحبه ووجهته ، ويكون الجميع فى هذه الدائرة حلقة متماسكة لا تنفصل ، وقوة متساندة لا تاين ، ووجهة واحدة فى تحقيق الخير الشامل والصالح العام

هذا التعارف أحوج ما تكون إليه الأمم العربية ، وهى فى هذا الطور تنشد الوحدة بين أفرادها ، والتعاون بين حكوماتها ، والتآلف بين أبنائها ، والتضامن القوى الجميع فى تحقيق الآمال المشتركة والأغراض المتفقة والغايات المنشودة . وإذا كانت تلك الأقطار ظلت نحو ربع قرن من الزمان وهى تكافح فى هذا السبيل ، فإن كل أمة بقيت فى هذا الكفاح محصورة فى ميدانها ، ولم يكن يربطها فى ذلك إلا زيارة وزير تجرى على الوضع الرسمى ، أو نقلة كبير يقوم بها عابر سبيل إن صح أن يكون هذا رباطاً بين الأشقاء الخلصاء .

وفى الفترة الأخيرة فطنت الأمة العربية إلى ما يجب عليها فى هذا الشأن من توطيد التعارف وتبادل العواطف ، ورأت أن خير ما يؤدى إلى هذا السبيل هو عقد المؤتمرات العامة ليلتقى بذلك قادتها وزعماؤها ، وليكون مدعاة تقاربها وامتزاجها بما يتم من تبادل الرأى وتضامن الأفكار فى تحليل المسائل الهامة وتذليل العقبات الصعبة ، والتغلب على ما يقف فى سبيل نهوضها . وإننا لنكتب هذه السطور وقلوبنا مفعمة بالغبطة والبهجة لمقد مؤتمر المحامين العرب الذى دعت إليه سوريا ، فتم على صورة رائعة موفقة دلت على الصدق والإخلاص فى الأخذ بأسباب نهضة شاملة ووحدة جامعة ، ويقظة تملأ النفوس والقلوب ، وإذا كانت سوريا قد أحسنت فى الدعوة إلى عقد هذا المؤتمر الهام فى هدفه وغايته ، وإذا كانت قد أحسنت مرة أخرى ، إذ دعت إليه جهابذة القانون وعلماء التشريع فى مصر ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ، فنهضوا إلى تلبية دعوتها الكريمة فخورين مبتهلين ، فإن مصر قد أحسنت من جانبها كل الإحسان ، إذ رأت أن يكون رئيس الوفد المصرى فى هذه السفارة وزير العدل ، ثم أحسنت كذلك مرة أخرى إذ اختارت صاحب المعالى الأستاذ محمد صبرى أبو علم باشا بذاته ، ليكون رسول أمته فى تبليغ أمانيها وتوضيح غاياتها بين وفود العروبة فى هذا المؤتمر ، فإنه بعقله وحكمته ، وبما حباه الله من سعة الإدراك والمواهب ، وبما تم له من شرف السمعة وقوة الخبرة أبلغ ما يكون فى تبليغ الرسالة ، وأقدر ما يكون لحمل الأمانة ، وأوفق ما يجب لتمثيل مصر الزعيمة بين وفود الأقطار الشقيقة

أحسنت مصر كل الإحسان ووفقت حكومتها كل التوفيق فى اختيار معالى صبرى باشا فى هذه المهمة نظراً لما اكتمل بشخصيته من بلاغة الحجة ، وبراعة التعبير ، ودقة البحث وعمقه فى ميدان التشريع ، ثم هو فى ميدان الدعوة للعربية يمتلئ غيرة وحماسة ، ويتدفق إيماناً بالحق ويقيناً بالصدق ، مما وسع له فى المنزلة والمكانة فى قلوب أبناء الأقطار الشقيقة ؛ فكلهم له أخ وصديق ، وهو لهم جميعاً أخ وصديق ، لهم فى قلبه وفى نفسه ما له فى قلوبهم وفى نفوسهم ، ولا ريب أنه كان يعبر عن ذات نفسه أصدق تعبير ، إذ قال عند سفره : « إننى بانتقالى إلى سوريا أنتقل إلى قطعة من مصر وأهل هم من أبناء مصر » ، لأنه هكذا يرى فى كل قطر من أقطار العربية وهكذا إحساسه نحو أبناء العروبة .

ولقد كانت لفتة بارعة من هذا الفطن اللبق ، إذ تقدم إلى فخامة رئيس الجمهورية السورية بهدية متواضعة فى قيمتها ، ولكنها عظيمة فى دلالتها . أجل لقد قدم إلى فخامته مسبحة

حجازية ، وماذا تكون قيمة المسبحة مهما بلغت ، إلا أنها جلب من الحجاز الشقيق ، فهي إشارة لها مغزاها ومعناها في الحرص على جمع الشمل ، وتوطيد الوحدة الجامعة ، وإلا فما كان أهون على الوزير أن يختارها هدية منسوبة إلى مصر ، ولكنه يرى أن مصر والحجاز وسوريا وسائر الأقطار الشقيقة كلها وطن العروبة ، وكل ما فيها عام للجميع .

بهذا الشعور الفياض الدافق قصد معالي صبري باشا إلى ملاقاة أبناء العروبة في سوريا ، وبمثل هذا الشعور اليقظ النابض تلقوه مرحبين مبتهجين يرون في صورته صورة مصر الزعيمة الأمينة ، ويلمسون في إحساسه الشريف إحساس مصر الصادقة الغيور ؛ فهو ينزل فيهم على الرحب والسعة ، ويمشى على الإكرام والتكريم ؛ فاستقبله فخامة الرئيس استقبالاً يفيض بالمحبة والمودة ، ودعاه الوزراء والكبراء إلى حفلات تكريم هي مظهر الصداقة والأخوة ، وصدرت الصحف كلها مزدانة بصورته ، تطرى فيه عالماً جليلاً وقائداً مجاهداً ووزيراً مشرعاً ورسولاً كريماً من الكنانة الخالدة إلى شقيقتها المحبة المخلصة ؛ فماذا يكون هذا كله وما الغرض منه والدافع إليه إلا أنها عواطف أبناء العروبة ، نضجت على الأخاء واستوت على الرخاء ، وإلا أنها منزلة كريمة لمصر بين شقيقاتها من الأمم يرفع لواءها زعيم مصر ويؤدى رسالتها وزير مصر

لقد تجلى هذا الشعور كأوضح ما يكون في موقف الوزير في حفلة افتتاح المؤتمر ليؤدى تحية النيل — على حد تعبيره — إلى بردى والفرات وفلسطين ولبنان وشرق الأردن مقرونة بالإعجاب وعرفان الجميل . فلم يقف في أداء هذه التحية عند واجب المجاملة الكلامية ، بل ولم يقف عند الحدود المرسومة لمباحث المؤتمر ومداولاته ، ولكنه امتد في التحية بما تطمع إليه مصر وما ترجوه لشقيقاتها من الخير وما تتمنى أن يكون من عقد المؤتمرات النافعة المثمرة ، إذ قال في خطبته موجهاً الخطاب إلى فخامة رئيس الجمهورية السورية ورجال حكومتها الأماجد وأعضاء المؤتمر :

يا فخامة الرئيس

يجتمع حولك في هذه القاعة ممثلو البلاد العربية ، وإن اجتماعهم في هذه الظروف وفي هذه المناسبة لفياض بالمعاني ، جياش بالحقائق ، هاتف بالرجاء في المستقبل ، عازف بألحان الأمل البسام ، هابط برسالة المجد والسلام ، ناشر لصحيفة من الصحف الأولى ، صحف الأولين الخالدين من أبطال التاريخ العربي المجيد

نجتمع هنا في هذه القاعة حاملين إلى فخامتكم ، وإلى حكومتكم ، وإلى كل أمة ممثلة هنا صورة من الآمال التي تحدونا ، وآية من المجد الذي ينادينا ، ونوراً من الإصلاح الذي نعمر به نوادينا ، نجتمع لا لنستلهم مجداً فردياً . ولا لنستمطر السماء على بلد دون آخر . إن لساننا ليهتف مع الشاعر العربي إذ يقول :

ولو أني حبيت الخلد فرداً لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا

وإن الوحدة التي يبغيها المحاون المجتمعون هنا للتشريع هدفاً وغاية هي صورة مصغرة للوحدة التي تبتغيها الأمم العربية في الحياة مثلاً أعلى وحصناً تحتمى فيه عند كل ملمة ، وبقدر ما يصادف هذا المؤتمر من توفيق ونجاح تتفتح أبواب الخير لمشروع الوحدة العربية ، وإننا إن شاء الله لواصلون إلى تحقيق هذا المشروع ؛ فإن مشروعاً عظيماً كهذا تحقق من حوله قلوب الملايين من أبناء الأمم العربية داعية متهللة وتتولاه أيدى كرام الزعماء الذين وضعوا أيديهم في يد زعيم مصر رفعة مصطفى النحاس باشا بعد أن عاهدوه على العمل لإنقاذه وجعله حقيقة لمشروع مكتوب له التحقيق والتوفيق إن شاء الله

وهذا كلام طيب يملأ كل نفس مخلصة بالغبطة ، ولقد كان وقعه في نفوس المؤتمرين جميلاً إذ قابلوه بالتصفيق والهتاف تحية لمصر المجاهدة وتقديراً لوزيرها الصادق الأمين وإكباراً لطموحها الموفق السديد ، ولن يسع كل عربي مخلص إلا أن يكبر المعنى المقصود في هذا الكلام وأن يسأل الله تحقيق الأمل فيه .

محمد فهمي عبد اللطيف

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٩٢ — وإذا المودة أقرب الأنساب

في الأغاني: قال طوق بن مالك للعتابي: أما ترى عشيرتك — يعني بني تغلب — كيف تُدل عليّ، وتتمرغ وتستطيل وأنا أصبر عليهم

فقال العتابي: أيها الأمير، إن عشيرتك من أحسن عشرتك، وإن عمك من عمك خيره، وإن قريبك من قرب منك نفعه، وإن أخف الناس عندك أخفهم ثقلاً عليك وأنا الذي أقول:

إني بلوت الناس في حالاتهم	وخبرت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً	وإذا المودة أقرب الأنساب

٥٩٣ — إذ صار بيدي ساعة واحدة

قال الحسن بن علي بن حسين لامرأته عائشة بنت طلحة: أمرك بيدك

فقالت: قد كان عشرين سنة بيدك فأحسنتَ حفظه، فلن أضيعه إذ صار بيدي ساعة واحدة، وقد صرفتُه إليك. فأعجبه ذلك منها وأمسكها

٥٩٤ — دية المسيح

«عيون الأخبار»: ولي أعرابي[1] بعضَ النواحي، فجمع اليهود في عمله وسألهم عن المسيح، فقالوا: قتلناه وصلبناه

قال: فهل أديتم دِيَته؟

قالوا: لا

قال: فوالله لا تخرجون أو تؤدوها، فلم يبرحوا حتى أدَّوْها

(١) في «العقد»: هو أبو مهدية، ولي جانباً من اليمامة، وكان به قوم من اليهود أهل جدة. (قلت) الجدة: الغنى. والواجد: الغني

٥٩٥ — تمثالا تدمر

قال أبو دلف في التمثالين اللذين في تدمر:

ما صورتان بتدمر قد راعتا	أهل الحجى وجماعة العشاق
غبرا على طول الزمان ومرِّه	لم يسأما من ألفة وعناق

وقال محمد بن الحاجب يذكرهما:

أتدمر، صورتاك هما لقلبي	غرامٌ ليس يشبهه غرام
أقول من التعجب: أي شيء	أقامهما فقد طال المقام
يمر الدهر يوماً بعد يوم	ويمضي عامُه يتلوه عام
ومكثُهما يزيدهما جمالاً	جمال الدر زيَّنه النظام!

وقال أبو الحسن العجلي:

أرى بتدمر تمثالين زانهما	تأنق الصانع المستغرق الفطن
هما اللتان يروق العين حسنهما	يستعطفان قلوب الخلق بالفتن

٥٩٦ — فكلفتنا ضيق الضمان

كلم رجل آخر في أن يؤخر شيئاً على غيره، فقال: اضمنْ أنت عنه

فقال: أردنا منك سعة المهلة فكلفتنا ضيق الضمان.

٥٩٧ — ترى النص إلا أنها تتأول

الوزير عون الدين بن هبيرة:

يلذ بهذا العيش من ليس يعقل	ويزهد فيه الألمعي المحصل
إلى الله أشكو همة دنيوية	ترى النص إلا أنها تتأول

٥٩٨ — هذا هو الحر الذي ينبغي أن يصطنع

نفح الطيب:

لما ورد ابنُ القراء الأخفش على المرية مدح رفيعَ الدولة ابن المعتصم. فقال له من أراد ضرَّه: يا سيدي، لا تقرِّبْ هذا اللعين، فإنه قال في اليهودي:

ولكنَّ عندي للوفاء شريعة	تركتُ بها الإسلامَ يبكي على الكفر

فقال رفيع الدولة: هذا (والله) هو الحرُّ الذي ينبغي أن يُصطنع. فلولا وفاؤه ما بكى كافراً بعد موته، وقد وجدنا في أصحابنا من لا يرعى مسلماً في حياته.

مآثر النـــور . . .

شعر علمى

للأستاذ نقولا الحداد

أما خلق الضياء لنا العيونا　　　وشقّ لها عن المُقَل الجفونا[1]

رسولُ النور يستدنى الأقاصى　　　وعنها يشرح الخبر اليقينا[2]

جمال الـكون لاح بوجنتيه　　　وداجى هجره طمس الظنونا

إذا ما غاب لم يفقد ضريرٌ　　　بصـيرته ويعمى المبصرونا

بدت صُحُفُ الضيا تطوى رسوماً

بدائعَ ثم تنشرها فنـــونا[3]

ودَبَّجتِ المروجَ الخضرَ لما　　　طلت أزهارها لوناً فلونا[4]

فما بين احمرار وازرقاقٍ　　　تموّجت الأزاهرُ يُزْدَهَيْنا

فيالك من شِعاعٍ[5] ناظماتٍ　　　قصدَ الروض يسحرنا فتونا

(١) بمقتضى نظرية التطور ، تنشأ أعضاء الجسم الحى حسبما تقتضيه عوامل البيئة . وفى رأى داروين وسبنسر وغيرهما أن حاسة البصر كانت فى الأحياء الدنيا كالديدان مثلا فى سطوح أجسامها . فترى دودة الطين التى يستعملها صيادو السمك طعما فى سنارتهم — تراها متى ظهرت للنور تتلوى كأنها ميزت بين النور والظلمة ، وهى لا عين لها . وعلى تمادى التطور ، تجمعت حاسة البصر فى الحيوانات الفقارية فى بؤرة واحدة أو « بؤرتين أو أكثر » وهى العين ، فبهذا المعنى ابتدع النور العين

(٢) النور الذى ينعكس عن الأجسام ، يأتينا بأخبار صفاتها المرئية ، كاللون والحجم والحركة والمسافة الخ ... والنور الذى يصدر من الأجرام السماوية يأتينا بأخبار ما فيها من عناصر ولمعات وحرارة ، وما لها من سرعة واتجاه الخ .. والشطر التالى تلميح لهذا

(٣) كأن النور صحائف ، ترسم فيها صـور الأشياء المختلفة والفوتوغرافية مثل لهذا

(٤) الثابت علميا أن الألوان ليست فى الأشياء التى نراها ، بل هى فى الجهاز العصبى البصرى وفى المراكز الدماغية ، وإنما يختلف لون عن لون باختلاف تأثير موجات الأشعة فى العصب البصرى وموجات الأشعة المنعكسة عن الأشياء تختلف بالطول والعدد فى الثانية (كموجات الراديو) فأطولها يفعل اللون الأحمر وأقصرها اللون الأزرق . وحاصل القول أن موجات النور تبتدع الألوان

(٥) شعاع بكسر الشين جمع شعاع بضمها

فموسيقى الضياء تريك نقشاً　　　وموسيقى الأفانين الأنينا[1]

إذا هبَّ النسيم وفاض ضوءٌ　　　تهللت الربى وصفت معينا

وإن غمَرَ الرياضَ سنا ذكاء　　　تفجرتِ الحياةُ بها عيونا

وحيَّتها الطيـور مغنياتٍ　　　وقد رقصت حدائقها غصونا

أيا قمراً يريدُ سناك يحوى　　　رسالاتِ الهوى للعاشقينا

وعندكِ تلتقى الأبصار تروى　　　إذا أصغيتُ عن مهجٍ شجونا

فـكم من عاشق ناغاكَ وجداً　　　وكم من مدنف ناجى حزينا

ألم يُمْـلأْ سجلاتُكَ من قضايا

غرام مسامريك مدى السنينا ؟

فما فتواكَ فى شيخ تصابى　　　وهام بكاعبٍ بكرٍ جنونا

أتأتلف الحمامةُ مع بعيرٍ　　　وتألفُ ظبية بغـلاً حَرُونا

ألا سل جدة الأقمار[2] ماذا　　　دهاها حين قاربت العرينا

بدا الضرغام يكبرها ألوفاً　　　تهادى نحوها يمشى الهوينا[3]

وداعبهـا وراودها فعفت　　　فعاهدها يكون لها قرينا

فقالت : ويكَ لو زفوا لجَدِّ　　　حفيدَتَه وربك يكفرونا

وجاذبها إليـــه فدافعته　　　فمزق عن محياها الجبينا

فصدَّته وقد تفلت عليـهِ　　　تُفال الغيظ سجّيلاً وطينا

وما ركلته حتى فرَّ عنهـا　　　وأصبح من تغضبها أمينا

وقد بقيت قذائفُها لديهـا　　　كواكبَ دائراتٍ يُجتلينا

(١) قد يكون هـذا الشطر غامضاً . ولـكن اللبيب لا يغمض عليه المعنى ، وهو أن « موسيقى حفيف الغصون تسمعك الأنين حملا على موسيقى الضياء التى تريك نقشاً » ، وذلك لما بين الموسيقيين من التشابه . فلكل فيها سلم ، ذات سبع درجات — سبع نغمات وسبعة ألوان رئيسية .

(٢) جدة الأقمار الشمس وهى أم السيارات . ولبعض السيارات غير الأرض أقمار . فللمريخ قمران والمشترى تسعة أقمار ولزحل تسعة ولأورانوس أربعة ولنبتون قمر واحد

(٣) الرأى الأخير فى ولادة السيارات من الشمس أنه فى دهر من الدهور المتقادمة جداً ، اتفق أن مرت الشمس على مقربة من نجم أكبر منها ألوف الأضعاف . ففعل فيهـا بقوة الجذب مداً وجزراً ، كما يفعل القمر فى بحار الأرض . فارتفع قدر كبير من كتلتها ، وهى غازية ، كعمود ضخم . فقطعته قوة الجذب من الجانبين قطعاً ، ولما جاز النجم والشمس يتباعدان بقيت تلك الكتل المقطعة تدور حول الشمس سيارات ، وفى الأبيات التالية تلميح لـكل هذا

ولهذا الرأى تفصيل واف فى بعض مؤلفات السير تجايمس تجنيز ، وفى مقالة له فى دائرة المعارف البريطانية ، وهو أول من شرح هذه النظرية المسماة الرأى المدى Tidal Theory



في سبيل وحدة الوجود

قرأت الكلمة الأخيرة للأستاذ دريني خشبة في الرد على الأستاذ معروف الرصافي ، وهي كلمة لا تتسق مع موضوع البحث ، لأن الأستاذ دريني سلك فيها مسلك التحدي للأستاذ الرصافي ، وذلك مسلك لا أرتضيه في أمثال هذه المساجلات

وسبب هذه المعارك القلمية يرجع إلى آرائي عن وحدة الوجود في كتاب التصوف الإسلامي ، وكان المنتظر أن أقول كلمة في الفصل بين أولئك المتخاصمين ، ولكني سكتّ عن عمد ، لأن تلك المعارك اتجهت وجهة دينية ، مع أن نظرية وحدة الوجود نظرية فلسفية ، والدين يلاقى الفلسفة في حين ويفترق عنها في أحيان

كنت أستطيع أنْ أفصل بين أولئك المتخاصمين ، لأن كتابي سبب هذه الخصومة ، ولأني شغلت نفسي بدرس هذه النظرية عدداً من السنين ، ولكني رأيت أن أقف على الحياد ، لأن اشتراكي في المناظرة سيزيدها احتداماً إلى احتدام ، وسيسوقنا جميعاً إلى متاعب فكرية تزلزل العقول ، وتبلبل القلوب

أنا حاضر لخوض هذه المعركة من جديد ، ولكن أين الميدان ؟

سيتصدّى للرد عليّ ناس لا يفهمون مرامي كلامي ، كالناس الذين زعموا أني أنكرت إعجاز القرآن في كتاب النثر الفني ، مع أن آرائي في إعجاز القرآن هي الآراء الباقية ، وإن قال بعض الخلق إنها من الكفر الموبق !

لن أعيد القول في نظرية وحدة الوجود إلا يوم أضمن أن ينظر الناس لحرية الرأي ، كما كان ينظر المسلمون إلى تلك الحرية في عهد ازدهار المدنية الإسلامية

أما اليوم فأنا يائس من حرية الرأي ، فكل كاتب يحاول أن يكون واعظاً في مسجد ، أو راعياً في كنيسة ، كأن الفكر الحرّ من القيود لم يبق له مكان في هذا الوجود

والذي يهمني في هذه الكلمة الوجيزة هو دعوة الباحث الفضال الأستاذ دريني خشبة إلى اجتياز عقبات هذه المساجلة بأسلوب لا يجرح الأستاذ الرصافي ، ولا يصور الباحثين المصريين بصورة المتعنتين

وكنتُ وعدت بالرد على الأستاذ الرصافي ، وسأفي بما وعدت ولكن بالتجمل والترفق ، فما يجوز أن أجرح رجلاً شغل نفسه بتأليف كتاب يردّ به على كتابين من مؤلفاتي ، والأستاذ دريني يعرف أن الذوق هو خير ما دعا إليه الأنبياء

والمودة الوثيقة التي أضمرها للأستاذ دريني توجب عليّ أن أدعوه إلى الاقتصاد في الغض من نظرية وحدة الوجود ، فهي نظرية عبقرية ، وهي خير ما جادت به قرائح الفلاسفة في تاريخ الفكر الإنساني ، وليس من السهل أن تنهدم بمقالات يؤازره فيها الأستاذ عبد المنعم خلاف ، وإن بلغا الغاية في قوة الحِجَاج

أنا أحترم كل رأي يصدر عن عقيدة ، وإن أنكره عقلي ، ولا أحتقر غير الآراء التي تصدر عن الرياء

ومن المؤكد عندي أن الأستاذ دريني والأستاذ عبد المنعم يصدُران عن عقيدة في الغض من نظرية وحدة الوجود ، فأنا أنظر إلى ما يكتبان بعين المحب المعطوف

فإن قال قائل : وكيف جاز أن أسكت عن تأييد هذه النظرية والأقلام تنوشها من كل جانب ؟ فجوابي أني قلت فيها كل ما أملك من القول في كتاب التصوف الإسلامي ، وأنا أكره الحديث المعاد

وأنا أيضاً نقضت هذه النظرية بعد أن شرحتها في كتابي ، لأن طريقتي في التأليف تقوم على أساس الاستقصاء في موازنة الآراء

وهنالك مشكلة سكت عنها الأستاذ دريني ، وهي تأثير تلك النظرية في الحياة الإسلامية ، إن كان قرأ الفصل الخاص بالمدائح النبوية في كتاب التصوف الإسلامي

فما رأيه في هذه المشكلة ، وهي من كبريات المشكلات ؟

سيدفع الأستاذ دريني ثمن المودة التي أضمرها لروحه اللطيف ، والثمن هو دعوته إلى قراءة كتاب التصوف الإسلامي مرة ثانية ليرى كيف أقمت نظرية وحدة الوجود على أمتن أساس

يسرنى أن أساجل باحثاً له فى نفسى منزلة الصديق الغالى، ويسرنى أن ينتصر فى المساجلة ؛ فما لى غرض غير الوصول إلى الحق ، ولو كان دليلى إليه أعدى أعدائى

أنا أعلن إيمانى بنظرية وحدة الوجود على نحو ما ذهبت إليه فى كتاب التصوف الإسلامى ، ولن أرتاب إلا باقناع ، فهل تستطيع إقناعى يا أيها الصديق ؟

يجب أن تعرف أنى سأقهرك على المشى فوق الأشواك ، وأنى سأصل إلى إقناعك بما لم يقنعك به الأستاذ معروف الرصافى

أنت تهدد بالعودة من المصيف ، لتجتاح خصومك

وأنا أهددك بما ادخرت لعقلى وقلبى من هجير مصر الجديدة فتعال إلى مساجلتى يا أيها الصديق الغالى

وأساس المساجلة أن تترك التفكير فى أن نظرية وحدة الوجود تجنى على العقيدة الإسلامية

وأنا أعتذر بالنيابة عنك للأستاذ معروف الرصافى ، وهو رجل أعفى نفسه فى جميع أطوار حياته من الرياء ، وسيكون له فى تاريخ الشعر والرأى مكان

إنه رجل يعتذر عن الضعف بشيخوخته ، فكيف تستطيل عليه بشبابك ؟

سأرى ما تجيب به يا صديقى بعد عودتك من المصيف ، وإن كان لى سبيل إلى الهرب من مصاولاتك ، وهى أنى أستعد لشرح مسابقة الأدب العربى ، فقد بدأتها فى الرسالة منذ أعوام ، ومكانها فى مجلة الرسالة وهو مكانها الأول ، فإلى اللقاء بعد أسابيع .

زكى مبارك

من الأستاذ خليل مطران إلى الأستاذ عبد الرحمن صدقى

حضرة الأديب الكبير والصديق الكريم الأستاذ عبد الرحمن صدقى

كتبتَ لأبى نواس ترجمةً وافيةً من طراز جديد ، بلغة لا تختلف إلا قليلاً ، فُصَحِيُّها فى هذا العهد ، عما كانت فى أزهر عهودها . وقد آثرت لها الأسلوب القصصى البارع فى الجانب الذى صلُح منها لهذا الأسلوب ، فبلغتَ بقوة الخيال وحسن السبك ، مع مراعاة الحقيقة التاريخية غايةَ ما يبلغه الكاتب القصصى المجيد من التشويق . وكم كانت لك جولةٌ متممة وموفقة فى نواحى تلك النفس المنغمسة فى الشهوات ، الحائرة المرتابة ، المؤمنة فى النهاية ، التى فعلت فيها البيئة الظرفية أفاعيلها على الولاء

وما من شك فى أن ذلك الشاعر المطبوع ـ الذى لم يدرك ذروته شاعرٌ فى العرب بعذوبة اللفظ ، وجلاء المعنى ، وطرافة الفطن ، وبداعة التصوير ـ قد ظل طوال أيامه ، وعلى اختلاف الحوادث التى مرت ، وعلى علاتها الجمة ، صادقاً مع نفسه كل الصدق فيما استقر عليه رأيه الأدبى ، أو الاجتماعى ، أو معتقده الدينى . ولذلك يستحق المعذرة لعبقريته ، وإن تصرَّف فى سيرته المتهتكة تصرفاً لا يحبه الناس من الرجل العظيم

فأشكر لك هديتك ، وأثنى عليك بما يحق لك . والئن عاقنى عن التوسع فى متابعة دراستك الحلوة ضعفُ جسمى ووهى عزمى ، لقد أوجزت لك بكلمة ما جرى به القلم على قدر

بارك الله فيك ، ويسّر لك أن تزيد العالم العربى من ثمرات ألمعيتك .

خليل مطران

حول الخوارزمى

حجزتنا أشاغيل طرآنية عن التعقيب على كلمة الأستاذ على محمد حسن فى حينها ، ونحن إذ نحمد للكاتب يقظته فى تتبع السقطات والعثرات فى كل مقال أو قصيد ، نحب أن نطمئنه إلى أن « ظلم القرون » الذى تطوع بإزالته عن أبى بكر الخوارزمى ، قد فطن إليه المتأخرون من نقدة الأدب العربى ، ونحسب أن أحد المستشرقين وضع بحثاً علمياً فى المناظرة بين البديع والخوارزمى ، كما أن الدكتور عبد الوهاب عزام سلسل فى « الرسالة » قبل سنين مقالات ماتعة أزال بها الوهم الذى علق بأذهان المتأدبين فيما يتصل بهذه المناظرة التى وصفها الخوارزمى نفسه بأنها « شعبذة » ، وإذا لم تكن شعبذة فليست من الأدب فى شىء.

كذلك لم تغب عنا المراجع التى نقل عنها الأستاذ أسانيده فى نصفة الخوارزمى ، ومع احتفاظنا برأينا فى أدب الرجلين لا نجزم بصحة المناظرة ، ولا بجدّيتها إن صحت ، وإنما جرنا إلى

ذكرها فى مقالنا الأول سياق الكلام لنثبت « رجعية » النظرة إلى الأديب من كلام الصاحب بن عباد الذى نسب إليه أيضاً قوله : « لو أدركت عيسى بن الهمذانى لأمرت بقطع يده » فلما سئل فى ذلك قال : « لأنه جمع شذور اللغة فرفع عن المتأدبين عناء البحث » يعنى بذلك كتاب « الألفاظ الكتابية » ومعنى هذا أن كل من وضع موسوعة أو صنّف معجماً استحق فى دين « الصاحب » قطع يده ... نسأل الله السلامة !

(الرمل) منصور جاب الله

حول أغلاط أيضاً

فى عدد الرسالة الأخير تصويبات لغوية للأستاذ عبد الحميد ناصف المدرس بكلية اللغة العربية[1]، وقد أدهشنى أن أرى فيها كثيراً من الأخطاء التى لا يصح إغفالها والسكوت عليها فآثرت أن أنبه على بعضها

١ — يدعى الأستاذ أن الصدفة كلة لغوية بالرغم مما شاع من عدم لغويتها ، فكثير من المعاجم وكتب اللغة كاللسان أوردها ، وفى حديث أبى ذر (والبر ما حاك فى النفس ولم تلده الصدفة)

ولقد اطلعت على اللسان والقاموس والمختار والمصباح فلم أجد كتاباً أورد لفظ صدفة ، على أن الذى حيرنى واستوقفنى وأثار عجبى هذا الحديث الذى ذكره . وليت شعرى كيف يسيغ الأستاذ مثل هذا الخلط العجيب الذى لا تصححه رواية ، ولا تجيزه دراية ولا يلتئم عليه معنى ؟ وهل يستجيز عقل أو يستبيح ذوق أن يكون البر مما يحوك فى النفس ويتردد فى القلب ؟ وأين يقع الإثم إذاً ؟

لقد ورد هذا الحديث فى كتب السنة هكذا (عن النواس ابن سمعان رضى الله عنه) قال : سألت رسول الله (ص) عن البر والإثم فقال : البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس . وفى رواية أخرى سأل رجل رسول الله (ص) عن البر . فقال : جئت تسأل عن البر . قال : نعم . فقال : استفت قلبك ، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك ، وهكذا كل روايات الحديث ، وهى موافقة للمعنى المستقيم الذى يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، ولم يرد فيها لفظ الصدفة ، ولا هى مما تمت إلى معانيه بسبب . فمن أين أدخلت على الأستاذ روايته وكتب السنة بأجمعها دون استثناء ليس فيها كلة صدفة المقحمة فى هذا الحديث

وأعجب شىء أن يستدل بصحة هناء بقول الشاعر :

هناء محاذاك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما

ومن هذا الشاعر الذى احتج بقوله ؟ هو ابن نباته المصرى المتوفى سنة ٧٦٨ هـ . قاله فى تهنئة الملك الأفضل صاحب حماة ، وتعزيته فى وفاة والده المؤيد . فهل ابن نباته ممن يحتج بكلامهم فى اللغة أم ذلك مذهب جديد فى فن الاحتجاج والاستشهاد

٢ — وصف الجمع بصفة المفرد لعله لم يرد إلا فى كلام المؤلفين وافتراضات المتأخرين ؛ فإن ذهبت تتلمس له شاهداً صحيحاً من كلام العرب أعجزك العثور عليه . أما البيت الذى زعم أن جريراً قاله فلا يوجد فى ديوانه ولا هو مما يشبه شعره

عبد الحميد المدلوت

ملاحظات ورجاء

اطلعت على القسم الثانى من ملحمة السراب للأستاذ الكبير الدكتور إبراهيم ناجى فى العدد ٥٧٥ من الرسالة الغراء ، فأعجبنى تصويره أيما إعجاب حيث تجلت فيه عبقرية الشاعر العظيم . وبينما كنت فى طريقى أثناء قراءة الملحمة لاحظت عند منتهاها قبل البيت الأخير أن ضلع الشطر الثانى مكسور وهذا هو البيت :

مرحباً بالهوى الكبير فإن يبـــق وإن تسلى يطب لنفسى البقاء

ويمكن الجبر بحذف شىء منه أو بتغيير الشطر ، وقد سبق فى العدد الماضى من الرسالة ٥٧٤ أن أبدى الأستاذ على محمد حسن رأيه فى القصيدة المعنونة بالسراب ، حيث لاحظ كسراً فى ضلع بعض الأبيات . والقصيدتان من بحر الخفيف ، فأرجو أن يتفضل الشاعر الألمعى فيجبر الكسر مع قبول عظيم تشكراتى وخالص تحياتى .

« مكة المكرمة » يوسف قيتى

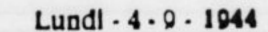
---

(١) « الرسالة » كتب إلينا الأستاذ ناصف يتبرأ من هذه التصويبات ويقول أنها مدسوسة عليه ، فهذا الرد موجه إلى ذلك الجاهل المجهول



12me Année No. 583

Lundi - 4 - 9 - 1944





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥٨٣ « القاهرة في يوم الإثنين ١٦ رمضان سنة ١٣٦٣ — الموافق ٤ سبتمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

زواج الأقارب والأباعد

للأستاذ عباس محمود العقاد

... ...

« هل لي أن ألتمس لديكم الرأي في أمر عنّ لي لم أوفق إلى غيركم أطمئن إليه ... لأعهد إليه في الإجابة الشافية القويمة ؟

« والمسألة هي مسألة زواج ذوي القرابة وخصوصاً القرابة « القريبة » بين من يسميهم الإنجليز أبناء العمومة cousins

« فقد زعم بعض من كتب في هذا الموضوع وقرأت لهم أن النسل يأتي هزيلاً معتل البنية والذهن ، كلما اقترب الزوجان في النسب ، (ولنضرب مثلاً لذلك صاحب كتاب أصول الحضارة في تدعيمه رأيه ببيوتات أوربا المالكة) ، كما قرأت أيضاً ما ينفي هذا القول ويثبت نقيضه .

« ثم إنني رأيت أن نبينا محمداً صلوات الله عليه قد ذهب إلى تزويج بنتين من بناته من رجلين من ذوي قرباهما القريبة . فاستنتجت من ذلك أن لا غضاضة ولا مضرة في مثل هذا الزواج .

« ومن هنا ترون التضارب والخبط بين علماء أوربا وأدباء العربية القدامى في أمور هي من الأهمية بالمكان الأول ، لأنها تتعلق بمستقبل بني الإنسان وما يرجى لهم على هذه الأرض من

الفهـرس

صفحة

ارتقاء فى بنية الجسوم والعقول والأخلاق .

« وعلى هذا نلتمس بين يديكم الحجة والصواب فى هـذه المشكلة من الناحية البيولوجية والعلمية . . . وأما ونحن بصـدد الزواج وما يدور حوله فليسمح لى الأستاذ أن أستفتيه فى اقتران المصريين من الأوربيات الغربيات من الناحية البيولوجية الحديثة . . . »

(الاسكندرية) « م . ت »

***

ومسألة الزواج اليوم ــ وبعد الحرب الحاضرة على الخصوص ــ هى إحدى المسائل التي يتجدد البحث فيها ، أو يعاد النظر إليها على ضوء من العلم الحديث والتجارب السابقة واللاحقة فى المجتمعات المختلفة ، حسبما تدين به تلك المجتمعات من العقائد الدينية والسياسية ، ولا سيما المجتمعات التى تفرض عليها عقائدها رأياً خاصاً فى بناء الأسرة وعلاقات الرجال والنساء

فالنظر إليها من بعض جوانبها مقدمة لنظرات كثيرة فى الواقع سيشغل بها أبنـاء مصر مختارين أو غير مختارين بعد زمن قصير .

ومن هذه الجوانب التى تستحق النظر أو تستحق إعادة البحث فيها جانب الزواج بين الأقارب والأباعد ، وما يقوله عنه المختصون بهـذه الشؤون من علماء الاجتماع ومؤرخى طبائع الأجناس .

فالزواج بالأباعد ، وهو ما يسميه خبراء هـذه الشؤون « إكسوجامى » Exogamy هو عادة أو شريعة من أقدم الشرائع فى المجتمعات الفطرية والمجتمعات التى أخذت بنصيب من الحضارة

ويندر بين هـذه المجتمعات من لم يعرف « الإكسوجامى » فى صورة من صوره الكثيرة التى تتقلب على جميع الفروض وتتناقض أغرب التناقض فى بعض الأحوال .

فمن هذه المجتمعات ما يحرم فيه زواج الأخوين ولا يحرم فيه زواج الأب بينته ، ومنه ما يحرم فيه زواج هؤلاء جميعاً ومعهم أبناء الأعمام ، ومنه ما يحرم فيه زواج أبناء القبيلة الواحدة الذين ينتسبون إلى جد واحد ، ومنه ما يحرم فيه الحل ولا تحرم فيه الصلات الجنسية .

والاختلاف فى تعليل هذا التحريم بين الباحثين فيه أكبر وأوسع من اختلاف القبائل فى هذه العادة ، وهذه الشريعة

فنهم من يعزوها إلى غيرة الأب من ولده ، وغيرة الأم من بنتها ، ومنهم من يعزوها إلى رغبة الرجال فى إظهار القوة باغتصاب الحلائل من القبائل البعيدة ، ومنهم من يعزوها إلى « الطوطمية » ، أو اتخاذ حيوان من الحيوانات جداً للقبيلة كلها ورباً حارساً لجميع أفرادها ، فهم جميعاً فى حكم الأسرة الواحدة التى لا يجوز لها أن تأكل من لحمها ودمها » . . . ومنهم من يعزوه إلى الأسباب الاقتصادية ، لأن الأب يتقاضى مهراً من الزوج الغريب ولا يتقاضاه من ابنه أو ابن عمه ، ومنهم من يعزوه إلى ما يكون بين الأقربين من الألفة التى تضعف الرغبة الجنسية وتنشئ بين الأقربين علاقة من الرحم غير علاقة الزواج

وكل أولئك جائز أن يؤدى إلى تقرير هذه الشريعة فى الجماعات الأولى ، وإن غلب بعضه على جماعة وغلب غيره على جماعة أخرى .

وقد كان اجتناب الأقربين فى الزواج مذهباً معروفاً بين العرب ، وإن لم يتفقوا عليه ، فكان أناس منهم يعتقدون أن الولد يجيء من القريبة ضاوياً « لكثرة الحياء من الزوجين فتقل شهوتهما ، ولكنه يجيء على طبع قومه من الكرم » ، وفى ذلك يقول أحدهم :

يا ليته ألقحهـا صبيا فحملت فولدت ضاويا

ويروى عن النبى عليه السلام أنه قال : « اغتربوا لا تضووا » ، حديث لا نقطع بصحته ، لأنه عليه السلام قد زوج بنتيه من الأقربين ، كما ذكر الأديب صاحب الخطاب

أما الرأى الذى يوشك أن يستقر عليه الخبراء بهذه الشؤون فهو أن الزواج بالأقارب لا ضرر فيه من الوجهة البيولوجية إلا فى حالة واحدة ، وهى أن يغلب على الأسرة كلها استعداد جسدى لبعض الأمراض ، كما يتفق أن يغلب على بعض الأسر الاستعداد لأمراض الصدر ، أو اختلال الأعصاب أو سوء الهضم ، أو ما شاكل ذلك من دواعى الضعف التى تورث وتنتقل إلى الأبنـاء . فإن الولد إذا ورث الاستعداد للمرض من أبيه وأمه كانت وقايته منه أصعب من وقاية أبويه ، وهذه حالة لا شك فى ضررها ، سواء كان تشابه البنية فى أسرة

واحدة أو فى أسر غريبة . إذ لا يجوز لرجل مستعد لمرض من الأمراض أن يتزوج بامرأة مستعدة لهذا المرض على التخصيص سواء كانت من أهله أو غير أهله

أما فى غير هذه الحالة فزواج الأقارب مأمون من الوجهة البيولوجية على قول الأكثرين من الثقات . وقد روى وستر مارك فى كلامه عن أحدث الآراء فى موضوع الأكسوجامى مشاهدات بعض المعنيين بتجربة التلاقح بين الحيوانات فإذا بالكثيرين منهم يتفقون على أن هذه الحيوانات سلمت من عوارض الهزال المزعوم وأنجبت ذرية من أحسن أنواعها فى صفات القوة والنشاط ، ولا سيما الحيوانات التى يعنى بانتخابها وإبعاد الضعيف منها لأسباب فردية لا علاقة لها بالبنية الموروثة

ومع هذا أى قول من أمثال هذه الأقوال يمضى بغير خلاف من النقيض إلى النقيض ؟

فمن أعجب التناقض فى هذا الصدد أن الكاتب بت رفرس Pitt—Rivers ينفى الضرر من تزاوج الحيوانات القريبة ويجعل شاهده على ذلك خيول السباق ، فإذا زميل له فى هذه البحوث وهو سير جيمس بن بوكت Boucat يناقض هذا الرأى ويتخذ خيول السباق نفسها حجة له على قوله ويهيب بقومه أن يدركوا ذرية الخيول الإنجليزية بدم غريب قبل أن يبلغ بها الضعف مبلغاً لا تجدى فيه المداركة

والقول الفصل فى هذا الخلاف غير مستطاع ، ولكننا نسيغ بالعقل سبب الضعف الذى ينجم من تزاوج الأقربين وهو اشتراكهم فى الاستعداد للأمراض والعوارض الخلقية أو الخلقية ، فإذا انتفى هذا الاشتراك فليس يتضح أمامنا سبب للتحذير من هذا الزواج ، وليس فيما شاهدناه من الأمثلة دليل على أن زواج الأقربين أضر بالذرية من زواج الأبعدين

***

أما زواج المصريين بالأوربيات فلا ضرر فيه من الوجهة الجسدية مع سلامة الزوجين ، وفيه إلى جانب هذا مزايا التلقيح بالدم الجديد الذى شوهدت حسناته فى كثير من الشعوب والأفراد

ونحن نعتقد أن المسألة هنا ليست مسألة اللحم والدم وصحة الجوارح والأعضاء ، ولكنها مسألة « الأعصاب » التى هى خزين الملكات والمواهب الخلقية والعقلية ومناط التفاضل الكبير بين الأقوام والأجناس . فقد تكون المرأة صحيحة الدم واللحم بريئة من عوارض السقم والهزال ، ولكنها لا تنفث فى أبنائها نشاطاً جديداً ما لم يكن مصدر هذا النشاط ذلك الخزين العصبى الذى تكنزه بعض الأمم بالتجارب النفسية والجسدية فى عشرات الألوف من السنين

فهذا الخزين العصبى هو الذى يستفاد من البناء بالأوربيات ولا سيما بنات الشمال

ومن هذه الوجهة لا اعتراض على زواج المصريين بالأوربيات أو من يشابههن فى هذه الخصلة ، وإنما يأتى الاعتراض على هذا الزواج من الوجهة القومية والوجهة الأخلاقية والوجهة الإنسانية على السواء

فالنساء المصريات اليوم أوفر عدداً من الرجال المصريين ، فإذا تركهن أبناء وطنهن ليبنوا بالأجنبيات فعاقبة ذلك عضل مئات الألوف من البنات فى سن الزواج ، وعاقبة هذا العضل فساد فى الأخلاق وبلاء على المجتمع المصرى يربيان على كل نفع مرجو من البناء بالأوربيات ولو كن من أفضل النساء

وهكذا يرى الأديب صاحب الخطاب أن شئون الأمم تعالج جملة من جوانب كثيرة ولا يقتصر العلاج فيها على جانب دون جانب . وعندنا أن الأمة التى تكون كل فتاة فيها متزوجة فى سنها المعقولة أسلم من الأمة التى ينجب فيها عشرة آلاف أو عشرون ألفاً نسلاً متفوقاً وإلى جوارهم ألوف العوانس يبتذلن أنوثتهن فيسرى فسادهن إلى البيوت جميعاً ويغرق ذلك النسل المتفوق فى لجته التى لا تدفعها شطوط ولا جسور

فنصيحة الفرد أن الزواج ببنات الأمم المتقدمة زواج صالح مطلوب

ونصيحة الأمة أن ترك بناتها معضولات بلاء غير مأمون . فإن تسنى دفع هذا البلاء وتحصيل النفع من البناء بالأوربيات المتقدمات فقد استطيعت خدمة الفرد والأمة على السواء

ولكنه على هذا احتمال بعيد .

عباس محمود العقاد

شــعراء الشباب
ووجوب عنايتهم بثقافتهم الخاصة

للأستاذ دريني خشبة

ليس الغرض من هـذه الـكلمة تعيير شعراء الشباب بفقر ثقافتهم ، ولـكن الغرض منها هو التعاون العام بين من تعنيهم نهضة الشعر العربى ، وبين أولئك الشعراء الذين تعتمد عليهم نهضتنا الأدبية كل الاعتماد فى الأخذ بيد الشعر ، وتجديده ، والاتجاه به إلى الوجهات التى ظل الشعر العربى محروماً منها إلى اليوم

ونحن حينما ندعو إلى وجوب إحداث ثورة ـ أو نهضة ـ فى الشعر العربى ، نؤمن بأن الثورة ـ أو النهضة ـ ليست عبثاً يستطيع أن ينهض به أولئك المتأدبون الظرفاء الذين عرفوا بعض موازين الشعر . وقواعد العروض ، فـكان حسبهم من الشعر كله هذه المعرفة البائسة التى انقلبت فى رؤوسهم غروراً ذميماً ، وخيلاء لا تعرف التواضع ، وأحلاماً تشبه أحلام الصائمين فى هذا الزمان بالأطايب والأشربات !

لا يستطيع جاهل أن ينفع نفسه ولا أن ينفع أمته ... ولا تستطيع جماعة من الجهلاء أن تضطلع بعمل يحتاج القيام به إلى علم وبصيرة وطول تجربة ... وقد طالبنا شعراء الشباب بإحداث نهضة فى الشعر العربى تشمله كله شكلاً وموضوعاً ... فما راعنا إلا أن يظن أولئك المتأدبون الظرفاء أننا ندعوهم لهذا العمل ، ونعتمد عليهم فى القيام به ... فأمطرونا بمئات كثيرة من هذياناتهم التى دعوها شعراً ... ومع إعجابنا الشديد بعدد كبير مما وصلنا من المنظومات الشائقة من مصر ومن جميع الأقطار العربية إلا أننا لم نستطع منافقة أصحاب الـكثرة الغالبة من المنظومات الأخرى التى تضطرنا إلى مصارحة إخواننا الظرفاء هؤلاء بوجوب النصح لهم بالانصراف عن قرض الشعر ، ومعاطاة صناعتهم البائرة تلك ، التى سوف تجر عليهم عقابيل من الحسرات لا قبل لهم بهـا ... وليس فى تعبيرنا بذلك الأسلوب قسوة على أحد ... فالمسئلة جد لا لعب ... إنا مفتقرون إلى شعر جديد يشحذ من همة الأمم العربية ، ونرى فيه تلك الأمم آمالها ومطامحها ، ونرى فيه أدباً جديداً حياً سائغاً لا نقلد به العباسيين ، ولا نمشى به فى آثار الأمويين أو الأندلسيين ... نريد شعراً تتجلى فيه شخصيتنا قوية مستقلة لها طريقتها الخاصة من الأداء والتفكير ... لا شعراً مقلداً رثاً تكرنه روح الماضى ، وتجثم على صدره قيود الغابرين ... ونحن حينما هتفنا بشعراء الشباب ليتغنوا آمالنا الجديدة ، ولينشدوا لنا أنشودة العالم العربى الحديث ، لم نـكن نزعم أن هؤلاء الشعراء مبرأون من العيوب ، ولـكننا كنا نزعم أنهم أقدر على التجديد من الشعراء الشيوخ الأجلاء ، الذين نحبهم ونحترمهم . وإن خامرنا الشك فى قدرتهم على التجديد ، لأنهم عاشوا معظم حياتهم فى هذا القديم الذى لم يعرفوا غيره

غير أن الشعراء الشباب ـ أو أغلبية الشعراء الشباب ـ المشهورين وغير المشهورين فقراء فى ثقافتهم إلى درجة محزنة ... والشاعر الفقير فى ثقافته لا يستطيع أن ينهض بثورة فى الشعر وإن حاولها ، وأرق فى سبيلها عينيه ، لأنه مفتقر إلى الأدوات الأولى التى تمـكنه من إتقان عمله ، وتمهد له سبيله إلى قلوب قرائه ...

ولسنا ندرى إن كان كلامنا هذا سوف يغضب أحداً من هؤلاء الشعراء ما دمنا صادقين فيه ، صادقين فى إزجاء النصح لـكل شاعر يود أن تـكون له منزلة سامية فى مستقبل هذا الشعر الذى ندعو إلى تجديده وإصلاحه

وشعر الشباب فى الأقطار العربية فئتان . فئة تجهل اللغات الأجنبية ، وفئة تعرف واحدة أو أكثر من واحدة من تلك اللغات ... فالفئة التي تجهل اللغات الأجنبية لم تطلع على نماذج الشعر الأجنبي فى لغاته الأصلية . وأكبر الظن أنها لا تدرى ما الملحمة ولا الدرامة المنظومة ولا ما الشعر المرسل ... وليس فى ذلك ضير قط على شعراء هذه الفئة ، وإن كنا نؤثر لهم تعلم إحدى هذه اللغات وإتقانها إلى الدرجة التى تساعدهم على مطالعة أشعارها لما للمحاكاة والإيحاء من أثر بالغ فى تجديد شعرنا الذى نصبو إليه ، فإن لم يتيسر لهم تعلم إحدى اللغات الأجنبية ، فلا

أقل من استيعاب كل ما يترجم من ملاحم تلك اللغات ومن دراماتها ، ثم تطالب العبقرية العربية بتذكر أن تلك الملاحم وهذه الدرامات كانت شعراً في لغاتها الأصلية ، فليس ما يمنع أن ننظم مثلها أو أرقى منها أو ما يدانيها بالشعر العربي ... وإن لم يرقنا الشعر المرسل الذي دعونا إليه ، ولا نزال نؤثره على غيره للملاحم وللدرامة المنظومة ، فلنختر لنظم الملحمة أو الدرامة الطريقة العروضية التي تروقنا . إذ لا ينبغي أن يحول الشكل دون الغرض

أما الفئة التي تعرف اللغات الأجنبية وتتقنها إلى الدرجة التي تقرأ بها الشعر الأجنبي قراءة مفهومة سائغة ، فهي الفئة التي أخرجت لمصر وللشرق العربي أحسن شعرائها ، ولسنا نريد أن نثير فتنة بين الفئتين بهذا التفضيل الذي لا يماري في حقيقته أحد ، بل نحن - على العكس من ذلك - نريد أن نتهم أغلبية الفئتين بأنها أغلبية فقيرة الثقافة ، قليلة الاطلاع ، لا تحفل بأن تجاري تيارات الفكر العالمي ، ولا يعوا كنهها تلك المواكبة التي تنعكس في أشعارنا - إما موافقة وإما معارضة وإما ابتداعاً

إن المكتبة العربية القديمة لتحفل بطائفة قيمة من كتب النقد التي تتجلى فيها عبقريات أسلافنا من النقاد العرب ، والتي تطلعنا على موازين أدبية لا يقل كثير منها عما يروج اليوم من أساليب النقد الحديث في أوربا . . . فهل اطلع شعراؤنا الشباب - أو أغلبية شعرائنا الشباب - على هذه الكتب ، وهل حاولوا الانتفاع بما أورده أصحابها فيها من كرائم اللفتات الأدبية التي تكون للقرائح الفجة ، والأذواق الشاردة ، كما تكون النار للذهب ؟

هل قرأ شعراؤنا الشباب - أو أغلبية شعرائنا الشباب - كتاب العمدة لابن رشيق ، أو كتاب نقد الشعر ونقد النثر لقدامة ؟ إنهم لا شك يسمعون عن كتاب الصناعتين للعسكري ، فهل فكروا في قراءته والانتفاع بما فيه ، أو بما في كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، أو كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ؟! ثم كتب البيان والتبيين والكامل ومعاهد التنصيص وغيرها وغيرها من ذخائرنا التي لا تحضرنا الآن أسماؤها والتي لا داعي لحشد أسمائها . . .

إن هذه الكتب وغيرها ثروة ثمينة في المكتبة العربية القديمة لا غنى عنها الشاعر يحترم نفسه . . . شاعر يحس من نفسه بنواحي الضعف فلا يمنعه استعلاء أو غرور عن معالجتها بالإكباب على كتب القدامى من أبطال النقد الأدبي العربي ، ثم بما تصل إليه يده من كتب النقد الحديث المؤلفة أو المترجمة ، وهي كتب والحمد لله قد أنفق فيها مؤلفوها ومترجموها جهوداً محمودة مشكورة ، يجب أن تقابل من طائفة الأدباء عامة ، والشعراء بوجه خاص بحسن القراءة والمذاكرة ، حتى يكتب الكتاب ، وينظم الشعراء على هدى مما تلفتهم إليه تلك الكتب من عيوب الكتابة ومآخذ النظم ، وحتى يستطيعوا أن يفهموا روح القوة - أو روح النهضة - التي نطالب إليهم الاضطلاع بأعبائها في الأدب العربي عامة ، وفي الشعر العربي خاصة

ولدينا من كتب النقد الحديث طائفة صالحة جداً من إنتاج أشبال الجامعة ورجالها الصناديد ، ومن إنتاج كرام كتابنا الذين مهدوا لنا طريق نهضتنا ، وحملوا المشاعل الأولى بين أيدي أدبنا الغض المفتقر إلى الإصلاح والتجديد ... فهل قرأ شعراؤنا الشباب ، أو معظم شعرائنا الشباب ، شيئاً من تلك الكتب ، وهل انتفعوا بها في تنظيم إنتاجهم الأدبي ؟

إن الشاعر الذي يكتفي بمواهبه في توجيه منظوماته هو شاعر تعس ، لا يرجى منه خير كثير ... والشاعر الذي يبخل على نفسه بشراء عشرة كتب في النقد القديم والحديث هو شاعر فقير في تفكيره ، مريض في إنتاجه ، غاط في نومه المتلئ بأحلام النوكى والضعفاء ... تلك الأحلام المريضة التي لن يصيب منها الأدب العربي ، ولن يصيب منها الشعر العربي إلا ما أصاب من الزخارف الباطلة التي سماها أصحابها شعراً ، وما هي من الشعر في شيء ، لأنها عبث يغثي النفوس ، ويكرب الأخيلة ، ويزهد الإنسان في إنشاد الشعر

وليس تقصير شعرائنا الشباب ، أو معظم شعرائنا الشباب في مطالعة كتب النقد هو كل ما نأخذه عليهم ، بل يحزننا أن نقرر أن أكثرهم لا يقرأون من الشعر العربي إلا قدراً ضئيلاً لا يقوم ألسنة ، ولا يكسب ثروة ، ولا يربي ملكة ، ولا يطبع ذوقاً ، ولا يمد القريحة بما تفتقر إليه ساعة النظم من شتى التعابير وفنون الأساليب ... يبدو ذلك كله في استعباد طائفة بعينها

على هامش ذكرى المعرى

«داعى الدعاة» مناظر المعرى

للدكتور محمد كامل حسين

— ٥ —

من الآثار الأدبية التى تركها المؤيد فى الدين «داعى الدعاة» رسائله إلى أبى العلاء المعرى . وهى الرسائل التى نبهت الجيل الحديث للبحث عن هذا الداعية ، بعد أن ظل مجهولاً زهاء عشرة قرون ، ويرجع الفضل فى نشر هذه الرسائل إلى المرحوم الأستاذ مارجوليوث المستشرق الإنجليزى ، الذى نقل هذه الرسائل عن كتاب « معجم الأدباء » لياقوت الحموى ، ونشرها لأول مرة بمجلة الجمعية الأسيوية الملكية سنة ١٨٩٦ ، ثم أعاد نشرها مرة أخرى بمجلة الجمعية الأسيوية سنة ١٩٠٢ ، وقدم لها بمقدمة صغيرة ادعى فيها أن هذه المناظرة كانت سنة ٤٣٨هـ ولكنى أخالفه فى تحديد هذه السنة ، وأذهب إلى أن هذه المناظرة إنما كانت سنة ٤٤٩هـ ، وعندى ما يؤيد ما ذهبت إليه ، فقد نقل ياقوت الحموى أنه « لما كانت المناظرة بين أبى العلاء ، وبين داعى الدعاة ، فى ذبح الحيوان ، أمر داعى الدعاة بأن يؤتى بأبى العلاء إلى حلب » . وفى الرسالة الثالثة والأخيرة من رسائل داعى الدعاة ، تصريح بأنه كان فى الشام أثناء هذه المناظرة . وهناك نص آخر ورد فى « المجالس المؤيدية » على لسان الخليفة المستنصر الفاطمي « حتى توجه من وجهناه من داعينا للقاء التركمانية فانعقد بينه (أى بين الداعي) وبينه (أى بين المعرى) من المناظرة مكاتبة لا مشافهة . فهذه النصوص تثبت أن هذه المناظرة جرت أثناء خروج المؤيد فى الدين لحرب طغرلبك ، وأن المؤيد كان بالشام وفى حلب ، وقد ذكرت فى مقالاتى السابقة أن المؤيد فى الدين خرج من مصر للقاء التركمانية سنة ٤٤٨هـ وكان بحلب سنة ٤٤٩هـ ، وتكاد تجمع المصادر على أن رسالة داعى الدعاة الأخيرة وصلت معرة النعمان بعد وفاة أبى العلاء بأيام قليلة ، ونحن نعلم أن المعرى توفى سنة ٤٤٩هـ

من التعابير ، وطائفة بعينها من المعانى ، وطائفة بعينها من الأخيلة لقرائح الكثرة الساحقة من شعراء الشباب ... وذلك دليل جلى على فقرهم الثقافى ، وندرة اضطلاعهم على الشعر العربى الزاخر بأكبر ثروة لفظية يمتلكها شعر أمة من الأمم ... شعر عاش منذ أكثر من ألفى سنة ، ولا يزال يعيش ، وسوف يعيش ؛ وإن كنا نطالب له عيشاً جديداً وحياة ثائرة مختلفة الأغراض متغايرة المقاصد عما اعتاد الشعر القديم — وكل الشعر العربى أو معظمه ، فى رأينا قديم

وقد تشترك الفئتان ، الذين يعرفون اللغات الأجنبية والذين لا يعرفونها ، فى ذلك العيب الواضح ... أى عدم الاطلاع الطويل العميق على كتب النقد ، قديمها وحديثها ... وعلى دواوين الشعر العربى قديمها وحديثها كذلك . إلا أن تقصير شعرائنا ، أو معظم شعرائنا ، الذين يجيدون لغة أجنبية ، فى الاضطلاع على شعر تلك اللغة ، واستيعاب ما نقل إليها من أشعار اللغات الأخرى ، قديمها وحديثها ، هو تقصير لا تبرره أسباب وجيهة ، اللهم إلا الغفلة والكسل وتراخى الهمة ...

ولست أدرى كيف يطيق شاعر يجيد اللغة الإنجليزية مثلاً ألا يستوعب درامات شيكسبير وبن جونسون ومارلو ، وألا يقرأ منظومات بروننج وشلى وبيرون وتنيسون وسكوت الطويلة الرائعة التى هى بلا شك خير ما نظم البشر وأحسن ما تغنت به الإنسانية ... ولست أدرى كيف يطيق شاعر يجيد اللغة الإنكليزية مثلاً ألا يقرأ ما ترجم إلى هذه اللغة من ملاحم الأقدمين كالإلياذة والأوذيسة والإنياذة والكوميديا الإلهية مثلاً وهى تلك الملاحم الخالدة فى عالم الشعر ، والتى لا ندعو دعوتنا إلا ليكون لنا مجد شعرى يشبه مجدها أو يدنو منه ... ولست أدرى كيف يطيق من يجيد اللغة الإنكليزية مثلاً ألا يقرأ كتب النقد الرائعة التى كتبها هازلت أو أرنولد ، ومدلتون ولامبورن ، وريتشارد ، وسبنجارا ، ومن إليهم من أساطين النقد الحديث

وبعد ... فهذا كلام لا نريد به تعيير أحد من شعراء الشباب الذين نعقد عليهم آمالنا فى النهوض بالشعر العربى الحديث ، ولكنه كلام نريد به حفز همم شعرائنا الذين يرحبون بالنقد ويتشوفون إلى الكمال .

دريني خشبة

وهناك بعض نصوص أخرى تؤيدان هذه المناظرة التى كانت بين الأديبين العالمين حدثت سنة ٤٤٩هـ . وسبب هذه المناظرة كما حدثنا المؤيد فى مجالسه أنه جرى ذكر أبى العلاء المعرى فى مجلس الناظر بحلب ، فهجا الحاضرون أبا العلاء وأغروا الناظر بدمه ، وادعوا أن الغيرة على الدين تبيح قتله ، ولكن المؤيد فى الدين اقترح على الحاضرين أن يجرد لأبى العلاء من يحاجه ويناظره حتى ينكشف عواره وينحط قدره بين معاصريه ، ويتخذ الناظر من هذه المناظرة ذريعة للقضاء على هذا الزنديق الخارج عن الدين ، ثم نشط المؤيد لمناظرته تلك المناظرة التى كانت من أسباب خلود المتناظرين

ويخيل إلىّ أن المؤيد فى الدين لم يسرف فى الحكم على أبى العلاء إسراف معاصريه ، ولم ير فى عقيدة أبى العلاء ما كان يراه غيره ، فقد رمى المعرى بالإلحاد والتعطيل والخروج على دين الجماعة بل لا تزال عقيدة أبى العلاء إلى يومنا هذا موضع نقاش بين الأدباء والعلماء . أما رأى المؤيد داعى الدعاة فى أبى العلاء فقد وضحه فى مجالسه بقوله : قد انتهى إليكم خبر الضرير الذى نبغ بمعرة النعمان وما كان يعزى إليه من الكفر والطغيان على كون الرجل متقشفاً ، وعن كثير من المآكل التى أحل الله له متحققاً . فهذا النص إن دل على شىء فإنما يدل على أن المؤيد لم يقبل كلام الناس فى أبى العلاء ، ولم يذهب مذهبهم فى اتهام دينه ، بل هذا النص دفاع عن تحريم المعرى للحوم تعففاً منه وتقشفاً

ويخيل إلىّ أيضاً أن غرض المؤيد من هذه المناظرة أن يعرف حقيقة مذهب أبى العلاء ، وأن يستوضح أسرار فلسفته وأسرار عقيدته فقد يكون أبو العلاء من الذين يتخذون التقية والستر حجاباً لهم ، ويوهمون الناس بغير ما يبطنون ولذلك بدأ المؤيد رسالته الأولى بشىء من الظرف والإعجاب بأبى العلاء ، ثم نراه فى الرسالة الثانية يسخر بأبى العلاء ويتهكم به ، وفى الرسالة الثالثة يصرح بأنه لم يجد عند أبى العلاء ما كان يأمله

أما جواب المعرى ؛ فيظهر منه أن أبا العلاء قد سمع بأمر المؤيد فى الدين داعى الدعاة من قبل ، وكان يعرف مقدرته وحجته فبالغ فى تعظيمه وتفخيمه ، إما خشية على نفسه من سطوة المؤيد وإما تأدباً معه فى المناظرة لمركز المؤيد فى الدعوة الفاطمية والدولة الفاطمية

ومهما يكن من شىء ، فالمؤيد فى هذه المناظرة ضيق الخناق على أبى العلاء ، وكان أبو العلاء يتلمس الطرق للهرب من خصمه فأخذ يحاوره ويحاول الفرار من موضوع المناقشة وداعى الدعاة من ناحيته يجذبه نحو موضوع المناظرة ؛ فسؤال داعى الدعاة كان عن الأسباب التى أدت بأبى العلاء إلى تحريم أكل اللحوم والألبان . فكان جواب أبى العلاء فى موضوع إرادة الله فى الخير والشر ، ثم البراءة من أشعار قالها بعض الملحدين . أما سؤال الداعى فلم يجب عليه جواباً شافياً . ولو طالت حياة أبى العلاء لظفر الأدب العربى بثروة أدبية فلسفية لها قيمتها

أما ما قيل من أن المؤيد داعى الدعاة أمر بأن يحمل إليه المعرى بحلب ليخيره بين الإسلام والموت ، وأن المعرى خاف على نفسه ، فشرب السم ؛ فهذا ما لم يقبله أحد من القدماء ولا المحدثين

والآن نتساءل هل كان المعرى يدين بمذهب الفاطميين ؟ فقد جاء فى كتاب « الفلك الدوار فى سماء الأئمة الأطهار » أن المعرى كان أحد دعاة الحاكم بأمر الله الفاطمى وابنه الظاهر » !

ولا أدرى من أين استقى مؤلف هذا الكتاب هذا الخبر إذ لم يقع بين يدى من كتب الدعاة ما يؤيد هذا الزعم ، بل لم أجد داعية من دعاة المذهب الفاطمى يشير إلى أن أبا العلاء كان من زمرتهم ولو صح هذا الخبر لوجدت الدعاة على عادتهم يطنطنون بذكر كل نابغة يظهر بينهم ، حتى لو فرض أن أبا العلاء اتخذ التقية لنفسه وستر حقيقة مذهبه ومرتبته فى الدعوة لما خفى ذلك عن كبير دعاة المذهب وهو المؤيد فى الدين ، ولما احتاج الداعى الأكبر إلى مناظرة المعرى لكشف ستره ومعرفة حقيقة مذهبه ، لأن الداعى الأكبر عنده سجل الدعاة ، وهو أعرف الناس بهم

حقيقة نجد فى لزوميات أبى العلاء بعض العقائد الفاطمية ، ولكن هذه الآراء التى ذكرها المعرى لا تقوم دليلاً على اعتناقه المعرى لهذا المذهب . فقد كانت التيارات الفكرية فى عصر المعرى تتحدث بهذه الآراء ، وكان المعرى فى وسط يخضع

على هامش النقد

بقية في المعانى والظلال

للأستاذ سيد قطب

قلت فى الكلمة الماضية : إن طريقة التصوير والتظليل هى الطريقة التي وردت فيها فرائد الشعر العربى التى تهيأت للشعراء على ممر الأجيال

وقلت : إن طريقة التصوير والتخييل هى قاعدة التعبير فى القرآن الكريم ، وأنه تفرد بطريقة التصوير - فى هذا المستوى - بين الشعر الجاهلى قبله ، والشعر الإسلامى بعده

وقلت : إن التعبير الذى يرسم للمعنى صورة أو ظلاً ، يخاطب الحس والوجدان ، ويطبع فى النفس صورة من صنع الخيال ، وأن هذه الطريقة أقرب إلى طبيعة الفنون من الطريقة الأخرى التى تعنى بإبراز المعانى فى الأساليب الذهنية التجريدية

فلعله يكون من كمال البحث فى هذا الموضوع أن نعرض نماذج أخرى من الشرق والغرب ومن القديم والحديث ، غير القرآن الكريم - فى مستواه الرفيع - وغير الشعر العربى فى الجاهلية والإسلام

* * *

جاء فى « العهد القديم » - التوراة - كلام عن لسان « الجامعة بن داود » قال :

« باطل الأباطيل . الكل باطل . ما الفائدة للانسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس ؟ دور يمضى ودور يجيء ، والأرض قائمة إلى الأبد . والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق . الريح تذهب إلى الجنوب ، وتدور إلى الشمال . تذهب دائرة دورانا ، وإلى مداراتها ترجع الريح . كل الأنهار تجرى إلى البحر والبحر ليس بملآن . إلى المكان الذى جرت منه الأنهار ، إلى هناك تذهب راجعة . كل الكلام يقصر ، لا يستطيع الإنسان أن يخبر بالكل ، العين لا تشبع من النظر ، والأذن لا تمتلىء من السمع . ما كان فهو ما يكون ، والذى صنع فهو الذى يصنع ، فليس تحت الشمس جديد . إن وجد شىء يقال عنه : انظر هذا جديد ، فهو منذ زمان كان فى الدهور التى كانت قبلنا . ليس ذكر للأولين . والآخرون أيضاً الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم .

« أنا الجامعة . كنت ملكا على إسرائيل فى أورشليم . ووجهت قلبى للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما عمل تحت السموات . هو عناء ردىء جعله الله لبنى البشر ليعنوا فيه . رأيت كل الأعمال التي عملت تحت الشمس ، فإذا الكل باطل وقبض الريح . الأعوج لا يمكن أن يقوم ، والنقص لا يمكن أن يجبر . أنا ناجيت قلبى قائلاً : ها أنا قد عظمت وازددت حكمة أكثر من كل من كان قبلى على أورشليم ، وقد رأى قلبى كثيراً من الحكمة والمعرفة ، ووجهت قلبى لمعرفة الحكمة ، ولمعرفة الحماقة والجهل . فعرفت أن هذا أيضاً قبض الريح . لأن فى كثرة الحكمة كثرة الغم ، والذى يزيد علماً ، يزيد حزناً .

هذا كلام قديم ، وترجمته ترجمة رديئة من حيث الأسلوب العربى . ولكن هذا لا يفقده طابعه الفنى العالى .

هنا إنسان يفخره السأم والملال ، ويطويه اليأس والقنوط

للنفوذ الفاطمي سياسياً ودينياً ، وشب المعرى وقد امتلأ فكره بعقائد الفاطميين وآرائهم ، وحوى منها الشىء الكثير ؛ فلما نضج واستطاع أن يميز بين المذاهب المختلفة والآراء المتباينة تخلى عن كثير من عقائده وآرائه السابقة التى كانت تسود بيئته وعصره ، وكون لنفسه مذهباً حراً لا يتقيد برأى ولا يتعصب لمذهب دون مذهب . فأغضب معاصريه سواء أكانوا على مذهب الفاطميين أم من جمهور أهل السنة ، واتهم فى دينه شأنه فى ذلك شأن كل المصلحين وزعماء الفكر الحر فى جميع أنحاء العالم

فالمعرى لم يكن من دعاة المذهب الفاطمى ، بل لم يكن ممن اعتنق هذا المذهب ، بل كان أشد الناس حرية للفكر ومن أكبر زعماء المسلمين والعرب دعوة إلى حرية الفكر .

(يتبع)

دكتور
محمد كامل حسين
مدرس بكلية الآداب بالقاهرة

ولـكنه لا يقول : إنه ملول سأمان ، ولا أنه يائس قانط ، إنمـا يرسم لك صور الحياة والأشياء فى نفسه ، ويدعك ترى نفسه فى هذه الصور والأشياء :

الـكل باطل . وحركة الحياة مكرورة معادة ، لا شىء جديد تتفتح له النفس ، ويتطلع له القلب . الأرض قائمة إلى الأبد ، والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق . والريح كذلك . تذهب دائرة وإلى مداراتها ترجع . والأنهار تجرى إلى البحر ، والبحر ليس بملآن ... فالطبيعة هنا — من خلال هـذه النفس — يغشيها السأم والملال والتكرار العقيم .

ثم ماذا ؟

ثم هذا هو الإنسان . تقصر كلماته عن التعبير عما فى نفسه ، والعين لا تشبع من النظر ، والأذن لا تمتلئ من السمع ، فهو عبث كله ما يحاول من الـكلام والنظر والسمع ، وسائر ما تهم به الجوارح والوجدانات . على أنه ليس هناك جديد تحت الشمس ، كل ما يكون فقد كان . ويزيد عبث المحاولة لأى شىء فى هذه الدنيا أن ليس ذكر للأولين ، وأن ليس ذكر للذين سيكونون ، فالـكل ينسى ويطوى فى تيه النسيان ... !

الـكل باطل ، والمحاولة عبث ، فالأعوج لا يقوَّم ، والنقص لا يُجبر . والحـكمة عبث كذلك ، فهى مصدر الغم ، والذى يزيد علماً ، يزيد حزناً

لا شىء إذن يستحق النظر . لا شىء يستحق المحاولة . وما على المرء إلا أن ينتظر فى سأم وملل وضيق ، حتى تنتهى هذه الأيام المـكتوبة عليه ، ثم يجرفه التيار فيمضى كأن لم يكن ، ويطوى فى زوايا الإهمال كالآخرين !

هنا صورة نفس ، تلقى ظلها على الحياة والأشياء ، فتطبعها بطابعها ؛ يراها الرائى فتؤثر فى حسه ، وتنطبع فى نفسه ، لأنها نفس إنسان ، لا تركيبة ذهن . وهنا تشترك طريقة الإحساس مع طريقة التعبير ، فى التصوير والتظليل ، وفى إبراز نفس إنسانية من وراء الألفاظ ، ومن بين السطور ، على الطريقة التى فصلناها فى كلمات سابقات

***

فى ظل هذه الصورة نقرأ قطعة لتوماس هاردى الشاعر الإنكليزى الحديث : (ترجمة الأستاذ العقاد فى ساعات بين الـكتب)

« إذا طلع الفجر ، ونظرت إلى الطبيعة المصبحة ، جدولاً وحقلاً وقطيعاً وشجراً موحشاً ، رأيت كأنما هى أطفال مكبوحة على مقاعد الدراسة تشخص إلىّ . وكأنما قد طـالت عليها ثقلة الأستاذ فى أساليبه ، فبردت حرارتها ، ورانت على وجوهها السآمة والضجر والإعياء ، وكأنما تهمس بسؤال كان مسموعاً ، ثم تخافت حتى لا تنبس به الشفاه : عجباً ! عجباً لا انقضاء له أبد الزمان . ما بالنا نحن نقوم فى هذا المـكان ؟ أتراها حماقة جليلة قادرة على التـكوين ولـكنها غير قادرة على القصد والترسيم . خلقتنا فى مزاح ، ثم تركتنا جزافاً لمـا تجىء به الصروف ؟ أم تراها آلة لا تفقه ما نحن فيه من الألم والشمور ؟ أم ترانا بقية من حياة إلٰهية قديمة تموت ، فقد ذهب منها البصر والضمير ؟ أم تراها حكمة عالية لم تدركها العقول ، ونحن فى جيشها « فرقة الفداء » والغلبة المقدورة للخير على الشر مقصدها الأخير ؟

« كذلك يسألنى من حولى ولست أنا بالمجيب ، وما تبرح الريح والمطر والأرض فى الظلام والآلام كما كانت وكما سوف تـكون ، وما يبرح الموت يمشى إلى جانب أفراح الحياة »

ونحن نكتفى هنا بتعليق الأستاذ العقاد على هذه القطعة ، ففيه أقصى ما نبلغ أن نقول :

« إننا نضرب المثل الأعلى للبلاغة الشعرية بهذه القطعة التى تلوح له (يعنى القارئ الذى تهمه المعانى لا الصور النفسية) هزيلة ضامرة لا تساوى بيتاً من ابن نباتة ، ولا شطرة من صفى الدين ! لأننا نعلم أن الشاعر أراد أن يمثل بها « حالة نفسية » تحيك بنفسه ، فمثـلها لنا أحسن تمثيل . أراد أن يصور لنا ملالة النفس العارفة بأسرار الحياة ونواميس الوجود ، فصورها فى سكون لا ادعاء فيه ، وإيجاز لا خلل فيه ، وبساطة يخطئها الجاهل فيحسبها من غثاثة الفضول . فهو رجل نظر فى عبث العواطف وعبث الحوادث وعبث النواميس ، فتولاه الضجر ، ونفرت نفسه ، ثم ثابت إلى السكينة والتسليم — فيم يحزن الحزين ، ويفرح الفرحان ، وفيم ينخدع الناس لهذه الآمال الـكاذبة ، ثم لا يزالون ينخدعون بها ، وهم يعلمون أنهم مخدوعون ؟ فى لا شىء ! ... الخ »

وهذا نموذج من التصوير والتظليل ، الذى تتراءى من خلاله « حالة نفسية » تشترك فى رسمها طريقة الإحساس ، وطريقة التعبير

* * *

ونرجع إلى « العهد القديم » فنختار مقطوعة من « نشيد الإنشاد » المشهور :

تقول « شوليت » بطلة هذا النشيد :

« كالتفاح بين شجر الوعر ، كذلك حبيبي بين البنين . تحت ظله اشتهيت أن أجلس ، وثمرته حلوة لحلقى ، أدخلنى إلى بيت الخمر وعَـلَمُه فوقى محبة . أسندونى بأقراص الزبيب ، أنعشونى بالتفاح فإنى مريضة حباً . شماله تحت رأسى ، ويمينه تعانقنى . أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول : ألا توقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء

« صوت حبيبى . هو ذا آت طافراً على الجبال ، قافزاً على التلال . حبيبى هو شبيه بالظبى أو بغفر الأيائل . هو ذا واقف وراء حائطنا ، يتطلع من الكوى ، يوصوص من الشبابيك . أجاب حبيبى وقال لى قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى . لأن الشتاء قد مضى ، والمطر مرَّ وزال . الزهور ظهرت فى الأرض . بلغ أوان القضب . وصوتُ اليمامة سُمع فى أرضنا . التينة أخرجت فجها ، وقُعال الكروم رائحتها . قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى يا حمامتى فى محاجئ الصخر ، فى ستر المعاقل ، أرينى وجهك ، أسمعينى صوتك . لأن صوتك لطيف ووجهك جميل

« خذوا لنا الثعالب ، الثعالب الصغار المفسدة للكروم ، لأن كرومنا قد أقعلت

« حبيبى لى ، وأنا له . الراعى بين السوسن إلى أن يفيح النهار ، وتنهزم الظلال ، أرجع وأشبِهْ يا حبيبى الظبى أو غفر الأيائل على الجبال المشعبة

ويقول حبيبها الراعى فى مقطوعة أخرى من النشيد :

« ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات . قامتك هذه شبيهة بالنخلة ، وثدياك بالعناقيد . قلت : إنى أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها ، وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ، ورائحة أنفك كالتفاح ، وحنكك كأجود الخمر ، السائغة المرقرقة السائحة على شفاه النائمين !

« أنا لحبيبى وإلىَّ اشتياقه . تعال ياحبيبى لنخرج إلى الحقل . ولنبت فى القرى . لنبكرن إلى الكروم ، لننظر : هل أزهر الكرم ؟ هل تفتح المقال ؟ هل نوَّر الرمان ؟ هنالك أعطيك حبى . اللقاح يفوح رائحة ، وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرتها لك يا حبيبى »

فهنا صورة للحب الفطرى ، كأنما هو قطعة من حب الطبيعة ، يتفتح حين تتفتح ، ويفوح حين تفوح . الحبيب فتىً يقفز من فوق التلال المشعبة كالأيل ، والحبيبة كالنخلة وثدياها كالعناقيد . وهما يبرزان للطبيعة ويتواريان فيها كأنهما من كرومها الفائحة المتفتحة ، أو ظبائها وأيائلها الطافرة . أو يمامها فى محاجئ الصخر وستر المعاقل . ثم :

« لننظر هل أزهر الكرم ؟ هل تفتح العقال ؟ هل نوَّر الرمان ؟ هنالك أعطيك حبى ! اللقاح يفوح رائحة . وعند أبوابنا كل النفائس من جديدة وقديمة ذخرتها لك يا حبيبتى »

وهذا منتهى الإحساس بحيوية الطبيعة ، والاستجابة ، كما تستجيب الطبيعة ، وفى إبانها المناسب وأوانها المعلوم . وكل هذا من خلال الصورة والظلال التى يرسمها التعبير للطبيعة وللنفس الإنسانية على السواء . وهى أعلى فى آفاق الفن من كل دعاء بالغزل على طريقة المعانى الذهنية التى تكاد تكون الوسيلة الوحيدة للتعبير فى شعر العذريين وغير العذريين ، فيما عدا الفلتات التى لا تكون القاعدة ، وإنما تكون الاستثناء القليل

* * *

وفى ظل هـذه القطوعات القديمة نتملى قطعة الشاعرة الإنجليزية المعاصرة المرموز لها : « لورانس هوب » التى نقلناها فى مقالة سابقة تحت عنوان : « فى غير هذه الليلة » وقد جاء فيها :

لا . حين تشتهى استجابة الحب الكبرى

أقبل على والصباح يرتع فى الأنوار

والبلابل من حولنا مشوقة تصدح بالغناء

بين الورود من حمر وبيض

وبقيتها فى « عرائس وشياطين » وفى عدد الرسالة (٥٧٩) وقد قلنا فى التعليق عليها هناك :

هذه شاعرة وامرأة ، يبدو فى مقطوعاتها طريقة إحساسها

كتاب المصايد والمطارد

لكشاجم المتوفى سنة ٣٦٠ ﻫ

للأستاذ سعيد الديوه‌جي

كنت في صيف السنة المنصرمة قد عثرت على مخطوط قديم في المدرسة الحسنية في الموصل ، وتحققت بعد ذلك أن هذا المخطوط هو كتاب « المصايد والمطارد » لكشاجم الشاعر .
وفي ١٤ أغسطس ١٩٤٣ أطلعني أحد الأفاضل في بغداد على مقال للدكتور الجليل إسرائيل ولفنسون « أبي ذؤيب » نشره في مجلة المجمع العلمي العربي عن كتاب « المصايد والمطارد » ، وقد كتب الدكتور الجليل بأنه يود أن يتعرف على نسخة غير نسخته فكتبت هذه الكلمة تلبية لطلبه .

بين مخطوطات المدرسة الحسنية في الموصل مخطوط قديم ذكره الدكتور الفاضل داود الجلبي في كتابه مخطوطات الموصل ص ١٢٢ تحت الرقم (٢٦) باسم « بازنامة » . حجم الكتاب ٢٣ × ١٦ سم وعدد صفحاته (١٩٠) صفحة في الصفحة الواحدة (١٧) سطراً . وهو مكتوب على ورق سميك ، ويظهر من قواعد كتابته وورقه والحبر الذي كتب به أن الكتاب يرجع إلى القرن السادس الهجري أو ما يقارب ذلك ، كما يظهر أن المخطوط قد تمزق على ممر السنين وأعيد تجليده مرة ثانية فأصلح غلافه وزيد في كل من أوله وآخره ثلاث أوراق بيضاء خالية من الكتابة ، وهذه الأوراق الستة تختلف عن ورق الكتاب الأصلي فهي : أقل سمكا وأنصع بياضاً . أما الورق الأصلي فقد اكتسب سمرة تدل على قدمه وخاصة حول الأسطر الكتابية فإن السمرة تزداد . وإن المجلد قد أخطأ في ترتيب أوراق الكتاب ، فوضع الورقة ٩٠ منه بعد الورقة ٩٣ اتضح لي هذا من سياق البحث . والنسخة التي بين أيدينا كثيرة الغلط والتحريف فيظهر أن الناسخ كان يجهل قواعد اللغة العربية ، فكان يمسخ بعض الكلمات بدلاً من أن ينسخها . ونجد قسما من الكلمات خالية من الإعجام ، وأعتقد أن بعض هذا كان من إهمال الناسخ ، وأن البعض الآخر كان من تأثير الرطوبة في المخطوط

الصفحة الأولى من الكتاب كلها نقوش لازوردية ومذهبة ، ولكن الرطوبة وطول الأمد وعبث الأيدي أثرت في هذه النقوش فأزالت القسم الكبير منها وشوهت الباقي . في القسم الأعلى من هذه الصفحة دائرة كبيرة ظهر لي في وسطها كتابة باللون الذهبي تأملتها طويلاً ؛ فعلمت أنها اسم الكتاب « المصايد والمطارد » . أما وسط الصفحة فأعتقد أنها خالية من الكتابة وهي مجرد نقوش . أما أسفل الصفحة ففيها كتابة يظهر أنها كانت مكتوبة

بفرح الطبيعة وحزنها ، وتتبين الوشائج الحية بينها وبين هذه الأم الكبيرة

***

عنينا باستعراض قطعة هاردي في ظل قطعة « الجامعة » وقطعة « لورنس هوب » ، في ظل قطعة « شوليت » لغرض خاص ، هو بيان مدى تأثر الشعر الأوربي وانتفاعه بكتابهم المقدس ، وهو تأثر واضح في هذه القطع جميعاً . في طريقة الإحساس وفي طريقة التعبير على السواء

ونحن نجد القرآن بين أيدينا ، وهو يتبع في التعبير طريقة التصوير الحي ، الذي يزيد مساحة المعنى النفسية ، ويحيله صورة حية ، حتى في الأغراض الدينية البحتة

بين أيدينا هذا الكتاب المقدس يتحدث بأبرع طريقة فنية في الأداء ، فلا ننتفع بها ، ونرجع إلى اقتباس طرق تعبيرنا إلى الشعر العربي ولا سيما في العصر العباسي ، حينما تأثر الشعر بالفلسفة والمنطق ، وبرزت فيه المعاني الذهنية بروزاً واضحاً ؛ ولولا أصالة الطبع في بضعة شعراء في هذا الوقت ، لقضت الطريقة الذهنية في الأداء على الطابع الفني تمام القضاء.

إنني أدعو إلى تملي طريقة القرآن في التصوير والتظليل فهي أعلى طريقة فنية للأداء . وإذا كانت وجهة القرآن الدينية ، قد جعلت هذه الطريقة خاصة بأغراض الدعوة الإسلامية . فإن نقلها إلى عالم الأدب خليق بأن يرفع هذا الأدب إلى آفاق رفيعة ، لم تصل إليها حتى الآن . فهلموا إلى ذلك النبع الأصيل . نبع القرآن .

سيد قطب

باللون الذهبي وسط نقوش لازوردية ، ولكن طمست معالم الكتابة ، ولم يبق إلا آثار بعض الحروف فصعب قراءتها . ولا نجد على المخطوط ذكراً للمؤلف . فمن يا ترى مؤلف هذا المخطوط ؟ ذكر ابن النديم أن « أبا دلف القاسم بن عيسى والفتح ابن خاقان وابن المعتز ومحمد بن عبد الله بن البازيار وأبا الفتح محمود ابن الحسين بن شاهن المعروف بكشاجم » ألفوا في الجوارح والصيد . ومؤلف المخطوط الذي بين أيدينا يستشهد بأبيات لابن المعتز وبأخرى لأبي فراس الحمداني المتوفى سنة ٣٥٧ ﻫ . ونحن نعلم أن أبا دلف توفى سنة ٢٥٦ ﻫ . والفتح بن خاقان توفى سنة ٢٤٧ ﻫ . وابن المعتز توفى سنة ٢٩٦ ﻫ . فيكون المؤلف قد عاش بعد هؤلاء الثلاثة . أما كشاجم وابن البازيار فإنهما كانا معاصرين لأبي فراس ، وكانا من شعراء الدولة الحمدانية في حلب وعاشا في ظلالها ، وتوفى كشاجم سنة ٣٥٠ أو سنة ٣٦٠ ﻫ . وتوفى ابن البازيار سنة ٣٥٢ ﻫ . ولكن لدينا من الأدلة ما تؤيد أن المخطوط هو لكشاجم وهي :

١ — اتفق الذين ترجموا لكشاجم أنه كان متضلعاً من علوم عديدة ، وكان كاتباً شاعراً وله كتاب « المصايد والمطارد » وذكر صاحب كشف الظنون (ج ٢ : ص ٢٧٦) كتاب « المصايد والمطارد » لأبي الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم المتوفى سنة ٣٥٠ﻫ . كما ذكر جرجي زيدان في كتابه تاريخ أدبيات اللغة العربية (ج ٢ : ص ٢٥١) في ترجمة كشاجم وينسب إليه كتاب البزاة في علم الصيد ، منه نسخة خطية في مكتبة غوطا . مما لا شك فيه الآن أن لكشاجم كتاباً اسمه (المصايد والمطارد)

٢ — وقد ذكر صاحب هذا المخطوط في باب فضل لحم الصيد ما يأتي :

وأهديت إلى بعض إخواني صيداً وكتبت إليه في عقب علة كان فيها بهذه الأبيات :

أزال الله شكواك   وأهدى لك أقواقا
خرجنا أمس للصيد   وكنا فيه سُباقا
فسمينا وأرسلنا   على أسهل إطلاقا
فتاح الله بالرزق   وكان الله رزاقا
فخصلنا من الدرا   ج ما الرحل به ضاقا
فأطعمت وأهديت   إلى المطبخ أو ساقا
وخير اللحم ما أقلـ   ـقه الجارح إقلاقا
وذو العادة للصيد   إذا أبصره تاقا
فيمدوه بما كان   إليه الدهر مشتاقا
فكل منه شفاك الله   مشوياً وأمراقا
فهذا الحفظ للصحة   لا تدبير إسحاقا

فرجعت إلى ديوانه المطبوع في بيروت ، فوجدت هذه الأبيات في صفحة ١٢٩ ، ١٣٠ منه

٣ — وذكر مؤلف هذا المخطوط في باب معرفة (أصناف البزاة) قال محمود مؤلف هذا الكتاب ، في ذلك شعراً :

حسبي من البزاة والزرارق
سدق (كذا) يصيد صيد الباشق
مؤدب مهذب الخلائق   أصْيدُ من معشوقة لعاشق
يسبق في السرعة كل سابق   ليس له عن صيده من عائق
ربيته وكنت غير الواثق   من طبعه بكرم الخلائق
إن الفرازين من البيادق

ونحن نعلم أن اسم كشاجم هو محمود ، وهذه الابيات من نظمه ومذكورة في ديوانه (ص ١٣٣) فلم يبق شك في أن هذا المخطوط هو لكشاجم

المخطوط الذي بين أيدينا مشوش التبويب . فالناسخ قد سلك في تبويبه طريقة غريبة جداً فإنه بعد المقدمة يشمل على مائة باب وباب واحد (٨٤) منها ذكر معها لفظ باب . فمثلاً (باب ذكر الصيد ، باب فضائل الصيد ، الخ ...) وبعضها يذكر (لفظ باب) فقط و (١٧) لم يذكر معها لفظ باب ، وإنما كتب العنوان مجرداً من الباب مثلاً (معرفة أصناف البزاة) أما بعد الصفحة (١١٦) فإنه قسم الكتاب إلى أبواب رئيسية يشمل كل باب منها أبواباً فرعية ، فأول هذه الأبواب الرئيسية هو (باب علامات الجص وأدويته) ويشتمل هذا الباب على ثمانية أبواب فرعية ، ثم يليه (باب الأكلة) ويشتمل على بابين فرعيين ، ثم يلي هذا أدوية النفس ويشمل على ستة أبواب فرعية الخ ... وهذه الفرعية بعضها له علاقة بالباب الرئيسي وبعضها ليس له علاقة به . ويختم

٤ ـ فساد الطريقة
في كتاب النثر الفني
للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

سوء الفهم أيضاً

ليس الغريب أن يخطئ صاحب الكتاب ذلك الخطأ الشنيع في فهم الواضح من آيات القرآن الكريم كآية سورة هود التي حللنا فهمه إياها في كلمتنا السالفة ، فإن خطأه ذلك إن هو إلا نتيجة لرأيه في القرآن ، ومصداقاً لقوله تعالى : « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه » لكن الغريب أن يخطئ في فهم نصوص ذكرها من كلام الناس خطأ نذكر لك الآن منه صنوفاً .

أراد صاحب الكتاب أن يبين أن صحة المعنى لا تكفي لبلاغة الكلام ؛ فزعم أنه « لا يوجد أصدق من قول من قال :

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

وتساءل : ولكن من الذي يقيم وزناً لصدق هذا الكلام ؟ إن هذا الصدق هو التفاهة بعينها »

والتفاهة ليست في صدق البيت ولكن في الفهم الذي لا يدرك أن سر تفاهته هو في الخلف الذي بين شطريه . ذلك أن البيت في صميمه بيت تشبيه ، والتشبيه يتطلب مشبهاً به مغايراً للمشبه ، والقارئ يتوقع هذه المغايرة إذا قرأ الشطر الأول ؛ فإذا وجد الشطر الثاني قد كذب هذا التوقع بجعله المشبه به عين المشبه بطل التشبيه عنده ، وهزئ بالقائل الذي لا يعرف ما هو التشبيه ، وبالبيت الذي يكذب شطر منه شطراً

فالبيت من ناحية التشبيه بيت كاذب : يعد القارئ في شطره الأول بشيء يخلفه إياه في شطره الثاني . وهذا الخلف والتضاد بين شطري البيت هو سر تفاهته . فلو حذفت منه حرف التشبيه ووضعت مكانه حرف التوكيد لزال من البيت الخلف الذي هو نوع من الكذب ، ولحل محله الصدق ، ولارتفعت قيمة البيت ارتفاعاً يجعله بمنجاة من أن يكون مثلاً مضروباً في السخرية والاستهزاء ، لكن صاحب الكتاب غبي عليه أن التفاهة التي يحسها في البيت راجعة إلى هذا النوع من الكذب فيه ، وتصور أن البيت قد بلغ من الصدق الغاية ، فدل بذلك على أنه في الحقيقة لم يفهم البيت

ونص آخر وقف صاحب الكتاب عنده موقف العاجز عن الفهم . قول للباقلاني في كتابه إعجاز القرآن يحتج به لما يراه من أن ما جاء في القرآن على هيئة السجع ليس بسجع « لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع ، وليس

كل باب من الأبواب الرئيسية بقوله مثلاً عند نهاية باب الجص (انقضت أبواب الجص وأدويتها ، بحمد الله وعونه يتلوها إن شاء الله أبواب الأكلة المتولدة في جوف الجارح من الجص وغيره وبالله التوفيق)

وفي الباب الأخير الرئيسي الذي ينتهي به المخطوط تكلم المؤلف عن علاجات مختلفة لأمراض الجوارح ، ثم تكلم عن الكلاب وصيده وخصائصه وأمارات الفراهية فيه وأحكامه وأدويته ، وانتقل بعد هذا إلى أدوية الفهود وذكر عنها مقتضباً وهو أدوية الفهود : اعلم أن جرب الفهود يعتريها من بولها فينبغي أن يفرش الرمل تحتها حتى يصفو شعرها ولا يصيبها شيء من بولها إلا يشربه الرمل ، ويبدل الرمل من تحته كل قليل فإذا جرب فاسحق له الكبريت الأصفر وربه بالزيت ، واطل بدنه من الجرب فإنه يبرأ منه بإذن الله تعالى والله أعلم

ولهذا فإني أشك أن يكون هذا الكتاب كاملاً إذ ليس من المعقول أن يتكلم المؤلف عن الفهد في هذه الأسطر المعدودة بينما نجده تكلم عن بقية حيوانات الصيد وجوارحه في أبواب متعددة يستوفي البحث ، ومما زيد في شكي هذا أن الناسخ لم يختم الباب الأخير بالجملة التي يختم بها الأبواب الرئيسية التي بعد ص ١١٦

وفي الكتاب صورتان للباز مرسومتان بالمداد الأحمر ، وهما خاليتان من كل زخرف ، الأولى رسمت تحت عنوان (باب شرح البزاة وصفتها) والثانية مرسومة بين أسطر (باب علامة صحة الجارح) . اهـ

(الموصل) **سعيد الديوه جي**

كذلك ما اتفق مما هو فى تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى » وهذا كلام للباقلانى واضح ، يحدد السجع فى رأيه كما يعرفه فى كلام المستكثرين منه ، ويرى سجع القرآن يمتاز منه بمخالفة هذا الحد والفصل الذى ذكر ؛ فلم يجعله من قبيله ، وافقته على ذلك أو خالفته . وقد أراد الباقلانى أن يؤكد احتجاجه لرأيه ذلك فقال كما روى صاحب الكتاب ، وهذا هو محل الاستشهاد :

« وفصل بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ . ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى »

نقل صاحب الكتاب هذا الكلام ، ودل فى الهامش على موضعه من كتاب الباقلانى ، ومضى يلخص الفكرة فيه من غير أن يلحظ أن الكلام فى الأصل ، وكما نقله غير مستقيم مع رأى الباقلانى لتداخل وقع فيه عند طبع الأصل أو عند النسخ استغلق به المعنى على القارئ ، من غير أن يدرك ذلك صاحب الكتاب فيزيل منه التداخل قبل التعليق عليه أو تلخيص الفكرة فيه . والتأمل يبين أن وجه الكلام هو كما يأتى بعد نقل كلمة واحدة مكان كلمة ، وجملة واحدة مكان جملة :

« وفصل بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون اللفظ منتظماً دون المعنى . ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره »

وقد تكون الفقرة الأخيرة كما يأتى إذا كان التبادل وقع بين فعلى الشرطيتين لا بين جوابيهما :

« ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى »

فهذان وجهان للكلام لا بد أن يكون واحد منهما هو ما كتب الباقلانى فى كتابه ، إذ لا يتضح معناه بغير ذلك . لكن صاحب الكتاب لم يفطن إلى ما فى الكلام الذى نقله من تداخل ، ولم يحاول أن يناقش حجة الباقلانى التى استغلقت عليه بذلك التداخل ، وقصر تلخيصه للفكرة على المعنى المتضح من كلام الباقلانى الذى نقلناه أولا ، موهماً أنه قد لخص المعنى فى الكلام كله ؛ فدل بذلك على تقصيره فى فحص الكلام وتقليبه ؛ أو على قصوره فى الفهم والتفكير

والآن ننتقل إلى مثل ثالث يتعلق لا بسجع القرآن ، ولكن بالسجع فى القرن الثالث

ذلك أن صاحب الكتاب نقل فى صفحة ٨٤ من الجزء الأول من كتابه نصاً من الجزء الأول من كتاب ضحى الإسلام هو :

« ونحن نعلم أن هذا العصر — عصر الجاحظ — لم يتكلف فيه سجع ، ولم تؤلف فيه كتب مسجوعة كلها ؛ وإن تكلف فيه سجع ففقرة أو فقرتان . فأما كتاب كله سجع فهذا ما لا نعرفه فى هذا العصر »

وواضح أن الإنكار الذى فى هذا النص منصب فى صميمه على أن يكون فى عصر الجاحظ كتاب كله سجع ؛ ولكن صاحب النثر الفنى غفل عن هذا أو تغافل عنه فى المناسبات الثلاث التى أشار فيها إلى رأى الأستاذ أحمد أمين

ففى المناسبة الأولى وهى التى دعته إلى ذكر ذلك النص لتخطئته استشهد على إمكان وجود كتاب مسجوع لرجل من كتاب القرن الثالث بحرص « ابن داود على وضع عناوين الفصول مسجوعة فى كتاب الزهرة » وواضح أن القرن الثالث يمتد بعد عصر الجاحظ بنحو نصف قرن ، فلو وجد فيه كتاب مسجوع لما استلزم أن يكون حتماً فى عصر الجاحظ . كذلك من الواضح أن عناوين فصول كتاب ليست هى نفس الكتاب ، فوجود العناوين كلها مسجوعة ليس معناه أن الكتاب نفسه مسجوع كله . لكن ذلك هو مبلغ فهم صاحب النثر الفنى للنص الذى أورده لصاحب ضحى الإسلام ومبلغ تفنيده إياه

وفي المناسبة الثانية يشير صاحب الكتاب إلى رأى الأستاذ احمد أمين بقوله من صفحة ٨٦ : « ولا ينبغى أن نستبعد – كما استبعد الأستاذ احمد أمين – أن توجد مؤلفات مسجوعة فى القرن الثالث ؛ فان عصرنا الحاضر ينكر السجع على المؤلفين أشد الإنكار ويراه ضرباً من التكلف الممقوت ، ومع هذا وجدت فى عصرنا مؤلفات مسجوعة ، مثل : (صهاريج اللؤلؤ) و (حديث عيسى بن هشام) وابواب من (ليالى سطيح) .

وقد وقع صاحب هذا الكلام فى نفس الخطأ الذى وقع فيه آنفاً ، إذ جعل القرن الثالث هو وعصر الجاحظ سواء ، ونسب بذلك إلى أحمد أمين قولاً لم يقله فى النص الذى رواه له ، وإن كان أكبر الظن أن القرن الثالث لم يشهد بالفعل كتاباً مسجوعاً كله ؛ إن لم يكن هنالك على عكس ذلك إلا أدلة صاحب الكتاب . ألا ترى أنه لا يفرق بين عصرنا هذا الذى يستنكر فيه التزام السجع والعصر الذى عاش فيه البكرى والمويلحي ؟ أفكان ع يستنكر التزامه قبل نصف قرن حين كتب ذانك ابان ، كما يستنكر ذلك الآن حتى يجعل صاحب النثر الفنى ين واحداً ، ويستدل بوجود الكتابين على وجود الضدين فى هذا العصر ؟ أم كان التزام السجع مستحسناً كل الاستحسان حين كتب ذانك الكتابان فلا يكون لصاحب النثر الفنى فيهما إذن دليل أو برهان ؟

ويقول صاحب الكتاب فى مناسبة ثالثة فى صفحة ٩٦ : « والقرن الثالث يسميه صديقنا الأستاذ أحمد أمين (عصر الجاحظ) وينفى عنه السجع ، مع أن الجاحظ يسجع ولا يخرج من السجع إلا إلى الازدواج » . أقرأت هذا ووعيته ، وأدركت الفرق بين ما ينسبه صاحب النثر الفنى إلى صاحب ضحى الإسلام هنا ، وبين النص الذى يرويه له هناك ؟ صديقه الأستاذ أحمد أمين يسمى القرن الثالث عصر الجاحظ ، وصديقه الأستاذ أحمد أمين ينفى عن القرن الثالث السجع ! وهكذا يصح فى فهم صاحب الكتاب أن يمتد عصر الجاحظ إلى سنة ٣٠٠ هـ ، لأن الجاحظ مات سنة ٢٥٥ هـ ، وأن ينفى مؤرخ السجع عن القرن الثالث لأنه نفى وجود كتاب كله سجع فى ذلك القرن ، أو فى النصف الأول من ذلك القرن !

فقد رأيت الآن ثلاثة أوجه لفهم دكتورنا البحاثة لنص واحد لمؤلف معاصر ، ورأيت كيف يحوره ويدوره حتى صيره إلى ما رأيت وما ترى . والأمر إليك الآن فى تسمية هذا النوع من التفكير بحثاً أو تسميته عبثاً ، وفي تسمية هذا النوع من التصور تصريفاً أو تحريفاً ، ومن النقل مسخاً أو نسخاً ، ثم فى تسميته هذا كله عجزاً عن الفهم أو اقتداراً عليه ، وصلاحاً فى الطريقة أو فساداً ؛ فإن الأمر جل عن التلاحى ، أو قل كما تشاء أن تقول

محمد أحمد الغمراوى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٩٩ — قم فجئني لقده بمثال

في (قلائد العقيان) : ساير أبو محمد عبد الجليل بن وهبون[١] الوزير الأستاذ أبا بكر بن القبطرنة وهو غلام يحار مجتليه ، ويغار غصن البان من تثنيه ، وقد وضع يمناه في شماله ، وتضوع عرف آماله ، والناس ينظرون هلال شوال ؛ فقال :

يا هلال ، استتر بوجهك عني · إن مولاك قابض بشمالي
هبك تحكي سناه خدا بخد · قم فجئني لقده بمثال

٦٠٠ — ما ليس عندي من إحدى المصيبات

قال الربيع بن سليمان : قصد الشافعي رجل يطلب منه شيئاً فأعطاه ما أمكنه ثم أنشأ يقول :

يا لهف نفسي على مال أفرقه · على المقلين من أهل المروءات
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني · ما ليس عندي من إحدى المصيبات

٦٠١ — الحمرة التي تعلو وجهها من الحياء

الظرائف واللطائف للمقدسي : قيل لبنت أرسطاطاليس : ما أحسن ما في المرأة ؟

قالت : الحمرة التي تعلو وجهها من الحياء

٦٠٢ — وضربت للحدثان والحرب

في (الكامل) : كانت رُكب[٢] الناس قديماً من الخشب فكان الرجل يُضرب رِكابُه فينقطع ؛ فإذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد ، فأمر المهلّب[١] فضربت الركب من الحديد ، وهو أول من أمر بطبعها[٢] ، ففي ذلك يقول عمران بن عصام :

ضربوا الدراهم في إمارتهم · وضربتَ للحدثان والحرب

٦٠٣ — ما أعجب هذه القصة !

(وفيات الأعيان) : كان أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السرّاج أحد الأئمة المشاهير[٣] المجمع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والأدب . وكان يهوى جارية فجفته ، واتفق وصول الإمام المكتفي (العباسي) في تلك الأيام من الرقة[٤] . فاجتمع الناس لرؤيته ، فلما رآه أبو بكر استحسنه ، وأنشد أصحابه هذه الأبيات :

ميّزت بين جمالها وفَعالها · فإذا الملاحة بالخيانة لا تفي[٥]
حلفت لنا ألاّ تخونَ عهودنا · فكأنما حلفت لنا ألاّ تفي
والله لا كلّمتُها ولو أنها · كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

ثم إن أبا عبد الله محمد بن اسماعيل بن زنجي الكاتب أنشدها أبا العباس بن الفرات وقال : هي لابن المعتز ، وأنشدها أبو العباس القاسم بن عبيد الله الوزير . فاجتمع الوزير بالمكتفي وأنشده إياها ، وقال للمكتفي هي لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، فأمر له بألف دينار فوصلت إليه ؛ فقال ابن زنجي : ما أعجب هذه القصة ! يعمل أبو بكر بن السراج أبياتاً تكون سبباً لوصول الرزق إلى عبيد الله بن طاهر

---

(١) وله ، وقد اجتاز على فرن وبده مرتبطة بيد أحد فتيان أشبيلية يُسمى رييما ، فقال له : صف لنا هذا الفرن فقال :

رب فرن رأيته يتلظى · ورييع مخالطي وعقيدي
قال شبه فقلت صدر حسود · خالطته مكارم المحسود

(٢) ركب : جمع ركاب . الأساس : ووضع رجله في الركاب

(١) أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة بطل أي بطل وعبقري في سياسة الحرب . وفي (الايجاز والاعجاز) للثعالبي من كلامه : الاقدام على الهلكة تغرير ، والاحجام عن الفرصة جبن شديد

(٢) طبعها : عملها . الأساس : طبع السيف والدرهم ضربه .

(٣) المشاهير في كلام العلماء والأدباء كثير .

(٤) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات ، ويقال لها الرقة البيضاء (معجم البلدان)

(٥) (فعالها) قال المبرد الفعال يكون في المدح والذم وهو مخلص لفاعل واحد وإذا كان من فاعلين وهو فعال بالكسر (التاج) .

مشهد من الفصل الأول من :

قصر الهودج (*)

للأستاذ علي أحمد باكثير

[كان الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله مغرماً بحب البدويات فسمع بجمال فتاة من بادية الصعيد فأرسل إلى أبيها يخطبها فرد الرسول ، فذهب بنفسه متنكراً كأنه رسول آخر من الخليفة . وطلب من أبيها أن ينفرد بسلمى ليقنعها بقبول الخليفة فوافق أبوها (الشيخ عمار بن سعد) . فلما خلا بها اجتهد بكل وسيلة أن يجعلها تعدل عن حب ابن عمها (ابن مياح) وتقبل يد الخليفة الفاطمي ولكن سلمى أصرت على الاعتذار بحب ابن عمها ، وإيثار حياة البادية على حياة القصور . وعندئذ غير الرسول مهجته وقال لها :

الرسول (الخليفة نفسه) :

عِشْتِ يا سلمى طليقَهْ   لستِ للمُدْنِ صديقه

لا تحبّين مغانيـ   ـها ولا الدور الأنيقه

سلمى (يبدو في وجهها السرور) :

لطف الله بحالكْ   قد فهمتَ الآن قصدي

الرسول :

كيف لا أفهم ذلك   والذي عندكِ عندي ؟

أنا من رأيكِ يا سلـ   ـمى ومَيْلي مثلُ مَيْلِكْ

آهِ لو تسمح لي الأيـ   ـام يا سلمى بنَيْلِكْ !

أنتِ لي لستِ لغيري   وأنا لستُ لغيرِكْ إن لي قلباً كقلبِكْ !

سلمى (مدهوشة) : عجباً ! هل أنت مجنون ؟

الرسول :

نعم يا نور عيـ   ـني أنا مجنونٌ بحبّكْ !

قَسَماً بالدُّرِّ في ثغـ   ـرِكِ والوردِ بخـدِّكْ

إنني عبدُكِ يا سلـ   ـمى حنانَيْكِ بعَبْدِكْ !

سلمى :

حَسْبكَ أخرس ! قطع الله لسانك !

الرسول :

يا حياتي حفِظَ الله زمانَكْ !

أنسبّين لساناً يتغـ   ـنّى بعبيرِكِ وجمالِكِ وشعاعِكِ ؟

سلمى :

بل لساناً كاذباً خنت به عهد أميرك   باحتيالِكَ وخداعِكَ !

الرسول :

الأمير انسيْه لا تُجرِيه يا سلمى ببالِكِ   أو خيالِكِ

أنا خير منه يا سلمى وأولى بجمالِكِ   ودلالِكِ !

سلمى :

آه لو يسمع ما قُلْتَ المَلِك   لمحاكَ السيف من هذا الوجود !

الرسول :

كيف يمحو السيف صبّا هـام بكْ

حبُّكِ الخالدُ أولاهُ الخـلود ؟

سلمى :

سيف مولانا الخليفه   سيُعافيكَ غداً من جنونِكْ !

الرسول :

ليس بي للقتل خِيفَه   فلقد ذُقْتُ الرَّدَى من عيونِكْ !

[يزحف نحوها ويقترب منها]

العيون السود هذي   ما لها كُفْوٌ سواي

والجبين الحُرُّ هذا   ما له غير هواي !

فَمُكِ الحلوُ العقيقيُّ الجميلْ   ما براه اللهُ إلا لفمي !

[تلطمه سلمى بكفها على وجهه]

لطمة منكِ شـفاء للعليل   فأعيديها ... بروحي ودمي !

[وهنا استغاثت سلمى بأبيها فأراد الوثوب بالرسول فكشف له أنه الخليفة فارتاع الشيخ عمار]

عمّار (معتذراً) :

ما الذي ضرك لو أخبرتنا   فاحترمناك أمير المؤمنين ؟

الخليفة :

شِئْتُ أن أشهد سلمى وأراها   دون أن تعرف سلمى من أنا

علني أُدرِك من سلمى رِضاها   فإذا فُزْتُ به نلتُ المُنى !

غير أني خاب فيها أملي   ولقيت الهجر منها والصدود

واشقائي! كل هذي الأرض لي   غير سلمى لم أفُزْ منها بجود !

سلمى :

لستُ يا مولاي إلا أَمَتَكْ   كيف تعصى أَمَةٌ سيدها ؟

(١) عنوان مسرحية شعرية غنائية (أوبرا) ستطبع قريباً



عودة إلى وحدة الوجود

رأيت فى العدد ٥٨١ من مجلة الرسالة الغراء عودةً إلى موضوع « وحدة الوجود » بقلم العالم الأستاذ عبد المنعم خلاف. فوددت لو يسمح لى الأستاذ البليغ صاحب الرسالة وحضرات الكتاب فيها وقرائها قول كلمة أخرى فى هذا الموضوع الذى هو من الأهمية بمكان عظيم الشأن

« وحدة الوجود » بالمعنى الذى فهمناه من سياق المناقشات فيها فى هذه المجلة هي أن الله متحد فى الكون المادى بحيث يكون والكون شيئاً واحداً . وهى بالحقيقة قضية فلسفية مختلفة النظريات باختلاف الفلاسفة الذين بحثوا فيها . وليس هنا محل الكلام فيها

الأديان السماوية الثلاثة ترفض هذه النظرية الفلسفية رفضاً باتاً . وهي مجمعة على أن الله والوجود المادى شيئان مختلفان . ولكل منهما ذاتية قائمة بذاتها منفصلة عن الأخرى ، وأن الله الواجب الوجود الذاتى خالق الوجود المادى ومسيّره هذه النظرية عقيدة دينية مقررة فى تعاليم كل من الأديان الثلاثة لا تقبل النقض ولا التنقيح ولا التعديل ، وقد أصبحت تقليداً متحجراً منذ عهد موسى إلى اليوم لا تمكن زعزعته ولا تليينه بوجه من الوجوه . وإذا رام شخص أو جماعة أو طائفة تعديل هذه العقيدة فى مجمع أو فى مؤتمر عدّ أهل الأديان الثلاثة هذا التعديل بدعة وزندقة وكفراً

على أن للفلاسفة من عهد لوسيبيوس وديموقراطس ولوقريطس « قبل المسيح » إلى عهد سقراط وأفلاطون وأريسطو ومن تلاهم بعد المسيح إلى اليوم نظريات مختلفة متباينة فى علاقة الله بالوجود المادى بعضها تنزهه عن المادة وبعضها تدمجه فيها . وبين النظريتين درجات متفاوتة ووجوه مختلفة . ولهم فى نظرياتهم تعاليل بعضها منطق معقول كثيراً أو قليلاً ، وبعضها سخيف لا يقبله عقل ولا يطابق منطقاً

فمن رام أن يبحث فى « وحدة الوجود » أو ثنائيته فيما يخرج عن عقيدة الأديان الثلاثة فليعلم أنه يتعرض لتهمة الكفر والإلحاد ، ولا يسلم من لسع الألسنة الحداد . لأنه ليس فى بيئتنا الفكرية فى البلاد العربية محل لحرية الفكر أو القول أو القلم . فأى بحث فلسفى أو علمي يحتمل أن يساق إلى قضاء الامتحان الدينى ، وتنسب له تهمة المساس بالعقيدة الدينية ، ويُحمَّل عليه حملة تكفِّره . وحينئذ على الباحث أن يدافع عن بحثه لتبرئته من تهمة الكفر والإلحاد ، وإلا لسعته الألسنة الحداد .

يستحيل على من يتصدى للمسائل العلمية أو الفلسفية عن الوجود فيما وراء الطبيعة أن يستطيع التوفيق بين فلسفته والعقائد الدينية الراسخة إذا كان بين الفريقين تناقض أو تضاد ، ويستحيل أن يسكت عليه الدينيون إلا إذا قاد النظرية الفلسفية أو العلمية إلى الطاعة العمياء للعقيدة الدينية . وحينئذ يكون قد فكر بالفلسفة والعلم

فحذار أيها العلماء من التفلسف بوحدة الوجود ، لأن الموضوع وعر خطر .

نقولا الحداد

إنما كانت ترجى رحمتك انتَ مولاها فهبْها يدها !

الخليفة : أنا يا سلمى الذى يرجو رضاك !

سلمى : أنا يا مولاى من ترجو نداك !

الخليفة : انت يا سلمى التى لا ترحمين !

سلمى : إنما الرحمة حق المالكين !

الخليفة : أنا ملكٌ لغرامك !

سلمى : أنا مَلَكٌ لحسامكْ !

الخليفة : اعلمى أن غرامى بكِ أمضى من حسامى

لِمَ لا تفدين يا ما لكتى مِلكَ غرامى ؟

سلمى : لستُ أهلاً لك يا مولاى !

الخليفة : أنا أهلٌ لكِ يا دنياى !

سلمى : أنت أهلٌ لى وأملٌ لسواى !

على أحمد باكثير

حول وحدة الوجود

عنت لي ملاحظة يسيرة على نقطة هامة في مقال الأستاذ خلاف المنشور بالعدد ٥٨١ من الرسالة الغراء، وهي:

هل توهم الخليل أن هنالك أدوات للخلق والتكوين؟

قال الأستاذ ذلك، ولذلك سأل «أي الخليل» ربه سؤاله؛ فمن أين للأستاذ الفاضل هذا الفهم، والسؤال بكيف عن الحال، ولو كان كما أراد الأستاذ خلاف أن يفهم لكان السؤال هكذا بأي شيء تحيي الموتى؟ فيؤتى بأي التي هي صالحة لاستعمالها في أنواع المستفهم عنه، على أن الأستاذ الفاضل فسر صرهن بـ «اذبحهن»، وهذا ينافي صريح اللغة وسياق الآية الكريمة، إذ بعد أن يسرد الكشاف القراءات التي وردت في تلك اللفظة الجليلة وكلها يدور حول الضم والجمع ينشد قول الشاعر:

ولكن أطراف الرياح تصورها

وقول الشاعر:

وفرع يصير الجيد وحف كأنه

على الليث قنوان الكروم الدوالح

وبدهي أنه لا معنى أصلاً لأذبحهن إليك، ولكن الضم إليه ليتأملها ويعرف أشكالها وحلاها، هذا من حيث اللغة والمنطق. والأستاذ هو من هو فيهما

وأما من حيث الأخبار الصحيحة الواردة في هذا المقام — والأستاذ الدين الحصيف — فهو ما رواه البخاري في صحيحه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى؟... الخ»

وبعد أن علق الشراح بآرائهم على هذا الحديث الشريف اخترت «هذا الذي ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك إنما هو طلب لمزيد البيان وتقوية لليقين بالمشاهدة بعد العلم». حكى بعض علماء العربية أن أفعل ربما جاء لنفي المعنى عن الشيئين نحو قوله سبحانه: «أهم خير أم قوم تبع»، أي لا خير في الفريقين، وجواب الخليل عليه السلام، ولكن ليطمئن قلبي، يؤيد ذلك، هذا وللأستاذ ثنائي وإعجابي

«شبرا بابل» إبراهيم السعيد عجلونه

من غير تدليس:

في عدد الثقافة الأخير قرأت كلمة للأستاذ (ح. ج) تحت عنوان: «سعد وسعوده» جاء فيها: «نريد أن نتكلم عن سعد — الإنسان العادي — لا عن سعد الزعيم المتفرد، ولا عن سعد الخطيب المصقع، ولا عن سعد الخصم الجبار، فإن قصر الحديث في هذه الناحية وحدها من نواحيه المتعددة خليق أن يضرب بينه وبين الناس حجاباً يحول دون انتفاعهم بقدرته، والنسج على منواله في الحياة

وإني لأذكر أن كاتباً من كتابنا النابهين كتب عن شخصية سعد فقال ما معناه: إن الإنسان لينظر إلى سعد فيحس أنه على مقربة من رجل ممتاز في جسمه كما هو ممتاز في عقله. وإن طلعته لتذكر الناظر إليه بطلعة الأسد. وإنه ليس بين الوجوه الآدمية ما هو أشبه في قسماته ومهابته من سعد زغلول

«أذكر أني قرأت هذا الوصف في كتاب كنت أرجو أن ألتمس فيه لنفسي عوناً على الوصول إلى شيء من أسباب العظمة التي سلكت سعداً في سجل العظماء؛ فإن الإنسان ليقرأ سير العظماء ويبتغي أن يقع فيها على سرهم، لعله أن يصيب حظاً مثل حظهم. ولكني قمت إلى المرآة بعد قراءة هذا الوصف أتفحص قسمات وجهي. فلم أر فيها شيئاً يشبه الأسد من قريب ولا من بعيد. ورأيتني فرد كغيري من الآدميين الكثيرين، فارتددت وفي نفسي شيء من خيبة الأمل على أن الطبيعة سلبتني أول مقومات العظمة التي حبت بها زعيمنا الخالد!

«وأنا اليوم لا أريد أن أدفع اليأس في قلب قارئ جديد بالتحدث عن عظمة سعد، ولذلك اخترت أن أتحدث عنه لا بوصف كونه أمة في فرد ولا بوصف كونه الجبار العنيد، ولا على أنه الشجاع الأعزل الذي وقف في وجه الدولة المسلحة

«ولكني أريد أن أكتب عنه باعتباره إنساناً له نواحي ضعفه أحياناً، وله من الصفات الكثيرة ما يشاركه فيه كل إنسان آخر»

ثم تحدث الأستاذ (ح . ج) عن رقة شعور سعد التى جملته لا يطيق باكياً أمامه ولا يستقبل أم المصريين فى جبل طارق على الرصيف خوف أن تجيش نفسه . وعن اضطلاعه بالمهام الكبار وهو مريض بجملة أمراض . وعن إثارة الأزمات لحيويته ونفى المرض عنه . وعن فكاهته مع الأزهريين الذين طلبوا إرسالهم فى بعثات إلى أوربا . وعن مداعبته لزملاء المنفى فى مالطة المتأثرين لما يصيب زوجاتهم من قلق عليهم بأن يخبروهن أنهم تزوجوا غيرهن فيبطل القلق !

***

والذى يقرأ هذا الكلام بما فيه من تهكم على حكاية وجه الأسد «يخيل إليه أن الكتاب الذى يشير إليه الأستاذ (ح . ج) قد سار كله على النسق الذى عرض الأستاذ به ، وأنه أغفل من سعد تلك الجوانب الإنسانية التى فطن إليها كاتب المقال

ولما كنت أذكر ذلك الكتاب الذى يعنيه فقد عدت إليه فوجدت أن « كاتباً من كتابنا النابهين » هذا . هو الذى يقول فى كتابه بتطويل وتفصيل نجمله فى اختصار شديد :

« إن الذى يحسب سعداً مكافحاً مناضلاً فقط يخطيء فى فهمه ، وأنه : «لم يكن أصلح منه للعطف والصداقة وحسن المودة والأنس بالناس والارتياح إلى المعاشرة . وقد حفظ قلبه الكبير ما أودعته الفطرة من ذخيرة العطف الزاخر إلى آخر أيام الحياة . فإذا تأثرت نفسه بحالة مفرحة أو محزنة ؛ فكثيراً ما تغرورق عيناه أو تنهملان بالدمع الغزير . وكان فى مجالسه الخاصة من أقدر الناس على مؤانسة الجلساء بالحديث الشائق والفكاهة الحاضرة والحدب المطبوع ، ثم يذكر بالذات حكاية أنه لم يكن يطيق باكياً ، وأنه لم يستقبل أم المصريين فى جبل طارق ، وفكاهته مع الأزهريين ودعابته لزملاء مالطة فى هذا الموضع . ويذكر فى موضع آخر استجاشة الأزمات لحيويته واضطلاعه بالأعباء مع مرضه ... وهو كل ما ذكره الأستاذ (ح . ج) ثم يزيد جوانب إنسانية أخرى له فى بيته ومع أصدقائه وخصومه ، ويكشف عن هذه الجوانب فى سعد بكل تفصيل

***

هذا الكتاب هو كتاب « سعد زغلول . سيرة وتحية » ، وهذا « الكاتب من كتابنا النابهين » هو الأستاذ العقاد . . .

أما الأستاذ (ح . ج) فمن رجال القضاء العادلين !

سيد قطب

تصويب

ورد البيت الآتى :

وساقين إن يستمكنا منك يتركا
بجلدك يا غيلان مثل (المآثم)

فى الكلمة التى وجهها الأستاذ الشرباصى إلى الأستاذ (الجليل) فى العدد (٥٨١) من الرسالة . والصواب أن تكون (المآثم) المياسم جمع ميسم ، وهو المكواة . وبها تتم روعة التشبيه الذى يهدف إليه الشاعر ؛ فما يريد سوى تشبيه أثر الساقين بأثر الميسم فى الجلد .

حسين محمود البشبيشى

مجلة الأنصار

أصدرت مجلة « الأنصار » العربية الإسلامية فى غرة شهر رمضان عدداً من أعدادها الممتازة خصصته للكتابة المستفيضة والدراسة التحليلية لموضوع «القصص والأساطير فى الشرق» . وقد طالعنا هذا العدد فوجدناه حافلاً بالأبحاث العربية الصادقة عن نشأة الأساطير الشرقية . وقد لفت نظرنا بحث واف طريفاً عن كتاب الشرق القصصى « ألف ليلة وليلة »

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



12me Année No. 584 | Lundi - 11 - 9 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique



العــدد ٥٨٤ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٣ رمضان سنة ١٣٦٣ — الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـرس

التوازن الاجتماعي

للدكتور محمد مندور

هذه أيضاً مشكلة كبيرة لابد لرجال السياسة والاجتماع من مواجهتها في حزم، وليس من شك في أن عدم العناية بها بعد الحروب الكبيرة والثورات القومية الماضية، قد كان دائماً من الأسباب القوية التي مهدت لحروب وثورات لاحقة، ونحن لا نعرف سياسة أحمق من تلك التي تتناول الأمم طبقات وطوائف دون نظر دقيق إلى ما يجب أن يقوم بين تلك الطبقات والطوائف من توازن يكفل سلامة الأمة وضمان وحدتها.

والطبقات الاجتماعية لم تتكون في التاريخ عفواً، بل قامت دائماً على المقاييس العميقة المتغلغلة في عقلية الشعوب. ففي العصور القديمة عندما نرى إفلاطون يقسم جمهوريته إلى ثلاث طبقات: حكماء يرأسون المدينة، وجند يذودون عنها، وعمال يوفرون لها وسائل الحياة المادية، لا نستطيع أن نسلم في يسر بأنه إنما أخذ هذا التقسيم عن قياسه للهيئة الاجتماعية وطبقاتها بالفرد وملكاته. ولابد لنا من أن نذهب إلى أبعد مما زعم لنستطيع فهم الأساس الذي أقام عليه هذا التقسيم. نعم إن الحكماء ينزلون من الأمة منزلة الرأس بملكاته العاقلة، والجند منزلة القلب بقوته الغضبية،

والعمال منزلة المعدة بنشاطها المادي ؛ ولكن ، أليس من البين أن هذا التقسيم تنعكس فيه المقاييس العامة للاغريق فى ذلك الحين ؟ فالعمال ، فى هيئة اجتماعية كانت تجمع على أن العمل من اختصاص العبيد ، لم يكن مفر من أن ينزلوا المنزلة الثالثة . والجند ، فى بلاد استهدفت لجحافل الفرس وردت بشجاعتها عدوانهم بعد أن هددها فناء محقق ، كان من الطبيعى أن ينزلوا منزلة تسمو على منزلة العمال وتتمتع باحترام المجموع . وأما رياسة الحكماء للمدينة فذلك حلم رآه إفلاطون ، وكان هو أول من تنكر له ، إذ لم يلبث أن ترك السياسة بالرغم من وجاهة محتده وقرب اتصاله بالقادة فى ذلك الحين ، وهو بعد حلم لا تزال الإنسانية ترتجيه .

وهكذا نستطيع أن نستشف عقلية الشعوب من أسس تقسيمها للهيئة الاجتماعية ، وهى عقلية دامغة تسيطر حتى على كبار المفكرين أمثال إفلاطون ، مما نظن دائماً أنهم فوق بيئاتهم أو نابين عنها .

وفى القرون الوسطى نعثر على نفس الحقيقة . فعندما يحدثنا التاريخ أن الطبقات الاجتماعية قد انتهت خلال تلك القرون الطويلة إلى التبلور فى ثلاثة : نبلاء ورجال كنيسة وطبقة ثالثة ، لن نجد مشقة فى العثور على أساس هذا التقسيم ، فقد كانت تلك الأزمان أزمان العهد الإقطاعى حيث يسيطر كل أمير على مقاطعة تتبعه أراضيها ، وما تحمل من بشر يعملون بها ؛ وهكذا تكونت طائفة النبلاء ، نبلاء الدم والوراثة . وإلى جانب هذه الطبقة كان من الطبيعى أن تنهض طبقة رجال الدين فى عصور سيطرت فيها المسيحية على عقلية الشعب ، وساقته إلى ما نعرف من زهد وتصوف ، بل وحروب صليبية . وأما العمال والزراع فقد اطرد حمق البشر على إنزالهم دائماً مؤخر السلم

وأخيراً جاءت الثورة الفرنسية الكبرى ، وانتفضت الإنسانية متطلعة إلى فجر جديد . ولقد حطمت تلك الثورة نظام الطبقات الذى تمخضت عنه ، كما رأينا ، القرون الوسطى ؛ ولكن الإنسانية لسوء حظها لم تهتد ، برغم ما أراقت تلك الثورة المجيدة من دماء ، إلى أساس سليم تقيم عليه تقسيمها الاجتماعى . وفى استطاعتنا أن نفهم سر المأساة إذا ذكرنا أن تلك الثورة قد قامت بالمدن ، وأن عصبها كان طائفة الحضريين الذين يعرفون بالبرجوازية ، أى «سكان المدن» ، بل سكان باريس بنوع خاص ، فهم منبت تلك الثورة وبؤرتها المقدسة . وقيام الحضريين بها لم يكن حدثاً طارئاً فى التاريخ . فمنذ قرون كانت المدن العامل الفعال فى مناهضة النظم الإقطاعية ، وتحطيم سلطة الأمراء ، وتمكين الملوك من توحيد الممالك . ولهذا كان من الطبيعى أن تنشأ فى مدينة كباريس تلك الثورة العاتية التى أتت على ذلك النظام البائد .

وبنظرنا فى المبادئ التى قامت عليها التقسيمات الاجتماعية فى العصور القديمة والقرون الوسطى ، نستطيع أن نحصى الأسس التى كانت تمكن من الوجاهة الاجتماعية ، فهى الحكمة والشجاعة ووراثة الدم والزعامة الروحية . وجاءت الثورة فحطمت كل تلك الأسس ، وإن لم تمحها محواً تاماً من عقلية الشعوب ، حيث لا تزال تعمل إلى اليوم على تفاوت فى النسب ؛ وننظر فيما أقام هؤلاء الحضريون على أنقاضها من أسس جديدة ، فلا نكاد نتبين غير أساس واحد هو المال ، وهذا هو سر المأساة التى أشرنا إليها فيما سبق .

حلول المال محل غيره من المقاييس ظاهرة واضحة التفسير ، فالثورة الفرنسية هى وأشباهها من ثورات القرن التاسع عشر قد قامت كما قلنا فى المدن على يد الحضريين ، وهؤلاء جمهرتهم العظمى من الصناع والتجار ؛ وهم بتقويضهم لطبقتى النبلاء ورجال الكنيسة قد استطاعوا أن يحلوا محلهما فى الصدارة الاجتماعية . وهكذا انتهت الإنسانية إلى التقسيم الكبير المعروف : حضريون « برجوازية » وعمال ، وأصبح المال الأساس العام لتوزيع الهيئة الاجتماعية

قد يقول قائل إن هذا الأساس الجديد خير من بعض الأسس القديمة ، فهو يمكن الهيئة الاجتماعية من مرونة لم تكن تملكها عند ما كان النبل مثلاً ظاهرة وراثية لا حيلة للبشر فيها . وهذا قول كان من الممكن قبوله لو لم يسد فى تاريخ الإنسانية خلال القرن التاسع عشر ذلك الاختلال العجيب الذى لم يكن مفر من أن ينجم عن ظهور ظاهرتين كبيرتين فى ذلك القرن ، ونعنى بهما الحركة الصناعية الكبيرة من جهة ، والأخذ بمبادئ

الاقتصاد الحر من جهة أخرى . والثورة الفرنسية السابقة على هاتين الظاهرتين لم تعالج طبعاً هذا الاختلال ، بل ولا مهدت لعلاجه ، ولهذا لحقتها بفرنسا نفسها ثورتان أخريان هما ثورتا سنة ١٨٣٠ ، سنة ١٨٤٨

نمو الصناعة وما تبعه من نمو التجارة أيضاً ساعد على تكوين طبقات عاتية من الرأسماليين ؛ وروج علماء الاقتصاد لنظرية : « دع الفرد يعمل ، دع التجارة تمر » ، وقالوا بترك النشاط الاقتصادى حراً ، فمكنوا بذلك أصحاب العمل من دماء العمال وهكذا بعدت الشقة بين طبقتى الأمة مما أثار ما نعرف من حركات ثورية واضطرابات اجتماعية

واتخاذ المال أساساً للتقسيم الاجتماعى مصدر لخطر كبير يتهدد الهيئة الاجتماعية فى كيانها . ويزداد هذا الخطر وضوحاً فى أثناء الحروب الكبيرة . ومظهر هذا الخطر هو الانحلال الخلقى . لمن شاء أن يصدع آذانى بقوله إن من الناس العصاميين القادرين على جمع الثروات الطائلة بمهارتهم وحسن فهمهم لحاجات الناس وملاقاة تلك الحاجات ، فذلك ما لن أقبله . وعند ما أنظر حولى فلا أرى إلا صماليك ليس فى عقولهم فكر ولا فى قلوبهم ضمير ينثرون المال كل صوب فى خفة تنفر منها النفس ، لا أستطيع إلا أن أحكم بأنهم لا يملكون من مواهب غير الدجل والنصب والاحتيال

ويزيد فى تلك الظاهرة خطورة قيام الحروب الكبيرة ، كما قلت ، فعندئذ ترى النصابين يستغلون مواطنيهم أقبح استغلال ، وترى الأوضاع الاجتماعية وقد انقلبت رأساً على عقب حتى يختل توازن الأمة الاجتماعى أعمق اختلال ، ويكثر محدثو النعمة ، وتلك طائفة تجمع الإنسانية الرشيدة على احتقارها ورد عدوانها

والآن ، وقد استعرضنا المبادئ ، التى وزعت الإنسانية على أساسها طبقاتها الاجتماعية ، وانتهينا إلى أن الأساس العام القائم اليوم هو المال ، ووضحنا ما فى هذا الأساس من أخطار يجب أن نبحث عن الوسيلة التى نتعهد بها ذلك التوازن ونرد إليه ما يجب أن يلازمه من سلامة ، وباستطاعتك أن تقلب أوجه النظر كما تريد ، فلن تجد غير وسيلة واحدة هى تدخل الدولة والأخذ بمبادئ الاقتصاد الموجّه Economie dirigée

مبدأ الاقتصاد الموجّه يقوم على تدخل الدولة فى الإنتاج ، وذلك عن طريق التشريع وهو ألزم ما يكون فى أعقاب الحروب الكبيرة ، وأنت عند ما تثقل بالضرائب من أثرى بغير وجه مشروع لا تظلمه ؛ بل تنتصف للأمة منه ، لأنك عند النظر الأخلاق الصحيح لا تستطيع أن تسميه إلا مختلساً ، وأنت عند ما تنتصف للعامل من صاحب رأس المال ، وللمستهلك من المنتج والمريض من الصحيح وللجاهل من المتعلم ، لا تعتدى على أحد ، وإنما ترغم القصر على أداء واجبه عند ما تنعدم قيادة الضمير ، ونحن فى أمة تصرخ الآلام فى صدور أبنائها ؛ لقد حان الحين ، لكى تحزم الهيئة الاجتماعية أمرها ، وتشد من عزم حكامها ليقيموا توازنها الاجتماعى على أساس ترضاه إنسانيتها الجريحة .

محمد مندور

وحـــدة الوجـــود

وهل هى من الاسلام فى شىء

للأستاذ دريني خشبة

قرأت كلمة صديقى الدكتور زكى فراعنى أنه لم يقرأ كتاب « رسائل التعليقات » بعد ، أو أنه قرأه كما قرأته أنا ... على حد تعبير الأستاذ الرصافى ، ... أى تلك القراءة السريعة المتقطعة ، التى تبعد بالقارىء عن معانى المؤلف ، وتشط به عن أغراضه ... وآية ذلك ما أراده الدكتور من مساجلتى حول نظرية « وحدة الوجود » . . . وأن يكون أساس المساجلة : أن نترك التفكير فى أن هذه النظرية تجنى على العقيدة الإسلامية ... وهذا شرط عجيب . . . ولست أوثر أن أقول إنه شرط خبيث !! ما دام أن الصديق الأعز قد ذكر « أن الذوق هو خير ما دعا إليه الأنبياء ! »

ولست أدرى كيف يدعونى أخى المبارك إلى مساجلته على هـذا الأساس العجيب — ولا أقول الخبيث ! — وهو يذكر أننى قلت فى كلماتى التى كتبتها عن رسائل التعليقات ، إننى ما كتبت تلك الكلمات ، ولا وددت أن أكتبها ، إلا لأن الأسـتاذ الرصافى قد ادعى فى رسائله أن نظرية وحدة الوجود هى نظرية إسلامية ، بل إنها من ابتداع الرسول الرسول الـكريم ، فخر الـكائنات ، محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه — أى رسول الله عليه صلوات الله — لم يذكر منها لأصحابه شيئاً ، إلا ما لمح به منها لخليله الصديق — عليه رضوان الله — ... ثم ما ذهب إليه الأسـتاذ الرصافى بعد ذلك من التخريجات المضحكة التى تعتبر هدماً شاملاً للاسلام ، وتزييفاً واسماً شاسماً لما يؤمن به المسلمون ويعرفون أنه الحق من ربهم

فلقد أنـكر الرصافى أن يكون القرآن كلام الله . . . وردد عبارة « يقول محمد فى القرآن » غير مرة فى كتابه المذكور . . . وهو يقحم هذا الإنكار فى نظرية وحدة الوجود فيمله بادعائه أن الرسول الـكريم كان يفنى فى الله — أو فى الوجود الـكلى — فناء كاملاً ، ولذا جاز له أن يقول هـذا القرآن ، ويزعم أنه يقول الذى يقوله الله ، ويفعل الشىء ويؤمن بأن الله هو الذى يفعل ... وأذكر أنه يستدل على هـذا الإفك — ولن ندعوه إلا إفكا — بالآية الـكريمة : وما رميت إذ رميت ولـكن الله رمي ! وهي من الآيات التى طلب إلينا تفسيرها بما ينافى ما قذف به وسواسه فى روعه . ناسياً أن الآية قد أنزلت فى مناسبة خاصة واردة فى مكانها من جميع التفاسير

فهل افترينا على الرصافى فى ذلك من شىء يا دكتور زكى ؟ وهل تتفق وجهة نظرك فى هذه المسألة بالذات ووجهة نظر هذا الرجل الذى رمانا بما رمانا به من تلفيق وتشويه لأقواله ؟

أنت عندى أشجع كاتب فى مصر . بل فى الشرق العربى ، وقد تبلغ شجاعتك هذا الحد الذى ذكره آرسطو فى كتابه عن الأخلاق ، ولا أذكر الآن ماذا سماه . . . ولن أنسى لك أبداً أنك كنت صاحب الفضل الأول فى التعريف بالغزالى بمؤلفك القيم فى أخلاقه ، ذلك المؤلف الذى خضت به جحيم حرية الفكر غير هياب ولا وجل ، وأنك كنت فى كل كتبك بعد الغزالى شجاعاً كدأبك منذ أخذت نفسك بالتأليف والتصنيف ، بالرغم مما فى تأليفك وتصنيفك من تلك (البُـقع) التى استطاع هـذا الـكاتب الفاضل أن يغزوهما من ناحيتها

فهل يكفيك هـذا الحد فى تذكيرك بشجاعتك الأدبية ، فتعلن رأيك صريحاً خالصاً فيما ذهب إليه الرصافى من نسبة القرآن إلى محمد ، معتذراً له بذلك الاعتذار السخيف !!

أعوذ بالله — وأستغفره — من أن يكون كلامى هذا استدراجا لك أن تقول ما لا تعتقد ... فأنت عندى أعظم من هذا وأعلى ... وأعوذ بالله وأستغفره من أن أكون قد قصدت بثنائى عليك (بَلْـفَك !) حتى تقف فى هذا الصراع الفكرى إلى جانبى ... فأنا أعظم من هذا وأعلى (ولا مؤاخذة !)

أما يأسك من حرية الرأى ، لأن كل كاتب يحاول أن يكون واعظاً فى مسجد ، أو راعياً فى كنيسة ، كأن الفـكر الحر من

القيود لم يبق له مكان فى الوجود . . . فهو كلام لا نقبله من زكى مبارك فى هذا المجال ... لأن الأستاذ الغمراوى قال فى كتابك العظيم الخالد – النثر الفنى – ما قال ، ووجه إليك بسببه ما وجه من تهم مثيرة موبقة . ومع ذلك ، فأنت لا تزال بخير يا صديق ... تمشى فى مصر الجديدة حراً مطلقاً ، كما تمشى حراً مطلقاً فى أحياء الأزهر وسيدنا الحسين والصنادقية وجاردن ستى ، لم يجر وراءك المسلمون ليحاسبوك بالطوب والحجارة على ما اتهمك به مناظرك الفاضل ، ولم يأخذ بتلابيبك الأزهريون لآرائك فى إعجاز القرآن ، ولم يُحدث المسلمون فى مصر ضجة ليضطروا البرلمان إلى مطالبة الحكومة بجمع كتابك وإحراقه فى ميدان الأوبرا أو ميدان السيدة زينب مثلاً !

نخلّ إذن قضية حرية الفكر التى عملت لها ألف حساب فى كلمتى الأولى عن رسائل التعليقات ، حيث أذكر أننى قلت : « ... وقبل أن نعرض آراء الرصافى نعلن أننا نقدس حرية الفكر ما لم ترم إلى شر ، وما لم تبلبل أفكارنا ، وتعصف بمعتقداتنا ، وتهدم المعايير الأخلاقية الكريمة التى زودنا بها ديننا الذى هو أعز علينا وأكرم من فلاسفة العالم أجمعين » ... والتى أذكر أننى قلت بصدد مصادرة حكومة العراق الشقيق لكتاب الرصافى القديم إن أسلوب مصادرة الكتب أسلوب رث ، وسلاح لا يجمل استعماله فى هذا العصر الذى يأخذ بمبدأ حرية الفكر ...

ولست أدرى ماذا يراد من حرية الفكر أن تكون بعد الذى كانته فى أيامنا هذه من سعة صدر وفسحة مجال ؟! أكان ينبغى أن نصمت فلا نكتب كلمة عن كتاب ينكر فيه صاحبه كل الموجودات – إلا الوجود الكلى المطلق الذى يسميه إلٰهه – ؟ أكان ينبغى أن نصمت حينما يقول لنا الرصافى فى كتاب ينشره فى العالم العربى الإسلامى ، إن محمداً هو مبتدع نظرية وحدة الوجود ، وأنه هو مؤلف القرآن ، وأن الأدعية لا داعى لها — ومن الأدعية الصلاة — لأنها لن تغير من القضاء – وهو القوانين الأزلية التى لا تتغير ، شيئاً ، وأن كل ما يقع فى الوجود فهو حق ، وأن الباطل هو المحال ، ولذلك تساوت المتضادات . فالهدى كالضلال ، والتقوى كالفسوق ، والخير كالشر .. إلى آخر هذا الهذر الذى يدعى الرصافى أنه تساوٍ أمام الله لا أمام الناس .

يريد بذلك استدراك ما أخافك – ياصديق الدكتور زكى مبارك – من مغبّة ذلك المعتقد على الشرائع والقوانين والأخلاق . ويريد أن يطمئنك ، فلا يهلع قلبك ، ولا تجزع نفسك . فيقدم بين يديك هذا الدفع المتهافت الذى لا أدرى كيف استقام فى رأس الأستاذ الرصافى حتى يطلب له أن يستقيم فى رؤوس الناس .

ما استواء المتضادات أمام الله ؟! أموافق أنت على هذا الهوس يا صديقى الأعز ؟! أحقاً أن الذى يصيبنا من شر هو من عند الله وليس من عند أنفسنا ؟ ما هذا الجبر المطلق يا دكتور زكى ؟ وإلى أين يؤدى بنا هذا المعتقد الباطل لو أخذنا به ؟! ثم ما هذا الحلول الفاسد الذى يجمل الله فى كل شىء ... بل كل شىء ؟!

ثم يعود الرجل بعد هذا فيثبت أن الإنسان مكلف ، لأنه عاقل ؟! ثم يربط التكليف بثواب وعقاب ، ليسا من جنس الثواب والعقاب اللذين جاءنا بهما ديننا الحنيف ... ولست أدرى أين يكون مناط التكليف مع هذا الجبر المطلق ؟! وعقاب الإنسان فى رأى الرصافى هو ما يلقاه من تبكيت أمام ضميره ... أما النار ودركاتها فتخويف فحسب ، ووردت آياته من باب التمثيل .. وأما الثواب فى رأيه ، فهو الاتحاد بالوجود الكلى بعد الموت . أى العودة إلى التراب ... هنا تتم سعادة المرء ! وما جاءت آيات الترغيب فى جنة الخلد الموصوفة فى القرآن إلا من باب التمثيل كذلك ...

فما شاء الله على هذا الثواب وذاك العقاب ! وليهنأ بعد اليوم الذين لا ضمائر لهم فتعاقبهم بالتبكيت على ما يقرفون من أوزار وما شاء الله على هذا الكفر بالبعث الذى هو أساس متين من أسس العقيدة الإسلامية ، ثم ما شاء الله على هذا التناسخ – أو عودة الكائنات بأمثالها لا بأعيانها – الذى يؤمن به الأستاذ الرصافى !

ماذا أبقى الرصافي من الإسلام فلم يبدله ولم يؤوله ؟ !

لقد تناول الله – جل وعلا – فقال : إنه هذا العالم الحادث الذى درسناه فى الفلك فعرفنا أنه نشأ من هيولى أخضعها الله لقوانينه الخالدة التى انتهت بها إلى هذا النظام المتقن البديع الذى

لا يمسكه غير الله بما أبدع له من قوانين !

وقد تناول الرسول فجعله يؤلف القرآن ويموّه على الناس ويخترع وحدة الوجود ويخفى أمرها على الناس ، ويدعوهم إلى عبادة كل الموجودات ، وقد نهاهم عن عبادة الشمس والقمر والنجوم والأصنام والأشجار !

وتناول المعتقدات الإسلامية فأنكر البعث والحساب والعقاب والثواب والجنة والنار والميزان والصراط وجميع السمعيات لأنها من أنباء الغيب ، والعقل لا يؤمن بأنباء الغيب

وتناول العبادات الإسلامية فأنكر الأدعية — ومنها الصلاة — لأنها لا تقدم ولا تؤخر فى قضاء الله الذى لا يتبدل ولا يصح له أن يتبدل . فهو كالذين قالوا : يد الله مغلولة ! غلت أيديهم !

ونعي على المسلمين فى تعليقه على أقوال مستشرقه الإيطالى الجاهل — فى آخر الكتاب الذى بيدك — تمسكهم بحرفية القرآن والتعاليم الإسلامية ، ونسب تأخرهم وانحطاطهم إلى ذلك التمسك

فأين هو ذلك الحجر على حرية الرأى الذى تشكوَ منه يا صديق الدكتور ، وقد استطاع الأستاذ الرصافى أن يقول ذلك كله وأن ينشره على المسلمين فى كتاب ... فلم يصبه أذى ... ولم تصبه إلا كلمات من أضعف مخلوق مسلم يتهمه الرصافى بأنه يكتب لغرض ... وأن يداً خفية تحركه للرد على تلك التخرصات ! وأنه نسى آداب المناظرة فى الرد عليه !

فهل من حرية الرأى أن يقول الرصافى ذلك كله ، فإذا رد عليه مسلم ضعيف مثل أخيك الذى أنت من أعرف الناس به ، كانت حرية الرأى مهددة ، وكانت فى عصرنا الحديث شراً منها فى العصور التى عاش فيها الجنيد والحلاج والتلمسانى وابن عربى وابن سبعين والقونوى ومن إليهم من مشعبذى التصوف ؟

إن ديننا يا صديق الدكتور هو أول الأديان التى تحض على حرية الفكر ومحاربة الجمود ... وهل صنع رسولنا الكريم ، فخر الكائنات ، محمد بن عبد الله شيئاً غير هذا ؟ !

افتح أية صفحة من كتاب الله تجد فيها حضاً على حرية الفكر ، ومحاربة للجمود الذهنى ، والاستعباد الروحى ... وقد فطن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما فى البحث عن ذات الله من تهلكة ، فأوصانا بالإمساك عن الخوض فيها ، والتفكر ما شئنا فى المخلوقات جميعاً ، فى الأرض وفى السموات وفى أنفسنا .

فما الذى يغرينا بنبذ وصاة رسول الله ؟ !

لقد أحسنت حينما قلت : إن نظرية وحدة الوجود هي نظرية فلسفية ، وأنك قد سكت حينما رأيت مدار كنا تتجه وجهة دينية فمن الذى وجهها هذه الوجهة ؟ أنا ؟ أم الرصافى الذى جعلها من اختراع الرسول الكريم ، وذهب يتأول لها الإسلام والقرآن جميعاً ؟ !

والعجيب أن يزعم الرصافى أننى ادعيت عليه ما لم يقل حينما نسبت إليه معظم هذه الآراء . وهى كلها آراؤه ساقها فى معرض الاستشهاد على ما ذهب إليه بعد إذ جهر فى أول الكتاب بأنه يؤمن بنظرية وحدة الوجود بكل ما علق عليها وخرّج منها وأبرز من أسرارها . فلن ينفعه ادعاؤه بأنه إنما كان يستعرض آراء المتصوفة . ولن ينفعه إنكاره أنه متصوف بعد جهره بأنه يؤمن بالنظرية كما عرضها إيماناً لا يرقى إليه الشك

وبعد ... فهل رأيت أن شرطك فى استبعاد العنصر الدينى من المساجلة التى أرحب بها ، وأعانقك من أجلها عناقاً لا يدرى نتيجته بين ذراعى إلا الله ... هو شرط عجيب ... ولا أقول : خبيث ؟ !

من منا الذى سيقهر صاحبه الوفى على المشى فوق الأشواك يا دكتور زكى ؟

دريني خشبة

السيد رشـــيد رضا

بمناسبة الذكرى التاسعة لوفاته

للأستاذ محمود أبو رية

مما يبعث السرور إلى النفس أن نرى من الناس وفاء للمصلحين واحتفاء بذكرى العاملين ، ذلك بأن هذا الوفاء الذى هو أسنى خلال الإنسانية ، إنما يدل ولا جرم ، على أن العقول والأفكار ، قد استعدت لقبول آراء هؤلاء المصلحين وتعاليمهم ، وأن النفوس قد استعدت للأخـذ بها واتباع ما تدعوا إليه ...

وإن مما يغتبط له المرء حقاً أن لا تمر الذكرى التاسعة والثلاثون لوفاة الأستاذ الإمام محمد عبده هذا العام كما مرت من قبل فى سكون ونسيان ، بل رأينا الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية . قد هبت كلها للاشادة بها والإفاضة فى بيان فضل صاحبها

ومما زاد فى اغتباطنا أن سمعنا لأول مرة فى حياتنا صوت الأزهر ينبعث فى هذه الذكرى الكريمة بعد أن ظل صامتاً طوال أربعين عاماً ، واضعاً أصابعه فى آذانه ، حتى لا يسمع له نصحاً ولا يتبع له رأياً ، مما يجعلنا نستبشر بأن هذه البيئة التى تنكرت لمصلحها العظيم فى حياته ، وازورت عنه بعد وفاته ، قد أخذت تدنو من تعاليمه لتدرسها وتنتفع بها ، وأن من كان فيها من الشيوخ الجامدين والخرافيين ، ومن على شاكلتهم فى غيرها من الحشويين والموقين ، أولئك الذين تخلفوا عن قافلة الحياة بأفكارهم السقيمة وآرائهم العقيمة ، وكانوا عقبة فى سبيل كل إصلاح قد قضى عليهم ولم يبق لهم ولا لآرائهم بين الناس أثر .

لم يجد الأستاذ الإمام فى حياته من التنكر له والمـكر به والإعراض عنه مثل ما وجد فى الأزهر ، ذلك بأنه ما كاد يظهر بما يريد من خير لهذا المعهد الـكبير ، حتى هب منه فى وجهه فئتان تعارضانه وتصدان عن سبيله : الفقهاء الجامدون ، والشيوخ الخرافيون وقد دسوا فى رؤوسهم تعويذتين لتحفظانهم من (عين) الإصلاح

أولاهما : هذا أمر لم تجربه العادة !

والأخرى : الجمهور على غير ذلك !

أما الفقهاء ؛ فإنهم قد أبوا إلا أن يظلوا على ما وجدوا عليه شيوخهم ، فلا يدرسون إلا كتبهم ، ولا يتبعون إلا أقوالهم ، حتى لقد بلغ الأمر بأحد كبارهم أن يجأر فى مجلس إدارة الأزهر الذى يجمع أمثاله بهذه الـكلمة الأثيمة ! « لا يجوز لمسلم أن يأخذ بالحديث ، والواجب أن يؤخذ بكلام الفقهاء ، ومن ترك كلام فقهاء مذهبه للأخذ بحديث مخالف فهو زنديق » !

ومن إمعانهم فى هذا الجمود أن الأستاذ الإمام كان قد رغب إلى الشيخ الإنبابى ، وكان شيخاً للأزهر أن يقرر تدريس مقدمة ابن خلدون بعد أن بين له فضلها ؛ فقال له الشيخ : هذا أمر لم تجربه العادة !

ولما طالب رضى الله عنه بإدخال علمى الحساب والهندسة فى الأزهر عارض شيوخه فى ذلك ، وكانت حجتهم التى (تموذوا) بها « أن الجهور على أن هذين العلمين يفسدان العقل ويضيعان الاستعداد لفهم علوم الدين وينبغى عدم تدريسهما » !

ولقـد كان لدرس الأدب فى الأزهر ثورة عنيفة ندع الحديث عنها لصاحب « الرسالة » فهو أحق به منا إذ كان من الذين شهدوا هذه الثورة ، ومسهم قرح منها !

وأما الخرافيون . فبحسبك أن تعرف أن كبار شيوخ الأزهر كانوا يحتفلون فى كل عام بمولد الإمام الشافعى ، وكان لهم فيه عادة اسمها (الـكنسة) ذلك أنهم كانوا جميعاً يتولون كنس ضريح دفينه الشافعى ، ثم يقسمون هذه (الـكناسة) بينهم ليتبركوا بها ! ثم ينقلون العمامة الوهمية الموضوعة فوق القبر من رأس شيخ إلى رأس شيخ آخر ليقتبسـوا من أسرارها[1]

ولعل قراء « الرسالة » لم ينسوا تلك القصيدة التى رفعها أحد المفتين إلى الـسيد البدوى يشكو فيهـا شيخ الأزهر ويطلب من (غوث الورى) أن ينتقم له منه !

---

(١) من أراد أن يقف على ما كان يجرى فى هذ (المولد) فليرجع إلى جريدة مصباح الشرق الصادرة فى شهر شعبان سنة ١٣١٥ أو فليقرأ القصيدة الرائعة التى نشرها الشيخ الشنقيطى الـكبير فى كتابه الحماسة السنية

وقد ظلت الحرب بين الأزهر وإمامه مستمرة طول حياته . وقد مات رضى الله عنه وهو لا يخشى على الدين أحداً غير شيوخ الأزهر . وفى مرض موته قال أبياتاً جاء فيها :

ولست أبالى أن يقال محمد أبلّ أم اكتظت عليه المآتم
ولكنه دين أردت صلاحه أحاذر أن تقضى عليه العمائم

هذا ما كان عليه الأزهر من قبل ؛ فإذا ارتفعت منه اليوم أصوات تشيد بذكرى الأستاذ الإمام ، وتستعلى بفضله بين الأنام ، فتلك آية كبرى على أن البيئة الأزهرية قد أصبحت على غير ما كانت فيه بالأمس ، وأنها قد خرجت إلى النور بعد أن كانت من قبل فى الرمس .

وعلى أننا قد اغتبطنا بهذا المظهر الجديد الذى بدا فى الأزهر فإنا قد لاحظنا أن كل الذين احتفوا بذكرى الأستاذ الإمام قد أهملوا ذكر العلامة المحقق السيد رشيد رضا رحمه الله ، أكبر تلاميذ الإمام فى حياته ، وحامل رسالته وناشر علمه بعد وفاته ، وما كان يصح لهم ، وقد دفعهم الحق والوفاء إلى الاحتفاء بذكرى الأستاذ الإمام أن يدعوا إلى العناية بذكرى العلامة الجليل ولا أن ينكروا فضله

وإنا أداء لحق هذا الرجل العظيم الذى لقى من عدم وفاء المسلمين له ما لقى ، والذى لم يجد أحداً يعنى بتراثه أو يحمل رسالته بعد مماته ، ننتهز فرصة انقضاء العام التاسع على وفاته لننشر عنه هذه الكلمة القصيرة ، ولعلنا نكون قد أدينا بها هذا الفرض الكفائى الذى يلزم المسلمين جميعاً

على أننا لا نحاول اليوم أن نتحدث عن علمه الواسع وفضله الشامل ، ولا نفيض فى بيان جهاده حوالى أربعين سنة فى سبيل دينه ، قائماً وحده بهذا الجهاد لا يفتر ولا ينى ، لا تؤيده حكومة ولا يسنده منصب ، لأن ذلك يحتاج إلى كتاب برأسه .

وإنما نجتزئ بلمحات تدل على صلته بالأستاذ الإمام ومكانه منه ، ونشير إلى بعض ما عمل لتأييد دعوة الحكيمين جمال الدين ومحمد عبده ، ونشرها بين أرجاء الأرض . ولكى لا يرمينا أحد بالغلو فى القول أو الإسراف فى الحديث ؛ فقد آثرنا أن نرجع فى ذلك إلى قول الأستاذ الإمام نفسه فى تلميذه ، فنتناول منه قبساً ، ونروح إلى ما كتب بعض المستشرقين عن دعوة الإمام فننقل عنه ذرواً

فمن قول الأستاذ الإمام لبعض أصحابه ، وكانوا يريدون منه أن يقصى عنه السيد رشيد : « إن الله بعث لى بهذا الشاب ليكون مدداً لحياتى ومزيداً فى عمرى ، إن فى نفسى أموراً كثيرة أريد أن أقولها أو أكتبها للأمة ، وقد ابتليت بما شغلنى عنها ، وهو يقوم ببيانها كما أعتقد وأريد ... وقد رأيت فى سفرى من آثار عمله وتأثير مناره مالم أكن أظن ولا أحسب ، فهو قد أنشأ لى أحزاباً وأوجد لى تلاميذ وأصحاباً ... الخ . » ، وقال للمغفور له الشيخ محمد شاكر عندما أبلغه إرادة الخديو عباس فى أن يبعده عنه : « كيف أرضى بإبعاد صاحب المنار عنى وهو ترجمان أفكارى » ، وكذلك قال لبطرس غالى باشا

وقال الدكتور تشارلز آدمس فى كتابه الإسلام والتجديد : « كان السيد رشيد أكبر تلاميذ الإمام فى حياته ، ومؤرخ سيرته بعد وفاته ، وهو الذى نشر كتبه وفسر تعاليمه ، وكان من أشد الناس أخذاً بها وسيراً على سنتها »

وقال : وإن كتاباته لتنم على أنه أخذ بحظ عظيم فى العلوم الإسلامية المعروفة ونجد فى نشره لمصنفات أستاذه ، وفيما كتبه عليها من الحواشى والتعليقات ما يدل على تمكنه من المواضيع التى يتناولها ، وأعظم ما تبدو كفايته فى علوم الحديث ، وكان لا بد من أن يبرز رشيد فى هذا الميدان ، وذلك لأن الحركة التى أنشأها الشيخ محمد عبده علقت أهمية كبرى على السنة الصحيحة وحدها لتكون مصدراً أساسياً من مصادر الإسلام فى صورته الجديدة »

ثم تحدث عن إنشاء مجلة المنار فقال : « وكانت غاية رشيد من إنشاء المنار مواصلة السير على نهج العروة الوثقى [1] . وكان الغرض الذى رمى إليه المنار هو فى الجملة عين ما عملت له صحيفة العروة الوثقى ، فقد كان من الأغراض التى تضمنتها غايتهما الكبرى نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية ، وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاماً دينياً لا يتنافر مع الظروف الحاضرة ، وأن الشريعة أداة عملية صالحة للحكم ، وكان من أغراضهما أيضاً السعى فى القضاء على الخرافات والاعتقادات

(١) هى الجريدة التى أنشأها الحكيمان جمال الدين ومحمد عبده بباريس لينشرا فيها دعوتهما لايقاظ الشرق ولم يصدر منها إلا ثمانية عشر عدداً ثم صادرها الاستعمار

بحث نفسي علمي

٢ ـ الأحـــلام

للأســتاذ عبد العزيز جادو

يرى بعض علماء النفس أن الأحلام عند الأطفال الصغار غالباً ما تكون منطقية معقولة . لأنه إن لم يكن الطفل شقياً بين أهله وفي بيئته ، فإنه لا يملك وقتاً يبني فيه هيكلاً مركباً من الكبت . ومع أن أحلامهم ترمز إلى رغبات عقيمة غير مجدية ، إلا أن هذه الرغبات نادراً ما تكون غير مقبولة للعقل الواعي عند الطفل الصغير ، فتظهر واضحة غير مستترة . ولكن على قدر ما يكون المراهقون قلقين ، تكون رغباتهم المقيمة غير مقبولة للعقل الواعي ، ولذلك فهي تظهر في شكل يغاير الحقيقة

وهناك ثلاثة أنواع للأحلام :

١ — أحلام منطقية متسقة كأحلام الأطفال . مثال ذلك : والد يرفض أن يأخذ طفله إلى السينما ، فيذهب الطفل في حلمه إلى سينما يتخيلها إدراكه العقلي

٢ — أحلام تبدو مترابطة ولا يمكنها أن تتناسب مع حياة الحقيقة . مثال ذلك : شخص يحلم بأنه يسير بقرب منزله فيرى أن أخاه يكاد يهاجمه أسد

٣ — أحلام تبدو مفككة ، غير منسجمة ، سخيفة ، مشوشة

والنوعان الأخيران يعتبران نموذجاً من أحلام المراهقين وأحلامنا ولو أنها تبدو غير معقولة وغير مفهومة ، إلا أنها تبدو — دائماً — تعبيراً مستتراً لأساليبنا العقلية الكائنة . والأحلام يمكنها أن تحول إلى هذه الصورة ، الفكر التي في الوجود . ولكي تفعل هذا فهي تنتفع بالطرق التي يمكن أن تبدو للعقل الواعي مضحكة . وهي مع ذلك تتجاهل التناقضات الواضحة ، وتأتي بفكر مختلفة بوساطة التداعي السطحي

ومصدر الحيرة الظاهرة منها ناتجة عن رقابة العقل الواعي . ومع أن كفايتها العملية تعزى قلة أهميتها إلى الحقيقة بأننا نكون في سبات ، فنمسي غير قادرين على استعمال المراقبة الشعورية ، فهي لا تزال تحاول أن تمنع اللاشعور من أن يكون شعوراً

والعقل الواعي يمكن أن يمهد للأوضاع ولبعض الصور التي تظهر في أحلامنا . فإذا انشغلنا يوماً بمواعيد كثيرة مع أناس ، يمكننا أن ندهش إذا أخذت أحلامنا شكلاً مماثلاً .

الدخيلة في الإسلام ، ومحاربة التعاليم الضالة والتفاسير الباطلة لعقائده ... وما دخل على العقائد من بدع الاعتقاد في الأولياء ، وما تأتيه طرق الصوفية من بدع وضلالات الخ .

وقال الأستاذ جب وهو يتحدث عن دعوة الأستاذ الإمام في كتاب وجهة الإسلام : « ... ثم واصل تلاميذه ما بدأ من عمل ، وهم وإن لم يبلغوا مبلغ شخصيته الباسلة ، فقد حملوا مبادئه بكتاباتهم وجهودهم الشخصية إلى جميع أجزاء العالم وأثروا تأثيراً كبيراً ، ولا سيما عن طريق مجلتهم المنار »

وقال برج الأستاذ بجامعة ليدن في كتاب وجهة الإسلام : « وكانت مجلة (المنار) في مصر أول مصباح أرسل شعاعاً من هذا التفكير الجديد على جمهور عظيم من المسلمين ، ولم يشرق (منار) القاهرة على المصريين وحدهم ، ولكنه أشرق على العرب في بلادهم وفي خارجها ، وعلى مسلمي أرخبيل الملايو الذين درسوا في الجامعة الأزهرية أو في مكة وعلى الأندونيسي المنعزل . وقال : « وحركة التجديد هذه التي انبعثت من (المنار) وذاعت في مجلات الملايو أثناء العشرين سنة الأخيرة أحدثت حركة عظيمة في أراضي ـ بلاد ـ الواطئة ـ وحركة أقل منها في الأراضي المرتفعة الخ »

وعاد الأستاذ جب فقال : « فمجلة (المنار) بنزعتها الإصلاحية ذائعة في العالم الإسلامي كله ، وتلعب دوراً هاماً في إصلاح الأفكار الدينية كما بينه الأستاذ (برج) حين وصف تأثيرها في أندونيسيا »

هذه فذلكة صغيرة من تاريخ العلامة الحجة السيد رشيد رضا ننشرها على الناس إثباتاً واعترافاً بفضله رحمه الله ورحم أستاذه .

(المنصورة) محمود أبو رية

على أن عقلنا الباطن ربما يكون مسئولاً عن التعرف بأناس لم نكن قابلناهم فعلاً فى ذلك اليوم ، ونشاط حلمنا قد يبدو باطلاً نظراً إلى أننا لا يمكن أن نتحقق أو أن نذكر بتيقظ ما كنا نظنه يأتى فى أحلامنا

يستيقظ كثير من الناس فى الصباح بهذا التأثير الذى يرجع سببه إلى الرقابة على العقل الواعى . وبعض أجزاء الحلم كثيراً ما يُنسى فى حين أن بعضها الآخر يكون محرفاً ومشوهاً فى الذاكرة الواعية ، ولذا يظل اللاشعور مكبوحاً ، وإذا لم يكن هناك سبب ثابت لوجوب امتلاكنا نوعاً من الحلم الذى نكون مندفعين فيه بدون قصد من مكان إلى مكان ، يحتمل أن يرجع السبب فى ذلك إلى بعض مسائل شخصية نكون قد حاولنا دفنها فى أعماق الصورة

وفى ساعات يقظتنا نحاول أن ننسى هذه المسألة فى عمل ولهو مستديمين . وحلمنا جهد يحمى النوم لكيلا نستيقظ أو نقلق . والناس الذين يحاولون أن يتجنبوا حكماً خطيراً ، أو الذين لا يمكنهم الوصول إلى حكم ، عندهم فى الغالب هذا النوع من الحلم

والأحلام التى نحاول فيها أن نهرب من بعض الأخطار والتى تكون الحركة فيها صعبة كأن نكون دائسين فى وحل لزج أو متعلقين بأغصان أشجار ، لها أهمية مماثلة . وهناك بعض المسائل الخطيرة التى نحاول أن ننساها أو نتحاشاها ، ولكنها برغم جهودنا تتشكل فى صورة غير مقبولة . وأحسن تصرف لنا هو أن نكشف المسألة وننسيها . وحين يقف مثل هذا النوع من الأحلام تكراره عند حده ، علينا أن نحاول فهم القليل عن معنى رموزها . ويجب علينا أن نحلل شعورنا واستجاباتنا وعلاقاتها بالأشباح التى تظهر على الدوام فى أحلامنا . والأمانة التامة من ألزم اللزوميات ، حتى ولو كانت مما لا تسر

ولنأت هنا بمثال للطريقة التى تساعد على الفهم الذاتى :

(فلان) كهل عَزَب ثرثار ، يعيش مع أخته العجوز الأرملة . إنه ينزعج من كل شىء وعلى الأخص صحة أخته . وقد اشتكى من أحلام مزعجة . فى أوضاع غامضة مختلفة ، رأى أخته ممددة ميتة وإما على وشك الموت . ويرى نفسه إما محاولاً إعادتها إلى الحياة وإما مندفعاً للتفتيش عن أشياء . وإنه ليقول : «أردت أن أسرع ولكننى لم أستطع ، كنت أوقع الأشياء دائماً وأخلط بين قطع الأثاث . وفى كل أحلامى كان (ا) موجوداً ، وكانت توجد أيضاً ممرضة ولكنها كانت تتمثل فى صور شتى . فى بعض الأحيان كانت ابنة عمى السيدة (ب) ، وكانت فى بعض الأحايين الآنسة (ج) وأحياناً (د) . ولم أكن أفهم سبب وجود (ا) هناك . إنه كان معى فى الجامعة ولكننى لم أكن أحبه كثيراً . وكنت لم أره زهاء العشرين عاماً . وكنت دائماً فى حالة مزعجة أستنجد بهم أن يعملوا شيئاً . وفى معظم أحلامى ، كان (ا) يخلع ساعة أختى الذهبية من رسغها . وكنت أطلب منه أن يعطينها إذ كان لى الحق فى أن أقرر لمن يجب أن تكون ، وكان هو يتمسك بخطفها من يدى . فيبدأ الجميع فى جذبها فى اتجاهات مختلفة . وفى تلك اللحظة ، كانت أختى تنتصب واقفة وتنظر إلىّ »

وكان (فلان) يستيقظ من نومه دائماً عند هذه النقطة يائساً ، قانطاً يتملكه الشعور بأنه يجب أن يذهب إلى غرفة أخته ليتحقق من أنها بخير

ولو أن هذا يبدو حلماً مزعجاً نموذجياً . فقد كانت هناك بواعث شديدة لاشعورية موجودة فيه . فى الجامعة كان فلان حيياً خجولاً ، ولقد أراد أن يكوِّن لنفسه أصدقاء من بعض النساء ويخص منهن فتاة وكتب قصيدة أهداها إليها ، ولكنها وقعت صدفة فى يد (ا) ، وعرض فلان بعض الوعود ، كما يفعل الشعراء ، ولم يكن شعره رديئاً ومع ذلك فقد صار أكثر خجلاً وأكثر حساسية

(ا) مثال كريه جداً ، حاول أن يهدم إدراك فلان المثالى للنساء ، واتجاهه العف نحوهن بترديد حكايات ماجنة

وكانت الآنسة (ج) جارة أعجب بها فلان . وباستثناء أخته كانت ب المرأة الوحيدة التى عرفها معرفة حقيقية ، ولقد قال لها ذات مرة أنه يحب (ج) حباً شديداً

(د) كانت نجماً سينمائياً تخصصت فى الأدوار التى تمثل المرأة العاقلة الحكيمة

ولقد أراد فلان أن يتزوج ، ولكنه كبت هذه الرغبة ،

حول فلسفة نيتشه

رســالة نبي الوثنية!

للأسـتاذ زكريا إبراهيم

اعتقد نيتشه في نفسه أن عليه رسالة لا بد أن يبلغها للانسانية، فلم يكن له بد من أن ينتقي لنفسه نبياً يتكلم على لسانه. وقد وضع نيتشه رسالته هذه على لسان نبيه زرادشت، فجاءت وحياً ليس له نظير في عالم الفلسفة. والواقع أن كتاب «هكذا قال زرادشت» هو طُرفة فنية رائعة لا نجد لها مثيلاً في الأدب الألماني الحديث، بل لعلها تكون أروع ما عرفه النثر الأدبي في ألمانيا كلها. ولكن الذي يعنينا من أمر هذا الكتاب هو أن نعرف السبب الذي من أجله اختار نيتشه «زرادشت» لكي يكون المعبر عن آرائه. وقد تكفل نيتشه نفسه بالجواب عن هذه المسألة فقال: «إن أحداً من الناس لم يسائلني — وكان الظن بهم أن يسألوا — عن المعنى الذي أقصده حينما أجرى اسم «زرادشت» على لساني، أنا «اللا أخلاقي» (immoraliste) الأول؛ فإن ما كان يميز هذا الفيلسوف من غيره، هو على وجه التحقيق، تعارضه المطلق مع اللاأخلاق. والواقع أن زرادشت كان أول من وجد في الصراع بين الخير والشر، المحور الأساسي الذي تدور حوله كل الأشياء، فهو أول من حول الأخلاق إلى مجال الميتافيزيقا، وجعل منها قوة أو علة أو غاية في ذاتها. ولكن هذا عينه هو السبب في اختياري له: فإن زرادشت هو الذي استحدث ذلك الخطأ الجسيم الذي هو «الأخلاق» moralité، وإذن فإن من الواجب أن يكون هو أيضاً أول من يفطن إلى ذلك الخطأ؛ لا لأن اختباره للمسألة كان أطول وأعظم من اختبار غيره من المفكرين (فإن التاريخ مُفعم بالأدلة التجريبية والبراهين العملية التي تنقض النظرية المزعومة عن وجود نظام أخلاقي للأشياء ordre moral des choses)، بل لأن زرادشت كان أكثر أمانة وتوخياً للصدق من غيره من المفكرين.»

ولكن ما هو هذا الوحي الذي نزل على زرادشت من سماء إلٰهه نيتشه؟ لقد جاء هذا النبي الجديد بديانة معارضة للمسيحية، مناهضة للأخلاق؛ وهذه الديانة مُودَعة في تضاعيف شعر فني

ووجد حلاً غير مرضى بمعيشته مع أخته التي كان سيصير مركزها إذا تزوج مشكلة صعبة. وكانت في الحقيقة، تتكدر إذا بين لها رغبته في التعرف إلى نساء أخريات. وكانت أحلامه بموتها إيضاحاً لرغبته اللاشعورية التي تحتم موتها حالاً، وبهذا يحل مشكلته هذه. وكان هذا غير مقبول لدى عقله الواعي وضميره اللذين عوضا على الرغبة باهتمام مضطرب قلق لصحة أخته ...

إنه كان يميل إلى ج كثيراً، ولأن السيدة ب شجعته صارت المرأتان مشتركتين في (اللاشعورية). ورغبته الخائبة للإرضاء الطبيعي البحت كان محققاً بـ د التي أصبحت على هذا النمط مشتركة مع كل من المرأتين، وكان (ا) متبلبلاً في شعوره الشخصي بالضمة، بقدر ما كان قلقاً، وساعة أخته الذهبية كانت هدية منه، وتعبر عن العاطفة التي أراد أن يعطيها لامرأة أخرى. فكانت أحلامه لذلك انعكاساً مستتراً لفشله الشخصي

وبعد. فإن باختبار القارئ لأحلامه بإخلاص، كما فعلنا في هذا المقال، ربما يكون قادراً على شرح ما يبدو له منها غامضاً وفي الوقت ذاته يدرس عن نفسه الشيء الكثير

هل أحلامك إلهامية؟ لقد قال الدكتور الفريد أدلر Dr. Alfred Adler إنها في بعض الدرجات ربما تكون كذلك. ليس لأي سبب خفي، ولكن لأنها ربما تدل على محاولات تجريبية عند حل المشكلة التي تتأتى

وقال أيضاً إن شخصاً ربما يركن إلى التنعم بأحلام السعادة والنجاح. غير أن هذا لا يتفق الآن للرجل الجرىء الذي لا تبعد حقيقته عن خياله، فتكون أحلامه أقل تعبيراً عما يختجنه وجدانه.

(الاسكندرية) عبد العزيز جادو

ساحر يرن فى السمع كما ترن الآيات القصار . فلم يَصُغْ نيتشه إذن أفكاره فى ألفاظ وعبارات ، بل صاغها فى لمع ولمحات . وهذه الأفكار كثيراً ما يَعذُب وقعها فى السمع ، بغض النظر عن المعانى التى تنطوى عليها ، فهى أفكار لا تنحصر قيمتها فى ذاتها ، بل فى صورتها الشعرية الرائعة التى ينساب سحرها فى النفس خفياً لا تكاد تلحق به المعانى ! وليس من شك فى أن هذه الصورة الشعرية ذات الموسيقى العذبة ، كان من شأنها أن تصرف النظر عن التأمل فى المعنى الذى تخبئه الألفاظ ، ومن هنا فإن أقوال زرادشت كثيراً ما تتخطى الأسماع إلى القلوب ، فتعمل فى النفس بما لا تعمله الأفكار والمعانى . وهل يمكن للفلسفة أن تؤثر فى النفس كما يؤثر الشعر ؟

وليس أسلوب نيتشه وحده هو المجازى الرمزى ، بل إن فكره أيضاً رمزى كذلك . فلسنا نجد لدى زرادشت تحديدات دقيقة أو براهين ثابتة ، بل نجد خليطاً من الآراء والأقوال ، يمكن أن نجد فيها لكل شيء جواباً بالسلب وجواباً بالإيجاب ، ويمكن أن نجد فيها أيضاً مجالاً للاختيار بين عشرة أو أكثر من التأويلات المختلفة . وهذا كله من شأنه أن يجعل المؤلف فى منجى من الاعتراضات التى يمكن أن يوجهها إليه الناقدون ، لأن الناقد لن يجد لديه شيئاً ثابتاً يمكن أن يأخذه عليه — . ومثل هذا الأسلوب فى الكتابة ، أليس هو من قبيل التخلى عن الفلسفة الحقيقية ، على حساب هوًى ميتافيزيقى خاص ، أو نزعة توكيدية dogmatisme شخصية استحالت إلى إيمان ثابت أو عقيدة راسخة ؟ إذن فما أصدق نيتشه نفسه إذ يقول على لسان نبيه زرادشت : « تسألوننى لماذا ؟ أنا لست ممن يُسألون حين يعملون لماذا ؟ » . وهل كان نيتشه فيلسوفاً يأخذ بالعقل ويخضع للمنطق ، حتى يقدّم حجة على ما يقول ، أو برهاناً على ما يدعى ؟ ... إن زرادشت نبي ملهم ، فليس له إلا أن يملى على الناس أحكامه ، وليس على هؤلاء الناس إلا أن يرهفوا له السمع !

أما الرسالة الجديدة التى جاء بها هذا النبي الملهم ، فهى فى جوهرها ردّ فعل عنيف ضدّ الأخلاق المسيحية المثالية ، والمذاهب العاطفية المتطرّفة ، مما نجده فى العصر الحديث لدى أصحاب « ديانة الألم الإنسانى » religion de la souffrance humaine . وقد استعان نيتشه فى سبيل القضاء على هذه الأخلاق ، بكثير من آثار ذلك النقد الألمانى العنيف للديانات والفلسفات . ولكن هذا النقد قد اتخذ عنده صورة التجديفات العنيفة واللعنات المتواصلة ، فجاءت حملته على الديانات ضرباً من الإنكار الهائج الذى تشيع فيه سَوْرة الجنون . بَيْدَ أن هذا الإنكار تعقبه تأكيدات مفعمة بالحماسة والحميّة ، بقدر ما هى خالية من كل برهنة أو إثبات . وهذه التأكيدات نفسها قد لقيت نجاحاً كبيراً ، لهذا السبب عينه وهو انعدام البراهين منها : فإن انعدام البرهنة كان من شأنه أن يخلع على تلك التوكيدات الإنكارية (إن صح هذا التعبير) قوة ووجاهة ؛ ومن ثمّ فقد سيطرت على الناس وأثرت فى عقولهم تأثيراً كبيراً . فهؤلاء الذين يُؤخذون بسحر العبارة وموسيقية اللفظ ، قد وجدوا فى عبارات نيتشه التوكيدية الحاسمة ، لذة كبرى لا عهد لهم بها فى كتب الفلاسفة . وهؤلاء الذين يولعون بالغريب الشاذ ، ويعشقون النادر غير المألوف ، قد وجدوا فى كتب نيتشه ما لا حصر له من الغرائب التى تستثير الإعجاب وتبعث على الدهشة . ولكن هذا وحده لم يكن السبب الوحيد فى إقبال كثير من الناس على قراءة كتب نيتشة (التى أخذت تنتشر ويعاد طبعها) بل إن ثمة سبباً آخر أعمق من ذلك ، وهو أن نيتشه قد نادى بمذهب فردى أرستقراطى ، أراد به أن يهدم كل أخلاق وكل دين . فالروح الإنكارية التى كانت سائدة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن ، قد وجدت فى نيتشه تعبيراً قوياً عن الحاجة التى تشعر بها . وهل كانت رسالة زرادشت فى الحقيقة ، إلا دعوة صريحة مؤدّاها « العودة إلى الوثنية الأرستقراطية » : paganisme aristocratique ؟ وهل كان نيتشة إلا « بَسكال الوثنية » كما قال هافلوك إليس بحقّ ؟

زكريا ابراهيم

مستقبل رومانيا

للأستاذ علي إسماعيل بك

« لماذا دخلت رومانيا الحرب » ؟

ذلك هو السؤال الذى ردده طوال السنوات الأخيرة كل فرد من أفراد الديمقراطيات « فلماذا » ؟

لقد دخلت ألمانيا الحرب لمطامع أغراها بها النازيون لا أقل من أن نذكر منها سيادة العالم بما سموه النظام الجديد

ودخلت بريطانيا وأمريكا الحرب دفاعاً عن حرية العالم . ودخلت روسيا الحرب دفاعاً عن نفسها . ودخلت إيطاليا الحرب للوهم الذى علق ونما فى نفوس الفاشستيين لإحياء الامبراطورية الرومانية المنقرضة . ودخلت بلغاريا الحرب لحلم دار فى خلد الطامحين من ساستها بإعادة الامبراطورية البلغارية فى البلقان على يد حليفتها البطاشة

أما رومانيا ، ذلك البلد الغنى ، المرح ، الذى خرج من الحرب العظمى بأقصى ما يمكن أن ينال المنتصر من أسلاب وبأكثر مما كانت تحلم به من أراض غنية ومناطق تزخر بالمناجم وتغص بالصناعات فما بالها تدخل حرباً لا ناقة لها فيها ولا جمل ؟

ذلك هو السؤال الذى يحار العقل فى الإجابة عنه إجابة منطقية واضحة .

فلنرجع بالقارىء أولاً إلى حالة رومانيا قبل الحرب العظمى نجد أنها ما كانت إلا ولاية من ولايات البلقان الشرقية ترزح تحت أثقال الماضي العثمانى وتتذمر من نفوذ عنصرين كبيرين يهددان كيانها على الدوام ، وهما العنصر السلافى من الشرق والعنصر الجرمانى من الغرب . فكان لها إذن أن تدخل الحرب العالمية ، إذ كان لسيف ديموقليس حدّان مسلولان على رأسها ، ولا سبيل إلى التخلص من كابوسه إلا بالقاء نفسها فى أحضان الحلفاء ...

وكان ذلك هو الطريق الذى اختارت رومانيا لنفسها . فحاربت فى صف الديمقراطيات الغربية ؛ وجلست معهم على موائد الصلح فى سان جرمان ، وخرجت من تلك الموائد ظافرة غانمة غنماً ما كانت لتحلم به . فقد سلخ الحلفاء من روسيا إقليم بسارابيا الغنى الخصب فى الشرق وقدموه إليها قرباناً ، كما قدموا إليها أقاليم الدبروجا فى الجنوب ، وقد كان من ممتلكات بلغاريا وترانسلفانيا وبوكوفينا ، وقد كانتا من ممتلكات الامبراطورية النمساوية الهنجارية المنحلة

تحققت إذن كل رغبات رومانيا الصغيرة بعد الحرب العظمى ، وأصبحت بعد ذلك « رومانيا الكبرى » وجلست على عرشها إحدى الملكات التى يسجل لهن التاريخ أجل المواقف . فقد كان لنفوذ الملكة مارى ابنة دوق ادنبره ابن الملكة فكتوريا العظيمة أشرف الأثر لا على الفرع الكاثوليكى لأسرة هوهنزلرن — سيجمارينجن وحسب ، بل على الشعب الرومانى أجمع . فقد أخذ ينطبع بالطابع الديمقراطى الذى كانت تتحلى به تلك الملكة الإنجليزية العظيمة ، وبدأت تدب فى مرافقها روح المدنية الغربية . فأخذت ترفل رومانيا فى مطارف السعادة والرخاء . مملكة هذه حالها ، ما الذى حدا بها إلى أن تصنع اليوم ضد ما كانت تقبله بالأمس .

عاشت « رومانيا الكبرى » العشرين سنة الأخيرة عيش الفأر الذى لبس جلد الهر ظناً منه بأن فى لبس الجلد السلامة والنجاة . وكان الرومانيون يعلمون على بكرة أبيهم علم اليقين بأن الهر الجرمانى إنما يتحفز لأنشاب أظفاره فيهم كي يسلخ منهم ترانسيلفانيا وبوكوفينا كما يتحفز لهم الهر الروسى كى يسلخ بسارابيا والهر البلغارى كى يسلخ الدوبروجا . ماذا يصنعون إذن ؟ إذا طلبوا معاونة الحلفاء ، تلقوا إجابة أفلاطونية لا تقترن بأساطيل ولا تعزز بجيوش . وإذا طلبوا معاونة الروس ، فلا أقل من أن تطغى على الأراضى الرومانية أنظمة روسيا الاجتماعية وهو ما لم تكن رومانيا ولا الديموقراطيات لتقبله بأى حال . موقف مربك بلا ريب

لا مناص إذن من إلقاء نفسها فى أحضان الهر الجرمانى ، ولو على غير رغبة منها « فلنحالف الألمان عسى أن يكافئونا على حلفنا » ذلك هو ما كان يدور فى خلد الرومانيين ، ولكن

صفحات مطوية من المصري

الشهاب المنصوري

للأستاذ السيد أحمد خليل

ذلك شاعر آخر من الشعراء المغمورين الذين نشأوا في مصر، وتأثروا بما يجري على أرضها من أحداث، تظهر في أعمالهم الشعرية التي خلفوها خصائص هـذه البيئة ومزاياها . ذلك هو الشاعر المعروف بالشهاب المنصوري

ترجمته :

يعرف هـذا الشاعر بالشهاب المنصوري ، وبابن الهائم والمترجمون له يستعملون هاتين الشهرتين . فأما نسبه كاملاً ، فهو : أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الدائم بن رشيد الدين بن عبد الدائم بن خليفة المعروف بالشهاب المنصوري .

ولد سنة ٧٩٨ هـ ببلدة المنصورة ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن وجوده ، وتلق بعض المبادىء في الفقه والحديث والتفسير والأدب ، ثم رحل إلى القاهرة ، فعرض كتاب التنبيه[1] على الجمال الأقفهسي المالكي ، ثم حفظ الملحة وقد رحل في شبابه مع والده إلى دمشق ، ثم عاد إلى القاهرة وعاود البحث في التنبيه على الشرف عيسى الأقفهسي الشافعي ، وعرض ألفية ابن مالك على الشمس الجندي وأخذ عنه أشياء من تصانيفه في النحو كالزبدة والقطرة ، ولما فرغ من قراءته عليه قال :

تناءوك شمس الدين قد فاح نشره
لأنك لم تبرح فتى طيب الأصـل

أفاض علينا بحر علمك قطرة بها زال عن ألبابنا ظمأ الجهل

وأخذ النحو أيضاً عن البدر حسن القدسي شيخ الشيخونية ، وسمع الحديث عن الرشيدي وتنزل في حنابلة الصوفية بالشيخونية وعاني الأدب وطارح الشعراء ، وصار بأخرة أوحد شعراء القاهرة حتى كان العز قاضي الحنابلة يقدمه على الكثيرين ، وقد حج وامتدح النبي بعدة قصائد ، وخمّس البردة ومدح غير واحد

(١) التنبيه هو الكتاب المعروف بتنبيه في فروع الشافعية لأبي إسحق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ وهو أحد الكتب الخمسة المشهورة المتداولة بين الشافعية وقد شرحه كثيرون (انظر كشف الظنون) ويظهر في كثير من الحوادث أن تمايز المذاهب في الدراسة لم يكن مستقراً في ذلك العصر ، فالطالب يقرأ الفقه الحنبلي والشافعي والمالكي على غير أهل هذه المذاهب كما يتبين ذلك من دراسة الشهاب المنصوري وغيره .

ما هي تلك المكافأة التي كانت تنتظرها رومانيا ؟ إذن فاستمع : وعدت ألمانيا النازية بحل المشكلات المعلقة بين رومانيا وجاراتها بما يرضي الضمير الجرماني بشرط دخول رومانيا الحرب في صفها ضد حلفائها بالأمس فتضع بذلك مناطق الزيت والحبوب تحت تصرف الألمان !

تمخض الوعد عن اجتماع في فينا بين هتلر وساسة رومانيا وهنجاريا ، وكانت النتيجة أن نُزعت ترانسلفانيا من التاج الروماني وقُدّمت قرباناً إلى نسور هنجاريا ! تلك هي مأساة الثقة بوعد الهر الجرماني

دخلت رومانيا الحرب ووضعت جميع مواردها ومرافقها تحت تصرف الألمان ، فما كان من هؤلاء إلا أن عاملوها معاملة السيد لتابعه ، وبدلاً من أن يكافئوها بالاحتفاظ بالولايات كما كان مشروطاً كافأوها بسلخ ترانسلفانيا وبوكوفينا سلخاً لا شفقة فيه ولا شفاعة

ولما أن دار الفلك دورته وأنشبت روسيا أظفارها في قلب الهر الجرماني منتزعة بسارابيا من قبضتها بحد السيف ثاب الرومانيون إلى رشدهم وشمروا - ولكن بعد فوات الوقت - أن لا سلامة الآن لهم إلا بالخضوع والإذعان لمطالب روسيا المشروعة

وقد أذيع اليوم أن بين هذه المطالب - ولا أقل من أن يكون الأمر كذلك - أن تنقلب رومانيا إلى صف الحلفاء وأن تكون حكومة ديموقراطية تحمل السيف في وجه ألمانيا التي لم تجر عليها مخالفتها سوى الخراب والدمار على أنه من الواضح أن الحلفاء سوف يبرون بوعدهم على استرداد ما انتزع الألمان في اجتماع فينا فيضعون بذلك الحق في نصابه ويعيدون إلى قيصر ما لقيصر

علي اسماعيل

من الأعيان ، وكان صديقاً للسخاوى ، صاحب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، وقد ترجم له ترجمة ضافية ، ويقول الشهاب المنصورى يهنئه بمولود له :

ليهنك شمس الدين فرعك مشبه
سجاياك والقطر الشهي من الطخا

وذلك من جود الإله وفضله
ففرعك من جود وأصلك من سخا

ويتفق صاحب شذرات الذهب مع السخاوى فى أنه توفى يوم الإثنين سادس جمادى الثانية سنة ٨٨٧ هـ

أخلاقه

يقول السخاوى إنه كان ظريفاً كيسا متواضعاً متقللا قانعاً ، ويبدو فيما رأيناه من شعر الشهاب أنه كان ظريف اللسان خفيف الروح يتمثل فيه الخلق المصرى الهادىء الوديع مع اليقظة التامة لما يجرى حوله من أحداث لا بد أن يشارك فيها جاداً أو مازحاً

شعره

فأما شعره فيصفه صاحب شذرات الذهب بأنه جميعه فى غاية الحسن وينقل من ديوان له تلك الأبيات :

شجاك بربع العامرية معهد
به أنكرت عيناك ما كنت تعهد

ترحل عنه أهله بأهلة بأحداجها غيد من العين خرد
كواكب أتراب حسان كأنها برود بأغصان النقى تتأود

كما يقول السخاوى إنه أضحى مشاراً إليه بالشعر فى الآفاق ، ويحدثنا عن ديوانه أيضاً ويصفه بالكبر ، وأنه انتخبه فى مجلد وسط قبل أن يموت . والمتتبع لحياة هذا الشاعر يرى أنه قد شارك فى جميع ألوان الحياة المصرية فى عصره ، وأن أداته فى ذلك كله كانت الشعر ، فهو يهنىء السلاطين بالملك بالشعر ويمدح ويذم ويداعب ويتحسر بالشعر أيضاً ، وسننقل فى ذلك بعض الحوادث مقرونة بشعره

لما عين مثقال الحبشى الساقى فى مشيخة الحرم الشريف ، وكان مثقال هذا عشير الناس كثير الانهماك على شرب الراح ، فقته السلطان قايتباى وألبسه مشيخة الحرم الشريف لعله يتوب قال فيه الشهاب المنصورى :

يعم ندا كف مثقال فراحته فيها لمن أمه جود وإفضال
واعجب له فرعاه الله من رجل فيه قناطير خير وهو مثقال

وقال فى شاهين غزالى الظاهرى الرومى ، وكان بارع الجمال افتتن به كثير من النساء والرجال ، وافر العقل غزير الأدب منهمكا فى ملاذ نفسه وشهواتها

قد صاغك الله من لطف ومن كرم
وزاد حسنك بالإحسان تزيينا

فاخفض جناح الرضا واصطد طيوردعا
من جو إخلاصنا إن كنت شاهينا

ويلاحظ أنه مولع بالتورية فى شعره ، فهو يستعمل الشاهين بمعنى الصقر ، ومثقال بمعنى المقدار وهما علمان . وذلك أسلوب من أساليب الشعر فى ذلك العصر

كما يصف طاعوناً تفشى خطره فى الناس فيقول :

يا نعم عيشة مصر وبئس ما قد دهاها
لما فشا الطعن فيها حاكى السهام وباها

وهو يحارب الأمراء فى جشعهم ليحملهم على أن يخرجوا الغلال التى احتكروها فيقول فى الأمير يشبك الدوادار لما فعل ذلك :

وظالم منه أتانا الغلا يا ويله فى الحشر من ربه
فادعوا وقولوا ربنا اطمس على أمواله واشدد على قلبه

وهو يتعصب للعلماء فينصر ابن الفارض على البقاعى ، كما رثى العلماء الذين عاصرهم رثاء مفجعاً يدل على ما يكنه لهم فى نفسه من احترام وتقدير ، فقد كان فى مصر فى ذلك الوقت سبعة من الشعراء العلماء يحملون اسم الشهاب فاتوا جميعاً وبقى شاعرنا فرثاهم بقصيدة طويلة ذكر طرفاً منها ابن إياس فى كتابه بدائع الزهور ومنها :

خلت سماء المعانى من سنا الشهب فالآن أظلم أفق الشعر والأدب
تقطب العيش وجهاً بعد رحلة من تجاذبوا بالمعانى مركز القطب

فكاهته

كان شاعرنا يميل إلى الفكاهة العذبة ويحتال لها فى شعره بأنواع من البديع كالجناس ونحوه ، ويتبين ذلك فى الأبيات التالية التى داعب بها صديقه الشاعر عبد الرحمن بن حسن

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٠٤ – وتحت كل لم ؟ أسد ملم

ابن الراوندي : ما التصدي للحراب والقضاب ومبارزة الأبطال بأصعب من التصدي للجواب لمن أمّك بالسؤال . وتحت كل لِمَ ؟ أسد مُلِمّ

٦٠٥ – إذا استعفى بغمزة حاجبيه

قال أبو نؤاس :

ولست بقائل لنديم صدق وقد أخذ الشراب بمقلتيه
تناولها وإلا لم أذقها فيأخذها وقد ثقلت عليه
ولكن أدير الكاس عنه إذا استعفى بغمزة حاجبيه

٦٠٦ – أسهل من تلك الخطوة

رفع رجل من الأزد إلى المهلب سيفا له فقال : يا عم ، كيف ترى سيفي هذا ؟

فقال : إنه لجيد لولا أنه قصير

قال : أطوله يا عم بخطوتي

فقال : والله – يابن أخي – إن المشي إلى الصين أو إلى أذربيجان[1] على أنياب الأفاعي أسهل من تلك الخطوة[2] ...

٦٠٧ – ولا رزقك عقلا تخدم به ذوي الجدود

سُمع من امرأة من الأعراب تُرقص ابناً لها فتقول : رزقك الله جَداً يخدمك عليه ذوو العقول ، ولا رزقك عقلا تخدم به ذوي الجدود

٦٠٨ – فكيف بالظالم ؟

في الكشاف للزمخشري :

صلى الموفق خلف الإمام فقرأ : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) . فغشي عليه ، فلما أفاق قيل له ، فقال : هذا فيمن ركن إلى من ظلم ، فكيف بالظالم ؟ !

٦٠٩ – فقد طابت منادمة المنايا

القاضي عبد الوهاب :

متى تصل العطاش إلى ارتواء إذا استقت البحار من الركايا ؟!
ومن يثني الأصاغر عن مراد وقد جلس الأكابر في الزوايا !
وإن ترفع الوضعاء يوماً على الرفعاء من إحدى البلايا !
إذا استوت الأسافل والأعالي فقد طابت منادمة المنايا !

---

(١) بالفتح ثم السكون وفتح الراء . وقد فتح قوم الذال وسكنوا الراء ، ومد آخرون الهمزة مع ذلك . والنسبة إليه : أذرى (بالتحريك) وأذرى (بسكون الذال) وأذرني . إقليم واسع ، تبريز أكبر مدنه (ياقوت)

(٢) لم يقل ذلك جبناً بل قال ما توجبه الصورة إذ كانت تلك الخطوة قريبة للموت (ابن أبي الحديد)

المعروف بكتاب العجم وكان يميل إلى الغلمان :

في ملاح لك شتى صيف القلب وشتا
كم ليال مع مليح يا محب الدين بتا
خده بستان حسن حبذا البستان بستا
أنت بالصبيان صب لو رأيت البنت بنتا

وقد عرض له في أواخر حياته فالج ألزمه الفراش فانقطع في داره عن الحركة ، ولكنه لا ينسى حظه من الداعبة الجميلة إذ يقول في مرضه :

آه يا درهمي ويا ديناري ضعت بين الطبيب والعطار
كنت أنسي في وحدتي وشفائي من سقامي وصحتي في انكساري
قد حماني الطبيب عن شهواتي فاحم يا رب قلبه بالنار
طال شوقي إلى الفواكه والبطيخ والجبن واللّبا والخيار

أما حديثنا عن ديوانه فسيكون في مقال آخر إن شاء الله .

(جامعة فاروق بالأسكندرية) السيد أحمد خليل

أوائل الناجحين

للشاعر الأستاذ محمد الأسمر

[للبيت العلوى الكريم مآثر محمودة فى تشجيع العلوم والفنون ، من لدن محمد علي الكبير إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فاروق الأول ، وإن فى تكريم جلالة الفاروق لأوائل المتخرجين كل عام لمأثرة كبيرة من هذه المآثر المحمودة المعروفة عن البيت العلوى

وقد كان المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول يمنح أوائل الناجحين فى عالمية الأزهر بعض المنح ، وكان الأزهريون يحتفلون بتوزيع هذه الجوائز على الأوائل منهم ، والقصيدة الآتية أنشدها الشاعر فى بعض هذه الحفلات .]

للسابقينَ الأولينَ تحيتى شعراً كزهر الروض لما نوَّرا

بلغَ المُجَلِّى ، والمُصَلِّى غايةً لهما ، وأبطأ عاجزٌ وتأخَّرا

يتنافس المتنافسون فسائرٌ خَبَباً ، وآخرُ سائرٌ متعثرا

صَرْحُ الحياة ثوى الضعافُ بسفحه

والأقوياء على الذوائبِ والذُّرى

قلْ للأوائل قد بلغتم شأوكمْ وحمدتمُ لمَّابدا الصبحُ السُّرى

لم تأخذوا من لهو أيام الصبا إلا مُباحاً نلتموهُ مُقتِّرا

لستمْ كمن تخذ المقاهيَ دارَهُ يلهو ويُنفق مُسرفاً ومبذرا

زمنُ الدراسة للدراسة وحدها ما كان متسعاً لشيء آخرا

خير الجليس به ، وخير مسامر فيه يراعٌ أو كتابٌ سُطِّرا

والطالب السبّاق فى طلب العلا أبداً تراهُ مُنقباً ومُحبِّرا

ما إن يُرَى فى الليل خارجَ دارهِ وتراه ينهض للدروس مُبكِّرا

* * *

يأيها الغرُّ الأوائلُ حسبُكم عطفُ المليك فما أجلَّ وأكبرا

ونصيحةٌ لكم الغداةَ نسوقها لتُبينَ ما رُبَّما اختفى وتسترا

لاتحسبوا سَبْقَ الدراسة وحدهُ يُغنى فيرخى ذيله من شمَّرا

سَبْقُ الدراسة ليس إلا سلَّماً هو أول الغايات ليس الآخِرا

لا يَقْعُدَنَّ المرء بعد نجاحه مَلاً ولا يخطرْ به متبخترا

كم آخِرٍ فى الدرس ثابَرَ بعدهُ فسما وظلَّ الأولون على الثرى !

خذوا بأسباب الحياة وواصلوا خطواتكم تجنوا الشهيَّ المثمرا

* * *

الأزهر المعمور يرعى روضَه ملكٌ به رفَّ النجاحُ وأزهرا

ما زال يسقيهِ الرعايةَ عذبةً حتى بدا نضر الجوانب أخضرا

وإذا الملوك الصالحون تعهدوا غرساً أتى بالصالحات وأثمرا !

يسعى إليه المسلمون جميعهم مثل الحجيج سعى إلى أم القرى

وردوا به الوِرْدَ الشهيَّ مذاقه وجنوا به المُتعهَّد المتخيَّرا

جمع القديم مع الجديد كليهما أحببْ به مُتبدِّياً ، متحضرا

عَلَمُ الزعامةِ فى يديه وحده ما كان أحراهُ بذاك وأجدرا

حَمَل اللواء إلى الأمام فما مشى يوماً به فى الحادثات القهقرى

وردتْ مناهِلَهُ البريَّةُ كلها عسلاً مُصفًى لاأجاجاً أكدرا

يمضى على سَنَنِ الهدى مستنصراً بالله ، محميَّ الجناب مُظفَّرا

بنت الشريعةُ من قديم حصنها فيه ، وشيَّدت الفصاحةُ منبرا

وتفضَّل اللهُ العلىُّ وزادهُ فضلاً ، فأيدهُ المليكُ وآزرا

* * *

يأيها الملكُ الرشيدُ تدفقتْ منكَ الأيادى فهى تجرى كوثرا

تُعطى الجزيلَ من العطاء مشجعاً

من لم يَعُقْهُ عن السُّرى حُبُّ الكرى

تبنى العقولَ وأنتَ أقدرُ من بنى

وأجلُّ من ساس الأمور ، ودبَّرا

إن كان كسرى شادَ إيواناً له

حَجَراً ، فأنت تشيدُ أعجب ما يُرى

تبنى المعارفَ والفنونَ وهذه أبقى على الدنيا وأروعُ منظرا

محمد الأسمر



الثقافة والعقاد

في عيد ذكرى من ذكريات سعد الماضية ، أصدرت مجلة الثقافة عدداً خاصاً في الزعيم سعد زغلول من أقلام كتابها البارزين

وكتب أحد هؤلاء الكتاب ، حكاية زيارة اللورد جورج لويد المنيا ، واستقباله في الأقاليم استقبال أصحاب العروش ، وحملة الصحف على اللورد من جراء هذه الزيارات ، واشتراك مجلس النواب على اختلاف الأحزاب في هذه الحملة ، وحنق اللورد وخلقه أزمة استحضر من جرائها الأسطول إلى الأسكندرية ليزيل ما أصاب هيبته من تلك الحملات التي ظن أن الموعز بها والمحرض عليها هو الزعيم سعد زغلول

ويقول كاتب الثقافة إن المغفور له سعد زغلول قال : إن اللورد جورج يتهمنا بأننا كنا الموعزين بحملة الصحافة وحملة النواب على زياراته للأقاليم ، أما أنا فأقول :

« إنها تهمة لا أدفعها وشرف لا أدعيه »

أورد كاتب الثقافة الخبر على هذا النحو كأنه من أخباره الخاصة أو من متداول الحديث بين كتاب الثقافة

بعثت آنذاك بكلمة إلى رئيس تحرير الثقافة ، أضع الأمر في موضعه الصحيح ، وأدل القراء على المصدر الذي استقى منه الكاتب روايته وهو كتاب « سعد زغلول » لمؤلفه الأستاذ عباس العقاد ، ولم يشأ صاحب امتياز المجلة نشر كلمتي قطعاً لما قد يعقب نشرها من أخذ ورد

سألت عن كاتب تلك الكلمة ، فعرفت أنه لا يقل مكانة عن الكاتب (ح . ج) ، ولعله زامله في التحقيق والعدالة

عند ما قرأت مقال الثقافة « سعد وسعود » بقلم (ح . ج) وتعليق الأستاذ سيد قطب عليه تذكرت الماضي وقلت في نفسي « هذه ثقافيات عرفناها في الجامعيين في إنكار الفضل على ذويه »

وبهذه المناسبة أنقل خلاصة حكاية أوردها الأستاذ العقاد في كتابه « سعد زغلول » أهمسها في آذان كتاب الثقافة وحواشيهم ليت يتدبرها الكاتب اللبق (ح . ج)

قال العقاد وقد سأله الزعيم عن رأيه في خطبة العرش ، وكان حاضراً كل من فتح الله بركات باشا ومحمود فهمي النقراشي باشا والأستاذ عبد القادر حمزة

أدلى الأستاذ العقاد برأيه ، وقام النقاش بين الرجلين ودام نصف ساعة . فقال زغلول باشا للعقاد

« لماذا تحاسبني أنا في هذا ، ولست أنا المسئول عنه »

فأجاب العقاد « لأن دولتك وكيل الأمة والمسئول عن عمل الآخرين »

« فضحك - رحمه الله - طويلاً ، ثم قال : لو حاسبني كل فرد من الأمة حسابك يا فلان لعجزت عن أعباء هذه الوكالة »

« قلت وفي نفسي غضب أغالبه : يا باشا ، ليس كل فرد في الأمة عباس العقاد »

« فتبسم مؤمناً وقال : ليس كل فرد عباس العقاد . . . صدقت »

حبيب الزحلاوي

١ — وحدة الشهود

تعليقاً على ما دونه الأستاذ الشبيشي في عدد الرسالة ٥٧٨ أقول : أول من قال بوحدة الوجود في الاسلام هو جهم بن صفوان الذي قتل في آخر عهد الأمويين ، وقد تأثر في بدعه ونحله الباطلة بالسمنيين « سمنات » لاختلاطه بهم ، وكم فتح هذا الرأي من أبواب للاباحة والزندقة لشرار الخلق

وأما قول الصوفية الأطهار بوحدة الوجود فلم يكن ناشئاً من نظر أو بحث ، بل هي عندهم حالة خيالية تطرأ للسالك من شدة إقباله على الله إلى أن يغيب عن الكون فينطق بما يوهم وحدة الوجود ، وتسمية هذه الحال « وحدة الشهود » هو الصواب . ومن الصوفية أتقياء أبرار يراعون أدق أوامر الشرع في جميع شؤونهم ، كما أن بينهم زنادقة إباحيين . قال العلامة يوسف البحري فيما علقه على « المجموع في الشهود والمسموع » : إن الواجب له عز الوجوب والعظمة والكبرياء ، فهو منزه عن اللواحق المادية والتعطيلات الإلحادية ، وإن الممكن له ذل الإمكان وحقارة

الاحتياج إليه محقور مقهور محتاج إليه تعالى فى وجوده وبقائه وجميع أطواره ، فلا ينقلب الواجب ممكناً ولا الممكن واجباً ، بل الواجب خالق قادر غنى ، والممكن مخلوق عاجز محتاج فلا يكون أحدهما عين الآخر ، وهذا بديهى وبه نزلت الكتب السماوية وجاء به الأنبياء ... انتهى .

وبحث وحدة الوجود بحث خطر متشعب ، والموفق من وقاه الله شره . وممن توسع فى رد ذلك القاضى عضد الدين فى المواقف

٢ — فى اللغة أيضاً

نقلت فى عدد « الرسالة » ٥٧٦ ذرواً من قول الأستاذ النشاشيبى فى لفظة « تلاشى » وأورد اليوم بعض كلامه أيضاً :

بنت العربية (الملاشاة والتلاشى) من (لا شىء) فى القرن الثالث فقالت : لاشى يلاشى ملاشاة ، وتلاشى يتلاشى تلاشيا . وفى إرشاد الأريب « التفاوت فى تلاشى الأشياء غير محاط به » وراوى الجملة هو المنشىء العبقرى أبو حيان التوحيدى (الذى ربما كان أعظم كتاب النثر العربى على الإطلاق) ، كما يقول العربانى « متز » ، وفى العمدة لابن رشيق « وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى » ، وجاءت اللفظة فى شعر الصنوبرى

فالتلاشى مولدة كيسة ، وقد تقبلها من تلوت أقوالهم ، وسمينا أسماءهم بقبول حسن . ثم طلع علينا الخفاجى فى آخر الزمان يقول فى شفاء الغليل « التلاشى بمعنى الاضمحلال عامية ، لا أصل لها فى اللغة » . عامية يا شيخ « قدك اتئب ، أربيت فى الغلواء » خف الله ، احترم أولئك الأئمة ، قل مولدة ، قل محدثة ، لقد ظلمتها حين ذممتها واستأصلت أصلها . والنسب مشهور ، والناجلان معروفان ، وهى (لا) و (شىء) ، وقد نشأت فى العراق ورحب بها المهيللون والمبسملون والمحمدلون ، والأدباء والعلماء والباحثون

وسقط مما نقلته فى العدد ٥٧٦ من كلام الأستاذ بعد أن ذكر قول ابن أبى الحديد : قلت : مقالة ابن أبى الحديد متلاشية ، والحق مع القطب الراوندى صاحب شرح نهج البلاغة ومعتقد الشيعة ...

أحمد صفوان

إلى ميدان الجهاد

مضت شهور وأنا معتصم بالصمت فلا أكتب حرفاً فى مدافعة أخصامى ، أو مناصرة أصحابى ، وقد طال الصمت ثم طال حتى أشمت الأعداء ، وأحزن الأصدقاء

وأنا راجع إلى ميدان الجهاد ومعى سلاحى ، فليلقنى من توهم أننى ألقيت سيفى وطويت لوائى

كل شىء يجوز ، إلا أن أخذل وطنى ، وهذا الوطن هو اليوم موئل الحرية الفكرية فى الشرق

إن خصومى دفعونى إلى ما لم أكن أحب أن أندفع إليه ، فما عندى نية لخصومة روحية أو عقلية لأنى أبغض الشهرة التى يجلبها التظاهر بحرية الرأى

قراء الرسالة يذكرون أنها نشرت عشرات من الملاحظات على التصوف ، وهم أيضاً يذكرون أنى سكت عن التعقيب على تلك الملاحظات ، فما سبب ذلك السكوت ؟

السبب يرجع إلى إيمانى بأن التصوف عقدة نفسية لا تفسرها كلمة وجيزة فى صحيفة أسبوعية

ولكننى اليوم أرانى مقهوراً على شرح نظرية وحدة الوجود ، بعد أن طال فيها الكلام على صفحات الرسالة الغراء بدون إيضاح

وقراء الرسالة يذكرون أن بعض الناس وصفنى بالحمق والغباوة والجهل ، بسبب آرائى التى دونتها عن إعجاز القرآن فى كتاب النثر الفنى

وسأشرح تلك الآراء شرحاً ينفى عنى وصف التهمة بالحمق والغباوة والجهل ، فأنا بفضل الله أعقل وأذكى وأعلم من جميع المتطاولين على مقامى

وإذا كان فلان الفلانى أعلن فرحه بأن الرقابة لن تسمح بنشر دفاعى عن آرائى ، فليعرف ذلك الفلان أن دفاعى سيكون أوضح من فلق الصباح ، وأنه لن يتعرض لمقاومة الرقابة بأى حال

كنت أنتظر أن ينتصر خصومى علىّ بقوة المنطق لا بقوة الحكومة ، فلن أنسى كيف خصمونى فى يوم نقدت خطبة العرش فى إحدى حكومات الانقلاب

أما بعد فهذا نذيرٌ من النذر الأولى

زكى مبارك

اقرعاز مماز

في أهرام ٢٠ أغسطس سنة ١٩٤٤ نبأ الجمل الذي أهرب من المجزر ، ولجأ إلى قصر عابدين ، فأمر جلالة الملك فاروق بشرائه وعدم ذبحه . وقد ذكرنا ذلك بما جاء في كتاب « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمي » ان يعلى بن مرة رضى الله عنه قال : كنت مع النبي عليه الصلاة والسلام جالساً ذات يوم إذ جاء جمل يخبب حتى ضرب بجرانه بين يديه ، فقال ويحك : انظر لمن هذا الجمل ، إن له لشأناً . فخرجت ألتمس صاحبه ، فوجدته لرجل من الأنصار ، فدعوته إليه فقال : ما شأن جملك هذا ؟ قال : لا أدرى والله ما شأنه ، عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية ، فائتمرنا البارحة أن ننحره ونقسم لحمه ، قال : لا تفعل ، بعنيه ، قال : بل هو لك يا رسول الله ، قال : فوسمه بميسم الصدقة ثم بعث به .

(ابو المقفع)

داء يستعصى على العلاج

في الميدان الأدبي جريمة خبيثة تستعصى على الضبط ، فهي كالداء الذي لا يعرف له دواء ؛ هذه الجريمة هي أن يعمد بعض الجاهلين المجهولين إلى اختلاق كلمات أدبية أو اختلاسها ، وينسبوها إلى أناس برآء لم يعلموا بها ولم يشتركوا فيها ، ثم يرسلونها إلى الصحف والمجلات كي تنشر فتحدث كثيرا من المواقف الحرجة ، وتترك من ورائها آثاراً سيئة تهون حينا وتجل أحياناً ! .

وهذه الجريمة تتكرر يوما بعد يوم ؛ فمنذ عشر سنوات أرسل بعض هؤلاء الجهلاء قصيدة في ديوان للأستاذ حسن جاد حسن إلى الأهرام بعد أن وقع عليها باسم الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر ، ومنذ سنوات طبع أحدهم قصة نسبها إلى الأستاذ توفيق الحكيم ، وفي العام الماضي بعث أحدهم إلى (الثقافة) بقصيدة للمرحوم أبي القاسم الشابي بعد أن وقع عليها باسمي ، ومنذ شهور اختلق أحدهم قصيدة متداعية ونسبها في بعض الصحف إلى الأستاذ عبد الجواد رمضان ... وها هي ذي الجريمة تتكرر اليوم فيرسل بعضهم إلى « الرسالة » كلمة مزورة بعد أن ينسبها إلى الأستاذ عبد الحميد ناصف . ولا ندرى ما يأتي به المستقبل !

فليت شعرى ! كيف يستطاع القضاء على هذه الجريمة ؟ إن رئيس التحرير لا حيلة له في ذلك ، فهو لم يمط علم الغيب ، والأحقاد الدفينة والخصومات الحقيرة تدفع هؤلاء بين الحين والحين إلى اقتراف تلك الجريمة الشنعاء ، فمن لي بمن يطب لهؤلاء ؟ .. رحم الله شوقى إذ يقول :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا !

أحمد الشرباصي
خريج كلية اللغة العربية

استدراك

قال الدكتور عبد الوهاب عزام في عدد الرسالة ٥٧٦ (وقد أثبت صاحب كشف الظنون نحو سبعين تاريخاً للمدن)

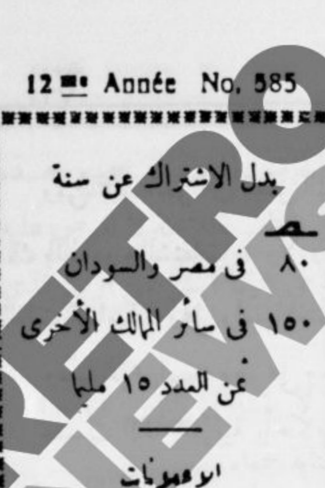
أقول : وقد سرد العلامة السخاوى في كتابه (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) زهاء ٣٣٠ (ثلاثين وثلاثمائة) تأريخ للمدن ، منها أكثر من ٤٠ في مكة ، وأكثر من ٢٠ لمصر ، ومثلها أو قريب منها لليمن ، وعشرة ونيف لدمشق ، ونحوها لكل من بغداد والأندلس والمدينة النبوية ، ولو قيس رقى الأمم بوفرة المصنفات ما قارب الأمة المحمدية أمة .

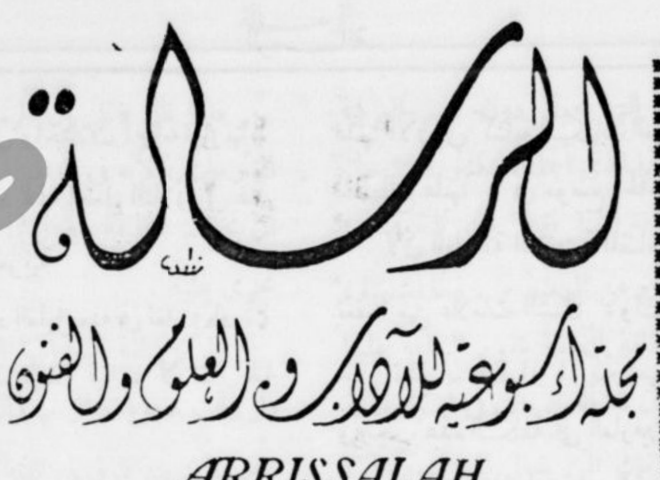
أحمد صفوان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



12me Année No. 585 — Lundi - 18 - 9 - 1944





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٨٥ «القاهرة فى يوم الإثنين أول شوال سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الحروف اللاتينية

للأستاذ عباس محمود العقاد

علم القراء أن صاحب المعالى الأستاذ العلامة عبد العزيز فهمى باشا قد اقترح على مجمع فؤاد الأول للغة العربية اقتباس الحروف اللاتينية وبعض الحروف المشابهة لها لتيسير الكتابة العربية

وقد خالفه كثيرون ، وعاود معاليه الكرة للرد على هؤلاء المخالفين ، ومنهم كاتب هذه السطور

وكنت قد خالفت رأى معاليه لأن اقتراحه يترك الصعوبة الأصيلة قائمة ويعنى بالصعوبة المتفرعة عليها ، وهى تابعة لها باقية ببقائها

فلا صعوبة عندنا فى كتابة حرف من الحروف مضموماً كان أو مفتوحاً أو مكسوراً إذا عرفنا أنه مضموم أو مفتوح أو مكسور ، ولا صعوبة كذلك فى قراءته مع هذه المعرفة سواء أكان مشكولاً أم غير مشكول

إنما الصعوبة الأصيلة أن نعرف ما يضم وما يفتح وما يكسر ، ثم نكتبه ونقرأه على صواب

وترجع هذه الصعوبة إلى خواص فى بنية اللغة العربية لا وجود لها فى اللغات التى تكتب بالحروف اللاتينية ، غربية كانت أو شرقية

الفهـــرس

ومن هذه الخواص الفعل الثلاثى واختلاف أبوابه وارتباط ذلك بالمصادر والمشتقات ، ولا وجود لهذا الفعل الثلاثى فى غير اللغات السامية ، وعلى رأسها لغتنا العربية

ومنها الإعراب ، وهو على وجود القليل منه فى لغات نادرة ، قد اختصت اللغة العربية بأحكام مستفيضة فيه ، لا نظير لها فى جميع اللغات

ومنها أن حروف الحركة فى بعض اللغات الشرقية التى تكتب الآن بالحروف اللاتينية قلما تفيد معنى من المعانى غير إشباع الحركة أو خطفها والإسراع فيها ، ولكنها فى اللغة العربية تبدل معنى الكلمة أو تبدل قوة المعنى

فقراءة العربية قراءة مضبوطة لا تتأتى بغير تصحيح العلم بهذه القواعد قبل كتابتها وقراءتها ، وسبيل ذلك أن نختصر القواعد النحوية والصرفية حتى يحيط أوساط الناس بالقدر الكافى منها لمقاربة الصواب جهد المستطاع

ونقول مقاربة الصواب لأن العصمة من الخطأ لن تتيسر فى اللغة العربية ولا فى غيرها من اللغات ، ولن تتيسر أبداً فى عمل يتناوله جميع الناس من خاصة وعامة

أما الكتابة بالحروف اللاتينية فإن صح أنها تضمن للقارئ أن يقرأ ما أمامه على صورة واحدة فهى لا تمنع الكتاب المختلفين أن يكتبوا الكلمة على صور مختلفة كلها خطأ وخروج على القواعد اللغوية ، ومن هنا يشيع التبلبل فى الألسنة ويتقرر الخطأ بتسجيله فى الكتابة والطباعة بدلاً من تركه محتملاً للقراءة على الوجه الصحيح . ولا شك أن الخطأ فى النطق أهون ضرراً من الخطأ المكتوب أو المطبوع ، لأن كتابة الخطأ تبقى خطأ النطق وتزيد عليه أنها تسجله وتضلل من عسى أن يهتدى إلى الصواب

فقصارى ما نغنمه بهذا التبديل ، أننا ننقل التبعة من القارىء إلى الكاتب ولا نمنع الخطأ ولا نضمن الصحة ، وهى فائدة لا يبلغ من شأنها أن تبدل معالم اللغة وتفصل ما بين قديمها وحديثها

وكان من أسباب مخالفتى لاقتراح الأستاذ العلامة — وهى كثيرة — أن طريقته ليست بأيسر من طريقتنا التى نجرى عليها الآن فى كتابة الكلمات العربية مضبوطة بعلامات الشكل المصطلح عليها ، فى موضع الحاجة إليها

لأن الطريقة اللاتينية المضاف إليها بعض الحروف العربية تعفينا من علامات الشكل ، ولكنها تضطرنا إلى زيادة الحروف حتى تبلغ ضعفها أو أكثر من ضعفها فى كلمات كثيرة ، وتوجب هذه الكلفة على العارفين وهم غنيون عنها .

ثم هى لا تغنينا بتة عن النقط والشكل ، لأنها تعود بنا إلى النقط فى حروف ، وإلى ما يشبه الشكل فى بعض الحروف لتمييز الألف والثاء والذال والشين

على أن الأمم الأصيلة فى الكتابة اللاتينية لا تستغنى بالرسم عن ضبط السماع

فاللغة الإنجليزية التى أستطيع الإتيان بالشواهد منها حافلة بالكلمات التى يختلف نطقها ورسمها ، والتى تنطق على وجه وتكتب على وجوه ، كما أنها حافلة بالشواذ فى صيغة الماضى والمفعول ومشتقات أخرى

ومن أمثلة الصعوبات فى الرسم أنهم ينطقون هذه الكلمات نطقاً واحداً وهى مختلفة فى الكتابة والمعنى والاشتقاق ، وهى Rite و Right و write وأنهم يكتبون حروف الحركة أحياناً على نمط واحد ويخالفون بين النطق بها فى درجة المد وفى مخارج الصوت ، كما يفعلون على سبيل التمثيل فى sour و loud و soup أو فى great و breadth و speak أو فى done و bone و door أو فى moon و good

ومن حروف الإنجليزية ما يكتب ولا ينطق به مثل الباء فى climb والكاف فى knot ومنها ما يهمل حيناً وينطق حيناً بخلاف حرفه مثل daughter و laughter

إلى غير ذلك مما تدل عليه هذه الأمثلة ولا نحصيه ، ويكفى أن نرجع إلى المعجمات التى وضعت لأهل اللغة أنفسهم لنعلم أنهم لا يستغنون عن اتباع كل كلمة بما يضبط نطقها ودرجة امتداد الحركات فيها وموقع النبرة فى مقاطعها

* * *

وقد رأينا أن نكتفى فى مناقشة اقتراح اللاتينية بالأقوى والأظهر من الأسباب دون أن نذهب فيها إلى الاستقصاء

والاستيعاب ، وإلا فالأسباب التي تحول دون رسم العربية بالحروف اللاتينية أكثر من هذا الذي أجملناه بكثير

وتناول معالى المقترح اعتراضنا فقال بعد تلخيصه :

« إنه على كل حال اعتراف خارج عن الموضوع . وما أشبهنا ، إزاءه ، بالباحثين عن طرفى الحلقة المفرغة تقوم الساعة علينا قبل أن نهتدى إلى المطلوب ! إن مسألة البحث فى أصول اللغة وتيسير قواعد نحوها وصرفها تلك التى يقول المعترضون إنها هى العلاج الشافى لأدواء العربية هى مسألة أخرى قائمة بذاتها ، وهى مطروحة فعلاً على المجمع اللغوى يردد مداخلها ومخارجها ، ويحاول ما وسعت قدرته تمهيد ما يقبل منها التمهيد »

ثم قال معاليه إن لائحة المجمع تجب اعتراضنا ، ورد معاليه عليه لأن : « نصها صريح فى أن عليه البحث فى تيسير رسم الكتابة العربية ، ووزير المعارف عهد إليه بهذه المهمة بقرار منه خاص ، وهو مكلف نظامياً بتنفيذ قرارات الوزير »

وعندنا أن رد معاليه على هذا الاعتراض هو أشبه شىء بالدفوع القضائية منه بالدفوع المنطقية

فالحق أن تيسير القواعد اللغوية مسألة غير مسألة الرسم وكتابة الحروف ، ولكن اختلافهما لا يمنع العلاقة الوثيقة بينهما ولا يخرجهما عن حكم القضيتين اللتين لا تنظر إحداهما بمعزل عن الأخرى

وكذلك على المجمع بموجب تكوينه أن يبحث فى تيسير رسم الكتابة كما عهد إليه

ولكن هذا الوجوب لن يوجب عليه أن يرحب بكل تغيير أو يدين بأن التغيير أسهل من الطريقة التى نحن عليها الآن

فتيسير الرسم العربى واجب لا شك فيه ، ورفض الرسم اللاتينى كذلك واجب لا شك فيه للأسباب التى قدمناها ، وأولها أنه يبدل مماللنا دون أن يخرجنا من تلك الصعوبة التى تدعونا إلى التبديل

وقد نظر المجمع فى عشرات من المقترحات التى تقدم بها أعضاؤه أو تلقاها من الفضلاء المجتهدين فى حل هذه المعضلة العسيرة

فإذا قال قائل إن الرسم الحاضر أيسر من جميع هذه المقترحات ، لأنه فى الواقع أيسر منها . فاللائحة لا تفرض عليه أن يخالف الحقيقة ويقول : بل هى جميعاً أيسر من الرسم الذى نجرى عليه .

ولكل لغة صعوباتها التى لا يتساوى الناس فى تذليلها ولو زالت صعوبات الرسم والكتابة جملة

فلابد من فارق فى اللغة بين المتعلم وغير المتعلم وبين الموهوب وغير الموهوب وبين صاحب السليقة والدخيل عليها

وليست لغتنا العربية بدعاً بين اللغات فى هذه الخاصة العامة . . . فمهما نصنع فى تيسير رسمها أو قواعدها فلن نسوى بين الناس فى كتابتها وقراءتها ، ولن نغنى الكاتب أو القارئ عن المزيد من الاستيفاء كلما ارتفع درجة أو درجات فى مراتب الفهم والشعور والتعبير

ولهذا ينبغى أن نيسر كتابتها بتيسير معرفتها وتيسير فهمها مع التسليم طوعاً أو كرهاً بأن هذا التيسير لن يدفع كل عسر ، ولن يزيل كل لبس ، ولن يعصم من الخطأ كل العصمة ، ولن يزال الباب بعده مفتوحاً للتفاوت بين قدرة الناس على الصواب واستعدادهم للخطأ من جهل أو سهو أو قصور

وإذا قيل أى العلاجين أدنى إلى تيسير الكتابة ؛ فلا شك أن العلم التقريبى بالقواعد التى تقيم النطق خير من الرسم الذى يقرأ على صورة واحدة مع بقاء صور متعددة للكلمة تختلف باختلاف حظوظ الكتاب من قواعد الصرف والنحو والإملاء والهجاء ، وهذا إن صح أن الحروف اللاتينية تضمن القراءة على صورة واحدة وهو غير صحيح ، لأن جرس الحروف اللاتينية يخالف جرس الحروف العربية فى المخارج والحركات وتوقيت الكلمة فى أثناء نطقها ، وهو شىء فى صميم اللغة كالمعنى ورسم الكتابة على السواء

وأسلم ما يقال فى هذا الباب إن الطريقة القائمة لا تزال أسهل وأقرب إلى بنية اللغة من كل مقترح علمنا به ، ولا مانع من جديد يستدرك ما عز استدراكه إلى الآن .

عباس محمود العقاد

حرية الفكر أيضاً ...

للأستاذ دريني خشبة

ينصب بعض السادة الكتاب من أنفسهم أبطالا للدفاع عن حرية الفكر ، ويعد بعضهم أنفسهم شهداء لهذه الحرية المكبوتة في زعمهم ، المضيّق عليها تضييقاً يذهب صديقنا الدكتور زكي مبارك إلى أنه لم يسبق أن حدث مثله في الأمم الإسلامية قط

وندع الآن ما ذهب إليه الصديق الكريم من هذه الدعوى ، لنلفت أنظار القراء إلى شيء ظريف جداً يصدر عن أولئك الأبطال الكرام ، عن قصد ظريف جداً كذلك

وليس هذا الشيء الظريف الذي نلفت إليه أنظار القراء الآن شيئاً ظريفاً واحداً ، ولكنه أشياء ظريفة يأخذ بعضها برقاب بعض . فتكون آخر الأمر موضوع هذا الشيء الظريف

عندما تناولنا موضوع كتاب الأستاذ الرصافي . وقفنا منه إزاء كتاب يتناول ديننا كله ، ومعتقداتنا جميعها ، فيتأولها تأويلا لا يجوز إلا في عقل مدخول ... فالإله — في زعمه — هو هذا العالم الذي تعرف من العلم الحديث كيف نشأ ... ونبينا ، هو أول مبتدع لهذا الهراء ، كما إنه مؤلف القرآن وقائله . ونظرية وحدة الوجود تلك التي ابتدعها محمد هي أرقى ما وصلت إليه الفلسفة الإسلامية ، والإيمان بها ينافي الإيمان بما جاء به الرسول الكريم من خلق الله لهذا العالم ، والدعوة إلى عبادته ودعائه والإخبات له ، وما قال به من نشور وحساب وثواب وعقاب وجنة ونار ... ثم تساوى الخير والشر والضلال والهدى والتقى والفسوق والأبيض والأسود ... والسجود بين يدى الله والإكباب على الحليلة ... أمام الله كما يزعم الرصافي في رده علينا ... استناداً إلى زعم الجنيد ، أنه سبحانه ، هو الهادي وهو المضل ، وما دام الله كذلك فلا يكون ثمة معنى للحساب والثواب والعقاب والجنة والنار على نحو ما يؤمن بذلك المسلمون كافة ... ذلك الإيمان الساذج الفطرى الذى لا يسيغه عقل ... لأن العقل لا يسيغ أنباء الغيب ولا يهضمها ...

ولما كان الرصافي — هداه الله — ينتمي إلى المسلمين ، وقد لنا هذا اللغو الذي كان يلغو به من قديم ، فقد وقفنا منه وقفتنا التي يحتمها علينا ديننا ، لأن دعواه تقلب هذا الدين بجميع عقائده رأساً على عقب ... وما ظنك بدعوى تنسخ العبادات نسخاً لا يجعل لها ضرورة ، لأنها لن تغير مما قضى الله من شيء ، ثم ما ظنك بدعوى تجعل الله ما كولا مشروباً منظوراً مشموماً تدركه الحواس كلها ... لأنه الوجود كله ... ثم الرصافي يزعم أن هذا هو حقيقة الإسلام ، أما ما يؤمن به السذج البسطاء أمثالنا ، فهو ظاهر الإسلام ، أورده الرسول الكريم على سبيل التمثيل ، ومن باب مخاطبة الناس على قدر عقولهم ، ثم أخفى عليهم تلك الحقيقة الخائبة فلم يطلع عليها إلا أبا بكر ، حتى جاء فلاسفة الإسلام الأعلام — الحلاج والجنيد وابن عربي والجيلاني والتلمساني وابن سبعين ومن لف لفهم ، فوقعوا عليها وكشفوا سرها وجلوها للعالمين

فلما نفينا أن يكون هذا إسلاماً ، وإسلاماً جاء به فخر الكائنات محمد بن عبد الله ، وأثبتنا للأستاذ الرصافي أن اليونانيين عرفوا وحدة الوجود قبل نبينا بألف سنة أو نحوها أو أكثر منها — وإن زعم هو أننا لم نأت بجديد — تفضل بعض مفكرينا المحبوبين من غير المسلمين بالاشتراك في هذا الموضوع ، على أنه موضوع عام يحل لكل إنسان أن يشارك فيه برأى ... ولم يبالوا في سياق كلامهم أن يعلنوا على صفحات الرسالة أنهم لا يؤمنون إلا بالمادة ... أما ما وراء الطبيعة فلا شأن لهم به ... فرحبنا بعشار كتهم ، ولما آنسنا أنهم لم يفطنوا إلى أن الموضوع يبحث من وجهة نظر إسلامية خالصة ، نبهناهم إلى ذلك بأرق عبارات الذوق الذى دعا إليه الأنبياء يا صديقي الدكتور زكي ... لكنهم كتبوا ما لمحنا في ثناياه أنهم غاضبون أو شبه غاضبين ، فلم يشق علينا أن نملن لهم أسفنا ، ولم نناقش الآراء التي أعلنوها لحرصنا على أن يظل الموضوع محصوراً في أفقه الإسلامى ، ولأننا كما أعلنا غير مرة ، غير قوامين على حرية الفكر في مصر ولا في غيرها من بلاد الله ... فليعتقد من يشاء ما يشاء ، بشرط ألا يجعل عقيدته دعوة يدعو إليها ويجهر في كتب ينشرها بأنها هي الحق ، وأن ما نؤمن به هو الباطل ... وبشرط ألا يفترى على الله وعلى رسوله إفكاً ينزههما المسلمون عنه ... فإن فعل ذلك ، وكان من انتسابه إلى المسلمين ما نعلم ، فماذا ينكر منا أفاضل

العلماء الذين لا يؤمنون إلا بالمادة حين نقول لهذا القائل إنه ملحد، وإنه زنديق ؟ ! وقد قال هو إن إلـهنا هو هذا الوجود المأكول المشروب المنظور المشموم الذى تدركه الحواس كلها ، وإن نبينا هو هذا الرجل الذى ألف القرآن . وزعم — غير قاصد شراً ! — أن الله هو قائله وموحيه ، لأنه كان أول من عرف سر وحدة الوجود ؟ ! فإن لم نسم هذا الرجل ملحداً زنديقاً ... فماذا يكون يا ترى ؟ أيكون سيد العارفين بالله الذى نؤمن به ؟ وهل من حرية الفكر أن يقول ذلك رجل ينتسب إلى المسلمين ، فإن رد عليه رجل من المسلمين وسمي قوله هذا إلحاداً وزندقة ، صاح حضرات الأفاضل العلماء الأعلام الذين لا يؤمنون إلا بالمادة ، وينكرون ما وراءها : لقد خنقت حرية الفكر فى مصر وفى الشرق ، ثم هتفوا بالعلماء الأحرار فى مصر وفى الشرق أن يُفنُوا وأن يرعووا ، وألا يصرحوا بالحق الذى يؤمنون به فى هذه البيئة المؤمنة الساذجة المتزمتة ، حتى لا يرموا بالإلحاد والزندقة !

هنا واحد من هذه الأشياء الظريفة التى وددت أن ألفت إليها أنظار القراء !

فهؤلاء العلماء الأعلام الذين لا يؤمنون إلا بالمادة يريدون أن يثبتوا فى أذهانكم يا قراءنا العوام السذج المؤمنين أمثالنا أنهم على حق فيما يذهبون إليه بشأن هذا الوجود ، وأننا على باطل ... لأن الوجود قديم ، ولم يخلقه إلـه قادر مستقل عنه كما يفهم بسطاء المسلمين والمسيحيين واليهود وأهل كل ملة ممن ليسوا علماء أعلاماً أمثالهم ، لأنهم لم يدرسوا فلكاً ولا منطقاً ولا علم طبقات الأرض ولا فيزيقا ولا كيمياء ولا فلسفة ، ولا هذا الثبت الطويل من العلوم التى أعشى فى دراستها علماء المسلمين الأعلام أبصارهم ، ولم تضل مع ذلك بصائرهم

بهذه الطريقة يريد هؤلاء العلماء أن يثبتوا فى أذهانكم أنهم على حق ، لأنهم ينطقون بلسان العلم الذى لا يضل ، أما مناظروهم فينطقون بلسان هذا الحشد الحاشد من الأساطير الدينية ، التى هى من أنباء الغيب ، فليس لعقل رأى فيها !

أليس ذلك شيئاً ظريفاً جديراً بلفت أنظار القراء إليه ؟!

ومما يلحق بهذا الشىء الظريف تصريحهم ، ليوهموا القراء كذلك ، أننا نظلم الحق ، حينما نقحم الدين فى الفلسفة ...

وليفطن قراؤنا العوام السذج إلى المعنى المسموم الذى تحمله هذه العبارة ! الحق يظلم إذا أقحم الدين فى الفلسفة ، لأن الفلسفة وحدها هى التى تعرف الحق وتعرف كيف تصل إليه ! أما الدين فلا شأن له بالحق ... لأن العقل لا يستطيع أن يعلله ! ولماذا هذا اللف كله ؟ لأن الدين يقول بأن الله هو الذى خلق العالم ... وهذا قول سهل هيّن ليّن ... لم تحسن الفلسفة أن تقول مثله إلى اليوم ! لكن الفلسفة مع عجزها أن تقول مثل هذا القول ، تزعم أنه قول غير معقول ، والمعقول عندها أن يكون العالم قديماً لا خالق له ، أو أن يكون الله هو هذا العالم ... أو الوجود الكلى المطلق ! وتحار الفلسفة بعد ذلك كيف يكون هذا العالم إلـهاً . وكيف يكون هذا العالم بعجره وبجره عاقلاً إن كان عاقلاً يا ترى ؟ ! وكيف تم له هذا الإحكام البديع فى كل شىء ؟ فى الأفلاك والسدم والضوء والحرارة والكهرباء والمغناطيس والغازات . والحياة المعقدة فى الحيوان والنبات ، وفى الحركة ، وفى السكون . والمعقول عند الفلسفة أن يكون كل شىء خاضعاً لقوانين الجبر الصارمة ، وإذا كان ذلك كذلك فما معنى أن يرسل الله — الذى هو الوجود الكلى المطلق — رسلاً ويتخذ أنبياء ؟ هل تستطيع الرسل تبديل شىء أو تغييره ؟ إن أمر الرسل إذن عبث فى عبث . والرسل — أضل الله الفلاسفة — كذابون أدعياء ، أو على الأقل ، رجال مخدوعون شُبّه لهم أنهم ينطقون بلسان الله ، الذى هو الوجود المطلق الكلى !

هذا هو بعض الهذيان الذى تريد الفلسفة أن تدسه فى روع المؤمنين من القراء البسطاء الذين يؤمنون بأن الله خلقهم ، فتحاول الفلسفة إيهامهم أن العلم لا يسيغ هذا ولا يهضمه ، وإن كان يسيغ الشكوك والوساوس ويهضمها !

أفليس ذلك شيئاً ظريفاً جديراً بلفت أنظار القراء إليه ؟ !

وشىء ظريف آخر يُستملح (!) لفت الأنظار إليه ... ذلك أن هؤلاء العلماء الأعلام يلحون على أذهان القراء بتذكيرها دائماً أنهم علماء . فهل يقصدون من وراء ذلك شيئاً ، غير أن مناظريهم فى موضوع وحدة الوجود هم من الأميين الذين يُحكّمون فى موضوع هام كهذا عواطفهم ، ولا يحكمون عقولهم ، إن كانت لهم عقول ! وأن هؤلاء المناظرين قوم متدينون

على هامش النقد :

١ ـ فى عالم القصة

بنت الشيطان ... ... محمود تيمور

للأستاذ سيد قطب

ليست هـذه هى المرة الأولى التى أهم فيها بالكتابة عن « تيمور » ثم أوثر التريث ، لأراجعه مرة أخرى

إنه ليصعب عليك ـ وأنت تتحدث عن القصة ـ أن تغفل عمل تيمور . ولـكن يصعب عليك أيضاً أن تقرر مكانه ، وأنت مستريح الضمير

رجل كالمويلحى ـ صاحب حديث عيسى بن هشام ـ لا يجد الناقد مشقة فى تعيين مكانه . مكان « القنطرة » التى تعبر عليها القصة العربية من المقامة اللغوية ، إلى القصة الفنية

ورجل كتوفيق الحـكيم ، لا يجد الناقد مشقة فى تعيين مكانه . مكان « الفنان » ، الذى يجعل القصة والرواية ، فصلاً من فصول الأدب العربى ، يقف فى صف واحد مع بقية فصوله ، التى كانت من قبل مقررة ، والتي لم يكن الأدب العربى يعترف بغيرها من الفصول . يتفق الجميع على هذا من ناحية المبدأ ، ثم يختلفون فى تقويم عمله بعد ذلك كما يشاءون

وقد لا يكون الإنسان ـ فى عالم القصة ـ قنطرة كالمويلحى ، ولا مقرراً لفصل جديد فى كتاب الأدب العربى كتوفيق الحـكيم ؛ ثم يكون له بعد ذلك مكانه المعلوم

فالمازنى مثلاً قد اشتغل بالقصـة الطويلة كابراهيم الأول وابراهيم الثانى ، وثلاثة رجال وامرأة ، وعود على بدء ، وبالقصة القصيرة كقصصه الـكثيرة فى خيوط العنكبوت ، وصندوق الدنيا وسواها . ومكانه فى هذه القصص وفى سواها هو مكان « الأديب » الذى يستفيد مما يقرأ أعظم الفائدة ، ويتأثر به فيما يكتب كل التأثر . ولـكنه يطبع الجميع بطابع خاص متميز

والمازنى ـ بهذه الصفة ـ يمكن أن يعد قنطرة لنوع من القصة « الواقعية الشاعرية ! » قنطرة لأصحاب المواهب الخالقة ، يتأثرون طريقته الجيدة ، ويبدعون من ذات أنفسهم بلا اعتماد على أصل يلهمهم

وهناك شبان يحاولون ، لم يتقرر لهم بعد مكان ، فبينهم وبين تقرير مذاهبهم فى عالم القصة خطوات وتجارب وتعديلات

من كتاب القصة القصيرة الأستاذ « يوسف جوهر » ـ وهو ينسج على منوال جى دى موباسان ـ فى حرارته وشاعريته ، ولـكن « جسم القصة » عنده ما يزال بعد ضئيلاً ، وما يزال مكرراً ، وكثيراً ما يحس القارئ بعد نهاية القصة أن حرارتها البرافة قد خدعته ، وأنه لم يخرج منها بشىء كبير ، لا من ناحية الموضوع ، ولا من ناحية اللمسات الفنية فى العرض ، ولا من ناحية الرصيد الإنسانى الذى هو أثمن ما فى العمل الفنى

ومنهم الأستاذ « صلاح ذهنى » ـ وهو لا يزال يقبس من طرائق مختلفة ، وله توفيقاته في أحيان كثيرة . ولـكن ينقصه التركز ، كما ينقصه روح الإبداع الذى يرفع القصة من الحادثة اليومية إلى المجال الإنسانى . وقصصه فى حاجة كذلك إلى الحرارة التى تشعرنا أنه يحس بمـا يكتب ، وليس متفرجاً عابراً يصف الحوادث

ومن كتاب القصة الطويلة الأستاذ « با كثير » وقصصه ـ لها طلاوتها والحياة واضحة فيها ـ ولـكن لا يزال ينقصها تمكن الروح القصصية ، التى تنسى القارئ أن هذه قصة

والتدين فى هذا العصر شىء عتيق يثير الضحك ويدعو إلى السخرية . وأهل التدين فى غالب أمرهم قوم شذاذ الأفهام لم يدرسوا فلسفة ولم ينشدوا علماً . فـكيف يا أيها القراء النجب تنخدعون بأقوالهم وتتساقون إلى الأخذ بآرائهم ؟ إن خليقاً بكم ألا تصيخوا إلى كاتب يحسب نفسه واعظاً فى مسجد أو راعياً فى كنيسة ، ولا أقصد أن أغمز صديقى الدكتور زكى بإيراد عبارته تلك ...

أفليس ذلك شيئاً ظريفاً من مناظرينا الأفاضل ، أن يقفونا تلقاءهم ذلك الموقف المضحك الذى لن يجوز باطله على أحد !

يتحدثون عن حرية الفـكر . فماذا أصابهم من ضروب التضييق يا ترى ؟ !

لينتظروا . فسنحدثهم عن حرية الفـكر وما لقى إخوانهم الذين سبقوهم إلى القول بوحدة الوجود من ضروب الهوان

ما أكثر الأشياء الظريفة التى كان ينبغى أن نلفت إليها أنظار القراء لولا ضيق المقام !

(للحديث بقية) دريني خشبة

وتخيّل له أنها قطعة من الحياة تقع الآن . وليس مرد هذا إلى نقص الحياة ، ولكن إلى نقص الروح القصصية ، فهو ما يفتأ بين حين وحين ينبه القارئ إلى أنه يقص عليه ، ولا يدعه يستغرق في القصة وينساه !

ومنهم الأستاذ نجيب محفوظ والأستاذ عادل كامل ، وكلاهما يخطو الخطوات الأولى ؛ ولكنها - فيما يبدو - خطوات ثابتة وثيقة . تكفي لإثبات وجودهما في عالم القصة ، وإن لم تنبت لهما بعد مذهباً مقرراً ينسج غيرهما على منواله ؛ إلا أن هذا لا ينفي أنهما في الطليعة - على تفاوت بينهما - في طليعة كتاب القصة الشبان بلا جدال

وهكذا نجد لكل من يشتغل بالقصة في مصر مكانه المعلوم في هذا العالم . فأين نضع « تيمور » بين هؤلاء ؟

لا هو القنطرة بين طور من أطوار القصة وطور كالمويلحي ، ولا هو القنطرة بين التأثر والابتداع - مع وضوح الذاتية الشخصية والطابع المميز - كالمازني . ولا هو الناشئ الذي لم يزل أمامه المجال منفسحاً للتمكن والكمال

* * *

وهذا كله من ناحية الشكل . فأما من ناحية المذهب والطريقة ، فالحيرة كذلك واقعة

رجل كالمويلحي قصاص واقعي بالمعنى الضيق للواقعية . وهو مع ذلك قد استطاع أن يرسم عدة شخصيات إنسانية للعصر الذي كتب فيه القصة ؛ وأن يصور البيئة التي عاشت فيها هذه الشخصيات المحلية : الباشا ، والعمدة ، والمحامي ، والنائب ، والمشايخ ، وغيرهم من الشخصيات التي رسمها في حديث عيسى ابن هشام . وهم آدميون لا تشك في آدميتهم ، وواقعيون - بالمعنى الضيق - لا ترتاب في واقعيتهم ؛ مع شيء من السخرية والدعابة ، تحسبان لهذا القصاص في عالم الفنون

ورجل كتوفيق الحكيم ، قد تقرر مذهبه - إلى اليوم على الأقل - فهو في التمثيلية « الفنان » الخالق الذي يبدع شخوصه من « ذهنه » ليؤدوا له فكرة فلسفية خاصة . وهم - على هذا الوضع - أشخاص صحاح منطقيون مع طبيعتهم ، مستقيمون من أول التمثيلية إلى آخرها مع الفكرة التي خلقوا ليؤدوها . كما في أهل الكهف ، وشهرزاد ، وبيجماليون ، وسليمان الحكيم . أما في القصة فهو ينحرف عن هذا المذهب إلى شيء من « الواقعية »

المزوجة بالشاعرية ، حتى لتقرب من الرومانتيكية في بعض الأحيان . كما في عودة الروح ، وعصفور من الشرق ، ويوميات نائب في الأرياف ، وزهرة العمر - وإن ظلت هذه الواقعية موسومة بميسم « الفكر » لأن هذه هي السمة الغالبة على طبيعته - ولكن قصصه ورواياته تستمد دائماً من « التنسيق الفني » والإشماع الشاعري ، ما تعوض به الحياة الحقيقية . وما يتيح لها أن تنشئ مدرسة معروفة السمات

ورجل كالمازني يمثل « الأديب » الذي يفيض على شخوص قصصه حركة حية سريعة ، في حماسة شاعرية قوية ، كما في إبراهيم الكاتب وإبراهيم الثاني قصتيه الأساسيتين ، أو يفيض عليها الحركة في دعابة ساخرة كما في القصص القصيرة

ومهما قيل من تأثر المازني لبعض كتاب القصة الغربيين ، واقتباسه من طرائقهم وموضوعاتهم كذلك . فالذي يبقى له بعد هذا كله ليس بالقليل . إنه يتأثر ويقتبس في اتجاه واحد ، وبطريقة واحدة ، يبدو فيها طابع خاص ، هو دليل الشخصية الفنية ...

وقد لا يكون المازني خالقاً ولا مبتدعاً لموضوعاته وطرائقه ، ولكن هذا لا ينفي أن له طابعه الشخصي في كل ما يكتبه . هذا الطابع هو الحركة السريعة ، والانتباه إلى دقائق الانفعالات النفسية ، وإبراز الاستجابات التي يمر عليها الكثيرون غافلين . مع تأثره بكشوف علم النفس الحديث ولا سيما في مجال « التحليل النفسي » هذا التأثر الذي قد يطغى على العمل الفني في بعض الأحيان ، كما في « ثلاثة رجال وامرأة »

فما مذهب تيمور تجاه هذه المذاهب أو سواها في القصة ؟

يعسر عليك أن تسلكه في الواقعية الضيقة التي يمثلها عيسى ابن هشام . إذ أن فيه قسطاً من الشاعرية والتلوين الفني . ويعسر عليك أن تسلكه في « الواقعية الشاعرية ! » التي يمثلها المازني ، لأن الحركة في فنه وئيدة ، والألوان النفسية باهتة ، والشخصية الإنسانية لا تتصرف تصرف الأحياء . ويعسر عليك أن تسلكه في « الفنية الرمزية » التي يمثلها توفيق الحكيم لأن الفكرة الفلسفية والمعاني الرمزية لا تبرزان في أعماله

فتيمور لا هو الذي يرسم شخصيات محلية كالمويلحي ، ولا هو الذي يصور نفوساً آدمية كالمازني ، ولا هو الذي يخلق

شخوصاً فنية كتوفيق الحكيم . ولا هو مع ذلك كله القصصى الناشىء الذى تستطيع أن تدعه إلى التركز والنضوج !

وقد كتب بعضهم يقول : إنه يلتفت إلى « العقل الباطن » فى سيرة أبطاله وتصرفاتهم ويستخدم كشوف « التحليل النفسى » كما فى قنابل وأبو شوشة والموكب

وكتب بعضهم يقول : إنه يرسم « نماذج بشرية » كما فى نداء المجهول ومهاد

وهذا وذلك حق من حيث هو نية وقصد . ولكن ما أثره فى العمل الفنى . إن قيمة القصة لا تقوم على أساس أن القصاص ينتفع بالمباحث العلمية . فهذا قد يفسدها فى بعض الأحيان . ولا على أساس أنه يحاول رسم « نماذج بشرية » فالمهم هو صدق هذه النماذج وحيويتها

وتيمور وفق فى بعض الأحيان فى هـذا الغرض أو ذاك ، ولكن هذا التوفيق لم يكن فى تلك المواضع التى عينوها

فمن أظهر الالتفاتات إلى « العقل الباطن » السليمة من التكلف والاصطناع والتى لم تؤثر على التنسيق الفنى للقصة ، التفاتاته فى : « زمان الهنا » و « غانية الحانة » و « انقلاب » فى مجموعة « فرعون الصغير » . ومن أظهر النماذج البشرية : السائحة الأمريكية فى قصة « فرعون الصغير » و « رجل رهيب » فى هذه المجموعة أيضاً . ومن الغريب أن تكون هذه المجموعة قد صدرت سنة ١٩٣٩ . بينما المجموعة الأخرى : « بنت الشيطان » وقد صدرت سنة ١٩٤٤ تتخلف عنها كثيراً فى مميزاتها الفنية

ولكن أى تحليل نفسى . وأية نماذج بشرية ؟

لطالما خيل إلىّ وأنا أجول بين شخوص تيمور أننى فى « متحف الشمع » فتماثيل الشمع هى التى تمثل هذه الشخوص أوضح التمثيل : فلا هى التماثيل الفنية يتصرف فيها الفن كما يشاء ليؤدى فكرة فنية أو ليمثل لمحة نفسية . ولا هى الأجسام الحية التى تجرى فيها دماء الحياة ، فتتصرف تصرف الأحياء . إنها محاكاة للطبيعة وفيها قسط من الفن فى الدقة والتلوين ، ولكنها ليست بعد من الأحياء !

وكثيراً ما يعجزك وأنت تتأمل شخوص تيمور وتصرفاتهم وطريقة حديثهم أن تردهم إلى أى جنس من أجناس الآدميين فى أى زمان أو مكان . وقد يسير بعضهم فى مبدأ الأمر سيرة طبيعية حتى لتكاد تقول : هذا مخلوق حى . ولكن ما تلبث أن يخلف أملك بحركة تكشف لك أن ما أمامك إنما هو تمثال من الشمع ، يحركه المؤلف حركة خاصة ، لأنه توهم - من التحليل النفسى - أن الناس يتحركون هكذا فى هذا المجال

ويحاول تيمور أن يرسم نماذج بشرية من خلال شخصيات محلية - وهى محاولة لو أفلحت لأنشأت فناً إنسانياً وقومياً رفيعاً - ولكنه فيما يخيّل إلىّ بعيد كل البعد عن الناس وعن البيئة . فالناس - حيث كانوا - لا يتصرفون هذه التصرفات . والناس فى مصر ، ليسوا كما يتوهمهم المؤلف ، لا فى طبيعتهم ، ولا فى أحاديثهم ، ولا فى خلجاتهم النفسية ، ولا فى سمة من السمات المحلية الكثيرة التى تبرز طابعهم

إنه لا يخطر لهذه الشخوص مرة واحدة أن تنفعل انفعالاً قوياً ، كما يقع للآدميين - وحين تنفعل يبدو التكلف والبعد عن الحقيقة - وهى غالباً « مهتانة » كما يقول العوّام ، حتى فى فورات الحب ودفعات الانتقام . والحركة العنيفة ليست مطلباً فنياً فى ذاته ، ولكنها علامة من علامات الحياة تصدر من البنية الحية فى ميعادها ، فتدل على الحياة الكامنة فيها

* * *

و « بنت الشيطان » مجموعة قصص تبدأ بأسطورة تحمل هذا العنوان . وتحوى غيرها سبع قصص أخرى وتلمح فى هذه الأسطورة محاولة فلسفية لإبراز فكرة خاصة ، على نحو ما يصنع توفيق الحكيم . ولكن المدى متطاول . إن الحركة القومية السريعة ، والبراعة الفنية اللبقة كلتاهما خاصتان من خواص العمل الفنى عند توفيق ، وكلتاهما تتوارى فى هذه المحاولة ، فتظل باهتة اللون ، وانية الحركة ، حتى تنتهي الأقصوصة وفى نفسك منها ظلال خفيفة تنمحى بعد قليل

« بنت الشيطان » طفلة آدمية ، اختطفها زعيم الشياطين ، لينفذ وصية سلفه العظيم ، فى أن يصنع شيئاً ، يثبت به أن الشيطان قادر على القيام بشىء آخر غير الشر الذى اشتهر به ! فهو يحاول أن ينشئها بعيدة عن الشر والألم فى قصر مسحور

ولكن أميراً شاباً مغامراً يسمع بخبرها ، فيحاول وينجح فى الاتصال بها واختطافها ويفتح عينيها على مباهج الحياة الدنيا ويوقظ فيها غرائزها — بعد أن كانت نائمة — فإذا ردها إلى القصر . اشتاقت أن تعود إلى دنيا الشرور الإنسانية ، مؤثرة

إياها مع ذلك العالم الخير الخالي من الألم والشرور والفكرة — كما ترى — جيدة وبراقة . ولو تولاها قلم كقلم توفيق الحكيم ، لأخرج منها قطعة فنية متسقة . ولو تولاها المازني لأخرج منها قطعة فكاهية ساخرة

ولكنك تقرؤها هنا فتعجبك الفكرة ثم تنقصك الحرارة كما ينقصك التنسيق الذي يقرر الحركة المناسبة في موعدها المناسب ، وهناك مواقف بين الشاب والفتاة تتوقع فيها حركة ويرتفع نبضك في انتظارها ، ولكنها تمر كما لو كانت في سنة أو لو كنت متفرجاً بغير حماس !

وفي المجموعة سبع قصص أخرى من النوع « الواقعي » خير ما فيها قصة « الترام رقم ٢ » ، وقصة : « الجنتلمان » [وفي الأولى يصور فتاة مشردة تركب الترام بلا أجر ؛ فيضيق بها « التذكرى » مرة بعد مرة ، حتى تزيد ضيقه بها فيدفعها فتسقط ، ويكاد يقتلها الترام لولا من يأخذ بيدها في الطريق . وهنا يسمع منها التذكرى أنها لم تذق الطعام منذ أمس ، بينما ينطلق الترام

منذ ذلك الحين يدب في نفسه عطف على الفتاة ، ولكننا نتبين بعد قليل أن هذا العطف ليس خالصاً . لقد تنبهت الغريزة إن هذا التذكرى يعيش أعزب منذ أن ماتت زوجه ، تقوم بشئونه خادمة عجوز . فهو منذ اليوم ضيق الصدر بهذه الحياة ، وهو مشتاق لأن يعثر على الفتاة . وحين يعثر عليها بعد أيام لا يدفعها من الترام ، بل يدس في يدها تذكرة عند صعود المفتش ، وحين يقف الترام يشترى لها رغيفاً محشواً بالأدم ، ويسألها عن حياتها أسئلة متقطعة

حتى إذا كان الشوط الأخير نزل يقصد داره ، وقدمان تتبعانه ... إلى الدار ! لقد أحست الأنثى بغريزتها ما الذي يعطفه عليها ، فسارت على خطاه !

وفي الثانية يرى في مطعم اعتاد أن يرتاده . دمية تمثل « الجنتلمان » يمسك بيده قائمة الطعام ، فيتخيل هذا الجنتلمان حياً ، ويقابله بالتضايق منه والتبرم به ، لما في وقفته من تكلف وما في « نفسه ! » من تصنع ، فيهجر المطعم من أجله . وأخيراً يفلس المطعم ويباع ليهودي في شارع « جامع البنات » ويمر به ، فيراه هناك ذليلاً ممسكاً بيده عينة بطاقات . فيستريح لذلة الجنتلمان . ثم يزداد تدهوره ، حتى يعثر به في شارع الموسكي غارقاً تحت حمل من الملابس القديمة ، فيهز يده فينهار !

وهكذا تجد في القصة الأولى ظلالاً إنسانية ، وتحليلاً نفسياً ، وفي الثانية انفعالات نفسية وسخرية لطيفة . وكلتاهما تنبع من قلب إنسان ، ولكنه إنسان يؤثر اللطف والرقة على الانفعال والحيوية : ضحكته ابتسامة باهتة . وغضبته سحابة طارئة . ووثبته خطوة دانية . وإشارته إيماءة خفيفة . ولكنه إنسان

***

هذه الظلال الإنسانية التي تبدو في بعض القصص ، مع شيء من الشاعرية اللطيفة ، هي وحدها التي تجعل الناقد لا يستطيع أن يغفل فن تيمور وهو يتحدث عن القصة ، مهما كان في هذا الفن من فتور

أيها القارىء . لقد حيرتك فيما أحسب بهذه الأحكام المتناقضة !

إنها صورة من نفسي تجاه فن تيمور . سيد قطب

على هامش ذكرى المعرى

«داعى الدعاة» مناظر المعرى

للدكتور محمد كامل حسين

— ٦ —

رأينا المؤيد عالماً من أكبر علماء عصره ، ومؤلفاً يبث آراءه وتعاليمه فى بطون الكتب ، ومجادلا له خطره يخشاه مناظروه ويرهبه أكبر مفكرى عصره وهو أبو العلاء المعرى . والآن نتحدث عن أثر المؤيد فيمن جاء بعده بعد أن عرفنا مقدار تأثيره فى معاصريه ، فقد كان للمؤيد تلاميذ استمعوا إليه وأخذوا عنه ، منهم الشاعر الفارس المشهور « ناصرى خسرو » الذى وفد إلى مصر بدعوة من المؤيد ، ووصف مصر فى كتابه المشهور «سفر نامه» . فقد تحدث هذا الشاعر عن المؤيد ومجالسه فى كثير من قصائده . فمن ذلك ما ترجمته :

«إن الله قد فتح عليك باب الحكمة بما تفتح عنه خاطر الأستاذ المؤيد

كل من يراه يوم مجالسه يرى عقلاً مفكراً

أن الأستاذ جمل بعطى يوماً مشرقاً ببراهين منيرة كالشمس

إنى نظرت من زاوية عقله فرأيت الفلك دائراً تحتى

فقد أطلعنى على العالمين (الظاهر والباطن)

وجعلهما حاضرين وفى مكان واحد من وجودى .

إنى رأيت فى مكان واحد مالكا ورضوان ، واستقر فى صدرى الفردوس والنيران

وقال لى إننى تلميذه ، وأشار عندئذ إلى رضوان »

إلى غير ذلك من أشعار ناصرى خسرو الفارسية التى تحدث فيها عن أستاذه المؤيد والتى يطول بنا الحديث لو تتبعنا أثرها .

من ناحية أخرى يعد المؤيد أستاذ الدعوة الفاطمية فى اليمن مع أنه لم يرحل إلى هذه البلاد ، بل نقل تلاميذه إلى هذه البلاد آراءه وتعاليمه ، وأثبت علماء اليمن هذه الآراء والتعاليم فيما تركوه لنا من كتب ، بل أستطيع أن أقول إن علماء الدعوة فى اليمن هم أكثر الناس حديثاً عن المؤيد ، واقتباساً من كلامه واستناداً لحججه ، وأشدهم اعتقاداً بأن الحق ما قاله المؤيد دون غيره من الدعاة ، ويكفى أن نستدل على ذلك بقول إبراهيم بن الحسين الحامدى المتوفى سنة ٥٥٧ هـ فى كتابه كنز الولد : وسيدنا المؤيد أقرب الحدود إلينا ، وهو لا يأتى إلا بصحيح ما جاء به الحدود وإلغاء ما كان به شبهة أو فساد ، لأن الآخر ينسخ ما جاء به الأول بإيضاح الرموز ؛ والمؤيد حجة رابع الأشهاد ذو القوة فى العلم والتأييد والحكمة والتسديد المنصوص عليه باسم الحجية ، كما قال مولاه المستنصر عنه :

يا حجة مشهورة فى الورى   وطود علم أعجز المرتقى

شيعتنا قد عدموا رشدهم   فى الغرب يا صاح وفى المشرق

فانشر لهم ما شئت من علمنا   وكن لهم كالوالد المشفق

إن كنت فى دعوتنا آخرا   فقد تجاوزت مدى السبق

مثلك لا يوجد فيمن مضى   من سائر الناس ولا من بقى

فهذه شهادة من لا ترد شهادته ، وأمر من لا يرد أمره ، وتفويضه له فى نشر ما أحب أن ينشره من العلم بلا حصر ولا قصر ، لعلمه بما عنده من الحق »

أما الذى نقل آراء المؤيد إلى اليمن فهو تلميذه لمك بن مالك قاضى قضاة اليمن فى عهد الصليحى . ولم أجد فى الكتب التى تتحدث عن اليمن شيئاً عن لمك هذا ، ولكن الحسن بن نوح الهندى صاحب كتاب الأزهار ذكر لنا قصة طويلة ، نلخصها فى أن الصليحي صاحب اليمن أرسل قاضى قضاته «لمك بن مالك» على رأس وفد إلى مصر للسماح للصليحى فى النهوض إلى العراق لامتلاكها باسم الفاطميين . فلما جاء الوفد إلى مصر نزل لمك فى دار المؤيد مدة خمس سنوات وانتهز هذه الفرصة ؛ فأخذ عن المؤيد أسرار الدعوة الفاطمية ، وكان يدون كل ما يسمعه عن المؤيد إلى أن استوعب كل ما عند المؤيد من علم ، وكان المستنصر الفاطمى قد حجز وفد اليمن لأسباب لا نعلمها ، ولم يسمح لهم بالعودة إلى بلادهم إلا بعد أن قتل الصليحى ، فعاد لمك إلى اليمن وهناك بخل بعلمه ، ولم يسمح إلا بالشىء القليل منه للداعى المكرم بن الصليحى وللملكة الحرة أروى وأحمد بن قاسم وغيرهم من الدعاة ، بينما خص لمك ابنه يحيى بن لمك بجميع أسرار

الدعوة وكل ما عنده من العلم والحكمة وسلمه كل ما دونه عن المؤيد ؛ فهيأ بذلك ابنه يحيي ليكون حجة اليمن فى عهد الخليفة الآمر الفاطمى ، وأصبح يحيي أكبر عالم فى اليمن يحج إليه أتباع المذهب الفاطمى للأخذ من علومه التي رواها عن أبيه عن المؤيد

وذكر صاحب كتاب الأزهار جماعة من تلاميذ يحيي منهم الداعى الخطاب بن حسن الشاعر المتوفى سنة ٥٣٣هـ وذؤيب بن موسى المتوفى سنة ٥٤٧هـ وغيرهما ، وهؤلاء الدعاة انتشروا فى اليمن يبشرون بما سمعوا عن يحيي بن لمك وأصبح لهم تلاميذ . فذؤيب مثلاً أستاذ الداعى ابراهيم بن الحسين الحامدى ، وهذا أستاذ حاتم بن ابراهيم ، وهذا أستاذ على بن حاتم ، وهذا أستاذ على بن محمد بن الوليد . وهكذا نستطيع بسهولة ويسر أن نتتبع علماء الدعوة فى اليمن وأن نلمس فى هذه المدرسة روح المؤيد وتعاليم المؤيد أخذها دعاة اليمن أحدهم من الآخر . ولو تصفحنا كتب الدعوة فى اليمن التى وضعت فى القرنين السادس والسابع من الهجرة لا نكاد نجد كتاباً منها يخلو من استشهاد بأقوال المؤيد أو بأشعاره ، فصاحب « كنز الولد » ذكر المؤيد فى أكثر من ستين موضعاً ، واقتبس من المجالس المؤيدية ومناجاته وأشعاره . وصاحب كتاب الأنوار اللطيفة ذكر المؤيد أكثر من أربعين مرة ، ونقل صاحب كتاب الأزهار فصولاً بأكلها عن المجالس المؤيدية منها رسائل المؤيد إلى أبى العلاء المعرى وهكذا ، وكان هؤلاء العلماء يشيرون إلى المؤيد بقولهم : « سيدنا المؤيد » أو « سيدنا » فقط إمعاناً فى تعظيمه وتبجيله . وإذن فقد كان المؤيد عظيم الأثر فى الدعوة الفاطمية بل لا تزال كتبه إلى الآن من أمهات الكتب التى لا يقربها إلا من بلغ مرتبة عالية من مراتب الدعوة فى الهند واليمن (أى بين طائفة البهرة)

هناك ناحية أخرى تتجلى فيها عبقرية المؤيد ، تلك هى ناحية الفن الأدبى عند المؤيد ، فقد كان المؤيد رجلاً صاحب فن كما كان علماً من أعلام المذهب الفاطمي ، وكانت صفته المذهبية تضطره إلى أن يحيط بكل شيء حوله ، وإلى أن يلم بالآراء المذهبية وبالتيارات الفلسفية التى ملأت الأقطار الإسلامية فى ذلك العصر ، فأخذ المؤيد بحظ وافر من نواحى الحياة العقلية المختلفة واضطر إلى أن يجادل مخالفى مذهبه طوراً بالمكاتبة وطوراً بالمناظرة الشفوية فكان ذلك من أقوى الأسباب التى أدت إلى أن يكون المؤيد حريصاً أشد الحرص فى أسلوبه وفى لفظه وأن يكون ناقداً مدققاً يفكر ويطيل التفكير وينقد كل لفظ قبل أن يذيعه فى الناس فظهر أسلوبه الأدبى أسلوباً رائعاً يبهر السامعين ، جمع بين قوة أسلوب العلماء المفكرين ، وروعة أسلوب الكتاب الإنشائيين حتى كأنى به قد اتخذ أسلوبه سلاحاً ليفحم به خصومه وليجذب به سامعيه . والمؤيد فى الوقت نفسه كان أستاذاً من أساتذة (التأويل) وأساس التأويل يعتمد على قوة الملاحظة وخصوبة الخيال ، وعلى قدرة خاصة على التغلغل فى الموجودات ليتخذها المؤول دليلاً على أسرار الدين فكان لهذه الناحية أثرها فى فن المؤيد إذا اتجهت به فى شعره اتجاهاً خاصاً لا نكاد نجده عند أى شاعر آخر من شعراء العربية إلا عند أبى العلاء المعرى ، فأبو العلاء والمؤيد هما الشاعران اللذان استطاعا أن يصفا فى شعرهما ختلاف العقائد الدينية ، وأن يتحدثا عن الآراء الفلسفية وعن الحياة والموت وعن دقائق الكائنات العلوية والسفلية

انظر إلى المؤيد مثلاً وهو يتحدث فى إحدى أراجيزه عن خلاف الناس فى موضوع « الرؤية » :

ونقضوا قواعد الشريعة   كل له مقالة شنيعه
من مثبت لرؤية الرحمن   مستشهد بآية القرآن
ومنكر قد جاء ينفى تلكا   ودونها الشرك برى والكفرا

وقال فى نفس الموضوع فى أرجوزة أخرى :

فقائل قال تراه العين   وهو لعمرى وصمة وشين
من أجل أن رؤية الأبصار   مختصة بالجسم ذى الأقطار
وقائل قد قال لما دققا   جداً وفى أفكاره تعمقا
ما ذاك إلا قول ذى تضليل   نراه لكن رؤية العقول
أمعن حتى ما أتى بشئ   ولم يبق رشداً من غى
فالعقل للمرء أداة كالبصر   ذا باطن فيه وهذا قد ظهر
فإن جعلت نحوه سبيلاً   للعقل لم تجاوز التمثيلا
كلاهما يدرك بالمجانسه   مقالة صحت بلا ممارسه
وليس من جنس العقول الله   ياقوم كى تدركه حاشاه
كما تعالى أن يكون كالصور   جسماً كما يلاقيه البصر

القضايا الكبرى فى الاسلام

قذف عائشة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

- ٨ -

سأتناول بحث حديث الإفك المشهور من ناحيته القضائية ، وسأعنى فى ذلك بتحقيق أمور فيه لم يتناولها الذين بحثوه من ناحيته التاريخية ليكون بحثاً قضائياً ينسجم والبحوث القضائية التى تدخل فى موضوعنا ، ويتفق فى ذلك مسلكه ومسلكها ، ويندرج به فى مسائل القضاء لا فى مسائل التاريخ

وكان حديث الإفك فى السنة الخامسة من الهجرة ، وقد جرى بعد انتهاء النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المُصْطَلَق ، فلما دنوا من المدينة قافلين من تلك الغزوة أذّنَ ليلة بالرحيل ، فقامت عائشة رضى الله عنها لقضاء حاجتها حتى جاوزت الجيش ، فلما قضت شأنها أقبلت إلى رحلها ، فلمست صدرها فإذا عِقْدٌ لها من جَزْعِ ظَفَارِ قد انقطع ، فرجعت تلتمسه فى المحل الذى قضت فيه حاجتها ، وقد حبسها التماسه حتى أقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لها ، فاحتملوا هودجها على بعيرها وهم يحسبون أنها فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لقلة أكلهن ، لأن السِّمَنَ وكثرة اللحم تنشأ غالباً عن كثرة الأكل

وقد رجعت عائشة بعد أن وجدت عقدها إلى محل الجيش فوجدتهم قد ارتحلوا ، فجلست فى مكانها الذى كانت فيه ، وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون إليها ، فبينما هى جالسة فى مكانها غلبتها عيناها فنامت ، وكان صفوان بن المُعَطَّل رضى الله عنه من عادته أن يسير وراء الجيش ، يفتقد ضائعه ، ويرد ما يجده من ذلك إلى صاحبه ، وقيل إنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ، فلما وصل إلى عائشة عرفها لأنه كان رآها قبل الحجاب ، فاسترجع أى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فاستيقظت عائشة باسترجاعه وسترت وجهها بجلبابها ، فأناخ راحلته وأركبها من غير أن يتكلما بكلمة ، ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحلة .

وكان عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول رئيس المنافقين نازلا مع جماعته مبتعدين عن الناس ، فلما مرت عليه عائشة وصفوان قال : من هذه ؟ قالوا : عائشة وصفوان . فقال : فجر بها ورب الكعبة . وفى رواية : ما برئت منه وما برئ منها . وصار يقول : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت . ثم أشاع ذلك فى المدينة بعد دخولهم لها ، وقيل إنه كان يُتَحَدَّثُ به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه ، أى يستخرجه بالبحث عنه ، ولكن الذى ثبت عليه الاشتراك فى هذا الإفك أربعة : عبد الله بن أُبَىّ ، ومِسْطَحُ بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين وعبيد الله بن جحش أخوها . وبعضهم زاد خامساً هو زيد بن رفاعة . وبعضهم زاد سادساً هو حسان بن ثابت

ولا شك أن هذا لا يعد إلا قذفاً فى حق عائشة رضى الله عنها ، لأن دعوى الزنا تقرر أمرها قبل حديث الإفك بآية النساء : (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) ؛ فلا يثبت الزنا بعد هذه الآية إلا بأربعة من

فالفرقتان اجتمعا مشبهه خباطتنا عشواء جهل وعمه
ما جاوزت حد صفات البشر ونمت أرواحهم والصور
ذلك تشبيه فما التوحيد وذاك تجسيد فما التجريد

فهو هنا يتحدث عن موضوع خاض الناس فيه ، وتفرقوا شيعاً وأحزاباً بسببه ، حتى لا نجد كتاباً من كتب الفرق إلا وبه فصل عنه ، فلم يترك المؤيد هذه الفرصة دون أن يدلى بدلوه مع غيره من العلماء ، بل هو هنا يجادلهم بالنظم ، كما جادلهم بالنثر ، جادل المعتزلة الذين يرون أن الله سبحانه وتعالى يرى رؤية عقلية ويجادل المشبهة الذين قالوا إننا نرى الله رؤية العين ، ولكن المؤيد يرفض الرأيين ولا يقبلهما ، كما يدلنا نظمه هذا على عقيدة الفاطميين فى هذا الموضوع . وإذن فنحن نستطيع أن نأخذ ديوان المؤيد مرجعاً هاماً لدراسة عقائد المذهب الفاطمي . فقد بث المؤيد شيئاً كثيراً جداً من العقائد الفاطمية فى أراجيزه وشعره مدح بها خلفاء مذهبه .

(يتبع)

دكتور
محمد كامل حسين
مدرس بكلية الآداب بالقاهرة

الشهود ، ولا يجوز لشخص أن يرمى أحداً بالزنا فيما دون ذلك ولو عاينه معاينة ، فكيف بأمر عائشة وقد جرى على أسلوب لا يدل على شيء من الريبة ، لأن الذى يقع فى الريبة يحاول إخفاءها ، ولا يفعل ما فعله صفوان من الإتيان بعائشة على راحلته ، وكان الذى يجب أن يقع لو كان هنالك ريبة أن يأتى وحده ويتركها إلى أن يبعثوا فى طلبها ، أو يقيم قريباً منها إذا خاف أن يتركها وحدها ، بحيث لا يراها ولا تراه ، ولا يراه أحد من الناس ، حتى إذا عثروا عليها سار على عادته فى طريق الجيش ، وقطع على الناس طريق الكلام فى أمرها

وإذا لم يكن حد القذف قد نزل إلى ذلك الوقت ، فإن ما حصل من عبد الله بن أُبَىّ وإخوانه يستحق التعزير الشديد ، لأنه قذف قبيح فى حق سيدة شريفة لها منزلتها كزوجة نبى ، وكابنة أكبر أصحابه وآثرهم عنده ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم لم تتوجه نفسه إلى إقامة التعزير عليهم فى ذلك القذف ، لأنه كان كثيراً ما يغضى عما يحصل من أولئك المنافقين ، ويؤثر فى ذلك المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، لأن عبد الله ابن أبى كان من رؤساء الخَزْرَج ، وكان الإسلام لا يزال غضاً طرياً لم يقتلع من النفوس كل آثار العصبية ، وهذا إلى أن من الحكمة فى مثل ذلك الإفك أن يقضى عليه بالإغضاء ، وأن يترك أصحابه حتى يعلوه من أنفسهم ويروا أنه لا قيمة لكلامهم

فلم يهتم النبى صلى الله عليه وسلم إلا بمعرفة أثر ذلك الإفك فى نفوس أصحابه ، وقد أخذ يستشيرهم فى أمره ، فقال له عمر رضى الله عنه : من زوجها لك يا رسول الله ؟ قال : الله تعالى . فقال عمر : أفتظن أن الله دلّس عليك فيها ، سبحانك هذا بهتان عظيم . ثم دعا النبى صلى الله عليه على بن أبى طالب وأسامة ابن زيد ليستأمرهما فى فراقها ، فأما أسامة فقال : أهلَكَ يا رسول الله ، ولا نعلم إلا خيراً . وأما على بن أبى طالب فقال : يا رسول الله ، لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإنك لتقدر أن تستخلف . وفى رواية أنه قال : قد أحل الله لك فطلقها وأنكح غيرها ، وإن تسأل الجارية تصدقك ، يعنى بُرَيْرَةَ رضى الله عنها ، لأنها كانت تخدم عائشة وتعرف من أمرها ما لا يعرفه غيرها . فدعا النبى صلى الله عليه وسلم بريرة فقال لها : أىْ بريرة ، هل رأيت من شيء يريبك ؟ قالت : والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً أغمِصُهُ أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأتى الداجن فتأكله . ثم سأل النبى صلى الله عليه وسلم زوجه زينب بنت جحش . فقالت : يا رسول الله ، حاشا سمعى وبصرى ، ما علمت إلا خيراً ، والله ما أكلمها وإنى لمهاجرتها ، وما كنت أقول إلا الحق

فلما فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من استشارة كبار أصحابه قام فى الناس وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى ، فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، ولا يدخل بيتاً من بيوتى إلا وأنا حاضر ، ولا غبت فى سفر إلا غاب معى

فقام سعد بن معاذ سيد الأوْسِ وقيل أسيد بن حضير فقال : يا رسول الله ، أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك

فقام سعد بن عبادة سيد الخزرج وقد احتملته الحَمِيَّةُ فقال : كذبت لَعَمْرُ الله لا تقتله ولا تقدر على قتله . وثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، والنبى صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل يُخَفِّضهم حتى سكتوا ، ولم يفعل شيئاً مع ذلك الرجل الذى آذاه فى أهله ، درءاً لتلك الفتنة ، وإيثاراً للصلح بين الحيين اللذين قام على عاتقهما الإسلام

كل هذا وعائشة لا تعلم شيئاً مما يقال فى حقها ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرد أن يؤذيها به ، فكل شيء يهون إلا الشرف ، وكل شيء يحتمل إلا ما يخدش العِرْض ، وكانت قد مرضت عقب وصولها إلى المدينة ، فلم يشأ أن يزيدها آلاماً على آلام المرض ، ولكنه كان فى نفسه شيء من تصرفها الذى مَكَّنَ ذلك الرجل من ذلك الإفك ، وكان عليها عند خروجها لالتماس عقدها أن تترك خبراً بذلك فى الجيش ، حتى ينتظر رجوعها ولا يسير ويتركها وحدها ؛ فرابها من النبى صلى الله عليه وسلم أنها لم تر منه اللطف الذى كانت تراه منه حين تمرض ،

وإنما كان يدخل عليها وعندها أمها تمرّضها فيسلم ثم يقول : كيف تيكم . لا يزيد على ذلك شيئاً ، ثم ينصرف ولا يمكث عندها

ولم يزل هذا حاله معها إلى أن خرجت بعد ما نقهت ، فخرجت معها أم مسطح بن أثاثة ، وهي بنت خالة أبي بكر ، وكان ابنها مسطح يتيماً في حجر أبي بكر ، وكان أبو بكر ينفق عليه لأنه كان فقيراً ، وقد سارتا حتى وصلتا إلى المنْصَع ، وهو محل متسع كانت النساء يخرجن بالليل للتبرز فيه ، فلما فرغتا من شأنهما وأقبلتا عثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت : تعس مسطح . فقالت عائشة لها : بئس ما قلت ، أتسبين رجلاً شهد بدراً ! قالت : يا هَنْتَاهُ أو لم تسمعي ما قال ؟ قالت : وما قال ؟ فأخبرتها بقول أهل الإفك

فخرت عائشة مغشياً عليها حين أخبرتها بذلك ، وازدادت مرضاً على مرضها ، وأخذتها حُمَّى نافضة ، ثم رجعت إلى بيتها ومكثت ليلتها حتى أصبحت ، لا يرقأ لها دمع ، ولا تكتحل بنوم ، ثم أصبحت تبكي ، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم ، فسلم ثم قال : كيف تيكم ؟ فقالت له : أتأذن لي أن آتي بيت أبويَّ . وهي تريد بهذا أن تتثبت من ذلك الخبر ، فأذن لها في ذلك وأرسل معها غلاماً من الغلمان ، وكان قد مضى إذ ذاك بضع وعشرون ليلة على قول أهل الإفك ، فقالت لأمها : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، لا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! فقالت لها أمها : هوّني عليك الشأن ، فوالله لقلّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثّرْنَ وكثّرَ الناس عليها . فقالت عائشة : سبحان الله ! ولقد تحدث الناس بهذا ، وعلم به أبي ، وعلم به رسول الله . قالت : نعم . فاستعبرت وبكت ومكثت ليلتان لا يرقأ لها دمع ، ولا تكتحل بنوم ، وكانت تبكي وأبواها يبكيان ، وأهل الدار يبكون ، وبينما هم على ذلك دخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فسلم ثم جلس ، ولم يكن قد جلس عندها منذ قيل ما قيل ، وقد لبث على ذلك شهراً لا يوحى إليه في شأنها

وهنا يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم تشهد حين جلس ، ثم قال : أما بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تعالى تاب الله عليه . قال بعضهم : دعاها إلى الاعتراف ولم يأمرها بالستر ، مع أنه المطلوب ممن أتى ذنباً لم يُطلع عليه

فقالت عائشة لأبويها : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالا : والله لا ندري بماذا نجيبه . فقالت : لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم ، فلئن قلت لكم إني بريئة ـ والله يعلم أني بريئة ـ لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ـ والله يعلم أني منه بريئة ـ لتصدقني ، فوالله لا أجد لي ولكم إلا قول أبي يوسف عليهما السلام إذ يقول : فصبر جميل والله المستعان . ثم تحولت فاضطجعت على فراشها

ولا شك أن هذا الذي يذكرونه لا يتفق وما سبق من النبي صلى الله عليه وسلم حين جمع الناس فخطبهم ، وذكر أنه لا يعلم على أهله إلا خيراً ، وأن أهل الإفك ذكروا رجلاً لا يعلم عليه إلا خيراً ، فكيف يعود بعد هذا إلى الشك في براءة أهله من ذلك الإفك ، وقد استشار كبار أصحابه فرأوا عائشة منه ، وذكروا أنه إثم وبهتان عظيم

ولما بلغ الأمر أشده ، ولم يعد من السهل أن تعود عائشة إلى بيتها على هذا الحال ، نزل الوحي ببراءتها في الآيات الأولى من سورة النور ، ونزل فيها حكم القذف : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم)

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس وخطبهم وتلا عليهم تلك الآيات ، وأمر بجلد أصحاب الإفك ، وقد اتفقوا على جلد ثلاثة منهم ، وهم مسطح وحمنة بنت جحش وأخوها عبيد الله ، واختلفوا في جلد عبد الله بن أُبَيّ وحسان بن ثابت ، فقيل إن عبد الله جلد أيضاً ، وقيل إنه لم يجلد ، لأن الحد كفارة وليس من أهلها لنفاقه ، أو لأنه لم تقم عليه البينة بذلك ، أو لأنه كان لا يأتي بذلك على أنه من عنده ، بل على لسان غيره

وأما حسان فقيل إنه كان من أهل الإفك وإنه جلد فيه ، وقيل إنه لم يكن منهم ولم يجلد مثلهم ، ومما يدل على أنه لم يكن من أهل الإفك تبرؤه مما نسب إليه في أبيات مدح بها عائشة رضي الله عنها ، ومنها قوله :

مهذبة قد طيَّبَ الله خيمَها وطهَّرَها من كل سوء وباطل

فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتمُ
فلا رفعتْ سوطى إلىَّ أناملى
وكيف وودى ما حَييتُ ونصرتى
لآل رسول الله زين المحافلِ

وقد ذكر الزبير بن بكار أنه قيل لعائشة رضى الله عنها وقد قالت فى حق حسان رضى الله عنه إنى لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه بلسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس هو ممن لعنه الله فى الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يقل شيئاً ، ولكنه القائل :

فإن كان ما قد قيل عَنّى قلتهُ
فلا رفعتْ سوطى إلىَّ أناملى

عبد المتعال الصعيدى

فى الأدب الأندلسى الشعبى

ابن قزمان

للأستاذ أحمد مدينة

العربية واللاتينية ، هما اللغتان اللتان كانتا سائدتين فى إسبانيا الإسلامية ، وعنهما تفرعت لغتان عاميتان : اللاتينية الدارجة « الرومنسية أو العجمية » لغة الصبيان والأحداث ، وأرباب الصناعة والزوجات الإسبانيوليات، والعربية الدارجة ، متأثرة بالعجمية والبربرية :

داب نعشق لأليمه نجيمه
من يحبك ويموت فيك
إن قتات عاد يكون بيك
لو قدر قلبى يخليك
لم يدبّر ذا النُّغيمه
يامطر نَن شِلِباطُ (يا مذهول)
تُن حزين تن بِناطُ (إنك مكروب)
ترى اليوم وَشْطاطُ (ضائعاً)
لم تذق فيه غير لقيمه

بهذه اللغة نظم ابن قزمان — أبو نواس الأندلسى — أزجاله ، فطار صيتها إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وتأثر بها الشعراء الأوربيون فى تأليف الأغانى الشعبية لا سيما شعراء « التروبادور » ، وعلى رأسهم « الكونت ده بواتيى » البروفنسالى

نشأ الشاعر فى قرطبة وتوفى أوائل النصف الثانى من القرن السادس بعد أن تجاوز الثمانين سنة قضاها متنقلاً ، بين إشبيلية وجيان وبلنسيه

كان طويل القامة أشقر الشعر ، أزرق العينين ، تزوج ، ثم هجر زوجه لما لقيه فيها — وفى بنات جنسها — من المكر والخديعة :

أنا تايب يالس نقول بزواج
ولا بجلوَ ولا عروس بتاج
لا رياسة غير اللعب بالزجاج
والمبيت برٌ والطعام والشراب

***

النسا ، كما فى علمك ، الهروب منهم غنيمه
لس نرى لوحدَ منهم ما بقيت فى الدنيا قيمه
وسوى تكن فمينى الجديدَ والقديمه
والبعيدَ والقريبَ والسمينة والدقيقة

عاصر من القواد يوسف بن تاشفين وابنه على وحفيده تاشفين ، ومن الأدباء ابن بسام صاحب « الذخيرة » ومن الفلاسفة ابن باجه وابن رشد

فى أزجال ابن قزمان يتقلص ظل التأثير الشرقى فى الأدب الأندلسى ، فلا أطلال ، ولا دمن ولا صحراء ، ولا جمال نجد لها ذكراً فى ديوانه ، بل هو نفسه يستنكر احتذاء الأقدمين ويمعن فى تعرية أزجاله من الإعراب ، موجهاً لومه لأستاذه أخطل ابن نمارة لالتزامه له :

« ولما اتسع فى طريق الزجل باعى ، وانقادت لغريبه طباعى وصارت الأئمة فيه حولى وأتباعى ، وحصلت منه على مقدار لم يحصله مبى زجال ، وقويت فيه قوة تقلتها الرجال عن الرجال . وصفيته عن العقد التى تشينه ، ومهدته ، حتى لان ملمسه ، ورق خشينه ، وعريته من الإعراب ... وجملته قريباً بعيداً ، وبلدياً غريباً . ولقد كنت أرى الناس يلهجون بالمتقدمين ويعظمون أولئك المتقدمين يجعلونهم فى السماك الأعزل ويرون لهم المرتبة العليا والمقدار الأجزل ، وهم لا يعرفون الطريق ، ويذرون القبلة ويمشون فى التغريب والتشريق ، يأتون بمعان باردة وأغراض شاردة ، وألفاظ شياطينها غير ماردة ، والإعراب وهو أقبح ما يكون فى الزجل ، وأثقل من إقبال الأجل . ولم أر أساس

طبعاً وأخصب رَبْعاً - ومن حجوا إليه طافوا به سبعاً - أحق برياسة فى ذلك والإمارة ، من الشيخ أخطل بن غارة . فإنه نهج الطريق ، وطرق ، فأحسن التطريق . ولو لم يكن له رحمه الله من قوة التخييل وصحة المعارضة إلا ... كقوله : أنا من أهل البادية ، ومى دارا خالية ، ملأ بدم الدالية ... وليس اللحن فى الكلام المعرب القصيد أو الموضح بأقبح من الإعراب في الزجل . ولو عاش ابن غارة ، وأحضرنا وإياه سلطان وضمّنا قصر ، حتى يسمع الغرائب والأسمار لحار ، ولعلم أن لنا قصب السبق ولواء الغلب

سمى ديوانه « إصابة الأغراض فى ذكر الأعراض » وفيه يصف أعياد المسلمين والمسيحيين ، ويفرط فى ذكر محاسن الغلمان ، وامتدح السكارى والمخمورين ، ومجالس الشراب ، ولا يخفى تبرمه بالصوم :

تركيب الإنسان مذ كان لطيف
وبالصيام قد صرت نحيل ضعيف
رقيق أنا يابس أصفر نحيف
يحملنى البرطال (العصفور) فى شان شاله

ولا سخريته بالفقهاء :

اسمع اش قلِّى الفقى : توب ، إن ذا فضولى أحمق !
كيف نتوب والروض ضاحك والنسيم كالمسك يعبق !؟

فطمن من أجل ذلك فى دينه ، وكاد يقتل لولا أن لطف به أحد القضاة من أصحابه

وهو إذ ينظم الزجل ، لا يعبر فيه دائماً عن إحساسه الشخصى ، وإنما يؤلف الكلام لينشده المغنى على لسان ملك ، أو تاجر أو عبد مسترق أو امرأة . وقد يكون المغنى والمستمعون كلاهما من المتسولين والمشعوذين والمحتالين ، بل مما لا غنى عنه أن يتألف منهم « الكورس » لترديد « المركز » كلما كف المنشد عن الغناء ، وقلما تحتجب — فى مثل هذه المحافل الشعبية — العيدان والمزامير والطبول والصافق وغيرها من آلات الطرب ، مع الاستعانة بالرقص فى بعض الأحيان .

الديوان

يرجح أن الذى عثر عليه فى العراق هو « روسو » قنصل فرنسا فى بغداد ، ثم بيع للاسكندر الأول قيصر روسيا سنة ١٨٢٥ فضم إلى المخطوطات الشرقية فى المتحف الأسيوى بسان بترسبورج (لنينجراد) وبقى منسياً فيه إلى سنة ١٨٨١ حين كتب عنه « البارون ده روزن » ، ثم نشره « البارون ده جونزبورج » بالتصوير الشمسى سنة ١٨٩٦ ، وضمنه وعدا بإيراد سيرة الشاعر ، وترجمة أزجاله ومقارنة لغتها بلهجات الأندلس وشمالى إفريقية ، خلال القرن السادس ، ولكن الموت أدركه سنة ١٩١٠ ، دون أن يفى بما وعد . ثم جاء بعده المستعرب الإسبانى « ريبرا » ، فألقى محاضرة عنه طبعت سنة ١٩١٢ وفى عام ١٩٣٣ طبعه « نيكل » فى مجلة الأندلس بحروف لاتينية إلا المقدمة ، فإنها بالرسم العربى ، وعنى بذكره بعد ذلك الأستاذ بالينسيا فى كتابه « تاريخ الأدب العربى فى أسبانيا » المطبوع سنة ١٩٢٨

وأخيراً يردد فى الدوائر الأدبية أن المسيو لاوى بروفنسال شرع فى التأهب لنشره

والديوان المطبوع بالتصوير الشمسى منسوخ بخط شرقى « استكتبه لنفسه الأديب محمد بن أبى بكر القطان بصفد المحروسة استحساناً له وغواية فيه »

أحمد مدينة
ليسانسيه فى الآداب من جامعة فاروق الأول

بعد عامين . . .

لصاحب العزة عزيز أباظه بك

[كتب لي أديب جليل الخطر من أدباء الأقطار الشقيقة يقول : « إنها حية في قلبك لا شك في ذلك . فالرأي عندي أن تبذل لها غزلك ، وتحبس عنها رثاءك »]

يا زين عهدُك بي - جُعلت فِداك -
نفسٌ مُندَّبةٌ(١) وطرفٌ باكِ
وجوانح تُطوى على مُستضعف   حيران ذاق اليُتمَ يوم نواكِ
يا زين والدنيا قرارةُ شِقوةٍ   أُتراكِ مُلَّثتِ النعيمَ هُناكِ
إن كانت استعْدت عليك خطوبها
فلقد بلغتِ من الحياة مُناكِ
خلَّفتِ نفح الورد في أرجائها   ومضيتِ : أكرمُ سيرةٍ ذكراكِ
وذهبتِ ضاحكةَ النضارة والصِّبا
كالروض سامَرَه الربيعُ(٢) الباكي
عبست لكِ الأيامُ حتى لم تجدْ   هدفاً لعاصف كيدِها إلاّكِ
ألوتْ بأختك بعد أن فَرَست(٣) أخاً
فمضت . وأعجلَ بعدها أخواكِ
ثقُلت رزيئتُهم عليّ وإنما   قد كان أفدحَ ما حملت أساكِ(٤)
يا مُجمةَ العين الطويل سهادُها
كم صدَّت(٥) عني الكرى عيناكِ
يا قبلة الطلِّ الرفيق سرت على
خدِّ الشقيق(٦) فرفَّ(٧) واستحياكِ
يا همسةَ الشاكي - وخير سِفارة -
بين الهوى والهجرِ همسةُ شاكي
قلبي وعقلي - قد علمت - كلاهما   خبراكِ فاصطفياكِ واعتلقاكِ
لم يحل من حضر البلاد وريفها   للنفس . إلا حيثما تلقاكِ
ويروق في عينيّ ما استحسنتهِ   ويهون ما ازْوَرَّ عنه رضاكِ
ويهون ضاحي العمر إلا ليلةً   جادت على طول النوى بلقاكِ
بتنا بها زوجيْن نالا مُنيةً   كانت تُخال عزيزةَ الإدراكِ

---

(١) كثيرة الندوب والجراح
(٢) المطر (٣) افترست (٤) المقصود حزنها على إخوتها
(٥) ردت ونرفت (٦) نوع من الزهر (٧) تألق واهتز

قالت وقلت فلو أصاخ لنا الدجى   لَرثى لشاكيةٍ هناك وشاكِ
عشنا على سَحَرِ(١) النعيم ونحره
حتى تورَّدكِ الردى فطواكِ
نغدو على وردِ الوفاق ونوْرِه   ونبيتُ لم نعتبْ على الأشواكِ
فإذا رأيتِ الأمرَ لم أرتحْ له
شفَعتُ عطفك واستعنتُ حِجاكِ
وإذا اعتركنا مرة عَرَضَ الهوى
فمحى بسحر عصاه كلَّ عراكِ
وإذا هفت نفسي لغير كريمة
جرَّدتِ حزمك طبَّةً(٢) ونهاكِ
فكففتُها في حكمة ولباقة   وبلغت بالمس الرفيقِ مُناكِ
وإذا النفوسُ إلى توائمها اهتدت
سعدت . وتلك مراتبُ الأملاكِ(٣)
وإذا أهابت بي العلا شيَّعتني   بصريمة يقظى وعزمٍ شاكِ
ودفعتني ثبْتَ الخطي مُستعصماً
بالله مُهتدياً بنور هداكِ
جنبتني زللَ الصِّبا وعثارَه   ومضى يُهذِّب لي الحياةَ صِباكِ
روَّتْني الدنيا ببعض نعيمِها   فوجدت أكرمه نعيم رضاكِ

* * *

ولقد خلتُ عليك من وشْيِ الضُّحى
روضاً تنفس فيه طيبُ شذاكِ
أسعى إلى مثواك مشبوبَ الهوى
وأكاد أومنُ أنني سأراكِ
وأفضت حتى جئت رفرفَ مضجعٍ
طُهْرٍ كأركانِ البنيَّة(٤) زاكِ
وكأنما انجاب الرَّخامُ عن الثرى
فأهلَّ من خَلَلِ الرِّجام ضياكِ(٥)
فشهِدتُ في حلْيِ العروس وعطرها
نفسي التي ودَّعتُ يوم نواكِ
تلك الصباحة والطلاوة والصبا   أضفى عليهن الجلال كراكِ
والماء في قسمات وجهِك لامح(٦)
صافٍ وسحرُك ساكبٌ وسناكِ

---

(١) الصدر (٢) الطبة الحازمة (٣) الملائكة
(٤) الكعبة (٥) التراب أو الحجارة (٦) لامع

وحُلاك واحدة الطراز . ألمْ تصَغْ
من جوهر الخلق الكريم حُلاكِ
فوضعت خدى حيث خدك مائل ومدامعي تَرْوى بها خدَّاكِ
وسكبت فى أذنيك ألحان الهوى وَلطالما هشَّت لها أذناك
ونهلت من عينيك سحراً لم يزل تحت الترابِ تشمُّه عيناك
وجلوت فى فودَيْك بدر دُجنّةٍ
وهصرتُ فى عطفيك عودَ أراكِ
ويداى فى ذهبي شعرك ضلَّتا وتُنهنه الشوق الجموح يداك
ويمجُّ مثلَ الشُّهد فوك وكالطّلا
أشتار[1] شُهدك أم أعبُّ طِلاك ؟
وأقول فى صَعداء أنفاس الجوى
ريّا السُّلافة تلك أم ريّاك
وأقول من سلب الزهورَ رحيقَها
وهفا إليك بصفوها فسقاك
وأقول والأشجان تنهك مهجتى
والقلب يصهره الأوارُ الذاكى[2]
لو قد سألت بنا ! فزوجك موحش
وبنوك واجمةٌ وعُشُّك باك
بهواك والدنيا جناح بموضة عندى إذا قُرنت بطهر هواك
بالضاحك النشوان من عهد الصبا
فى المشرق المأنوس من مغناك
وبكل ضمة مُتعة وهناءة أضفى علىَّ نعيمها حِضناك
وبكل عذبِ اللحن من قُبل الهوى
نضحت[3] بها شفتى المُلحةُ فاك
قسما فلم تلتذَّ غيركَ أضلعى يوماً ولم يصرخ دمى لسواك
فامضى كأغنية الربيع ترقرقت ألوانها فى نوره الضحاكِ
وامضى كنُيِّرة[4] السماء كريمة الـ
روحات والغدوات والأفلاك

***

أملاعبَ الصبوات من حرم الحمى
هوجُ الخطوبِ أذلن عزّ حماك
راش الزمان سهامها وأحدّها فرماك ثم رماكِ ثم رماكِ
كانت رباك خمائلاً وجداولاً وخمائلاً[1] . أمِن الجنان رباك ؟
المسكُ ليلُك سحرُه وعبيرُه ورقائق الذهبِ الصقيل ضُحاك
وتظلُّ أرواح العشىِّ عواطلاً من عَرفها ما لم تمسَّ شذاك
كيف الغدير السمح . ساق لُجينه[2]
فسقاك . والوشىَ البهيجَ كساك
هل لم تزل قبلاتُ ضاحك مائه
تترى على صفصافه المتباكى
أم بدّلت أمواهُه وخريرُه عبراتِ نائحةٍ وزفرةَ شاك
والقصر . كيف مشى الردى فى ساحه
مشيَ الوباء العاصفِ الفتّاك
قد كان مرتعَ كل ظبىٍ لاعبٍ
أنِس . وخيسةَ[3] كل ليث شاك
درجت طفولتنا على جنباته ونما هوانا فى ثراهُ الزاكى[4]
فى كل موضع نبتة من روضه ذكرى لموقف لوعةٍ وتشاكى
لما التقينا هاج دمعك أدمعى أبكانىَ الشجنُ الذى أبكاك
أبصرتنى فرداً فعاودك الأسى لله أىَّ جوًى أثار أساكِ
عزفت عن الشدو الطيور وأجهشت
أيكاتُك[5] العبْرى وجفَّ نداك
واغبرَّ مُخضرُّ البساط ونكّست
تيجانها الزهراتُ فى الأشواك
ويقول مطلولُ البنفسج للندى
يا شدَّ ما نلقى ! ألستَ كذاكِ
أنكرنَ أنى لم أزل من بعدها
حيًّا . أنا الميت البطىءُ هلاكى
أملاعبَ الصبواتِ قد جرت الرحى
فعفتك . لم ترحم سوى ذكراك
(ع . ١ . ع)

(١) الاشتيار : جنى الشهد (٢) المتقد
(٣) بللت وسقت (٤) الشمس

(١) الأنسام (٢) الفضة (٣) بيت الأسد
(٤) الطاهر (٥) جمع أيكة وهي ملتف الشجر



إلى الأستاذ محمد أحمد الغمراوي

تعجبني مداعباتك الطريفة للدكتور زكي مبارك ، ويدهشني حقاً كما يدهش الكثيرين أن يقف الدكتور - وهو الصوال القدام - هذا الموقف السلبي الغريب بأزاء نقد أوشك أن يهدم أكبر أثر له طالما اعتز به وفاخر . وما دام قد لاذ بالصمت وآثر عافية غير محمودة ، فلا مندوحة لسواه من أن يسد مسده في التعقيب على ما يستحق التعقيب عليه من هذا النقد . وقد وقعت من ذلك على نقطتين في مقالك الرابع عن « فساد الطريقة في كتاب النثر الفني »

الأولى : أنك ذكرت أن سر تفاهة البيت :

كأننا والمـــاء من حولنا ... قـــوم جلوس حولهم ماء

ليس في صدق هذا الكلام ومطابقته للواقع - كما زعم الدكتور في كتابه - وإنما هو في أن المشبه به في الشطر الثاني من البيت هو المشـبه عينه الوارد في الشطر الأول مما أبطل التشبيه لعدم المغايرة بين طرفيه ، فأصبح البيت من ناحية التشبيه بيتاً كذباً ، ولو استبدل بحرف التشبيه حرف التوكيد لصدق البيت وارتفعت قيمته ارتفاعاً يجعله بمنجاة من أن يكون مثلا مضروباً في السخرية والاستهزاء الخ ... »

وأقول إن البيت - حتى بعد هذا التعديل المقترح - يظل تافهاً ، بل غير صحيح من ناحية اللغة ، وذلك لأنه يشترط في الخبر أن يفيد فائدة زائدة على المبتدإ ، وفي ذلك يقول ابن مالك :

والخـــبر الجزء المتم الفائده ... كالله بر والأيادي شاهده

ولا معنى للخبر إن لم يكن كذلك . وما ورد فيه الخبر بلفظ المبتدإ لوحظت فيه مع ذلك فائدة زائدة على المبتدإ كما في قول القائل : أنا أبو النجم وشعري شعري . إذ عنى بقوله « شعري شعري » أن شعره الحاضر هو من جنس شعره المعهود للمخاطبين من قبل . وعلى تقدير كهذا حمل قوله صلى الله عليه وسلم : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسـوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » في حديث (إنما الأعمال) : « وليس في الخبر الوارد في قول القائل : « كأننا والماء ... الخ . » فائدة زائدة على المبتدإ ولا هو مما يحتمل تقدير شيء من ذلك .

الثانية : ذكرت ما أورده الدكتور زكي في كتاب النثر الفني نقلا عن الباقلاني من تعريف الأخير للسجع بأنه : « ما يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع » ، وتقريره أن ما ورد في القرآن على هيئة السجع لا يدخل تحت هذا التعريف ، « لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى » . وأردفت ذلك بذكر عبارة الباقلاني التي أكد بها احتجاجه لرأيه المتقدم ، وهي :

« وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ . ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى »

ثم زعمت أن هـذه العبارة لا تستقيم مع رأي الباقلاني المتقدم ، وأنه لابد أن يكون قد وقع فيها تداخل عند طبع الأصل أو عند النسخ استغلق به المعنى على القارئ، مما لم يفطن إليه الدكتور « فدل بذلك على تقصيره في فحص الكلام وتقليبه أو على قصوره في الفهم والتفكير الخ ... »

والواقع أنه لا تداخل في العبارة ولا استغلاق في معناها الواضح كل الوضوح ، وهي تعني أن الكلام الوارد على هيئة السجع على نوعين : أحدهما كلام منتظم في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه . فلا مناص من إيراد اللفظ الوارد على هيئة السجع ، لأنه لابد منه لإفادة هذا المعنى ، ولا يمكن أن يحل غيره محله في إفادته ، ويصبح المعنى في هذه الحالة مرتبطا بذلك كارتباط معاني غيره من الألفاظ التي لم ترد على هيئة السجع بهذه الألفاظ . فتكون إفادته كإفادتها ، أي أنه لا يكون مستجلبا لغرض آخر غير إفادة المعنى . النوع الثاني كلام يكون معناه منتظما بغير اللفظ الوارد فيه على هيئة السجع ، فلا يكون هذا المعنى مرتبطا بهذا اللفظ ، لأنه يمكن الاستعاضة عنه بلفظ آخر يفيد هذا المعنى أيضاً ، وعلى ذلك يكون الإتيان في هـذه الحالة بخصوص اللفظ الوارد على هيئة السجع قد قصد به إلى

غرض آخر غير إفادة المعنى ، ألا وهو تجنيس الكلام . والنوع الثاني هو السجع الحقيقي ، والنوع الأول – وهو وحده الوارد في القرآن على ما يرى الباقلاني – ليس بسجع حقيقي وإن جاء على هيئته

ومعنى العبارة على الوجه المتقدم هو المستقيم تماماً مع رأى الباقلاني السابق في تعريف النوعين . فالأول ـ وهو ما ورد على هيئة السجع وليس بسجع حقيقي ـ يتبع اللفظ فيه المعنى ، لأنه إنما أتى باللفظ للتعبير عن ذلك المعنى المقصود بعد التثبت من إفادته التامة له . أما الثاني ـ وهو السجع الحقيقي ـ فيتبع المعنى فيه اللفظ الذي لم يؤت به بخصوصه لإفادة المعنى وإنما لغرض آخر هو تجنيس الكلام ، أفاد المعنى المقصود بتمامه أو لم يفد . ومن ثم استهجن التزام السجع لأنه إنما يكون على حساب المعنى

هـذا وتستطيع بعد الإيضاح المتقدم أن تتبين بأدنى تأمل ما في عبارتك التي أوردتها تصحيحاً لعبارة الباقلاني من مناقضة لحقيقة رأيه ومجانبة للصواب

وأعود فأكرر إعجابي بمجهودك الموفق في نقد كتاب النثر الفني .

ابراهيم زكي الدين بدوي

الأستاذ بدار العلوم العليا ببغداد سابقاً

حول « الحب عند المتنبي »(1)

تساءل الأستاذ حسن الأمين : هل أحب المتنبي وهل أحس بلواعج الغرام ؟

وأراد في جوابه أن يقول ، إنه لم يحب ، ولم يحس بلواعج الغرام ، واستشهد بشيء من شعر المتنبي . وأريد أن أقول إن حب المتنبي يكاد يكون لغزاً مستعصياً على الحل . ولست الآن بصدد إثباته أو نفيه ، غير أني أريد أن أستأذن الأستاذ حسن الأمين في ألا أوافقه في أن ما استشهد به من شعر المتنبي يؤدي إلى النتيجة التي وصل إليها . بل في بعض ما يدل على خلاف رأى الأستاذ . وها كم البيان

١ – فهم الأستاذ من قول المتنبي :

تحملوا حملتكم كل ناجية فكل بين علي (اليوم) مؤتمن

فهم أنه (لا التهديد بالرحيل ، ولا الوعيد بالهجر استطاع أن يلين قلبه ويميل به إلى الهوى)

(1) العدد ٥٨١ من « الرسالة »

وكلمة اليوم في البيت التي وضعها بين قوسين تدل بوضوح على أن المتنبي كان يحب ، وأنه يريد بإصرار وقوة أن يتوب من هذا الحب . فيقول . انتهى عهد الحب واليوم أصبح البين مؤتمنا على لا يؤثر فيّ سقماً ولا هما

٢ – وإن قال المتنبي (محب كني بالبيض الخ) إلا أن قوله :

عدمت فؤاداً لم تبت فيه (فضلة)

لغير الثنايا الغر والحدق النجل

يدل على أنه يريد أن لا يكون قلبه قاصراً على حب النساء ، بل يجب أن يكون فيه (فضله) لغير حب النساء . فظاهر من هذا أن المقام الأول هو لحبهن ، والفضلة لغيرهن

٣ – قول المتنبي (وما العشق إلا غرة وطماعه) وقوله : (مما أضر بأهل العشق أنهم) ، وأمثاله ، لا يدل على أنه غير عاشق . بل هو أقرب إلى أن يدل على أنه عاشق برح به العشق وكوى كبده ، وذاق حلوه ومره ، ولكنه رجل غلب عليه العقل وقوة الإرادة ، فهو يريد أن يداوى نفسه من عشقه بمثل هذه الأقوال ، وكثير ممن جربوا الحب وخابوا فيه أو لم يصلوا إلى نتيجة رجعوا على أنفسهم باللوم وعلى الحب بالتنقيص

٤ – وأما الأبيات التي ادعى فيها العشق ؛ فأنا أفرض مع الأستاذ أنها لا تدل على العشق ، كما يقول المتنبي نفسه (أكل فصيح قال شعراً متيم ؟) إلا أنني لا أستطيع أن أمر بأشعاره المشتملة على العاطفة الصحيحة من مثل قوله : (ما لاح برق أو ترنم طائر) إلى آخر ما ذكره الأستاذ في هذا الصدد . أقول لا أستطيع أن أمر بهذا ، دون أن أشعر بأن المتنبي كان محباً صادقاً

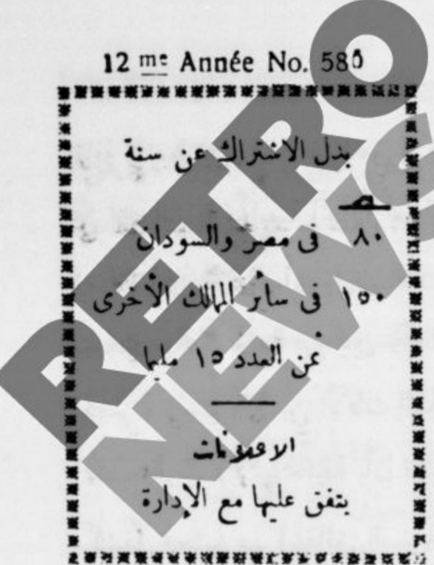
٥ – الحب عاطفة إنسانية أصيلة لا يحرمها إلا من مسخ قلبه ، ولا يكون المتنبي – وهو من هو – كذلك ، فهذا وحده كاف للتدليل على أن المتنبي أحب ، وأنه أحس بلواعج الوجد ، وتباريح الغرام . والآن آن أن أقول إن اللغز في حب المتنبي ، ليس هو الحب نفسه ، ولكن من هو الشخص الذي أحبه المتنبي . وقد أجاب عن ذلك الأستاذ محمود محمد شاكر . بيحث فيه مجال للبحث .

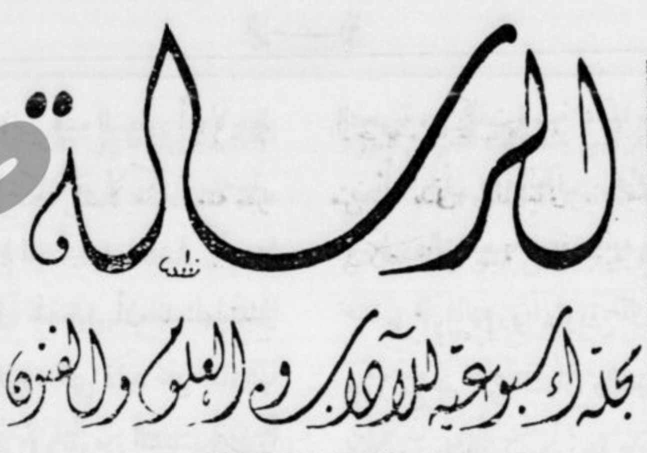
(اللد – فلسطين) داود حمدان



12 me Année No. 586

Lundi - 25 - 9 - 1944





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٥٨٦ «القاهرة في يوم الإثنين ٨ شوال سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

مكافحة الشكلية

للدكتور محمد مندور

لا عجب أن نرى مشكلة التعليم من بين المشاكل الكبرى التي تشغل الرأي العام، لا في بلادنا فحسب، بل في جميع بلاد العالم، والحرب القائمة عمادها الأول مبادئ العلم ومكتشفات العقول، وهي حرب ميكانيكية قبل كل شيء.

ولقد انتهى الأمر ببلادنا إلى الفطنة لوجوب مكافحة الأمية الأبجدية، وهذا خير نحمد الله من أجله، ولكننا نطمع إلى ما هو أبعد من ذلك. فنود لو كافحنا الأمية العقلية، وما نظن مفكراً يزعم أنك قد أصلحت نفساً أو هذبت خلقاً أو سددت إدراكا إذا لقنت الفرد مبادئ القراءة والكتابة، فتلك وسائل لا خير فيها إذا عزبت عن غايتها، وغايتها بلا ريب هي محو الأمية العقلية، ومن هنا كانت راحة النفس عندما رأينا الحكومة تقيم مكافحتها للأمية على أساسين: تعليم الأبجدية وما يلحق بها، ثم نشر الثقافة الشعبية بإلقاء الدروس المبسطة في مبادئ العمران والحياة المدنية.

وليس من شك في أن مكافحة الأمية العقلية التي هي هدفنا القومي لن نستطيعها إلا إذا أعددنا لمكافحتها طوائف من المثقفين

الفهـــرس

ثقافة جامعية صحيحة ، ولقد اتفق لكاتب هذه السطور أن لاحظ على تلك الثقافة الجامعية اتجاهاً نحو الشكلية قد لا يكون منه مفر فى بلاد أخذت تفتح أعينها على العلوم الغربية ، فتود لو تلتهمها متعجلة ، ثم تنثرها عن يمين وشمال لجة قبل أن تتمثلها تمثل الهضم ، وتلك آفة من الآفات الكبيرة التى لابد من محاربتها أعنف الحرب ، لأنها خليقة بأن تنشر فى نفوس الشباب غروراً كثيفاً يحجبها عن الحقائق العميقة . وأخطر ما تكون تلك الآفة فى العلوم المعنوية ، ونعنى بها العلوم التى تتناول الإنسان وظواهره البشرية كفرد وكعضو فى هيئة اجتماعية . وسر الخطورة فى هذا المجال يأتينا أيضاً عن الغرب ، وإن يكن الغرب نفسه قد أخذ يتخلص من تلك الآفة التى مكنت لها اتجاهات العلوم المادية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين .

ذلك أن العلوم المادية فى تلك الفترة كانت قد خطت خطوات كبيرة نحو اكتشاف كثير من القوانين العامة التى تسيطر على المادة فتمكن الإنسان من استخدامها حتى شاع فى كل المعقول أن العلم إن لم يكن اكتشاف قوانين فهو ليس بشىء ؛ ونظر الباحثون فى الإنسان فإذا بهم لا يكادون يتبينون لظواهره قوانين ، فتطلع طموحهم الساذج إلى أن يصلوا فى معارفهم إلى ما وصل إليه علماء المادة ، فقالوا إن الإنسان ما هو إلا ظاهرة من الظواهر العامة ، وهو لابد خاضع فى حياته الفردية وفى حياته الاجتماعية إلى قوانين لا مفر من سلطانها ، ومن هنا اتجهت الأبحاث النفسية والاجتماعية تلك الوجهة الشكلية التى نكتب اليوم عن وجوب مكافحتها إذا أردنا أن نقيم مجد هذا الوطن على إرادة أبنائه ، إرادة يجب أن ينتهى كل تعليم صحيح إلى تأييد حريتها التامة وقدرتها على كل شىء .

ومكافحة الشكلية ليست بالأمر الهين ، فقد اتفق لى أن لاحظت التجربة فى نفسى حيث لم أستطع أن أفطن إلى ما أدعو إليه اليوم إلا بعد سنين من إقامتى بأوروبا . ولعلى أفدت تلك التجربة من كلمات قاسية سمعتها من شيخ فرنسى أضعاف ما أفدت من أساتذتى ومطالعاتى . وليسمح لى القارئ بأن أقص تلك الذكرى الشخصية ، فقد يفيد منها مثلما أفدت .

فى أول عهدى بباريس كنت أتناول الغداء على مائدة سيدة عجوز مع نفر من الشبان والشيوخ الفرنسيين وبعض الأجانب . وكان من بين الفرنسيين رجل جاوز الخمسين يعمل وكيلا للمحافظة ، وأكبر ظنى أنه ينحدر من أسرة كبيرة من الأسر المحافظة ؛ وكان رجلا جافا فى جسمه وروحه ، أنيقاً فى لفظه وملبسه . ولقد علمت أنه قد ابتلى الحياة وابتلته بهمومها الثقال فتحملها فى بطولة ، ولقد خرج من نشأته وملابسات حياته بفلسفة قوية تقوم على مبادئ الخلق الصارمة ، كما تقوم على الاعتداد بكرامة الإنسان وقدرته على توجيه الحياة وإخضاعها لإرادته . مع هذا الرجل تعلق حديثى أحد الأيام ، ورأيته يبسط مبادئ فلسفته التى ذكرتها فى حرارة المؤمن فدهشت ، وأخبرته بأن مبادئ الأخلاق التى يتحدث عنها إن هى إلا ظواهر اجتماعية تُملى على الأفراد دون أن يكون لهم دخل فى بنائها ، أو فضل فى الإيمان بها ، كما أخبرته أن إرادة الإنسان الحرة التى يعتز بها ، ليست إلا وهماً لأن الفرد لا يملك لنفسه شيئاً ، وإنما هو مسير بغرائز وقوى دفينة ، وما إن سمع منى الرجل هذا الهراء ، حتى انتفض كالأسد ، واستند بمرفقه الأيسر على المائدة ليلتفت إلىّ محدقاً فى غضب ، غضب الاستعلاء ، وسألنى من أى بلد أتيت يا بنى ؟ قلت من مصر . قال وماذا يصنع أبوك بمصر ؟ قلت يزرع الأرض . قال إنى أوصيك مخلصاً أن تعود إلى بلدك لتحرث الأرض مع أبيك ، هذا أجدى عليك وعلى وطنك مما تتعلمه أو تظن أنك تتعلمه هنا من هراء ، فتماسكت موهوماً وقلت ، ولكن هذه يا سيدى هى الآراء التى سمعتها من أساتذة السربون فى علم الاجتماع وعلم النفس ، فأجابنى : ومن أنبأك أن هؤلاء الأساتذة يفهمون شيئاً من حقائق الإنسان ؟ أتظن أن حقائقنا البشرية من اليسر بحيث تصاغ نظريات أو يكشف عنها التفكير

المجرد ؟ ثم من قال إن التفكير الفرنسي يمثله ذلك النفر من اليهود الذين يزعمون أنهم قد اكتشفوا قوانين الإنسان ، عند ما زعم كبيرهم دركايم ومن خلفه ليفي بريل وموسى وفوكونيه ، ومن تبعهم أن الإنسان حكمه حكم المادة ، وأن هناك ما يسميه هؤلاء الحمقى وعياً اجتماعياً تتمخض عنه الحياة العامة كما يتخمض الناتج الكيماوى عن مزيج من العناصر ، احذر يا بنى أن تؤمن بما يقولون فليس صحيحاً أن الرجل المهذب لا يستطيع أن يصل إلى قيادة شخصية يهتدى بها إلى مواضع الخير والشر والبطولة والخسة بنفسه ، كما تهتدى الطيور إلى أوكارها . وليس صحيحاً أن قواعد الأخلاق ليست إلا ظواهر اجتماعية لا نستطيع فى علاجها شيئاً ، وكل ما يجب علينا عمله هو أن نرصدها ، كما يفعلون لنستخرج منها قوانين عامة . هذا يا بنى وهم ، بل خداع مبطلين ، ثم اذكر أننا فى مجال المعرفة بالإنسان ، ليس لنا إلا هدف واحد هو أن نصبح خيراً مما نحن . فبالله ، هب أن هذا الهراء حق ، فأى فائدة ستجنى منه الإنسانية ؟ أنا أفهم أن نكشف عن قوانين المادة ، لنسيطر عليها ونسخرها فى مرافق حياتنا ، ولكن الإنسان ما شأنه بالقوانين ؟ ومن قال إن الإنسان مادة فحسب ؟ وهب أنه كان مادة ، وأن الروح لم يكن لها وجود ، وأنها تفنى بفناء المادة كما تنعدم النغمات بتحطم الناى ، أليس من الخير ، بل من الواجب على الإنسانية أن ترفض علماً كهذا لن ينتهى إلا بتحطيم حياتنا وشل إرادتنا وتقويض دعائم الهيئة الاجتماعية التى نحيا بينها ؟

هذا هو الدرس القاسى ، الدرس الصارم النافع الذى تلقيته عن الشيخ فى مستهل حياتى ، رويته اليوم راجياً أن تتدبره شبيبتنا الناهضة . ولقد تذكرته إذ قرأت فى إحدى صحف المساء مقالاً لشاب أكبر الظن أنه حديث التخرج من قسم الفلسفة بالجامعة ، ولقد رأيت شابنا المسكين يتحدث عن « مكافحة الأميين فى ضوء علم الاجتماع » فيزعم أن هذه المكافحة ستجرى ضد قوانين علم الاجتماع المزعومة ، وأنها لذلك لن تنجح لأن عقلية الفلاح ليست عقلية حضارة وعلم ، وإنما تصبح كذلك بعد أن تنتشر الصناعة فى مصر ، وذلك لما رواه عن دركايم وتلاميذه من أن لكل شعب عقلية تتكيف بتاريخه ونوع نشاطه الاقتصادى وما إلى ذلك مما ينتهى بخلق ما سماه طالبنا نقلاً عن هؤلاء العلماء « بالعقل الجمعى » ، وهذا هو موضع الداء، فطلابنا يرددون اصطلاحات علمية لا يحسنون فهم مدلولاتها فهم الناقد المستنير، وتبلغ بهم القحة أن يكتبوا للصحف فيما لا يفهمون غير واعين بما قد يكون فى هرائهم من تثبيط لهمم أفراد الشعب الذين لم يصيبوا من العلم الزائف مثلما أصابوا . وهأنا أتى عليه درساً مثل الذى سمعت فى أول حياتى :

لا يا بنى ليس هناك عقل جماعى كما زعمت أو زعم لك دركايم ، وإنما هناك عقل فردى ، هناك إرادة حرة ، إرادة يجب أن تستيقظ فى قلوب أمثالك فتهدم الصخر . لا يا بنى ليس هناك جبر تمليه قوانين مزعومة ، وإنما هناك نشاط حر ، نشاط لا يعرف اليأس . وكم أحزننى من شاب مثلك أن يقول بقيام قوانين تقف دون إرادة هذه الأمة ، التى أنت أحد أفرادها ، فتردها عن أهدافها القومية . أقلع عن اليأس وبشر بالأمل ، وإذا سمعت من حولك من يرمى هذه الأمة بالسوء فرد قوله ، وآمن بأنه مهما بلغ بنا الفساد فنحن لا بد مقوموه ، وأن حافزنا الأول إلى هذا التقويم سيكون العلم الصحيح الذى يؤمن بأن النشاط الإنسانى حر، وأن إرادتنا لا بد آتية على كافة الصعاب كما أتى مصطفى كمال على صعاب تركيا وستالين على صعاب روسيا ، دون أن يقف أمامهما عقل جمعى أو قوانين اجتماعية .

محمد مندور

بقية الحديث عن حرية الفكر

للأستاذ دريني خشبة

لم أشك مطلقاً فى أن الدكتور زكى مبارك كان يمزح حينما شكا من التضييق على حرية الفكر فى زمننا هذا. وفى أن تباكيه على حرية الفكر فى العصر الذهبى للتصوف الإسلامى كان دعابة ظريفة من دعاباته التى لا تنفد ... وذلك أن الدكتور زكى رجل قوى الذاكرة. ولا يمكن أن يكون قد نسى ما نقله فى كتابه المظلم الخالد عن التصوف، عن كتاب اليواقيت للشعرانى، حيث يقول: (ج ١. ص ١٩٣)

« ولا يخفى ما قاساه الإمام أبو حنيفة مع الخلفاء، وما قاساه الإمام مالك واستخفاؤه خمساً وعشرين سنة لا يخرج لجمعة ولا جماعة، وكذلك ما قاساه الإمام الشافعى من أهل العراق، وأهل مصر [1] وكذلك ما قاساه الإمام أحمد بن حنبل من الضرب والحبس، وما قاساه البخارى، حين أخرجوه من بخارى إلى خرتنك

« وقد نفى أبو يزيد البسطامى سبع مرات من بسطام بواسطة جماعة من علمائها؛ وشيعوا ذا النون المصرى من مصر إلى بغداد مقيداً مغلولاً. وسافر معه جماعة من أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة. ورموا سمنون المحب بالعظائم، ورشوا امرأة من البغايا فادعت عليه أنه يأتيها هو وأصحابه، واختفى بسبب ذلك سنة. وأخرجوا سهل بن عبد الله التسترى من بلده إلى البصرة ونسبوه إلى قبائح وكفروه مع إمامته وجلاله، ورموا أبا سعيد الخراز بالعظائم، وأفتى العلماء بكفره بألفاظ وجدوها فى كتبه، وشهدوا على الجنيد بكفره مراراً حين كان يتكلم فى التوحيد على رؤوس الأشهاد. فصار يقرره فى عقر بيته إلى أن مات

« وأخرجوا محمد بن الفضل البلخى من بَلْخ لكون مذهبه كان مذهب أهل الحديث من إجراء آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها بلا تأويل والإيمان بها على علم الله فيها، ولما أرادوا إخراجه قال: لا أخرج إلا إن جعلتم فى عنقى حبلا ومررتم بى فى أسواق البلد، وقلتم هذا مبتدع نريد أن نخرجه من بلدنا، ففعلوا ذلك وأخرجوه، فالتفت إليهم وقال: يا أهل بلخ، نزع الله من قلوبكم معرفته! الخ ...

« وأخرجوا أبا عثمان المغربى من مكة مع كثرة مجاهدته وتمام علمه وحاله، وضربوه ضرباً مبرحاً، وطافوا به على جمل، فأقام ببغداد إلى أن مات!

« وشهدوا على الشبلى بالكفر مراراً مع تمام علمه وكثرة مجاهداته، وأدخله أصحابه البيمارستان ليرجع الناس عنه مدة طويلة!

« وأخرجوا الإمام أبا بكر النابلسى مع فضله واستقامته فى طريقته من المغرب إلى مصر، وشهدوا عليه بالزندقة عند سلطان مصر، فأمر بسلخه منكوساً، فصار يقرأ القرآن وهم يسلخونه بتدبر وخشوع، حتى قطع قلوب الناس، وكادوا يفتتنون به!!

ورموا الشيخ أبا مدين بالزندقة وأخرجوه من بجاية إلى تلمسان

وأخرجو أبا الحسن الشاذلى من مصر وشهدوا عليه بالزندقة

ورموا عز الدين بن عبد السلام بالكفر، وعقدوا له مجلساً فى كلمة قالها فى عقيدته وحرشوا السلطان عليه

ورموا تاج الدين السبكى بالكفر وشهدوا عليه أنه يقول بإباحة الخمر والفاحشة، وأنه يلبس فى الليل الغيار والزنار وأتوا به مغلولاً مقيداً من الشام إلى مصر ... الخ ... الخ »

وبعد ... فتلك صفحة عجيبة من تاريخ الاضطهاد الفكرى نقلها صديقنا الدكتور زكى بقلمه عن كتاب اليواقيت ... وهو كما قدمنا رجل ألمى أريب قوى الذاكرة ... فلا يمكن أبداً أن يكون صادقاً حينما ينعى حرية الفكر فى مصر اليوم، ويتباكى على حرية الفكر فى العصور الذهبية للتصوف الإسلامى. ولكن الممكن أن يكون مداعباً كدأبه ... وإلا فماذا حدث فى مصر الحديثة لرجال التصوف المنبثين فى كل حدب وكل صوب. أو ماذا حدث للذين يعلنون اليوم جهرة أنهم يؤمنون بنظرية وحدة

(١) استعرض الدكتور زكى هذه الصفحة المحزنة فى بحثه الطريف عن (كتاب الأم).

الوجود التي خرجوا منها بأن الله هو هذا العالم — أو هذا الوجود المطلق الكلي — وأن محمداً هو مبتدع تلك النظرية ، كما أنه مؤلف القرآن ، وأن كل ما جاء به ، صلوات الله عليه من أنباء الغيب لا يمكن أن ينهض له العقل . فلا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ولا ميزان ولا صراط ... وأنه لا داعي لأن يدعو الإنسان ربه ولا أن يصلي له ... لأن دعاءه وصلاته لن يغيرا من قوانين الأقدار شيئاً ... وأن المتضادات أمام الله سواء ، لأنه هو الهادي وهو المضل ، وعليه ، يكون الفجور كالتقى ، والشر كالخير ، والسجود بين يديه مثل إكباب المرء على حليلته ... إلى آخر هذا الهذيان الذي اجترأ بعض فلاسفة زماننا أن يرددوه مؤمنين به ، ومع ذلك فهم يسرحون ويمرحون ، لم يعرض لهم أحد بشر ، ولم يأخذهم أولو الأمر بذنوبهم . فلم يقيدوهم بالأغلال ، ولم يحملوهم على الجمال ولم يسلطوا عليهم البغايا ، ولم يسلخوا جلودهم أحياء ولم يرسلوا بهم إلى مستشفيات المجاذيب ، ولم يسلطوا عليهم الصبية يرجونهم بالحجارة ...

لم يصنعوا بهم شيئاً من هذا ، مع أنهم غلوا أضعاف ما غلا أسلافهم ... ألا ترى يا أخي أنهم اجترأوا فقالوا إن القرآن هو كلام ألفه محمد ؟! ألا ترى أنهم أنكروا ما جاء به محمد جملة ؟! وهم قد صنعوا ذلك وأثبتوه في كتب طبعت في العراق وأرسلت إلى مصر فدخلتها دون أن يعترضها معترض ، كما دخلت جميع الأقطار الإسلامية دون أن يقف في سبيلها شيء ... ولماذا يقف في سبيلها شيء ما دامت أقلام المسلمين في أيديهم ، وما دامت عقولهم في صدورهم — ورؤوسهم — يا دكتور زكي ؟! ليقل الزنادقة ما شاءوا ، ولينشروا من كتبهم ما أرادوا ، آمنين مطمئنين ، ما دام هذا الزمان الذي كانت الدولة تسلخ فيه جلودهم وهم على قيد الحياة قد مضى ... لقد أبصرت الدولة اليوم ، ولقد أبصرت الأمة الإسلامية ، فهي لم تعد تلجأ مع الزنادقة إلى تلك الوسائل الهمجية من التمثيل والتعذيب ، وما نهى عنه الإسلام الصحيح الصادق من ضروب المثلة ... لكنها تلجأ إلى وسائل أحزم وأوسع مدى في حرية الفكر ... إنها تلجأ إلى يقظة الضمير الإسلامي في أقلام أبنائها فتزيف الأفكار الفجة ، والآراء السقيمة ، فلا يكون زيغ ، ولا يكون إضلال ، ولا يكون إيمان أعمى بنظرية وحدة الوجود بتخريجاتها المضحكة التي انتهى إليها هذا الأستاذ الجليل ، الشيخ معروف الرصافي

على أن الذي يغيظني منك يا صديق الطلاقة المفضال هو استعدادك في البكاء على حرية الفكر ، وهذه كتبك القيمة كلها تحمل من الجراءة ومن الأفكار الحرة ، بل الأفكار الطليقة السائبة التي لا تحفل بشيء ، ما تحمل ، وهي تنتشر مع ذاك بين المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية انتشاراً عظيماً ، دون أن ينقم منها أحد شيئاً ، إلا ما استدركه عليها مناظرك الفاضل من ملاحظات يوافقه الناس على بعضها ولا يوافقونه على بعضها الآخر ... وما أريد أن أدخل بينكما الآن ... ولكني أردت أن أنفذ من ذلك إلى الاعتذار إليك مما قلته الآن عن بعض أفكارك ، والتمييز عنها بأنها طليقة سائبة لا تحفل بشيء ...

هل تذكر يا أخي أن الحلاج مات كافراً — ولو من وجهة النظر الإسلامية — لأنه يزعم للناس أنه الله ؟ وهل تذكر أنك كنت الكاتب المسلم الوحيد الذي دافع عن الحلاج ، بالرغم من قوله هذا ، وأنك لم تكن تبالي بإتباع اسمه كلما ذكرته بهذه العبارة الغالية : رضي الله عنه !

لشد ما تضحكني منك روحك الحلوة المفتونة بالدعابة وخبيث المزاح !

الحلاج رضي الله عنه ! أي والله يا دكتور زكي ، إنك تحسن استغلال حرية الفكر في مصر ، وتحسن استغلال سعة صدور المسلمين !

على أنك نسيت ، بالرغم من قوة ذاكرتك أنك ، وأنت تشكو من التضييق على حرية الفكر في مصر . كنت أول كاتب جريء استطاع أن يدافع عن شيء يعتبر الدفاع عنه شيئاً مضحكاً جداً ... بل شيئاً مثيراً لعواطف المسلمين ... جالباً لسخط الله والناس ... فهل تذكر عم دافعت ؟! أنا أذكرك إن كنت قد نسيت ... لقد دافعت في كتابك القيم ـ التصوف الإسلامي ـ عن المعاصي ... أي والله يا أخي . لقد دافعت عن المعاصي دفاعاً مضحكاً حاراً في أكثر من خمس صفحات كتابك

المجيد الذى لا يخلو من تلك (البُقع) المسلية ... لقد فعلت فعلتك الظريفة هذه بمناسبة ما يقوله الجيلانى عن تساوى العاصى والمطيع أمام الحق ... أى أمام الله ! ولكن لامندوحة من تسجيل قطعة من دفاعك ذاك فاسمع :

« ... وكيف يكون فهمنا لعظمة الله إذا حرمنا الشقاء بالعواطف والشهوات والأهواء ؟ كيف كنا نعيش لو خلت دنيانا من اللهو والفتون ؟ كيف كانت تطيب دنيانا لو لم نطع الله بالعصيان ؟! كيف يكون العقل لو خلا من التمرد والثورة والاعتساف ؟ إن أجل أثر أدبى تركه الأولون هو «سفر أيوب» وإنما كان كذلك لأن ناظمه وقف وبه أمام ساحة الجزاء !

إن أقوى الأغانى والأناشيد هى أنفاس الملتاعين من الذين قارعوا فتن الوجود !

إن أعاظم الرجال هم الذين نقعوا أرواحهم فى بحار الشهوات !

إن أقوى القلوب هى القلوب التى واجهت سرائر الليل !

إن أعظم النفوس هى النفوس التى عاقرت كؤوس الغل والحقد والحب والهيام !

إن أعظم العقول هى العقول التى اصطرعت فى ميادين الشك واليقين !

حدثونى عن رجل واحد بين العظماء شهد تاريخه بأنه احترم العرف والقوانين والتقاليد ! إن الرجل العظيم هو الحوت الذى يسير كما يشاء ، ومن سواه من الصغار هم صغار الأسماك التى تساير التيار لتقع فى شباك الصيادين !

... والشر ينفع كل النفع ، فهو الذى يحولنا من ناس إلى حكماء ، وينقلنا من مراتع الحملان إلى مرابض الأسود !

وماذا غنمنا من سيادة الشرائع (!!) والقوانين ؟!.. غنمنا العدل ! وهو كذلك ! ولكن أى عدل ؟ إنه العدل الأعرج الذى سمح للضعفاء والمهازيل بأن يكونوا من قادة الشعوب ! » الخ

فهل رأيت يا أخى كيف كنت أجرأ مخلوق على وجه الأرض ، أوتى من حرية الفكر أن يدافع عن المعاصى والشهوات هذا الدفاع الحماسى المتأجج ، دون أن يناله شر ، ودون أن يفتك الناس به ، ودون أن يطارده القانون !

ولكن لا بد من اقتباس الفقرة التالية أو الفقرات التاليات التى تدل على أنك تبلغ أحياناً تلك المرتبة من مراتب (ما وراء الشجاعة) :

« وبفضل تقدم الضعفاء ، وتخلف الأقوياء ، صار الشرقيون من المستعبدين ! وهل كان للشرق قوة إلا يوم صح لأنبيائه وزعمائه أن يروا لأنفسهم مزايا ليست لسائر الناس ؟ وهل استطاع النبى محمد أن يستبيح من الزوجات ما لا يستبيح لأفراد أمته ، إلا وهو يرى أنه أقوى الرجال ! »

فهل رأيت يا صديق كيف سولت لك جراءتك أن تقول هذا الكلام العجيب عن محمد بن عبد الله الذى جعلته شهوانياً أنانياً يؤثر نفسه بما لا يسمح به للمؤمنين ، لأنه رجل قوى العضلات ؟ وأنت تعلم أنه عاشر السيدة خديجة عليها رضوان الله منذ أن كان فتى حتى توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات ، أى بعد ما نيف على الخمسين أو شارفها ، لم ينظر إلى امرأة غيرها قط ولا اشتهى أن يتزوج قط حتى توفيت . فإذا قبضها الله إليه وحدثت هذه الزيجات الكثيرة بعد ذلك . جئت أنت لتقول فى جرأتك المعهودة إنها زيجات كان سببها قوة عضلات محمد التى جعلته أنانياً يؤثر نفسه بما لا يسمح به للمؤمنين !

ها أنت ذا قد قلت ذلك كله ودافعت عن الحلاج ما دافعت مع علمك بكفره لزعمه أنه الله ... فماذا حدث لك ! ماذا نالك من المطاردة والنفى والحمل على الجمال والسلخ مما نال المتصوفة فى العصور الغابرة ؟! ماذا تريدون أن تقولوا غير ما قلتم ؟ أفتونا فى حرية الرأى هذه كيف تكون بعد هذا كله ؟ إن الجامعة التى هى جزء مقدس من الدولة التى دينها الرسمى هو الإسلام قد منحتكم إجازة الدكتوراه على الرسالة القيمة التى تقدمتم بها إليها بالرغم مما بها من هذه البقع الكبيرة ، وقد منحتكم تلك الإجازة مع مرتبة الشرف تقديساً لحرية الرأى ، فأى حرية تريدون بعد هذا ؟ أتريدون الشىء الذى يأتى فى الترتيب بعد الحرية ؟!

أخى الدكتور زكى ... أرجو ألا يغضبك هذا الحق ... وأرجو أن يعجبك ما أكتب عن الرصافى ، لأنى أكتب لغرض أسمى أنت تعرفه .

دريني خشبة

القرآن فى الاذاعة العالمية

اقتراح عملى جديد

للأستاذ حامد مصطفى

فى هذا الميدان العظيم من دعاية صاخبة بين الأمم والجماعات ، دعاية تثور وتصخب وتقوى وتشتد حتى تشمل العالم جميعه ، وتأخذ بمجامع القلوب ، وتفتن الألباب — فى هذا العالم المائج المضطرب بالفتنة والحروب . يقف الشرق الإسلامى هادئاً متثاقلاً كأنه حاشية من جرم المريخ لا وسط من هذه الأرض . هدوء غريب كأنه مركز الإعصار الفارغ من حوله الحركة والهياج والدوران . إن العالم اليوم يقف على منقطع من جادة الحياة ، ولا بد لكل أمة أن تسير فتجتاز هذا المنقطع ، وإن لم تفعل انبتّ بها الطريق وتعرضت للفناء . وفى هذه الفترة القصيرة من تاريخ البشرية لا تكاد تجد أمة لم تأخذ من الحياة الجديدة بنصيب ، أو لم تنتفع من هذه الظروف القائمة الانتفاع الذى لم تحلم بمثله من قبل . والدعاية التى خلقتها عوامل الحرب الناشبة من أهم ما أفاد الأمم وأتاح لها التعريف بنفسها ، والتقدم بما تملك من مواهب وثروة ، وما تعانى من متاعب ومصاعب ، وسوف لا تنتهى هذه الحرب حتى تهتدى كل أمة إلى مكانتها من العالم وقيمتها فى الوجود ، وتجد أحسن الحلول لمشكلاتها فى السياسة والاجتماع والاقتصاد

إننا نريد من هذا الخلوص إلى موضوع جدير بالعناية والبحث ، له من العناصر والظروف الحاضرة ما يوجب الالتفات إليه والاهتمام له . أعنى بذلك القرآن من حيث هو كتاب عالمى يكون أساساً للدعاية إلى مبادئ الإسلام ، وعرضه على العالم عرضاً يوائم أساليب العصر الحديث . فالإسلام بوصفه ديناً عالمياً ، له من قواعده وأخلاقه ما يجعله سهل الفهم والقبول بين الجماعات البشرية فى كل زمان ومكان . وذلك ما يسهل إعلانه والدعوة إليه . إن أحوال العصر الحاضرة تتطلب مجاراة العالم والدخول معه لا فى ميدان الحرب ، ولكن فى ميدان السياسة والاجتماع . وإذ كان العالم اليوم يبحث عن أجدى الحلول لمعضلة الإنسانية الحاضرة . فإن الإسلام ليجد من نفسه الكفاية لعرض أنفس المبادئ التى يعتقد أن فيها ما يساعد على شرح الأزمات الإنسانية وعلاجها علاجاً يضمن لها السلامة والشفاء . ولقد جرب العالم نظريات شتى بعضها خاب وبعضها نجح نجاحاً ضعيفاً ، ولكن الإسلام بقى نظرية اجتماعية ثابتة ، عرفتها الإنسانية قروناً ، وعمل بها البشر أحقاباً طوالاً حتى ثبتت عقيدة وعملاً ومنهاجاً فى الحياة ، وظهر صلاحها وموافقتها لحاجات الناس فى معاشهم ومعادهم . وحرى بالعالم اليوم أن يتعرف بالإسلام ، ينشد منه خططاً جديدة إلى جانب ما ينشد من خطط ونظريات . وحرى بالمسلمين أن يكونوا هم العاملين على تحقيق هذا القصد . وأن يسلكوا إليه هذه السبيل الممهدة التى عبدتها الحرب القائمة فجعلت منها ميداناً لكل غرض نبيل ورأى جليل . أعنى بذلك الأذاعة العالمية التى تتمتع منها العربية والمسلمون بحظ لا يقل شأناً عن حظوظ كثير من الأمم الأخرى

إن على المسلمين اليوم أن يتقدموا إلى الإنسانية بمبادئ الإسلام وعقيدته ، وما فيه من قواعد اجتماعية تكفل سلامة الأمم وضمان الحقوق وهناءة المعاش . فالعالم اليوم أحوج ما يكون إلى بسط نظرية الإسلام فى تنظيم الكون . وكل تقصير فى هذا يقع على عاتق المسلمين ، ويعذر من نتائجه سائر الناس . وفى العالم اليوم من يتحرى الوسائل الشافية والعلاجات الناجعة من أى مصدر أتت ، ومن أى الوسائل وردت ، لا يتعصب لرأى دون رأى ، ولا لنظرية دون أخرى . إذ ليس المقام مقام تبشير بدين وإنما هو تعريف لعلاج مجرب ، وقواعد مطابقة تعرض كما يعرض سائر النظريات والآراء على ألسنة الخطباء ، وأقلام الكتاب فى المؤتمرات وفى الصحافة وفى التأليف

والوسيلة الجامعة للتعريف بمبادئ الإسلام ، القرآن نفسه ، يعرض بأوسع اللغات الحاضرة ، أسيرها ذكراً وأعلاها مقاما . ولا تنافس الإنكليزية فى هذا الميدان لغة ثانية . ولا نعنى بعرض القرآن باللغة الإنكليزية ترجمته بها الترجمة الحرفية ، إذ أن هذه معضلة يظهر أنها لم تذلل بعد . وهى إلى جانب ذلك لا دخل لها فى بحثنا هذا . إننا نعنى أن يؤدى القرآن بمعناه أداء مطابقاً بحيث يفهم منه باللغة الأجنبية ما يفهم منه بنصه العربى . وذلك يقتضى اجتماع لجنة من علماء أكفاء ومترجمين مسلمين حاذقين . يجتمعون على معنى القرآن آية بعد آية ، وكلما أتموا يسيراً منه فأقروه واتفقوا عليه وجه به إلى الأذاعات التى تذيع القرآن

ذكرى عيـــد (*)

للأســتاذ منصور جاب الله

تجرّمت سنون وسنون عهدت فيها قومي إذا ما أظلهم العيد، فزعوا إلى قبور تملأ الرحب، ويتيه دون حصرها البصر، فظلوا هنالك الساعات الطوال يبكون آباءهم وآباء آبائهم، فإذا جنّهم الليل نووا إلى دارهم، وكأنما العيد في أنفسهم أشجان وأوصاب وآلام.

وإذ أنا طفيل لا أميز درجت على محاكاة هذه العادة، حتى أمسيت معيداً لها وتعلقت مني بالطبع، فما دلف عيد إلا وجدتني أهرع إلى المقابر أخط بين شعابها، وما أحسب أن هذي الأجداث كان لها يومئذ وحي في قلبي أو صدى في نفسي

لقد كانت النفس كابية بليدة، والطفل مادي بطبيعته لا يأخذه إلا ما تعلق بالحس ورمز إلى الفهم، وكان من لطف الله بي أن جمل طفولتي ماتمة بائمة، وكفل لي في ريّق الصبا الهناءة والمسرة، ومن لطفه أن خلى لي والديّ وإخوتي، فلم أفجع في أصل من أصولي، ولم أرزأ في فرد من حاشيتي إلا من توفي في المهد، وسمك ستار النسيان بيني وبينه، وتراخى دون ذلك حبل الزمان

وإذ تتصل النفس بهذا، ويعدّ لها في أسباب المرح، وأغدو في صحبة من لداتي متهللين مفارح، لا يكون عليّ من حرج إذا زعمت أني كنت أرى قبور السابقين من أهلي وعشيرتي بعين لا ترى في الحياة إلا كل سار بهيج، وأنها كانت مني بمنزلة الأرجوحة ومقام الألعوبة، ألهو بألوانها وتزويقاتها كما ألهو بأحماض الحياة الأخرى

ولا أحسبني بكيت مرة ولا اعتبرت ولا استعبرت إذ أطالع رقيم قبر تدلي صاحبه إليه منهد قريب

لقد رأيتني من الموت بمنجاة، فما فكرت فيه، ولا

(*) كتبت في يوم عيد

اليوم من غير انتظار إلى الفراغ من المشروع كله. حتى إذا ما تم العمل كان سهلاً مألوفاً بما قرئ وسمع وتردد بين الناس، وكان له انطباع عام في أذهان العالم يساعد على بسط عناصره وشرح مجمله، فتتولد بذلك النظرية التي يريد الإسلام عرضها على الناس. ومصر وحدها هي الجديرة بهذا العمل الجليل وإليها نتقدم به. من هذه الطريقة يتعرف العالم بالإسلام، ويجد فيه من دون ما عنت، ولا إرهاق الوجوه التي قد تعجبه في علاج الأزمات. والعالم اليوم لا يجد حرجاً في السماع لكل قول والتعرض لكل رأي، يقرأ ذلك في الكتب أو ينصت له في الأذاعات أو يعرض على أنظاره في المشاهد

إن العالم اليوم ليعرف القرآن من طريق الأذاعة، ولكنه لا ينجذب إليه ولا يأبه به، لأنه إنما يطرق الأسماع بنصه العربي. وليست العربية لغة شائعة ولا هي ضرورة من ضرورات الثقافة العالمية. وكل ما يراد من إذاعة القرآن اليوم إنما هو غرض دعاويّ بحت يقصد منه التحبب إلى المسلمين واجتذابهم بالنغمة الناعمة الساحرة. والعالم الإسلامي لا يجتني أية فائدة من هذه الطريقة التي يذاع بها القرآن، كلا ولا العالم يستفيد شيئاً من القرآن بهذه الأذاعة. وإذا نحن استمررنا على الرضاء بهذه الحصة الفارغة من الأذاعة العالمية فستنقضي الحرب، وتستغني الأذاعات الأجنبية عن القرآن. وبذلك نضيع أمكن فرصة اغتنمتها البشرية لا جتناء أكبر الفوائد وأحسن النتائج، ونضيع على العالم عروضاً قد يستفيد منها ما يؤدي إلى أفضل مما يصل إليه وهو على جهل بهذه العروض

إن في الإسلام يقيناً لعلاجاً لأزمات الإنسانية الحائرة، وإن فيه لأسساً قويمة في الحياة؛ في الدولة والتشريع. وفي الاجتماع والمعاش، وإن فيه لصلة روحية تسمو بالإنسان عن طغيان الشهوات والميول الفاسدة، وتفترض بين الأفراد وحدة عالمية لا غنى عنها لبعض دون بعض، وفي القرآن الشيء الكثير مما يهتدي إليه الباحث المجد. فلنتقدم بالإسلام بين هذه الفروض والأسس التي تقترح لإعادة بناء العالم، والأذاعة العالمية زعيم بإبلاغ القرآن إلى كل قلب بعد أن شغفت به كل أذن. وإلى مصر نتوجه بهذا الرأي.

(بغداد)

حامد مصطفى
مدرس بكلية الحقوق

استكنهته ، ولا عرفت شيئاً عن برزخ الموتى ، ولو أنى جوّاب فى مدينة الأموات !

بيد أن شيطانى لقد ذهب فى غلوائه بعيداً ، فحدثنى بالخلود حين أجول فى مدينة الأموات أرقب صخور مقابرهم تهشمها يد الزمان ، وتأتى على حجارتها وطلالها عاديات البلى ، فتهدها هداً وتمهدها أجداثاً لقوم آخرين

لكنما كان يتغشانى فى بعض الحين خشوع لا يستعلن لى كنهه ولا يستبين أمره ، فأوقن فى نفسى بأنى لا محالة مائت فنتقل إلى غير هذه الدار ، وأنى ملاق حسابيه ، ولا يتداخلنى الشك فى ثواء الجنة !

ولعل مرجع هذا إلى العقيدة ، وإلى الأوالى من التلقينات الدينية ، وردُّ كل منزع فى نفس الإنسان إلى أصله ليس فى العلم بكثير

***

وأيفعت وطر شاربى ، وعرانى ما يعرو الشباب عادة من اجتراء العقل ومحاولته بسط نفوذه على سائر مشاعر الإنسان ما تعلق منها بالحس ، وما تعلق بالروح والمعنى ، فأقلعت عن زيارة المقابر فى يوم العيد ، وعدلت بهذا الدافع عن جهته ، وصرفته إلى ما حسبت أنه خير من مشاهدة قبور الموتى المكتئبة الباهتة ، ولم تكن فى ديدنى لتعدو صورة من صور الحياة تغاير ما يقع عليه الحس من ألوان الصور . غير أن الكآبة رانت على قلبي فرأيتنى أنزع إلى الاعتكاف فى الدار طوال أيام العيد ، وكأنما كنت أستحس فى ذلك معنى العيد !

وطال عهد الهجر بينى وبين مدينة الأموات وأهلها الثاوين

***

ثم اكتاد لى الدهر مصطنعاً مع القدر مؤامرته ، فأوقع بى الضربة على غرة منى ، وتسلل الموت إلى أبى فى موهن الليل إذ الناس رقود كأنه خشى أن يختلسه منى على أعين من الناس !

عرفت إذ ذاك معنى الموت ، وفهمت أنه لحياة بداية ، وللحياة نهاية ، وأدركت أنه لابد مختزى على وجه الأيام ، وإن وصلت بالعمر أحقاب وأجيال وأعوام ، وما اخضل عود إلا ليختضر ، وما طال عمر إلا ليقتصر !

كذلك قضى الله بقضائه الحق ، وخرجت يوم العيد أسعى أول ما أسعى إلى جدث والدى أترحم عليه وأقرؤه السلام ، وإذ أقف منه على مقربة إذا بالدمع ينبجس ويطفر ، وإذا بالصدر يشهق ويزفر ، وهذه الأحشاء تغلى وتفور ، وهذه الأرض ترتج بين يدى وتمور ، والفؤاد منى يتواثب ويصطرع ، والكبد تكاد تنشعب وتنصدع . ويا له من يوم عصيب !

ما أقسى العيد على القلب الوجيع !

يا لله لقد تغير المعنى الذى كنت أحس يوم كنت أرى المقابر إلى معنى آخر لا يتعلق به الوصف حين شهدت مقبرة أبى ! وفقهت مغزى غير ما عرفت من حكمة زيارة القبور ، إنها تمنى رسالة الموت إلى الحياة ، أو خطبة الأموات فى الأحياء واستمداد معنى الحياة من الفناء

وعظتنى يا أبت حياً وميتاً ، ولقد والله كنت فى موتك أبلغ مقالة من منطق الحياة والأحياء ، ومن يأس الموت بعثت فى قلبى حىّ الرجاء ، فهمت منك فى موتك ما كنت أسمعه منك فى حياتك ، واستوحيت من صمتك ما كنت أعرفه فى كلامك ، وفقهت من همودك ما ألهمتنى حركتك .

كنت فى الممات بليغاً مبيناً أن كاد ليقذف فى روعى أنى أسمع مقال خطيب ، أو قصيد شاعر طويل النفس قوى الجنان

وكنت أعيب على من يبنى القبور ، هذه النصب يقيمونها كالأوثان ، فترد الذهن إلى ما كان الأقدمون يسوّون لعبادة غير الله ، حتى إذا مات أبى رأيت غير ما كنت أرى بعين القلب والعاطفة ، لا بعين العقل والتفكير

أقاموا له بين الأجداث قبراً فكأنما هو تذكار لقلبى وأثر لوجدانى ، وإذا أنا أحس لهذا الحجر القائم حقيقة تقول إنه قائم فى قلبي تضمه أضالعى ، وكأنه موسيقى الوجدان ، أو سطر الحياة فى لوحة الزمان .

لقد صار لى بين المقابر بنية ، وفى أرض الأجداث سهم ، وثوى أبى إلى ربه راضياً ، فهو فى الأموات ميت ، ولكنه فى نفسى حى ترجى إليه تحيتى فى يوم العيد

« الرمل » منصور جاب الله

هنريك إبسن (*)

الروائى النروجى

للأستاذ وديع فلسطين

يجد الباحث السيكولوجى فى حياة هنريك إبسن أديب نروج الأول ، مادة لا تنضب ، ومعيناً لا يجف من الدراسات النفسية والانفعالات القوية التى قلما تتوفر فى حياة رجل سواه .

وُلد هنريك ، أظهر شخصية فى الأدب المسرحى الحديث ، عام ١٨٢٨ فى ميناء سكين Skien الصغير على الساحل الجنوبى لنروج ، وهو ميناء وهبته الطبيعة جمالاً ، أضفى على جباله زهواً وشموخاً دونه زهو جبال لبنان وشموخها

وفى كنف والده ، التاجر الثرى ، قضى هنريك سنى عمره الأولى متمتعاً بصيت أسرة من أعرق الأسر وأشرفها . ولكن الدهر قُلّب ، والحال لا تدوم ، والنعمة ليست مقيمة . فما أن بلغ الثامنة من عمره حتى مُنى أبوه بضياع ثروته كلها فى عملية تجارية خاسرة ، واضطرت الأسرة إلى الانزواء فى مزرعة صغيرة على مشارف القرية . وازدادت أحوال الأسرة سوءاً على سوء ؛ وتتابعت عليها الملمات من كل حدب وصوب ، فلجأ إبسن إلى معاقرة الخمر يدفن همومه بين كؤوسها ، ويذيب محنه بين قرع أقداحها . وإزاء الفاقة القاتلة والحاجة الملحة ، وإزاء هجرة الأصدقاء وتنكر الدهر ، انكمش هنريك الصبى المرهف الحس إلى داره ، وعشق الوحدة ، وانطوى على ذاته يبثها همومه ويمعن فى دراستها وفحصها . فأخذ يحاول تنمية الرسم والتصوير فيه . ولكن الفقر حال دون تقدمها . فهجر الرسم إلى دراسة الطب . وفى الخامسة عشرة من عمره عمل فى صيدلية بمدينة جرمستاد . فكان يعاون صاحبها فى مد سكان المدينة الثمانمائة بما يحتاجون إليه من مختلف الأدوية ومتنوّع العقاقير ، وظل خمس سنوات فى تلك المدينة يجرع الحياة بالكد والكدح والعناء ، ويقضى أيامه تحت رحى الفقر الساحق والعوز المضنى ، فنمت فيه روح الثورة الفكرية ، وترعرعت بين جنبيه روح الانقلاب على العُرف والرغبة فى التحرر من قيوده

وكان إبسن خلال هذه السنوات الخمس يدرب نفسه على مراس أنواع الكتابة المختلفة ، وخرج من ذلك عام ١٨٤٩ بمسرحيته الأولى « كاتالين » Cataline ، وهى مسرحية شعرية ثورية طبعت بعدئذ على نفقة صديق له

ثم قصد « إبسن » ضاحية كريستيانيا بمدينة أسلو ، للالتحاق بإحدى الجامعات ، وهنالك تعرف بعدد من الشبان الأوغاد ومن بينهم « بجورنسن » Björnson الذى بادله صداقة بصداقة ولازمه إلى نهاية عمره ، غير أن صداقتهما كانت تتعرض بين الحين والحين إلى الخصام الوقتى والجفاء القصير الأمد

وبما لصديقه أول بُل Ole Bull ، لاعب الكمان الأشهر من نفوذ ، عُيِّن هنريك إبسن عام ١٨٥٠ فى المسرح الصغير بمدينة برجن ، وكان يقوم بدور شاعر المسرح وراويته ، ثم عمل فى لجنة مطالعة المسرحيات ، وفى لجنة كتابتها ، ثم عمل مديراً للمسرح ، فأصاب من كل هذا اختباراً مهد له سبيل الظهور ، وإلماماً بدقائق المسرح وتفصيلاته مكنه من تصميم المناظر فى روائع أدبه ، كمهندس بارع ومفتن قل من يجاريه أو يدانيه ...

وفى عام ١٨٥٨ ، تزوج إبسن من الآنسة سوزانة تورسن Susannah Thoresen وهى فتاة من برجن ذات شخصية قوية وعقل راجح ؛ فكرست حياتها لمساعدة زوجها على تحقيق أمانيه ، وتوسيع مدى نشاطه . فكانت له نعم الزوج ، ونعم الرفيق ...

وإذ كانت حرب دانماركة مع بروسيا مشتعلة الأوار عام ١٨٦٢ غادر هنريك إبسن نروج إلى روما مزوداً بإعانة حكومية قدرها أربعمائة من الجنيهات . وفى تلك الحاضرة الخالدة كعبة الأمبراطورية الرومانية الزائلة ، ازدهرت فى إبسن ملكة الشعر وتأصلت ، وتفتح أفق خياله متخذاً لوناً جديداً وأسلوباً جديداً . فكانت أول ثمرة نضجت له فى هذا المهجر مسرحيته الشعرية Brand التى امتدحت حال ظهورها ، واستقبلت من الجمهور بنهم عجيب . فأخذ إبسن يصعد درجات الشهرة الظافرة

(*) Henrik Ibsen

وجهة نظر ...

للأستاذ محمود عزت عرفة

عندما استويت على مقعدى فى مرسم المدرسة وعرفت المهمة التى كلفنا بها أستاذنا ، أدركت فى لحظة أنى مغبون مغبون .

كان أمامي نموذج مجسم للفيل عليّ أن أرسمه كما يتراءى لى وأنا فى مجلسى دون ما تصرف ولا تغيير . ولم أكن أشهد لهذا النموذج خرطوماً ولا رأساً ولا قائمتين أماميتين ، دعك مما يتصل بكل هذا من صدر وعنق وأذن وعين وناب ... حتى جفرتا الفيل على انبماجهما لم تكونا من عينيّ بمرأى .

وعجبت كيف يكون منظر فيلى بدون هذه الأشياء جميعاً . إنه لن يكون أكثر من خطين غليظين بينهما خط قصير دقيق . والتمعت إذ ذاك فى ذهنى صورة القصلة التى ينصبها الجزارون فى أسواق القرى . لقد كان كل ما ينقصنى هو تغيير الوضع لتحسين وجهة النظر ؛ ولا أعنى بهذا تغيير موضع الفيل ، إذ كان أقل عبث به كفيلا بأن يضع زملائى جميعاً فى صفوف المغبونين بعد أن فرغوا من خططهم ، وأوغلوا على الورق فى تخطيطاتهم .

وبدا لى أن أنتقل إلى موضع زميل غائب ، فوضح لى منه ما فيه الكفاية مما كان محتجباً عنى ، ثم بدأت أرسم .

تلك تجربة مرت بى فى عهد الطلب كما يمر أمثالها بالكثيرين ؛ والواقع أن وجهة النظر شيء له قيمته الكبرى فى الحياة ، وإن التأنق فى اختيار هذه الوجهة وانتقاء أحسن أوضاعها لخطوة أساسية ينبغى ألا نغفلها ، إذ عليها يتوقف ما نأتيه من الخطأ والصواب جميعاً

وكما يختلف الجسم باختلاف النظرة إليه جمالا وقبحاً ، وضوحاً وإبهاماً ، ضخامة وضؤولة ؛ كذلك يختلف الرأى باختلاف عمل العقل فيه . وهو يقاس فى مبلغ سلامته أو ضعفه ، وبلوغه أو عجزه ، واستقامته أو عوجه ، على مقدار معالجة التفكير لعناصره واستيعابه لجميع جزئيات صوره . وإن الخطأ فى التقدير الحسى لأمر من السهل إصلاحه بالرجوع إلى التجارب الحسية السابقة والنظر فى المكتنز من نتائجها ؛ فمعرفتى بأوضاع الفيل المختلفة هى التى هدتنى إلى موضع النقص عند أول نظرة ألقيتها إليه من وراء ، وبالتالى هدتنى إلى إصلاح هذا النقص بتغيير الذى كنت أتخذه من نموذجه . أما الخطأ فى التقدير الذهنى فأمر يتعذر إصلاحه إلى حد كبير بالإضافة إلى سابقه ، لأن الفكرة الواحدة ليست إلا حلقة مفردة من سلسلة طويلة متصلة من

والنجاح الأكيد بخطوات حثيثة وقدم لا تاين ، إذ سرعان ما أخرج للعالم مسرحيته الشعرية الخيالية Peer Gynt التى تعد أجود ما كتب وأفضل قطعة أدبية أخرجها للوجود . وقد اقتبس إبسن مناظر هذه الرواية من مسقط رأسه « سكين » فمرض جماله ونوّه بسحره . وجسّم هضابه ووديانه

وفي عام ١٨٦٨ ، كانت الحوادث تنذر بسوء ، وتهدد سلامة إيطاليا . فانتقل كاتب نروج الأول إلى مدينة درسدن التى جعلها مقراً وملاذاً لسنوات طوال ، شهدت مولد طائفة من الروايات الاجتماعية ، ورأت كيف يشيد إبسن مجده ويوطد مركزه الأدبى الذى انفرد به فى عصره

والفقر الذى كان يلازم هنريك ملازمة الظل ، ويطارده مطاردة الصائد للظبى ، خر أمام الشهرة صريعاً مقهوراً ، وأقلع عن تتبعه راجعاً عن تعقبه

وفى عام ١٨٩١ ، عاد كاتبنا إلى بلاده بعد سبع وعشرين سنة من النفى الاختيارى ، واستقر فى كريستيانيا ما بقى له من العمر . وكانت أمواج الحياة قد سكنت ، ولججها قد عاودها السكون . فأخلد إبسن إلى شيخوخة هادئة مطمئنة ، وقل ظهوره فى المجتمعات إلا فى مناسبات تمثيل رواياته ، أو حفلات تكريمه ، ومات عام ١٩٠٦ وهو فى الثامنة والسبعين

ذلكم هو إبسن ، أديب نروج الممتاز . ولسوف تذكره الأجيال القادمة كشاعر ومفتن استطاع أن يخلق أشخاصاً أحياء ، وأن يكسو أفكاره المسرحية برداء من الجمال لا تبليه الأيام . لقد كان إبسن بحق البنّاء الرئيسى للدراما الحديثة .

وديع فلسطين
بجريدة الأهرام — القاهرة

الأفكار . وليس الخطأ الأخير فى تقدير أمر ما إلا نتيجة أخطاء متكررة سبقت ، أو هو شعبة حديثة من الغلط لأصل عميق غائر الجذور من أغلاط متعددة متباينة ، والحنظل لا ينبت إلا الحنظل ...

وإن مراجعة الفكرة الأخيرة لما يقتضى مراجعة الأسباب التى أنتجتها ؛ وهذه الأسباب ليست إلا خلاصة المبادىء والقوانين العقلية التى ارتضاها الإنسان لنفسه واعتنقها ، لا جملة واحدة ، ولكن مبدأ مبدأ ؛ وكل مبدأ منها كان الأساس لما تلاه والنتيجة المحتومة لما سبقه . أو هى - على الأقل - الخلاصة المصطفاة لوحدة تامة مستقلة من هذه المبادىء والقوانين ...

لذلك يبدو من المتعذر أن يصلح الإنسان خطأ نفسه بنفسه ، إلا أن يكون من غير المتعذر على ناسج الثوب أن يستل الخيط الذى أخطأ فى تقدير وضعه ، دون أن يخل بأوضاع ما جاوره من الخيوط أو يشوه من ترتيبها . وإنما يهوّن الأمر علينا كثيراً أن نستعين على إصلاح نتائجنا المغلوطة بوسائل غيرنا الصحيحة . ويكون ذلك بالرغبة الشديدة فى الاقتناع ، والتهيؤ التام لقبول وجهات النظر وإن اختلفت ، ثم التجرد الكامل لها بالفهم والإحاطة والتقدير والتمحيص ؛ حتى ينبثق خلالها نور الحق ، وتنضرح شوائب الريبة فيها عن محض اليقين ...

والمثل الجلى لاختلاف الحواس فى التقدير — تبعاً لقصور الفحص أو قلة التعمق فيه — تبسطه لنا هذه القصة التى ساقها الغزالي فى إحيائه عن جماعة من العميان ذهبوا ليتعرفوا كنه الفيل وقد أقدمه الملك إلى بلادهم . . . فلمسوه بأيديهم جميعاً فى مواضع من بدنه مختلفات ، ثم انصرفوا وقالوا قد عرفناه !

ولما استوضحهم إخوانهم حقيقته قال الأول ، وكان قد لمس رجله : الفيل كأسطوانة من أساطين المسجد ، خشنة الظاهر وفيها بعض اللين . . . وقال الثانى وكان قد عثر بنابه : لعمرى إن الفيل لم يبلغ قدر الأسطوانة وإنما هو كعمود صغير ، ثم إنه ناعم الملمس غير خشن ، وصلب لا لين فيه . وتكلم الثالث فقال : بل هو مثل جلد عريض غليظ خلا من شبه الأسطوانة ومن النعومة والصلابة جميعاً . فخالف زميليه فيما قالاه ! ولا غرو فقد كان يصف - وحده - أذن الفيل[1]

ولو تأملنا قليلا لوجدنا الجميع هنا صادقين فى وصف ماعرفوا ، ولكنهم مقصرون عن الإحاطة بالحقيقة مبلغ تقصيرهم فى وسائل التعرف إليها ؛ ولو أنهم عاودوا اللمس المستوعب لأعضاء الفيل ، لتسنى لهم إذاً أن يعرفوا أقصى ما تهيئه لهم وسائلهم المحدودة من اللمس ، وهكذا الشأن فى كل حاسة يستخدمها الإنسان فى التعرف إلى ما يحيط به من حقائق الأشياء ...

... ونعود إلى النظريات العقلية فنقول إن إصرار الإنسان على الخطأ فى فكرة ما ، ليس معناه العناد أو المكابرة دائماً ؛ وإنما قد يصدر ذلك - وهو الأكثر - عن إيمان بالرأى عميق وثقة بصحة التفكير ثابتة . ولا يُلام الإنسان على هذا الإصرار إلا بقدر ما يصده ذلك عن قبول النقاش أو يحول بينه وبين فحص آراء الغير بالعقل المجرد .

ومما يزيد المشكلة تعقيداً أن كل فكرة خاطئة لا تخلو من ناحية صواب - ولو ضئيلة - يستمسك بها صاحبها ؛ وهى التعليل الحق لهذا الإصرار الذى نشاهده منه ، ما دمنا على ثقة من عقله ومن خلقه جميعاً . وفى الواقع إن الخير المحض أو الشر المحض شيئان منعدمان فى هذا الوجود ؛ وكذلك الصواب والخطأ... لا يخلو أحدهما من شائبة ولو يسيرة تلحقه من الآخر .

ولقد يتفق أكثر الأدباء على أن المعرى كان من أزهد الناس فى الحياة ، وأعزفهم عن طلب الشهرة والتماس الجاه والنباهة فيها ، ثم يأتى من يخالفهم فى ذلك ويقول : بل الذى عندى أن الرجل كان من أكلف الناس بالجاه ، وأبعدهم همةً فى طلب المجد والتماس نباهة الشأن ... أليس هو الشاعر الذى يقول :

---

(١) وردت هذه القصة بعبارة أطول فى قصيدة عنوانها (العميان الستة والفيل) للشاعر الانجليزى ج س ساكس J. 8. Saxe ويبدو لى أنها نغمة من الآداب الهندية القديمة سبقت العرب إلى اقتباسها سائر الأمم . وتجدها فى الربع الرابع من الاحياء (ربع المنجيات) كتاب التوبة ص٦

ذَرِ الدنيا إذا لم تحظَ منها وكن فيها كثيراً أو قليلا
وأصبح واحدَ الرجلين : إما مليكاً في المعاشر أو أبيلا
ولو جَرت النباهةُ من طريق الـ
خمول إليّ لاخترتُ الخمولا

فها هو ذا قد ترك دنيا الناس لأنه فقد الحظوة فيها ، ولكنه ملك دنيا أعظم من الجاه العريض والشهرة المدوية . . . دنيا لم يمتلكها من الناس إلا القليل . ولقد عجز عن أن يكون ملكاً نابه الذكر ، فكان أبيلا - أو راهباً - أنبه من سائر الملوك ذكراً ، وأخلد منهم على الأيام اسماً ...

إنه اتخذ من الخمول سبيلا إلى النباهة كما قال ، فأين وجه الزهادة في كل هذا ؟

تلك حجج تتقارع ولكل منها سندُه من دليل وعمادُه من برهان ؛ ولكن التسليم بضرورة التفاهم وتبادل الإقناع والاقتناع أهم من كل هذا ، وأعظم جدوى في تعرف الحقائق على اختلافها

ولنعرض هنا نموذجاً طريفاً نرى فيه كيف تلتبس الحقائق الواضحة على بعض العقول الحصيفة ، حتى يكشف النقاش عن جوهرها ؛ فلا يبقى ثمة إلا التسليم والاقتناع ، متى خلصت النية وكان الحق هو الهدف المقصود والغاية المبتغاة

قالوا[1] : حضر الوجيه النحوي بدار الكتب التي برباط المأمونية ، وخازنها يومئذ أبو المعالي أحمد بن هبة الله . فجرى حديث المعري فذمه الخازن ، وقال : كان عندي في الخزانة كتاب من تصانيه فغسلته . فقال له الوجيه : وأي شيء كان هذا الكتاب ؟ قال : كان كتاب «نقض القرآن» فقال له : أخطأت في غسله ! فعجب الجماعة منه وتغامزوا عليه ؛ واستشاط ابن هبة الله وقال له : مثلك ينهى عن مثل هذا ؟! قال : نعم ، لا يخلو أن يكون هذا الكتاب مثلَ القرآن أو خيراً منه أو دونه . فإن كان مثله أو خيرا منه — وحاشَ لله أن يكون ذلك — فلا يجب أن يفرط في مثله . وإن كان دونه وذلك ما لا شك فيه ، فتركه معجزة للقرآن فلا يجب التفريط فيه . فاستحسن الجماعة قوله ، ووافقه ابن هبة الله على الحق وسكت

هذه وجهة نظر سديدة أبداها الوجيه ، وقد صحبها اعتراف بالحق أعظم منها سداداً ، وأجمل في النفوس موقعاً . لكن أين من يراجع اليوم نفسه مثل هذه المراجعة ، ويقيس رأيه برأي غيره في مثل هذه الدقة ؛ ثم يقتنع شاكراً إن أخطأ ، ويُقدم متلطفاً إن أصاب . وهو في كل ذلك يأبى على نفسه اللجاج ، ويأنف لها من المكابرة ، ويتكره أن يكون كمن أنشد فيه الجاحظ قول الشاعر :

وأخلفُ من بول البعير فإنه إذا قيل للاقبال أقبلَ ، أدبرا !
خلافاً علينا من فَيالةِ رأيه كما قيل قبل اليوم : خالف فتُذكرا

(جرجا) محمود عزت عرفة

(١) معجم الأدباء ، في ترجمة المبارك بن المبارك المعروف بالوجيه النحوي ، ج ١٢ ص ٦٥

العباس بن الأحنف

للأستاذ محمود المعروف

في العصر الذي ماج بالعلماء ، وزخر بالفلاسفة والشعراء والكتاب ، حيث العلم في أزهى أيامه ، وحيث (بغداد) قبلة الشرق ، فاتحة أبوابها ، يؤمها خلق كثير من مختلف بقاع الدنيا ، وظل الخلافة ممدود ، وتاج بني العباس معقود على جبين « الرشيد » في هذا العصر المشرق ؛ لمع نجم شاعرنا ، وتألق في سماء الشعر ؛ فكان موضع إعجاب معاصريه ، وفي مقدمة الشعراء الذين أنجبهم ذلك العصر

قمت الفتن السياسية ، فهدأ جو السياسة والإدارة ، وولى الناس وجوههم شطر الملاهي ، وانغمسوا في الترف والأنس . ففي (بغداد) الحانات والقيان ، وجميع أسباب الملذات والمغريات . ففي مثل هذه البيئة ، التي إن لم تكن فاسدة ، فإن فيها مجالاً لفساد الأخلاق ، عاش العباس بن الأحنف ، وقدمه (أبو الفرج) في (أغانيه) شاعراً مطبوعاً له مذهب حسن ، وديباجة مشرقة ، ولشعره رونق ولمعانيه عذوبة ولطف ؛ وهذا الوصف قد يغلب على أكثر الشعراء ، فهو لم يزدنا علماً بهذا التعريف الذي عرّف به الكثيرين من الشعراء

عاش شاعرنا بين قوم يتنافسون في المديح طمعاً بالمال والجاه ، ويضرمون نار الفتنة بين العدنانية والقحطانية بفخرهم وهجوهم . ولكنه لم يجاوز الغزل إلى ضرب آخر من ضروب الشعر ، وميزته تكاد أن تكون معدومة في ذلك العصر . وإن الباحث ليعجب كيف لم يتأثر هذا الشاعر بما كان حوله من ملذات الحياة وزينتها . وكيف أنه لم ينتم إلى حزب سياسي ، أو يشايع أميراً ، أو يتملق إلى رجل خطير شأن معاصريه من الشعراء . وفي الحين الذي نرى فيه أن غيره (كأبي نؤاس) و (الخليع) و (صريع الغواني) وغيرهم قد ألقوا بقلوبهم وعواطفهم في نيران الشهوات والملذات ، وأسرفوا في المدح والهجاء طمعاً بتأمين رغباتهم وسد احتياجهم . نرى (ابن الأحنف) ينصرف عن كل ذلك إلى الغزل النبيل في حب فتاة واحدة لم ينقلب عليها قلبه ، ولم تلتفت عينه إلى واحدة غيرها . فهو في حبه كشعراء (بني عذرة) من حيث الثبات على حب واحد

وقنع من العمر بقصيدة يودعها ما عنده من الآلام ، وأبيات من الشعر يشكو فيها ما يلقاه من سهد ، ويشرح فيها ما يدور في خلده من خواطر يثيرها الحزن وتبعثها الأشواق

ردد في جميع شعره اسم (فوز) وكنى أحياناً بـ (ظلوم) ويستدل من هذا أنه لم يتصنع الحب كعمر بن أبي ربيعة الذي يموج ديوانه بأسماء عشرات الملاح ، قد وزع عواطفه عليهن فاعترى أكثرها خمول وفتور . والثبات في الحب أضمن لخلود الشاعر في فراديس الوجدان من التنقل هنا وهناك ، فتفنى مشاعره ، وتذوب إحساساته ، فإن أبدع فإلى أجل معلوم

شغلت (فوز) شاعرنا فلم يندفع في ذلك التيار الجارف الذي اندفع فيه أولئك الشعراء و (فوز) كانت أمنيته الوحيدة في حياته ، وشغله الشاغل عن كل ما يحيط به من صور العبث والمجون ، فلنستمع إليه يقول :

يقولون لي واصل سواها لعلها	تغار وإلا كان في ذاك ما يسلي
ووالله ما في القلب مثقال ذرة	لأخرى سواها إن قلبي لفي شغل

إننا حين نقرأ شعر غيره من معاصريه لا نكاد نخرج من ضجيج خمار إلا ونأتي إلى عزف وقيان ، وما نكاد نخرج من حان غص بروّاده إلا وجدنا أنفسنا في لجب عصابة تطارق أبواب خمارة بعد هجمة من الليل ، وقد فرغت أوانيها من الخمر والشراب

ونقرأ شعره فنجد أنفسنا في جو هادئ من الحب والظرف والجمال . في جو يختلف عن ذلك الجو اختلافاً كبيراً ، وفي عالم كله لوعة صادقة وإحساس مرهف ، وفي دنيا مترامية الأطراف من الأماني والأحلام . قلنا إنه انصرف عن جميع نواحي الشعر إلى ناحية الغزل ، وقلما نجد بين الشعراء في مختلف العصور — والعصر العباسي خاصة — رجلاً مثله انصرف عن أمور دنياه بتصوير عواطفه بأبدع الألوان ، وتفصيل ما انطوت عليه نفسه الرفيعة في شعر سلس بليغ يستهوي القلوب ، ويأخذ بمجامع الألباب ، وآثاره تكاد أن تنطق بأنه أحرز سبق المتقدمين والمتأخرين في هذا المضمار . وقد شهد له بذلك أكثر

المؤرخين والمفكرين ، ومنهم الجاحظ . وقد قال : (لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاماً وخاطراً ما قدر أن يكثر فى مذهب واحد من الشعر لا يجاوزه ، لأنه لا يمدح ولا يتكسب ولا يتصرف ، وما نعلم شاعراً لزم فناً واحداً لزومه فأحسن وأجاد ...)

وقدمه (المبرد) فى كتاب (الروضة) على نظرائه ، وأطنب فى وصفه . ومما قاله : (كان العباس من الظرفاء ولم يكن من الخلعاء ، وكان غزلاً ولم يكن فاجراً ، وكان ظاهر النعمة شديد التظرف وذلك بيّن فى شعره ، وكان حلواً مقبولاً غزير الفكر واسع الكلام)

وها هو ذا يستأذن أحبابه بالزيارة فيقول :

أتأذنون لصبٍّ فى زيارتكم   فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء إن طال الجلوس به   عفّ الضمير ولكن فاسق النظر

ويسترسل العباس فى ظرفه بعد أن يشيع حبه وشغفه بفوز ، وقد مرت به (سائلة) فقال :

ألم تر أن سائلة أتتنى   فقالت وهى فى طلس بوالى
ألا صدّق علىّ بحق (فوز)   فقلت لها خذى روحى ومالى

وتكتب إليه (فتاة) أن يصلها فيقول :

فقلت لها إليك هواك عنى   فأنى عن هواك لذو انشغال
ومالى توبة إن خنت فوزا   ولم تكن الخيانة من خصالى
إذا ذكر النساء بكل حال   فهنّ لها الفدا فى كل حال

وكان بينه وبينها مواعيد ورسائل ولقاء ، وقد كانت تحدث بينهما بغضاء أحب إلى النفس من الصفاء ، وقد شرح كل ذلك فى شعره ، فديوانه مرآة ناصعة تنعكس عليها نفسيته الرفيعة ، وأحاسيسه المرهفة فيما يقع بينهما من حوادث ومغامرات ، فهو شاعر محزون فى حالتى الرضا والجفاء . فلنستمع إلى قوله :

أبكى إذا سخطت حتى إذا رضيت   بكيت عند الرضا خوفاً من الغضب
أتوب من سخطها خوفاً إذا سخطت   فإن سخطتُ تمادت ثم لم تتب

وهو الذى يقول :

سأهجر إلفى وهجراننا   إذا ما التقينا صدود الخدود
كلانا محبّ ولكننا   نداقع عن حبنا بالصدود

وابن الأحنف كلف بتسجيل حوادثه فى شعره ، وإنى لأحسب ديوان شعره خير تاريخ له يستمد منه الباحث حياته التى كان يحياها ، فمن ذلك ما كان يعترض حبه من مقاومة أهله وأهل (فوز) وفى ذلك يقول :

إلى الله أشكو أن فوزا بخيلة   تعذبنى بالوعد منها وبالمطل
وأنى أرى أهلى جميعاً وأهلها   يسرُّهم لو بان حبلك من حبلى
فيارب لا تشمت بنا حاسداً لنا   نراقبه من أهل فوز ولا أهلى

وأما حوادثه مع بعض النسوة اللاتى كنّ يضايقنه ومالهنّ غرض غير تعذيبه فكثيرة جداً وظريفة إلى حد بعيد ، وربما بلغ به الوجد فى بعض الأحايين أن يستعدى عليها أهلها ، وماعرفنا شاعراً صنع قبله ذلك ولا قال :

أيا أهل فوز ألا تسمعون ألا   تنظرون إلى ما لقينا ؟ !
ألا تعجبون لفوز التى ؟ !   تميل وتصغى إلى الكاشحينا
قد عجب الناس من أمرنا   وأنساهم قصص الأولينا
وصرنا حديثاً لمن بعدنا   يحدث عنه القرون القرونا

وقوله هذا يذكرنى ببعض أبيات لشاعر شاب جنّ فى هواه فأسموه (مجنون بهية) أذكر منها :

شكتنى بالأمس إلى أمها   ما أعظم الخطب وما أسهله !
يا أمها لا تسمعى قولها   فحبها للقلب قد زلزله
كونى شفيعى فى الهوى عندها   فأنت لى سيدة مفضله

ولعل هذا الشاب المسكين — وقد قرأت شعره كله — قد ارتبط بما ارتبط به شاعرنا من حوادث وآلام ، فإنى قد رأيت فى شعره صوراً من صور العباس بن الأحنف ، ولو كنت ممن يؤمنون بتناسخ الأرواح لم أشك فى أن روح ابن الأحنف قد حلت فى هذا الشاب المسكين . أقول هذا لأضرب مثلاً على أن الكثيرين من الذين صدقوا فى هواهم قد اتصلوا اتصالاً مباشراً بروح شاعرنا الظريفة

دون هذا الشاعر حوادثه فى شعره إلى جانب تصوير عواطفه

فأصبح ديوانه مجموعة فريدة من أخبار ظريفة محببة إلى النفس وعواطف صادقة لم تشبها شائبة من التكلف والصنعة ، فأى لوعة أصدق من هذه اللوعة ؟ !

أتذهب نفسى لم أنل منك نائلاً ولم أتعلل منك يوماً بموعد ؟ !
فإن جاءنى بعض ماتكرهينه فمن خطأ والله لا عن تعمُّد

وقوله :

صرت كأنى ذبالة نصبت تضىء للناس وهى تحترق

وأكثر فى شعره شكواه من تأخير كتب (فوز) والرد على رسائله ، وله فى ذلك مذهب لطيف يفيض رقة وجمالاً :

أيا من لا يجيب إذا كتبنا ولا هو يبتدينا بالكتاب
أما فى حق حرمتنا لديكم وحق إخائنا ردّ الجواب ؟ !

وقوله فى قصيدة ثانية :

وكنت إذا كتبت إليك أشكو ظلمت وقلت ليس له جواب !
فعشت أقوت نفسى بالأمانى أقول لكل جانحة إياب
وأن الود ليس يكاد يبقى إذا كثر التجنى والعتاب
خفضت لمن يلوذ بكم جناحى وتلقونى كأنكم غضاب

وللمؤرخين وسائر أئمة الأدب العربى القديم آراء حسنة فى هذا الشاعر المجيد ، فقد سئل (الأصمعى) عن أحسن ما يحفظ للمحدثين فقال . قول العباس بن الأحنف :

لو كنت عاتبة لسكّن روعتى أملى رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لى حيلة صد الملول خلاف صد العاتب

وكان (الواثق) يتمثل بقوله :

عدل من الله أبكانى وأضحكا فالحمد لله عدل كل ما صنعا

وقال (احمد بن ابراهيم) رأيت (سلمة بن عاصم) ومعه شعر العباس وقلت : مثلك — أعزك الله — يحمل هذا فقال ألا أحمل شعر الذى يقول :

أسأت إذ أحسنت ظنى بكم والحزم سوء الظن بالناس
يقلقنى الشوق فآتيكم والقلب مملوء من الياس

وقال (الواثق) ذات يوم لجلسائه : أريد أن أصنع شعراً معناه أن الإنسان كائن من كان لا يستطيع الاحتراس من عدوه فهل تعرفون ؟ فأنشدوه ضروباً من الشعر فقال : ما جئتم بشىء مثل قول العباس :

قلبى إلى ما ضرنى داعى يكثر أسقامى وأوجاعى
كيف احتراسى من عدوى إذا كان عدوى بين أضلاعى

وقال (ابن المعتز) : لو قيل لى ما أحسن شىء تعرفه لقلت قول العباس إذ يقول :

قد سحَّب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالحب غيركم وصادق ليس يدرى أنه صدقا

وكان (الرشيد) يعجب بشعره ويستأنس لحديثه ، وصادف مرة أن خرج إلى (خراسان) فأمر بخروج العباس فى موكب الخلافة ، وطال مقامه فى خراسان وشخص منها إلى (أرمينيا) والعباس معه ، فهزه الشوق إلى « بغداد » وطن صبوانه ، فاعترض أمير المؤمنين وأنشده :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا
ما أقدر الله أن يدنى — على شحط — سكان « دجلة » من سكان « جيحانا » ؟!
ليت الذى نتمنى عند خلوتنا إذا خلا خلوة يوماً تمنانا !

فأذن له « الرشيد » بالرجوع

ومات العباس بن الأحنف ، وابراهيم الموصلى ، والكسائى فى يوم واحد . فرفع ذلك إلى الرشيد فأذن للمأمون أن يصلى عليهم بالناس فبدأ بالصلاة على العباس ولما انتهت مراسيم الدفن تقدم من المأمون أحد رجال حاشيته واستخبره عن سبب ذلك . فقال المأمون :

كيف لا أبدأ بالصلاة عليه وهو الذى يقول :

سمَّاك لى قوم وقالوا إنها لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم إنى ليعجبنى المحب الجاحد

وكانت وفاته سنة (١٩٢هـ) وكان له من العمر (٦٠) سنة ودفن فى بغداد .

(بغداد) محمود المعروف

الشـــوامخ ...

للدكتور محمد صبرى

كان المرحوم شوقي يقول : « إن الذين لم يصلوا أعداء للذين وصلوا » . والأولون كثيرون فى مصر وفى كل بلاد الله . فى كل زمان ومكان ، وكان البحترى ينافسه عند الخلفاء طائفة من الشعراء المهرجين الذين كانوا يأخذون الجوائز رغماً من حقارة شعرهم ، وكان البحترى يضج من هذه الحال ويكثر التبرم والشكوى ، وهو القائل :

على نحت القوافى من مقاطعها وما على لهم أن تفهم البقر

وكان بعض النقاد الفرنسيين يزعم أن فكتور هيجو ليس شاعراً وأنه ينهق نهيق الحمار ، على أن هـذا وذاك لم يمنع العبقريات فى كل جيل من الثبات والاستقرار كالطود الذى لا يعبأ بطنين الذباب وترهات الأغبياء والدجالين وأنصارهم وصنائعهم

على أن الذى يراقب الحالة من كثب فى مصر منـذ ثلاثين عاماً يجد أن الحركة الأدبية قد دبت إليها فى العهد الأخير عين الفوضى التى اجتاحت الميدان السياسى فأصبح كثيرون من أنصاف المتعلمين والمتأدبين يشرفون على الصحف ويزنون الكتاب وكتاباتهم بموازينهم ، ويفسحون صـدورهم للتهريج ومحاربة الأدب العـالى الذى يجهلونه . والذى زاد فى طغيان تلك الفئة إقبال الجمهور على ما يكتبون . وسواد الجماهير فى كل أمة ميال إلى هذا النوع من الأدب الرخيص

فيجب على أدبائنا أن يعالجوا هذه الحال التى أصبحت كالسيل تجرف الحدود وتقلب المقاييس والأوضاع ، وهذا الواجب يقع أولا على عاتق مجلاتنا الـكبرى ، فمن نـكد الدنيا أن تجارى بعض هذه المجلات التيار العام فتفقد اتزانها وتزور عن أهدافها

أقول ذلك بمناسـبة مقال نشرته مجلة « الثقافة » لدكتور تخرج حديثاً فى كلية الآداب وأراد أن يظهر ذكاءه الخارق وأدبه فى مقال عن « الشوامخ » . فكان كناطح صخرة ، وإنى لا يضيرنى أن يكتب هذا وذاك فالقافلة تسير ، وليس من العسير على أى إنسان أن يتهكم ويقول إن الكتاب الفلانى لا يساوى شيئاً ، ولـكن العسير أن يرزقـكم الله قدرة على الفهم ولا ذنب لى إذا لم تفهموا

وإذا كان جل فحول القدماء لم يفهموا امرأ القيس ، وقد سجلنا آراءهم تسجيلا كما سجلنا آراء بعض كتاب العصر ، فهل ينتظر من ذلك النفر أن يفهموا ما يكتب عن امرئ القيس ، ذلك الغواص المنقب فى حدود الطبيعة عن أبدع الصور والمعاني خير لأولئك أن يثبتوا أولا أن لهم ذوقاً أدبياً أو إدراكا أدبياً قبل أن يتعرضوا لنقد الـكتب التى لم تـكتب لأمثالهم فلسنا من تجار الأدب الرخيص ، ورحم الله الزمن الذى كان يقف فيه كل عند حده ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه

وإنى لأسمح لنفسى وأستسمح «الرسالة» فى نشر قطعة من كتابى ليقرأها من لم يقرأ الشوامخ ، ويحكموا عن بينة :

« وليس لأحد من المتقدمين والمتأخرين تحليقاته فى أفق الطبيعة الواسع ، وتلك النظرات المترامية بين حباب الماء وكواكب الظلماء . وله فى لمعان البرق واختلاجه فى السماء آيات لا هى من الوصف الحسى ، ولا هى من الوصف الخيالى ، وإنما هى تصوير فقط ، هى وحى شاعر ملهم عاش وجرب وتأمل فى الوجوه فرأى بواسع فطنته وقوة ملاحظته ذلك السبب الدقيق الذى يصـل بين اختلاجات النفس البشرية فى أبعد أغوارها ، وبين كل حركة وسكنة ترتسم على وجوه الرجال وأيديهم ... ثم أنشأ بين هذه الاختلاجات واختلاجات الطبيعة خيطاً من الخيال وصل بينهما وجعل منهما وحدة كبرى ، قال :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين فى حبي مكلل

وقال :

أعنى على برق أراه وميض يضئ حبياً فى شماريخ بيض

ويهدأ تارات سـناه وتارة ينوء كتعتاب الـكـسير المهيض

وتخرج منه لامعات كأنها أكف تلقى الفوز عند المفيض

يا قارئ الكف!

للدكتور عزيز فهمي

يا قارئ الكف ماذا أضمر القدرُ ؟
ولا عليك إذا لم يَصْدُقِ الخبرُ

وما اهتمامك باسمى ؟ هَبْه عنترةً
وهبه زيداً ... وجَدّى عَمْرو أو عُمَرُ

عليك بالكف فاقرأ بين أسطرها
ماذا يدلُّ عليه الخطُّ والأثَرُ

أطالعُ اليمن أن الخطَّ متَّصِل
وآيةُ النَّحس أن الخطَّ منْبَتِرُ

وما الشِيات[1] على جنْبَىْ ثمانيةٍ
تبدو كَوَشْمٍ وتخفى حولها غُرَرُ ؟

خبَّرْ عن الفألِ لا تحْفِلْ فسانِحَةٌ
عندى كبارِحَةٍ والشر يُنتَظَر

(١) جمع شية ، علامة

هل أنسأ اللهُ فى عمرى إلى أجلٍ
يُباحُ فيه على الْهَمِّ والكِبَرُ ؟

وهل أُبَلَّغُ آمالى ؟ وأبعدُها
عندى كأقربها نادٍ ومُحْتَضَرُ

هبنى ظفرت بآمالى على ظمأ
إذا ارتوَيْتُ فماذا يعقب الظفَرُ ؟

وهل أُوَسَّدُ حَزْناً[1] حَرَّةً[2] وحصًى
فى جَوفِ هاوِيَةٍ أغوارُها حَجَرُ

أم هَوْجَلاً[3] قَذَفاً[4] تنبو براكبها
لا البيدُ عَبَّدَها يوماً ولا الحَضَرُ

قفراء جرداء لم تكلأ حشائشها
إلا السواقى ولم يعلق بها مطَرُ

أم تُقدَحُ النارُ من حولى فتطعَمُنى
حَيًّا وأشْوى بها أيانَ تَسْتَعِرُ

أم أنَّ فى مَسْبَحِ الحيتان مُنْقَلَبى
يومَ الرحيلِ إذا نادانى السفَرُ ؟

قل ما بدا لك واهرِفْ غيرَ مُبْتَدِعٍ
فالرجْمُ بالغيب — لو تدرى — هو الهَذَرُ

اللَّحْدُ كالمَهْدِ والأكفانُ واحدةٌ
ولا خيارَ لميْتٍ حين يَدَّثِرُ

والمالُ كالعُدْم لولا أنه أمَلٌ
إنَّ الغَنِيَّ إلى الأموال مُفْتَقِرُ

والسَّعْدُ حالٌ على الإنسان طارئةٌ
(وعند صفو الليالى يحدث الكدر)

لولا التشابهُ فى الأقدار ما صَدَقَتْ
عَرَّافَةُ الحىِّ ، من تُوقَى لها النذُرُ

عزيز فهمى

(١) الحزن ما غلظ من الأرض كالحزنة
(٢) الحرة الأرض ذات الحجارة
(٣) الهجل المطمئن من الأرض والهوجل المفازة البعيدة لا علم بها
(٤) فلاة قذف محركة بالفتح وبضمتين كصبور بعيدة

لمح الشاعر بحسه المرهف فى وميض البرق وتبوُّجه لمان أكف المقامر الفائز أو الذى يتناول الظفر بين المقامرين . فوفق بين الحقيقة والخيال ، وأبدع إبداع فى جمعه بين الكون والإنسانية التى تعيش تحت سقفه ، الإنسانية التى تلهو وتجد ، وتضحك وتبكى ، وتقامر وتغامر . . . فإذا اتصلت الأرض بالسماء : الأولى بحركات أيدى لاعبيها ، والثانية بلوامع بروقها ، وظهرت تلك الصلة الدقيقة بينهما فى شعر ، كان ذلك الشعر ترجمان الحياة ، لأنه يلقى من أعلى عليين شعاعاً على أغوارها » .

هذا مثل من الكتابة « الهينة » التى كتبناها ، وقد أراد هذا الكاتب أن يتظارف فقال إننا قرأنا « بعض » شعر امرئ القيس ، فإذا كانت كتابته ثمرة من تعليم الجامعة وأساتذتها . فقل على الدنيا السلام ...

محمد صبرى



أين المـــدفع ؟ ! . . .

للقصصي التركي خالد ضيا

كانت المدافع والبنادق تنطلق وتقذفهم باللهب من كل جهة بين دوى متواصل . وانطلقت من بين الجبال التي قبالتهم قذيفة وطارت في الفضاء تخترقه بسرعة البرق ، ثم هوت على الأرض فكان لسقوطها القوى السريع دوى شديد هز الآفاق هزاً عنيفاً . ثم قذيفة أخرى فثالثة فرابعة ... قذائف لا حصر لها ولا آخر تمر من فوق الرؤوس وتتساقط حولهم . تلك السلسلة التي لا تنقطع من نذر الموت والهلاك

لم يكن هؤلاء إلا فصيلة من الجند معها مدفع واحد تصعد به في سفح جبل شاهق شديد الانحدار ، مخيف المنظر . كانت هذه الفصيلة تقتفي أثر ضباطها وسط ركام متراكب من الضباب ، مسترشدة ببريق ظبات السيوف في أيدى الضباط السائرين في المقدمة

كانوا يتسلقون الجبل القائم أمامهم ، بكل ما وسعهم من جهد وبلاء . مستعينين على ذلك بأيديهم وأظفارهم بل وأسنانهم — إذا لم تكفهم في التسلق أرجلهم . كانوا — وهم يصعدون في الجبل صخرة صخرة — يؤملون في فتح الطريق إلى الظفر ، إلى النصر المبين . استجمعوا كل قواهم ، وشدوا الحبال على أعضادهم ، وكونوا من أجسامهم المتراصة المتماسكة كتلة واحدة وتقدموا إلى الأمام صاعدين في سفح الجبل القائم أمامهم كأنه سد محكم البناء

كان عثمان في المقدمة . فتلفت حواليه . ورأى هذا المنظر العجيب ، ثم شخص ببصره إلى قمة الجبل الذى كانوا لا يزالون يتسلقونه ... آه . لو وصلنا إلى هذه القمة ! ... لو استطعنا وضع هذا المدفع هنالك ! ...

كان هذا المدفع هو كل شيء لهؤلاء الجنود . كان الأمل الذى تحيا عليه نفوسهم ، والجنة التي تحفظ أرواحهم . صرخ عثمان في رجاله : « أسرعوا ! ... » صوتت الحبال على أعضاد الجند ، وخطا المدفع خطوة خفيفة إلى الأمام ، كأنه العروس ليلة زفافها تمشى الهوينا من الخفر والحياء

كان عثمان في المقدمة . يتبع كل خطوة يخطوها إلى الإمام بصيحة من أعماق قلبه قائلاً : « أسرعوا ! ... » . والآن كانوا يصعدون إلى قمة الجبل وهم يجرون المدفع ، منبطحين على الأرض ، ملتصقين بالحجارة ، يحفرون التراب بأيديهم وأظافرهم ، يزحفون تارة ويقمون أخرى ، يتأرجحون في الهواء . قد تقطعت ملابسهم ، وتشققت أيديهم ، وتقرحت أعضادهم ، وتحطمت أظافرهم . ولكنهم سائرون إلى الأمام دائماً ، لو استطاعوا أن يخطوا عدة خطوات أخرى إلى الأمام لبلغوا قمة الجبل ، ولوضعوا المدفع هنالك ، وربما كان هذا المدفع إذاك قائد هذه الفرقة الصغيرة من الجند إلى الفوز والظفر !

كان عثمان في المقدمة ، وكان يستطيع الآن أن يشرف على المناظر التي أمامه تماماً من مكانه المرتفع . هذه الجبال التي قبالته ، وجميع تلك الحصون والمعاقل التي للأعداء . كانت هذه الحصون الصخرية التي تقذفه بالنار واللهب ترى قريبة منه جداً ، وكان يخيل لعثمان أنه لو مد يديه لاستطاع أن يقبض على هذه الحصون وتلك المعاقل بيديه القويتين ويضمها إلى صدره القوى المتين ، فيسحقها سحقاً ويذروها في الهواء . كان العدو قد بصر بهم وجعلهم هدفه ، وصوب نحوهم أفواه مدافعه وأخذ يمطرهم وابلاً من الصواعق والنيران ، ليقضى القضاء الأخير على هذه الشرذمة من الجند الباسل . نظر عثمان إلى أصحابه وتأمل منظرهم فرأى منظراً عجيباً . رآهم وقد رفعوا رؤوسهم جميعاً إليه كأنهم يحيونه التحية العسكرية . كانت عيونهم متجهة إلى السماء شاخصة كأنها تقول : « إلى الأمام ! » . ومرة أخرى قال : « اسرعوا ! » ، وخطا المدفع خطوة أخرى . آه . لو خطوا عدة خطوات أخرى مثل هذه الخطوة . لبلغوا قمة الجبل ...

وعلى حين غرة سقطت بينهم إلى جانب المدفع قطعة كبيرة

من السحاب ، وبعد لحظة انفجرت هذه السحابة وخرج منها بريق خاطف للأبصار ، ومضت فترة لم يستطع عثمان أن يتبين شيئاً مما حوله ، ثم رأى خلال الظلام المخيم عدداً من الجند الساقطين على الأرض . في هذه اللحظة أدرك الحقيقة المرة . وعلم أن العدو – بعد أن نجح في إصابتهم ومعرفة موقعهم – لا يلبث أن يدك هذا الموقع دكاً

كان الموقف حرجاً والوقت ضيقاً لا يسمح بإضاعة دقيقة واحدة ؛ فصرخ في أصحابه – وهو يلقى على إخوانه المجدلين على الأرض نظرة كلها حزن وألم ورثاء – قائلاً : « اسرعوا ! »

انبطحوا على الأرض وجروا المدفع . ولكن يد عثمان استرخت وشعر فوق عضده بشيء بارد . فالتفت بسرعة وحل الحبل عن عضده المجروح وتمنطق به ، ثم صرخ في أصحابه يشجعهم ويستحثهم وبذلوا كل ما كان في طاقتهم أن يبذلوه . وتعلقوا بالأرض وتشبثوا بها . إلا أن عثمان في هذه المرة سقط على الأرض وصك أذنيه صوت يقول : « انقطع الحبل ! ... »

فهب واقفاً . ورأى وهو لا يصدق عينيه المدفع يتحدرج على سفح الجبل بعد أن أفلت من الحبال التي كانت تمسكه

كان ذهاب هذا المدفع من أيديهم معناه انقضاء كل شيء بالنسبة إليهم ونذير القضاء عليهم قضاء أخيراً

في هذه اللحظة الحرجة ألقى عثمان نفسه على المدفع الذي كان يتدحرج على الصخور وينحدر إلى أسفل الوادي . وتعلق به ولكنه لم يستطع أن يصده ويحول بينه وبين الانحدار فقد كان المدفع ثقيلاً ، وكان ثقل المدفع يدفع بجسمه الضعيف أمامه ويجره إلى الوادي العميق المخيف الذي تحته جراً عنيفاً قوياً . فهو تارة فوق المدفع ، وتارة تحته ، وفي الحالتين ينحدر إلى أسفل الوادي مضطرباً بين الصخور . يجره المدفع إلى حيث الهلاك والدمار . كان عثمان فاقد الوعي ، لا يرى شيئاً ، ولا يعرف شيئاً . إلا أنه وهو ينحدر إلى أسفل الوادي بشكل قوي لا مجال لمقاومته – كان يفكر في شيء واحد : ألا يترك المدفع يفلت من بين يديه ... كان شاخص البصر يحدق تارة في هذه الغيوم التي تكونت من دخان البارود وتلبدت حتى حجبت وجه السماء عن العيون . وتارة أخرى في منظر هذا الوادي العميق المخيف المحفوف بالأهوال . ومرت فترة وهو كذلك ، ثم لم ير شيئاً ولم يسمع شيئاً . فقد سكت كل شيء وانمحى من لوح تفكيره . فلم يعد يشعر بتلك الجبال المشتعلة ناراً ولا بفرق العدو التي كانت تمطره وأصحابه وابلاً من الرصاص . لا شيء . لم يكن يشعر بشيء مما حوله أبداً

أراد أن يتحرك . أراد أن ينفض عن جسمه ونفسه ما استولى عليهما من الاضمحلال والانحلال . أراد أن يمزق هذا الكابوس الجاثم فوق صدره ليتخلص من هذا الضيق . ولكنه لم يستطع الحركة . كان يحس بضيق أنفاسه . ويشعر بأن غمامة سوداء قاتمة تخنقه وتحبس أنفاسه في صدره . أراد يصرخ فلم يتمكن أيضاً

شعر بالوحدة والعدم يستوليان عليه ، وأحس كأن نفسه تذوب بين جنبيه . وتفنى وسط هذا العدم اللانهائي الشامل .

* * *

ولما أدركه أصحابه وجدوه في شعب ضيق من شعاب الوادي محصوراً بين صخرتين قابضاً بكلتا يديه على شيء أمامه . فحاولوا فتح يديه . ولكنهما لم تنفتحا

وأخيراً استطاع أن يفتح عينيه ، فنادوه : « عثمان إنك جريح » فأراد بصره في أصحابه . وكأنه لا يفهم شيئاً مما حوله ، ثم نطق – وهو شاخص البصر إلى قمة ذلك الجبل الذي حاول تسلقه فقال : « أين المدفع ؟ »

لم يملك أصحابه حينئذ أنفسهم فتحدرت من عيونهم قطرات الدمع السخينة

إن المدفع كان بين يدي عثمان ، وكان لا يزال يقبض عليه بكلتا يديه !

ترجمة

برهان الدين الداغستاني



12 me Année No. 587

Lundi - 2 - 10 - 1944



بدل الاشتراك عن سنة

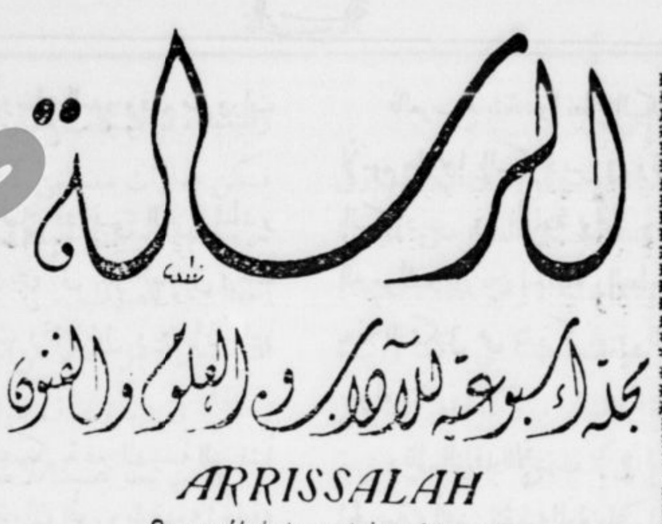
٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٨٧ «القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ شوال سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢ أكتوبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

نقـــــد عسكرى

للأستاذ عباس محمود العقاد

نظر الكاتب العسكرى الفاضل الملازم الأول سيد افندى فرج نظرة مجملة فى كتابنا « عبقرية خالد » الذى هو أقرب الكتب فى « العبقريات » إلى موضوع الكتابة العسكرية ، فأثنى عليه وتناول بالملاحظة والنقد مواضع منه متفرقة يرجع معظمها إلى حواشى الموضوع دون صميمه

والثناء يخصنا فلا محل له من التعقيب بيننا وبين قراء الكتاب أو قراء الرسالة . أما الذى نعقب عليه هنا فهو مواضع النقد والملاحظة التى تحتاج إلى جلاء وتفرقة بين وجهة النظر ووجهة النظر فى رأى الجندى الأديب

قال حضرته : « يرى الأستاذ العقاد أن الخليفة الصدّيق كان يضع الخطط التى ينفذها خالد ... ولكن النصح شىء ووضع الخطط شىء آخر ، والمثال قريب . فإننا نرى فى الحرب الحاضرة أن الرئيسين روزفلت وتشرشل — وأيضاً فوهرر ألمانيا — يرسمون الخطط العامة ، أى يحددون الأهداف ويرسمون مع قادتهم ما يحتاجه الموقف من حشود وممدات ، ثم يبدأ دور القائد العام فينظم قواته ويوزع واجباتها ثم يقوم بتحريكها إلى الساحات المعينة ... وهى أمور لا يعرفها الرؤساء المدنيون الذين

لا تتيح لهم ظروفهم دراسة الميدان وأوضاع العدو وفهم ضرورات الموقف الحربي العام »

والذي يبدو لنا أن الناقد الفاضل قد نسى الشيء الجدير بالذكر في هذا المقام ، وهو أن الفرق بين أبي بكر الصديق وخالد ابن الوليد ليس كالفرق بين روزفلت وتشرشل وبين إيزنهاور ومنتغمرى وويفل وسائر القواد

فخالد بن الوليد لم ينشأ في مدرسة عسكرية غير المدرسة التي نشأ فيها الصديق وسائر الخلفاء عليهم رضوان الله . وما يفهمه الخليفة من مواقع القتال العربية شبيه بما يفهمه القائد الحاضر في الميدان . فهلا غرابة في سبق الخليفة ببعض الخطط على حسب المعلومات التي اجتمعت لديه ، وإن كان هذا لا ينفي أن الشاهد يعلم ما ليس يعلمه الغائب ، وأن القائد في تنفيذه يضطلع بالمهمة العملية وينفرد بها دون الخليفة صاحب الخطة أو صاحب النصيحة ، وهذا الذي رجحناه حين قلنا : « إن خالداً قد تولى التنفيذ في ترتيب أعماله وتولاه أيضاً في أوائل خططه ، ولكنه قد وكل إلى نفسه في الأمور التي يعلمها الشاهد ولا يعلمها الغائب ، ومنها موعد المسير وطريقة الهجوم واللقاء »

وإنما حدث هذا في بعض حروب الردة ولم يحدث في حروب خالد جميعها ، لأن الخليفة لم يتجاوز النصيحة العامة في حروب العراق والشام

وقال الناقد الأديب : « ذكر الأستاذ العقاد أن تشكيلات جنود العرب للقتال إنما كانت تنظم على النحو الذي تتطلبه أسلحة الخصوم ، فقال إنها كانت تحارب مرة بالصفوف ومرة بالكراديس ، وهو قول حق ، غير أن هناك عوامل أخرى تملى على القوات نوع التشكيل كحالة الأرض والنسبة العددية وأوضاع العدو وخططه ، ولنضرب مثلاً بحالة الأرض وتأثيرها في التشكيلات ، فالأرض المكشوفة التي تتيح الرؤية بسهولة تحتاج إلى تشكيلات مفتوحة أي متباعدة توفيراً للخسائر . أما الأرض الجبلية وذات المسالك المحددة فتناسبها التجمعات ... »

ونحن نقول : إن تعدد أسباب التشكيلات لا دخل له فيما نحن فيه ، وإنما الذي يعنينا هو الذي حدث في الحروب التي أشرنا إليها بين العرب وخصومهم من الفرس والرومان

فالعرب لم يتخذوا نظام الكراديس لاختلاف مواقع الأرض لأنهم حاربوا بالكراديس في وقعة ذى قار وهي بطحاء ، وحاربوا بالكراديس في اليمامة وهي جبلية ، وحاربوا بالكراديس في اليرموك وهي بين الجبلية والبطحاء ، وإنما كانت علة اختيار هذا التشكيل هي ما ذكرناه في الكتاب مستنداً إلى الواقع دون سواه ...

وقال الناقد الأديب : « ليس في الكتاب تصوير للوقائع الحربية ، أعني تنقصه المعلومات الخاصة بقوات الفريقين المتحاربين في كل وقعة ، وأسلحتها وأوضاعها والظروف المختلفة التي كانت تتحكم في سير القتال ، حتى كانت عبقرية خالد الحربية تظهر بأسبابها وتفاصيلها ، ولا شك في أن الصعوبات التي نعرفها عن مصادر البحث ، وأن الكتاب لا يختص بالناحية الحربية وحدها هي التي حرمتنا تلك الدراسة النافعة »

والعجيب أن هذه الملاحظة كلها تخالف الواقع من الألف إلى الياء . فقد عنينا بإحصاء عدد الجيوش في حروب خالد من مصادر شتى ، وأثبتنا التفاوت البعيد بين الروايات المختلفة ، ومن ذلك قولنا عن حرب اليمامة « ولا يعلم على التحقيق عدد الجيش الذي معه في عقربان ، ولكنه على التقريب يجاوز الثمانية الآلاف ولا يقل عنها ، لأن جيشه بالبزاخة نحو خمسة آلاف ، يضاف إليها جيش شرحبيل بن حسنة الذي سبقه ولبث في انتظاره ، ولا يقل عن ألفين ، ويضاف إليهم الردء الذي أرسله الصديق وراءهم بقيادة سليط بن عمرو ليحمى ساقتهم ، وغير هؤلاء من تطوع للحرب مع المسلمين من بني تميم وبني حنيفة ، فهم في جملتهم يجاوزون الثمانية الآلاف ولا ينقصون عنها إن نقصوا إلا بقليل »

فنحن لم نكتف بالإحصاء المنصوص عليه بل أضفنا إليه الإحصاء الذي يجمع بالمقابلة والاستقصاء ، ثم قلنا : « ... وبلغ عدد القتلى جميعاً في ذلك اليوم بين ساحة القتال وحديقة الموت عشرات الألوف : أقلهم في تقدير المقدرين عشرة آلاف من بني حنيفة وستمائة من المسلمين ، وأكثرهم في تقدير المقدرين يرتفعون إلى سبعين ألفاً أو ثمانين ألفاً حنفيين وألفين مسلمين ، وهو رقم لا يدل على نبأ صحيح ، ولكنه يدل على هول صحيح

سرى فى الآفاق من أنباء تلك المعركة

ولقد كنا نضيق ذرعاً بهذا التفاوت البعيد فى الروايات وفى وصف الحركات فنتركه جانباً عند الحكم الفصل فى الأمور ولا نجعل هذا الحكم الفصل معلقاً عليه ، وقررنا ذلك فقلنا : « إذا كان كل شىء فى المعركة يتوقف أحياناً على كذا وكذا من الخطوات فى السبق إلى حومة القتال ، وكذا أو كذا من الأشياء فى طول الرماح ، وكذا أو كذا من التفاوت فى سرعة القذيفة هنا أو هناك ، وكذا أو كذا من الحركات إلى اليمين أو إلى الشمال وإلى الأمام أو إلى الوراء ؛ فتفصيل أسباب النصر فى المعارك القديمة على التخصيص ضرب من المستحيل ، لأن إثبات الفوارق بين المعسكرين فى الأسلحة والمواعيد والعدد والحركة غير ميسور ، وأقصى ما نطمع فيه أن نقنع بالإجمال دون التفصيل »

فنحن قد أثبتنا من التقدير والوصف ما هو صالح للاثبات ، وتعمدنا اجتناب التقديرات المتفاوتة والأوصاف المتناقضة لأنها لا تصلح للتعويل عليها ولا يحسن بالمؤرخ أن يرجع إليها بغير الإشارة والترجيح كما قلنا « بالإجمال دون التفصيل »

***

وقال الناقد الأديب : « لاحظت أن فى الكتاب ميلاً إلى اتهام خالد بالقسوة ... وليس يغرب عن البال أن صفات الشدة والصلابة هى سمات الرجل العسكرى الذى لا ترضيه أنصاف التدابير ، بل يهمه أن يضرب ضربة واحدة تقصر أجل الحرب وتختصر الآلام ، وكثيراً ما أملت الظروف على عظماء القادة أن يكونوا غلاظ الأكباد ، لا لشىء طبيعى فى نفوسهم ، ولكن لأن أعمالهم تحتم ذلك ، فيكون فى الشدة الرادعة ما يشبه الدرس للآخرين ، وخصوصاً فى ظروف حاسمة لا تسمح بالتراخى واللين »

والذى لاحظناه من صرامة خالد هو الذى لاحظه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه حين قال : « إن فى سيف خالد لرهقاً » بل هو الذى بدا من براءة النبى عليه السلام إلى الله مما فعل « خالد بن الوليد » بعد حادث بنى جذيمة

على أننا نفينا عنه قسوة الضغينة الشائنة وقلنا : « إن هذا الولع كله بالحرب لم يكن ولعاً بالشر والسوء ، ولا ولعاً بالضغينة والبغضاء ، فكانت عداواته كلها عداوات جندى مقاتل ، ولم تكن عداوات مضطغن آثم ... وعلى كثرة من قتل خالد فى حروبه لم يكن يقتل أحداً قط وهو يشك فى صواب قتله وإن أخطأ وجه الصواب ... أما إذا شك فى صوابه فهو يستكثر المساءة إلى رجل فضلاً عن الجحافل والقبائل ، ويسبق إلى الرفق رجلاً كأبى عبيدة عرف طول حياته بالرفق والرحمة والأناة ... »

ونحن بعد هذا لا نستغرب الصلابة فى أخلاق رجال الحروب ، ولكننا لا نغتفر سفك الدماء لغير ضرورة وبغير حساب ، فإن الشجاعة صفة إنسانية عالية ، وليس مما يوافق الصفات الإنسانية العالية أن تهون حياة الألوف لغير سبب وبغير حجة ، وأن يعمل القائد فى الميدان كأنه ليس بإنسان ، وما علمنا قط أن الرفق فى أخلاق العسكريين كان عائقاً بينهم وبين الظفر والنجاح ، فإنهم بهذا الرفق يحسنون صيانة الأرواح فى جيوشهم ويكسبون ثقة الأمم ويحاربون بالسمعة المشكورة كما يحاربون بالرهبة والسلاح .

***

وقال الناقد الأديب : « ... كان ضرورياً أن يذكر فصل خاص بصفات خالد الحربية ، وفصل آخر خاص بفنونه الحربية ، وفى الأول نستطيع أن نفاضل بين خالد وغيره من عظماء العسكريين فى جميع العصور »

والعجيب أيضاً فى هذه الملاحظة أن الناقد الأديب يتطلب هذا الفصل وهو معقود فى الكتاب ، ويتطلب المقابلة بين خالد وغيره من العظماء العسكريين ، وقد قابلنا بينه وبينهم فى موضع المقابلة .

ففى الكتاب فصل فى عبقريته الحربية يستغرق اثنتى عشرة صفحة ، وفى هذا الفصل نقول : « إن المقارنة بينه وبين قواد الطراز الأول فى الزمن القديم تقدمه إلى المرتبة الأولى بين أكبر القواد ، ومنهم الإسكندر وبلزاريوس اللذان حاربا عدواً كعدوه فى ميدان كميدانه . فالإسكندر فى وقعة اربل هزم جيشاً فارسياً تقدر عدته بمائة ألف من الفرسان والمشاة ، وبلزاريوس فى وقائع أرمينية هزم جيشاً فارسياً تقدر عدته بأربعين ألفاً أو قرابة الأربعين ، والمقارنة بين خالد بن الوليد وهذين القائدين ترجح

كفته على كفتيهما معاً فى هذا الميدان ، لأن الإسكندر كان يقود خمسة وأربعين ألفاً ، وبلزاريوس كان يقود نيفاً وعشرين ألفاً ، وكلا الجيشين مسلح بأمضى الأسلحة فى ذلك الزمان »

أما الفن العسكرى عند خالد فلو أننا نقلنا ما ذكرناه عنه فى الكتاب لضاق به المقام ، وحسبنا أن نشير هنا إلى فقرة واحدة تدل على جملة أوصافه حيث نقول : « . . . إنه لم تعوزه قط صفة من صفات القائد الكبير المفطور على النضال ، وهى الشجاعة والنشاط والجلد واليقظة وحضور البديهة وسرعة الملاحظة وقوة التأثير ، وإنه كان يضع الخطة فى موضعها ساعة الحاجة إليها ، فكان يحارب بالصفوف كما كان يحارب بالكراديس ، وكان يحارب بالكمين والكمينين كما يحارب أحياناً بغير كمين ، وكان يستخدم التورية والمباغتة والسرعة على أنماط تختلف باختلاف الدواعى والأحوال . وقد علم أن تمزيق الجيوش أجدى فى الحرب من الحصار والاحتلال ، وعلم أن الخبر قوة وسلاح ، فكان يستطلع أخبار العدو ولا يتيح له أن يستطلع خبراً من أخباره ، وأجدى من ذلك أنه كان لا يغفل عن القوة الأدبية يعززها ما استطاع فى جيشه ويضعفها ما استطاع فى جيش عدوه »

وهذا قليل من كثير مما كتبناه عن عبقرية خالد الحربية مجموعاً فى الفصل الخاص بها أو موزعاً فى سائر أجزاء الكتاب

فلا نريد أن نقول إن الناقد الأديب قد تجاهله عامداً أو قرأه ولم يفطن إليه ، ولكننا نقول إنه قرأ جانباً من الكتاب وفاته جانب آخر أو جوانب أخرى ، وهو على ذلك مشكور لحسن قصده والتمهيد لهذا البيان فى تصحيح ملاحظاته ، وتيسير الحكم للقراء فيما قلنا وما قال

عباس محمود العقاد

الحروف اللاتينية لكتابة العربية

للدكتور عبد الوهاب عزام

سمعت منذ شهرين أن سعادة عبد العزيز فهمى باشا الذى اقترح على مجمع اللغة العربية أن تكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، يطبع كتاباً يجيب فيه المعترضين على رأيه ، فقلت لمن أخبرنى : جدير بكل ذى رأى أن يدفع عنه حتى يتبين للناس أنه مصيب أو يتبين له هو أنه مخطئ

ثم أرسلت إلىّ نسخة من الكتاب منذ عشرة أيام فتعجلت النظر فيه آملاً أن أجد جدالاً يمليه الإنصاف ، وتحوطه التؤدة والأناة ، ويقصد إلى الغاية على طريق مستقيم لا يجور به الهوى ، ولا تحيد عنه العصبية ، ولا يقطعه الكلام فى غير الموضوع على غير وجه

ثم عبرت الكتاب فإذا المؤلف يعدد فى القسم الثانى من كتابه ثلاثة وعشرين عنواناً متوالية على العدد ، ويحاول بعد كل عنوان أن يذكر اعتراضاً ويرده ، ولو استقام البحث على هذه الطريقة لاستوعب المؤلف الاعتراضات كلها ، وأجاب المعترضين جميعاً غير ممرج على الأشخاص ، ولا هانو عن الجدال فى الرأى إلى الاستهزاء بصاحبه والافتراء عليه . ولكن الأستاذ عرض فى بعض هذه العنوانات لذكر أشخاص بأوصافهم أو بأسمائهم . وأطال فى تجريحهم بأشياء توهمها لا تتصل بموضوع الجدال صلة قريبة أو بعيدة ، على حين أوجز فى الفصول التى ردّ فيها الاعتراضات غير مبال بالأشخاص . فتمّ صنعه عن قصده إلى الانتقام من ناس خالفوا رأيه ، ودلّ فعله على أن تجريح هؤلاء ينال من اهتمامه نصيباً أكبر من الاعتراضات التى جادل فيها

وقد قرأت الفصل الخامس عشر الذى تكلم فيه عن كاتب أرسل إليه بالبريد صحيفة فيها مقال يجادله فيه . قرأت هذا الفصل متعجباً مشدوهاً لا أكاد أصدق أن هذا الهجوم الحاقد والطعن المتدارك خطه قلم الأستاذ الجليل . وحسبت أن الأستاذ ترك الموضوع إلى هذا الطعن والتجريح فى أمور لا صلة لها بالموضوع عقاباً لرجل يعرف الباشا أنه يستحق ما يرميه به ، ويرى ألا يضيع الفرصة للانتقام منه . وحسبت أن الرجل لو لم يكن جديراً بهذا ما رماه به المؤلف . ثم عرفت الرجل المقصود من بعد فإذا هو رجل مجاهد مخلص يعمل دائباً صامتاً لا يمارى ولا يفترى . فلبثت حيران لا أدرى ما وراء هذا من سر . وللرجل قلم هو أولى الأقلام وأقدرها على الدفاع ، فلست محاولاً الدفاع عنه ، ولكنى

أجملَ الطعن فيه والبغى عليه مقياساً لما فى كلام المؤلف من تثبت وتورع عن ظلم الناس والعدوان عليهم

وكان العنوان: « الحادى والعشرون » نصيبي من رد سعادة الأستاذ

وأنا أقدِّم قبل مجادلته فيما ادَّعى ، أنى كتبت فى هذا الموضوع قبل تسع سنين حينما نشرت فى مجلة الرسالة مقالاتى عن النهضة التركية الحديثة . وأنى عُنيت به منذ غيّر الترك العثمانيون كتابتهم . وحادثت فيه وجادلت فى مصر والبلاد العربية وفى تركيا وأوربا قبل أن يختار الأستاذ عضواً فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية . وقد اخترت موضوع محاضرتى : «الخط العربى . مزاياه وعيوبه» قبل أن يُنشر تقرير الأستاذ الذى قدمه إلى المجمع . ونحن نسجِّل موضوعات المحاضرات العامة أول العام الدراسى ثم نلقيها ولاء فى أوقاتها . ولم يكن سعادة الأستاذ يشغلنى كثيراً وأنا أكتب محاضرتى وإنما عمدت إلى البحث الصرف غير مبال بالأشخاص لاسيما سعادة الكاتب الذى لم يبتدع هذه البدعة بل تبع فيها دعاة هم أولى بأن يجادلوا فيها

ولكن المؤلف توهم نفسه إماماً فى هذه الدعوة ، وحسب كل مجادل فيها يعنيه لا يعنى غيره ، وظن أن كل مخالف عدو ، وأن العدو ينبغي أن يحارَب ، وأن الحرب تبيح كل عدوان

ويعلم الله أنى حين قرأت ما كتب الأستاذ عزمت على ألا أجادله يأساً من جدوَى الجدال الذى يُبتدأ على هذه الطريقة . وقلت كيف أجادل كاتباً حديد الطبع ، تحمله الحدة على التسرع ، ويُنسيه التسرعُ التثبتَ ، ومن نسى التثبت كان حرياً أن يسير على غير طريق إلى غير غاية ، جديراً أن يقول غير سديد ، ويطعن غير مقتصد . ثم أشار على بعض الإخوان بالإجابة ، كما أشار عليه بإجابة المعترضين « بعض المهتمين بهذه المشكلة »

وأبدأ بمجادلة الأستاذ فى الخطة التى ارتضاها لنفسه ، وأقول غير متردد : إنها خطة جائرة منكرة تكفل لصاحبها ألا يهتدى إلى صواب ، ولا يبتعد عن ضلال ، خطة تُعنَى بأصحاب الآراء أكثر مما تُعنى بالآراء ، ثم لا ينال أصحاب الآراء من هذه العناية إلا الاستهزاء والبغى والافتراء ، وسواء على صاحبها أن يقارب الحق أو يباعده ، وأن يصف خصمه بصفاته أو بما يناقضها

توهم الأستاذ لى صفتين أحسب أن وصفى بهما لا يكون إلا ميلاً مع الهوى ، وجوراً مع الغضب ، ورجماً بالأوهام

عرضت لعيوب الكتابة الأوربية ، وبينت من شناعتها ما لا تذكر معه عيوب كتابتنا . ثم قلت إن الكتابة الأوربية محمية بالأساطيل والطائرات والفتنة والهيبة اللتين تأخذاننا من كل جانب . وهى كلمة حق تجمل ما نحن فيه من افتتان بكل ما يأتى من أوربا وازدراء لكل ما عندنا . وما قصدت بهذه الكلمة الأستاذ عبد العزيز باشا ولا جماعة فى مصر ، ولا المصريين وحدهم ، ولا البلاد العربية فحسب . بل أردت بها ما يعم أقطار الشرق كلها من هذه الفتنة . فأثارت هذه الكلمة ثائرة الأستاذ ، وقد اعترف هو بهذه الفتنة فى نفسه حين قال وهو آخذ بمخنق الكاتب الذى أرسل إليه مقالا بالبريد . قال هو يعرب عن إكباره وإعجابه بالقوانين التى أخذناها عن أوربا :

« اعلم مُعلما أن العقول التى كشفت لك عن عجائب الكهرباء . وهيأت للناس التلغراف واللاسلكى . كما كشفت لك عن معجزات الطيران الذى طبّق عليك وعلىّ وعلى جميع الناس أرجاء السماء — هذه العقول لها أخ من أبويها يشتغل إلى جانبها بمسائل القانون ويسمو فى بيئته إلى ما يسمو إليه إخوته الآخرون ، ولكنك لا تراه لأن نظرك قصير »

وكان يمكن الأستاذ أن يطرد القياس ، فيقول : ولهم كتابة هي ولا شك أفضل من كتابتنا ، وهى العلاج الوحيد للغتنا . الخ.

أليس قياس القانون على الطائرات ونحوها هى الفتنة التى ذكرتها فغضب الأستاذ . ولا أدرى لماذا ثار الأستاذ فقال عنى : (هنا خلع العلم ثوبه وارتدى ثوبا سواه ، الوطنية اللفظية ، ولحنة أناشيد أرباب الحناجر » . ومضى يكرر هذا المعنى إلى أن قال : «بل لعلى واهم فيما أخشاه على الأستاذ من إمكان حمل عباراته على معنى تعمده مسابقة أرباب الحناجر فى حلبة الوطنية اللفظية»

وجوابى أن الله يعلم وأصحابى وتلاميذى يعلمون أنى لست من أولى الوطنية اللفظية ، ولا ممن ينشدون أناشيدها ويكدّون حناجرهم فيها ، بل كل صلتى بالوطنية العملُ الصامت الدائب الذى لا يبغى من الناس جزاء ولا شكوراً ، وأن اتهام مثلى بهذا

جدير بأن يُلاقى الشك فى كل ما يزعم المتهم وينفى الثقة عن كل كلامه

ثم انتقل الأستاذ فى غضبه وانطلاقه مع الغضب غير متئد ولا متثبت ، فوصفنى وصفاً آخر يناقض الوصف الأول فى معناه ، ويوافقه فى أنه باطل مثله . وصفنى الأستاذ غير عارف ، أو متجاهلاً بجاهل العارف بأنى رجل متوقر متزمت . ثم لبث يشرح التزمت ويبين آثاره فى خلقة صاحبه وخُلقه ، وفى الوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج ؛ فكتب صفحتين فى هذا كأن مقصده الأول الكلام فى التزمت لا الدفاع عن بدعة الحروف اللاتينية ، وأنا أعرض على القارئ مقدمة كلام الأستاذ فى التزمت ثم أسأله كيف يسمى هذا الكلام ، وما ظنه بمن يرمى به وهو يجادل فى الحروف اللاتينية ، وبلفظه وهو يجادل رجلاً بعيداً كل البعد عن التزمت ، قال الأستاذ :

« والتزمّت ، أجارك الله ، متى أخذ بخناق الرجل نكّر خَلقه إنه يورث اقمنساساً فيبدو مقعر الظهر ، محدّب الصدر ، منتفخ الأوداج ، محتقن الوجه ، بارز الحدقتين . فى الأوج هامته ، وفى الحضيض همته . إن لم يكن كالمعلّق بحبل المشنقة ، فهو على الأقل ضابط صف معلم بأورطة الأساس ، يمشى متشامخاً مدلا بكفايته بين أنفار القرعة المستجدين . هكذا يفعل التزمت . ثم هو يخرجه فى تصرفاته عن التعابير المألوفة بين الناس . يجعله متى أراد إخراج الكلمة من فيه رطلاً خرجت على الرغم منه قنطاراً . وإذا أرسل صوته يميناً التوى فذهب شمالاً ، وإذا بصق أمامه على استواء نكص البصاق إلى الوراء ، هو يخرجه من فيه ، فيرتد لما فيه فيمججه » الخ

هذا أيها القارئ مقدمة كلامه فى التزمت ووراءه كلام طويل تناول الوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج ، وإن أراد الكاتب أن يضحك باكيا فليقرأ بقية الفصل ويرى كيف تعب المتزمت فى كيل الزكاة وخنق دجاج الدار حين جاء يلتقط الحب ، ثم طلّق امرأته إذ أمرها بإخراج الدجاج الميت فلم تمتثل . وكيف فعل في الصلاة والصوم والحج ، ثم ليدلنى القارئ على صلة عاقلة أو مجنونة بين هذا وبين الحروف اللاتينية واللغة العربية ...

وأنا أنشد الأستاذ الله الحق أن يسأل نفسه هادئاً إن استطاع : أهذه الأوصاف تنطبق علىّ أو عليه خِلقة وخُلقاً .

ثم أنشده الله الحق : ألا يشعر بشىء من التناقض والتهاتر والتهافت فى أن يصف إنساناً فى مقال واحد بأنه من أرباب الحناجر وأناشيد الوطنية اللفظية ، وبأنه متوقر متزمت ، ثم أنشده الله الحق مرة أخرى : أحسب نفسه صادقاً حين وصف بهذه الأوصاف رجلاً يعلم الله وكل من يعرفه من الناس أنه من أبعد خلق الله عنها . إن كان قد غبيَ على الأستاذ وصف إنسان يعاصره ويعايشه فى بلد واحد ، وخفى عليه سيرة رجل قريب منه يستطيع أن يعرفه باللقاء والمحادثة ، ويستطيع أن يسأل عنه أصحابه وتلاميذه ، إن كان قد ذهب عنه هذا كله إحتقاراً للناس أو إحتقاراً للحق أو ولوعاً بالافتراء ، وجوحاً مع الهوى ؛ فهل يثق عاقل بكلامه فى الأمور المنوية المغيبة ، الأمور التاريخية والاجتماعية واللغوية الدقيقة ، هل يظن عاقل أن من يجرى مع الهوى وطلق الجموح ، ويساير الباطل هذه المسايرة يكلف نفسه عناء فى بحث موضوع أو وزن دليل ، ونقد حجة ؟ إنى لا أنال من سعادة الأستاذ بمثل أن أدعو القارئ إلى قراءة هذا الفصل الضحك المبكى فهو أبلغ شىء فى وصف نفسه ووصف كاتبه

وليت شعرى أهذا شىء حديث عرض لسعادة الأستاذ أم كان بهذه الطريقة نفسها يعالج قضايا الناس محامياً ونائباً وقاضياً ؟

وبعد ؛ فقد قرأت فى كتاب فارسى هذه القصة :

ذهب رجل إلى طبيب وشكا إليه أنه يحس فى صدره عُقداً ، قال الطبيب ما صناعتك ؟ قال شاعر . قال نظمت شعراً منذ قليل ؟ قال نعم . قال أنشدته أحداً ؟ قال لا . قال فأنشدنيه ؛ فأنشده . فاستعاده مرات . ثم سأله كيف تجدك الآن ؟ قال أشعر براحة ، قال الطبيب هذا شعر كان معقداً فى صدرك

لعل سعادة الأستاذ استراح بعد أن أخلى صدره من كلام تعقد فيه زمناً طويلاً ، وقد بعد عهده بمجادلته فى المجمع التى ضج منها الأعضاء ولا يزالون يضجون ويشكون ، وكان فى مجادلة المجمع عوض عن مجادلات ألفها المؤلف طول عمره . فإن كانت عقد صدره قد انحلت بما لفظه علينا من البغى والافتراء ، فليحمد الله الذى شرح صدره

وفى المقال الآتى أناقش الأستاذ فى الكلمات القليلة ، التى كتبها فى الموضوع آسفاً على أنه أخرجنى عن البحث كارهاً مشمئزاً ولا ذنب للمكره ، وللناس والأقلام محن تكره فيها على ما لا تود ، وتكلف ما يشق عليها .

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

ثقافة الشاعر
وأثرها في شعره
للأستاذ دريني خشبة

ظن بعض إخواننا الشعراء أننا قصدناهم بمقالنا الذي رجونا شعراء الشباب فيه أن يعنوا بثقافتهم الخاصة حتى يستطيعوا أن يحسنوا الاضطلاع بالنهضة التي نطمع أن تتم للشعر العربي الحديث على أيديهم . . . وإخواننا هؤلاء مخطئون ، لأنهم الآن في الذروة من ثقافتهم التي أوشكت أن تمهد لهم الزعامة في الشعر المصري الحديث ، وإن كانوا في نظرنا مع ذلك لم يؤدوا لهذا الشعر جزءاً واحداً من مائة جزء مما نصبو إليه ، حتى يكون لنا شعر لا نخجل من المباهاة به وسط أنواع الشعر العالمي

وسخط بعض إخواننا من شعراء الشباب الآخرين ، وعدوا الروح التي أملت علينا مقالنا نكوصاً عما أخذنا به أنفسنا من الدفاع عن شعراء الشباب ، ونسوا أننا لم نك يوماً مكابرين حتى نغمض أعيننا عما في كثير من شعرهم من الطراوة والفجاجة والضعف . . . الشعر الذي لا يمكن أن يحدث نهضة طالما أن أصحابه معجبون به ... يظنون أنه بلغ الدرجة القصوى من الأناقة والتجويد ، وأوفى على الغاية من الذوق والحرارة والشاعرية

ورضى فريق ثالث متواضع فاقتنى الكثير من الكتب التي أشرنا إليها وأخذ يستوعب ما فيها ، ويصلح به شأنه ، وكان في اعترافهم بما لمسناه في بعضهم من قلة الاطلاع على أشعار العرب في مختلف العصور لون من عظمة النفس التي تفتقر إليها نهضتنا الأدبية التي نرجو أن تبلغ أوجها على أيديهم إن شاء الله

غير أن فريقاً رابعاً من أنبه شعرائنا – الشباب والشيوخ – الذين جمعتنا بهم صدفة من أسعد الصدف ، لم يوافقنا على ما ندعو إليه من وجوب أن يكون الشاعر مثقفاً تلك الثقافة العميقة التي لا تنبغي – فيما ذهبوا إليه – إلا للعلماء والفلاسفة والكتاب ... وذلك ، أن تلك الثقافة العميقة ، فيما ذهبوا إليه أيضاً ، قد تجنى على شاعرية الشاعر فتجعله جاف الأسلوب ، نابي العبارة ، ملتوي التفكير ، معقد الأداء . . . وضربوا لذلك مثلاً . . . أبا الطيب المتنبي ، وأبا العلاء المعري ... فلم يفتني أن أعارضهم بأبي تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ...!

وهكذا ننتقل فجأة إلى قضية أدبية طريفة . . . ليست أقل قيمة من تلك القضية الشائكة ... قضية وحدة الوجود . . . والعياذ بالله !

إن إخواننا هؤلاء يزعمون أنه لا ضرورة مطلقاً لأن يتعمق الشاعر في ثقافته ، لأن ذلك يؤثر من غير شك في شاعريته ، ويجعله يضمن شعره خطرات علمية (باردة !) إذا كانت ثقافته العميقة تلك ثقافة علمية ، أو خطرات فلسفية (حائرة !) إذا كان ممن يدمنون النظر في آراء الفلاسفة وتخبطاتهم . . . فإن كانت ثقافته لفظية ، من نوع ثقافة العجاج ورؤبة وعقبة وأبي العلاء ، ترك هذا في شعره ذلك المرض الأسلوبي المتقل بحوشي الألفاظ وغريب التعابير ، مما يصرف القراء عنه ؛ ويزهد عشاق الشعر فيه ... وذكروا حالات غير هذه ، وراحوا يضربون لكل حالة منها أمثالاً تجمل رأيهم وجيهاً ، وتكسبه قوة خداعة ذات بريق

فهل ما ذهبوا إليه من ذلك كله حق ؟ وهل تطبيقاتهم صحيحة ؟ لقد ذكروا المتنبي والمعري فيمن ذكروا من الشعراء الذين أتلفت ثقافاتهم شاعريتهم . فهل من الحق أن المتنبي والمعري قد أتلفا شعرهما بما كانا يتعمدانه من تضمينه ألوان الثقافات التي كانا يمتازان بها

لقد نشأ المتنبي في بيئة شيعية ، وتعلم في إحدى مدارس الشيعيين بالكوفة ، وكان لهذا السبب من أوسع الناس إلماماً بتاريخ الفرق الإسلامية وأحوالها ومعتقداتها . وذهب بعض مؤرخي الأدب العربي ، ومنهم الأستاذ ماسينيون والدكتور طه حسين ، إلى أن المتنبي لم يكن شيعياً فحسب ، بل كان قرمطياً ، وقرمطياً متطرفاً . وأن قرمطيته بدت في ألفاظه وتعبيراته وأفكاره . ويحدثنا الدكتور طه عن ذلك حديثاً طليا في كتابه « مع المتنبي » . وكما بدا التشيع في شعره ، بدا التصوف كذلك ، فهو يستعمل طرق الأداء عند المتصوفة ، ويأتي في شعره وأخيلته بكثير من أوهامهم ومعتقداتهم ، ويمدح

أعظمهم مدحاً قد لا يسيغه المسلم الحق إلا موجهاً إلى الله سبحانه . ولم يبال المتنبي أن مدح الأوْراجي[1] الصوفي الذي كان له في مأساة الحلاج النصيب الأوفى ، وأن يمدحه بإحدى روائعه التي مطلعها :

أمن ازديارك في الدجى الرقباء
إذ حيث كنت من الظلام ضياء

ولا يبالي أن يبوح في كثير من قصائده بما لعله كان يؤمن به من الحلول والتناسخ ... ولست أدري ماذا يقدح ذلك في المتنبي العظيم كشاعر من شعراء الصف الأول بين شعراء العرب ؟ ماذا يعيب الشاعر أن يمتلئ ذهنه بلون ما من ألوان الثقافة فيكون له صدى في شعره يصدر عنه عفواً وعن غير عمد ؟

قد يكون إخواننا الأعزاء على حق حين يلاحظون على المتنبي تعمده الإتيان في شعره بالغريب الحوشي من الألفاظ ، والغريب الشاذ من الجموع والصفات ... ولكن ما حيلة المتنبي في عصره الذي كان يزخر بعلماء اللغة وفقهائها وشيوخ النحو والصرف والبلاغة ؟ لقد كان أكثر هؤلاء العلماء الأعلام يناصبون المتنبي العداء ، وينفسون عليه مرتبته الأدبية التي لم يتمتع بها شاعر من قبل ، فكانوا يتعقبون شعره ، ويقفون له بالمرصاد ، عسى أن يسقطوا له على غلطة ، أو أن يعدوا عليه زلة ، وكان المتنبي يعرف ذلك منهم ، فكان يعبث بهم ، ويغلو في هذا العبث ، وينصب لهم من عربيته الفصحى فخاخاً تمسك بهم كما تمسك الشراك الثعالب

على أن أحداً من هؤلاء العلماء الأعلام لم يكن أرسخ في علوم العربية كعباً من أبي الطيب . ففي (معاهد التنصيص) — جـ١ ص١١ — « أن الشيخ أبا على الفارسي قال (للمتنبي) يوماً : كم لنا من الجموع على وزن فِعْلى ؟ فقال المتنبي في الحال : حجلى وظربى ، قال الشيخ أبو على ، فطالعت في كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد ! » . وفي خزانة الأدب للبغدادي (جـ ١ ص ٣٨٠) أن ابن العميد قرأ على المتنبي كتاباً من كتب اللغة

ولعل الذي كان يعيبه هؤلاء العلماء الأعلام على المتنبي لم يكن جميعه ، أو لم يكن شيء منه ، مما يعاب على سيد شعراء العربية غير مدافع .. فقد كان المتنبي كوفياً ، وكان لذلك يخرج في النحو على سنن البصريين . وفي الأنصاف (طبع أوربا) تفصيل لكثير مما كان موضع خلاف بين المدرستين بصدد أشعار المتنبي ، وقد أجاد الأنباري مؤلف ذلك الكتاب القيم في توضيح ذلك إجادة تامة نافعة تبرئ المتنبي مما أخذه عليه خصومه وما لا يزال خصومه في عصرنا الحديث يأخذونه عليه من مثل ذلك ، مما يتوهمونه خطأ

وكما كان للمتنبي خصوم من النحويين وفقهاء اللغة ، كذلك كان له خصوم كثيرون من المتكلمين ، فكان يداعبهم تارة ، ويداعب فقهاء المسلمين تارة أخرى . وقد عنى الدكتور طه بهذه الداعبات في كتابه « مع المتنبي » عناية كبيرة .. وكانت مداعباته تلك تثير بين أولئك وهؤلاء حرباً فكرية طريفة في الزمن الذي كانت تجرى فيه ... فكيف نعدها اليوم من المآخذ التي نحصيها على المتنبي ، ونعيب بها شعره ؟

وكان المتنبي — لتشيعه — أو لقرمطيته — ولتقلبه في بلاد المسلمين من دون العراق الذي كانت غالبية أهله تفتتن بأساليب المتنبي وتشغف بها ، لكثرة ما كان ينتشر فيها من الفرق وأصحاب الفلسفات الغالية ، يؤثر استعمال الرمز ، ولا سيما إذا كان ينشد في مجالس من السنيين ، وهو في ذلك تلميذ للمتصوفة ، إلا أنه غدا أستاذهم . وبالأحرى أستاذ شعرائهم . وليس للصوفية رمز ، أو شارة ، لم يستخدمهما المتنبي ، إلا ما ندر . والذي يدمن قراءة أشعار ابن الفارض يشعر من فوره بتأثر شيخ شعراء المتصوفة بأستاذه المتنبي ، ولا سيما في استعمال المذهب الرمزي ، وفي كثرة استخدام التصغير ...

ولست أدري ماذا يعاب من ذلك كله على المتنبي ، بوصفه شاعراً كان يعيش في ظروف خاصة ، وكان يخضع لمقومات بيئة خاصة

على أن الذي تورط فيه إخواننا مما ذهبوا إلى أنه من عيوب ثقافة المتنبي العميقة التي أتلفت شعره ، وخرجت به من جنة الشعر إلى جحيم الفلسفة ، تلك الحكمة التي نثرها في قصائده ، وكان فيها تلميذاً غير موفق لأرسطو !

وذكروا أن الصاحب بن عباد ألف لفخر الدولة رسالة أحصى فيها للمتنبي ثلثمائة وسبعين بيتاً تجرى مجرى الأمثال ؛

(١) هو أبو على هرون بن عبد العزيز الأوراجي المتصوف .

على هامش النقد :

٢ ـ في عالم القصة

كفاح طيبة ... ... لنجيب محفوظ

للأستاذ سيد قطب

أحاول أن أتحفظ في الثناء على هذه القصة ، فتغلبني حماسة قاهرة لها ، وفرح جارف بها ! ... هـذا هو الحق ، أطالع به القارىء من أول سطر ، لأستعين بكشفه على رد جماح هذه الحماسة ، والعودة إلى هدوء الناقد واتزانه !!

ولهذه الحماسة قصة لا بأس من إشراك القارىء فيها :

لقد ظللت سنوات وسنوات أقرأ ذلك التاريخ الميت الذي نتعلمه في المدارس عن مصر في جميع عصورها ، والذي لا يعلمنا مرة واحدة أن مصر هذه هي الوطن الحي الذي يعاطفنا ونعاطفه ، ويحيا في نفوسنا وأخلادنا بحوادثه وأشخاصه

وظللت أستمع إلى تلك الأناشيد الوطنية الجوفاء ، التي لا تثير في نفوسنا إلا حماسة سطحية كاذبة ، لأنها لا تنبع من صلة حقيقية بين مصر وبيننا ؛ وإن هي إلا عبارات صاخبة ؛ تخفي ما فيها من تزوير بالصخب والضجيج

ولم أجد ـ إلا مرة واحدة ـ كتاباً عن مصر القديمة يبعثها حية في نفوسنا ، شاخصة في أذهاننا . ذلك هو كتاب المرحوم « عبد القادر حمزة » : « على هامش التاريخ المصري القديم » ففرحت به مثلما أفرح اليوم بقصة كفاح طيبة ، ودعوت وزارة المعارف إلى أن تجعله في يد كل تلميذ وطالب ، بدل هذه الكتب الميتة التي في أيديهم . ولكن تغيير الكتب في وزارة المعارف أمر عسير ، لأن مصنفيها هم مقرروها في أغلب الأحايين

وكنت أرى الطابع القومي واضحا ـ بجانب الطابع الإنساني ـ في آداب كل أمة ، ولا سيما في الشعر والقصة — بينما أرى الطابع المصري باهتا متواريا في أعمالنا الفنية ، مع بلوغها درجة عالية تسلك بعضها بين أرقى الآداب العالمية

وكنت أعزو هـذا اللون الباهت ، إلى أن مصر القديمة لا تعيش في نفوسنا ، ولا تحيا في تصوراتنا . إلى أننا منقطعون عن هـذا الماضي العظيم لا نعرفه إلا ألفاظا جوفاء ، ولا نتمثله صوراً ووشائج حية . إلى أننا نفقد من تاريخنا المجيد حقبة لا تقل عن خمسة آلاف سنة : من الفن والروح والعواطف والانفعالات . إلى أن بيننا وبين الآثار المصرية ، والفنون المصرية ، والحياة المصرية ، والأحداث المصرية ، هوة عميقة من الزمن واللغة ، ومن الإهمال والنسيان .

وطالبت بأن تنقل إلى اللغة العربية كل قطعة أدبية كشف عنها في مصر العريقة ، وإلى أن ترسم باللغة العربية صور الحياة المصرية بكل ما فيها من ظلال ، وإلى أن تمتد بين النشء وبين

لجاء الحاتمي وألف رسالته (الحاتمية)[1] في رد حكم المتنبي إلى أصولها من فلسفة آرسطو ... والرد على زعم السرقة هنا هين لا يكلف الإنسان عناء ، وهي لو صحت لما نهضت برهاناً على الذي ذهبوا إليه من تشويهها لشعر المتنبي ؛ فما لا مشاحة فيه أن حكم المتنبي هي لآلىء غالية يزهى بها شعره ، ويتفرد بها ، لا بين شعراء العربية فحسب ، بل بين شعراء العالم كله ... وليس معنى ذلك أننا استوعبنا أشعار الأمم كلها ... ولكننا نقول ذلك بعد أن قرأنا معظم ما ألف عن تاريخ آداب العالم ؛ فلم نعثر بشاعر يضارع المتنبي أو ينافسه في ميزته تلك . على أنك تقرأ الحكمة من الحكم التي ينسبونها إلى آرسطوا ، والتي لا ندرى المصدر الذي استندوا إليه في نسبتها إليه ، ثم تقرأ بيت المتنبي الذي يحمل هذه الحكمة . فتشعر من فورك بالبون الشاسع بين أداء المتنبي وأداء آرسطو ، وبين تفكير هذا وتفكير ذاك

أي فرق شاسع بين قول آرسطو : قد يفسد العضو لصلاح أعضاء ، كالكي والفصد اللذين يفسدان الأعضاء لصلاح غيرها

وقول المتنبي :

لعل عتبك محمود عواقبه فربما صحت الأجسام بالعلل

ومثل ذلك الفرق نلمسه في العشرين والمائة حكمة التي تناولها الحاتمي في رسالته ...

ذلك ما اتسع له المجال في الدفاع عن المتنبي ... أما الدفاع عن المعري فموضعه غير هذا الحديث .

[illegible]

(١) مجموعة التحفة البهية

الآثار المصرية صلة وثيقة فى كل أدوار نشأتهم ؛ وإلى أن تنفث الحياة فى تلك الآثار والتماثيل والتواريخ ، بما يصاغ حولها من القصص والأساطير والملاحم والبيانات .

دعوت إلى أن تصبح حياة أحمس وتحتمس ورمسيس ونفرتيتى وأمثالهم فى منال كل تلميذ صغير وكل طالب كبير ، بل أن تعود أساطير حية للأطفال فى المهود ، بدل الشاطر حسن وجودر ، وحسن البصرى ، والورد فى الأكمام

قلت : إذا كانت مصر القديمة قد احتجبت عنا ، لأننا أصبحنا نتحدث اليوم بلغة غير لغتها ، فلننقلها هى إلى لغتنا الحديثة ، لنضم إلى ثروتنا الفنية المحدودة بألف وخمسمائة عام (فترة الأدب العربى الذى ندرسه) ثروة أعظم منها وأعرق وأخصب فى فترة أخرى طويلة تربو على الخمسة الآلاف من الأعوام . فإنه من السفه أن نفرط فى هذه الأعمار الطوال !

وكنت أعلم أن القصة والملحمة ، هما خير الوسائل إلى تحقيق هذه الصلة التى نشدتها طويلا ، وكتبت عنها طويلا . فكلتاهما تردان الحياة إلى ذلك الماضى ، وتبعثانه فى الضمائر من خلال الألفاظ ، وتوقظان الوراثات الكامنة فى دمائنا من هذا العهد المجيد ، وتصلاننا بحياة أجدادنا على أرض هذا الوادى العريق . فتصبح روافد لنفوس كل جيل ، حوافز لمشاعر كل فرد

ولا يعود الغابرون فى مسارب الزمن جثثاً هامدة مسجاة فى الأكفان مطمورة فى الرمال . إنما يعودون ذواتاً حية ، وشخوصاً قائمة ، يشاركوننا هذه الحياة الحاضرة ويدبرون معنا أمرها ، ويزودوننا بتجاربهم ونصائحهم ، ويفيضون علينا مشاعرهم وعواطفهم — فيحس الفرد منا أنه فرع حديث لشجرة عريقة عميقة الجذور فى الزمن شهدت فجر التاريخ ، ووعت حديث الأجيال ، وصمدت لأقسى عوامل الفناء .

قلت هذا كله فى عشرات المقالات ، واليوم أتلفت فأجد بين يدىّ القصة والملحمة ، كلتاهما فى عمل فنى واحد . فى « كفاح طيبة » . فهى قصة بنسقها وحوادثها ، وهى ملحمة — وإن لم تكن شعراً ولا أسطورة ! — بما تفيضه من وجدانات ومشاعر ، لا يفيضها فى الشعر إلا الملحمة !

هى قصة استقلال مصر بعد استعمار الرعاة على يد «أحمس» المظيم . قصة الوطنية المصرية فى حقيقتها بلا تزيد ولا ادعاء ، وبلا برقشة أو تصنع . قصة النفس المصرية الصميمة فى كل خطرة وكل حركة وكل انفعال .

* * *

أغار الرعاة « الهكسوس » على مصر من الشمال الشرق وغلبوا عليها بسبب اختراع « المجلات الحربية » التى لم تكن مصر قد أخذت بها فى جيشها ، وحكموا مصر السفلى ومصر الوسطى . أما مصر العليا وعاصمتها طيبة ، فقد ظل حكامها من الأسرة الفرعونية المصرية ، يدارون الرعاة ويقدمون إليهم الهدايا احتفاظا باستقلالهم الداخلى إلى أن يستطيعوا الاستعداد السرى لطرد الغزاة .

ثم تبدأ القصة عند «سيكننرع» حاكم طيبة ووريث العرش الشرعى . فلقد لبث يهيئ الجيوش سراً ، ويستكثر من المجلات الحربية حتى بلغ جيشه عشرين ألفاً وعجلاته مائتين ؛ ووضع على رأسه التاج ، ولم يكن يعدّ نفسه حاكم طيبة بل ملك الجنوب

ويجيئه رسول (أبو فيس) ملك الرعاة الذى يلقب نفسه (فرعون مصر) ويضع على رأسه التاج المزدوج ؛ يجيئه ليتحداه فيطلب إليه خلع التاج ، فما هو إلا حاكم ، وبناء معبد لست إله الشر بجوار معبد أمون فى طيبة ، وقتل أفراس النهر المقدسة بها . فيأبى الملك أن يدوس الدين والشرف ليقنع بالسلامة . وإنه ليعلم مدى قوة خصمه ويعلم أنه لم يستكمل بعد استعداده . ولكنه يرفض يؤيده الجميع : أمه توتشيرى (الأم المقدسة) التى ترعى الجميع ، وتشرف بروحها المظيم على كل عدة الجهاد ؛ وابنه ، وقائده ، ورئيس كهنة أمون ، ومستشاروه أجمعين .

وتقع الحرب ، ويقتل الملك البطل ، وتستباح طيبة للعدو المنيف ؛ فتصعد الأسرة المالكة فى النيل إلى « بلاد النوبة » بتدبير قائد الملك القتيل ، لتمد العدة هناك للعودة حينما يشاء الإله !

وبعد عشرة أعوام فى الاستعداد وبناء المجلات الحربية ، يهبط « أحمس » حفيد الملك « سيكننرع » ، وابن الملك « كاموس » إلى أرض مصر فى زى التجار ، يقدم لحكامها

الرعاة الذهب ليحصل على الرجال . الرجال الذين ذاقوا الذل والويل ، ولكن نفوسهم ما تزال تغلى بالانتقام من الغزاة ، وتفيض بالولاء للأسرة المالكة المشردة

وتتم الحيلة ، وتفتح له الحدود فيحصل على الرجال ، ويتألف الجيش المتيد ، ويهبط أرض الوادى ، ويهزم الغزاة ويطاردهم إلى آخر شبر من الأرض المصرية فى هوارتس ، وتسترد طيبة عرشها وعرش مصر السفلى ، وتعود البلاد حرة من جديد . على يد أحمس بعد استشهاد والده ، كما استشهد من قبل جده العظيم ...

ولكن !

نعم . ولكن . لقد كسب مصر وخسر قلبه ! وإنه لكسب ضخم ، وإنها لخسارة فادحة

لقد أحب ابنة ملك الرعاة . أحبها منذ الرحلة الأولى ، يوم قدم مصر فى زى التجار . أحبها وأحبته واختارت يومها عقداً من مجوهراته التى يحملها ، وأنقذت حياته حين هم به قائد حربى من الهكسوس كان يريد الاعتداء على حرمة سيدة مصرية — هى أرملة قائد جده — لحماها من الأذى ، لأن حميته لم تطق أن تنتهك حرمة مصرية أمامه ، وقد كاد ذلك يفسد عليه خطته المظيمة ...

أحبها وأحبته ، وأخفى كلاهما حبه ، ولكنه ظهر فى بعض التلميحات . فتعقدت القصة منذ ذلك اليوم . لقد كان أحمس يتهيأ للمهمة الكبرى التى ألقاها الوطن على كاهله ، ليطرد الرعاة الغزاة ، وينكل بهم كما نكلوا بالمصريين . وهو يحب ابنة عدوه الأكبر ، لأن القلب الإنسانى يتسع للحب والبغض مجتمعين . وفى كل خطوة يصطدم هذا الحب بهذا البغض ، فيدوس قلبه الجريح ، ليؤدى واجبه المقدس . وإن كان يضعف بين الحين والحين !

ووقعت الأميرة فى الأسر . أسرها « الفلاحون » الذين اتخذ ملك الرعاة من نسائهم وأطفالهم درعاً لحصون طيبة ، يتقى بهم سهام قومهم المهاجمين . وفى لحظة رهيبة بعد أن ضحى المصريون بنسائهم وأطفالهم ، وأردوهم بسهامهم ليدخلوا طيبة . فى لحظة بلغ الألم الإنسانى ذروته ، جاءوا للملك بهذه الأميرة أسيرة ، ونساؤهم وأطفالهم ممزقون بسهامهم على الأسوار . وكان احتفاظهم بها وعدم تمزيقها إرباً فوق طاقة الآدميين !

وكان موقفاً من المواقف الكثيرة التى عاناها الملك الشاب بين قلبه وواجبه . لقد استطاع أن يدوس قلبه فى سبيل الغرض الأكبر — تحرير الوطن — أما حين يكون الأمر أمر انتقام جزئى فهنا يغلب الحب ، فيحفظ حياة الأميرة !

وفى اللحظة الأخيرة — وقد تمت هزيمة الرعاة — يحاول الملك الشاب أن يستأثر بالأسيرة الآسرة . ولكن وا أسفاه : إن أباها يقومها بثلاثين ألفاً من الرهائن المصريين . وإن الملك ليحبها ، ولكن ثلاثين ألف رأس ثمن كبير . وإنها لتحبه ، ولكنها تعلم أن أباها الصحراوى لن يجيبه إلى يدها ، وهو عدوه المبين . لقد ذهبت ليبقى الفرعون الظافر يذكرها فى يأس وحنين . ويحس أنه خسر المعركة وهو أعظم المنتصرين

***

ذلك هيكل القصة . ولكن القصص ليست هيكلها العام . فأين العمل الفنى فيها ؟

إن العمل الفنى هو الذى لا يمكن تلخيصه . وقيمته فى هذه القصة لا تقل عن قيمتها القومية . وهذا هو المهم . فقد يحاول الكاتب إثارة العواطف القومية وينجح ، ولكنه ينسى السمات الفنية ، فيحرم عمله الطابع الذى يسلكه فى سجل الفنون

إن كل شخصية من الشخصيات فى هذه القصة لهى شخصية إنسانية وشخصية مصرية فى آن . وإن كل موقف من مواقفها لهو الموقف الطبيعى الذى ينتظر من الآدميين المصريين . وإن السياق الفنى لهو السياق الذى يلحظ الدقة الفنية بجانب الهدف القوى ، بلا مغالطة ولا ضجة ولا بريق .

لم يحاول المؤلف أن يقلل من شجاعة الرعاة ، ولا مميزاتهم النفسية . ولم يحاول كذلك أن يستر مواطن الضعف المصرية — وهى مواطن ضعف إنسانية — لم يجعل أبطال مصر أشخاصاً أسطوريين ، ولم يجعل المصريين شعباً من الملائكة ولا من الشياطين . ومرة واحدة أو مرتين جاوز بهم طاقة البشر ، ولكن بعد تهيئة وتمهيد

لهذا كله تسير الحياة سيرة طبيعية فى القصة ، وتنبعث

المشاهد شاخصة . لشد ما شعرت بالحقد الملتهب على الرعاة وحكامهم وقضاتهم ، وهم يجلدون المصريين ويحقرونهم ويدعونهم استهزاء الفلاحين (ويبدو أن هـذا اللقب هو الذى يتشدق به دائماً أولئك الأجانب المتعصبون فى جميع العصور ، من الرعاة إلى الرومان إلى العرب إلى الترك إلى الأوربيين . وإن كان هؤلاء الفلاحون أشرف وأعرق من الجميع) ، لشد ما شعرت بالقلق واللهفة على مصير الجيش المصرى فى عدده القليل أمام أعدائه المتفوقين . لشد ما خفق قلبي وأحمس المتخفى فى زى التجار ، يلق الملك ، ويصارع القائد ، وينتفض للعزة الجريحة ، ويمسك نفسه فى جهد شديد . لشد ما عطفت عليه وهو يقع فى صراع أشد وأعنف من كل صراع حربى ، ويجاهد نفسه بين قلبه وواجبه ، فيؤدى الواجب على حساب قلبه الجريح

ولم يكن الشعور القومي وحده هو الذى يصل نبضاتى بنبضات أبطال القصة . بل كان الطابع الإنسانى الذى يطبعها ، والتنسيق الفنى الذى يشيع فيها ، هما كذلك من بواعث إحساسى بصحة ما يجرى فى القصة ، وكأنه يجرى فى الواقع المشهود ، بكل ما فى الواقع من عقد فنية ، وعقد نفسية ، ينسقها المؤلف فى مواضعها بريشة متمكنة ، ويد ثابتة ، تبدو عليها المرانة ، والثقة بمواقع التصوير والتلوين

ولا أحب أن يفهم أحد من هذا أن مؤلف « كفاح طيبة » قد بلغ القمة الفنية . فهذا شيء آخر لم يتهيأ بعد . إنما أنا أنظر إلى المسألة من ناحية خاصة . ناحية تحقيق هدف قوى جدير بمشرات القصص والملاحم . فإذا استطاع فنان أن يحقق هذا الهدف ، دون المساس بالطابع الإنسانى والطابع الفنى ، وبلا تزوير فى المواقف والعواطف ، أو تزوير فى وقائع التاريخ ، فذلك توفيق يشاد به بشكل تأكيد . وفى هذه الحدود أحب أن يعنى هذا المقال

وبهذه المناسبة أشير إلى بعض الأخطاء اليسيرة مثل قول الملك « سيكننرع » : « لم تكن العجلات من آلات الحرب لدى الرعاة . فكيف يكون لجيشهم أضعاف ما لجيشنا منها ؟ » فالثابت تاريخياً أن « عجلات الحرب » كانت سلاح الرعاة الجديد الذى هاجموا به مصر ، فتغلبوا به على شجاعة المصريين ، حتى أخذه المصريون عنهم فانتصروا به وبذوهم فيه

ومثل أن يقول عن اسم « أحمس » إنه مشتق من الحماسة . فأحمس اسم مصرى قديم لا علاقة له بمعناه فى اللغة العربية ، ولعله وجد قبل أن يكون لهذه اللغة وجود معروف !

ومثل أن يقول أحمس : « إنه آت من بلاد النوبة » فهذا اسم حديث كذلك . وقد كانت فى ذلك الحين تسمى بلاد « بُنت » أى الذهب ..

ومثل أن يقدر مدة حكم الرعاة بمائتى عام . والراجح أنها تصل إلى حوالى خمسمائة عام

وبعض هنات كهذه وتلك . ولكن ماذا ؟ إن الفنان ليستطيع أن يخطئ مائة مرة مثل هذا الخطأ ، دون أن يؤثر ذلك فى عمله الفنى الأصيل

* * *

قصة (كفاح طيبة) هى قصة الوطنية المصرية ، وقصة النفس المصرية ، تنبع من صميم قلب مصرى ، يدرك بالفطرة حقيقة عواطف المصريين ـ ونحن لا نطمع أن يحس (المتمصرون) حقيقة هذه العواطف ، وهم عنها محجوبون

ولقد قرأتها وأنا أقف بين الحين والحين لأقول : نعم هؤلاء هم المصريون . إننى أعرفهم هكذا بشكل تأكيد ! هؤلاء هم قد يخضعون للضغط السياسى والنهب الاقتصادى ، ولكنهم يجنون حين يعتدى عليهم معتد فى الأسرة أو الدين . هؤلاء هم يخمدون حتى ليظن بهم الموت ، ثم يثورون فيتجاوزون فى ثورتهم الحدود ، ويجيئون بالمعجزات التى لم تكن تتخيل منهم قبل حين . هؤلاء هم يتفكهون فى أقسى ساعات الشدة ويتندرون . هؤلاء هم تفيض نفوسهم بحب الأرض وحب الأهل ، فلا يرحلون عنهما إلا لأمر عظيم ، فإذا عادوا إليهما عادوا مشوقين جِدَّ مشوقين هؤلاء هم أبداً فى انتظار الزعيم ، فإذا ما ظهر الزعيم ساروا وراءه إلى الموت راغبين

هؤلاء هم المصريون الخالدون ، هؤلاء هم ثقة وعن يقين

لو كان لى من الأمر شيء لجعلت هذه القصة فى يد كل فتى وكل فتاة ؛ ولطبعتها ووزعتها على كل بيت بالمجان ؛ ولأقمت لصاحبها ـ الذى لا أعرفه ـ حفلة من حفلات التكريم التى لا عداد لها فى مصر ، للمستحقين وغير المستحقين !

سيد قطب

اللغة القانونية في الاقطار العربية

وجوب تصفيتها وتوحيدها

للأستاذ عدنان الخطيب

عقد في شهر أغسطس الماضي أول مؤتمر لمحامي البلاد العربية في مدينة دمشق حاضر فيه علماء حقوقيون من كل قطر في مواد معينة من القانون ، وكان الأستاذ عدنان الخطيب المحامي ممن حاضروا في مادة « المصطلحات الحقوقية » فنالت محاضرته إعجاب المؤتمرين ورجال الحكومات ، وقد خص الرسالة بنشر محاضرته قبل نشرها في (كتاب المؤتمر) المقرر إصداره قريباً .

١ — اللغة وأهميتها

لا ريب في أن اللغة تعتبر من مقومات الأمم في العصر الحاضر ، لا بل إنها أهم تلك المقومات التي تميز الأمم والشعوب بعضها من بعض ، وهي الركن الأساسي فيما يعرف « بالوعي القومي » لأنها وسيلة التفاهم والتقارب ، ولأنها أهم رابطة تصل الحاضر بالماضي ، إذا كان ثمة تاريخ يرغب في الاحتفاظ به ، ولهذا ترى كل أمة ذات تاريخ مجيد ، تعمل دائماً على الاحتفاظ بلغتها ، وإن باعدت الأرض أو السياسة بين أبنائها ، لأن وحدة اللغة أول دليل على حيوية تلك الأمة ولياقتها للبقاء على وجه الأرض كأمة واحدة محترمة .

٢ — الأمة العربية ولغتها الخالدة

إن الأمة العربية التي حملت إلى العالم في ماضيها اللامع ، أخلد رسالة ، رسالة الهداية والعلم والنور ، أولى الأمم في وصل ما انقطع من تاريخها والعمل على إعادة ذلك المجد الغابر ، وإذا كانت لغتها حية خالدة بفضل من الله ، فإن تبعة أبنائها في المحافظة على سلامة لغتهم واستقامة لسانهم تبعة عظيمة توجب على كل عربي أن يقوم بقسط من ذلك يتفق وحدود طاقته ومركزه الاجتماعي .

٣ — مزايا اللغة العربية في الناحية القانونية

إذا كانت لهذا المؤتمر العربي « المؤتمر الأول للمحامين العرب » أهداف قومية كثيرة ، فلا شك في أن سلامة اللغة القانونية ، والعمل على توحيدها هما في أول تلك الأهداف الجليلة

ويجدر بالمؤتمرين أن يقروا ، قبل كل شيء ، بأن اللغة العربية في أول اللغات الحية صلاحية لأن تكون « لغة قانون محكمة » لأنها تتمتع بمزايا عظيمة ، يندر أن تمتع لغة غيرها بمثلها ، وأهم هذه المزايا من « الناحية القانونية » : السعة والدقة ، وهاتان المزيتان لا يشك فيهما مطلع على كتب فقه الشريعة من جهة ، وفقه اللغة من جهة أخرى .

٤ — اللغة « القانونية » في البلاد العربية

ظلت اللغة العربية ، لغة التشريع والقضاء والفقه ، إلى أن دالت دولة العرب ، فأخذت اللغات الأعجمية تتسرب إلى الإدارة والسياسة ، وما أن قامت دول المحاربين الأعاجم ، حتى أصبحت لغتهم لغة القضاء ، بينما ظلت لغة الفقه عربية مستمدة من أم التشريع الإسلامي العربي المبين ، فلما أحبت الدولة العثمانية أن تقتدي بأوروبة في التشريع والتقنين ، أخذت تترجم القوانين الغربية إلى اللغة التركية ، لغة الدولة الرسمية ولغة القضاء فيها ، فغدا القانون في البلاد العربية قانوناً أجنبياً كتب بلغة أجنبية ، ويحكم به في الغالب قاض غير عربي ، وقد أحدث هذا التيار فقها قانونياً جديداً في البلاد العثمانية أخذ عن أوروبا باللغة التركية ، وبه انقطعت الصلة بين فقه القانون وفقه الشريعة العربي ، إلا من ناحية الأحوال الشخصية وبعض النواحي المدنية الأخرى

ثم أخذ المشتغلون بالقانون من أبناء العرب بنقل القوانين الجديدة إلى اللغة العربية ، فلم يوفق بعضهم في ذلك ، فتداول الناس القوانين العثمانية بلغة عربية ، ولكنها لغة هزيلة ، شاعت فيها الركاكة وامتلأت بالتعابير الضعيفة[1] ، وأدخلت على العربية ألفاظاً أعجمية كثيرة ، ما زالت تعيش إلى يومنا هذا في بعض الأقطار العربية

٥ — أثر الوضع الدولي الحديث في اللغة القانونية

عند ما انهار الحكم العثماني أخذت الأقطار العربية وضماً

(١) راجع محاضرتي في المجمع العلمي العربي عن : « قوانيننا وضرورة البعث التشريعي » دمشق ١٩٤٢ ، وانظر مقالي عن (القوانين التي ما زالت تحكمنا ، كيف ترجمها العثمانيون وكيف عربناها) مجلة الصباح عدد ١١٢ دمشق أيار ١٩٤٤

دولياً جديداً ، جمل منها دويلات وإمارات متعددة ، يخضع كل منها إلى نفوذ أجنبي معين ، وكان مركز كل قطر منها كدولة مستقلة . يختلف باختلاف ظروفه الخاصة ، ونوع النفوذ الأجنبي المفروض عليه ومقداره ، وبذلك اختلفت لغة « القانون » باختلاف الشرعين فى كل قطر ، وانعدام الصلة بين الفقهاء والمعربين فى مختلف الأقطار ؛ فتعددت بينهم المصطلحات الحقوقية ، وتباينت الألفاظ الدالة على معان واحدة مما يطعن لغتنا المحبوبة فى صميمها ، وينافى الفكرة القومية ، ويقف عثرة فى سبيل تحقيق الآمال المنشودة والرغائب المشتركة

٦ — اللغة العربية لغة دولية في القانون المقارن

فى آخر مؤتمر دولى للقانون المقارن عقد فى « لاهاى » قبل أن تندلع نيران هذه الحرب دعى الجامع الأزهر للاشتراك به ؛ فقام الأزهر بإرسال بعثة من كبار الفقهاء ورجال القانون المصريين[1] أحسنوا تمثيل مصر ومن ورائها العالمان الإسلامي والعربي تمثيلاً جمل المؤتمر الدولى يجمع على اعتماد القرار الآتى :

« يقرر قسم القوانين الشرقية فى الوقت الذى يختم فيه أعماله أن المسائل التى طرحت للبحث فى الشريعة الإسلامية كانت من الأهمية بمكان ، ويقدر قيمة وفائدة التقارير التى قدمت فيها ، والملاحظات التى أبديت بشأنها ، كما يقدر أهمية عدد المؤتمرين الذين اشتركوا فى المناقشات ، وأهمية هذه المناقشات الراجعة إلى صفات الممثلين ومؤهلاتهم ، ونظراً لأن اللغة العربية قد استعملت لأول مرة فى تبادل الآراء .

لهذا يلفت القسم نظر المجمع الدولى للقانون المقارن إلى ضرورة فسح مكان أوسع للشريعة الإسلامية فى برامج المؤتمرات القادمة ، كما أنه يبدى رغبته فى أن يدعى لمؤتمر القادم ممثلون من جميع البلاد التى تهتم بالدراسات الإسلامية ، كما يبدى الرغبة أيضاً فى أن تستمر اللغة العربية فى المؤتمرات القادمة ضمن اللغات المستعملة لمناقشة المسائل المتعلقة بالشريعة الإسلامية »[2]

هذا ما قرره المؤتمر الدولى للقانون المقارن مما يبشر باشتراك الأقطار العربية كلها فى المؤتمرات القادمة التى ستعقد بعد أن تضع الحرب أوزارها ، ولا شك في أن اللغة العربية ستكون يومئذ اللغة الرسمية لممثلى تلك الأقطار ؛ فهل يليق بهذه اللغة أن يختلف أولئك الممثلون فى كثير أو قليل على ألفاظ أو كلمات أو جمل لها دلالات قانونية واحدة ؟! قد يكون بعض الاختلاف ناجماً عن كثرة المرادفات فى العربية ، ولكن هذا إذا كان مما يفخر به أحياناً فإنه عيب فى لغة القانون ، وإذا كان استعمال المترادفات فى النصوص التشريعية وما يتصل بها غير مستحب ولو لم يؤد إلى شىء من الاضطراب فيها ، فكيف إذا أدى إليه ؟ لا فى مؤتمر دولى يضم كبار علماء القانون المقارن ، بل بين أفراد الأسرة الواحدة إذا ما اجتمعوا أو تبادلوا نتاجهم الفكرى !؟

إن التباين الموجود فى لغتنا القانونية ومصطلحاتنا الحقوقية ، نحن أبناء الأسرة الواحدة يجب أن يبدأ بالزوال منذ اليوم ، وكلنا أمل بأن لا نرى بعد أمد قريب أى اختلاف يتصل باللغة بين رجال القانون المصريين واللبنانيين والعراقيين والفلسطينيين والأردنيين والسوريين

٧ — أمثلة التباين والاختلاف

إنى لا أود جمع كل التباين الموجود فى اللغة التشريعية أو الفقهية أو فى تعريب المصطلحات الحقوقية بين مختلف الأقطار الناطقة بالضاد ، لأن لهذا مقاماً غير هذا المقام ، وسأكتفى تصويراً للواقع الملموس بإيراد الأمثلة البارزة التالية :

١ — الدستور فى مصر وسورية ولبنان هو القانون الأساسى فى العراق ، والهيئة التشريعية فى مصر هى البرلمان المصرى ، بينما هى فى العراق مجلس الأمة العراقى ، ومجلس الشيوخ المصرى يقابله مجلس الأعيان فى العراق

إن هذا التباين فى الأسماء لمسميات تكاد تكون واحدة ، يبدو لأول وهلة لا قيمة له ، والحقيقة أنه إذا ما أضيف إليه الاختلاف العظيم فى مسميات أخرى ، عجيب بين دول تتكلم بلغة واحدة

---

(١) هم الأساتذة المحترمون : عبد الرحمن حسن ، ومحمود شلتوت ، ومحمد عبد المنعم رياض ، وحسن أحمد البغدادى .

(٢) عن تقرير الوفد إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

٢ – إن القرارات والأوامر الصادرة عن هيئات مختلفة تختلف أسماؤها باختلاف تلك الهيئات أو صفاتها، فإذا استعرضنا أنواع القرارات في البلاد العربية وجدنا أن الاتفاق بين جميع الأقطار لم يقع إلا على لفظة واحدة وهي « القانون » الذي هو عبارة عن القرار الصادر عن الهيئة التشريعية الدستورية ، وأما أنواع القرارات والأوامر الأخرى ، فيكاد يكون لكل اسم في قطر مدلول آخر في القطر الآخر :

(ا) فالمرسوم بقانون في مصر هو المرسوم التشريعي في سورية ولبنان وهو المرسوم فقط في العراق

(ب) اللائحة في مصر هي النظام في العراق ، والمرسوم في سورية ولبنان

(ج) المرسوم في مصر وسورية ولبنان هو الإرادة الملكية في العراق

(د) الإرادة الملكية في العراق تسمى أحياناً الأمر الملكي في مصر ، وهي مرسوم في لبنان ، وفي سورية في الواقع ، وقرار بحسب النص العربي للدستور

(هـ) القرارات في سورية ولبنان ومصر هي التعليمات في العراق

(و) مشروع القانون في مصر وسورية ولبنان هو اللائحة القانونية في العراق

(ز) نظام المجلس الداخلي في العراق ولبنان وسورية هو اللائحة الداخلية في مصر

(ح) اللوائح في سورية هي مجرد التقارير واسم يطلق على المرافعات المكتوبة

٣ – إذا كانت مهمة رأس الدولة الأعلى في سن التشريع تختلف باختلاف نظم الحكم والدساتير ، فإن عمليتي الإصدار والنشر بمفهومهما الفقهي الحديث ، تتشابهان كثيراً في النظم السياسية المتقاربة ، ومع هذا فإنا نجد سمة نشر القوانين في الأقطار العربية ، تختلف اختلافاً واضحاً مبعثه ليس فقط اختلاف نظم الحكم فيها ، بل الاختلاف على معاني الألفاظ وترتيبها وهذه من سمات النشر في الأقطار المختلفة

(ا) في مصر

« نحن ملك مصر ، قرر مجلس الشيوخ ومجلس النواب القانون الآتي نصه ، وقد صدقنا عليه وأصدرناه »

(ب) في العراق

« بموافقة مجلسي الأعيان والنواب أمرنا بوضع القانون الآتي »

(ج) في سورية

« أقر المجلس النيابي ونشر رئيس الجمهورية القانون الآتي »

(د) في لبنان

« صدق مجلس النواب وينشر رئيس الجمهورية القانون الآتي نصه »

(البقية في العدد القادم)

عدنان الخطيب

المعـــدة

كغدة من الغدد ذات الإفراغ الداخلي

للدكتور حيدر السمان

لقد جلت الدراسات التي قام بها العلماء في مستهل القرن الأخير أهمية الغدد الصماء Glandes endoerines وبينت تأثير مفرغاتها الداخلية على تنظيم وظائف الأعضاء وعلى التوازن المتقابل الموجود بينها كما أنهم ذكروا الأمراض التي تنجم عن فرط أو نقص هذه المفرغات والأدوية الغدية الحديثة التي كانت عجيبة بنتائجها .

فقد ظهر أن لهـذه الغدد إفراغات داخلية تصب رأساً في الدم تدعى (هرمونات Hormoves) لها تأثير منشط لوظائف حجرات الأعضاء ، وقد قسمت هذه الغدد بالنسبة لإفراغاتها هذه إلى قسمين :

القسم الأول : لها إفراغات داخلية فقط مثـل : الغدة النخامية Hypophyse ثم الغدة الدرقية Shyroide ، ثم غدة المحفظة فوق الكلية (الـكظر Capsule Surrénale) ، والقسم الثاني : لها إفراغان داخلي وخارجي ، مثـل الـكبد : Foie والمبيض Ovaire والخصية Sesticale البانقرامي Pancréas ولن أتعرض في بحثي لهذه الغدد لأن أمرها معروف لدى الجميع ولـكني ذكرتها بالمناسبة للعلاقة الصميمة التي تربطها بمقـالي .

إن الاكتشافات الحديثة قد أضافت لهـذه الغدد الصماء عضواً آخر لم نـكن ندرى بأن له هـذه الأهمية الغريزية قبل اليوم ، فقد ظهر أن للمعدة إفراغاً داخلياً مستقلاً تمام الاستقلال عن إفراغها الخارجي

لقد كانوا يعتقدون إلى عهد قريب أن لا ضير من الاستغناء عن المعدة استغناء تاماً . ولذلك فإنهم يشيدون بمنافع عمليات المعـدة التي توصـلوا بواسطتها لبتر المعدة وتفميم المرى مع الاثنى عشرى في بعض حوادث سرطانات المعدة لاعتقادهم بأن إفرازات البانقرامي والمعاء الرقيقة وخاصـة إفرازات العضو الأخير كافية لسد النقص الناجم عن فقدان المعدة فقداناً تاماً أو قسمياً فتؤثر على المواد الغـذائية وتجعلهـا بحالة ملاءمة للامتصاص .

ولـكن ظهر للعالم Castle خطل هذا الرأى إذ توصـل بتجربانه التي قام بها إلى أن المعدة ليست موضعاً لحفظ الأطعمة فقط حتى يمكن لفن الجراحة أن يستأصل قسما منها أو يزيلها جملة دون أى عارض ما ، بل إن لها إفراغاً داخلياً مستقلاً تمام الاستقلال عن عصارتها الخارجية كالبانقرامى .

إن الهرمون المضاد لفقر الدم Hormone anti-anémique أو : Hematopoietine هو الإفراغ الداخلي للمعدة الذى يؤثر على خاصة الـكبد المولدة للدم فيزيد في عدد الـكريات الحمراء ازدياداً كبيراً ، فقد وجدوا نقصاً ظاهراً في عصارة المعدة الحامضية عند من كانوا على عتبة الإصابة بفقر الدم .

لقد بيَّن Castle أن عصارة المعدة عنـد الأشخاص الاعتياديين تكتسب عقب أكل اللحم قوة فعالة ضد فقر الدم تفوق بفائدتها فائدة تناول (خلاصات الـكبد Extraits de foie ، ففي ناحية الـكبد يظهر التأثير الفعَّال لهـذه العصارة الداخلية ، وإن أية آفة تصيب المعدة تؤثر تأثيراً سيئاً في الـكبد وتكون سبباً إذا طال أمدها للاصابة بفقر الدم ، إذ لوحظت حوادث فقر دم خبيثة عقب عمليات بتر المعدة Gastrectomies الـكاملة أو القسمية وعلى هذا الأساس فقد دخلت المعدة في مداواة فقر الدم

وقد بذلت جهود جبارة لمعرفة ناحية الغشاء المخاطى المعدى الذى يتصف بهذه الخاصة الغريزية إذ أن على هذا التحديد تتوقف نتائج عمليات المعدة ، وقد نجحوا في تحديد ذلك المـكان وتبين لهم أن الغشاء المخاطى الموجود في جوار البواب Pylor له هذه الخاصية الحيوية الهامة

وقد طبقت هذه النظرية في مداواة فقر الدم الناجم عن

الأنزفة الدموية الغزيرة وفى مداواة فقر الدم التالى لآفات: السل، الملاريا، التهابات الـكلية، التسممات، وفى حالات الضعف العام الناجم عن البؤس والفاقة، حسب طريقة Castle الخاصة وذلك بأن ندخل لمعدة المريض بواسطة أنبوب من المطاط عصارة معدة شخص سليم عقب إطعامه (٣٠٠) غرام من لحم البقر بساعة واحدة، ولـكن بالنظر لصعوبة تطبيق هذه الطريقة فى فن الممارسة، فقد استعيض عنها بطرق أخرى أسهل تناولاً، ولـكنها أقل تأثيراً، فنهم من أعطى معدة بعض الحيوانات الغضة، ومنهم من أعطى مسحوقها المجفف بمقدار (٣٠) غراماً مقسمة على ثلاث مرات ممزوجة مع عصير البرتقال أو أى عصير كان قبل الطعام

وقد استحدثت بعض المستحضرات الطبيعية السائلة مثل Gastrhéma وكانت نتائجها جيدة جداً

إن هذا الاكتشاف الخطير سيقلب جراحة المعدة رأساً على عقب، وستعود بلا شك عمليات (التفاغم المعدى المعوى Gastro—enterostomie) إلى سابق مجدها بعد أن أهملت زمناً ليس باليسير، وأوشك أن يقضى عليها نهائياً بعد تطور عمليات المعدة الأخير، ولكن لا بد قبل ذلك من إدخال بعض التحسينات للتخلص من اختلاطات خطيرة وُصمت بهـا كانت تجبر الجراحين على الاستغناء عنها

يجب أن نفـكر فى النتائج البعيدة التى تسببها الأدوية المعدية قبـل أن نطبقها على المرضى الممعودين، فالأدوية المنقصة للإفرازات المعدية التى تعطي فى بعض أمراض المعدة تؤثر فى فعالية الـكبد وتلجم خاصته المولدة للدم، فتكون سبباً للإصابة بالضعف العام وفقر الدم، وبالعكس فإن الأدوية المزيدة للإفرازات المعدية لا تنشط عمل المعدة الهضمى تجاه المواد الغذائية فقط، بل إنها تتعدى ذلك وتؤثر على الـكبد فتزيد فى خاصته المولدة للدم، فتزداد فعالية الجسم ومقاومته تجاه الجراثيم والأمراض

يجب أن تطلق اليد فى استعمال الأدوية المعدية، بل يقتضى استعمالها بدقة وانتباه وبمشورة الأطباء الأخصائيين.

(دمشق)

الدكتور
حيدر السمان

من وحى الدماء !!

١ — مصرع الجمال !!

[حملت إلينا أنباء الحوادث المشئومة: أن الألمان فى ميدان « نورماندى » يستخدمون فى قتالهم بعض كتائب من الجنس اللطيف! وقد نجم عن هذا العمل الوحشى أن ذهب كثير من هؤلاء البيض الحسان جزر السلاح الأبيض! وهل فى الحرب يا أم ارحمينى! فوا حسرتاه! ويا حر قلباه!]

رحمتَا للحسان بِتنَ وَقودًا ... لجحيمٍ، وَقُودُها الأبرياء
كم قدودٍ لها اهتزاز العوالى ... هَصَرتْها المنيّةُ الهوجاء
وعيونٍ، مِن زُرقة البحر أصفى ... سَلَبتْها مِهمامها الهيجاء
وخدودٍ فى صحنها الجمرُ والما ... ء، خبا جمرُها، وغاض الماء
وثغور، كانتْ مَناهِل راح ... حكمتْ فى رحيقها الأقذاء
وشعورٍ كالتبر تؤدَم بالمسك (م) هى اليوم والحِلاق[1] سواء
وصدور غذّى ترائبها الحسن (م) وروّتْ ثمارَها النعماء
نهلت من أديمها الأبيض البيض (م) وعلّتْ منه الرماحُ الظماء

* * *

كيف ذلّ الجمال! وهوله العزة (م) — بعد الإله — والكبرياء؟
يا حُماة الوغى، أما للغوانى ... بينكم — تحت نقعها — رُحماء
حرّمت شِرعة البطولة أن تُقتل (م) — فى حومة الجلاد — النساء
دونكم ساحة الهوى وأنا الضا ... من أن تصرع الأسود الظباء

٢ — الأرض الدنسة

انظر الأرض عَلّ فيها بقاعاً ... لم يُدَنِّسْ أديمها بالجرائم
كلُّ صُقعٍ بها جحيم تلظّى ... يصطلى حرّها البرىء المسالم
شَقِيَ الناس بالعقول وراحت ... ناعمات — بفقدهن — البهائم
بتُّ فى ريبة: أذاك هواء ... ينشق الناس — أم غبار الملاحم
زعماء الشعوب قادوا إلى النا ... ر شعوباً وراءهم كالسوائم
كلُّ إبليس عنه يأخذ (إبليس) (م) فنون الأذى، وهتك المحارم
هذه الأرض للشقاء فلا تقرع (م) — على فائت بها — سِنّ نادم

على الجندى

(١) الحلاق بكسر الحاء: جمع حليق: ما يحلق من شعر المعز



تعقيب ورد

١ – أوافق الأستاذ الجليل نقولا الحداد على قوله فى كلمته المنشورة فى العدد ٥٨٣ تعليقاً على مقالى « مسائل فى وحدة الوجود » : « إن الأديان السماوية الثلاثة ترفض نظرية (وحدة الوجود) رفضاً باتاً وأنها مجمعة على أن الله والوجود المادى منفصلان ، وأن الله خالق الوجود المادى ومُسيّره »

غير أني لا أوافقه فيما ذهب إليه من أن بيئتنا الفكرية فى البلاد العربية ليس فيها محل لحرية الفكرية أو القول أو القلم . فإن ذلك حكم قاس على تلك البيئة التى عرفت أنواع الحريات حتى فى القرون الوسطى .

وليست مناقشة أهل مذهب دينى أو فكرى لأهل مذهب آخر دليلا على أن الحرية غير مكفولة ، فإن الصراع والنزال فى المجال الفكرى لانتصار مذهب على مذهب ليس معناه الحجر على الحريات ما دام هذا الصراع لم يتخذ سبيل القوة والإرغام والاضطهاد من جماعة لجماعة .

ولست بحاجة إلى التدليل على أن كثيراً من الآراء والمذاهب فى البلاد العربية وفى مصر خاصة لا يتفق مع المقدسات من العقائد . ومع ذلك يحيا أصحابها ويستطيعون أن يدافعوا عن آرائهم وحججهم ولا تمس أشخاصهم بسوء . « ولا يساقون إلى قضاء الامتحان الدينى » .

نعم قد تنسب لبعضهم تهمة المساس بالعقيدة الدينية « ويحمل عليه حملة تكافئه » . ولكن ليس يتعدى ذلك إلى غير الاتهام وحملة الكلام ... وهذا بالطبع جائز لكل مناظر يرى رأياً ويقرر حكماً فى حدود الأدب ، وعلى المناظر الآخر أن يدفع التهمة أو يرتضيها لنفسه إن كان ما صدر منه عن عقيدة راسخة يريد أن يدعو الناس إليها

فإن كان الذين يريدون أن يمسوا العقائد الدينية الموروثة معتقدين مخلصين لآرائهم ، ويرون أنها الحق الذى يجب أن يدعى إليه فلماذا لا يحملون فى سبيلها الاضطهاد والعذاب الذى لاقاه مؤسسو هذه العقائد والأديان ، ويلاقيه كل داع إلى الخير ؟

والطبيعة البشرية حتى فى المجال العلمى الطبيعى تقاوم كل نظرية حديثة وقصة مقاومة العلماء والأطباء لنظريات إخوانهم المكتشفين لحقائق جديدة قصة معروفة حتى فى هذا العصر . فلبس الأخذ والرد والدفع والجذب فى المجال الدينى والفلسفى فريداً لا نظير له ، وإنما طبيعة الناس المقاومة لكل حديث إما حسداً وإما جحوداً وضيق فكر ، وإما عن عقيدة واقتناع . والزمن كفيل بمعاونة الحق على الظهور والنمو والغلبة . وبقاء الأصلح قانون طبيعى (وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض)

فعلى أحرار الفكر الذين يرون آراء حديثة فى الحياة أو الاعتقاد أو حياة الاجتماع أن يحملوها حمل آباء الإنسانية الأولين من الأنبياء والحواريين ، وأن يلاقوا فى سبيل تبليغها ما لاقى أولئك من التسفيه والتشريد والتجويع والتقتيل إن كانوا بها مؤمنين ، وللإنسانية مخلصين . وعليهم بعد ذلك أن يتحملوا تهم الكفر والإلحاد التى رمى بها الأنبياء . فلقد رمى كل رسول بتهمة الكفر والإلحاد فى العقائد الوثنية والتقاليد والأخلاق الهمجية ، ومع ذلك فقد سخروا من الاتهام وتحملوا الآلام حتى انتصروا وانتصرت كلماتهم ، وصار العالم الراقى كله يدين لتلك الكلمات ! وعلى هؤلاء الأحرار بعد كل ما تقدم أن ينتصروا ... وأن يحملوا الطبيعة الإنسانية على الاستجابة لآرائهم إن استطاعوا ... وإلا فعليهم أن يعلموا أن الطبيعة الإنسانية لا تأبى مذاهبهم ولا تستعصى على الاستجابة لها إلا لأنها « نشاز » وشذوذ لا يصلح معه أمر حياة الاجتماع ، ولا يأنس إليه الطبع الإنسانى العام الذى لا يخضع للعقل وحده ، وإنما يخضع لمزيج مبهم من العقل والغريزة والعاطفة ...

وقديماً فشل العقل اليونانى بفلسفاته أن يوجد أمة صغيرة كاليونان ، ويقودها نحو الإيمان بالله الواحد ، ويترك الوثنيات التى كانت تضج بها معابدها . ولكن الطبع الباكى الضارع الحنيفى الفطرى المتمثل فى إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد والمتعلق بالله الواحد ، وبأصول الخير والفضيلة قاد اليونان والرومان ووحدهم . وقاد من بعدهم أمماً عظيمة لا تزال ولن تزال تسيطر على مقدرات الأرض وسياسة الاجتماع

٢ – بدت للأستاذ ابراهيم السعيد عجلان ملحوظتان حول أمرين وردا فى المقال السالف الذكر

أولها : تفريرى أن إبراهيم عليه السلام توهم أن الله تعالى يخلق بأدوات ووسائل ، مع أن إبراهيم سأل : « كيف تحيي الموتى » ولم يسأل « بأى شىء تحيى الموتى » .

والذى قلته بالحرف : لقد توهم إبراهيم أن هناك « كيفية » للإحياء ، وأنه هناك أدوات ووسائل للخلق والتكوين

- فأنا لم أحول « كيف » عن معناها حتى ولا لفظها ، بل قدمت معناها ، ثم ألحقته بلازمه الذى لا بد يخطر بالبال عند إجراء « كيفية » التكوين والخلق . فإن أدوات التكوين والخلق فى خيال الناس تلحق « بالكيفية » وصورها

ثانيهما : تفسيرى الفعل صار من « صُرْهُنَّ » بأذبحهن ... وهذا فى رأى الأستاذ عجلان ينافى صريح اللغة وسياق الآية

والرد على هذا الاعتراض من وجهين :

١ — فى قاموس الفيروزبادى : (صارَ الشىء يصُورُه ويصيرُه : قطعه وفصله) وهذا صريح فى معنى الذبح . وأ كثر من الذبح وهو التقطيع وتكون « إليك » فى الآية ضميمة لتصوير الحال إذ أن الحال فى ذبح الطير أن يميل به الذابح ويضمه إلى جانبه ليتمكن من إجراء السكين .

٢ — لو كان معنى « صُرْهن » ضُمَّهن وأملهن فقط لكان تفسيرها بالذبح تفسيراً بلازم الضم والأمالة فى هذا الموضع الذى يتعين فيه ذلك التفسير ليتناسب ذلك مع (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً)

عبد المنعم خلاف

رأى الأب مرمرجى فى وحدة الوجود

ردّاً على كلمة الدكتور زكى مبارك المنشورة فى العدد ٥٨٢ من (الرسالة) الغراء أقول : كنت قد كتبت إلى العلاّمة الأب مَرْمَرْجى الدومينيكى أستوضحه رأيه فى وحدة الوجود بعد أن قرأت مقال الأستاذ دريني خشبة الأول حول هذا الموضوع ؛ فأجاب حضرته بما يلى :

« الوَحْدِيّة Monism مذهب فلسفى مما كس فى مختلف وجوهه لمذهب ثنائية أو كثرة الوجود dualisme أو Plusalisme فبينما تميز فلسفة « كثرة الوجود » تعدد الأشياء تنكر فلسفة « وحدة الوجود » حقيقة التعدد ، وتذهب إلى أن ما يعد كثرة ليس إلا ظواهر للوجود الواحد . إذ تميز فلسفة الكثرة بين الجسد والنفس ، وبين المادة والروح ، وبين الموضوع والفاعل ، وبين المادة والقوة ، فالمذهب الجاحد لمثل هذا التمييز والمحيل لأحد حدّى التناقض إلى الآخر ، أو الخالط الإثنين فى وحدة عليا ، يدعى مذهب الوحديّة أو مبدأ وحدة الوجود

« فى الفلسفة الغيبية أو الميتافيزيقية ، كان قدماء فلاسفة الهنود يذهبون إلى أن التغير والكثرة والسببية ليست حقيقة ، وأن لا حقيقة إلا موجود واحد هو الله ، وهذا المبدأ ينكر الموجودات إلا وجود الله ، والقائلون به هم الحاليون الصوفيون Idéalistes mytizus أما قدماء اليونان ففلاسفتهم أنكروا مثل الهنود ، وجود الكائنات ، وقالوا إن الوجود واحد غير متغير وسرمدىّ ، ولم يصرّحوا باتحاد هذا الوجود بالله ، ودون الميل إلى الصوفية ؛ فكانوا مثاليين أو تصوريين صرف . ومثل هذا المذهب قالت به الأفلاطونية الجديدة Néo Platonisme ، وظهر فى فلسفة سبينوزا Spinoza ، وفى فلسفة الإطلاق Absolutisme لهيكل Hegel ، وفى فلسفة Haekel الغيبية الساعية فى جمع المادة والروح فى وحدة عالية . فضلاً عن الوحدة التصورية المثالية Monisme idealiste هناك الوحْدِيّة المادية Monisme materialiste المدعية أن لا وجود إلا لحقيقة واحدة وهى المادة سواء أكانت هذه المادة الأولى مجموع ذرات أم سديما صدر عنه الكون

« الوحدية » ليست هى « التوحيد » أو الإقرار بوجود إله واحد ، وإنكار تعدد الآلهة أو الوثنية ، وإنما تطلق على « الوحدة الحلولية » Monisme prantheiste القائلة بأن لا تميز بين الله والكون ، سواء قيل إن الله حالّ فى الكون حلول الجزء فى الكل ، أو قيل إن لا وجود إلا لله وما الكون إلا ظهور الله أو تجليه ، وهذا ما ينافى التوحيد Monothe'isme أى وجود الله ووجود الخلائق المتميزة عنه . التوحيد لا ينكر أن الله ظاهر بخلائقه ، ولكنه ينكر أن لا وجود للخلائق . التوحيد ثنائى أى يقبل بوجود الله ووجود الكائنات متميزة عنه . إن الله متميز عن الكون ومستقل بذاته ، والكون متميز عن الله لكنه

غير مستقل عنه ، التوحيد يقول إن العالم قد خلقه الله من العدم ، وهذا أيضاً مذهب فلاسفة اليونان كسقراط وأرسطو وأفلاطون . أما غيرهم من أهل الوحدية فيذهبون إلى أن أصل العالم المادة ، وأن هذه المادة القديمة صدرت عنها الموجودات ، وهكذا يخلطون بين العلة المادية والعلة الفاعلة السببية »

أما بعد ، فهذا ما كتبه عالم له فى ميدان الفلسفة باع طويل فما قول الدكتور زكى مبارك بعد ذلك ؟

(القدس) (أ . م . م)

بين الفلسفة والدين

قلت للأخ العزيز الأستاذ دربنى خشبة إنى حاضر لمساجلته حول نظرية وحدة الوجود ، على أن يكون أساس المساجلة أن نترك التفكير فى أن هذه النظرية تجنى على العقيدة الإسلامية ، فكيف كان رأيه فى هذا الأساس ؟

تفضل فقال : « هذا شرط عجيب ، ولست أوثر أن أقول إنه شرط خبيث ! » ثم كرر هذه العبارة بعد سطور من مقاله الجميل !

وأقول إن من حقه أن يصف ذلك الأساس بما يريد ، ما دام مخلصاً فى الوصف ، وهو فى نظرى من أهل الصدق والإخلاص

ولكنى لا أقبل أبداً إخضاع الفلسفة للدين ، لأن هذا يبعدها عن مراميها ، ويصدها عن رياضة الفكر على التحليق فى آفاق المجهول من سريرة الوجود

والخير للاسلام وأهله أن لا نزج به فى جميع التيارات الفكرية . فهذا المسلك يبلبل الخواطر ولا يعود على العقيدة الإسلامية بأى نفع ، وإن ضرره لمحقق

وأقول أيضاً إنى لا أجعل الإسلام فى بالى عند كل فكرة يجول فيها عقلى ، لأن هذا تعسف وتكلف ، ولأنه صدٌّ للفكر عن الخوض فى الحدود والفروض وهى المفتاح لمغاليق الثروة العقلية

والأستاذ دربنى قال وكرر القول بأنه يريد لنفسه وللناس إيماناً بسيطاً ، فأنا أرجوه أن يثبت على إيمانه البسيط ، على شرط أن يسمح لرجل مثلى أن يختار الإيمان المعقد إلى أبعد حدود التعقد والاشتباك ، وهو الإيمان بوحدة الوجود ، وهو إيمانٌ فلسفيٌّ لا أريد وصله بالعقيدة الإسلامية ، لأنى أكره الخلط بين الفلسفة والدين ، ولأنى أمقت مراءاة الناس

أما بعد ؛ فهل تريد أن نتساجل على هذا الأساس الذى طاب لك وصفه بأنه أساس عجيب أو خبيث ؟!

وفى انتظار جوابك أقدم إليك تحية الشوق وصادق الثناء

زكى مبارك

كتب جديدة للدكتور مندور

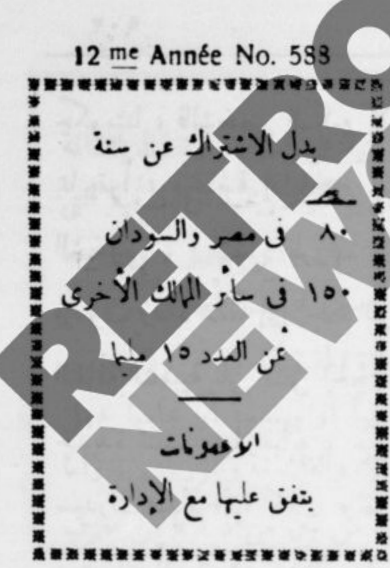
دعامة الإتقان للقيم الأدبية ترتكز على صدق فى التعبير وصدق فى التصوير ، وعلى قدر حظ الأديب منهما يكون حظ آثاره الأدبية من الخلود ، والتأمل فى كل ما أنتجه الدكتور الفاضل محمد مندور يلمح فى ثناياه روح الصدق فى الإحساس والتعبير . فقد كان الدكتور صادقاً حتى فى كتابه المترجم ، فأكبر اليقين لا أكبر الظن أن الدافع لترجمته كان ما يشعر به فى أعماقه من تجاوب بين هذه الأفكار المترجمة وبين ما تزخر به وجداناته . وتلك ميزة ملموسة شاهدناها فى ترجمته لكتاب « دفاع عن الأدب » ولقد كان دكتورنا المفضال صادقاً أيضاً فى كتابه « فى الميزان الجديد » بل إن كتاباته عن الأدب والشعر المهموس إذا فهمت على حقيقتها نهضت دليلاً قاطعاً على صدق التجاوب بين أحاسيس الدكتور وتعبيره . إن رجلاً يحس الهمس ينبض فى ألفاف الكلمات ويبلغ من رهافه الحسى أن يقيم (لفتات الحياة) وزناً كبيراً .. إن رجلاً هذا شأنه لرجل صادق فى كل شىء . وإنى لأنتهزها فرصة لأقول إن الذى أفهمه من الهمس فى الشعر هو صدق التعبير الذى يلمس الفتات ويعنى بالخطير من الأمور ، ومن ثم يكون كل صادق هامساً . ومن ثم تكون كل كتابة صادرة عن شعور عميق ، وتأثر بالغ همساً أيضاً ، وهل كانت دموع أستاذنا الزيات حين بكى ولده إلا الهمس النبيل ، وهل كان رثاء الأستاذ العقاد لبيجو غير الهمس ، وكم فى كتاب الأيام من همس حبيب . إن وفاء الكاتب أو الشاعر لموضوعه وإيمانه به وصدقه فى تصويره ، لا يخرج إلا الهمس . وما كان دفاع صديقنا الدكتور الجليل عن الأدب المهموس إلا الهمس فى أبلغ معانيه . وبعد فإن المكتبة العربية لتعتز بهذه الكتب الثلاثة : نماذج بشرية ، ومن الحكيم القديم إلى المواطن الحديث . وفى الميزان الجديد

(الاسكندرية) صبحى محمود الشبيشى



12 me Année No. 588

Lundi - 9 - 10 - 1944



بدل الاشتراك عن سنة

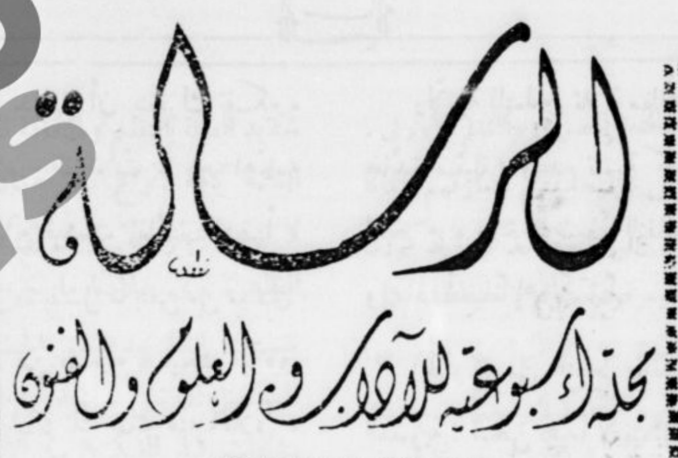
٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٨٨ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ شوال سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

أميـــة المتعلمين

للدكتور محمد مندور

نحن في حاجة إلى أن نكافح ببلادنا ثلاثة أنواع من الأمية : الأمية الأبجدية والأمية العقلية وأمية المتعلمين . ولا بد إذا أريد لهذا البلد الصلاح من أن نكافح الأنواع الثلاثة معاً ، وساقاً بساق في شبه ثورة اجتماعية تجند لها جميع القوى قسراً

فأما الأمية الأبجدية فتلك في الحقيقة أهونها ، لأن تعليم فك الخط ليس بالأمر العسير ، وإن تكن هناك ظاهرة تستحق النظر . فلقد اتفق لكاتب هذه السطور أن رأى صبية التعليم الإلزامي يطالعون دون أن يخطر ببالهم أن المطالعة إنما تكون لفهم ما نطالع أو محاولة ذلك الفهم . وأنا بعد لا أدري سر هذه الغفلة ، وإن كنت أميل إلى التفاؤل ، إذ يخيل إليَّ أن محو الأمية الأبجدية عند الأطفال كسب حقيقي ، فهم إذا كانوا عاجزين عن أن يستفيدوا بما تعلموا من مبادئ القراءة والكتابة فلا أظن ذلك مانعاً لهم عند الكبر وتفتح النفس من أن يهتدوا إلى أن القراءة إنما جعلت للفهم والإلمام بما نقرأ . وأكبر الظن أن هذه الظاهرة لن تحدث عند تعليم الكبار الذي تعتزمه اليوم

حكومتنا ، فالشخص الكبير لا بد من أن يتحرك تفكيره بما يقرأ ، وبخاصة إذا اختير له من القراءات ما يثير اهتمامه الشخصي ، ويلابس ظروف حياته فيشعره بفائدة ما يقرأ . وسوف يزداد شغفاً إلى إجادة القراءة بفضل ما يلقن من مبادئ الثقافة الشعبية التي تشق الحجب عن بصيرته ، فيحس بآفاق جديدة تنتشر بها حياته ، حتى لكأنك تفك عنه أغلالاً ، سيدرك عندئذ أنها كانت توثقه على غير وعي منه ، وإذا به يسعى إلى أن يتمكن من الوسيلة التي حررته . ومن هنا تظهر الصلة المتينة القائمة بين مكافحة الأمية الأبجدية والأمية العقلية ، وتأثير إحداهما في إنجاح الأخرى

والأمية العقلية محوها لا ريب أشق وأبعد مدى من محو الأمية الأبجدية ، وإن خيل إلينا عكس ذلك ، فقد يقول قائل : إن باستطاعتك أن تجمع الأميين وتخاطبهم بلغتهم العامية عما تريد أن يعلموا وإذا بك تبدد الجهل من عقولهم ، وهذا قول لا يصح إلا في ظاهره . فقديماً قال مفكرو الإغريق : « إن تثقيف الأطفال — والأميون في هذا حكمهم حكم الأطفال — لا يستطيعه غير الفلاسفة » والسبب في ذلك بين ، فالمعلم لا بد له من خيال قوي ليستطيع أن يخرج عن نفسه ليحاذي عقلية من يخاطب ، ثم إنه ليس أشق من تبسيط المعرفة ، وذلك لاستهداف المبسط في أغلب الحال لأحد أمرين : الغموض أو الثرثرة . ومن هنا ترى أن كتب التبسيط العلمية الجيدة لا يكتبها عادة في أوروبا غير كبار العلماء الذين هضموا المادة حتى أصبح حديثهم عنها أشبه ما يكون بذكريات حياتهم الخاصة

وأيا ما يكون الأمر فهذان النوعان من الأمية باستطاعة حكومة حازمة أن تكافحهما أنجح الكفاح ، ولكن ثمة النوع الثالث وهو أمية المتعلمين فذلك ما يحير اللب ، حتى لأحسب أن تلك الأمية من أدوائنا العميقة التي اجتمعت لتأصيلها أسباب عاتية لا ندري كيف السبيل إلى علاجها

ولأمية المتعلمين ثلاثة مظاهر : الانتهاء من التعليم الدراسي بفائدة ضئيلة ، وعدم تنمية كل صاحب فن لمعلوماته الفنية بعد التخرج ، وأخيراً ضعف الثقافة العامة عند معظم المتعلمين ، بل وإهمالها أحياناً إهمالاً تاماً

الخروج من التعليم بفائدة ضئيلة له ما يشابهه في حياتنا العضوية ؛ فنحن جميعاً لا نتمثل من الغذاء كل ما فيه من عناصر القوة ، حتى لترى من الناس الضعيف برغم ما في شهيته من نهم ، ومنهم القوي على ما به من اقتصاد في الغذاء . والقدرة على تمثل المعرفة للطبع فيها دخل كبير ، ولكنه ليس كل شيء ؛ فمناهج الدراسة وقدرة الأساتذة تفعل في ذلك الأعاجيب .. وليس من شك في أن الثمرة الحقيقية لكل تعليم صحيح هي ما يخلف في النفس من رواسب تمتزج بملكاتنا ، حتى تصبح جزءاً منها ، وأما المعلومات التي نحملها كودائع نسلمها لأوراق الامتحانات إسلاماً لا رجعة فيه ؛ فذلك ما لا يمكن أن يسدد إدراكاً أو يهذب ذوقاً أو يرهف إحساساً . والمتعلم لن يصل إلى ما يجب من تمثل المعرفة إلا إذا أوتي من الخيال ما يستطيع معه أن يتصور في كل حين مواقف الحياة التي من الممكن أن يستخدم فيها كل نوع من المعرفة التي يتلقاها ، وبفضل هذا الخيال يمد الصلات بين العلم والحياة . ونحن لا نملك هذه القدرة على نسبة سواء في مراحل حياتنا المختلفة ، ولا أدل على ذلك من أن نعود بعد أن يستوي إدراكنا إلى أبسط كتب الدراسة نقرأها من جديد فنجد أننا كنا واهمين عند ما اعتقدنا ونحن صغار أننا قد انتزعنا كل ما بها وفهمناه على وجهه . بل إن الكتب التي نقرأها مرة واحدة ونحن كبار نستطيع أن نعود إليها أو إلى الجيد منها فنعثر فيها دائماً على جديد لم نفطن إليه أو غامض لم نحسن فهمه ، وكل ذلك فضلاً عما نستوحيه من تلك الكتب . ومن الثابت أن الكتاب وسيلة للتفكير الأصيل قدر ما هو مستودع للمعرفة ، وياويل قارئ سلبي لا يقف من الكتب إلا موقف المتلقي . ولقد اتفق لكاتب هذا المقال أن

لاحظ غير مرة فروقاً شاسعة بين المتعلم المصرى والمتعلم الأوربى. فشبابنا المتعلمون أغلبهم لا يحس فى حديثهم بمعارفهم إيماناً بما يقولون، أو على الأصح يرددون حتى ليتضح أن كل ما يذكرون ليس إلا رهائن فى نفوسهم لا يعرفون سراً لاحتفاظهم بها، ولا يرون لها صلة بالحياة أو فائدة من إثرائها بله إخضاعها وتوجيهها. ولقد يكون أحدهم واسع الذاكرة ولكنك مع ذلك لا تعدم أن تحس بضيق إدراكه، حتى لكأنه حبيس فيما يردد مستعبد له؛ وكل تلك مظاهر لأمية أخطر من أمية العوام. والغربى على العكس من ذلك إيجابى فى تفكيره، معارفه حية لأنها وقود لتفكيره، ومن هنا تتسع حيلته فى الحياة وتشتد ثقته بنفسه، فلا يرهب مجازفة ولا يقعده عجز عن البدء فى كبار الأمور يخطط سبلها ويوفر لها أسباب النجاح. عجيب أن يتخرج متعلمنا عالة على الحياة ويتخرج متعلمهم عنصراً فعالاً فى خلق تلك الحياة

وذوو المهن منا قل من يتابع منهم سير المعرفة فى مهنته، وذلك لأنهم لا يلبثون بمزاولة العمل أن ينزلوا إلى الآلية التى لا تستطيع تجديداً، حتى فى تفاصيل المهنة. والسر فى ذلك، هو أنهم لا يقدرون — لكسل أو إعياء — قيمة المعرفة النظرية فى مهنتهم قدرها الحق، ونحن الآن فى عالم تعقدت فيه وسائل العمل والإنتاج، وأصبحت تستند إلى أسس نظرية لن تتقدم مهنة بدونها؛ ونحن لا نلقى التبعة كلها على متعلمينا فمنهم المرهق المهموم بتبعات الحياة المادية كالمدرس، ولكن إلى جانب هؤلاء كم ترى من موظفى الدواوين الذين طغى الكسل على حياتهم فتسكعوا كالدواب، وكم ترى من أطباء ومحامين لم يترك لهم جشع الحياة فراغاً، يطالعون فيه جديداً أو يجيدون فهم قديم، تلقاهم فتدهش لآفاقهم المحصورة ومعارفهم الضامرة لا فى ثقافتهم المهنية فحسب، بل وفى ثقافتهم الإنسانية العامة، تلك التى لا بد أن تستند إليها معارفهم الفنية إذا أريد لها أن تنمى قدرتهم على تكييف النفوس والحكم على مواقف الحياة حكماً صحيحاً؛ وهذه أيضاً أمية لا تجد لها مثيلاً فى الغرب حيث يؤمن كل ذى مهنة أن توقفه عن القراءة مميت لمهنته مجفف لنفسه، وأنه لن يستطيع المنافسة فى ميدان الحياة ما لم يتابع مكتشفات المهنة وثقافتها النظرية متابعة حارة مستمرة

ونصل إلى ضعف الثقافة العامة؛ وهذا الضعف كما رأينا شديد الصلة بالتعليم وبالثقافة المهنية على السواء. ونقصد بالثقافة العامة كافة أنواع المعرفة الأدبية والتاريخية والفلسفية التى لا تتصل بمهنة ولا تؤدى إلى استغلال مادى مباشر. وفى هذه الظاهرة ترى ببلادنا ما يفزع حتى لتحسب أننا فى أرض لم تتسرب إليها بعد معانى الحضارة الحقيقية. ففى أوروبا مثلاً من المستحيل أن تلقى موظفاً أو طبيباً أو مهندساً أو محامياً يجهل مؤلفات كبار المفكرين من الأدباء والفلاسفة والمؤرخين. وأما فى مصر فمن المستحيل أن تلقى من بين من ذكرنا من يعرف تلك المؤلفات فى غير النادر الذى لا حكم له. ومن أشنع ما يهولك أن ترى سادتنا لا يستحون من جهلهم، بل يظهرون من عدم الاكتراث، إن لم يكن الاحتقار الكاذب لتلك الثقافة الحرة، ما يحزن. ومن عجيب الأمر أنهم لا يحلمون حتى بما سيجدون فى تلك الثقافة من عون على مزاولة مهنهم مزاولة صحيحة، وهم يكادون يجهلون أنهم يعيشون فى وسط اجتماعى وأنهم يعملون فى صلب الحياة. وليس من شك فى أن أحدهم لن يفهم وسطه الاجتماعى أو ينفذ إلى نفوس من يحيطون به أو يستطيع علاج مشاكل الحياة مالم يتسع أفقه وتشحذ ملكاته الإنسانية بالثقافة الواسعة الحرة، ولكم من مرة لقينا بأوروبا طبيباً أو محامياً يحدثك أن نجاح مهنته لا يتوقف على معلوماته الفنية فحسب، بل لابد له من أن ينهض على فهم صحيح لنفسية المريض أو المتهم أو القاضى، وسبيلهم إلى ذلك الفهم هو مواصلة القراءة فى ميادين البحث الإنسانى. ثم هب أن الثقافة العامة لن تجدى فى الحياة العملية، أليست هى المنبع الأول لمتع الحياة، أليست هى دليل التحضر وارتفاع الإنسان عن مستوى الحيوان الأعجم؟ ألا فلنذكر قول المفكر الفرنسى العميق جورج ديهامل: «المكاتب العامة لا تكفى حاجات الناس، ولذا يمتلك كل منهم — مهما كان فقيراً ومهما ضعف استقراره — مكتبة صغيرة هى كنزه الذى يعتز به. فكل إنسان يشعر بالحاجة إلى أن يجد فى متناوله وتحت بصره وسائل حياته، وهو يقتنيها لا لأن الكتاب هو أخص زينات المنزل، ولا لأنه ينشر فى الأماكن التى يحلها عبيراً أليفاً نافذاً من الروحية، بل لأنه يجد فيها ما يركن إليه فى ساعة ضلال أو انحلال أو شك أو فراغ نفسى. ولتتصور ماذا تكون حياتك فى بيت مريح، ولكنه خال من الكتب، إنك لن تلبث حينئذ أن تحس بالنفرة وضيق الصدر»

محمد مندور

ثقافة أبى العـــلاء

للأســتاذ دريني خشبة

لم يحى أحد من الشعراء حياة صدق صريح لا مواربة فيه ولا خداع كما حي أبو العلاء ... ولم تكن حياة أحد قصيدة من الشعر المكلوم المكتوم الحزين الباكى الناقم كما كانت حياة أبى العلاء ... ولم يعبس أحد للحياة تلك العبوسة الطويلة المظلمة التى غبرت ثمانين عاماً ، كما عبس هذا التنوخى أحمد بن عبد الله ابن سليمان ، آكل البُلْسُن والبَلَس[1] ؛ ولم يثقف شاعر نفسه بكل ما استطاع أن يثقفها به مما وصلت إليه يده وقدرته كما فعل المعرى ؛ ولم يأخذ أحد نفسه بما أخذها به أبو العلاء من شدة وجد وصرامة ، فقد عاش طول حياته منطوياً على نفسه ، عزوفا عن الناس ، نباتياً لا يذوق اللحم ، صَوُّاما لا يفطر إلا فى العيدين كما يحدثنا الأستاذ متز[2] ، مستعلياً عما فطرنا الله عليه من حياة وتناسل ، حابساً نفسه فى مائة سجن من شذوذه الذى يصادفك فى كل شىء . . . فى شعره وفى نثره وفى أخباره وفي ثقافاته وفى اختلاف الناس فيه . . . والسجن المؤبد فى العرف الحديث هو ما زاد على العشرين عاما ، إلا أننا لم نسمع عن سجن مؤبد زاد على الخمسين إلا فى حياة أبى العلاء ، وكان مع ذلك سجناً اختيارياً حبس الشاعر فيه نفسه عن طواعية ... فلم يضق به ... ولم يزور عنه ، ولم يشك منه لمخلوق ، بل كان له وفياً ، وبه حفياً .

أرانى فى الثلاثة من سجونى فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدى ناظرى ، ولزوم بيتى وكون النفس فى الجسم الخبيث

(١) العدس والتين ، وفيهما يقول أبو العلاء :

يقنعنى بلسن يمارس لى فان أتتنى حلاوة فبلس
فلس ما اخترت إن أروح من يسار قارون عفة وفلس

(اللزوميات جـ ٢ ص ٥٥)

(٢) الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ١١٠

وإذا قال لنا المعرى إن سجونه كانت ثلاثة فهو يقول هذا تجوّزا ، لأنه دعا نفسه رهين المحبسين ، وهو فى الحقيقة رهين مائة محبس أو تزيد ... فالمعرى لا يلقاك إلا فى سجن ، ولا يحدثك إلا فى سجن ، ولا يسخر بك ويستهزئ منك إلا فى سجن ، لأن كل عادة من عاداته سجن ، وكل طبع من طباعه سجن . وهو يفنّ فى ابتكار السجون التى كان مأخوذاً بحبس نفسه فيها . فأنت تقرأه فى الفصول والغايات فلا تفهمه ، ولا تعرف ماذا يريد أن يقول ، لأنه يختبئ منك وراء جدران سجنه الغليظة السميكة التى بالغ أشد المبالغة فى غلظها وجعلها سميكة ، لأنه تعمد ذلك ، وسعى إليه . . . إنه لا يريد أن تفهمه فى سهولة ويسر كما تفهم سائر الناس ... لأنه ليس كسائر الناس ... وأنت كذلك تقرأه فى لزومياته فيخيل لك الغرور أنك تفهمه ، مع أنك لا تفهم مما يقول شيئاً . . . إنه يختبئ منك ويستخفى وراء سجن يشبه هذا الجحيم الذى صوره فى رسالة غفرانه ... سجن كله دركات مثل دركات جهنم ، من فكرة فى صدر البيت ، تنفيها فكرة فى العجز ، ومن رأى فى البيت الأول يضربه رأى فى البيت الثانى ، ومن عقيدة فى هـذه القصيدة تلطمها عقيدة أخرى فى التى تليها ... كل ذلك فى ألفاظ خبيثة يخيل إليك أنها حوشية . ألفاظ تكاد تصرفك عن قراءة هذا الذى سماه أبو العلاء شعراً ، وما هو فى نظرك بشعر . . . بل هو فى نظرك كلام لا ينتمى إلى اللغة العربية التى عرفها الناس لغة راقصة ضاحكة طروبا . . . لا لغة عبوساً متجهمة تجهم تلك الثاكل التى وقفت بشاطئ اليم تبكى بنيها الذين ابتلعهم لجته ، ولما يلفظهم عُبابه !!

ثم أنت تقرأه فى رسائله الكثيرة المطبوعة التى نفحنى عمى — شفاه الله وأطال بقاءه —[1] بنسخة منها منذ أكثر من ربع قرن فلم أعن بقراءتها إلا حينما سمعت الناس يلفظون بذكر أبى العلاء ، ويملأون الدنيا ضجيجاً فرحين بعيده الألفى . فلا تكاد تفهم سطراً مما يقول ، ولا تكاد تعرف فحوى رسالة

(١) أعتذر عن هذا الحديث الشخصى الذى ساقنى إليه شحون القول

واحدة من تلك الرسائل الكثيرة التي كان يرد بها على مناظريه ، فيلجمهم ، ويخرسهم أبد الدهر ...

فما هذا كله الذي جشم أبو العلاء نفسه من وعورة الألفاظ والتراكيب ؟ وما تصيُّده ذاك كله لشوارد الكلمات وأوابدها ، إن صح أن تكون في الكلمات أوابد ! يجب أن نتلمس العلل والأسباب لتلك القيود التي قيد بها أبو العلاء قراءه . . . ولم يتقيد هو منها بشيء كما يتوهم الكثيرون ...

إذن ، فقد نشأ أبو العلاء بمعرة النعمان في أسرة من الفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء والقضاة وسراة الناس ... جدوده قضاة وعلماء ، وأعمامه قضاة وعلماء وشعراء ، وأبوه قاض شاعر رقيق الديباجة اسمه أبو محمد عبد الله ؛ وقد أعطانا ياقوت الحموي في معجمه (ج ٣ ص ١٠٩ — دار المأمون) نموذجا من شعره في رثاء أبيه ، جد أبي العلاء ، حيث يقول :

إن كان أصبح من أهواه مُطرحاً
ببابِ حمص فما حزني بمطرح
لو بان أيسر ما أخفيه من جزع
لمات أكثر أعدائي من الفرح

ثم أخوه قاض عالم ، وفقيه شاعر ، ولي القضاء بعد أبيه ، واسمه أبو المجد ، وكان أكبر من أبي العلاء سناً ، وقد أثبت لنا الحموي نموذجاً رائعاً من شعره في الزهد ، يبين لنا إحدى وشائج النسب في الأدب بين الأخوين الشقيقين ، إذ يقول :

كرم المهيمن منتهى أملي ... لا نيتي أجر ولا عملي
يا مفضلا جلت فواضله ... عن بُغيتي حتى انقضى أجلي
كم قد أفضت على من نعم ... كم قد سترت على من زلل
إن لم يكن لي ما ألوذ به ... يوم الحساب فإن عفوك لي

فهذا شعر جيد نجد له أصداء كثيرة في اللزوميات ، ولا عجب أن يكون للأخ الأديب أثر في أخيه الأديب . ولأبي العلاء أخ شقيق آخر ، كان يكثر من أشعار الغزل ، اسمه أبو الهيثم ، ومن شعره في الشمعة :

وذات لون كلوني في تغيره ... وأدمع كدموعي في تحدرها
سهرت ليلي وبانت لي مسهرة ... كأن ناظرها في قلب مسهرها

ثم يعدُّ لنا ياقوت أسماء كثيرة لامعة من أسرة أبي العلاء كانت تشتهر بالفقه والعلم والأدب والشعر ... لكنه يحصيها كلها من أسرة أبيه ، ولا يذكر لنا اسما واحداً من أسرة والدته ، فيستدرك ذلك الميمني في كتابه «أبو العلاء وما إليه» فيسرد لنا أسماء كثيرين من أخوال أبي العلاء الذين مدحهم وذكر أياديهم عليه في كثير من شعره الوارد في ديوانه «سقط الزند» مما يدل على حفظه لجميلهم وشكرانه لهم بعد وفاة أبيه وهو في الرابعة عشرة من عمره ... وبسبب التاريخ خرس شديد في هذه المرحلة الحزينة من مراحل سني أبي العلاء ، فهو لم يحدثنا بشيء عن صلة أبي العلاء بأخوته أو عمومته أو بني عمومته بعد تلك الكارثة التي كانت أشد وبالا عليه من العمى الذي أصابه في الرابعة من عمره . . . وهو لم يذكر لنا إذا ما كان أحد من أخوانه كان لا يزال حياً يرزق بعد وفاة هذا الوالد البار الذي كان يولي أبا العلاء من عطفه وبره وعلمه بما ينسيه فقدان بصره ... أو ماذا كانت العلة في ترك أبي العلاء وشأنه ينفق عليه أخواله حتى في رحلته إلى حلب ، وإلى أنطاكية ، وإلى اللاذقية وطرابلس ، طالباً للعلم ، واكتساباً للأدب ، وتفقها في اللغة ، على العلماء والأدباء وفي دور الكتب بحتى رحلته إلى بغداد كانت على نفقة أخواله ، كما يحدثنا بذلك الميمني ، وكما يشير إليه الدكتور طه حسين في «ذكرى أبي العلاء» ... ولكن أحداً لا يحدثنا عن علة اتصال المعري بأخواله هذا الاتصال الحبيب المجيب ، ثم انصرافه عن أخوته وعمومته . . . وليس معقولا أن تكون المحبة الطبيعية بين بني البطون وحدها سبب ذلك ، وما يكون من عداوة بين بني الظهور .. أن يكون هذا سبباً كافياً ولا معقولا أبداً . . . إن والد أبي العلاء لم يترك له ثروة تذكر . . . وكان كل دخله ثلاثين ديناراً يغلها له أحد الأوقاف من أسرته لأبيه ، كان يدفع منها نصفها لقارئه كل عام . فأين كان أخواه ؟! وأين كان هذا الثبت الطويل من أسماء القضاة والعلماء والفقهاء الذين أحصى ياقوت منهم طرفا ولم يحص أطرافا ؟! هنا يصمت التاريخ . . . ولا بد أن يكون لصمته سر فظيع في نشأة أبي العلاء الأولى ،

حول فلسفة نيتشه

ثورة على القطيع

للأستاذ زكريا إبراهيم

لم يقتصر نيتشه على مناهضة أصحاب النزعة العاطفية المغالية ، بل لقد حاول أيضاً أن يناهض أصحاب النزعة العقلية المتطرفة ؛ فحمل على « العلماء » الذين يؤمنون بالعلوم الوضعيّة ويرون فيها شفاء ومَقْنعاً للفكر الإنسانى ، وحمل أيضاً على « الفلاسفة » الذين يؤمنون بالعقل ويعتبرونه المعيار الوحيد للحقيقة . وبين هؤلاء الذين لا يصدرون فى تفكيرهم إلاّ عن « العقل » ، وأولئك الذين لا يصدرون إلاّ عن « القلب » ، وقف نيتشه موقف أستاذه شوبنهور ، فحمل الصّدارة للإرادة ، وقدّم القوّة على الفكر والعاطفة ، فالإرادة عند نيتشه هى جوهر الوجود ، وكلّ ما فى الوجود إنما هو تعبيرٌ عن هذه الإرادة

غير أنّ الإرادة قد تُفْهم إما بالمعنى الفردى أو المعنى الجمْعى ؛ وهذا المعنى الأخير هو ذلك الذى يحرص عليه الديموقراطيّون والاشتراكيّون ، فيُخضعون الفرد للجماعة . ولكنّ نيتشه يتمرّد على « غريزة القطيع » ، ويعلن سيادة الفرد المطلقة فى نظام الطبيعة ، على نحو ما أعلن رجال عصر النهضة

وقد انقسم عصرنا الحاضر كلّه إلى طائفتين : طائفة الاشتراكيين ، وطائفة الفرديين ؛ وهاتان الطائفتان قد تشكلَتْ كلٌّ منهما فى نهاية الأمر بصورة « إنسانية » . أما النزعة الرومانتيكية فإنها فى الواقع قد اتجهت إلى عبادة الشخصيّة ، وإنْ كانت قد قدّست على وجه الخصوص تلك التى لا تخضع إلاّ لقانونها فقط ، أعنى تلك التى لا تتقيّد إلاّ بالشِرْعة التى استنّتْها قوّتُها الخاصّة ، مُتمثّلةً فى الهوَى المنطلق ، أو الإرادة التى لا ضابط لها . وقد ترتّب على هذه النزعة ، أنْ ظهرت الفردية المتطرفة التى أفضت فى النهاية إلى ظهور المذاهب « الفوضوية » . ووُجِدَتْ فى الوقت نفسه نزعة رومانتيكية اشتراكية وديموقراطية ، على يد بيير ليروه ، وفيكتور هيجو ، وجورج صاند ، وميشليه ؛ وهذه أشاعَتْ فى المجتمع مبادئَ السعادة ، والحرية الشاملة ، والإخاء ، والمساواة . إلى آخر تلك المبادئ التى نادت بها الثورة الفرنسية . أما نيتشه فقد رأى فى كل هذه النزعات انحرافاً وانحلالاً ، ولذلك فقد عاد إلى النزعة الفردية البدائية ، ونَصّب « الأنا » أو الذات ، ضد المجتمع بأسره . وبدلاً من تلك الديموقراطية التى تهدّد بالمساواة بين الجميع ومحو كل الاختلافات والفروق ، أو تلك الاشتراكية الشعبية التى تُفْنى الفرد لحساب المجتمع ، نجد نيتشه يدعو إلى أرستقراطية جديدة يعارض بها كل تلك المذاهب الديموقراطية والاشتراكية والفوضوية ، ويعتبرها سبيل الخلاص الوحيد ، فيستبدل بالرجل المتوسط المساوى لغيره من الناس ، الرجل الكامل أو « الإنسان الأعلى » Üermensch والرجل المتوسط الذى يحمل عليه نيتشه هو ذلك الإنسان

ولابد أن يكون لهذا السر أثره الفظيع كذلك فى ثورة أبى العلاء وتبرمه بالدنيا وتجهمه للحياة وضيقه بالناس ، وتسفيهه لمعتقداتهم التى لم ينتفع بها أهله من أبيه فى علاقاتهم بهذا الفتى الأعمى المحروم من العون ، المتقلب فى البلاد ، الضارب بين قرى الشام ، المعجب بأساتذته من رهبان ذلك الدير باللاذقية يدرس عليهم الإنجيل والتوراة ، والفلسفة ، كما درس على أبيه الرؤوف الرحيم البار القرآن واللغة والتفسير والفقه والعروض ، وكما درس طرفا لا يعتد به من الحديث على هذا الرجل المدعو يحيي بن مسعر[1] الذى لم يستطع أن يشعر قلب أبى العلاء حلاوة الإيمان ، فأسلمه بجهله إلى الشك والحيرة

ترى ! هل يستطيع أحد أن يكشف لنا عن ذلك السر ؟

« للحديث بقية » دريني خشبة

---

(١) الميمنى : أبو العلاء وما إليه ص ٥١

الوضيع الذي ينساق مع القطيع ، على طريقة خِـراف بانورج [1] Les moutons de Panurge . أما ذلك الذي ينطوي على نفسه ، ويفزع إلى الوحدة لـكي يعيش كالنجم الفارق في السكون ، فهو في نظر نيتشه الرجل القوي المبدع : « إن الأحداث العظيمة لا تنشأ إلا بعيداً عن الجماهير والأمجاد ، فـكل من ابتدعوا القِـيَم الجديدة قد انتبذوا لأنفسهم مكاناً قصيًّا ، على منأىً من العامة ، وبعيداً عن الأمجاد » والرجل الممتاز إنما هو ذلك الذي يهرع إلى الوحدة ، وينفرد بنفسه ، لـكي يحيا كتلك « الدوحة التي تشرف على البحر في سكون ، وتصغى إلى هديره في صمت » !

لقد يصرخ به القطيع قائلاً : « إن من فتش فقد ضل ، وما الوحدة إلا خطيئة » ، ولـكنه يمضي غير آبه بصوت القطيع الذي يهيب به ، لأنه يعلم أن صوته نداء العبودية يستصرخه أن يبقى ، وصوت الوحدة نداء الحرية يستصرخه أن ينطلق ! أجل ، إن الرجل الممتاز لم يُخْلَق لـكي يسير وراء القطيع ، بل لـكي يكون ثورة على القطيع ، وناراً حامية تُصْلى بها الجماهير ! فليس على الرجل الممتاز أن يخضع لحـكم العامة ، بل عليه أن يخضع لحـكم نفسه فحسب . وليس من واجب الرجل المبْدع أن يأخذ بما يُمليه عليه قانون السواد الأعظم ، بل إن من واجبه أن يتخذ من إرادته قانوناً له ، فيشرّع لنفسه الخير والشر . وليس ينبغي للرجل القويّ أن يمد يده متسرّعاً لمصافحة من يلتقي به في طريقه ، بل ينبغي له إذا التقى بتلك الحشرات التي يتحلّب ريقها بالسم ، أن يسارع إلى وحدته ، حتى لا تمتد إليه السموم الخبيثة التي تنفثها حشرات المجتمع !

فالرجل الممتاز إذن هو ذلك المتوحد الذي يعتزل الناس لـكي يعيش بعيداً عن المجتمع ، منطوياً على نفسه ؛ وأما الرجل الضعيف فهو ذلك الذي يشعر بحاجته إلى الاجتماع بالناس ، والانضمام إلى القطيع . ولذلك يقول نيتشه : إن الأقوياء ينزعون إلى الانفصال والتفرّد ، على حين ينزع الضعفاء إلى الاتحاد والتجمع . والرجل الممتاز – كما يقول زرادشت – هو ذلك الذي ينفر من المجتمع ، ويأنف من الجماعة ، ويحلّق بجناحيه فوق السحاب ، فترمقه أعين الحاسدين ، وترشقه نظرات الحاقدين . وليس بدْعاً أن يثور الناس على مثل هذا الرجل ، فإن من دأب العامة أن تتمرد على كل رجل مبدع يعزف بنفسه عن غمار الناس : « إنك لتعلو عليهم وتسمو فوقهم ، ولـكنك كلما ازددت علوًّا ، ازددت صَغاراً في أعينهم الحاسدة . أما ذلك الذي يحلّق بجناحيه فوقهم ، فليس أبغض إليهم منه » !

ولـكن ، أليس الإنسان حيواناً اجتماعياً يميل إلى التجمع بفطرته ، وينفر من العزلة بطبيعته ؟ ألم يَقُلْ أرسطو إن حياة العزلة لا تتهيأ إلا لإلـه أو حيوان ؟ إذن فـكيف يزعم نيتشه أن « الرجل القويّ » هو « الرجل المتوحِّد » ؟ وكيف يذهب إلى أن الضعفاء هم الذين ينزعون إلى الاتحاد والتجمع ؟ . يجيب نيتشه على هذا فيقول : إن الإنسان حيوان مفترس متوحد ، فالأقوياء الذين هم سادة النوع البشري يميلون بالضرورة إلى العزلة والتفرُّد ، وينفرون من كل نظام يضطرهم إلى الاتحاد والتجمع ، وبعبارة أخرى فإن الحياة الاجتماعية في نظر نيتشه معارِضةٌ للطبيعة ، لأن الإنسان حيوان غير اجتماعي بفطرته . وإذا كان الأقوياء قد يكوّنون مجتمعاً في بعض الأحيان ، فإن ذلك يرجع إلى رغبتهم في القيام بحركة عدوان مشترك ، يرضون بها إرادة السيطرة التي توجد لديهم جميعاً . ولـكنْ شعورهم الفردي في معظم الأحيان ، ينفر من تلك الحركة المشتركة ، ويتأذّى من ذلك العمل الجمعي . أما الضعفاء فإنهم يرتّبون أنفسهم في طبقات متلاصقة ، إرضاء للحاجة التي يشعرون بها نحو هذا التجمُّع ، وبذلك تَلْـقى غريزتهم لذتها القصوى الـكاملة

ولـكن ، هل من الحق أن التجمع دليل الضعف ؟ أليس التاريخ الطبيعي شاهداً على فساد هذا القول ؟ ... إن الواقع أن الحيوانات التي توجد لديها « غريزة القطيع » قد استطاعت

(١) تتلخص قصة خراف بانورج (وهو شخصية هامة من الشخصيات التي نجدها في مسرحية لرابليه) في أن بانورج قد اشتبك في صراع مع التاجر دنديتو Dindenaut الذي أهانه إهانة كبيرة ، فأراد أن يثأر لنفسه منه ، ومن ثم فقد ابتاع منه واحداً من خرافه ، وأطلقه في الماء ، فسرعان ما ألقت سائر الخراف بنفسها في الماء ، وراء ذلك الخروف ، واحداً بعد الآخر ؛ وأسرع التاجر يعدو وراءها حتى إذا لم يبق منها غير واحد ، أخذ يعدو محاولا أن يلحق به ، فلما ألقى الخروف بنفسه في الماء ، قفز التاجر نفسه وراءه ، وبذلك اكتملت هذه الصورة المضحكة التي تصور لنا مدى الانسياق للجماعة ، تحت تأثير المحاكاة !

أن تخرج من معركة تنازع البقاء ظافرة منتصرة بينما خرجت الحيوانات المتوحشة مغلوبة منكسرة . وها هي ذي الحيوانات القوية تعيش جماعات ، فتكوّن القِرَدةُ لنفسها أسراً ، على الرغم من أنها لا تقلُّ في ذكائها عن النمورة والفهود . وها هو ذا التاريخ يُظْهرنا على أن الإنسان القديم لم يكن يعيش وحده ، بل كان يعيش في مجتمع . فليس من الصحيح إذن أن قوة الكائن الحي هي التي تولِّد فيه الميل إلى الوحدة والتفرُّد ، بل الصحيح أن الكائنات القوية تجنح إلى الاتحاد والتجمع ، وتنفر من الانفصال والتفرُّد . وهل كانت الفِيَلة حيوانات ضعيفة ، لأنها تحب الاجتماع ؟ أو هل كان رجال « ما قبل التاريخ » ضعفاء ، لأنهم كانوا يميلون إلى التجمُّع ، كما سبق لنا القول ؟... إن سيد الكون الذي دان له كل شيء في الطبيعة ، والذي قهر سائر الأجناس الحيوانية ولا يزال يقهرها ، إنما هو « الإنسان » الذي يعتبر الحيوان الأول بين طائفة الحيوانات القطيعية ؛ فهل علينا من حرج إذا قلنا إن الإنسان حيوان اجتماعي بفطرته ؟

لقد أراد نيتشه أن يتمرد على المجتمع ، لكي يقتصر على عبادة الذات وتقديسها ، ولكن هل نسي نيتشه أن ما يسميه « ذاته » إنما هو في جانب كبير منه ، تراثٌ اجتماعي تعاقبت على تكوينه الأجيال ؟ فماذا عسى أن يكون نيتشه ، وماذا عسى أن تكون ذاته ، إذا جردناه من كل ما وضعه فيه الآخرون ، وإذا استبعدنا من نفسه كل ما أودعه فيها المجتمع ؟ إن نيتشه حين يتوهم أنه يتأمل ذاته ، فهو في الواقع إنما يتأمل للعالم كله ؛ وهو حينما يظن أن في إمكانه أن ينفرد بنفسه ويعتزل الناس ، لا يزال بالرغم من ذلك محتفظاً في أعماق نفسه بكل أصداء القرون الخالية . ففي أبعد أغوار نفسه ـ مهما تنكَّر للماضي ـ ترنُّ أصداء الأجيال الغابرة . وهل يستطيع الفرد أن يفكِّر إلا إذا استعان بأفكار السابقين ، واستند إلى أعمال المتقدمين ؟ إذن فمن الجهالة والعقوق ، أن يتنكَّر الإنسان للجنس البشري كله ، وأن يكفر بكل شيء ، اللهم إلا فرديته وما يجيء معها من أثرة وعُجْب وحمق وغرور ! ولو أن نيتشه تدبَّر الأمر في جوٍّ حر لا تفسده نزعة أرستقراطية متطرِّفة ، لما تردَّد في أن يقول مع جويّو Guyau : « أنا لست مِلكاً لنفسي ؛ لأن كل موجود ليس بشيء من غير الكل . فالموجود بمفرده لا شيء ! »

زكريا ابراهيم

اللغة القانونيــــة

في الأقطار العربية

وجوب تعديلها وتوحيدها

للأستاذ عدنان الخطيب

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

٤ — إن النظام القضائي مختلف اختلافاً بيناً في الأقطار العربية ، ولكنا نجد فوق هذا اختلافاً في الأسماء والمصطلحات ، فالمحكمة العليا هي محكمة النقض والإبرام في مصر وهي محكمة التمييز العليا في سورية ، وفي العراق هي محكمة تمييز العراق ، والمستشار في المحاكم المصرية هو العضو في محاكم سورية والعراق ، إلى ما هنالك من أسماء كالقاضي والحاكم والمدعي العام أو العموي والنائب أو المحامي العام أو الأفوكاتو العمومي ووكيل النيابة ومعاون النائب الخ ...

٥ — لنتجاوز كل هذا إلى القوانين الرئيسية فنجد أننا لم نتفق على اسم قانون واحد منها :

(ا) فقانون العقوبات في مصر والعراق ، ولبنان أخيراً ، ما زال قانون الجزاء في سورية

(ب) وقانون أصول المحاكمات الحقوقية في سورية والعراق هو قانون المرافعات الدنية في مصر وقانون أصول المحاكمات المدنية في لبنان

(ج) قانون تحقيق الجنايات في مصر هو قانون الأصول الجزائية في العراق ، وأصول المرافعات الجزائية في فلسطين ، وأصول المحاكمات الجزائية في سورية

(د) القانون المدني في مصر هو قانون العقود والموجبات

فى لبنان بينما ما زالت مجلة الأحكام المدلية فى سورية والعراق تقوم مقامه

(هـ) قوانين الملكية العقارية والتسجيل العقارى فى مصر وسورية ولبنان ما زالت قوانين الطابو والأراضى فى العراق .

٨ – كيف يمكن توحيد المصطلحات القانونية

لا بد لتوحيد المصطلحات القانونية من هيئة علمية عليا تمثل جميع الأقطار العربية ، تقر المصطلحات والمعربات اللازمة للكلمات الأعجمية ، ثم تتخذ الوسائل اللازمة لنشرها وتعميمها والاعتماد عليها فى تشريع كل قطر من الأقطار

يقوم اليوم فى مصر مجمع لغوى كريم ، وبالرغم من أنه يضم بعض كبار رجال القانون . فإن تمثيله للأقطار العربية ، من الناحية القانونية مفقود ، مما يدعونا للتأكيد بعدم إمكان الاعتماد عليه كهيئة عربية عليا لإقرار المصطلحات القانونية ، لقد قدم إلى هذا المجمع فى دورة ماضية[1] أحد كبار رجال القانون فى مصر[2] رسالة تتضمن مصطلحات القانون لإقرارها كتعريب رسمى للمصطلحات الفرنسية ، وبالرغم من أن هذه الرسالة جاءت محكمة فى أغلب المصطلحات الواردة فيها ، بليغة فى بعض مبتكراتها ، فإن فيها مجالاً للبحث والمناقشة ، وليسمح لى المؤتمرون الكرام بإبداء بعض الملاحظات على هذا المشروع ليتأكدوا من صحة قولى ، وسيكون لى أجر واحد إن لم أصب فيها وأحظ بأجرين

ا – لا شك أن من المرغوب فيه الإقلال ما أمكن من استعمال أكثر من لفظة واحدة للدلالة على لفظة أعجمية واحدة . ولو كان فى العربية مترادفات كثيرة لها ، ولكن هذا لا يعنى أن نكتفى باستعمال لفظة عربية واحدة لكلمتين أعجميتين مختلفتين إذا أمكن تعريب كل واحدة منهما بلفظة مستقلة ، فكلمتا École و Doctrine مثلاً عربهما صاحب المشروع بكلمة (مذهب) دون تفريق ، واستعمال كلمة عربية أخرى (كمدرسة) أو (طريقة) ، ولماذا نعرب عبارة École de L'exégèse بـ (مذهب الوقوف عند النص) ولا نعربها (بمدرسة الوقوف عند النص) إذا لم نستسغ أن نقول «أهل النصوص مثلاً»

ب – يضع المشروع لفظة (لوائح) المستعملة فى مصر ترجمة لكلمة Réglements الفرنسية ، بينما قد يكون من المستحسن أن نعربها بلفظة (الأنظمة) المستعملة فى العراق

حـ – ويعرب صاحب المشروع Décret-Loi بـ (مرسوم بقانون) ، بينما قد يحسن تبنى الاصطلاح السورى (مرسوم تشريعى)

د – لم يرد واضع المشروع أن يفرق لنا بين كلمتى Droit و Loi فعرب كلتاهما بلفظة (قانون)

هـ – كما أنه ترجم كلمة OBligation بـ (الالتزام) ثم لم يأتنا بكلمة عربية غيرها مقابل لفظة Concession

و – وردت فى المشروع جملة (وقف الدعوى الجنائية المدنية) تعريباً لجملة Le criminel Tient le civil en état وأرى أن الاصطلاح المعروف فى سورية (الجنائى يعقل المدنى)[1] يفوقها جرساً وجمالاً

ز – وقد ترجمت عبارة Droit commercial بـ (القانون التجارى) بينما جاءت ترجمة Droit commercial maritim بـ (قانون التجارة البحرى) ، ولست أدرى لماذا عدل عن الصفة إلى الإضافة ؟ ولماذا وصف القانون بالبحرية دون التجارة نفسها ؟

ح – وأخيراً نجد كلمة Transporteur عربت بـ (متعهد النقل) ومن الممكن الاكتفاء بكلمة (الناقل)

ولكن أنى لمثل هذه الملاحظات أن تقلل من فخر صاحب المشروع بابتكاراته الخالدة والتى منها :

عقد الإذعان تعريب Contrat D'Adhésion

عقد المساومة مقابل Contrat de Gré-à-gré

(١) الدورة التاسعة ١٩٤٢ – ١٩٤٣

(٢) الأستاذ العميد عبد الرزاق السنهورى

(١) انظر فائز الخورى الحقوق الجزائية ونصه (الجزائى الخ)

عقد التمهين مقابل Contrat D'Apprentissage

هذا إلى جانب كثير من التعاريب الموفقة في إيجازها بالنسبة لما يقابلها مثل :

الخلف العام مقابل Ayant cause à titre universel

والتسامع بدلاً عن Preuve par commune renommée

٩ – تصفية اللغة القانونية من الكلمات الدخيلة والأجنبية

ليس توحيد المصطلحات كل ما يتعلق باللغة من الأمور التي يجب أن نعمل لها ، فهناك كلمات وألفاظ دخلت على لغتنا القانونية بعامل النفوذ أو التشريع الأجنبي ، وهناك مشرعون وقضاة لا ينفكون عن إلحاق كلمات أجنبية بالكلمات العربية تعييناً لها وتحديداً

فإذا كانت الكلمات الدخيلة انتشرت بين العامة ؛ فهذا لا يعني أن المشرع يجب أن ينزل إلى مستواهم بدل أن يرشدهم ويصحح لغتهم ، وإلا لوجب أن يصوغ أوامره أيضاً باللغة العامية ، وإذا كانت الألفاظ العربية غير متفق عليها ، فيجب أن يبدأ الاتفاق عليها من هذا اليوم أيضاً . وإذا كان في البلاد العربية تشريع لغته الأصلية غير اللغة العربية ؛ فيجب أن لا نسمع بقانون ، ولا نرى بعد اليوم قانوناً ، يطبق في بلد عربي وضع بلغة غير لغة أبناء البلاد الأباة

أي عذر يمكن أن ينتحل للعراق رمز العروبة الخفاق ؟ إذا تناول أحدنا قانونه التجاري الذي صدر في مثل هذا الشهر من العام المنصرم[١] ، فوجد فيه هذه الطعنات المؤلمة (البورصات) و (السيف) و (القومسيون) و (البوليصة) و (الآفال) و (الكمبيال) و (الجك) و (الكمبيو) و (بوردورو) ، و (ليكيداسيون) و (كونه سمان) و (ماركة) و (فاكتور) و (ناولون) و (السيقورطة) و (أكسيون) و (أوبليكاسيون)

(١) نشر في الوقائع العراقية عدد ٢١١٣ ببغداد في ٢٢–٨–٩٤٣

و (دو كروار) و (ره مي بي سه) و (واران) و (بروتست) و (الوبخ) و (ره تريت)

لا بل إن المشرع العراقي استعمل في قانونه فعل « التجبير » ومشتقاته فبلغت (١٣٥) طعنة في ظهر « التظهير » العربية

وفي مصر رأس البلاد العربية ، قضت ظروف القرن الماضي باستعمال كلمات دخيلة في التشريع ؛ فسمي المجلس البلدي لمدينة الأسكندرية مثلاً بـ (القومسيون)[١] ، ولكن المشرع المصري ما زال يستعمل (القومسيون) بدلاً عن (المجلس) حتى السنوات الأخيرة[٢] وهو ما زال يفسر قوائم الأسعار بـ « كتالوجات »[٣] وهو الذي استعمل لفظي (مصرف ومصارف) في تشريع يبحث عن تسليف الزراع[٤] لم ينشأ لهم إلا (بنكا) ولا يفتأ في لوائحه بترديد (البنك) و (البنكير)[٥] ، والمياومين (جوبر) وعمليات (الأربيتراج) Arbitrage و ازبور — Report والمحاسبين محلفين أو القانونيين Chartered Accountants والبطاقات (الفيشات)[٦] ومقدار التخفيض Bonification ، والمطالبات الناشئة عن Fourbaudage الغش والتلف الداخلي والخلط[٧]

ونحن إذا رأينا الضرورة تقضي باستعمال كلمة دخيلة أو أجنبية في تشريع ما فلنكتف باستعمالها مرة واحدة في كل تشريع ، وأي داع يبرر استعمال (البرود كاستنج) كما وردت جملة (جهاز الاستقبال) ، ولماذا نكرر لفظة (درو باك) تسع

(١) في ٥ يناير ١٨٩٠ شكل (قومسيون) بلدى الأسكندرية بأمر عال .

(٢) انظر مثلا قرار ٢ يناير ١٩٣٥ بإعادة التنظيم الاداري لبلدية الأسكندرية .

(٣) مرسوم ٢٦ يونية سنة ١٩٣٠

(٤) مرسوم بقانون ٥٤ في ٣ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٥) انظر مثلا مرسوم ٣١ ديسمبر ١٩٣٣ بالموافقة على لائحة بورصات الأوراق المالية .

(٦) انظر مثلا مرسوم ٢٩ أكتوبر سنة ٩٣١ المتعلق بالبورصات

(٦ انظر مثلا قرار ٢٧ إبريل سنة ١٩٤٠ المتعلق بالبورصات أيضاً

مرات مثلاً فى قرار يبحث عن رد الرسوم[١] ، أو كلمة (كنترانات) سبعة عشر مرة تفسيراً لكلمة عقود[٢]

هذا فى التشريع أما فى القضاء فيكفى أن نتصفح أية مجموعة من قرارات المحاكم المصرية لنجد أن كلمة (الخطأ) كثيراً ما تذكر وتعقبها بأحرف لاتينية كلمة Erreur ، وكلمة (غلط فى الواقع) ويجانبها Erreur de fait وكلمة (غلط فى القانون) قبل Erreur de droit

وجملة (الخطأ فى تطبيق التعريف) ، مفسرة بجملة Par fausse application des Tarifs ، وكلمتى (الرضاء التحليلى) تلحق بهما لفظة Analytique

وجملة (إرادة التعبير الخارجى) متبعة بمعناها الفرنسى Volonté de la Déclaration[٣]

هذا فى مصر والعراق ، أما فى سورية قلب العروبة النابض فلا نستطيع أن نحكم على المشرع الوطنى الآن ، لأنه لم يخرج لنا بعد قوانين مهمة فى هذا العهد الجديد ، ولكن الغيارى على اللغة العربية العتية تألموا من أن مشروعاً بتعديل مرسوم اشتراعى قديم وضعه مخضرمون فى وزارة المالية السورية مر على مجلسنا النيابى فى دورته الأخيرة ، وخرج قانوناً يحوى هذه الألفاظ (بوليصة) و (بوالص) و (مانيفيستو) و (كمبيالات) و (بريم) و (كونكورداتوا) و (جيرو) و (كتلوغات)[٤]

بينما لبنان العربى الأشم أخذ يضرب لنا أمثالاً رائعة . فى قانونه التجارى الأخير[١] نجد المشرع حرص كل الحرص على عدم تشويه النسخة العربية منه بالألفاظ الأعجمية ؛ فقد استعمل دفتر (صور الرسائل) بدلاً عن دفتر (السكوبيا) ودفتر (الجرد والموازنة) بدلاً عن دفتر (البلانشو) و (طابع الصنع) بدلاً عن (الماركة) وهو لم يستعمل كلمات (كوالكتيف) ، و (قومانديت) و (أنونيم) توضيحاً (للتضامن) و (التوصية) و « المغفلة » إلا نادرا ، وهو قد استعمل لفظة « التعاون » بدلاً من « السكوبراتيف » لا ، بل إنه أتانا بمصطلحات عربية جديدة ؛ فقد استعمل « المؤونة » بدلاً عن « مقابل الوفاء » و « الصك المشطوب » عوضاً عن « الصك المسطر » « والمشاهد العامة » بدلاً عن « السينما والمسارح » واكتفى « بالتظهير » عن « التجيير » و « بالاحتيجاج » عن « البروتستو » ، و « بوكيل التفليسة » عن « السنديك » ولم يستعمل أبداً لفظة « كونكورداتو » لإيضاح معنى لفظة « الصلح أو المصالحة » .

١٠ — مقترحات

إذا كان للحرب القائمة من فضل ؛ فلا شك أن إليها يعود فضل هذه الروح العربية التى عمت جميع الأقطار ، وجعلت « الوعى القومى » يتنفس بين أيدى أطيانه الأشاوس ، وما هذا المؤتمر إلا ثمرة من ثماره الطيبة ، فعلينا أن نتضافر لما فيه مصلحة الآمال المشتركة والرغبات الموحدة ، ومما يسهل مهمة توحيد المصطلحات الحقوقية وإحلال اللغة العربية محلها اللائق الأخذ بالمقترحات التالية :

١ — إقرار تأليف معجم قانونى وانتخاب لجنة تدرس السبل المؤدية إلى ذلك

٢ — تبادل المؤلفات القانونية بشكل واسع

٣ — فتح فصول خاصة فى المجلات القانونية لبحث

(١) انظر مثلا قرار ١٨ أكتوبر ٩٣١

(٢) لائحة بورصة مينا البصل منشورة بقرار ٢٩ أكتوبر ١٩٣١

(٣) هذا مبعثه كما سبق التلميح إليه وضع التشريع بلغة أجنبية ، ثم ترجمته إلى اللغة العربية ترجمة غير دقيقة ، ورأى رجال القانون فى مصر « أن العبرة فى النصوص الفرنسية » راجع هذا المعنى فى شروح القانون المدنى ، وخصوصاً هامش صفحة ٨٠٠ من نظرية العقد للسنهورى ٩٣٤ القاهرة .

(٤) قانون تعديل المرسوم الاشتراعى رقم ٣ الصادر سنة ٩٣٣ وقد نشر فى الجريدة الرسمية مؤرخا ٣١ — ٥ — ١٩٤٤

(١) قانون التجارة اللبنانى صدر فى ٢٤ — ١٢ — ١٩٤٢ ونشر بالجريدة الرسمية ملحقاً بالعدد ٤٠٧٥ فى ٧ — ٤ — ١٩٤٣

بمناسبة مهرجان ذكرى المعرى

كتاب الانصاف والتحرى

فى دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى

لابن العديم الحلبى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

ذكر صاحب «فوات الوفيات» فى ترجمة ابن العديم : أنه ألف كتاباً في الدفاع عن أبى العلاء المعرى سماه «كتاب الإنصاف والتحرى في دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى»

وذكر هذا الكتاب أيضا صلاح الدين بن أيبك الصفدى فى كتاب «نكت الهميان فى نكت العميان» أثناء ترجمة أبى العلاء المعرى، ونقل عنه جملة صالحة، تلخص رأى ابن العديم فى المعرى؛ وكذلك فعل السيوطى فى «بغية الوعاة». وذكر اسم الكتاب، ونقل عنه خلاصة رأى ابن العديم فى المعرى، وعده فى صف المدافعين عنه.

* * *

ابن العديم مؤلف هذا الكتاب هو كمال الدين أبو القاسم عمر بن القاضى أبى الحسن أحمد بن العديم، مؤرخ حلب، ومحدثها، وفقيهها، وأديبها. ألف تاريخ حلب — بغية الطالب — فى نحو أربعين مجلداً[1]. وهو الذى يقول فيه ياقوت الحموى :

«... إن الله عز وجل عنى بخلقته، فأحسن خلقه وخلقه، وعقله وذهنه وذكاءه، وجعل همته فى العلوم ومعالى الأمور، فقرأ الأدب وأتقنه، ثم درس الفقه فأحسنه، ونظم القريض فجوده، وأنشأ النثر فزينه، وقرأ حديث الرسول فعرف علله ورجاله، وتأويله وفروعه وأصوله، وهو مع ذلك فلق البنان بما تحوى اليدان، وهو كاسمه كمال فى كل فضيلة، لم يمتن بشىء إلا وكان فيه بارزاً، ولا تعاطى أمراً إلا جاء فيه مبرزاً، مشهور ذلك عنه، لا يخالف فيه صديق، ولا يستطيع دفاعه عدو»[2]. ولد فى حلب سنة ٥٨٨ ونشأ بها، ثم رحل إلى بغداد ومصر أكثر من مرة واحدة، ولما جاء التتار إلى حلب سنة ٦٥٨ جفل إلى مصر مع من جفل، ثم رجع إلى حلب بعد خروج التتار منها، فوجدها على حال سيئة من الخراب والدمار، فرجع

(١) ذكر ذلك ابن الأثير فى حوادث سنة ٦٦٠ وكذلك الشيخ شهاب الدين محمود فى تاريخه

(٢) انظر ترجمة ابن العديم مفصلة فى معجم الأدباء ج ١٦ ص ٥ — ٥٧.

وفى أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للشيخ محمد راغب الطباخ ج ٤ ص ٤٦٤ — ٤٩٩.

المصطلحات الجديدة ومناقشتها

٤ — السعى لدى الحكومات لإيجاد مكتب عربى للمشاورات القانونية مهمته تقريب التشريع ما أمكن والعمل على توحيده إن أمكن

٥ — العمل على توحيد مناهج الدراسة القانونية فى البلاد العربية وإيجاد رابطة متينة بين كليات الحقوق العربية

٦ — توصية الحكومات بالاعتناء بلغة التشريع والعمل على استبعاد الكلمات البالية أو الدخيلة، ولنا فيما عملته سورية فى إقرار لفظة «التنفيذ» بدلاً عن «الإجراء»، وفيما قامت به مصر من إبدال كلمة «العدل» بكلمة «الحقانية»[1] أسوة حسنة وأمل كبير فى الوصول إلى أهدافنا القومية وآمالنا المنشودة كاملة غير منقوصة والله الموفق.

«دمشق» عدنان الخطيب

(١) سنة ١٩٣٩

إلى القاهرة ، وأقام بها إلى أن توفى بها سنة ٦٦٠ من الهجرة ودفن بسفح المقطم .

***

يعد كتاب ابن العديم فى إنصاف شيخ المعرة من الكتب النادرة الوجود ، بل ربما كان من تلك التى ذهبت بها الأيام ، فلا عين لها ولا أثر ، غير ما حفظته كتب التاريخ والتراجم من أسماء ومقتطفات

لم يعثر إلى الآن — فيما أعلم — على نسخة كاملة من هذا الكتاب القيم النفيس ، وكل الذى عثر عليه منه — من نحو عشرين سنة — نسخة ناقصة من آخرها ، ومن قبل آخر الموجود منها ، ولا يعلم مقدار النقص فى كلا الموضعين . فقد ذكر الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبى فى تاريخه « أعلام النبلاء » بتاريخ حلب الشهباء (ج ٤ ص ٧٧) : إنه عثر على كتاب « الإنصاف والتحرى فى دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى » . عثر عليه مخطوطاً فى خزانة كتب سعادة مرعى باشا الملاح ، وأنه نسخ من هذا المخطوط نسختين ، أهديت إحداهما المجمع العلمى العربى فى دمشق ، واحتفظ بالأخرى لنفسه ، وبعد أن نص الأستاذ الطباخ على موضع النقص فى هذه النسخة التى عثر عليها قال : إنه يدمج الموجود من هذا الكتاب ضمن كتاب أعلام النبلاء . لعل ذلك يدعو بعض ذوى الهمم للبحث والتنقيب عن نسخة تامة منه

وقد نشر الأستاذ الطباخ الموجود من كتاب إنصاف المعرى لابن العديم فى الجزء الرابع من أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (ص ٧٨ — ١٥٤) من نحو عشرين سنة

وإنى أنشر اليوم — بمناسبة حفلات ذكرى العيد الألفى لمولد المعرى التى تقام الآن فى دمشق — على صفحات الرسالة الغراء مقدمة كتاب الإنصاف على أن ألخص فصوله وأبوابه الموجودة فى فرصة أخرى . أنشر هذه المقدمة راجياً — كما رجا الأستاذ الطباخ من قبل — أن يكون فى هذا النشر الحافز لهمم محبي البحث للتنقيب عن نسخة كاملة من هذا الكتاب النفيس . حتى إذا أمكن الحصول عليه ونشر ، كان فى ذلك أبلغ تكريم لذكرى المعرى بمناسبة عيد مولده الألفى

***

وإلى القارئ الآن مقدمة كتاب الإنصاف نقلاً عن النسخة التى نشرها الأستاذ الطباخ :

« ... وبعد فإنى وقفت على جملة مصنفات عالم معرة النعمان أبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان ، فوجدتها مشحونة بالفصاحة والبيان ، مودعة فنوناً من الفوائد الحسان ، محتوية على أنواع الآداب ، مشتملة من علوم العرب على الخالص واللباب ، لا يجد الطامح فيها سقطة ، ولا يدرك الكاشح فيها غلطة ، ولما كانت مختصة بهذه الأوصاف ، مميزة على غيرها عند أهل الإنصاف ، قصده جماعة لم يعوا وعيه ، وحسدوه إذ لم ينالوا سعيه ، فتتبعوا كتبه على وجه الانتقاد ، ووجدوها خالية من الزيغ والفساد ، فحين علموا سلامتها من العيب والشين ، سلكوا فيها معه مسلك الكذب والمين ، ورموه بالإلحاد والتعطيل ، والعدول عن سواء السبيل ، فمنهم من وضع على لسانه أقوال الملحدة ، ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذى قصد له ، فجعلوا محاسنه عيوباً ، وحسناته ذنوباً ، وعقله حمقاً ، وزهده فسقاً ، ورشقوه بأليم السهام ، وأخرجوه عن الدين والإسلام ، وحرفوا كلمه عن مواضعه ، وأوقعوه فى غير مواقعه ، ولو نظر الطاعن كلامه بعين الرضا ، وأغمد سيف الحسد من عليه انتضا ، لأوسع له صدراً وشرح ، واستحسن ما ذم ومدح ، لكن جرى الزمن على عادته فى مطالبته أهل الفضل بتراته ، وقصدهم بإساءاته ، فسلط عليهم أبناءه ، وجعلهم أعداءه ، فقصدوه بالطعن والإساءة . واللبيب مقصود ، والأديب عن بلوغ الغرض مصدود ، وكل ذى نعمة محسود ، ومن سلك فى الفصاحة مسلكه ، وأدرك من أنواع العلوم ما أدركه ، وقصد فى كتبه الغريب وأودعها كل معنى غريب ، كان

قبر أبي العلاء المعري

للأستاذ صبحي الياسيني

كان يوم الجمعة فى الثالث من ربيع الأول عام ٤٤٩ للهجرة ، حين حضرت أبى العلاء الوفاة ، وانطفأت تلك الجذوة المتقدة يوماً مشهوداً عند أهل المعرة ، إذ وفد إليها غير الفضلاء والعلماء والخلق الكثير ، أربعة وثمانون شاعراً ، وقفوا حين مواراته الرمس يرثون عبقريته الفذة وعلمه الضيّع

واليوم وقد انقضي ألف عام على مولده يعيد التاريخ نفسه فيقف مثل هذا العدد وأكثر منه من الشعراء والأدباء جاءوا من أقاصى البلاد على قبره ليستعيدوا ذكرى صاحب هذه الشعلة المتقدة التى مرت عليها القرون فزادتها إلا وميضا واستعاراً .

والمعروف أن جثة المعرى نقلت إلى ساحة لإحدى دور أهله ودفن بها ، وهي واقعة فى الطرف الغربى من المعرة ، وقد كانت هذه الدار فى عهده على ما يظهر من انقطاع آثار البناء ووجود القبور الأثرية بتاليها من الجهة الغربية ، واقعة فى أقصى البلدة باتجاه الغرب ، وكانت قبور أهله وبنى عشيرته وتلامذته قبل إنشاء الضريح الحالى تحيط به إحاطة السوار بالمعصم ، إلا أنه كما حجب اسمه أسماءهم وفضله فضلهم في حياته ، كالشمس إذا ظهرت غاب كل كوكب ؛ فكذلك حجب قبره قبورهم ، واضطر المهندسون الذين قاموا بتشييد الضريح إلى إزالة القبور الواقعة بجوار قبره ، وحفظت حجارتها وشواهدها فى حديقة خلفية لضريح أبى العلاء .

للطاعن سبيل إلى عكس معانيها ، وقلبها وتحريفها عن وجوهها المقصودة وسبلها ، ألا ترى إلى كتاب الله العزيز المحتوى على المنع والتجويز الذى لا يقبل التبديل فى شىء من صحفه ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كيف أحلى جماعة من أرباب باطل الأقاويل ، تأويله على غير وجوه التأويل ، فصرفوا تأويله إلى ما أرادوا ، فما أحسنوا فى ذلك ولا أجادوا ، حتى أن جماعة من الكفار ، وأرباب الزلل والعثار ، تمسكوا منه بآيات ، جعلوها دليلا على ما ذهبوا إليه من الضلالات ، فما ظنك بكلام رجل من البشر ، ليس بمعصوم إن زل أو عثر ، وقد تعمق فى فصيح الكلام ، وأتى من اللغات بما لا يتيسر لغيره ولا يرام ، وأودعها فى كلامه أحسن إبداع ، وأبرزها فى النظم البديع والأسجاع ، إذا قصده بعض الحساد ، فحمل كلامه على غير المراد ، وقد وضع أبو العلاء كتاباً وسمه « بزجر النابح » أبطل فيه طعن المزرى عليه والقادح ، وبين فيه عذره الصحيح ، وإيمانه الصريح ، ووجه كلامه الفصيح ، ثم أتبع ذلك بكتاب وسمه « بيحر الزجر » بين فيه مواضع طعنوا بها عليه بيان الفجر ، فلم يمنعهم زجره ، ولا اتضح لهم عذره ، بل تحقق عندهم كفره ، واجترأوا على ذلك وداموا ، وعنفوا من انتصر له ولاموا ، وقعدوا فى أمره وقاموا ، فلم يرعوا له حرمة ، ولا أكرموا علمه ، ولا راقبوا إلاً ولا ذمة ، حتى حكوا كفره بالأسانيد ، وشددوا فى ذلك غاية التشديد ، وكفّره من جاء بعدهم بالتقليد

فابتدرت دونه مناضلاً ، وانتصبت عنه مجادلاً ، وانتدبت لمحاسنه ناقلاً ، وذكرتُ فى هذا الكتاب :

نسبه ومولده ، وتحصيله للعلم وطلبه ، ودينه الصحيح ومذهبه ، وورعه الشديد وزهده ، واجتهاده القوى وجده ، وطعن القادح فيه ورده ، ودفع الظلم عنه وصده .

وسميته « كتاب الإنصاف والتحرى فى دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى »

وبالله التوفيق والعصمة ، وإليه المرجع فى كل وصمة ، وهو حسبى ونعم الوكيل » .

حرصت على نقل هذه المقدمة الطويلة المسجوعة بنصها ليستطيع القارئ تكوين فكرة عامة عن هذا الكتاب النفيس ويعرف روح مؤلفه فيه ، وأرجو أن أستطيع تلخيص فصوله التى عثر عليها فى فرصة قريبة

برهان الدين الداغستاني

يروى التاريخ أن أبا العلاء أوصى أن يكتب على قبره البيت التالى :

هـــذا جناه أبى علىّ   وما جنيت على أحـــد

وهذا البيت ليس له وجود على قبره ذى الكتابة الكوفية المشجرة ، ولا يوجد على شاهد الضريح سوى الكلمات التالية : « هذا قبر أبى العلاء بن عبد الله بن سليمان » . وقد محا الزمان كلمات : « هـذا قبر أبى » ، وكتب على ظهر الشاهد : رحمة الله عليه . وقد وجد بجوار ضريحه حجر مستطيل الشكل بقياس ٥٠ × ٣٠ مسطر عليه هذان البيتان بخط ثلث حديث :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة
نفيسة صاغهـا الرحمن من نطف
عزّت فلم تعرف الأيام قيمتهـا
فردّها غيرة منـــه إلى الصدف

وقد علمت من ثقة فى المعرة أن هذا الحجر حديث ، جدد عام ١٩٠٣ بذيل آخر مكتوب بالخط الكوفى أتى عليه الزمان فجدده أهل الفضل .

وقد كان ضريح المعرى فى وضعه السابق على غير الاتجاه الصحيح ؛ فكان منحرفا انحرافا قليلا نحو الشمال الغربى ، وذلك على ما يظهر بسبب الزلازل أو انخفاض الأرض فعدّل الآن إلى الاتجاه الصحيح .

أما الضريح القديم فقد كان حالة قبيحة من الإهمال ذكرها مؤرخو المعرى حتى قام فى عام ١٩٠٣ المرحوم نورس باشا الحراكى ، وهو رئيس للمعرة فى ذلك العهـد ، وبنى عند قبره غرفة يعلوها قبة وبجوارها مصلى جعل منه مدرسة للأولاد كان يقوم بالتدريس فيها شيخ أعمى دائماً كلما مات واحد قام آخر .

ولما فتح قبره منذ خمس سنوات لم ير فيه من آثاره إلا بقية ضئيلة كالرماد من فتات عظامه ، وقد صب الآن فوقها الأسمنت لتكون قاعدة قوية تحت حجارة القبر الثقيلة .

وقد كان فى النية نحت حجارة جديدة لقبره لتقوم مقام الحجارة الأثرية القديمة وتتناسب مع شكل البناء الجديد ، إلا أنه صرف النظر أخيراً عن هذا العمل بعد القيام به ، وكان ذلك الأوفق والأنسب .

وكان أمر بناء الضريح تكتنفه الصعوبات لعوامل شتى منها تبدل الحكومات المتعاقبة على البلاد السورية فكأن رغبة أبى العلاء التى أبداها فى ترك قبره وعدم الاحتفاء به إذ يقول :

لا تكرموا جسدى إذا ما حل بى
ريب المنون فلا فضيلة للجسد

أو يقول :

إن التوابيت أجداث مكررة
فجنب القوم سجناً فى التوابيت

تحققت بقوة خفية لا يمكن التغلب عليها

إلا أنه تقرر فى موازنة الحكومة السورية لعام ١٩٣١ مبلغ من المال كاف لبناء الضريح ولم ينفذ المشروع ، كما أنه تقرر ذلك أيضاً فى موازنات الأعوام التالية ـ ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ ـ ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ ، وأضافوا على ذلك فى عام ١٩٣٢ مشروعاً جديداً هو طبع طوابع بريدية موشحة باسم أبى العلاء يعود ريعها لإنشاء الضريح فنفقت الطوابع والقبر على ما هو عليه

وكانوا فى كل عام يرصدون مبلغاً لإنشاء الضريح ، ولا ينفذ العمل ، حتى جاء عام ١٩٣٩ ، إذ خصص ١٥٠٠٠ ليرة سورية فى موازنة الحكومة السورية (فصل ٧ مادة ١ فقرة ٤) وتقرر البدء بالعمل ، وكان ذلك يوم الأحد فى ١٨ تشرين الثانى ٩٣٩ عيداً أهلياً عند سكان المعرة الذين احتفلوا بنفس الوقت احتفالاً شائقاً بإنشاء شركة كهربائية أهلية مساهمة ، وشركة مياه إذ

أنارت الكهرباء بلدتهم لأول مرة ، وجرت المياه النقية إلى قسم من دورهم

وكان المظنون أن الأمور أخيراً سوف تسير سيراً حسناً لولا أن اندلاع الحرب جعل مواد البناء من أسمنت وحديد مرتفعة الثمن ارتفاعاً فاحشاً . كذلك صارت اليد العاملة تطلب أجوراً فاحشة ، فاستنكف الملتزم عن البناء ، وقامت الحكومة بعد أخذ ورد بنقل الإلتزام إلى رجل آخر مع وضع اعتمادات مالية إضافية تتصاعد حسب ارتفاع الأسعار ، وقد انتهى العمل في أوائل هذا العام

والضريح في وضعه الحالي عبارة عن فسحة دار مزروعة بالرياحين يدخل إليها من أروقة محيطة بها من الغرب والشمال ، وفي صدر هذه الدار قبر أبي العلاء موضوع تحت إيوان جميل ، وخلف القبر مسجد يدخل إليه من بابين على طرفي القبر ، ومكتبة على جانب المسجد للغرب ، وخلف المسجد حديقة صغيرة محفوظ بها الحجارة الأثرية التي وجدت حول القبر

وقد سبق أن قامت بلدية معرة النعمان بشق وتخطيط شارع كبير من شرق البلدة إلى غربها بحيث جعلته يمر مباشرة أمام ضريحه ، وقد عبدته وجعلت الأرصفة على جانبيه حتى صار من الشوارع اللائقة بمدينة كبيرة ، واسمه شارع أبي العلاء ، كما خصصت البلدية قطعة أرض مناسبة في مدخل البلدة لإقامة نصب تذكاري فيها لأبي العلاء

وقام أهالي المعرة بنصيب طريف من هذا التمجيد ، فأسموا فندق أبي العلاء ومطعم أبي العلاء ، وهم يملأون القلل بالماء ليلة الجمعة ويضعونها طوال تلك الليلة بجوار قبره ليشربها في اليوم التالي من بلد ذهنه من صبيان المدارس اعتقاداً منهم أن الذهن يصفو من بلادته بهذا الماء ، وهم يقسمون بالمعري كما يقسمون بمقام النبي يوشع الموجود عندهم ويتعصبون له ، ولا شاعر عندهم أو فيلسوف سباق المعري في شاعريته أو حكمته ، وهم أول من يسوق لك الدليل على ذلك من أشعاره وآثاره

إن بلدة معرة النعمان اعترافاً منها بفضل أبي العلاء المعري عليها تدعو جميع الأدباء والفضلاء لزيارة قبره في المعرة يوم ٢٧ أيلول ١٩٤٤ احتفاء منها بمرور ألف عام انقضت على مولده .

صبحي الياسيني
قائمقام معرة النعمان

حلم الفجر . . .

للأستاذ سيد قطب

عجبا ! أنتِ ما تزالين حُلمى ومِثالى وفِكرتى ونَشيدى
ما تزالين فى خيالىَ رَمْزاً لِرجاء منوَّر من بعيدِ
ما تزالين حافزاً لجهُودى ما تزالين غايةً لوُجودى
أتحاشاكِ بالجفاء وباليأ س فأرتد ساخراً من جهودى !
أتحاشاكِ كالجحيم وكالسُّم ولكن إليك يُفضى شرودى

* * *

عجبا ! تركدُ الحياةُ فأنسا كِ قليلاً فى غمرتى ورُكودى
فإذا دبّتِ الحياةُ تراءيتِ كطيف مستيقظ من هجُود
وتراءت تَرفُّ حولكِ أطيا فٌ لما كان بيننا من عهودِ
كلُّ ما لامستْ يداكِ وما مسَّ هوانا من قيِّم وزهيدِ
أتملاّه بالخيالِ وبالحسِّ كذكرى من عالم موعودِ

* * *

عجبا ! بعد كلِّ ما كان مِنّا من صراع دام وجهد جهيدِ
أتمنّاكِ فى المنام وفى الصَّحو تمنّى العقيم وجهَ الوليدِ
وإذا سرْتُ فى الزحام فعينى لخيال مستشرف من بعيد !
لهفةٌ تملأ الحنايا حنيناً لِرجاء مجسَّم مفقود !
أنتِ حُلم الحياة فى صحوة الفجر فأنَّى لحلمنا من مُعيدِ

(حلوان) سيد قطب

القريب البعيد

للأستاذ حسين سرحان

ظَلْتُ ألقاك ليلتيْن وأخرى فمضت ليلةٌ ، ومرَّت ليال
والثوانى كأنهن شهور والليالى تُربى على الأحوال
وقف الدهر وقفة الطَّود فدّى (م) وأمسيتِ قاب قوس حيالى
أى قرب ؟ لكنه أبعد البعد (م) وأنأى من النجوم العوالى
لو تقرَّبت باليدين محياكِ (م) لأقربت[1] منك غير مبال
والزمان الرَّجيم أضحكُ من قر دٍ على فرط خيبتى وضلالى
يتحدّي صبابتى وغُرامى ويُمارى عزيمتى واحتمالى
وتلظيت من صدًى وزلال الماء (م) عندى وخالص الجريال
ضاق ذرعى بما أجن وضاقت عن أمانىَّ حيلة المحتال
ونبا بي رحب المكان وأمللت (م) (الأفاريز) أيما إملال
موفضاً ناظراً إلى غير شىء سالياً ، لا ، فلست عنك بسال
وخلا البال ما عداك فما يخطر لى كائن سواك ببال
ومضى القلب لا يُنيب إلى وا ل ولا يستجيب للعذال
خير ما قيل فيك ما ضاء فيه (م) اسمك ضوءا كدرة اللآل
وسوى ذاك فرية وهُراء لا أبالى بها على أى حال

* * *

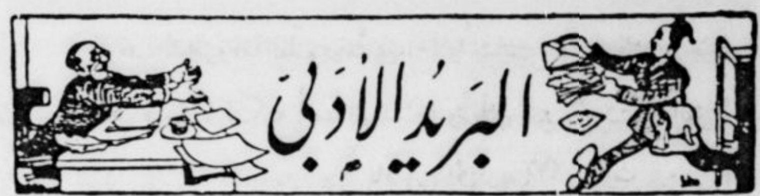
حُبٌ بالوعد صادقاً وبه مطلا (م) وباثنيْهما ولست أغالى
وبما تخطرين فيه من الوشى (م) وما تملئينه من مجال
وبعين تراك أو أذن تسمع (م) نجواك فى أرق مقال
بالأديم الذى عليه تسيرين (م) فيعلو بروحك المتعالي
بالهواء الذى يعود أريجاً (م) حين تولينه أقل احتفال

* * *

وإذا عدت تسأل البارحَ السا (م) نح عنها فما غَناء السؤال
حُلُمٌ ماتنى طليحَ هواه (م) عالقاً منه فى الكرى بالمحال
فإذا ما ألمَّ بعد ارتحال (م) أو أجدَّ الوصال بعد تَقال[2]
فهو شىء لا تستطيع الليالى (م) والمنى أن تصوغه فى مثال

(مكة) حسين سرحان

(١) وصول الابل للماء بعد صبح خامسة
(٢) التباغض



بيان إلى صحف الأقطار الشقيقة

بلغني من أحدهم بطريق المصادفة أن بعض صحف الأقطار الشقيقة تنسب إليّ رأياً خاصاً في الوحدة العربية ، كما تشير إلى تهم قيل إنها صدرت مني ضد بعض الأدباء في تلك البلاد . ولم تقع في يدي حتى الآن صحيفة من تلك الصحف أطالع فيها تفصيل هذه الأخبار الغريبة . ولكنني أكتفي هنا بأن أرجو من صحف البلاد الشقيقة أن تضن قليلاً بحسن ظنها في صحة الأقاويل والإشاعات التي تنسب إلينا ، وألا تلقي بالاً إلى غير ما ينشر موقعاً عليه بأسمائنا من مقالات أو تصريحات ، فإن بدعة « أحاديث المجالس » المتفشية الآن في الصحافة الحديثة لم يبق فاصلاً بين الجد والهزل ، ولم تجعل حداً بين الحقيقة والخيال . وقد يأتي اليوم الذي أحاسب فيه أيضاً على تلك « النكات » والدعابات التي يضعونها على لساني تحت الصور الكاريكاتورية في المجلات الأسبوعية ، أوما يرد من حين إلى حين في صيغة « قال لنا الأستاذ فلان ... » كل هذا يجب أن يؤخذ مأخذاً خفيفاً ، وأن يقرأ مع الابتسام ، لا أن يجعل أساساً لحقائق يدور حولها الكلام ... وكنت أود أن يفطن الناس إلى ذلك منذ زمن ، فلا يجعلوا مثلي مسؤولاً إلا عما يحرر بقلمه أو ما ينشر بإذنه ، ولقد بحثت في ذاكرتي فلم أجدني نشرت أكثر من مقالين أدبيين منذ عام ، ولم أسمح بأكثر من حديثين جديدين ، ولم تكن الوحدة العربية موضوع بحث أو سؤال ، ولا كان الأدباء محل نظر أو جدال . خصوصاً وان اطلاعي على الصحف أو الكتب ، ومعلوماتي عن كتابها ومؤلفيها من أبناء البلاد الشقيقة هي للأسف من الضآلة بحيث لا تبيح لي الكلام فيها . ولابد لي من وقت أعالج فيه هذا النقص ، وأتوفر على الإحاطة بالإنتاج الحديث وأصحابه قبل إبداء الرأي أو توجيه الاتهام أو إزجاء الثناء . وأملي أن يوفقني الله إلى القيام بهذا الواجب في القريب . فإن أقل ما ينتظر منا هو أن نكشف للعيون عن ثمرات القرائح الناضجة في حدائق جيراننا . تلك غايتنا . فإذا عجزنا عن إدراكها سكتنا على مضض . أما أن نتكلم بشر فهذا مالا يكون منا أبداً . وأخيراً أكون شاكراً لو تفضلت كل جريدة عربية في كل قطر عربي بنشر هذا البيان ، إقراراً للحق في نصابه والسلام ...

توفيق الحكيم

حرية الفكر أيضاً

تفضل حضرة أستاذنا العلامة دريني خشبة في مقاله الأخير في الرسالة « حرية الفكر أيضاً » ؛ فألمع إلى كلمتي الأخيرة في العدد الأسبق . ثم وضع لنا قانون حرية الفكر « والقول » . وزبدة قانونه : « فليعتقد من يشاء ما يشاء بشرط ألاّ يجعل عقيدته دعوة يدعو إليها ويجهر بها الخ .» فعجبنا كيف تكون الحرية حريةً متى قُيِّدت بشرط أو شروط

ولأنني أعلم ، وقد ازددت علماً مما لاحظته في سياق النقاش في وحدة الوجود في الرسالة ، أنه لا يجوز البحث في هذا الموضوع الذي اتفقت على بطلانه تعاليم الأديان الثلاثة . ولذلك حذرت سادتنا الكتاب من التوغل في موضوع قد بُتّ فيه منذ مئات بل آلاف من السنين لئلا ينسب إليهم الإلحاد ، وإنما رغبت أن يتجنبوا تهمة الإلحاد لأني أشفقت عليهم من غضب الجمهور الذي قد يثور على الملحدين . وكدت أنا أقع في نفس ما حذرت منه إذ أصبحت في عرف أستاذنا العلاّمة دريني ملحداً أو زنديقاً لأني أعتقد بالمادة

لا بأس أن ينعت المؤمن بالمادة ملحداً أو زنديقاً . ولكن ما قول أستاذنا فيما إذا اختلفت عقائد المؤمنين بالله ؟

إن أصحاب الأديان الثلاثة يعتقدون أن الله خالق هذا الوجود ومدبره . ولكن لكل طائفة عقيدة بالله تختلف عن عقيدة غيرها . « فالله » الإسرائيليين يوصف بأنه « يهوه رب الجنود » أي أنه قائد حربي ينصر شعبه على أعدائهم . و « الله » النصارى ذو ثلاثة أقانيم في واحد . و« الله » المسلمين واحد أحد لا شريك له

وقد نضيف إليهم « الله » سقراط وتلاميذه الذين يعتقدون أن الله موجود مع الكون مستقل عنه ومدبره ولكنه لم يخلقه.

وهناك عقائد مختلفة بالله فى الشرق الأسيوى وجزر الباسفيك القصوى . فمن هم الزنادقة ؟ وفى نظر من هم زنادقة ؟ وهل يحرم على أولئك المنسوبة لهم الزندقة أن يقولوا عقيدتهم . إذاً أين حرية الفكر ؟ وهى بيت القصيد في كلمتى الماضية وفى هذه أيضاً

أود أن يعلم حضرة الأستاذ جيداً أنى لست أناقش فى عقيدة معينة من العقائد الدينية . ولا أدافع عن عقيدة خاصة حتى ولا عن حرية الفكر . فما دامت الحرية غير مقيدة بسلاسل ولا هى معتقلة فى السجن ؛ فلا أغضب ولا أكون شبه غاضب . ولذلك أرجو من حضرة الأخ العزيز الأستاذ دريني خشبة أن يسحب من مقاله (غاضبون أو شبه غاضبين) لأنه فى الأبحاث العلمية لا محل للغضب عند من يعقلون ، وإذا كنت أتطفل فى مساجلته ؛ فلأنى أستلذ بحثه فأستزيده منه ، وله تحيتى .

نقولا الحداد

تعريف الوحدة

الوحدة العربية ، كلمة جذابة تطوى أطيب المعانى المستحبة عند كل الناس من جميع الطبقات ، وقد أقترب كثيراً من الحقيقة إذا قلت إن تعريفها يختلف عند السوريين والعراقيين والحجازيين واليمانيين والفلسطينيين والمصريين

لا عجب فى اختلاف معانى الوحدة العربية ولا غرابة فى ذلك ما دام القائمون بها لم يضعوا لها بعد تعريفاً يظهر الغاية ويزيل البلبلة والتضارب فى التفسير ويحد من اجتهاد المجتهدين فى إفراغ تعريفها فى أحسن الألوان وأزهى المظاهر

وليس ثمة من دليل على البلبلة والتضارب أقطع من الدليل الذى أقامه الأستاذ أسعد داغر فى صحيفة الأهرام ، وما أدراك ما هى صلة الأستاذ بجميع القائمين بالوحدة والعاملين لها ، قال فى سياق مناظرة حول هذا الموضوع « أعرف أن الوحدة التى ينشدها العرب الآن هى وحدة الروح والفكر والمصلحة والخطة ، والعمل على تحقيق آمال الأمة واستعادة مجدها الغابر لمصلحتها ومصلحة كل قطر من أقطارها ، وكل فرد من أبنائها . ومصلحة الحضارة والعمران والسلام العام . على أساس الرضا والتعاون بين جميع البلاد العربية »

هـذا الكلام وقد نقلته بنصه فى تعريف الوحدة لا يروى ظمأ المتعطشين إلى الوقوف على الحقيقة من رجال السياسة والاقتصاد ، ولا يحد من أخيلة المتخيلين الذين قد يضر الوحدة خيالهم ولا ينفع ؛ فهل للأساتذة الأفاضل أمثال عبد الرحمن عزام وخليل ثابت ومحمود عزمى وعبد الوهاب عزام ، وبقية المشتغلين بقضية الوحدة أن يضعوا لها تعريفاً محدود القصد والغاية بعيداً عن التعابير الشعرية والأساليب الخيالية .

منيب الزهورى

إلى الدكتور زكى مبارك

مرحباً بك يا أخى مساجلاً وصديقاً وأستاذاً حر التفكير « معقد الإيمان »

خذ فى الموضوع إذن ، ورجائى أن تذكر ما قلته فى كلمتك الأولى من أنك تؤمن بنظرية وحدة الوجود كما تناولتها فى كتابك القيم ؛ فلا تنس هـذا ... ولا تنس أنك قد أيدتها فى صفحات ، ثم عدت فنقضتها فى صفحات أخرى ، فهل كنت مؤمناً بهذه النظرية فى الصفحات الأولى ، وغير مؤمن بها فى الصفحات الأخيرة ؟ ولن يفوتنى أن أسألك يا أخى عما يخيفك من دخول الإسلام فى موضوعنا ؟ أفى الإسلام نقط واهية يخشى عليه منها بصدد هذه النظرية الصادقة فى نظرك ؟ وعلى كل فخذ فى الموضوع ، واشرح لنا هذه النظرية كما تؤمن بها ونحن فى انتظار ما تقول ؛ وتقبل تحيات صديقك الذى يقدرك ، وسوف يظل إلى الأبد يقدرك

دريني

بقية عن تيمور

كتبت فى العدد الأسبق عن « تيمور » وواضح أن التقدير الفنى — لا التسجيل التاريخى — هو الذى كنت أتجه إليه ؛ وهو الذى يتسع له مقال فى صحيفة لا فصل فى كتاب

ولما لم يكن من غرضى — فى هذه الفصول النقدية التى أكتبها هضم حق أحد ولا منح أحد أكثر مما يستحق ، لسبب من الأسباب الكثيرة التى تعصف بمن يحاولون النقد فى هذا البلد العجيب . فقد رأيت أن أنشر هذه « البقية » التى كنت أبقى تفضيلها لكتاب هو بين يدى الآن

فأحب أن أسجل لتيمور أنه واضع الحجر الأول فى محاولة « الأقصوصة » فى مصر بعد أخيه المرحوم « محمد تيمور » . وهذه الحقيقة التاريخية لا شأن لها بتقويم عمله من الوجهة الفنية . ولعل حديثى الماضى عن تيمور فى صدد كتاب الرواية والقصة والأقصوصة مجتمعين ، هو الذى أخفى مكانه التاريخى والفنى بينهم ...

فأما حين نفرد « الأقصوصة » فإننا نجد تيمور هو واضع الأساس . ولعلنا لا ننتظر ممن يخط الحروف الأولى أن يبلغ القمة ، وحسبه أن يمهد الطريق

هذا الحق التاريخى . لا يمنعنى مانع من كبرياء أو عناد ، أن أعود فأقرره لتيمور ، لأثبت له — من وجهة نظرى — ما له وما عليه . ولعل هذه الكلمة تكشف الحقيقة للكثيرين ، ممن قرأوا كلمتى الماضية ، فتأولوها تأويلاً غير مضبوط .

سيد قطب

منع النساء من لبس العمائم الكبيرة

إتماماً لما كتبه الأستاذ النشاشيبى فى (نقل الأديب) من « عدد الرسالة ٥٧٨ » من خبر النساء فى أنطاكية وأنهن يتعممن كالرجال ، وأن الرجال يلبسون السراقوجات ، أنقل ما سيأتى من كلام ابن الجزرى المؤرخ . وقد عودنا الأستاذ أن يشرح لنا غريب الألفاظ الذى يرد فى كلامه ، ولكنه لم يذكر لنا معنى « سرغوج » . وهي شارة توضع على مقدمة القلنسوة ، فيها شعر مفتول بعدد معين . تكون رمزاً لرتبة عسكرية عند المغول والأتراك حتى العثمانيين كما جاء فى قاموس شمس الدين سامى وغيره :

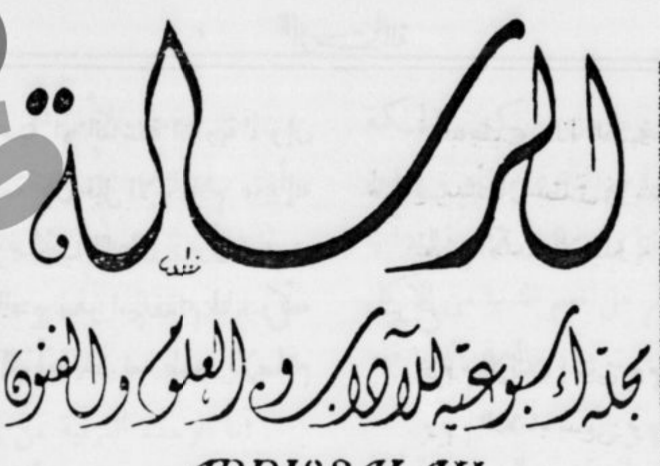
قال المؤرخ محمد بن ابراهيم الجزرى فى تاريخه الكبير (حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه) : وفى يوم الخميس لعشرين من رمضان سنة ٦٩٠ رسم نائب السلطنة بدمشق — الأمير علم الدين سنجر الشجاعى — أن لا ترجع امرأة تلبس عمامة كبيرة ، ومن خالف المرسوم غلظت عقوبتها . فامتنع النساء من ذلك على كره منهن . وكان فى المرسوم أيضاً أن لا يكتب على المناديل البسملة ولا شيء من القرآن المجيد

وروى فى كتابه المذكور عن الشيخ عماد الدين يونس بن على بن قرسق الدمشقى ، وكان والده متولى دمشق وشاد دواوينها ، أنه قال : استتوب والدى بعض اللصوص ممن كان يخطف العمائم ، قال وبقى فى خدمته بالباب ، قال فقلت له مرة : أشتهي تحكى لى أعجب ما جرى لك فقال : اتفق أننى خرجت ليلة فوقفت فى مظلمة فما استقر بى الوقوف إلا وخطفت عمامتى ، قال فمشيت إلى بيتى وكان لى تخفيفة فتعممت بها ورحت إلى مكان آخر فما لحقت أقف إلا وقد خطفت ، قال فعدت إلى البيت وأخذت مقنعة امرأتى فتعممت بها ، والمرأة تخاصم وتحلف إن راحت مقنعتها تعرف الوالى ، فأخذتها ورحت إلى مكان آخر فخطفت المقنعة ، فقلت والله لا رحت إلى البيت إلا بشيء وخفت من المرأة ، وكان وسطى مشدوداً بمنديل فتركته على رأسى وقلت فى نفسى قد دخل الليل وما بقى إلا سقاية جيرون فجئت ودخلتها ووقفت أنتظر من يعبر ، وإذا بإنسان قد دخل وعلى رأسه عمامة كبيرة إلى غاية ، فقلت فى نفسى هذه أخطفها ، ثم إنى تركته حتى عرفت أنه قد تمكن من القعود ، وفتحت عليه الباب ، وخطفت العمامة وجريت جرية واحدة إلى بيتى ، وافتقدتها فإذا هى العمامة والتخفيفة ومقنعة المرأة التى خطفت منى تلك الليلة لا تزيد خيطاً ، وراحت ليلتى بلا فائدة لا ربحت ولا خسرت .



12 me Année No. 589 | Lundi - 16 - 10 - 1944





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٨٩ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ شوال سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

بين الحقائق والأساطير

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب الأستاذ محمود عزمى مقالاً اقترح فيه أن تطلق كلمة العروبة بفتح العين على الجامعة العربية

قال الأستاذ: «وقد وقفت مع رهط من أصدقائى اللبنانيين وأنا أصطاف معهم إلى تعريب لفكرة التعاون المستند إلى مدرك الأميركية الشاملة — فى نظام جامعة الأمم الأميركية — بلفظ واحد بدل أبلغ الدلالة على جامعة الأمم العربية التى يصح أن يعبر عنها باللغات الأجنبية بكلمة Pan—Arab، وهو لفظ العروبة بفتح العين لا بضمها. وقد وردت فى القواميس وفى المدونات على أن من معانيها العرب مجتمعين فى مواسمهم، كما ورد أن يوم الجمعة كان يسمى يوم العروبة بالفتح قبل أن يسمى يوم الجمعة»

وتناول هذا المقال «مشاغب» المصور فقال: «... ليسمح لنا الأستاذ أن نفتش له ولأصدقائه هذه الفتشة. فقد رجعنا إلى أكبر القواميس وإلى أمهات اللغة فلم نعثر على أن العروبة بالفتح هى العرب مجتمعين فى مواسمهم حتى يصح أن تطلق على الجامعة العربية. فقد قال صاحب لسان العرب وصاحب محيط المحيط وغيرهما إن العروبة والعروب بفتح العين هى المرأة اللاعبة الضاحكة،

الفهـــرس

أو المتحببة إلى زوجها أو العاصية أو العاشقة الغاوية ، وإن إطلاق العروبة بالفتح على يوم الجمعة كان قبل الإسلام ، وإنه يظن أنه دخيل فى اللغة ، وقال صاحب اللسان : وفى حديث الجمعة أنها كانت تسمى عروبة بالفتح وهو اسم قديم لها ، وكأنه ليس بعربى ... وأشار بعد ذلك إلى أنه تغير بعد ظهور الإسلام وسمى يوم الجمعة ... »

هذا هو مدار المشاغبة بين الأستاذ عزمى و «مشاغب» المصور الذى أصاب فى قفشته اللغوية ، وأحسن إذ حال بين الجامعة العربية وإطلاق كلمة العروبة عليها

فن هى هذه العروبة ؟

من هى هذه الحسناء اللعوب المتحببة الغاوية العصية ؟

من هى هذه الفاتنة التى كان يوم الجمعة يسمى باسمها فى الجاهلية ولا تزال فى خصائصه أثارة من تلك التسمية حتى اليوم ؟

أكبر الظن أنها هى «الزهرة» كوكب العشق والهوى واللعب والغواية ، ثم كوكب يوم الجمعة الذى نسب إليه هذا اليوم فى أرصاد المشارقة منذ آلاف السنين ، وقد بطلت نسبته الآن فى لغات المشارقة ولم تبطل من لغات الأوربيين الذين اقتبسوا أرصادهم من الشرق قبل ظهور المسيحية بقرون ، فلا يزال الفرنسيون يطلقون على يوم الجمعة اسم فندردى Vendredi أى يوم الزهرة Venus ، ولا يزال الإنجليز يطلقون عليه اسم فريداى Friday ، أى يوم فرايا ، وهى مقابلة الزهرة عند أبناء الشمال الأقدمين

والمعروف أن المشارقة فيما بين النهرين — قد سبقوا الأوربيين إلى رصد الكواكب السيارة والثابتة ، ومزجوا هذه الأرصاد بالعقائد الخرافية التى اشتمل عليها علم الفلك القديم . فزعموا أن الكواكب مستولية على الأيام والحوادث ، مسيطرة على السعود والنحوس ، وقالوا إن الشمس مستولية على يوم الأحد ، وإن القمر مستول على يوم الإثنين ، وإن المريخ مستول على يوم الثلاثاء ، وإن عطارد مستول على يوم الأربعاء ، وإن المشترى مستول على يوم الخميس ، وإن الزهرة مستولية على يوم الجمعة ، وإن زحل مستول على يوم السبت ، وإن هذه الكواكب تتداول الساعات جميعاً فى هذه الأيام

وقد بقيت هذه النسبة فى أسماء الأيام الأوربية إلى العصر الحاضر بعد أن بطلت فى مصادرها الأولى

فيوم الأحد بالإنجليزية يسمى يوم الشمس Sunday بلفظ صريح .

ويوم الإثنين يسمى يوم القمر Monday بغير تحريف كبير

ويوم الثلاثاء يسمى يوم إله الحرب Tuesday ، وهو تيوا عند أمم الشمال ، ونسبته فى اللغة الفرنسية أصرح وأظهر لأنهم يدعونه Mardi ، أى يوم مارس ، وهو المريخ

ويوم الأربعاء يسمى يوم أوون إله الفنون Wednesday ونسبته فى اللغة الفرنسية كذلك أصرح وأظهر لأنهم يدعونه Mercredi ، أى يوم مركيورى ، وهو اسم عطارد عند جميع الأوربيين

ويوم الخميس يسمى بالإنجليزية يوم ثور إله الرعد والبرق والصواعق والنيران والصناعات التى تستخدم فيها النار Thursday ، ويشبه فى خصائصه المشترى كما يعرفه الشرقيون

ويوم الجمعة منسوب إلى الزهرة كما تقدم ، ويوم السبت منسوب إلى زحل ، وهو فى الإنجليزية أصرح منه فى الفرنسية Saturday ، أى يوم « ساتيرن » ، ومعناه زحل فى تلك اللغة

ولا شك فى مرجع الزهرة خاصة إلى الأساطير الشرقية بلفظها ودلالتها

فكلمة Venus فينس كانت تكتب باللغات الأوربية القديمة بنث Benush ، ثم صحفت الباء إلى الفاء ، كما يتفق كثيراً فى جميع اللغات ، وصحفت الثاء إلى السين فأصبحت فينس كما تنطق اليوم ، ومرجعها على ما هو ظاهر إلى كلمة بنت التى تدل فى العربية وغيرها من اللغات السامية على الفتاة

وكلمة «أشتار» التى أطلقت من قبل على الزهرة ، ثم أطلقت على سائر النجوم مأخوذة من أستار و «عشروت» ، أى الزهرة عند الفينيقيين . ومنها الاسترلاب أو الاصطرلاب مقياس الكواكب والأفلاك

وخصائص الزهرة فى أساطير الفلك الشرقية هي بعينها خصائصها التى ثبتت لها حتى الآن فى أساطير الغربيين ، وهى الاستيلاء على العشق والهوى والجمال الغاوى والفتنة الخليعة ،

وفى رسائل إخوان الصفاء كما فى غيرها من كتب الحكمة والفلك : « ... من ذلك حال السعدين المشترى والزهرة . فإن أحدهما دليل على سعادة أبناء الدنيا وهى الزهرة ، وذلك أنها إذا استولت على المواليد دلت لهم على نعيم الدنيا من الأكل والشرب والنكاح والميلاد ، ومن كانت هذه حاله فى الدنيا فهو من السعداء فيها »

وقد بقيت للجمعة صلة بالحب والمتعة حتى اليوم بعد نسيان كلمة العروبة التى كانت تطلق عليه فى الجاهلية

فمن هنا إذن جاء وصف العشق والهوى ليوم الجمعة فى الجاهلية المنسية ، ومن هنا انعقدت الجامعة بينه وبين العروبة التى هى المرأة اللعوب المتحببة العاصية الغوية ، وكل حسناء لعوب تجمع بين هـذه الصفات كما جمعت بينها الزهرة ربة الفتنة والغرام عند الكلدان والفنيقيين قبل اليونان واللاتين

ومن الحسن إذن أن يكون للجامعة العربية كوكب غير الزهرة فى مطلعها الجديد أو طالعها الجديد

فإن أجدر الكواكب أن يستولى على الجامعة العربية فى هذا الطالع لهو كوكب عطارد الذى تنسب إليه الآداب والفنون فى أقوال الشرقيين قبل الغربيين ، كما قال ابن الرومى :

ونحن معاشر الشعراء ننمي   إلى نسب من الكتاب دان
أبونا عند نسبتنا أبوهم   عطارد السماوى المكان

وهذا من الأدلة الكثيرة على أن الخصائص الفلكية التى تزعمها الأساطير الأوربية لأرباب الآداب والفنون من شعر ونثر وغناء وموسيقى قد كانت معروفة على هذه الصفة فى الشرق العربى وفى الشرق كله قبل دولة الإسلام والعربية

والرأى الصائب هنا غير بعيد من دلالة الأساطير على هذا المعنى .

فإن الجامعة العربية لا يجمعها شىء كما تجمعها اللغة وآدابها ومنظومها ومنثورها وأفانين الفصاحة والتعبير فيها

فالجامعة العربية قبل كل شىء هى جامعة اللغة العربية واللسان العربى بما أفاض فيه من شعر ونثر وخطابة وبيان

وعطارد السماوى المكان هو صاحب هذه الجامعة دون غيره من كواكب السماء ، وبخاصة تلك الزهرة اللعوب !

فلن تنفصم الأمم العربية جامعة ما دامت لها لغة واحدة وأدب مشترك فى تلك اللغة . لأن هذا الأدب هو الميراث الذى يربطها بأسرة واحدة ، ولا يقع النزاع عليه كما يقع النزاع كثيراً على ميراث المال والحطام ، بل هو أبداً مجلبة الوفاق وموزع الحصص بمقدار ما يتناول منها المتناول فى غير ضرار ولا شقاق

أما الوحدة العربية من وجهة السياسة فلها ضمان واحد يتقدم على كل ضمان ، وهو حرية كل أمة عربية فى الحكم وحرية كل أمة عربية فى الاختيار ، وحرية كل أمة عربية فى معاملة الأمم الأخرى

فإذا قامت الوحدة على هذين الأساسين : أساس الأدب وأساس الاستقلال ؛ فكل ما وراء ذلك فهو تفصيل يطويه الإجمال ، وهو بأية حال مسألة رسوم وأشكال . ولا يبالى العربى فى قطر من أقطار العروبة ماذا يكون الرسم ، أو ماذا يكون الشكل إذا سلمت له اللغة وآدابها ، وسلمت له الحرية وحقوقها

ولكل عربى أن يقول يومئذ فى سائر العرب : « أبونا عند نسبتنا أبوهم » إذا كان عطارد هو رمز الأدب والفصاحة والبيان .

عباس محمود العقاد

صور من حياة أبي العلاء بين يدي ذكراه الألفية

أبو العلاء المصلوب!

للأستاذ عبد المنعم خلاف

[يطالع قارئ ديوان « اللزوميات » لأبي العلاء صوراً شتى من حياة هذا الرجل ، حتى ليختلط على القارئ المتعجل تمييز تلك الشخصية بميزات وسمات تلازمها ولا تفارقها

غير أن حركة صور تلك الحياة في ذهني تكاد تستقر على مقطع واحد من مقاطع نظري إليه ، وهو مقطع صورة لرجل مصلوب !]

كأنما الأقدار قد أطالت صلبه ليترجم عن معاني الألم والتشاؤم والسأم والشك والتبرم ، وانتقاد شريعة الاجتماع ، والانتقاض على شريعة الحياة نفسها . وكأنه كان رسول هذه المعاني في الأدب العربي ، جاء لينذر الناس بنذر من عالم الفناء والتعطيل والظلام والآلام . فهو في آفاق هذا العالم رائد خبير ، قطع حياته كلها يجوس بعينيه المطموستين في أمواجه الغامرة لم يبزغ عليه فجر نور يزوده بصور باسمة للحياة يتذكرها ويلهو بذكراها في رحلته القاسية الطويلة ، إذ حرمته الأقدار بعض أسباب السلوى والنسيان والتلهي ، وضاعف هو حرمان نفسه ، إذ رفض بقية ما سلبته الحياة . فكتب على نفسه بيده أسباب نقمته الموصولة ، وقد أعانه على إدمان آلامه ذاكرة واعية ، وحافظة مصورة ، وخيال خلاق مثّال ، بلغ من قدرته أنه كان يرى في كل لفظ من محصول اللغة التي كان فيها إماماً قالباً لمعنى من معانيه ، ونواة لفكرة من أفكاره ، لا يلبث أن يدور حولها دورة يخرج منها معنى يُضَمّ إلى أسرة المعاني العلائية المعروفة

وقد نجح في أداء رسالته ، فقبس « أقباساً » داجية من عالم التعطيل والظلام ونقلها إلى عالم الحياة والحركة والافتتان والاستسلام ، وأتى من وديانه بصور وتهاويل وأشباح تطالع قارئ ديوانه « اللزوميات » فيقبل عليها في ارتياع ووجل وشوق غامض كما يقبل على عالم الضوء بمرائيه وأشباحه البيضاء الآنسة المأنوسة ! فيبصر ذلك الجانب الآخر من حياة قانونها المزاوجة بين المسرّات والآلام ، وينبه السكارى باللذة إلى ما هنالك من السكر بالألم :

وأوقدتِ لي نار الظلام ! فلم أجد
سناك بطرفي بل سِنانك في ضِبني

وقد أوثقته الأيام على صليبه في محبسه ، وسمّرت جوارحه بمسامير العجز ، وحررت فكره ولسانه وبيانه . والبيان قوة خطرة في مثل هذه الحال ، تخلق ما ليس موجوداً ، وتبالغ في الموجود حتى تخرجه إلى الإحالة ، وتخدع صاحبها قبل غيره ، وتضخم تهاويل الحرمان والعجز ، حتى تصير كابوساً يأخذ بالأنفاس ...

ومن عجيب أمر الحياة مع المعري أن أطالت عمره مصلوباً وحيداً إلا من صحبة نفسه التي لقي منها البرح البارح ، ولقيت من فكره الحيران العذاب المضاعف

وقارئ « اللزوميات » يخيل إليه أنه أمام آهات موصولة من ذلك « الفكر » المصلوب الذي أكلت من رأسه وتخطفته طيور الشك والألم والحيرة وإرهاف الحس وعدم الصبر على الفتنة بالناس ، وعلى السير معهم على سطح الوجود بدون تعمق وطلب لما لا ينبغي أن يطلب . وكأن ذلك القارئ أمام مريض مزمن يتقلب على فراش شائك . ولم تكن حالات التسليم والهدوء والرجوع إلى معاني سطح الحياة تعترى المعري إلا كما تهدأ الحمى عن مريض برهة مخطوفة ، ثم لا تلبث أن تعود في إلحاح ولجاج وإنهاك

وقد قلت في مقال سابق : إن السُّكر بالألم سكر خطر ، أشدُّ خطورة من السكر باللذة ؛ لأن في الثاني إقبالاً على الحياة واعترافاً بها ، وحب تذوق لفرصها العابرة ، وخواطر مسرّة ورضاً عنها وعن أفانين الإبداع فيها . أما السكر بالألم فيحمل على هذيان فيه رفضٌ للحياة جملةً ، وتمطيل لحركتها في النفس ، وخواطرُ سخط على صانعها ، وانتقاد لنظمه فيها ، وانتقاض وثورة وإباق وفرار وحقد دفين وغيظ مُملَّن وفضُول وتدخل من كائن صغير ضئيل في السياسة العليا للحياة

سكارى اللذة قد يسخرون بشريعة الاجتماع ويحطمونها من فرط وُفُور القوة وتوفز الحس والشمور بما فيها من متاع

عبقري تستجيب له نفوسهم ، ولا يقفون في استجابتهم له عند الحدود التي دلت تجارب الأحياء الذين كان لهم مثل هذه الاستجابة النهمة على أنها حدود يلزم الوقوف عندها واحتجاز النفس دونها إبقاء على تلك الاستجابة ذاتها ، وإدامة لتجددها وطلباً للمزيد منها . ومن السهل رجوع سكارى اللذة إلى أحضان شريعة الاجتماع باستخدام منطق التجارب في إقناعهم . فكل عيبهم أنهم أطفال جياع شرهون امتدت طفولتهم فاستمروا على حب الحلوى والزينة والمتاع بهما في إسراف ، وسخطوا على « صمامات » الأمان و « فرامل » النجاة التي تتمثل في شريعة الاجتماع التي لا يدركون فيها مصالحهم الذاتية قبل مصالح غيرهم

أما سكارى الألم فيحملهم هذيانهم على تحطيم « شريعة الحياة » ذاتها ، ولا يعترفون بها ، ويقفون من صانعها وجهاً لوجه وقفة الند للند ثائرين صاخبين ساخطين !

***

والآن لننتقل بخيالنا لننظر ذلك الشيخ الأعمى المسمَّر على صليبه يحملق في وجه الظلام السرمدي بعينيه المطموستين ، وأمام شفتيه كأس من الحنظل يرشف منها رشفات ، ويئن من توقد جمرات الإحساس بالحياة . فينشد معلناً معاني نفسه ويطرحها قضية جريئة ثائرة ...

فكونُك في هـذه الحياة مصيبةٌ

أرى جُرَعَ الحياة أمرَّ شيء فشاهِد صِدْقَ ذلك إذ تُقاء

شربت قهوة مُرّ كأسها خَلَدى

وفي المفارق ممـــا أطلعت زَبَدُ

أرى جزء شهد بين أجزاء علقم

أكأنها جمرةٌ حرارتُهـا صدت أخا الحرص عن تنعمها

أف لها ! جُلُّ ما يفيد بهـا من فاز فيهـا الطعامُ والباهْ

من لي بترك الطعام أجمعَ

إن الأكل ساق الورى إلى الغبن

إلى الأنين استراح رِخدنُ ضَنَى

كما اســـتراح السقاةُ بالرجز

ثم تذهب خواطره إلى نوع من ثورة العاجزين الذين يملكون الأفكار الثائرة ولا يملكون الأعمال المحررة التي تحررهم من إسار الحياة العنيف الكريه فينشد :

هذه الحبالة قد ضمت جماعتنا فهل ينوصُ فتى منها وينفلت

خلصيني من ضنك ما أنا فيه واطرحيني لمنكر ونكيرِ

إلام أجر قيود الحيـــاة ولا بد من فك هذا الإسار

آه لضعفي ! كيف لي هابطاً في الواد أو مرتقياً في العقاب

وما فتئت وأيامي تجدد لي حتى مللت ولم يظهر بهـا ملل

ربِّ متى أرحل عن هذه الدنيا فقد أطلت فيهـــا المقامْ

وقد تحمله سكرته على حالة يكون فيها مستغرق الفكر في ذهول الحالم

فيـــالك من يقظةٍ كأني بهـــا حالم

والمرء في حال التيقظ هاجع يرنو إلى الدنيا بمقلة حالم

وقد تحمله يقظته المرهفة على حالة يكاد فيها يعد أنفاسه سأما وحساسية ببطء مرور الزمن كبطء مرور مبهور الأنفاس أو مرور نمال صِغارٍ على كثيب من رمال .

وأنفقت بالأيام عمرى مجزءا بها اليوم ثم الشهر يتبعه الشهر

يسيراً يسيراً مثل ما أخذ المدَى

على النـاس ماشٍ في جوانحه بُهرُ

كذرٍّ علا ظهر الكثيب فلم يزل

به السـير حتى صار من خلفه الظهر

وهو شديد الشعور بجزيئات الزمن يتلقاها برهة برهة وتشد عليه سلاسلها ، وهو واقف في إسارها جامد لا يتحرك

بتُّ أسيراً في يَدَيْ برهة تسير بي وقتيَ إذ لا أسير

وهو يرصد دورات حياته المحدودة المكرورة فلا يجد فيها مذاقاً جديداً للحياة :

أقضِّي الدهر من فطر وصوم وآخذُ بُلغةً يوماً بيـــوم

أعيش بإفطار وصوم وبقظة ونوم فلا صوماً حمدت ولا فطرا

تداولني صبح ومُسى وحندسٌ ومر على اليومُ والغد والأمس

غدا رمضاني ليس عني بمنقض وكل زماني لياتي آخر الشهر

وهي حالة يبلغ من إلحاحها على صاحبها أنه يتعجل دورة الفلك ويتطلع إلى الغد قبل مرور اليوم :

أصبحت في يومى أسائل عن غدى

متخبراً عن حاله متندسا

٢ – ثقافة أبي العلاء

للأستاذ دريني خشبة

لم يكن أحد فى عصر المتنبى أكثر إلماماً باللغة العربية من المتنبى ، ولم يكن أحد فى أيام المعرى أكثر إلماماً باللغة العربية وغريب اللغة العربية من المعرى ، بل لعل الله لم ييسر لأحد ممن أحاط باللغة العربية ووقف على غرائبها ما يسر من ذلك كله لأبى العلاء ...

وقبل أن نأخذ فى هذا الحديث عن ثقافة أبى العلاء أحب أن أرجو القارئ فى الرجوع إلى معجم ياقوت ليقرأ معى أسماء ذلك الثَّبَت الطويل من الكتب التى ألفها ، أو صنفها ، أبو العلاء ، وما أورده ياقوت من الأسباب التى دفعت أبا العلاء إلى تأليف تلك الكتب ... وأحب كذلك أن أرجو القارئ فى أن يصبر على قراءة أسماء تلك الكتب الكثيرة الغريبة التى نضيق نحن اليوم بها وبموضوعاتها التى لا يدل ظاهرها على طرافة أو عبقرية ، إن لم يخيل لنا أنها تدل على حذلقة وتقعر ... أو تفاصح وتشدُّق ... على حد ما عبر ياقوت [1] ... وأحب أن ألفت نظر القارئ إلى ملاحظة قد تكون سخيفة إلى آخر حدود السخف أولاً ، لكنها لن تكون سخيفة آخر الأمر ، لأنى سأتخذ منها دليلاً على أن أبا العلاء لم يكن يؤلف هذه الكتب الكثيرة المعقدة ، المضطربة ، فيما يبدو لنا ، التى لا قيمة لها فى رأى الكسالى الذين لا صبر لهم على حل الرموز وفك الطلسمات ... أقول إنى سأتخذ من هذه الملاحظة دليلاً على أن أبا العلاء لم يكن يؤلف هذه الكتب المعقدة ... لله ... أو بغير أجر إذا ضقت بهذا التعبير العامى الذى لا يعجبك ...

إذن لِيُلْقِ القارئ باله إلى عدد الكراسات التى يتألف منها كل من كتب أبى العلاء ... وسنضع تحت أيدى القراء ميزاناً مهلاً لحساب هذه الكراسات الكبيرة العدد التى كانت تتألف منها كتبه

١ – فياقوت يذكر أن كتاب الفصول والغايات كان يتألف من سبعة أجزاء أُمليت فى مائة كراسة (جـ ٣ : ١٤٧) ويذكر الدكتور طه حسين – رجل أبى العلاء – أن الكتاب

(١) طبعة دار المأمون جـ ٣ ص ١٧٦

متى يتقضى الوقت والله قادر فنسكن فى هذا التراب ونهدأ

ويزيد من وطأة الشعور بهذه الحالة التعسة أن يرى صاحبها خلاص قرنائه ولِداته ومصارع الأقوام حوله ، وبقاءه هو فريداً مردوداً إلى أرذل العمر

يمر الحول بعد الحول عنى وتلك مصارع الأقوام حولى

ثم يفر إلى تخيل يومه هو عندما يحين حَيْنُه فيرتاح

كأنى بالألى حفروا لجارى وقد أخذوا المحافر وانتَحَوْا لى

ثم يصيبه الإعياء والكلال من كثرة إرساله خواطر الثورة والحيرة والنفرة من الحياة والتشكيك فيها والسخط عليها ومضغ ألفاظ الألم والشؤم والكذب على الحياة ، والإيغال فى تخيل تلك الصور الكئيبة التى يرددها دائماً على نفسه ويملأ بها حياته ، فيعود إلى الصمت والأخذ عن الزمن الناطق الواعظ الخبير المُبصِر على كلماته الأزلية :

قام للأيام فى أذنى واعظ من شأنه الخرسُ

أوجز الدهر بالمقال إلى أن جعل الصمت غاية الإيجاز

منطقاً ليس بالنثير ولا الشعر ولا فى طرائق الرُّجاز

ولقد تبلغ به فى بعض الأحيان زلزلة الشك فى صدق ما يقول من تلك الخطرات التى يظهر أن كثيراً منها كان وحى اللفظ أو القافية أو الخضوع لحب الأغراب ، أن يشعر بصوت الزمن الصامت البليغ يرد عليه دعاويه ويفندها ويبكته

كادت سِنِىَّ إذا نطقت تقيم لى شخصاً يعارض بالعظات مُبكِّتا

ويقول : من بعث اللسان بغير ما أرضى فحقٌ أن يُهان ويسكتا

دنياك لو حادثتك ناطقةً خاطبت منها بليغة لَسِنَهْ

تلك هى الصورة الأصيلة لأبى العلاء ، لا يخطر ذكره بالبال ، إلا وتتراءى لعارفيه أوضح ما تكون خطوطاً وقسمات . وهى صورة تتصل بمزاجه وشخصيته أكثر مما تتصل بفكره وفلسفته ، وهى هالة اسمه وطابع شخصه . وله صور أخرى تتصل بآرائه وثقافته ومذهبه الكلامى

عبد المنعم خلاف

فى أربعة مجلدات ضخمة[1] ... فإذا أخذنا بقول ياقوت وقع الجزء من أجزاء الكتاب فى أربع عشرة كراسة وجزء من الكراسة ، وإذا أخذنا بالقول الثانى وقع الجزء فى خمس وعشرين كراسة ، نستطيع أن نقدرها تقديراً كميّا ، أو حجميّا ، بهذا الجزء الكبير الذى وصلنا من أجزاء الكتاب ، والذى أنفق فى ترتيبه وتصحيحه وطبعه ، أستاذنا الشيخ زناتى ، ما أنفق من كريم الجهد والعمر والمال ، ما أنفق ... وعوّضه الله خيراً ! ...

ويقول أبو العلاء : إن المراد بالغايات القوافى ، لأن القافية غاية البيت ، أى منتهاه ، وهو كتاب موضوع على حروف المعجم ، ما خلا الألف ، لأن فواصله مبنية على أن يكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألفاً ، ومن المحال أن يجمع بين ألفين ... إلى آخر ما شرح به القيود التى تقيد بها فى تأليف كتابه ، والتى لم يُبين لنا فيها سبب تأليف الكتاب الحقيقى ، وإن كان الدكتور طه قد حدثنا عن ذلك حديثاً قيماً فى كتابه : مع أبى العلاء فى سجنه ، فذكر أن الفصول والغايات هو لزوم بالا يلزم نثراً ، مقيداً مثل اللزوميات ، أو أشد منه ، بقيود أشبه بعبث الأطفال الكبار ! ونشهد الله على أنها لم تكن عبث أطفال كبار ، ولكنها كانت حلقة فى سلسلة الحيل التى كان أبو العلاء يتقى بها شرور زمانه وغطرسات حكامه ... وندع ذلك الآن

٢ — وألف أبو العلاء كتاباً يوضح فيه غريب الفصول والغايات ، وما فيه من اللغز ، سماه : الشاذن أو السّادر ، أو السّادن ، وهو جزء واحد فى عشرين كراسة

٣ — وكتاب إقليد الغايات ، أى مفتاح الألغاز ، فى عشر كراسات

٤ — ثم كتاب الأيك والغصون ، وهو كتاب الهمزة والرّدف : يُبنى على إحدى عشرة حالة ، الهمزة فى حال إفرادها وإضافتها ، ومثال ذلك السماء بالرفع والنصب والخفض والتنوين (بدون أل طبعاً) ، وسماؤه مرفوع مضاف ، ثم منصوب مضاف ثم مخفوض مضاف ، ثم سماؤها وسماءها وسمائها ، ثم همزة بعدها هاء ساكنة ، مثل عباءه ... فإذا ضربت ذلك فى حروف المعجم الثمانية والعشرين خرج من ذلك ثلاثمائة وثمانية فصول ... الخ . ويقع الكتاب فى اثنين وتسعين جزءاً تستغرق ألفاً ومائتى كراسة ! وألف فى تفسير غريبه كتاباً من جزء واحد

٥ — ثم كتاب تضمين الآى : بعضه على حروف المعجم وقبل كل منها فى الكلمة الأخيرة فى كل فاصلة ألف . مثل نساء — كتاب — بنات — غياث — أجاج : وبعضه آخر فواصله على فاعلين أو فاعلون ... وبعضه غير هذا وذاك . ويقع فى أربعمائة كراسة ... وهو من الكتب التى طلب إلى أبى العلاء تأليفها ... طلبه منه أحد الأمراء فألفه برسمه فى العظات والحث على تقوى الله !

٦ — ثم كتاب سيف الخطبة ... لخطب السنة المنبرية والخسوف والكسوف والاستسقاء وعقد النكاح ... وهو على حروف المعجم كذلك ... والظريف أن أبا العلاء أهمل الجيم والحاء ، وما يجرى مجراها : لأن الكلام المقول فى الجماعات ينبغى أن يكون سجسجاً مهلاً ومقداره أربعون كراسة

٧ — وكتاب تاج الحرة فى عظات النساء ، والتزم فى فواصله خطاب النساء على حروف المعجم نحو : تشانى وهابى — وعلى تفعلين كتشكرين ، أو الكاف ، نحو كلامك وصيامك . ويقع فى أربعمائة كراسة

٨ — وكتاب سجع الحمائم ، على لسان حمائم أربع ، فى العظات والحث على الزهد ، وقد طلب إليه أحد الأمراء تأليفه فأملاه فى أربعة أجزاء فى ثلاثين كراسة

٩ — وديوان لزوم ما لا يلزم ، وقيوده مرونة ، جمله فى ثلاثة أجزاء ، فى أربعمائة وعشرين كراسة ، وعدد أبياته أحد عشر ألفاً ـ وقد خاض بعض خصوم أبى العلاء فى اللزوميات فرد عليه بكتاب زجر النابح ، ثم جعل له ذيلاً سماه بحر الزجر ـ ويقع زجر النابح فى أربعين كراسة ـ وشرح اللزوم فى جزء واحد ـ وكتاب آخر فى شرح غريب اللزوميات سماه راحة اللزوم فى مائة كراسة ، وأظنه فى شرح فلسفته ومثله كتاب الراحلة

١٠ — وكتاب جامع الأوزن ، وفيه أشعار تنتظم ألغازاً

(١) مع أبى العلاء فى سجنه ص ٢١١

استوعب فيه الأوزان الخمسة عشر التي ذكرها الخليل بجميع ضروبها (وهذه عبارة ياقوت) مع ذكر قوافي كل ضرب ... والمعرى هنا مؤرخ للعروض جاهليّه وإسلاميّه وعباسيّه . والكتاب في ثلاثة أجزاء في ستين كراسة تضم نحو ستة آلاف بيت بعضها لأبي العلاء وبعضها لشعراء غيره

١١ – وكتاب السجع السلطاني في أربعة أجزاء ، ألفه لبعض الوزراء الذين أقبلت عليهم الدنيا من غير طريق الأدب (وفيه مخاطبات للجنود والوزراء وغيرهم من الولاة)

١٢ – وكتاب سجع الفقيه في ثلاثين كراسة ، وكتاب سجع المضطرين ألفه لبعض ذوي الأسفار (يستعين به على أمور دنياه)

١٣ – وشرح المعرى غريب شعر أبي تمام (ذكرى حبيب) في أربعة أجزاء في ستين كراسة ، وقد طلبه منه أحد أصدقائه فعمله ؛ وراجع ديوان البحتري لأحد الرؤساء ليثبت ما جرى فيه من الغلط ، فسمى النسخة الجديدة التي صنفها (عبث الوليد) في عشرين كراسة ؛ وكلفه عظيم من الرؤساء يلقب بمصطنع الدولة ويدعى كليب بن على بمراجعة أحد دواوين الحماسة (واسمه الحماسة الرياشية) فألف في ذلك كتابه الرياش المصطنعي فسر فيه ما لم يفسره أبو رياش . وهو أربعون كراسة

١٤ – وكتاب الصاهل والشاحج ، على لسان فرس وبغل ألفه لأبي شجاع فاتك ، الملقب بعزيز الدولة ، والى حلب من قبل المصريين

١٥ – وكتاب شرف السيف ، وقد أورد ياقوت عن هذا الكتاب خبراً هاماً جداً ، نقله عمن كان يستملي أبا العلاء من الطلاب ، وذلك حيث يقول إنه عمله لرجل من دمشق يدعى نَشْتكين الدزبري ، كان يوجّه إلى أبي العلاء السلام ويُحْفِي المسئلة عنه ؛ فأراد جزاءه على ما فعل ... فلنذكر ذلك إلى حين

١٦ – وكتاب اللامع العزيزي في شرح شعر المتنبي ، صنّفه للأمير عزيز الدولة – وهو كتاب معجز أحمد كما ذكره الصفدي ، في مائة وعشرين كراسة

١٧ – ثم عشرات من الكتب في النحو والعروض والألغاز وغرائب اللغة ، ثم كتابه ديوان الرسائل ، الطوال ودون الطوال ، والقصار ، وتتجلى في ذلك الكتاب عبقرية أبي العلاء وخياله الخصب وأصالته الأدبية ، وحسبك أن تعلم أن رسالة الغفران الخالدة ورسالة الملائكة هما وشل مما في هذه الرسائل . ذلك ولم نشر إلى ديوانه سقط الزند لشهرته ، ولا إلى عشرات من كتبه الأخرى

فمن هذا الإحصاء الوجيز الذي وضعناه عن مؤلفات أبي العلاء عامدين ندرك أشياء شتى ، ونستنتج أشياء شتى ... ندرك تعدد ثقافات أبي العلاء واتساع آفاقها ، وندرك أنه كان يصنّف كثيراً منها – يزيد على الثلاثين كتاباً ضخماً ، بطلب خاص من الوزراء والأمراء وأعيان البلاد العربية ... وندرك أن أبا العلاء كان رجلا موسوعياً في آداب اللغة العربية ، ثقة في فقه هذه اللغة ، فوق كونه فيلسوفاً ملماً بمعتقدات الأديان المختلفة ، بل بمعتقدات فرق الأديان المختلفة ، كما ندرك أنه كان يغلو غلواً شديداً في تعقيد تلك الكتب ويختط لها خططاً عجيبة مضحكة من الإسراف الشكلي والالتواء الشديد

أما الذي نستنتجه من كتب أبي العلاء ومن تاريخ حياته . فهو أنه كان يُكوّن مع طلبته ، شيئاً أشبه بهذا القسم من الجامعة المصرية الذي نسميه كلية الآداب ... أو شيئاً أعظم من هذا القسم من الجامعة الأزهرية الذي نسميه كلية اللغة العربية

وليضحك من شاء من القراء على استنتاجنا ذاك الذي نذهب إليه جادين ، ونزيد عليه أن أبا العلاء لم يكن يعلم طلبته أولئك . طلبة كلية أبي العلاء ... بالمجان ... وأنه لم يكن يؤلف كتبه الكثيرة الضخمة هذه لمن يطلبها ولمن لم يطلبها بالمجان أيضاً . لقد جمعت عدد الكراسات التي أملاها أبو العلاء ، من المصادر القليلة التي تحت يدي فوجدتها تربى على عشرة آلاف كراسة ، وقد أشرت إلى أن كتاب الفصول والغايات الذي بأيدينا كان يقع في عشرين كراسة أو أكثر أو أقل من ذلك بخمس كراسات – وفي هذا الحجم كانت تقع مئات من كتب أبي العلاء .. ولو قدرنا أن ثمن الكراسة الواحدة كان عشرة قروش مصرية ، وهو تقدير متواضع جداً لزمن أبي العلاء ، لعرفنا أن أبا العلاء قد اشترى ورقاً ، أوكاغدا ، أو رقّاً ، أو ما شئت فسم مادة كراساته ، بمائة ألف قرش . هذا غير المداد والأقلام ... وإذا ذكرنا أن أبا العلاء كان رجلاً فقيراً ، بل رجلاً مُعدماً ، لا يزيد دخله عن ثلاثين ديناراً من ذلك الوقف المعروف ، كان يقتسمها وخادمه ، وإذا عرفنا كذلك أن أبا العلاء كان مع هذا الفقر رجلا كريماً لا يبخل على تلاميذه بحسن الوفادة ، وإكرام المثوى والمعونة المادية ، وأنهم

على هامش النقد :

٣ – في عالم القصة

الرواية الشعرية بين شوقي ، وعزيز أباظة

للأستاذ سيد قطب

عيب من عيوبي ، أنني أنفر من الزحمة ، وأكره الضجيج . وأطبق هذا في عالم الأدب كتطبيقي له في عالم الحياة . فيكفي أن تثور الضجة حول مؤلَّف أو مؤلِّف ، حتى يصرفني هذا عنه إلى حين ، ثم أتناوله في هدوء وانفراد لأرى رأيي فيه . وكذلك أصنع مع كل شخصية في الحياة يتزاحم حولها المتزاحمون ، إلا أن يخلو الجو ، وتهدأ الضجة ، فأقرب من هذه الشخصية لأتملاها ، وكأنما لم أسمع من قبل عنها شيئاً !

ويسبق إلى نفسي سوء الظن ، بكل ضجة وازدحام . ويقع في بعض الأحيان ، أن يتبين لي خطئي في إساءة الظن بإحدى الضجات ؛ ولكن هذا لا يعصمني في المرة التالية ، من تغلب هذا الطبع ، أو هذا العيب ، الذي أعترف به ولا أخفيه !

كان هذا شأني منذ أكثر من عشر سنوات مع « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم . فإني لأذكر أن ضجة استقباله في عالم الأدب ، قد أخرتني نحو عام كامل لا أقرأ الكتاب ، ولا أعرف عن صاحبه شيئاً ، حتى قرأته ، فعلمت خطئي في هذا التأخير

وكذلك كان شأني مع « قيس ولبنى » لعزيز أباظة . لقد كنت أعرف فيمن أثنوا على الرواية وشاعرها من لا أشك في صدق تقديرهم وصدق تعبيرهم ولكني كنت أعرف بجوارهم جماعة أخرى ؛ يضجون ويتبارون في الضجيج ؛ وأنا على يقين جازم من أنهم إنما يتوجهون بالضجة إلى عزيز بك أباظة المدير !

ولما كنت قد قضيت شطراً من حياتي في احتقار هذا الصنف من الناس ؛ وفي كشف العوامل الخفية التي تحفز هذه الطفيليات الواغلة في الأدب . فقد وجدتني – دون وعي – أعزف عن شهود الرواية وهي تمثل على المسرح ، وأعزف عن قراءتها بعد أن طبعت في كتاب . وكأنما اختلطت الرواية في وعيي

ذكروا صنفاً من البطيخ عنده مرة ، فأرسل من اشترى لهم منه حِملاً كاملاً ، أكلوا منه ونعموا ، ولم يذق هو منه شيئاً .. لو ذكرنا ذلك كله لما ضحك أحد علينا حين نستنتج أن أبا العلاء لم يكن يعلم الطلبة لله ، ولم يكن يؤلف كتبه – حين تطلب منه – لله ! بل كان الرجل يأخذ في ذلك كله أجوراً تتراوح بين القلة والكثرة ، وإن يكن لم ينعم من أجورها بشيء إلا ما ينفقه على ضرورات حياته الضيقة ، ثم ينفق الباقي في شراء الورق أو الكاغد أو المداد والأقلام ... وفي شراء المصادر التي لم يكن له غناء عنها ... إذ من السذاجة أن نذهب مع الذاهبين إلى أن ذهن أبي العلاء ، بالغاً ما بلغ من القوة ، كان يختزن كل تلك الغرائب اللغوية دون حاجة إلى مصدر يضبطها له أو يمسكها عليه . وقد أشار الدكتور طه في غير كتاب من كتبه عن أبي العلاء إلى أن الرجل كان يقبل الهدايا من أصدقائه ومحبيه . ولست أدري ماذا منع الدكتور من الجهر بما نذهب إليه الآن من أن أبا العلاء لم يكن يُعلم ولم يكن يؤلف ، لله ، ولا بالهدايا ، ولكن بأجر كريم معلوم . إذ ما سؤال هذا الدمشقي عن أبي العلاء ، وما إحفاؤه المسئلة عنه ، وما إرادة أبي العلاء أن يجزيه على ذلك ؟ أصحيح أن إحفاء المسئلة عن أبي العلاء هو كثرة السؤال عنه ؟ كلا ... فإن لم يكن في الرواية خطأ في النقل فالمقصود هو وفرة ما كان يغمر به الرجل أبا العلاء من الهدايا ، كما يظن الدكتور طه ، ومن المال الكريم المعلوم كما نظن نحن ...

ولكن ما شاعرية أبي العلاء وأثر ذلك كله فيها ؟

إذن فرأينا أن أبا العلاء كان شاعراً عالماً أول أمره بالشعر والعلم ، فلما انطوى على نفسه في المعرة سنة ٤٠٠ هـ صار عالماً شاعراً . فأبو العلاء في سقط الزند غير أبي العلاء في اللزوميات . إنه في سقط الزند شاعر عالم فيلسوف ، لكنه في اللزوميات فيلسوف عالم شاعر ... ولن نكن له في اللزوميات قطع تزرى بعض أبياتها بأكثر ما نعرف من شعر

والذين يقولون إن ثقافة أبي العلاء قد ذهبت بطلاوة شعره ، أناس لا يعرفون أبا العلاء حق المعرفة . إنهم حريون أن يسألوا : ماذا اضطر أبا العلاء إلى هذا المركب الخشن في شعره وفي معظم ما ألف من الكتب ؟ ولقد أجاب رجل أبي العلاء عن ذلك ، فليرجع إليه من شاء .

دريني خشبة

الباطن بما أكرهه من تزاحم المتزاحمين !

وأخيراً أقرأ فى مجلة الثقافة للدكتور الفاضل أحمد بك زكى كلمة تحت عنوان : « بين المقروء والمسموع » يثنى فيه على « قيس ولبنى » ثم يوازن بينها وبين « مجنون ليلى » فيفضل الثانية على الأولى

والدكتور زكى بك من الرجال القلائل الذين أشعر لهم بالود والاحترام فى هذا الزمان ، والذين أثق بأخلاقهم وتلذ لى قراءتهم فى آن . ولكننى أعرف « مجنون ليلى » وأعرف مستواها الفنى والتعبيرى !

قلت فى نفسى : إن كلمة هذا الرجل الفاضل فى الموازنة بين الروايتين فرصة سانحة لقراءتهما جميعاً

* * *

قال الدكتور زكى :

« وجلست إلى « قيس ولبنى » أقرؤه ساعتين حتى أتيت على آخره . أفتدرى إلام شاقنى ؟ شاقنى إلى صنوه « مجنون ليلى » لشوق بك . ومددت يدى فجررته من مخبسه على رف الكتب . وأخذت أقرأ لشوق ، فما أحسست أنى انتقلت بعيداً . كان إحساسى إحساس من انتقل من منشستر إلى لندن ، أو من ليون إلى باريس ، أو من الأسكندرية إلى القاهرة . الناس هم الناس ، واللسان هو اللسان ، وأسلوب العيش هو أسلوب العيش ، والمدنية هى المدنية ، وإنما فى ظرف أكبر . فعزيز يترسم خطوات شوقى ، وله من جزالة لفظه ما يعينه على أن يحاكيه فيقاربه ، ويقاربه كثيراً . وهذه خير تحية (يتحى[1]) بها شاعر فى مصر أو فى الشرق كله

« كان هذا إحساسى . إلى أن بلغت إلى قول شوقى على لسان قيس . قيس ليلى . إذ بلغ وهو فى سبيله إلى ليلى ، جبل التوباد ، ملعب صباهما ومرتع شبابهما . قال قيس ليلى :

جبل التوباد حياك الحيا وسقى الله صبانا ورعى
فيك ناغينا الهوى من مهده ورضعناه فكنت المرضعا
وحدونا الشمس فى مغربها وبكرنا فسبقنا المطلعا
وعلى سفحك عشنا زمناً ورعينا غنم الأهل معا
هذه الربوة كانت ملعباً لشبابينا وكانت مرتعا
كم بنينا فى حصاها أربعاً وانثنينا فمحونا الأربعا
وخططنا فى نقا الرمل فلم تحفظ الريح ولا الرمل وعى

« الله ! الله !

لم تزل ليلى بعينى طفلة لم تزد عن أمس إلا إصبعا
ما لأحجارك صمّا كلما هاج بى الشوق أبت أن تسمعا
كلما جئتك راجعت الصبا فأبت أيامه أن ترجعا
قد يهون العمر إلا ساعة وتهون الأرض إلا موضعا

« الله ! الله ! مرة أخرى ، لهذا البيت الأخير

« بلغت هذه القطعة ، فقلت : معيار المقارنة أن أجد مثلها لقيس لبنى . وبحثت فلم أجد

« أم أنا عميت ؟ ربما ...

« أم أنى نظرت فى الكتابين نظرة القارئ العادى ، ومثل هذا الذى طلبت ، يحتاج لا إلى بصر قارئ مثلى عابر ، وإنما إلى بصيرة أديب مكين ؟ ربما أيضاً »

* * *

ومع احترامى لهذا التواضع العلمى النبيل فيما كتبه الدكتور العالم الأديب . فإننى أخشى أن تكون عاطفة « تقديس الموتى » - وهى عاطفة إنسانية عامة وعاطفة مصرية خاصة - قد غلبت فى نفسه على حاسة الفن ، التى ألمحها فى كل ما يكتبه !

وإلا فما يمكن أن يقرأ الإنسان هاتين الروايتين فى وقت واحد ؛ دون أن يحس بالفارق الهائل بين الحياة الحارة والصدق الطبيعى ، فى « قيس ولبنى » ، وبين الموت البارد ، والتلفيق المتهافت فى « مجنون ليلى » من ناحية رسم الشخصيات وإجراء الحوادث والعرض الفنى . ولا بين الطلاقة والقدرة على الأداء فى الرواية الأولى ، والاضطرار والتهافت فى مواضع كثيرة من الرواية الثانية

ويجب أن يلاحظ أننى أتحدث عن « الروايتين » لا عن « الشاعرين » فشوقى الشاعر قد يكون أكبر من عزيز أباظة الشاعر فى مجموعهما . ولكن رواية « مجنون ليلى » أصغر بما لا يقاس من رواية « قيس ولبنى » . أصغر من جميع الوجوه التى تقاس منها الرواية الشعرية

والقطعة التى اقتبسها الدكتور زكى من « مجنون ليلى » قطعة عذبة النغمة جميلة التصوير ، وهناك قطعة أخرى أو قطعتان فى الرواية من هذا النوع . ولكن الرواية وحدة كاملة تقاس

(١) صحتها (يحيا) ولعلها سهو السرعة واللبس من كلمة تحية

بمجموعها : رسم الشخصيات ، وإجراء الحوادث ، وعرض المشاهد ، والتعبير القوى عن هذا كله فى النهاية . وقياس الروايتين على هذا النحو ، لا يدع مجالاً للشك فى تقرير الحقيقة التى أسلفناها

إن معظم الخطأ الذى قد نقع فيه عند الموازنة بين عمل شاعر كشوقى بك ، نال فى زمانه شهرة عالية ؛ وبين عمل لأحد الأدباء المعاصرين . إنما ينشأ من اعتمادنا على ما تحوى ذاكرتنا من طنين سابق ؛ واطمئناننا إلى هـذه الأوهام المقررة ؛ والاستغناء بذلك عن مراجعة الأثر الفنى مراجعة جديدة

ولـكن الدكتور زكى بك يقول : إنه أعاد قراءة « مجنون ليلى » . وهذا هو موضع العجب . فالأمر من الوضوح الحاسم ، بحيث لا يقع فيه التباس

إن عمل شوقى بك فى « مجنون ليلى » كان عملاً مشكوراً من الوجهة التاريخية فى الأدب . وذلك لفتح هذا المجال ، ومحاولة نظم الرواية فى اللغة العربية - وإن يكن غيره قد حاول قبله ولم يبلغ ما بلغه - وعند هذا الحد يقف تقدير هذه الروايات التى أخرجها جميعاً ، و « مجنون ليلى » فى أولها

فأما حين تعرض هذه الروايات للتقدير الفنى ، فإنها تبدو عملاً بدائياً متهافتاً من جميع الوجوه

وأول ما يلحق الناقد فى « مجنون ليلى » هو البرود والركود . فالمجنون — وهو المثل الأعلى لحرارة العاطفة ، وللجد فيها ذلك الجد المتلف — يصبح فى يد شوقى طيفاً متهافتاً كأنه أحد شبان القاهرة المترفين الأطرياء اللطاف ! كل حرارة الحب عنده بكاء ودموع وإغماء . وذلك كل نصيبه من الجد فى هذه العاطفة المشبوبة . بينما يلمح فى « قيس ولبنى » حرارة العاشق ، وحركة الإنسان ، وفحولة هذه العاطفة فى نفسه المحبة المهتاجة

إنك لا تلمح مرة واحدة فى « مجنون ليلى » تلك الحرقة اللاعجة ، ولا تلك الثورة العاصفة . ولم تكن كل ميزة المجنون هى الحب المتهالك الذائب من الرقة والحنين — كما فهم شوقى وكما يفهم الكثيرون من الظرفاء المترفين الوادعين — إنما كانت هى الثورة المشبوبة والحرقة الموقدة ، والاضطرام المنيف

لقد كان يحب ، ولم يكن « يتدلع » ! وكان هذا الحب يتممقه ويهيجه ويشقيه ، وكان هذا الحب يقيمه ويقعده ويثير أعمق مشاعره ، ويهزه فى الصميم ؛ ولم يكن الإغماء والنواح هو كل حظه من الحب المجنون !

استمع إليه فيما يروى له من شعر ، ثم استمع إليه فيما ينطق به شوقى ، تجد المسافة شاسعة بين شعور وشعور :

استمع إليه يقول :

فيارب إذ صيّرت ليلى هي المنى فزِنى بعينيها كما زنتها ليا
وإلا فبغضها إلىّ وأهلها فإنى بليلى قد لقيت الدواهيا

أو قوله :

كأن فؤادى فى مخالب طائر إذا ذكرت ليلى يشد به قبضا
كأن فجاج الأرض حلقة خاتم علىّ فما تزداد طولاً ولا عرضا

هذه النغمة الجادة ، التى تشعرك « بالهول » فى هذا الحب المنيف العميق ، لا تسمعها مرة واحدة فى « مجنون ليلى » . وذلك هو القياس الأول فى صحة رسم شخصية المجنون ، وتصوير عاطفته كانسان يحب حقيقة ، لا مترف يتظرف بالتهالك فى الحب و « يذوب » حنيناً وإغماء كأن « الذوبان » هو وحده دلالة الحب الانسانى العميق !

فإذا شئت هذه النغمة الجادة الصادقة العميقة ، فإنك واجدها فى « قيس ولبنى »

إن شوقى لم يعرف الحب ، وأغلب الظن أنه لم يعرف « الألم » والألم هو ذلك الزاد الإلهى ، الذى يفجر عواطف الفنان ؛ وبدونه يصبح الفن بل تصبح الحياة كلها متعة رخية توحى باللطف والرقة ، ولـكنها لا توحى بالعمق والصدق . وما الحب وما الحياة بدون الألم الصادق العميق ؟

أما عرض المواقف والمشاهد ، فتبدو فيها السذاجة وقلة الحيلة ، فى إثارة النظارة بالمشاهد الفقة . وذلك طبيعى ما دامت الحرارة الإنسانية الطبيعية مفقودة

وإلا ففيم هذا الإغماء الذى لا يفيق منه المجنون حتى يعود إليه خمس مرات ! لقد أغمى على « قيس لبنى » مرتين . ولـكن ذلك كان لمرض هدّه ولأزمات نفسية حقيقية تهد الكيان . أما المجنون ، فيبدو لنا متهالكاً متهافتاً منذ أول فصل فى الرواية ، قبل أية أزمة من الأزمات ، قبل أن تمنع منه ليلى وقبل أن يهدر دمه وقبل أن تتزوج سواه . فكأنما هو

« مستعد سلفاً » لهذ « الذوبان » الرقيق لأن هذه هي سمة الحب الوحيدة ، كما يتوهمها الرجل الظريف !

ومشهد وادى عبقر وشياطينه وحواره مع شيطانه ، وكذلك مشهد الصبية الذين يتحاورون : فريق مع المجنون وفريق عليه كلاهما حيلة من الحيل الرخيصة ، التي تنشئها « قلة الحيلة » للفت النظر ، حينما تقل الحرارة الطبيعية الصادقة !

وأعجب شيء هو ذلك الخصام بين رجال قيس ورجال لبنى ، وكأنه لا يجرى في الصحراء ، وما بها من رجولة وفتوة ، إنما يجرى في « صالون » بين بعض المترفين الظرفاء. ويا للأخفاق عند ما أراد شوقى أن يقلد شكسبير في يوليوس قيصر ، فيصور ثورة الجماهير واندفاعها من جانب إلى جانب ، متأثرة ببلاغة خطيب !

وموقف « ورد » زوج ليلى ذلك الموقف الطرى المريب . ألكي يقول لنا : إنه رجل كريم عطوف . لقد صور لنا « عزيز أباظة » ذلك الموقف نفسه أو ما يشبهه يقفه زوج لبنى فلم يمل به إلى هـذه الطراوة المخنثة ، وهو يصور نبله وكرمه . ذلك أنه صوره « إنساناً » حياً ، لا دمية من الدمى ، التي عرضها شوقى وسماها أشخاصاً !

وذلك في الحقيقة هو الفارق الأصيل بين الروايتين والمؤلفين وهو يلخص الفوارق كلها ، ويختصرها : الصدق والطبيعة ، والتلفيق والصنعة في كل موقف ، وفي كل شخصية ، وفي كل عاطفة أو شعور

ومن العجيب أن تخون شوقي في رواياته الشعرية أقوى خصائصه التي بهرت أهل زمانه ، وهي قوة الأداء ووضوح التنغيم . ففي مجنون ليلى اضطرارات في التعبير لا تجد لها مثالاً واحداً في « قيس ولبنى »

ففي بيت واحد كهذا :

لِمَ إذن يا هند من قيس ومما قال تَبْرا

يضطر إلى تسكين الميم في « لِمَ » وتسهيل الهمزة في تبرأ . ويطرد هـذا التسهيل في مواضع شتى مثل (كيف تجرا) أي تجرأ ، و (تهزا بنا) أي تهزأ . الخ

وتشاء تصبح « تشا » فقط اضطراراً للقافية في قوله :

وليلى تفيض على من تشا رضاها وتحرمه من تشا

و « مُنازل » تصبح « مُنازِ » فقط لضرورة الوزن في قوله :

« أنعم (منازِ) مساء نعمت سعد مساء »

وليلى تصبح (ليلَ) لنفس السبب في بيت ينطق به ثلاثة :

أوغل الليـل فلنقم

بـل رويداً واسمي (ليلَ)

خلْ عنى دعـنى

ومظلوم هـذا « الترخيم » الذى يسرف شوقى في استعماله كلما نادى واحتاج للحذف خضوعاً للضرورات النظمية !

والرُّبَى تصبح (الرُّبِى) لحركة القافية :

عارضنا الحسين في طريقه ليثرب

هـذا سنى جبينه ملء الوهاد والرُّبى

وشيطان من وادى عبقر ممن يوحون بالشعر للشعراء يهبط ويهبط حتى يضع لا للناهية في موضع لا النافية لضعفه في النظم كقوله . « لا أدر . تلك ضجة » !

وكثير من مثل هذه الاضطرارات التي يعانيها المبتدئون في النظم ، والتي تندر في شعر شوقي في غير الروايات ، مما يدل على أنه كان يعاني ، لا في تلفيق المواقف فحسب ، ولكن في تذليل النظم أيضاً

وهذه عيوب تفهم حين ننظر نظرة تاريخية كما قلنا ، فنسجل أن شوقي كان يطوع اللغة لفن جديد عليها فكان عمله هو عمل المبتدىء ؛ وجهده هو جهد المبتدىء . وهذا كلام مفهوم . فأما حين نقيسه إلى عمل ناضج من الوجهة الفنية ومن الوجهة التعبيرية كالعمل الذى قام به عزيز أباظة في « قيس ولبنى » فإننا نشعر بالفارق العظيم بين العملين من الوجهة الفنية الصحيحة .

سيد قطب

الأستاذ سيد قطب
بين تيمور ونجيب محفوظ
للأستاذ صلاح ذهنى

نشر الأستاذ الناقد سيد قطب مقالين عن القصة فى مجلة الرسالة الغراء تحدث فى أولها عن أدب محمود تيمور ، وعرض فى الثانية لقصة الأستاذ نجيب محفوظ « كفاح طيبه » ، وبقدر ما أثار مقاله الأول دهشتى ؛ فإن مقاله الثانى قد خفف من هذه الدهشة وأحالها إلى أسف عميق للوقت المضاع الذى صرفته فى قراءة المقالين — وكلاهما عن القصة — متوقعاً مرجوّ الفائدة من مقالين لناقد أشهد أنى طالما قرأت له فى النقد أبحاثاً طيبة .

أما الدهشة فقد كان مبعثها حيرة ناقد يفهم فى القصة أمام فن الأستاذ تيمور وأمام الطائفة (ولا أقول المدرسة فقد أوقع هذا اللفظ الأستاذ سيد قطب فى سلسلة من الأخطاء) التى يمكن أن يوضع بين أفرادها .

أجل . لقد تملكت الحيرة الناقد سيد قطب ودار يطرق بفن محمود تيمور أبواب المذاهب الأدبية باحثاً له عن مأوى يركن إليه فما وجد . فآب إلينا بعد رحلته ينادى بحيرته ، ويقول إنه حائر بهذا الرجل « محمود تيمور » وبفنه .

دهشت كل الدهشة لأننى ، ولست ناقداً ، استطعت أن أضع تيموراً فى مكانه منذ أقاصيصه الأولى ، واستطاع العشرات من الكتاب أيضاً أن يضعوه فى هذا المكان ، فقلت وقالوا عنه أنه واحد من رواد المذهب الواقعى ، واختلفت واختلفوا فى أمر واحد ، هو قدر تيمور بين رواد هذا المذهب . وهنا تشعبت الآراء واختلفت ، وأحسب أن كاتباً من الكتاب غير تيمور لابد إذا وضع موضع الدراسة والتقدير أن يعانى نفس الاختلاف بين ناقد وناقد ، لأن مذاهب الأدب ومدارسه ، ليست كما يتصورها الأستاذ سيد قطب معسكر اعتقال تحكمه قوانين صارمة ، وإنما هى فى الواقع تسمى مدارس تجوزا ، حقيقة الأمر فيها أنها مجرد أبواب . أبواب مختلفة لمدرسة واحدة ، لكل طائفة باب تسلك منه إلى داخلها ، ولن تقوم القيامة حين يدخل كاتب من باب غير بابه ، ولن يشفَق الناقد إن سلك كاتباً فى غير طائفته فلابد واجدٌ فى أدبه ما يصله بهذه الطائفة أو تلك أو غيرها .

لذلك دهشت ورثيت للأستاذ سيد قطب وهو يدور بتيمور فأتعب الرجل وأضنى نفسه .

ولو علم أنه وهو يطوف بتيمور أقحم ثلاثة غيره فى غير أبوابهم فما قامت القيامة ولا أمسك إنسان بتلابيبه لأراح نفسه

ألم يضع توفيق الحكيم صاحب مذهب فى القصة ، وليس لتوفيق فى القصة ناقة ولا جمل ، وما كان فيها صاحب مدرسة ؟

ألم يهمل توفيق الحكيم نفسه حين تكلم عن الرواية المصرية فى مقاله الثانى عن رواية نجيب محفوظ « كفاح طيبة » ؟ هنا حيث المجال طيب للمقارنة وسلك الكتاب فى طائفتهم واجب . فكلاهما ولى وجهه شطر مصر القديمة ، وكلاهما أخرج عملاً مصرياً يشيد بمجد مصر القديمة ؟

ألم يقحم أستاذنا المازنى فى سلك كتاب القصة ، ومع ما أكنه ويكنه الكثيرون للأستاذ المازنى من تقدير ؛ فما جرؤ واحد منا أن يقول عنه إنه صاحب مذهب فى القصة ؟

ثم ألم يمسك بيد القصصى البارع يوسف جوهر ليقوده إلى حرم جى دى موباسان حيث كل شىء غريب عليه ، ولو أنه أمسك بيده الأخرى تيمور لأنقذ نفسه وصاحبه من الخجل ، ولوجد بين يدى موباسان عذراً لزيارته الطارئة . إنه على الأقل كان يدخل بإنسان يعرف المكان ؟

ومع ذلك فما حدث كان يسيراً ، أربعة أخطاء يسيرة

وضع كاتب رواية Novelist بين كتاب القصة القصيرة Short story writers

ووضع كاتب مقالة ممتاز Essayist فى عداد القصصيين .

وأقحم يوسف جوهر فى مدرسة موباسان دون مؤهلات ، ولا حتى طلب التحاق ...

ورابعة الأخطاء — وليست الأثافى — الوقوف بتيمور أمام الباب الذى يجب أن يدخل منه ، باب الواقعية ، باب موباسان المظلم . الوقوف ساعات ثم الانصراف بالحيرة والتبلبل ،

ولا ذنب لتيمور إلا أنه وقع بين ناقد فاضل لا يجيد قراءة اللافتات « اليـُفط » !

وبعد !

أيجب أن أقول إن الناقد الفاضل سيد قطب ، كما أخطأ فى مقاييس النقد قد أخطأ فى حق التاريخ — علم التاريخ — فزلت قدمه فى مقاله الثانى بدفعة لعينة من تلك العقيدة التى تسيطر عليه من أن النقد لا يكون صحيحاً إلا إذا كشف عن نقائص ، أو ابتكر نقائص ...

ذلك ما حدث فى المقال الثانى الذى كتبه عن الرواية الرائعة « كفاح طيبه » للأستاذ نجيب محفوظ . فقد سرد ما فى القصة من مزايا وما لها من قدر كعمل قومى ، ولون من الكتابة يتطلبه الأدب المصرى ، وأثنى على الكاتب ، ثم ! ثم تذكر عقيدته فى النقد فكشف عن بعض الهنات التى انطوى عليها الكتاب ، فذكر من هذه الهنات أربعة أخطاء . أخطاء تاريخية !

الأولى أن المؤلف — نجيب محفوظ — قدّر مدة حكم الرعاة « الهكسوس » فى مصر بمائتى عام ، والراجح (عند الأستاذ سيد قطب) أنها حوالى خمسمائة عام

والثانية أن كلمة « أحمس » أوّلها المؤلف أنها مشتقة من الحماسة ، وهذا خطأ فى رأى سيد قطب ، لأن هذا الاشتقاق فى اللغة العربية ، وأحمس مجرد اسم مصرى قديم

والثالثة : أن نجيب محفوظ ذكر اسم « بلاد النوبة » ، والواقع أن النوبة هى التسمية الحديثة لهذه البلاد

والرابعة : أن المؤلف ساق خلال الحوار جملة على لسان سكنن رع الملك المصرى ، يستنكر فيها أن يكون للرعاة من العجلات الحربية أضعاف ما للمصريين منها . ولا يعجب هو بهذا الاستنكار ، لأن الهكسوس هم الذين أدخلوا العجلات الحربية إلى مصر

والحق أن المخطئ هو الأستاذ سيد قطب !

ذلك أن ما قاله نجيب محفوظ هو الحقيقة التاريخية الثابتة

فالهكسوس لم يمكثوا فى مصر أكثر من مائتى عام ، بل أقل من ذلك .

وليعد الأستاذ سيد قطب إلى المرجع العربى الذى يستطيع أن يحصل عليه ويقرأه بسهولة ، وهو « المجمل فى تاريخ مصر » الجزء الخاص بمصر القديمة من وضع الدكتور عبد المنعم أبو بكر

وبلاد النوبة هى نفسها بلاد النوبة القديمة ، كما أن كلمة « نوب » معناها القديم هو الذهب ، وكان المصريون يسمونها النوبة ، لأنها بلاد الذهب ، ويسمون الإله « حوربس » « حوربس نوب » ، أى حوربس الذهبى

أما بلاد بنت التى يقول عنها فهى الصومال الحالية !

وأحمس اسم بمعناه يدل على الجرأة والإقدام فى اللغة المصرية القديمة .

وأما قصة العجلات الحربية فالكلام الذى ورد فى الحوار على لسان الملك سكنن رع حقيقة تاريخية

فهو يقول : « لم تكن العجلات من آلات الحرب لدى الرعاة ، فكيف يكون لجيشهم أضعاف ما لجيشنا منها ؟ »

فالعجلات لم تكن من آلات الحرب لدى الرعاة ، كانت آلتهم الحربية هى الحصان ، وعندما مروا بفلسطين عرفوا العجلات واستخدموها ، ونفس اشتقاق كلمة عجلة أو مركبة من الكلمة القديمة « مجلتى » أو « مركبوت » معناها العجلة أو المركبة عند سكان سوريا وفلسطين وهى نفس الكلمة التى أطلقها المصريون إذ ذاك . ولا يعنى ذلك أن المصريين لم يعرفوا العجلات ، فقد عرفوها من قبل ورأوها قطعاً فى رحلاتهم وغزواتهم فى عهد الدولة الوسطى والدولة القديمة ، لكنهم لم يستعملوها ولم يأخذوا بها . فليس غريباً أن يستنكر الملك أن يكون لدى الهكسوس عدد كبير منها ، بينما ليس بيديه هو هذا القدر ، وهو صاحب مصر العليا ، ولديه من الأيدى الصانعة أضعاف ما لدى ملك الهكسوس

هذه هى الهنات التى كشفها الأستاذ سيد قطب . إنما هى حقائق تاريخية لا تقبل الجدل . وكل ما كشف عنه الناقد هو حاجته للكثير من الاطلاع والتريث والصبر ، الكثير الذى يجنبه حيرة هى أقرب شىء للجهل ، ويجنبه أخطاء إن تكررت فقد تدعو الكثيرين من أمثالى ممن أعجبوا به فى أبحاثه الماضية لإعادة النظر فى كل ما رواه إذ ذاك على أنه حقائق

فإن لم يكن لديه الصبر فليعد إلى نقد الشعر ، وإن يضيره شيئاً أن يقال إنه ناقد شعر فحسب

صموع زهنى

حول مقـــــال ...

للدكتور سيد نوفل

كتبت مقالاً في مجلة (الثقافة) عن الشوامخ سلكت فيه طريق الناقد المعنى بتبيان الحقائق ، وعرض المآخذ ، في أسلوب علمى يورد الحجة ، وينأى عن التجريح

أوردت ملاحظاتى على أبواب الكتاب ، وبينت ما يشيع فيه من الاضطراب والاستطراد ، وما يرد من أقوال عامة ، يقع فيها أكثر الذين يأخذون العلم عن الصحف وحدها ، تتناقض حيناً ، ولا تثبت للبحث دائماً

وانتهيت إلى « أن هذه الصفحات المائة تتحدث عن الأدب العربي من امرئ القيس إلى مطران ، وأن المؤلف كان حريصاً على إيراد كل علمه فيها ، فران عليها الاضطراب والاستطراد ، وأنها لا تعدو الإيراد المقتضب والنظرات العجلى »

ثم لم أغمط المؤلف حقه فقلت : « لكنها فى الحق من قبيل التعبير القريب الهين عن إعجاب قارئ بشاعر اطلع على بعض شعره ، وطائفة من أقوال الناس فيه . ومن هنا فهى حقيقة بالحمد من مؤلف يعتبر نفسه مؤرخاً سياسياً »

لكن الدكتور المؤرخ ، هاج وماج على طريقته ، ونقم على حظه العاثر ، وتبين نفسه فى موضعها القلق من هذا العالم الظالم العاتى ، وبلغ التشاؤم منه مبلغه ، فضاق بالدنيا وبكل ما فيها من مهان ومن فيها من ناس ...

ومن حسن الحظ أن عقل الإنسان ، أو بعض بنى الإنسان ، يجد لصاحبه مخارج من المآزق دائماً ، فهدى الدكتور عقله الكبير إلى أن له أسوة ، ويا لها من أسوة ! فيما أصاب شوقي ، وما أصاب البحترى وفكتور هوجو من قبله ... قد تعرضوا لهجمات النقاد وقد صبروا ، وما أجدره أن يصبر ، وألا يحمل نفسه ولا أهله مكروهاً . ولهذا اطمأن واستراح

هذه خلاصة دقيقة لمقال الدكتور الذى صاغ مادته ، وأعتذر للقراء من إيراد بعض ألفاظه ، من (البقر) و (الحمير) و (النطح) و (الدجل) و (الجهالة) و (الشذوذ) و (الفوضى) ، وما إليها من مسارح ندع الدكتور الأديب المؤرخ يجول فيها ويصول ، ونمر باللغو كراما

وأبرئ نفسى من مناقشته الحساب فى هذا ، فنحن لم نتعلم هذا اللون من القول ، ولم نصطنعه فيما مارسناه من نقد سنين طويلة .

وأختم حديثى بنقد الكلمة التى اعتبرها المؤلف بيت القصيد فى كتابه ، وأوردها حكماً بيني وبينه :

لقد جمل أولها قوله : « وليس لأحد من المتقدمين والمتأخرين تحليقاته فى أفق الطبيعة الواسع »

سبحانك اللهم وبحمدك ! هذا دليل لنا يورده المؤلف ذاته ، ومصداق لما أخذناه عليه من الأحكام العامة القاطعة التى لا يستطيع أحد أن يحمل تبعة الدفاع عنها ، ولا يثبت أكثرها فى العلم بله الأدب

هل أتاه حديث الشعر الذى سبق امرأ القيس والشعر الذى عاصره فى الطبيعة ؟!

وهل علم المحاولات التى أعقبته ، وحديث النهضات المترامية فى الشام والمشرق والأندلس ومصر بعده بقرون ؟!

وهل درس حركة « الرومنتسزم الغربية » وسيادة شعر الطبيعة فيها ، وقابل بين الخطوط الكبيرة لهذا الشعر الغربى ، والخطوط الكبيرة لشعر امرىء القيس ، ثم انتهى إلى ما قرر ؟!

إن هذا اللون من الأحكام العامة منكر فى باب البحث العلمى

ثم يقول : « وله فى لمان البرق واختلاجه فى السماء آيات لا هي من الوصف الحسى ، ولا هى من الوصف الخيالى ، وإنما هي تصوير فقط »

ما معنى هذا ؟ لقد طلبت المعونة من الله والناس على حل ألغاز هذه العبارة ، فلم يجب دعائى ، ثم نظرت فتبينت الإحالة على أنها : الحسى يقابله المعنوى لا الخيالى ، فهذا يقابله الحقيقى أو الواقعى . والوصف الحسى تصوير والوصف المعنوى تصوير ، وإذاً فلا تقوم هذه المقابلة العجيبة بين الوصفين وبين التصوير ، وما نعلم أن تصوير الشيء يخرج عن أن يكون وصفاً حسياً أو معنوياً له !

ودع عنك الألفاظ البراقة التي استعملها والتى لا تجمل فى

لعنة الحرب

للأستاذ علي الجندي

[في سبتمبر سنة ١٩٤٤ دخلت الحرب في عامها السادس من أعوامها المشئومة ! وكان أكثر الناس على أن رحاها الطحون ستقف بعد سقوط باريس في يد القوات المتحالفة ، فاستبشرت النفوس الحزينة ، واستعدت لتلقى نعمة السلام ! ولكن الدوائر الأمريكية حذرت من التفاؤل ! ثم جاء ديجول فصرح : بأنها ستستمر أشهراً وأشهراً ! ثم أبان تشرشل في خطبته الجامعة بأن القتال سيتحر في سنة ٤٥ ! وليت شعري ماذا يبقى من معالم الحضارة وآثار المدنية بعد هذا العام ؟ ! فرحماك اللهم رحماك !]

طال ليلُ السُّرَى وحار الدليلُ   ونجومُ الهدى طواها الأُفولُ
وقف المدلجون : لا دَنت الغا   يةُ منهم ولا تَسَنَّى القُفول
كلَّ عام نُؤمِّل الخير فيه   ويَخيب الرَّجاء والتأميل
ظُلْمَةٌ فوق ظلمةٍ تتدجَّي   ليس فيها على الصبَّاح دليل
وشقاء ينساب إثر شقاء   وعذابٌ بمثله موصول
ليت شعري والشر أطبق فكيه (م) علينا ، أَلِلنَّجاةِ سبيل ؟ !
كيف ينجو الأنام من شرك الهُلْك   ولم تبقَ للأنامِ عقول ؟ !
أشكل الأمر : لا الصباح صباح   نجتليه ، ولا الأصيل أصيل
نبئوني : أين السلام ؟ فظني   ـ وهو صدق ـ أن السلام قتيل
مشت النارُ تأكل الحرث والنَّسلَ (م)   وكلٌّ لها غداً مأكول
إنْ خبا جانبٌ تسعَّرَ منها   جانبٌ حوله الدماء تسيل
رحمتا للديار أمست خراباً   وخراب الديار خطب يهول
بُدِّلتْ بالأنيس بُوماً يغنِّي   فوقَها ، والغِناء منه عويل
لا تقولوا : الجهَّالُ خيرٌ من العا   لِم ـ في عصرنا ـ الغبيُّ الجهول
غرَّنا العلمُ ، فالتمسنا هُداه   فإذا العِلْمُ كلُّه تضليل
لا تقولوا : الألوانُ فالسُّودُ باتوا   ـ فوقها ـ بعضهم لبعض خليل
لا رعى الله في الوجوه بياضاً   خلفه الهمُّ والشقاء الطويل
لا تقولوا : الوحوش أظلم منها   من نراه على البريء يصول
ساكنُ الغابِ أدركَ الأمنَ في الغا   ب ، وقد غالتِ الأناسِيَّ غُول
غابة الوحش لم تدُسها العوادى   والقصور التي بنيتم ، طُلول
إن يكن للذئاب أنيابها العُصلُ (م)   فأنيابكم قناً ونُصول
كل من في الوجود أرقم ليلٌ   قاتل ـ في سُراه ـ أو مقتول
سنَّ «قابيل» سُنَّة الفتك للنا   س فلا كان منهمو «قابيل»

باب الدرس والتحليل إلا إذا كان من ورائها معان مقررة ودلائل بينة

أما الأبيات التي أوردها ، والتي تعتبر أقل شعر امرىء القيس دلالة في باب الطبيعة فهي ناطقة بأنها وصف حسي واقعي اللهم إلا إذا كان البصر بالعين غير حسي ، وكان تصوير الحركات والأمكنة غير واقعي وكان الشاعر حريصاً على الواقعية حين اكتفى بالتشبيه ولم يستعر

وهذه هي الأبيات :

قال :

أصاح ترى برقاً أريك وميضه   كلمع اليدين في حبي مكلل

وقال :

أعني على برق أراه وميض   يضيء حبياً في شماريخ بيض
ويهدأ تارات سناه وتارة   ينوء كتعتاب الكسير المهيض
وتخرج منه لامعات كأنها   أكف تلقى الفوز عند المفيض

* * *

وبعد ، فإن النقد الذي وجهته إلى الكتاب لا يزال قائماً لم يتناوله المؤلف بالرد ، وإنما دعمه بالتجائه إلى الشتائم وبالقطعة التي أوردها

فهل له أن يأخذ بطريق العلم والعقل ؟!

إنا لمنتظرون !

دكتور
سيد نوفل

سأل الناسُ ـ ذاهلين حيارى ـ ما أفاد المعقول والمنقول ؟ !

لا « الكتاب الحكيم » يلقى سميعاً

ـ حين ندعو به ـ « ولا الإنجيل »

إن لله حكمة يسكنُ العقل (م) إليها إن خانه التأويلُ

فسدَ الناس واستطالوا على الله (م) فأخنى عليهمو « عزريل »

علي الجندي

نداء المـــوت (*)

[إلى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد]

للأستاذ محمد مجذوب

كم تنادي ياموت نفسيَ صيفاً أنا في الصيف لن أجيب النداء

كم تنادي ، والحسنُ يهتف بالكو ن فيلهي عن صوتك الأحياء

إذ يُسِرُّ العشبُ الحيِيُّ إلى الأ ظلال ما شئنَ من حديث وشاء

إذ يحنُّ الصفصاف ، والجدول الرقرا قُ مصغ والريح تغفـــو رُخاء

إذ يموج اللبلاب فوق تخوم الرو ض ريَّان نضرةً وسناء

إذ يغيب الوجود في غمرة الطيب فيهفو حتى الجمادُ انتشاء

... كم تنادي ! ... أفي عهود الأزا هير ، لك الويل ، تنشد الأصفاء !

عبثاً ترفع النداء فلن يبلغَ يا موت أذنيَ الصماء !

إن نفسي في شاغل عنك بالصيف ففي الصيف لن أجيب النداء

* * *

غير أني يا موت جِيدٌ سميع دعوة القبر يوم أطوى الرجاء

يوم تعرى هذي الحياة من الحلى ويكسو حطامها الغبراء

يوم تسرى الهوج الزعازع في السفح فيملا ، فحيحها الأرجاء

يوم يستروح الرعاةُ من الشرق لهاث الصقيع يغزو الجِواء (١)

يوم لا حاصد هناك سوى النكبا ء (٢) تغدو بها الحقول عَراء

يوم لا حاطب سوى منجل الإعصا رِ يجتاحُ هَوْلُه الأوْداء (٣)

يوم لا نزر في التراب سوى الثلج تغطى به السماء الفضاء

يوم لا رغبة تجلجل في القلب ولا متعة تذود الشقاء

... يومذاك ادعُني تجدني ياموت مجيباً ، كما تحبُّ ، الدعاء

(طرطوس — سوريا) محمد مجذوب

(١) الجواء والأجواء جمع جو

(٢) النكباء كل ريح انحرفت عن مهبها

(٣) الأوداء جمع واد

(*) استوحيت هذه المنظومة من قصيدة الشاعرة الانكليزية روث بتر المترجمة في كتاب « عرائس وشياطين » للأستاذ العقاد . م ٠ م



حرية الفكر أيضاً

إلى حضرة الفاضل الأستاذ عبد المنعم خلاف المحترم

أرجو من حضرة الأستاذ أن يتذكر — أو أن يعرف إذا كان لم يعرف — أن نسخ كتاب لبعض المؤلفين المعروفين أحرقت في مصر والشام ، وأن بعض الكتب صودرت بعد طبعها ونشرها بعد زمن ، وبعضها صودرت في المطبعة قبل أن تنشر ، وأن الرقابة على المطبوعات غير مقتصرة على الكتابات السياسية فقط ، وأن النقاش بين الكتاب في « الرسالة » حول « وحدة الوجود » مفعم بتهمة الكفر والإلحاد . أجل ليس الكفر جريمة ولا سبة ، وقد يجاهر بعض الناس بأن دينه ما يحسبه الناس كفراً ، ولكن الاتهام بالكفر عندنا إيغار لصدور الذين يحرقون الكتب والذين يلعنون الكتاب المكفَّرين ، أي الذين يتوهم بعض القراء أنهم كافرون

أجل ليس أمام الكتاب الصريحين أو الصرحاء مشنقة ولا سجن ، ولكن أمامهم نقمة فريق من الناس ، فإذاً « الصراع في المجال الفكري متخذ سبيل القوة والإرغام حتى الاضطهاد » لذلك حذرت إخواننا الكتاب من التمادي في بحث « وحدة الوجود »

فمعذرة يا حضرة الأستاذ خلاف وتحية .

نقولا الحداد

عودة دجال « البديع »(1)

وقفت برهة أصغى إلى متطبب دجال يُروّج على الناس عقاقيره الزائفة من سفوف وسعوط ولعوق وسنون ورود ولدود ووَجُور وذرور ... وهم يصيخون إلى أكاذيبه مصدقين

وكنت أعجب لغفلة القوم عن تزييف دجله ، كما أعجب بلباقته وحسن تأتيه في التلبيس عليهم . وقد جعل من أول همه أن يكثّر عددهم من حوله : فأقبل يثني على من يتلبث أمامه يسيراً ، ويقذع في سب من تحدثه نفسه بالزيال عن موضعه قبل أن يعي بقية مقاله

وتدفقتْ على خاطري وأنا أسمع كلمته هذه ، صرخة « دجال » بديع الزمان في إحدى مقاماته حيث يقول : من كان منكم يحب الصحابة والجماعة ، فليعرني سمعه ساعة ! ورأيتني كراويته عيسى بن هشام « قد لزمت أرضي ، صيانة لعرضي »

ثم راح دجالنا المصري يتحدث بكلام مؤثر بليغ ، لا يعيبه إلا قلة حظه من فصاحة العربية . كلام لم أجد له ترجمة موجزة فصيحة أحسن من قول « دجال » البديع : حقيق عليَّ ألا أقول غير الحق ، ولا أشهد إلا بالصدق

قد جئتكم ببشارة من نبيكم ، لكني لا أؤديها حتى يطهر الله هذا المسجد من كل نذل يجحد نبوته ! وثبت القوم في أماكنهم وثبتُّ معهم وأنا أغالب ابتسامة التعجب ، مردداً قول ابن هشام في مثل هذا المقام : لقد ربطني بالقيود ، وشدَّني بالحبال السود !

ووصف دجالنا ما كان من جهاده في عالم الطب ؛ وكيف فتح بأبحاثه موصد أبوابه ، ووقع على أثمن كنوزه وأنفس أعلاقه ، حتى لأرهفتُ أذني ، لأن أسمعه يواصل حديثه فيقول ما قال سلفُه : ولا مَنَّ عليكم فما أعددتها إلا لضرسي ، ولا حصلتها إلا لنفسي — والحق أنه عبر عن هذا المعنى بأفصح لهجة عامية إن صح أن توصف عامية بالفصاحة

وبعد أن أوضح خصائص دوائه — ورقم تسجيله بوزارة الصحة ! — عرضـه على الحاضرين وهو يقول ما ترجمته : فمن استوهبه مني وهبته ، ومن رد على ثمن القرطاس أخذته . ثم قال ما هو أقرب شيء إلى قول الأول : ليشتر مني من لا يتقزز موقف العبيد ، ولا يأنف من كلمة التوحيد

وأشهد لقد رأيت القوم يجهرون بكلمة التوحيد ـ غير آنفين ـ ثم تنبسط أيديهم نحوه بالدراهم الكُثْر ، ثمناً للدواء الذي لا يشفي ، وقد يسقم

شهدت كل ذلك ثم انطلقت وحدي في زحمة هـذه السوق الناشطة ، وأنا أتعجب للنفس الإنسانية كيف تتواتر صورها على مرآة الزمان متشابهة في مكرها وغفلتها ، واحتيالها وبلاهتها . وما زلت إلى اليوم أعجب لهذا الدجال ـ وأمثاله كثيرون ـ من

(1) هذا كما يقول السينمائيون : عودة طرزان وعودة فرانكنشتاين

« فصاحته فى وقاحته ، وملاحته فى استماحته . وربطه الناس بحيلته ، وأخذه المال بوسيلته »

ولو أن القارىء الكريم استحضر فى ذهنه بعد مطالعة هذه الكلمة ، صورة أحد أولئك الدجالين ، أو سعى إلى مشاهدته حيث يقوم على رأس شارع أو فى صدر سوق - ثم أقبل يراجع مقامتى بديع الزمان : الرابعة السجستانية والعاشرة الأصفهانية . إذن لرأى فى وقائعهما التى تخيلها البديع على أساس من الحقيقة ، أعظم الشبه بوقائع دجاجلتنا ومُكْديِنا اليوم فما أشبه الليلة بالبارحة حقاً . لولا هذه الزيادات المتلاحقة من المآثم والشرور ، تزيد صفحة حياتنا قتاماً وتشويهاً ، وتضاعف من عمق إحساسنا بمرارة المعنى الذى ينطوى عليه قول أبى الطيب :

أتى الزمانَ بنُوه فى شبيبته فسرَّهم ، وأتيناه على الهرم

محمود عزت عرفة

(جرجا)

مقام الشهود لا وحدة الشهود

صوب الأستاذ أحمد صفوان فى العدد ٨ من (الرسالة) إطلاق وحدة الشهود على وحدة الوجود ، وهذا لا يجوز ، فمذهب وحدة الوجود يتلخص فى أن الوجود الحقيقى هو الله تعالى ، وما عداه من المخلوقات فهو عدم حال كونه موجوداً ؛ فالكل محتاج إليه ، لأن به قيام كل شىء . وعلى هذا لا يصح إطلاق هذه التسمية عليه

وأما مقام الشهود فهو من مقامات الصوفية ، يصل الإنسان إليه بكثرة الذكر حتى يقع الشهود القلبى ، فإذا حصل الشهود واستغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور ، وهذه حالة قلبية روحانية ليس لها علاقة بوحدة الوجود ، ولا يصل إليها إلا الكمل الأطهار

محمد منصور خضر

(شطانوف)

بين أبى العلاء وداعى الدعاة الفاطمى

فهمت مما كتبه الدكتور محمد كامل حسين فى العدد ٥٨٣ من (الرسالة) أن الرسائل التى تبودلت بين أبى العلاء ومناظره داعى الدعاة لم ينشرها غير المستشرق الإنجليزى مارجوليوث مرة سنة ١٨٩٦ ومرة سنة ١٩٠٢ بمجلة الجمعية الأسيوية الملكية ، ولكن هذه الرسائل نشرت فى مصر كذلك (١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م) على يد الأستاذ محب الدين الخطيب الذى أشار فى مقدمته التى قدم بها للرسائل أن المغفور له أحمد تيمور باشا أطلعه على نسخة خطية منها فى خزانته تحت رقم ٤٧٨ أدب ، وأنه قد بادر إلى نشرها فى مجلته الزهراء ، ثم ما لبث أن أفرد لها رسالة خاصة تقع فى حوالى ٤٠ صفحة تحت عنوان « بين أبى العلاء العربى وداعى الدعاة الفاطمى » [القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٤٩ هـ]

ويؤخذ كذلك من هذه المقدمة أن ما أورده ياقوت فى معجم البلدان (وهى التى نشرها مارجليوث) إنما هو مختصر لتلك الرسائل . أما نصها الكامل فوجود فى خزانة ليدن

وذهب الأستاذ الخطيب كما ذهب الدكتور محمد كامل حسين إلى أن هذه الرسائل تبودلت فى السنة التى توفى فيها المعرى أى ٤٤٩هـ

هذا وللأستاذ الفاضل إعجابنا وتقديرنا لبحثه القيم الطريف

مصطفى كمال عبد العليم

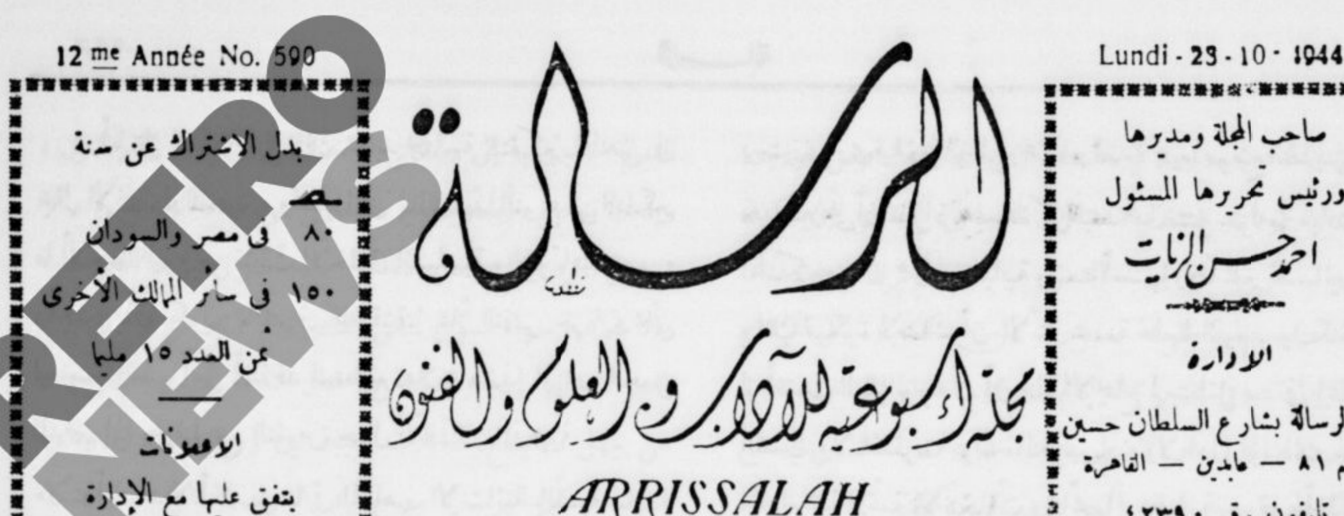
ليسانس فى الآداب . جامعة فاروق

الأسكندرية



12 me Année No. 590

Lundi - 23 - 10 - 1944



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٩٠ «القاهرة في يوم الإثنين ٦ ذو القعدة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

التفـكير المذهبي

للدكتور محمد مندور

هناك نوعان من التفكير المذهبي : تفكير تفسيري ، وآخر إنشائي . فالمؤرخ الذي يحاول تفسير التاريخ وتطوره وفقاً لفكرة موحدة جامعة ، يفكر تفكيراً مذهبياً ، فيقول مثلاً : إن تغير وسائل الإنتاج وحلول الآلة محل الأيدي قد غير من توزيع الطبقات الاجتماعية ونقل عقلية الشعوب ، وهذا هو التفكير التفسيري . والسياسي الذي يقول بوجوب فصل السلطات الثلاث تنفيذية وتشريعية وقضائية وتحديد علاقاتها بحيث لا تبغي سلطة على أخرى ، ويرى في ذلك ضماناً لصلاح الحكم ، يفكر تفكيراً إنشائياً ويدعو إلى المذهب الذي يؤمن به

ولقد كنت دائماً شديد الحذر من التفكير المذهبي في مجال التفسير لما لاحظته من أن المذهب عندئذ لا يمكن أن يفلت من الضيق والتحكم . فالمؤرخ في مثلنا السابق لابد متعسف في عرضه ، والناظر الحر التفكير لا يمكن أن ينكر أن تغير وسائل الإنتاج لم يكن بحال العامل الوحيد في تطور الإنسانية ؛ فثمة النشاط العقلي وتوليد الأفكار وإرادة البشر ونزوعهم إلى المثل وظهور كبار القادة ، وما إلى ذلك مما يعمل في التاريخ قدر ما تعمل وسائل الإنتاج إن لم يفقها .

وأنا على العكس من ذلك شديد الحماسة للتفكير المذهبي في مجال الإنشاء والدعوة ، ولقد زادني إيماناً بهذا النوع من التفكير ما ألاحظ اليوم من تشتت الأخلاق السياسية والاجتماعية بمصر ، وأخشى أن يكون بالشرق كله تشتتاً يملأ النفس حزناً ، حتى ليصبح بالقلب أمل أننا قد نستطيع علاج هذا المرض النفسي المدمر إذا حاولنا جمع النفوس حول الأفكار المذهبية

وأنا بعد لا أجهل ما في المذاهب الإنشائية بالنسبة لبلادنا من مشقات وأخطار ، فنحن بعد لا زلنا بظاهر الحضارة نقرع أبوابها ، وجانب كبير من حياتنا لا يزال محاكاة لحياة الغرب . وما يستطيع عاقل أن يقول إننا قد وصلنا من النضوج إلى حد الأصالة . وموضع الخطر هو أن نحسب مذاهب الغرب كما هي صالحة لبلادنا مضمونة النجاح فيها . ثم إن كل تفكير إنشائي لابد مصطدم بالكثير من حقائق الواقع عندما تستجيب له النفوس فتأخذ في تطبيقه . وهنا تظهر الصعوبات ، إذ ترى النفوس متعصبة لما تؤمن به ، وشهوة الفكر لا تقل عنفاً عن شهوة الحس ، ويأتي الواقع فيستعصى ، وإذا بالتنافر في العمل وتبلبل الحياة العامة .

هذه لا ريب صعوبات حقيقية ، ولكنني مع ذلك لا أتردد في الدعوة إلى التفكير المذهبي في حياتنا العامة ، ومن البين أن البلاد قد أخذت تتهيأ له في كافة نواحي نشاطها سياسية واجتماعية وثقافية . وكل ما نحتاج إليه لنخطو الخطوة الأخيرة هو التوجيه القوي من رجال ، وبالأصح شباب ناضج على خلق وكفاية . وأكبر ظني أننا عما قريب سنمل سخائم الأشخاص وتخبط الشهوات وتحلل الأخلاق ؛ فترتفع قلوبنا إلى مستوى التفكير المذهبي الذي ندعو إليه

وليس من شك في أن خير المذاهب الإنشائية ما نستمده من رغبات النفوس ، فالسياسي الحكيم هو من يتحسس اتجاه مواطنيه ، والشعب بغريزة الحياة يلتمس دائماً مخرجاً من محنه ؛ فما علينا إلا أن نبصره بذلك المخرج جامعين آماله حول فكرة موحدة نستمد منها مبادئ العمل . ولابد لنا من أن نروضه على ما ندعو إليه حتى يستقر بوعيه أن الخير لابد آت مما ارتضاه من نظام ، ولنضرب لذلك مثلاً بنظام الحكم في بلادنا : ملك دستوري نرى فيه رمز الوطن وعزته ونضعه جميعاً موضع التقديس ، حريصين على أن تظل ذاته بعيدة كل البعد عما نقتتل حوله من مبادئ الحكم ووسائله ؛ وحياة نيابية وضعنا أسسها وفقاً لخير الدساتير . وتلك فكرة لا شك أن الأمة مجمعة عليها اليوم . ولكنك لو أنعمت النظر لوجدت أن هذا الإجماع لم يتغلغل بعد في إيمان الشعب ولا استقرت فوائده بنفوسهم ولا أدل على ذلك من انعدام ثقة الأمة بالانتخابات ونتائجها . ولعل في موقف أغلبية الناخبين - وبخاصة المثقفين منهم - من تلك الانتخابات أكبر دليل على صحة ما نقول . فما لقيت أحداً من مستنيري العقلاء إلا أخبرني أنه لم يشترك في الانتخابات طول حياته مرة واحدة ، بل ولا يعلم أهو مقيد بجداولها أم لا ، وتلك حالة تستحق النظر لأننا نخشى أن تدل على أن النظم قد سبقت إيمان الشعب وعقليته . ومن هنا أما يكون من الواجب أن نأخذ الأفراد بالقسر فنرغمهم على استعمال هذا الحق بل النهوض بهذا الواجب ، فنجعل التصويت إجبارياً كما جعلته إسبانيا عند ما كانت حديثة العهد بالنظم النيابية ، وإلا فما فائدة نظام لا يتمتع بثقة ولا يتعلق بإيمان ، ثم ما عمل القادة إن لم يروضوا الأفراد على ما فيه خيرهم؟

وأنت لا بد ملاحظ نفس الظاهرة في الحياة الاجتماعية ؛ ومشكلتنا الكبرى اليوم هي توازن الطبقات الاجتماعية ، ولا يستطيع أحدنا أن ينكر أن بالأمة قاطبة نزوعاً إلى عدالة أتم ومساواة أحكم مما نحن فيه الآن . ولكنك تنظر فترى التبلبل في وسائل ما يحقق هذا النزوع ، وقد أتلفت الشهوات حقائق الأشياء . فالخصومات السياسية وبالأصح الخصومات الشخصية قد أوشكت أن تعمى عن الأمة الحقائق . ونحن في الواقع أمام ثلاث مشاكل لكل منها حلها الواضح : مشكلة الاستقلال السياسي ، ومشكلة أثرياء الحرب ، ثم مشكلة الظلم الاجتماعي المزمنة المتأصلة ، وتلك الأخيرة هي التي يجب أن يجتمع حولها تفكيرنا المذهبي ، وأما الظاهرتان الأخريان فعارضتان ، ومن حق أمة تحترم نفسها أن تحسمهما بالعمل العادل لا بالتطاحن الزرى . فإذا كان هناك استغلال سياسي قد حدث فأمامنا قضاة ومستشارون لا زالت الأمة تأمل فيهم الخير ومن حقها عليهم أن يقولوا في هذا الاستغلال رأيهم فإما براءة وإما إدانة ، وفي

كانتا الحالتين ستبرأ كرامة هذه الأمة البائسة . ومن الواجب أن نذكر الجميع بأن الاستقلال السياسي لا يمكن أن يكون السبب الوحيد في إثراء البعض وافتقار الآخرين فنحن الآن في حرب عالمية طاحنة قد غيرت من كافة وسائل الإنتاج والتجارة ، وفي جميع أنحاء العالم وفي جميع أطوار التاريخ قد صحبت الحروب دائماً أكبر الاضطرابات الاجتماعية ، وآلاف من الصناع والتجار بل والعمال قد أثروا دون أن تكون لهم بهذا العظيم أو ذاك صلة قرابة أو نسب ، ونحن بعيدون عن أن ندعو إلى الرفق بهؤلاء المثرين الذين امتصوا دماء الشعب ، ولكننا ندعو إلى إجراءات عامة تتناول الجميع كما يفعلون بالبلاد المتحضرة بدلاً من أن نقف عند شخص أو أشخاص بذاتهم متخذين منهم هدفاً لصغائر أحقادنا . إن من حق هذه الأمة أن يحاسب جميع أثرياء الحرب عن ثرواتهم وأن يرد ما اكتسب منها بغير وجه مشروع إلى خزانة الدولة . ولا يرهبنا في شيء أن ننادي بفرض ضريبة مستغرقة على رؤوس الأموال التي جمعت أثناء هذه الحرب ، وأما ما سمعناه من فرض ضريبة على الأرباح الاستثنائية فتلك في الحق مهزلة . الواجب هو أن ترد رءوس الأموال ذاتها لا أرباحها الخارقة ، ترد من الجميع ، لا من هذا الوجيه أو ذاك فحسب ، وذلك أكرم على هذه الأمة وأعدل في النظر الإنساني السليم مما نغرق فيه اليوم من مهاترات . وهاتان المشكلتان بعد عارضتان كما قلنا ، وما ينبغي أن تصرفانا عن المشكلة الكبرى ، مشكلة العدالة الاجتماعية بين الطبقات . فهذه هي الفكرة المذهبية التي لا بد للأمة من التعلق بها ، وسبيل علاجها أيضاً هو التشريع وإصلاح نظامنا المالي والأخذ فيه بنظام التصاعد ، ومما يحزننا ألا تقتصر محنتنا الحاضرة على إتلاف سياستنا القومية ، فتصرفنا عن الجهاد في سبيل استقلال الوطن وتحريره تحريراً صحيحاً إلى محاربة بعضنا بعضاً بكافة السبل ، حتى أصبحنا جميعاً كفيران في مصيدة حارسها لا يجهله أحد ، وكل من ثارت نخوته سنة ١٩١٩ يعرف اليوم في حزن أننا جميعاً على ضلال . نقول إن محنتنا الحاضرة لا تقتصر على هذا التلف القومي المحزن ، بل تمتد أيضاً إلى حياتنا الاجتماعية فتصرفنا عن التفكير في مشكلتنا العميقة ، مشكلة العدالة الاجتماعية إلى مشكلتي الاستغلال والإثراء العارضتين ، وبذلك ننحرف أيضاً بتفكيرنا المذهبي عن هدفه الحقيقي

والأمر في حياتنا الثقافية مثله كمثل حياتنا السياسية والاجتماعية سواء بسواء ، فمن الناس وهم كثير من لا يزال يزج بالنعرات القومية والدينية في مجال الثقافة ليشف علينا حياتنا عن جهل ، فتسمع مقابلات عجيبة بين روحية الشرق ومادية الغرب ، كأن الغرب لا روح فيه والشرق لا مادة به . والمشكلة الحقيقية ليست مشكلة ثقافة الشرق وثقافة الغرب ، وإنما هي مشكلة الثقافة أو الجهل ، وهذه أيضاً فكرة مذهبية يجب أن يستقر عندها ضمير الأمة حتى تستقيم لنا الحياة . هنالك ثقافة إنسانية موحدة نشأت في الشرق ، ثم انتقلت إلى الغرب الذي احتضنها دون أن يستنكف من صدورها عن غيره . ثم نأتي اليوم نحن الحمقى فنجادل جدلاً عقيماً في وجوب استردادها منه أو رفضها . ومن عجب أن ترانا جميعاً آخذين في هذا الاسترداد بالفعل ، ومع ذلك نجادل في هل نحن على حق أو باطل ، إن كنا على باطل فلنتخل إذن عن جميع مظاهر الحياة المادية التي تحوطنا من جميع النواحي ، فكلها غربية ، بل لنتخل عن مدارسنا وجامعاتنا ومناهج بحثنا ، ولنرجع إلى « الكتاب » والحفظ عن ظهر قلب ، ولنستمر في « المنقلة » ومناقشة الألفاظ كما عهدها الأزهر القديم وفي هذا المجال أيضاً تعمل أمراض النفوس وعقدها ومركباتها المختلفة أسوأ العمل ، فالجاهلون بلغات الغرب يرون أنفسهم محرومين من وسائل التحصيل وإذا بالعجز يرتدي في نفوسهم أزهى الأثواب ، فيناهضون ثقافة الغرب زاعمين أنها مخالفة لروحنا مدمرة لأصالتنا ، وهم مع ذلك لا يتعففون عن أن يأخذوا بما يصل إليهم من فتاتها

لقد حان الحين لأن يستقيم تفكيرنا على أساس مذهبي يرتفع بقلوبنا عن حزازات الأشخاص ومهاترات الشوارع . لقد حان الحين لأن يلقي النفر المثقف منا ثقافة حقيقية بنفسه إلى المعركة ، فبئس مواطن يستحوذ على قلبه اليأس . بئس مواطن يغطي يأسه بتعال حقير . الوطن ملك لنا جميعاً كما كان ملكاً لآبائنا وكما سيكون ملكاً لأبنائنا ، ومصائره اليوم معلقة في الخارج وفي الداخل وأهول ما نخشاه أن ننصرف عن أهدافنا الحقيقية إلى صغائر الأمور

محمد مندور

فوضى الأدب فى مصر

للدكتور محمد صبرى

تكلمت فى مقال سابق عن التبعة التى تقع على عاتق مجلاتنا الأدبية الكبرى ، من جرّاء تيسير نشر مقالات « لكُتّاب » معروفين بالفهم السقيم والغباوة . وقد خشى قوم أن نرمى إلى الحد من حرية النقد ، والواقع أنه لا نقد فى مصر

قد نقرأ فى الصحف من آونة لأخرى مقالاً قيماً مفعماً بالرزانة والاعتدال ، وسطا بين الأفراط والتفريط ، ولكن الشاذ لا يمكن اتخاذه قاعدة فى الحكم على الأشياء . وقل أن تجد كاتباً فى نقده الكتب يدرسها ويحللها كما يفعل كتاب الغرب . وأكثر ما نرى الإفراط فى المدح تارة ، وفى الذم طوراً . ومن الغريب أن كتابة أولئك النقاد لا يمكن « مناقشتها » لأنها لا تستند إلى منطق من الذوق أو الفهم ، وإنما تستند إلى شهوة تدفع صاحبها إلى الكتابة إرضاء لغاية شخصية أو إرواء لغلة حسد أو حقد تأكل صدره

وخير لأولئك النفر أن يريحوا أنفسهم قليلاً فإنهم لن يبلغوا الجبال طولاً ، ولن يخرقوا السماء أو الأرض بقلمهم ، ولن يقف الفلك الدوّار من جراء ما يكتبون

وفى مصر « كتّاب » كثيرون يتوهمون أنهم فى مقدورهم أن يأخذوا الشهرة غلاباً ، وأن يسخروا التاريخ لتسجيل ما تكتبه عنهم الصحف ، أو ما يكتبونه هم عن أنفسهم فى الصحف ، وما ينتحلونه من صفات ، كأن يدّعوا أنهم من « كبار » الكتاب . وإنى لأذكر بهذه المناسبة أن ممثلاً أعلن عن نفسه مرة أنه « الممثل العالمى » وأعلن عن شوقى فى الوقت نفسه أنه « شاعر النيل » . ولما كان العالم يسع النيل والسين والطونة والرين ومئات الأنهار والبلاد أخذت شخصية شاعرنا تتضاءل شيئاً فشيئاً ، بينما وقف الممثل كالمارد الضخم بطأ بإحدى رجليه المشرق وبالأخرى المغرب ...

وقد وقع كثيرون من رجال السياسة فى عين الخطأ الذى وقع فيه بعض رجال الأدب ، فأصبحوا يعتقدون أن الدعاية هى كل شىء ، وأنها « تصنع » التاريخ كأنما كان التاريخ عبداً « نلقنه » ونأمره بكتابة ما نريد فيطيع ... ناسين أن التاريخ هو أمس واليوم وغداً ، وأن الفلك يدور ، وأنه فى دورته يغربل الحوادث والرجال ، ويضع الأمور فى نصابها ، وأن حياة الأمم مكونة من أجيال فإذا ظلم جيل أنصف جيل ، وأن الناس متباينون فى طبائعهم ومذاهبهم ، وأن هذا التباين نعمة لا نقمة لأنه يكفل نظام البقاء ويمنع الاستبداد بالحياة والشهرة واحتكارهما واغتصاب العظمة وما إليها

ولا شك أن الذوق الأدبى قد ارتفع مستواه فى مصر ، ولكن مصر يُعوزها ذلك الجمهور المستنير الذى يزين بلاد الغرب ، وبعبارة أدق وأبين أن أكبر نقص يعتور حياتنا الاجتماعية هو عدم وجود نخبة وافية من رجال العلم والأدب والسياسة وهو ما يسمى élite ، هـذا فيما يتعلق بالقمة ، أما فيما يتعلق بالقاعدة فيلاحظ عدم وجود طبقة متوسطة . وكل حياة سياسية أو أدبية لا تستند إلى هذه النخبة وإلى تلك الطبقة ، فهى حياة مختلة التوازن

فعدم وجود النخبة الكثيرة العدد مثلاً يفسح للمجال أولاً للتحاسد والنزاع بين الأفراد بعضهم وبعض فى دائرتهم الضيقة المحدودة ، ويفسح للأدعياء طريق التسلل فى قُطرهم وقلب المقاييس والأوضاع

وكنا نذكر أن زعيماً كبيراً مرض ذات يوم ، وكان مرضه مرض موت ، فهرع إليه من الأطباء الحابل والنابل والصغير والكبير ... وكانت دقة الحالة تستدعى بالطبع أن لا يذهب إليه إلا الراسخ فى صناعته المقدم على أهلها ، وأن يتنحى الصغير للكبير عن مكانه دون النظر إلى رتبة يحملها أو لون سياسى يتباهى به . وسبب هذه الفوضى هو كما قلنا عدم وجود نخبة وافية من الأطباء تؤلف كتلة متزنة فى نظامها

وهذه الفوضى نشاهدها فى الأدب كما نشاهدها فى الطب ونشاهدها فى جميع أنواع الحياة العامة فى مصر . والعجيب أن الأدعياء يجدون صحفاً ومجلات تنشر لهم . والأدعياء فى مصر فريقان : فريق المتأدبين الأغبياء الذين يحاولون الوصول بكل الوسائل ظناً منهم أن مجرد الحصول على « شهادة » أو مجرد

ثقافة أبي تمام

وأثرها في تعقيد شعره

للأســـتاذ دريني خشبة

منذ عهد قريب كنت أقرأ ذلك الكتيب الصغير الذى كتبه جلبرت مورى عن بطل الدرامة اليونانيـة الأشهر يوربيدز فلفتت نظرى عبارة عجيبة المؤلف نسب فيها انصراف اليونانيين عن شاعرهم العظيم الخالد وقلة احتفالهم بفنه المسرحى من وجهتيه الشكلية والموضوعية إلى جملة أسباب كان أهمهـا « وضوحه » ، ووصـوله بسرعة إلى أفهام النظارة ! . . . ثم تكلم مورى بهذه المناسـبة عن الأمة الإنجليزية ، فذكر أن الإنجليز مثل اليونانيين القدماء ، يكرهون أن يكون الشاعر واضحاً[1] ، ويؤثرون أن يكون فى الشعر بعض الغموض ، أو كثير من الغموض ، الذى يستثير العقل ويحفزه إن كان خامدا ، ولا بأس أن يعنّيه ، بل أن يضنيه أحياناً ، أما الشعر العادى — يقصد الواضح السهل الذى لا يجشم القارئ نصباً — فهو أسخف ألوان الشعر فى نظر هذه الأمة العجيبة التى أمدت العالم بخير شعرائه المحدثين ... وافتخر المؤلف بأن الإنجليز قراء مهرة ، وأنهم سريعو الإدراك . أو : Quick in the up-take كما يعبر هو ، فالشاعر الذى يكفيهم مؤنة التفكير فى شعره بجمله واضحاً ، أو بإسرافه فى جمله واضحاً هو أسخف الشعراء فى نظرهم ، لأن شعره هذا السهل المشرق الصافى ينيم أذهانهم ولا يكدها . . . وهم يكرهون ألا تُكدّ أذهانهم بما يقرأون . . . ثم يتطرف مورى فيقرر أنه ما على الشاعر إلا أن يُغمض فى شعره بعض الغموض ، أو كل الغموض ، ليخدع هؤلاء الإنجليز عن أنفسهم — وربما عن نفسه ! — وليفوز بينهم بالمكانة العليا ، ومنزلة الشاعر العبقرى !

أما عندنا ، فنحن نضيق بالشاعر الغامض ونملنه ... ويظهر أن فى طبيعة أمزجة الشعوب العربية ما يحبب إليها اليسر والمرح ، ويزهدها فى العناء فى التفكير . . . وذلك لأن طبيعة البيئة فى أوطان تلك الشعوب سهلة غير معقدة ، شأنها فى اليونان وفى إنجلترا ، حيث اختلاف المناظر وكثرتها وتعقيدها أحياناً يورث اليونانيين والإنجليز مزاجاً أعمق وتفكيراً أهدأ ، وأشد غوراً ، فلا يضيقون بالغموض فى شعر شعرائهم ، بل يغرمون به ، فى حين يضيقون بالشعر السهل الواضح الذى لا مجال فيه لإعمال الفكر ، ويعدونه شعراً سخيفاً قليل الخطر منخفض الدرجة .

ولست أعلل ثورة دعبل وابن الأعرابى والآمدى ومن

(1) ص ١٣ Euripides & His Age

تأليف كتاب أو ألف كتاب يكفى لاكتسابهم صفة الأدباء . وفريق الأدباء الذين وصلوا بطرق ملتوية إلى الشهرة واغتصبوها اغتصاباً ، فأولئك يزعجهم ويقض مضاجعهم أن يتنفس أو يتكلم كل أديب صادق النسب ، فهم لا يفتأون يتقلقلون ويتململون وراء ابتساماتهم الصفراء .

فالأديب فى مصر لا يجد عوناً من أهل صناعته ، ولا يجد عوناً من الجمهور ، لأن الطبقة المستنيرة لا تعد إلا بالمئات فى حين أنها فى البلاد الغربية تعد بمئات الآلاف ... بل ولا يجد عوناً من أصحاب المكاتب والناشرين ، فأكثر الأخيرين أميون أو شبه أميين لا يهمهم من نشر الكتب إلا الربح والتجارة . ولو ظهرت الكتب مشحونة بالأغلاط ممسوخة ... وقد عرض أحدهم على مؤلف قبل الحرب أن يطبع له كتاباً ويعطيه خمسـه جينى !

وأكثر كتبنا تباع فى بلاد الشرق والأقل منها يباع فى مصر . وأكثر الكتب رواجاً هى بلا شك الكتب الدينية ...

وتجد الجمعيات المستشرقة فى أوروبا أكبر عون فى حكوماتهم لطبع الكتب العربية النادرة ، ولذلك فإن أهم دواوين العرب وآثارهم . كان أول ظهورها فى أوروبا ، وأوربا هى التى أحيت آدابنا ونشرتها نشراً علمياً ، هذه حقيقة مؤلمة تجب مواجهتها

وفى مصر لا تتألف جمعية علمية أو مجمع أو معهد ثقافى أو لجنة استشارية إلا ويصبح فيها أصحاب الألقاب والمناصب أكثرية ، ورجال الفن أقلية ، والظل الأعوج يتبع العود الأعوج .

محمد صبرى

إليهم ممن قدحوا فى شعر أبى تمام وعابوه بالغموض ، والبعد عن عمود الشعر العربى إلا بطبيعة هـذا المزاج المشرق المرح ، الذى يستمد كيانه من طبيعة بيئة الشعوب العربية . . . ويتجلى ذلك المزاج فى تحمس الآمدى للبحترى ، فى كتابه «الموازنة بين أبى تمام والبحترى» ، وتفضيله شعر البحترى لسهولته ووضوحه وإشراقه ، والتواء شعر أبى تمام وتعقده وغموضه ، وثورته على طبيعة الفهم العربى الوادع المرح الذى يبغض الالتواء والتعقيد والغموض . وقد رزق الله أبا تمام كثيرين من النقاد العرب الذين هبوا يناذخون عنه ويدافعون عن طريقته ، وفى مقدمتهم ، أو على رأسهم ، أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ، صاحب كتاب «أخبار أبى تمام» الذى برهن بدفاعه المجيد عن شاعرنا الخالد على أن فينا أمزجة تشبه هذه الأمزجة اليونانية والإنجليزية المولعة بالغموض فى الشعر ، التى تؤثر الالتواء والتعقيد فالحمد لله ، وشكراً لأبى بكر الصولى !

* * *

وأكثر المؤرخين على أن أبا تمام ولد فى جاسم إحـدى قرى دمشق ، وأقلهم — وفيهم صاحب الأغانى — على أنه ولد فى إحدى قرى مَنْـبِج

وأكثر المؤرخين على أنه عربى من قبيلة طىء ، وأكثر هو من الفخر بذلك فى شعره . . ثم أقلهم على أنه ليس من طىء فى الذيل ولا الذؤابة ، بل إنه ابن رجل يونانى نصرانى أسلم ، وكان يدعى «تدوس» أو تيودوس فعدل به أبو تمـام إلى أوس ، فصار يدعى أبا تمام حبيب بن أوس الطائى ، فراراً عن هـذه اليونانية التى كانت تـكون له شرفاً لو أنها صحيحة ، لا عاراً كما أراد أعداؤه أن ينالوا منه ، ويقدحوا فى نسـبه ، لأن ذلك يزكى مذهبه فى الشعر ويجعل له أصولا وراثية من دماء هؤلاء اليونانيين الذين غضوا من شعر يوريبيدز فى عصره لسهولته ووضوحه ويسره

وسافر أبو تمام إلى مصر بعد أن أيفع بالشام ، وكان أبوه خماراً ، وكان هو حائـكا ، كما جاء فى تاريخه المضطرب . . . وأكبر الظن أنه لذلك لم ينتفع فى الشام بعلم ولا أدب ، وأن السـنوات الخمس التى عاشها فى مصر كانت فترة التعليم الجامعى الذى انتفع به أبو تمـام ، وشدا منه تلك الذخيرة من دروس الجامع الـكبير ، أو مسجد عمرو بالفسطاط مستعيناً عليها بسقاية الماء ... ثم شـد رحله إلى المشرق بعد أن تمكن من نظم الشعر فى مصر تمكناً جعله سـيد شعراء عصره عشرين عاماً كاملة بإجماع النقاد . فاذا عرفنا أن أبا تمام لم يتجاوز الأربعين ، أو تجاوزها قليلا ثم مات . . . عرفنا أنه ثقف الشعر فى مصر . وحصل جميع علومه فى مصر . وأن مصر قد صنعت الجزء الأكبر من أدب أبى تمام وعلمه وشعره . وأنه حينما سافر إلى العراق سافر إليه وقد نضج عقـله وقلبه بكل ما كانا يفيضان به من علم وشعر . فان يكن قد انتفع فى بغداد والبصرة والـكوفة بعلم أو أدب . فليس يعدو ذلك اطلاع الأديب الذى اشتد عوده والذى لا غنى لثقافته عن مواصلة القراءة ... والمقارنة بين مدارس الفـكر المختلفة . يتقلب من أجلها بين البلاد :

خليفة الخِـضْر من يربعْ على وطن
فى بلدة ، فظهور العِيس أوطانى
بالشأم أهلى . وبغداد الهوى . وأنا
بالرقتين . وبالفسطاط إخـوانى
وما أظن النوى ترضى بما صنعت
حتى تُشافِه بى أقصى خراسان
خلّفت بالأفق الغربى لى سـكنا
قد كان عيشى به حُلواً بحلوان[1]

فإخوان أبى تمام الذين تركهم وراءه فى مصر هم أخدان الصبا وأصدقاء الشباب وشركاؤه فى أيام الدرس والتحصيل ... وطالما تذكرهم أبو تمام بعد ذلك ، وسجل ذكره لهم فى شعره :

ذو الود منى وذو القربى بمنزلةٍ
وإخوتى أسوة عندى وإخوانى
فى دهرى الأول المذموم أعرفهم
فالآن أنكرهم فى دهرىَ الثانى ؟
عصـابة جاوزت آدابهـم أدبى
فهم وإن فُرّقوا فى الأرض جيرانى ؟
أرواحنا من مكان واحد وغدت
أبداننـا بشآم أو خراسان
ورُبَّ نائى المغـانى روحه أبدا
لَصيقُ روحى ودانٍ ليس بالدانى[2]

---

(١) من مدحة لأبى تمام فى محمد بن حسان الضبى

(٢) من مدحة له فى سليمان بن وهب

ولله ما أسعد تلك العصابة من الأصدقاء الأوداء الذين تتجاور آدابهم ، وتتنافس ثقافاتهم ، وتسفر بينهم قصائد الشعر ورسائل الأدب ... وقد ثبت أن أبا تمام قد نظم كثيراً من غرر شعره وهو فى مصر ، وأنه عند ما ذهب إلى العراق وأخذ فى إنشاد أشعاره ، وقف الناس منها موقف المشدوه الذى يرى فيها شيئاً جديداً لم تتعوده أذنه ، ولم يعرفه فيما عرف من أشعار العرب فكان الذى يستطيع فهمها يستحسنها ، ويشهد لها بالجدة والجمال ، أما الذين كانت تستعصى عليهم ، وتضيق بها أخيلتهم ، فكانوا يشتدون فى إنكارها كما يشتدون فى خصومة ناظمها ، وإن كان بعض الطاعنين على أبى تمام لا يملك أحياناً إلا أن يصفق له ... وقد كان أبو بكر الصولى لبقاً فى سوق أمثلة ذلك . ولهذا فنحن نرى أن أبا تمام قد ذهب إلى العراق حينما ذهب إليه ، بفن جديد أنشأه فى مصر ، ووضع فيها أصوله ، وقعّد قواعده ، ووشاه بذوقه المتفرد المفتن الجبار ... وحسبنا أن نقرأ قصائده الأولى التى أنشدها فى العراق لنعلم كيف فجأ الناس بها وبما تضمنته من غرائب هذا الفن الجديد العجيب ... وليس يصح فى الأذهان أن أبا تمام ابتدع ذلك كله بالعراق فجأة ، لأن قصائده الأولى هذه تشبه قصائده الأخيرة فى كل مشخصاتها ومقوماتها ، وربما كان بعض المتقدم منها أجود من بعض المتأخر

ولعل القارىء يسأل : ما بالنا نبدىء فى ذلك ونعيد ، وماذا نبتغى من إثبات فضل مصر على أبى تمام ؟ والجواب على هذا لا يخلو من أن نشغب على أستاذنا الدكتور طه حسين الذى أنكر هذا الفضل على مصر ، وجعل العراق وحده هو الوطن العقلي لأبى تمام ، وذلك فى محاضرته التى ألقاها عن أبى تمام وضمنها كتابه الفريد المفيد « من أحاديث الشعر والنثر » ونعود فنقول إن السنين العشرين التى تفرد فيها أبو تمام بجوائز الملوك والأمراء ، والتى كان فيها جميعاً فارس حلبة الشعر ، قد بدأت حينما بدأ أبو تمام حياته فى العراق ، وهو إذ ذاك فى حدود العشرين من عمره أو فيما يقاربها ، فأين إذاً نما غراسه الأول إن لم يكن قد نما واشتد وآتى أكله فى مصر ؟

ونحن لا ننكر أن أساتذة أبى العلاء فى الشعر العربى لم يكونوا من المصريين ، لأن أحدهما هو أبو نواس ، والثانى هو مسلم ابن الوليد ، وكان أبو تمام يعجب بهما ويسطو على آثارهما ، ينتهب منها ما يشاء . فيغمض فيه ، ويزيد عليه ، ثم يغرب ويغلو فى الإغراب ، حتى تكون البضاعة له خاصة آخر الأمر : وفى ذلك يقول الصولى فى رسالته إلى مزاحم بن فاتك :

« وليس أحد من الشعراء — أعزك الله — يعمل المعانى ويخترعها ويتكىء على نفسه فيها أكثر من أبى تمام ؛ ومتى أخذ معنى زاد عليه ، ووشحه ببديعه ، وتمم معناه ، فكان أحق به ... »[1]

وسئل دعبل — أشد خصوم أبى تمام — عن شعره فقال : ثلث شعره سرقة ، وثلثه غث ، وثلثه صالح[2]

وأنشد ابن الأعرابى شعراً لأبى تمام فقال : إن كان هذا شعراً فما قالته العرب باطل ![3]

ولأبى العنبس ، ولابن مهرويه ، كلمات فى أبى تمام من هذا القبيل ، ولم يكن أحد ينتصف لأبى تمام بمثل ما انتصف له الصولى فكيف يكون العراق وطن أبى تمام العقلى ، وقد كان مذهبه فى الشعر غريباً على العراق إلى هذا الحد ؟

(يتبع) دريني خشبة

(١) أخبار أبى تمام ص ٥٣
(٢) و (٣) ص ٢٤٤

على نمط المقامات

فى العـــيد

الأستاذ على متولى صلاح

حدثنا أبو الحسن الفسطاطى قال :

قضيت شهر رمضان المعظم هذا العام – إلا أقله – فى عزلة عن الحياه ، أتقرب بالعزلة إلى الله ، وأبتهل إليه وأبتغى رضاه ، فكنت أقضى النهار صياماً ، والليل قياماً ، وألزمت نفسى ألا تنطق إلا لماماً ، وألا تقارف آثاماً ، وألا تقول إلا سلاماً ، والتزمتُ هذه الحال ثمانياً وعشرين من الليال ...

ولما أوشك رمضان الكريم على النهايه ، وأشرف على الغايه ، حدثتنى النفس الأمارة بالسوء ، التواقة دائماً إلى ما يسوء ، أن أنفلت من هذا العقال ، وأتحلل من تلك الأغلال ، وأسعد نفسى بالأنس بين الصحاب ، والسمر بين الأحباب ، وأتقبل وإياهم الحديث فى العلوم والآداب ، فذلك عندى وعندهم أشهى الرغاب ، وما خضنا علم الله يوماً فى حديث نمّ أو اغتياب ، ولا ذكرنا وقاك الله حديث أعراض ولا أنساب ...

قصدت إلى تلك الصومعة الجميلة ، والظُّلة الظليلة ، صومعة الأدب والأدباء ، ومثوى الشعر والشعراء ، تلك التى أنشأها مُقام الأستاذ الزيات بالمنصورة الحبيبة حيناً من الدهر ، كان والله فى مثل عمر الزهر ، وكان – وحقك – عهداً ما برحت نشوته فى الفؤاد ، وما زال برده فى الأكباد ، وما فتىء حديثه هو الحديث المعاد ، ليته بقى ودام ، إلى هاتيك الأيام ...

وفى جوار تلك « الكافورة الحسناء » الكاملة البهاء ، الحانية على النيل الجميل كأنها الرحمة والعطف والمحبة تهبط من السماء ، تلك التى خلدها الزيات بآيات من السحر ، ما هى من نثر ، ولا هى من شعر ، ولكنها من الدر والتبر ، فى جوارها أخذت مكانى ، وآثرت الجلوس منتظراً إخوانى ، وطال بى المكث والانتظار ، وما وافانى منهم ديار ، ولا نافخ نار ، فجلست وحدى أتأمل ما يفعل الناس فى شهر الصيام وما يقولون ، وفى أى حديث يخوضون ، فما راعنى إلا أن أسمع الناس يسبُّون شهر رمضان ويلمنون ، ويتضجرون منه ويتململون ، ويودون فراقه ويشتهون ، ويصفونه بأقبح الصفات ، ويشيمونه بأسوأ اللامنات ، فسألت نفسى فيم يصوم هؤلاء ويمسكون ؟ وما زالوا باللغو والباطل يتمسكون ؟ أم هم على الصيام والإمساك مكرهون ؟ . . . والصوم كما أفهم عبادة مردها إلى الضمائر ، ومرجعها إلى السرائر ، ليست عبادة نفاق ، ولا تجارة للارتزاق ، ولا يقصد بها سوى الخلاق ! ومن أراد أن يبدو للناس صائماً وهو عند الله مفطر كان ذلك عليه يسيرا ، لا عسيرا ! أما أن يمسك عن الطعام ، ولا يفتأ يسب الصيام ، كأنه على فعله مسير ، لا مخير ، فذلك مالا أستطيع له تأويلا ، ولا أعرف له تعليلا ... ورجعت إلى دارى وقد انتصف الليل أو كاد ، وأنا فى إبراق وإرعاد ، أسب هؤلاء الأوغاد ، وأحمد الله على تلك الوحدة والانفراد ...

وفى الليلة التالية — وكانت آخر ليالى رمضان — ذهبت كدأبى إلى مكانى المعهود ، ومراحى المنشود ، فما عتمت أن رأيت الناس وقد تنفسوا الصعداء ، وأبرقت أساريرهم بالبشر والصفاء ، كأنما انحطت أثقالهم ، وانفكت أغلالهم ، وتحللوا من وقر لا يطيقونه ، وأسر لا يحتملونه ، ولا حديث لهم إلا ما كانوا يحرمون فى رمضان من لذات ، ويمنعون من طيبات ، ورأيت فيما رأيت بعد برهة شخصاً يخب فى السير ، حتى ليكاد أن يطير ، فلما وقع بصره على إخوانه فى السهر ، ورفاقه فى ليالى السمر ، صاح فيهم يقول :

رمضان ولى هاتها يا ساقى ... !!

فرد عليه جميعهم فى صوت واحد ، وكل منهم يشير إلى صدر نفسه قائلا :

مشتاقة تسعى إلى مشتاق !

وسرعان ما أداروا بينهم الكؤوس ، حتى مالت الرءوس ، فوقفت ورجعت ، ومن الشيطان بالله استعذت ، وقلت : ليلة أخرى أحتسبها عند الله ، الذى لا يحمد على مكروه سواه ، وهرولت إلى بيتى كاسف البال ، سيء الحال ، أعجب كيف لم يهذب الصيام تلك القلوب الكاشحة ، ولم يكبح تلك الطبائع الجامحة ...

وفى فجر يوم العيد الأغر ، وبعد انبلاج صبحه الأزهر ، خرجت ألتمس العظات ، بزيارة الأموات ، فقصدت إلى تلك الصحراء الموحشة التي ينتهي إليها الجميع ، الرفيع منهم والوضيع؛ والمتبوع منهم والتبيع ، تلك التي تسكن النفوس عندها وتخشع ، وتتأمل القلوب لديها وتخضع ، وتزهد الطامع فيما فيه يطمع ، وإليه ينزع ، ... فإذا بي أرى عندها مما تندى له الجباه ، مالا يصل الخيال إلى مداه ! وما ظنك بنساء حول المقابر متبذلات ، غير محتشمات ، ولا مؤدبات ؟ قد أخذن زخرفهن وازين بأفخر اللباس ، ليبهرن عقول الناس ؟ ورجال قد خلعوا العذار ، وتركوا الوقار ، ونصبوا الحلقات للأحاديث والأسمار ، لا للعظة والاعتبار ، كأنهم وحقك فى قصور ، لا فى قبور !

وشبان مفتونين قد جاءوا إلى المقابر جماعات ، يسعون وراء الغادات ، الرائحات الغاديات ، ويغمزون لهن بأطراف الأحداق ، ويبثونهن لواعج الصبابة والأشواق ، ويظهرون لهن العشق والهوى ، والهيام والجوى ، ونسوا ما حولهم من الرجام ! التى [illegible] بالآيات العظام ، وتنسى الحب والغرام !

فلما شاهدت هذه الأباطيل ضاقت نفسي ، وهاج حسي ، وعدت إلى داري وصرت حلسها إلى وقت الأصيل ، فخرجت بلا صديق ولا دليل ، أنعم النظر فى مشاهد العيد وأطيل ، فما كادت والله تقع عيني إلا على شر ، ولا ترى غير هزل ونكر ، ولا تكاد تسمع أذنى إلا الفحش والهجر ، أفواج من الآدميين سائرون كالبهم هنا وهناك بلا أغراض ولا أهداف ، كأنهم قطيع من الخراف ، يسيرون — وقاك الله — كما تشاء لهم أرجلهم عن اليمين أو عن اليسار أو فى المنتصف مشية الفرح والزهو والسرور ، استمتاعاً بما تبيحه لهم حرية السير والمرور !

وعربات تكدست بالأجسام التى تتغنى بأنكر الأصوات ، وأقبح النغمات ، كأنها خوار ثيران ، أو نهيق قطعان ، ومجالس ومجتمعات لا للصلاة ولا للدعاء ولا للسجود ، ولكنها لابنة العنقود ! وناهيك بما يدور فيها من حديث الإفك والبهتان ، والغيبة فى الأرباء والمدوان ، مما تحرمه الأديان ، وينتكره الديان ، ولا يليق بطبيعة الإنسان !

وكم وراء الستار فى ليالى العيد من أمور ! وكم يخفى ظلام أمسياته من فجور ! وكم تباح حرمات ، وتنال شهوات ، وتدرك غايات ! كأن الناس ما كانوا منذ يوم لله صائمين ، ولحدوده ملتزمين ، أو كأنهم كانوا فى صيامهم هازلين لا جادين :

قال أبو الحسن : فلما رأيت هذه الحال ، وذلك المآل ، فزعت إلى الله أقرأ فى كتابه ، وأقف خاشعاً عند بابه ، وأستزيد من رحمته ومن ثوابه ، وأطلب للناس الهدى والرشاد ، والصواب والسداد ، ثم أنشدت :

ما صام من أمسك عن طعامه
ولم يصم عن اقتراف إثمه
الصوم أن تمسك عن عدوان
وعن أذى … فى السر والإعلان
إن لم يهذب بالصيام الطبع
فما وراء أن تجوع ... نفع !

(المنصورة) على متولى صلاح

قضية المـــرأة!

للأستاذ زكريا إبراهيم

قضية المرأة قضية قديمة قِدَم العقل الإنسانى نفسه ، فإن الإنسان منذ خُلق وَلوع بالتمييز والمفاضلة ، حريصٌ على تعرُّف أوجه الخلاف والمماثلة ، وقد وجد الإنسان موضعاً للتفرقة بين المرأة والرجل ، فخلق لنفسه من ذلك مشكلة ، وكان الرجل هو المسيطر ، فتلبست المشكلة بالمرأة ، ومن ثم نشأت تلك القضية الصعبة ، « قضية المرأة » لا الرجل !

وعلى الرغم من كثرة المناقشات التى أثيرت حول المفاضلة بين الرجل والمرأة ، أو المساواة بينهما ، فإن قضية المرأة لا تزال مستعصية على الحل ، لأن وضع المشكلة نفسه ليس بالوضع الصحيح . والواقع أن كل تلك المناقشات العقيمة ، لا يمكن أن يترتب عليها إلا أن تزيد المشكلة تعقداً وتشابكاً ، لأن من شأنها أن توقف المرأة وجهاً لوجه أمام الرجل ، تناضله وتذود عن نفسها ، كأنما هى بإزاء خصم عنيد جائر !

ولكن الأمر ليس من هذا فى كثير أو قليل ، فإن الصلة التى تربط بين الجنسين ، ليست صلة « تفضيل » ، وإنما هى صلة « تكميل » فكل مفاضلة بين الرجل والمرأة هى عبث لا طائل تحته ، لأن المجال الذى يعمل فيه كل منهما يختلف عن المجال الذى يعمل فيه الآخر . ولما كان الزواج هو الوحدة التى تجمع بين الجنسين ، فإن النقص الذى يوجد لدى المرأة يستحيل إلى كمال إذا اقترنت بالرجل ، والنقص الذى يوجد لدى الرجل يستحيل إلى كمال أيضاً إذا اقترن بالمرأة ، فيذهب نقصها فى كماله ، ويذهب نقصه فى كمالها ، ويخرج من ذلك الإنسان الكامل !

وقد أراد القديس أوغسطينوس أن يعبر عن فكرة تضافر الجنسين فقال : « لو أراد الله أن تكون المرأة حاكمة على الرجل لخلقها من رأس آدم ؛ ولو أراد لها أن تكون أسيرة له ، لخلقها من رجله ؛ ولكنه خلقها من ضلعه ، لأنه أراد أن يجعل منها شريكة للرجل ، مساوية له »[١]

بيد أن هذا لا يعنى أن المرأة والرجل على حد سوى ، وإنما هو يعنى أنه ليس ثمة وجه للمفاضلة بين الإثنين . فإذا استثنينا ما يرجع إلى الجنس ، قلنا إن الرجل والمرأة سواء[٢] . وكل ما بين الرجل والمرأة من فرق فى الناحية الجنسية ، فذلك لضرورة تحتمها الوظيفة التى ينهض بها كل فى المجال الذى اختصته الطبيعة به . وهذه الضرورة قد جعلت المرأة تميل إلى التعشق الذاتى narcissime[٣] والاكتفاء بالذات ، فى حين جعلت الرجل يميل إلى التعشق الغيرى والخروج عن الذات .

فالمرأة – كما يقول فرويد – حينما يكتمل نموها وتنضج أعضاؤها الجنسية (بعد أن كانت من قبل فى حالة كمون latency) يتزايد لديها الشعور بالتعشُّق الذاتى ، فتنزع إلى الاكتفاء بذاتها self-sufficiency وتزداد قوة هذا النزوع إذا صاحبه اكتمالٌ فى الأنوثة والجمال ، فيترتب على ذلك أن تعشق المرأة نفسها (فحسب) عشقاً يقرب فى شدته من عشق الرجل لها . ولهذا نجد أن المرأة لا تريد أن تحب ، بل أن تكون محبوبة ، فإنها بطبيعتها لا تريد أن تكون طالبة ، بل أن تكون مطلوبة . وإذا تهيأ للمرأة حظ كبير من هذا « التعشق الذاتى » فإنها تكون جذابة إلى أبعد حد ، لأن التعشق الذاتى من شأنه أن يجتذب انتباه أولئك الذين تخلوا عن جزء من عشقهم الذاتى ، وراحوا يلتمسون « موضوعاً » آخر لعشقهم object-love والسر فى هذه الجاذبية ، يرجع إلى أن المرأة « النرجسية »

---

(١) ارجع إلى كتاب كنث ولكر Kenneth Walker « فسيولوجية الجنس » The Physiology of Sex الفصل الثالث ص ٤٢

(٢) ارجع إلى الفصل الخامس من كتاب « إميل » Émile لجان جاك روسو .

(٣) ارجع إلى البحث الذى كتبه فرويد بعنوان On Narcissism, an Introduction

narcissistic woman[1] تكون فى العادة جميلة الخلقة (لأن فرط الجمال هو الذى يدفع إلى التعشق الذاتى)، فضلا عن أن اكتفاءها بذاتها من شأنه أن يحيطها بهالة سحرية من الغموض المستحب الذى يزيد الرجل ولوعاً بها! ولكن هذا لا يمنع من أن تكون هناك طائفة أخرى من النساء، يتخذ الحب عندها شكله المعروف لدى الرجال، فتنزع المرأة إلى البحث عن هدف من الجنس الآخر تجعله موضوعاً لحبها؛ ويكون هذا النزوع مصحوباً بتقدير مبالغ فيه للناحية الجنسية

ويجب أن نلاحظ أن الحاجة الجنسية لدى المرأة تختلف عنها لدى الرجل، فإن اللذة الجنسية عندها ليست غاية فى ذاتها كما هي عند الرجل - وإنما هى مجرد وسيلة لغاية أخرى تفوقها، وهي الأمومة: maternity فغريزة الأمومة عند الأنثى أقوى بكثير من الغريزة الجنسية، كما تدلنا على ذلك التجارب التى أجريت على فصائل الحيوان. وإذا كانت المرأة - كما يقول مارانيون Maranon - تشعر بميل إلى الحياة الجنسية، فما ذلك إلا لكي تتخذ من الرجل وسيلة تحقق بها غاية الأمومة التى هى عندها كل شيء. ففى أبعد أغوار نفس المرأة، تكمن الرغبة فى الأمومة. وهذه الرغبة القوية هى التى تصبغ بصبغتها كل حياة المرأة. أما اللذة الجنسية فهى عند المرأة بمثابة عرض مصاحب يقترن بالشعور الذى تظهره نحو ذلك الرجل الذى اختارته لكى يكون أباً لأولادها. ومن أجل ذلك فانه إذا كان الرجل قد يطلب اللذة الجنسية للذة الجنسية نفسها فان المرأة لا يمكن أن تقنع بذلك مطلقاً، لأن كل ارتباط يتم بينها وبين الرجل، دون أن تستتبعه ولادة طفل، هو فى نظرها عديم الجدوى

ولما كان الحافز الجنسى عند المرأة أقل شدة منه عند الرجل فإن من اليسير على المرأة أن توجه ميلها الجنسى توجيهاً آخر. وبفضل هذه المقدرة، تستطيع المرأة أن تضمن لنفسها العفة بجهد أيسر من الجهد الذى يحتاج إليه الرجل. فهى تستطيع بسهولة أن تجد منفذاً لحاجتها الجنسية، وذلك بالاشتراك فى أعمال البر أو القيام ببعض المشروعات الاجتماعية أو باتخاذ بعض الأبناء الخ ولعل من دلائل ضعف الحافز الجنسى لدى المرأة بالنسبة إلى الرجل، أن فى استطاعة المرأة بسهولة أن تصادق امرأة أخرى صداقة متينة حارة؛ وهذه الصداقة تصطبغ فى بعض الأحيان بصبغة حب الجنس للجنس homosexaulity فتكون مظهراً لإرضاء الحاجة الجنسية عن طريق آخر، حين لا تساعد الظروف على إيجاد المنفذ الطبيعى لهذه الحاجة

ومن ناحية أخرى فان وظيفة الأمومة قد اقتضت أن تتصف المرأة ببعض الصفات الثانوية الأخرى التى تهيء لها القيام بالمهمة المعدة لها: فالمرأة أكثر حساسية من الرجل، وأسرع استجابة للمؤثرات الوجدانية. وهى تنظر إلى الحياة من خلال عواطفها ووجداناتها، وكثيراً ما تهتدى عن طريق شعورها إلى حقائق لا يستطيع الرجل أن يهتدى إليها بعقله. وإذا كانت المرأة لا تستطيع أن تلحق بالرجل فى ميدان التجريد العقلى فان هذا لا يمكن أن يكون دليلاً على عجز أو قصور، لأن العقل إذا كان يعين الرجل أحياناً على أن يحكم حكماً صحيحاً، فإنه أيضاً كثيراً ما يجنح به عن جادة الصواب. وليس من شك فى أن المرأة إذا وضعت فى موضع القضاء، فإنها لن تصدر أحكامها، إلا وفقاً لما يمليه عليها قلبها وشعورها، ولكن «هل يمكن أن تكون هناك طريقة فى الحكم خير من تلك التى نحكم فيها على أفعال الآخرين، بمقتضى العقل المقترن بالعاطفة»؟[1]

(الحديث بقية) زكريا ابراهيم

---

(١) هذه التسمية هى فى الأصل نسبة إلى «نرجس Narcisse» الذى كان مولعاً بشكله الجميل «كما تقول الأساطير» فكان يديم النظر إلى صورته وقد انعكست على صفحة غدير رائق صاف. وقد عاقبته الآلهة بأن حولته إلى الزهرة المعروفة الآن باسمه، وهى زهرة النرجس!

(١) هذه العبارة لمرانيون Maranon صاحب كتاب «تطور الجنس Evolution of Sex»، وهو من أحسن الكتب التى وضعت فى مسألة الجنس وعبارته المذكورة يقصد بها - كما هو واضح - أن المرأة بحكم كونها إنساناً تتصف بالعقل، وبحكم كونها امرأة تتصف بالعاطفة فهل يمكن أن يكون ثمة حكم أفضل من حكم جمع بين العقل والعاطفة؟

القضايا الكبرى في الإسلام

قضايا ابن تيمية

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٩ —

أخذ الجمود في العلم يخيم على العقول منذ أقفل باب الاجتهاد، وأخذ الحجر على العلماء يتسع قرناً بعد قرن، حتى استحكمت حلقات الجمود في القرن السابع الهجرى، فحرم الأخذ في الأصول بغير مذهب الأشعرى، وفي الفروع بغير مذاهب الأئمة الأربعة، ومنع الناس من النظر في الفلسفة وعلومها، وبهذا وقف المسلمون عن النهوض في ميدان التنافس بين الأمم، فتأخروا وسبق غيرهم، وصاروا إلى ما نشاهده الآن، مما لا يعلم عاقبته إلا الله تعالى

وبينما كان أهل ذلك القرن يغطون في نومهم، ظهر بينهم ابن تيمية يحطم بعض تلك القيود، ويدعو إلى فتح باب الاجتهاد، ويحاول الخروج في الأصول على مذهب الأشعرى، وفي الفروع على مذاهب الأئمة الأربعة، ويحارب بدعة التصوف التي لعبت بعقول العامة، وجعلت دينهم ضلالات وخرافات

وهذا الإمام المصلح هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن القاسم بن تيمية، ولد سنة ٦٦١هـ بمدينة حرّان، وأخذ على علماء عصره، وأكثر من المطالعة والقراءة، حتى فاق الأقران، وصار عجباً في سرعة الاستحضار وقوة الجنان، والتوسع في المنقول والمعقول، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف

وقد دعا في الأصول إلى الأخذ بمذهب السلف من الوقوف عند ظاهر النصوص، وترك التأويل الذي يلجأ إليه الأشعرى وغيره، وقد جره هذا إلى القول بأن الله في السماء، أخذا بظاهر قوله تعالى في الآية - ١٦ - من سورة الملك: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) ثم أخذ يدعو إلى منع ما شاع في عصره من التوسل في قضاء الحاجات بغير الله تعالى من الأنبياء والأولياء، ويفتى في الفقه بما قام الدليل عليه عنده، ولو لم يكن موافقاً لما قال به الأئمة الأربعة، ومن ذلك فتواه بأن الطلاق الثلاث من غير تخلل رجعة بمنزلة طلقة واحدة

فقامت عليه بذلك قيامة العلماء والفقهاء والمتصوفة، وشكوه إلى السلطان المرة بعد المرة، وكانت أولى شكواهم في شهر ربيع الأول سنة ٦٩٨هـ فبحث في شكواهم، وحكم بمنعه من الكلام فيما شكوا منه، ثم شكوه ثانياً إلى السلطان في سنة ٧٠٥هـ فورد مرسوم من السلطان إلى نائب دمشق بامتحانه فيما يعتقده، فعقد له مجلس في (٧ من رجب سنة ٧٠٥) سئل فيه عن عقيدته، فأملى عليهم منها، ثم أحضروا عقيدته التي تسمى الواسطية، فبحثوا في مواضع منها، ثم اجتمعوا في (١٢ من رجب سنة ٧٠٥) وندبوا الصفي الهندي ليناقشه، ثم أخروه وقدموا الكمال الزملكاني، وقد انتهى الأمر في هذا التحقيق بإشهاده على نفسه أنه شافعي المعتقد

وكان لابن تيمية أشياع وأتباع، فأشاعوا أنه انتصر على خصومه، فغضبوا وقدموا شخصاً من أتباعه إلى الجلال القزويني نائب الحكم بالعادلية، فحكم بتعزيره؛ وكذلك فعل الحنفي باثنين منهم، فقامت فتنة كبيرة بين الشافعية وغيرهم في دمشق، وقد اعتزل فيها القاضي ابن صصرى الشافعي القضاء، احتجاجاً على ما أصاب الشافعية من الأذى

فطلب القاضي ابن صصرى وابن تيمية إلى القاهرة، وكان أمراؤها قد انقسموا في أمره، فقام الأمير بيبرس الجاشنكير والقاضي المالكي بالإنكار عليه وعلى أتباعه من الحنابلة، وقد اشتد الأمر عليهم حتى صفع بعضهم، وانتصر له الأمير سلار، فلما وصلا إلى القاهرة قدم ابن تيمية في (١٢ من شهر رمضان سنة ٧٠٥) إلى القاضي المالكي لينظر في دعوى خصومه عليه، فقال ابن تيمية: هذا عدوى. ولم يجب عن الدعوى، وقد كرر عليه السؤال فأصر على الامتناع عن الجواب، فأقامه القاضي من المجلس، ثم حكم بحبسه فحبس في برج، وكان الناس يترددون عليه فيه، فلما بلغ القاضي ذلك قال: يجب التضييق

عليه إن لم يقتل ، وإلا فقد ثبت كفره . فنقلوه ليلة عيد الفطر إلى الجب

ثم أرسل مرسوم إلى دمشق فقرئ في الجامع على أهلها ، ونودى في شوارعها بأن من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله ، وجمع الحنابلة من الصالحية وغيرها فأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعي ، وكان قاضي الحنابلة ضعيفاً ليست له مكانة في العلم ، فبادر إلى إجابتهم في ذلك المعتقد ، وقد استكتبوه فكتب لهم بذلك

وكان قاضي الحنفية شمس الدين بن الجريرى ، وهو عالم شجاع لا ترهبه قوة السلطان ، ولا يخشى في الحق لومة لائم ، فانتصر لابن تيمية على خصومه ، وكتب محضراً أثنى عليه فيه بالعلم والفهم ، وذكر أن الناس لم يروا مثله منذ ثلثمائة سنة ، وكان جزاؤه على هذه الجرأة العزل من القضاء

وقد سعى الأمير سلار في تخليص ابن تيمية من الحبس ، وأحضر القاضي الشافعي والمالكي والحنفي وكلمهم في إخراجه ، فأجابوه إلى ذلك بشرط أن يرجع عما أخذ عليه في الدعوى ، وقد أرسلوا إليه مرة بعد مرة فامتنع من الحضور إليهم ، وآثر الحبس في الجب على أن يرجع عن عقيدته ، ولم يزل في ذلك الجب إلى أن شفع له أمير آل فضل ، فأخرج من الحبس في الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول ، وأحضر إلى القلعة وعقد لمباحثته مجلس من الفقهاء ، ثم كتب محضر بأنه قال : أنا أشعرى

ولكنه لم يكد يخلص من أولئك الفقهاء حتى قامت عليه قيامة المتصوفة ، وكان زعيمهم في الثورة عليه ابن عطاء صاحب الحكم المشهورة ، فذهبوا إلى القلعة في العشر الوسطى من شوال وادعوا على ابن تيمية أنه يطعن في شيوخ الطريقة ، وأنه أنكر الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فأمر بتسييره إلى الشام على خيل البريد ، وكان القاضي المالكي قد اشتغل عنه بمرض أشرف منه على الموت ، ولكنه لم يكد يعلم بمسيره إلى الشام حتى أرسل إلى النائب فرده من نابلس ، وأقيمت عليه دعوى عند القاضي ابن جماعة ، وشهد عليه شرف الدين ابن الصابونى ، فحكم عليه ثانياً بالسجن في حارة الديلمة ، وقد نقل إلى القاضي أن جماعة من أتباعه يترددون عليه ، وأنه يكلمهم فيما أنكر عليه مما تقدم ، فأمر بنقله إلى الإسكندرية ، وقد حبس هناك في برج شرقي ، وكان موضعه فسيحاً ، فقصده أصحابه هناك ، وصاروا يدخلون إليه للقراءة عليه ، وبحث ما يحتاجون إليه من المسائل ، ولم يزل محبوساً إلى أن عاد الناصر إلي السلطنة ، فشفع فيه عنده ، فقبل الشفاعة فيه وأمر بإحضاره من الحبس ، وكان حضوره إليه في (١٨ من شوال سنة ٧٠٩) فأكرمه وجمع القضاة وأصلح بينه وبين القاضي المالكي ، وقد اشترط هذا القاضي في صلحه ألا يعود إلى ما أخذ عليه من الأقوال ، فقال له الناصر : قد تاب

وقد ثار خصومه عليه بعد ذلك في شهر رمضان سنة ٧١٩هـ ، لأنه أفتى بأن الطلاق الثلاث من غير تخلل رجعة بمنزلة طلقة واحدة ، ولم يهدأوا حتى عقد له مجلس في رجب سنة ٧٢٠هـ ، فحكم عليه بالحبس في قلعة دمشق ، وقد مكث فيها إلى أن أخرج منها في ١٠ من المحرم سنة ٧٢١هـ

ثم ثاروا عليه في شعبان سنة ٧٢٢هـ ، لأنه أفتى بمنع زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعيد اعتقاله بتلك القلعة ، ولم يزل بها إلى أن مات في ٢٠ من شهر ذى القعدة سنة ٧٣٨هـ ، وكان يوماً مشهوداً ، حتى ضرب المثل بكثرة من حضر جنازته ، وأقل ما قيل في عددهم خمسون ألفاً

وهذه القضايا الخطيرة تمثل لنا أروع معركة علمية قامت في الإسلام بعد إقفال باب الاجتهاد ، وتبين لنا كيف أقفل هذا الباب بالقهر والعسف ، وأنه لم يقفل بالدليل والإقناع ، ولا لمصلحة عامة أو خاصة اقتضت حظره على العلماء

وكم كان ابن تيمية موفقاً في محاولته فتح باب الاجتهاد في الفروع ، وإيثاره فيها الدليل من الكتاب والسنة على أقوال الأئمة المعروفين ، وكم كان موفقاً أيضاً في حملته على أولئك المتصوفة الذين حشوا أدمغة المسلمين كثيراً من الجهالات والخرافات ، ومما أنشد له في ذلك على ألسنة فقرائهم :

امتحان الأستاذية الأزهرية

بعد أربعة أعوام

للأستاذ زكى الدين إبراهيم بدوى

منذ نيف وثلاث سنوات حضرت امتحانات العام الدراسى الأول لدرجة « الأستاذية » الأزهرية ، وأبديت على صفحات الرسالة الغراء[١] عدة ملاحظات عنّت لى بشأن المحاضرات والرسائل التى اشتملت عليها تلك الامتحانات . ولما كنت قد قضيت معظم المدة المنصرمة بعيداً عن البلاد فى مهمة تعليمية بالعراق عدت منها أخيراً ، فقد بدا لى أن أحضر بعض امتحانات هذا العام لأقف على مدى تطور هذه الدراسة الجديدة فى الأزهر بعد ما سلخت امتحاناتها أربعة أعوام

ويسرنى أن أبدأ اليوم ملاحظاتى بتسجيل بعض خطوات التقدم فى النواحى التى كنت قد تناولتها بالنقد فى كلمتى الأولى .

فن ناحية الشكل أخذت إدارة الكليات الأزهرية بطرف من النظم الحديثة المتبعة فى مناقشات الرسائل ، فأعدت مدرجات خاصة لهذه المناقشات بعد ما كانت تجرى فى غرف ذات مقاعد منبسطة . وأصبح النظام الحاضر يقضى بأن يقدم للمناقشات بعرض موجز يلم فيه صاحب الرسالة بعناصر البحث الذى تشتمل عليه رسالته . فيتيح بذلك لجمهور المستمعين من الطلاب وغيرهم متابعة هذه المناقشات والإفادة منها . كذلك أخذ معظم حضرات أعضاء اللجان بالتقليد الجامعى الجميل ، الذى يقضى بأن يبدأوا ملاحظاتهم على الرسائل بالتنويه بما يستحق التنويه من مواطن الإجادة فيها مما ينطوى على تشجيع نافع لأصحابها ، ومكافأة أدبية لهم على ما بذلوا من جهد ، وحفز لهم غيرهم

ومن ناحية الموضوع لمست تقدماً محسوساً لمستوى الطلاب العلمى تجلى فى عرض الرسائل والمناقشات التى دارت حولها مما يدل على ارتقاء وسائل هذه الدراسات فى فروعها المختلفة

على أننى حين أبادر إلى تسجيل بوادر التقدم الآنفة الذكر مقدراً للمشرفين على هذا النوع من الدراسة جهودهم التى أبلغته هذا المبلغ من النهوض على حداثة عهد الأزهر به — لا يسعنى

(١) العدد ٣٩٩ الصادر فى ٢٤-٢-١٩٤١

والله ما فقرنا اختيارُ وإنما فقرنا اضطرارُ

جماعة كلنا كسالى وأكلنا ما له عيار

تسمع منا إذا اجتمعنا حقيقة كلها فشار

ولكنه لم يكن موفقاً فى حجره على العقول فى الأصول ، والحكم عليها بالوقوف عند ظواهر النصوص ، وموقفه فى هذا غير منسجم مع موقفه الأول ، وقد وقع بهذا فيما وقع فيه خصومه من الحجر على حرية الرأى ، وحصر الدين فى حدود ضيقة يشتد فيها الحرج على العقول ، ولا تتسع للاجتهاد الذى لا شطط فيه ولا انحراف ، ولقد كان خصومه منطقيين فى جمودهم على كل ما ألفوه ، وتحريمهم فى الفروع مخالفة الأئمة الأربعة ، وفى الأصول مخالفة الإمام الأشعرى ، ولم يكن هو منطقياً فى تسويغه مخالفة تلك الأئمة بالاجتهاد فى الفروع ، وعدم تسويغه مخالفة السلف فيما يقبل الاجتهاد من الأصول ، فهو بهذا قد فر من جمودٍ إلى جمود

واضطرابه فى ذلك هو الذى لم يجعل منه المصلح السمح الذى يعلو على ما كان يقع فيه خصومه من المجازفة بالتكفير ، وجعله يجازف بالتكفير مثلهم ، ويشتط فى الإنكار على الأشعرى وغيره ممن حاول فى الدين الجمع بين العقل والنقل ، وأخذ فى ذلك بالاجتهاد فى الأصول ، ولم يجمد كما جمد ابن تيمية وغيره على ظواهر النصوص ، والإسلام من المرونة بحيث يعلو على ذلك التضييق ، وهو الذى أتى برفع الحرج فى الدين ، ولم يقف من العقل موقف المنابذ المخاصم ، بل وقف منه موقف المصالح المسالم

ولو أن ابن تيمية لم يقع فى ذلك الاضطراب لكان منه المصلح الذى يتطلبه المسلمون فى ذلك العصر ، ولأمكنه أن يجمع كلمتهم على الإصلاح اللازم لهم ، وهو إصلاح لا يقف عند الحدود الضيقة التى وقف هو عندها ، بل يتناول الإصلاح فى الدين ، والإصلاح فى العلم ، والإصلاح فى الحكم ، وما إلى هذا من أمور الدنيا والآخرة

عبد المتعال الصعيدى

مع ذلك أن أغفل التنبيه إلى ما لا يزال بارزاً من مواطن القصور والتقصير

فأول ما يسترعى الانتباه من ذلك أن هذه الدراسات تعوزها الطريقة الحديثة للبحث والعرض والتصنيف . فالرسائل وإن كانت قد تزحزحت قليلاً عن طرائق الأزهر التقليدية التى كانت تضفى على الآراء والمذاهب القديمة هالة من التقديس تجعلها بمنجاة من سهام المناقشة الطليقة والنقد الحر — إلا أنها مازالت فى مجموعها محدودة بحدود التجميع والتنظيم للأبواب العامة فى مختلف العلوم ، ولا تخرج عن هذا النطاق إلا خروجاً جزئياً بأبحاث عابرة متفرقة يقع عليها قارىء هذه الرسائل فى غضون صفحاتها دون أن يحس بوحدة فكرية تربط بين عناصرها وتوجهها وجهة معينة مما يبرز فيه أثر المجهود الشخصى الذى هو طابع التصنيف الحديث . يضاف إلى ذلك أنه حتى فى نطاق التجميع والتنظيم لا يبدو فى الرسائل والمحاضرات الحالية — فيما عدا القليل منها — أثر المجهود الشخصى فى التجديد والابتكار فى العرض

والأصل الذى تقضى به الطريقة الحديثة المتبعة فى مثيلات هذه الرسائل والمحاضرات أن يتناول كل منها بالبحث نقطة معينة - لا باباً من الأبواب العامة - يدرسها الباحث دراسة مستفيضة من جميع نواحيها وما يحيط بها من ملابسات ، ثم يعمل فكره ورأيه الخاص فى ذلك كله ، حتى يخرج بفكرة عامة تنتظم عناصر البحث وتقرر له كياناً مستقلا يشهد عرضه لصاحبه بالبداء والابتكار ، فيضيف بذلك جديدا إلى الموضوع الذى يعالجه ، ومن شأن ذلك أن يثبت مقدرته على الاضطلاع فى مستقبل حياته العلمية بإضافات جديدة من هذا القبيل يسهم بها فى تقدم العلم والفن إن هو وفق إلى ابتكار آراء أو نظريات جديدة ، أو يساعد على ذلك — على الأقل — إن وقف به جهده عند حد التجديد فى العرض والتأليف المستساغ بين عناصر من الأبحاث جديرة بأن يبذل الجهد فى تنظيمها تنظيماً علمياً جديداً وجمع شتاتها على هذا النحو . وهذا هو الهدف الأول للأبحاث والدراسات الأكاديمية المختلفة

كذلك يسترعي الانتباه فى رسائل الأستاذية أن أصحابها لا يراعون فيها الطرائق الحديثة فى التبويب والتقسيم والفهارس ، فما زال بعضهم يجرى على الطرائق القديمة فى ذلك متبعاً التقسيم التقليدى إلى أبواب عديدة وفصول ، ومقتصراً على فهرس واحد فى آخر الرسالة . وقليل منهم يحاول محاكاة الطريقة الحديثة فى التبويب والتقسيم ، لكنه يسير فى ذلك على غير هدى لعدم وقوفه على أصول هذه الطريقة ، فيبدو تقسيماً غير منطقى يقدم فيه ما حقه التأخير ويؤخر ما حقه التقديم وتوضع بعض عناصر البحث فى غير المكان المناسب من أقسامه مما يشيع فيه الفوضى والاضطراب والتكرار أحياناً ، فيشوه العرض ويعوق الإفادة منه ويصد عنها

والطرائق الحديثة فى التبويب والتقسيم تقضى بالبدء بوضع خطة dlan للبحث تقررها وحدته وكيانه المستقل بعد اتضاحه فى ذهن الباحث ، ويراعى فيها التأليف بين عناصره المتشاكلة لدرجها تحت أقسام رئيسية قليلة العدد ، ثم يتدرج من ذلك إلى تبويب كل من هذه الأقسام ، ثم إلى تفصيل الأبواب ، فالتمييز بين المباحث المختلفة فيها ، وتفريع كل من هذه المباحث إلى فروع ، والتمييز بين النقط التى يشتمل عليها كل فرع وهكذا بحسب تشعب موضوعات البحث حتى يعرض فى ثوب قشيب نسج على أساس منطقى متماسك البنيان متسق الحلقات يروق القارئ ويساعده على الإحاطة بأطرافه والوقوف على الفكرة أو الفكر الرئيسية التى يقصد الباحث إلى إبرازها . أما الفهارس فى المصنفات الحديثة ، فيراعى فيها التعدد بحيث تشتمل على ثبت للموضوعات بحسب ترتيب ورودها فى البحث ، وآخر لها بحسب ترتيبها الأبجدى ، وثالث المراجع ، ورابع للأعلام ، وخامس لأسماء البلدان وهكذا بحسب ما يشتمل عليه البحث ويتطلبه تيسير المراجعة

ولاتباع الطرائق الحديثة أهمية خاصة فى موضوعات الدراسات الأزهرية التى تعتمد على مراجع عتيقة كتبت بأساليب القرون الخالية ، ومن حق الناس على الأزهريين أن ينتظروا منهم — على الأقل — إفراغ هذه الموضوعات فى قوالب جديدة تناسب عقلية الجيل الحاضر وتتفق وطرائق تفكيره

ولكن من ذا عساه أن يوجه شباب الأزهر التوجيه الذى يهيئهم لأداء هذه الرسالة ؟ إن الطلاب لا يستطيعون الاهتداء بأنفسهم إلى طرائق البحث والعرض الحديثة ، ولا مندوحة لهم

من الاعتماد على أساتذتهم فى الأخذ بأيديهم فى هذا السبيل . وهنا نواجه من جديد مشكلة الأزهر المتيدة بل مشكلة الإصلاح العامة حيثما بدت الحاجة إلى الإصلاح فى معاهد التعليم ، وأعنى بها مشكلة المدرس أو الأستاذ . وقد حاول الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي فى مشيخته الأولى علاج هذه الناحية بندب عدد كبير من أساتذة الجامعة للتدريس فى الأزهر ، وإيفاد بعوث أزهرية إلى الخارج عاد أكثر أفرادها إلى مصر بعد انتهاء دراستهم وانتظموا فى سلك أساتذة الأزهر . لكن عدد هؤلاء من القلة بحيث لا يفى بإحداث هذا التغيير الجوهرى فى طرائق التعليم ، وقد وقفت ظروف الحرب الحاضرة إيفاد البعثات للخارج ، كما فتر حماس الأزهر للاستعانة بأساتذة الجامعة الذين كان فى مقدورهم حقاً المساهمة فى التوجيه الدراسى المنشود ، ويؤسفنى أن أقرر أن معظم من بقى به للآن من الأساتذة غير الأزهريين هم من تلاميذ المدرسة القديمة الذين لا يختلفون كثيراً عن جمهرة شيوخ الأزهر الحاليين من حيث الصلاحية للتوجيه الأكاديمى

وإذا كان لى بمناسبة ما أبديته من الملاحظات المتقدمة على دراسات « الأستاذية » الأزهرية أن أنبه إلى ما أعتقده كفيلاً بالإصلاح الممكن فى الظروف الحاضرة ، فإننى أتوجه إلى المسئولين فى الأزهر والغيورين على نهضته بالمقترحين التاليين :

١ — العودة إلى الاستعانة — فى نطاق واسع — بكبار الأساتذة الذين إليهم يرجع الفضل فى توجيه سياسة التعليم الجامعى فى مصر إلى الوضع الذى استقرت عليه الآن ، وبخاصة من جمعوا فى ثقافاتهم بين الدراسات الأزهرية وغيرها ، سواء منهم من بقوا فى الجامعة حتى الآن ومن خرجوا منها ، دون ما نظر إلى الاعتبارات الأجنبية عن التعليم والتى وقفت حتى الآن عقبة فى سبيل الاستعانة بهؤلاء الأفاضل الذين يستطيعون وحدهم الأضطلاع بوضع حجر الأساس للتطور المنشود

٢ — الاستعاضة مؤقتاً عن البعثات الأزهرية الخارجية غير الميسورة الآن ببعثات داخلية توفد إلى كليتى الآداب والحقوق بجامعتى فؤاد وفاروق ، ولهذا سابقة حاولها الأستاذ المصلح الكبير السنهورى بك لترقية تدريس الشريعة فى كلية الحقوق بجامعة فؤاد فى عهد عمادته لهذه الكلية ، وكانت فكرة جليلة لم تمهله الظروف السياسية — مع الأسف — حتى يستطيع تنفيذها ، فلا مانع الآن من الأخذ بها فى نطاق واسع لصالح الأزهر وثقافته

وقبل أن أختتم هذه الكلمة أوجه النظر إلى ما سبق أن نبهت إليه فى كلمتى الأولى من وجوب قيام الأزهر بطبع الممتاز من رسائل الأستاذية على نفقته مع الأخذ بنظام تبادل الرسائل مع الجامعات الأخرى ، لأن فى ذلك شحذاً للهمم ، وإذاعة لمجهودات الأزهريين ، وتقريباً نافعاً بين ثقافتهم وأنواع الثقافات الأخرى .

ابراهيم زكى الدين بدوى
المتخرج فى الأزهر وكليتى
حقوق باريز والقاهرة

طاقة زهـــر

EIN ROSENSTRAUSS

[مهداة إلى البارونة الشاعرة جويتس برليشنجن
E. Goetz. V. Berlichingin]

للأستاذ علي محمود طه

زهراتكِ الحُمْرُ التي أسْلَمْتِها
بيدى مودِّعةٍ عينَ مُودِّعِ
لمَّا وصلتُ إلى المصيف حملتُها
كالطفل نام على ذراع المرضعِ
أمشى بهـــا فوق الرِّمال كأننى
أمشى بطيف فى الظـــلام مُقَنَّعِ
مضمومةَ الورقاتِ طيَّ غِـــلالة
وُسِمَتْ بطابَعِ ذوقكِ المترفّعِ
محجـــوبةً كأمـــيرةٍ شرقيةٍ
فى هودجٍ أســـتاره لم تُرفَعِ
حتى إذا آويتُهـا بعـــد السُّرى
وخلَعْتُ عنها لِبســـةَ المتمنّع
هشَّتْ لآنيتى وأشرق لونُهـــا
وتردّدتْ أنفاسُهـــا فى مضجعى
ومضتْ تُخالسنى حَييّ لحاظها
لا تشتكى مهراً وفرط تَطَلُّعِ
هيَ أنتِ ، أحلامٌ تغازلُ ناظرى
وتصبُّ حُلوَ حديثهـــا فى مِسمعى
هيَ أنتِ ، أطيافٌ تعانقُ مهجتى
وتفِرُّ حين تُحِسُّ حُرقَةَ أضلعى
أمستْ تُعابثنى وملءُ شفاهها
من مُغرياتك بسمةٌ لتولُّعى
ومكَرْتِ مكركِ يا حبيبةُ وانقضى
ليلى ، وأنتِ لدىَّ ساهرةٌ معى
أرْسَلْتِها عيناً علىَّ رقيبـــةً
تأتيـــكِ بالخبرِ العجيب الممتع
تُحصي حراكىَ إنْ مشيتُ لشرفتى
وتَعُدُّ خطوى إنْ رجعتُ لموضعى
شهِدَتْ بأنِّىَ مُذْ تركتكِ حائرٌ
متفرِّدٌ بصبابتى فى مخـــدعى !!

من شعر الأطفال

للأستاذ علي متولي صلاح

١ — العـام الجديد

مرحباً أهـلاً بأيام العمـلْ مرحباً بالجدِّ من بعد الكسـلْ
مرحباً مدرستى : ألفُ تحيّـه لكِ منى كلَّ صبح وعشيّهْ
باجتهادٍ نبدأُ العام الجديدا فليكنْ يا ربَّنا عاماً سعيدا
وليكنْ فى مصرَ إقبالاً وسعْدا
ولْتزدْ بين الورى عزاً ومجْدا
نحنُ ما عشنا فداءٌ لحماها نبذل الأنفس منّا فى رضاها

٢ — صديق الطيور

الطـــيرُ كم أُكرمُـهُ الطيرُ كم أُرْضيـهِ
أنا الذى أُطعمـــهُ أنا الذى أســـقيهِ
***
الطـير لا أُعـــذّبهْ كلا . ولا أحبسُـهُ
بـــلْ دائماً ألاعبُهُ ودائمـــاً أحْرُسُهُ
***
عصفورنى صـــديقى تخُصُّنى بحُبّهـــا
قد زينتْ حـــديقتى بصـــوتها ولعبهـــا



إليك أعتذر يا صديقي

كتب الأخ العزيز الأستاذ دريني خشبة كلمة في الرسالة يدعوني فيها للمرة الثالثة إلى شرح نظرية وحدة الوجود . والحق أني وعدت ثم أخلفت ، وما كان يجوز أن أخلف الميعاد ، ولكن الذي منعني حق الوفاء هو عرفاني بأن لمجلة « الرسالة » قراء من جميع الطبقات في جميع البلاد العربية والإسلامية ، وبهذا يكون في شرح نظرية وحدة الوجود بلبلة فكرية لا أحب أن يكون لها في هذا الوقت مجال

وأنا أتأدب بأدب الغزالي حين ألف كتاباً سماه « المضنون به على غير أهله » وهو كتاب ألفه للخواص وطواه عن جماهير الناس

ولأجل أن يدرك الأستاذ دريني خطر ما يدعوني إليه أقول إني أعتقد بأنه « ليس في الوجود فضاء ولا سكون ولا موت »

وهذا الحكم الذي صغته في كلمات يحتاج في شرحه إلى مجلدات ، ثم لا يصير مع ذلك من البديهيات ، لأنه من الدقة بمكان

وإذا كان الأخ قد عجب من أن أترك الإسلام على جانب حين أفكر في الأمور الفلسفية ، فليس معنى ذلك أني أرى في الإسلام جوانب واهية كما قال ، ولكن معناه أني لا أحب أن أحشر الإسلام في مضايق نهانا عن الخوض فيها رسول الإسلام

والأخ يعجب من أن أوثر السلامة وأتخوف من ظلم الناس ، ويصرح بأن المفكرين في العصور الخوالي قد تعرضوا للظلم والقتل ، وفي هذا قال الأستاذ عبد المنعم خلاف كلاماً جاء فيه أن المفكرين في هذا العصر لا يريدون أن يتحملوا في سبيل مبادئهم أي إيذاء ، مع أن أسلافهم كانوا يرحبون بالنفي والتشريد والقتل

والجواب حاضر : وهو أني لا أرى لجماهير المسلمين مصلحة في أن يؤمنوا بنظرية وحدة الوجود ، ولو كنت أرى لهم مصلحة في الإيمان بهذه النظرية لعرضتها في كل مكان ، وتعرضت من أجلها للنفي والتشريد والقتل

وتقول إني في كتاب التصوف الإسلامي أيدت هذه النظرية في صفحات ، ثم نقضتها في صفحات ، وأقول إن البحث العلمي الذي ارتضيته لنفسي يوجب أن أدرس كل نظرية من جميع الجوانب ، مع التحرر من رأيي الخاص ، حرصاً على تثقيف قرائي

ثم أقول مرة ثانية إني أعتقد بأنه « ليس في الوجود فضاء ولا سكون ولا موت » فإن بدا لك أن تنقض هذه النظرية فافعل إن استطعت ، ولن تستطيع ، لأغير رأيي في نظرية وحدة الوجود ، ولأسألك عن المكان الذي يقيم به خالق الزمان والمكان

ثم أقول : N'éveille pas le chat qui dort

فإن فعلت فستحترق ، أنجاني الله وأنجاك من الاحتراق بنيران وحدة الوجود .

زكي مبارك

إلى الأستاذ نقولا الحداد

عرضت سؤال السيد على مراجع اللغة العربية — لا على مراجع الدين — فوجدت في مادة (لحد) ألحد بمعنى عَدَل وماري وجادل وترك القصد فيما أمر به وأشرك بالله . ووجدت في (الزنديق) أنه أحد الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان ، أو هو معرب زن دين أي دين المرأة ج زنادقة أو زناديق ، وقد تزندق والإسم الزندقة ، وعندنا نحن المسلمين أن الذي لا يؤمن بأن الله لا إله إلا هو ، وأن الله الذي أرسل موسى هو الذي أرسل عيسى وأرسل محمداً وأرسل الرسل أجمعين بعقيدة التوحيد التي لم تتغير فهو ملحد وزنديق — أما أهل واق الواق والأقزام السبعة فلهم دينهم ولنا دين . وكذلك الذين لا يؤمنون إلا بالمادة الذين يقولون بأن الروح والسمع والبصر والفكر إن هي إلا من التفاعلات الكيميائية . ليعتقدوا ما شاءوا . فإن سألوا مراجع اللغة العربية عما تسميهم به . فقد عرفنا بماذا تجيب . أما حرية الفكر فمصونة بحمد الله الذي نؤمن به إلا أن يقدح أحد في ديننا أو يسفه إيماننا أو يكذب قرآننا بحجة تلك الحرية المفتراة التي هي أسفل دركات الفوضى حينئذ

وتقبل يا سيدي الأستاذ الجليل أزكي تحياتي وأوفى احتراماتي

دريني

بين تيمور وذهني

لم أفاجأ برد الأستاذ صلاح ذهني في عدد الرسالة الماضي، ولكنني فوجئت بلهجة هذا الرد؛ فالحقائق يمكن أن تقال دون أن يحتاج قائلها حتماً إلى البذاءة!

وأكبر ما يأخذه علي في رده أنني تحدثت عن تيمور مع جماعة من كتاب القصة والرواية، ـ ولم أقصر الموازنة على كتاب الأقصوصة ـ فما قوله إذا كان «تيمور» نفسه هو الذي يضطر الناقد إلى هذا، لأنه لا يقصر محاولاته على الأقصوصة، فيحاول معها القصة والرواية؟ وإلا فما «نداء المجهول» وما «قنابل» وكيف يتحدث الناقد عمن يحاول هذه وتلك؟

أما حكاية أن ليس هناك «مدارس» فنية فلست أدرى إلى أي واد من الفوضى والسذاجة تقودنا فأدعها لأنها لا تستحق الحديث!

وقال: إنني نسيت توفيق الحكيم عند الكلام على «كفاح طيبة» مع أنه في «رواية» له اتجه إلى مصر القديمة و «الرواية» التي يعنيها هي قصة «عودة الروح» وهي تتناول عهد الثورة المصرية. فهل هذا هو ما يعنيه الأستاذ العلامة بأنه «مصر القديمة»؟. ثم يا هذا العالم باللافتات «اليفط» كيف تتحكم فتحتم تسمية «عودة الروح» و «كفاح طيبة» روايتين، ولا تسميهما قصتين؟! مع اعتزازك العريض بأنك تعرف اصطلاحين؟!

ثم ينكر أن يكون المازني كاتب قصة. فلماذا نسمى «ابراهيم الكاتب» أو «ابراهيم الثاني»؟ نسميهما مقالتين، لأن المازني كاتب مقالة فحسب؟!

وينكر أن يكون لتوفيق الحكيم قصة. فما عودة الروح، وما راقصة المعبد وما سواهما في عرف السيد صلاح؟!

ثم ماذا؟

ثم يلجأ إلى لهجته وهو يتكلم عن جهلي بالتاريخ. فلقد رجحت أن تكون مدة حكم الهكسوس حوالي خمسمائة عام لا مائتين كما ذكر الأستاذ نجيب محفوظ. فما رأيه في جهل رجل كجوستاف لوبون يقرر في كتابه (الحضارة المصرية) «أن حكم الهكسوس بقي نحو خمسة قرون» وأن الصراع بينهم وبين حكام طيبة قد ظل أكثر من مائة وخمسين عاماً؟ لعل مدة الصراع هي التي يجزم الأستاذ العلامة بأنها مدة حكم الهكسوس؟

أما أنني مخطئ في تعقيبي على قول الملك (سكنن رع):

«لم تكن العجلات من آلات الحرب لدى الرعاة فكيف يكون لجيشهم أضعاف ما لجيشنا منها» لأن الهكسوس إنما أخذوا العجلات عن أهل فلسطين... فلست أدرى كيف أرد على الأستاذ صلاح فيها. إنني في حاجة لأن أستعير لهجته!

آلهكسوس سبقوا المصريين في استخدام عجلات الحرب أم لا؟ أهم قد غلبوا بهذا السبق أم لا؟ هذا هو لب الموضوع. وتعقيبي في موضعه. أما تعقيب الأستاذ صلاح فله وصف آخر ليس الآن في قاموسي!

وأما أن أحمس مشتق من «الحماسة» بمعناها. فأنا في انتظار ما يثبته، ولا يكفي أن يقرره العالم العلامة السيد صلاح ليصبح يقيناً لا شك فيه!

وأما أن بلاد بنت هي الصومال فهو محق في هذا وأنا مخطئ!

والمسألة أهون من كل هذا التبجح العريض

***

ما الذي أثار الأستاذ صلاح إذن، وخرج به إلى تلك اللهجة البذيئة؟

أثاره أولاً: أن إشارتي إلى قصصه لم تكن مما يرضيه. فأنا إذن لا أصلح للنقد! ولكنني كنت أصلح ولا شك يوم كنت أجامله فأكتب عنه كلمة تشجيع. وكان على الأستاذ القصاص الكبير أن يعرف أنني شجعته في البدء منتظراً خطواته إلى الأمام. ولم يكن معقولاً أن تظل لغة التشجيع وهو يخرج كتابه الرابع فلا يبدو أن هناك خطوة وراء الخطوة الأولى، ولا يزيد على أن يظل مبتدئاً! حينئذ لم يكن بد من التنبيه الرفيق وقد فعلت، فأثار كل هذا الهياج

وأثاره ثانياً: أنني لم أرض تيمور. وهو يحس بينه وبين نفسه — وإن أنكر هذا كل الإنكار في أحاديثه — أنه ظل باهت لتيمور، وأن له خصائصه في «متحف الشمع» مع الفارق بين الأستاذ والتلميذ. فهو إنما يدافع عن نفسه حين

يتخفى وراء أستاذه. أما تنصله الشديد العنيف من هذه التلمذة، فشيء متروك لأخلاق هذا الجيل!

وبعد فإن إعزازى الشخصى البحت لصلاح هو الذى يدفعنى إلى أن أناقشه، وإلا فقد كنت أعرف يوم كتبت عن «تيمور» أن هناك صلاحاً وعشرة صلاحات أخرى، سيعدون أنفسهم «خونة» إذا لم يشتموا هذا الذى لا يتملق تيمور!!

سيد قطب

دعبل شاعر الهجاء

بمناسبة تشرفى بزيارة الوطن العزيز أخذت أطلع على بعض الكتب التى تتناول أخباره وحوادثه، وكان من بينها كتاب[1] للرحالة العربى «البكرى» خاص بوصف بلاد المغرب من كتابه المسمى «المسالك والممالك»، وقد لفت نظرى فى الصفحة السابعة ما ورد بخصوص شاعر الهجاء «دعبل»، حيث قال: (... ولما فتح عمرو برقة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين. وبزويلة قبر دعبل بن على الخزاعى الشاعر. قال بكر بن حماد:

الموت غادر دعبلا بزويلة   وبأرض برقة أحمد بن خصيب

فرجعت إلى بعض المصادر الأخرى أبحث عن ترجمة وافية لهذا الشاعر علّى أهتدى إلى الأسباب التى دفعت هذا الشاعر أن يترك بغداد ويذهب إلى زويلة فى جوف صحراء طرابلس. وكان من بين هذه المصادر معجم الأدباء لياقوت الحموى، طبعة دار المأمون؛ فوجدت له ترجمة فى الجزء الحادى عشر، ولكن صاحب هذا المعجم لم يتعرض لوفاة هذا الشاعر وأين دفن. أما كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان الذى نشره ديسلان، طبعة باريس سنة ١٣٣٨؛ فقد أورد له ترجمة صغيرة مكتفياً بذكر بعض الأمثلة من شعره، وقال فى صفحة ٢٦٠: (... وتوفى سنة ٢٤٦ هـ بالطيب، وهى بلدة بين واسط العراق وكور أهواز...). ثم تصفحت قاموس الأعلام للزركلى فوجدته يذكر فى صفحة ٢٠٩ من الجزء الأول أنه توفى ببلدة الطيب كما ينقل عن ابن خلكان.

فإلى أدباء مصر ومؤرخيها أسوق هذه النبذة راجياً التفضل بتحقيق هذه الأسباب على صفحات الرسالة الغراء حيث لها المكانة الأولى فى نفوسنا نحن الطرابلسيين، والأمل معقود بأن يتفضل مؤرخ مصر الكبير الأستاذ عبد الحميد العبادى بتناول هذا الموضوع.

مصطفى بعيو

مصراته — طرابلس الغرب

(1) El-Bakri : Description de L'afrique septentrionale. "Alger, de Slane."

الخوارزمى أيضاً

أخذ الأستاذ على محمد حسن المدرس بالأزهر على الأستاذ منصور جاب الله فى مقال نشرته الرسالة أنه لم يدقق فى بعض أحكامه الأدبية، ومن ذلك دعواه على القدامى بأنهم منحوا الخوارزمى لقب «الأديب» لأنه كان «راوية»، ونبه إلى أن الخوارزمى شاعر فحل وكاتب بليغ، وكذلك أخذ عليه جريه مع النقاد القائلين بهزيمة الخوارزمى فى المناظرة بينه وبين بديع الزمان الهمذانى

ولقد كنا ننتظر أمام هذه المآخذ أن يدافع الأستاذ منصور عن رأيه، وأن يحدثنا كيف أطلق على الخوارزمى «لقب الأديب» لروايته فحسب؟ ومن الذى أطلقه عليه؟... وأن ينتصر للبديع فى تلك المناظرة بأسباب وجيهة، ولكن الرسالة طلعت علينا بكلام للأستاذ منصور لا جدوى منه ولا محصول له، فقد وافق الأستاذ علياً على كل ما أخذه عليه، وزاد أنه يعرف المراجع التى استند إليها الأستاذ فى اعتراضاته «!» وأنه انساق إلى ذلك انسياقاً «!». وماذا يفيد القراء أن يعرفوا أن الأستاذ منصوراً اطلع على هذه المراجع، ولكنه انساق إلى ما انساق إليه انسياقاً؟. وهل أراد من ذلك أن ينفض من خصمه؟

نريد أن نقول للكاتب إن الأستاذ علياً قد نبه على ما نبه عليه منذ ست سنوات فى صيف سنة ١٩٣٩ حيث كان يكتب فى السياسة الأسبوعية ترجمة للبديع يستطيع أن يرجع إليها إن شاء؛ ونظن أن الأستاذ علياً لم يطلع على كتاب المستشرق، كما «نحسب» أن الأستاذ منصوراً لم يطلع عليه ولا سمع به، وإلا لانتفع منه؛ على أن الانتصار للخوارزمى رأى قديم لا فضل فيه للمستشرقين، وإن كنا لم نظفر بالأسباب التى ذكرها الأستاذ.

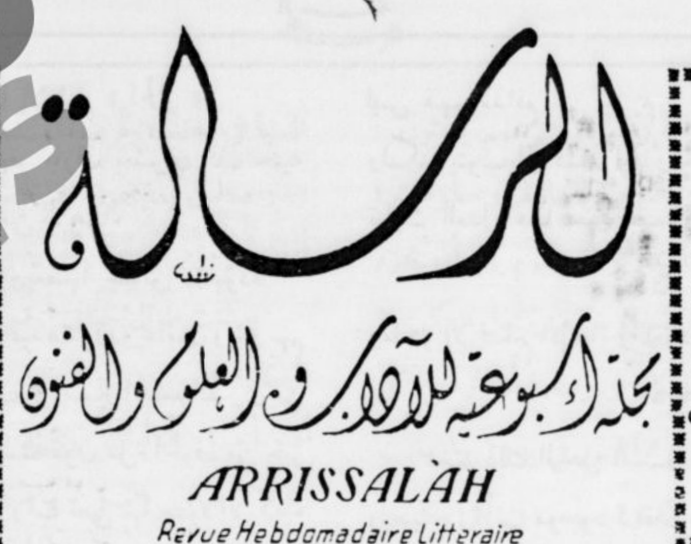
أحمد الشرباصى

كلية اللغة العربية



12 me Année No. 591 — Lundi - 30 - 10 - 1944





صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٩١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٣ ذو القعدة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

تبارك رزاق البرية

للأستاذ عباس محمود العقاد

ذهبت لرد الزيارة لضيف نابه من ضيوف مصر ينزل بفندق كبير من فنادق مصر الجديدة، وكانت الليلة ليلة الأحد والسهرة سهرة راقصة فى ساحة الفندق الكبير، فجرى ما لابد أن يجرى فى هذا المقام من حديث الحرب وملاهى الحرب وأغنياء الحرب وبذخ هؤلاء الأغنياء وحداثة نعمتهم فى البذل والعطاء، والروايات فى ذلك كثيرة تضيق بها صحائف الإحصاء.

منها أن بعض هؤلاء الأغنياء دخل الفندق ومعه زميلة يريد أن يراقصها فاتفقت نهاية العزف الموسيقى فى ساعة دخوله، فنادى بأعلى صوته على رئيس الفرقة « فوكس تروت . فوكس تروت »، واستجيب النداء فى الحال، لأن رئيس الفرقة على ما يظهر كان من عارفيه ومن طلاب عطاياه

فما هو إلا أن فرغ من رقصته التى لا يحسنها حتى دعا الخادم فأعطاه ورقة بعشرة جنيهات يوصلها إلى الرئيس المستجيب، وورقة بجنيه واحد مكافأة للخادم على مشقة التوصيل!

ومن تلك النوادر أن غنياً « حربياً » آخر أفرغ جيبه فى ميدان السباق من ورق لا يحصيه ولا يهتم بعده، تعويضاً لزميلة له عن خسارة زعمت أنها قد منيت بها فى بعض الأشواط،

وهذه الزميلة لا تذكره بين أترابها إلا باسم « الحمار »

ومن تلك النوادر أن غنياً آخر جازف بعشرين ألف جنيه لينافس بعض الكبراء على هوى من الأهواء

وكانت هذه الروايات — وبعضها حقائق مشهودة — تتوالى على أسماع بعض الغرباء عنها فيدهشون ويحنقون ويغلو بهم الدهش والحنق كما يغلو بهم الخوف على مصير المجتمع المصرى من هذه النوايات فى أيدى أناس لا يستحقون ملء الجوف من خبز الشعير ، وهم يخدمون شهواتهم بثروات تعيى بها جهود الأكفاء والأمناء . فرفع رجل من الحاضرين إصبعه إلى السماء : رجل من الحاضرين لا شك فى إسلامه وإيمانه بوجود الله ، ولكنه ذهل عن نفسه لما سمع من تلك المحرجات ، فصاح وهو ينظر إلى القبة الزرقاء : أأنت موجود ؟ أهذا عدل فى قسمة الأرزاق ؟

صيحة قديمة على ألسنة المحرجين فى أشباه هذه الأزمان ، قيل إن أبا العلاء صاحها ، فقال :

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل
وترزق مجنوناً وترزق أحمقا

فلا ذنب يا رب السماء على امرئ
رأى منك ما لا يشتهى فتزندقا

والبيتان معروفان ، ولكن الشك كل الشك فى نسبتهما إلى أبى العلاء ، ومما أشبه بكلام ابن الراوندى حيث يقول :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

وأشبه بكلام غيره ممن لا أذكره الآن حيث قال :

تبارك رزاق البرية كلها على ما قضاه لا على ما استحقت
فكم عاقل لا يستبيت وجاهل ترقت به أحواله وتعلت

وما من صيحة فى هذا المعنى هي أوجع من صيحة ابن الرومى فى قصيدته البائية التى يقول فيها :

أترانى دون الأولى بلغوا الآ مال من شرطة ومن كتاب
وتجار مثل البهائم فازوا بالمنى فى النفوس والأحباب
فيهم لكنة النبيط ولكن تحتها جاهلية الأعراب
أصبحوا يلعبون فى ظل دهر ظاهر السخف مثلهم لعاب
غير مغنين بالسيوف ولا الأقلا م فى موطن غناء ذباب
ليس فيهم مدافع عن حريم لا ولا قائم بصدر كتاب

ولكنه يثوب إلى تسليم الحائر حين يقول :

تبارك العدل فيها حين يقسمها
بين البرية قسما غير متفق

وما هو إلا تسليم الإعياء واللغوب لا تسليم الراحة والقبول

* * *

سمعت ذلك الرجل المسلم المذهول وهو ينظر إلى السماء ويصيح : أأنت موجود ؟ فقلت : نعم ! بل هذا هو الدليل على وجوده . فإنه لأعلم بما حرمه الله من نعمة الإنسانية ، فلو أراد أن يعوضه عما حرمه لكان قليلا فى تعويضه أموال المصارف التى فى القاهرة جمعاء

وكانت هذه الصيحة تتردد فى مجالس الأدباء ورجال الفنون خاصة ؛ فكان يطيب لى أحياناً أن أسليهم وأعابثهم فى آن واحد، فأسأل أحدهم : بكم تبيع ما وهب الله لك من الشاعرية ؟ وأسأل غيره : وأنت بكم تبيع ما وهب لك من الذوق الجميل ؟ وأسأل غيرهما : وأنت بكم تبيع ما وهب لك من الوسامة والقسامة ؟

فمنهم من يقول إنه لا يبيعها بمال الدنيا ، ومنهم من إذا سألته تقويم الملكات بالمال دون الرضى ببيعها وشرائها تردد فى ذلك وذكر الألوف ومئات الألوف ، وهو لا يظن المغالاة ، ولو صعد بالتقدير إلى الملايين

فهذى الألوف يا هؤلاء إذن « بدل مفقود » ... وأنتم أول من يرضى بتسويم السلعة على هذا المقدار !

ولا أدرى لم لم تخامرنى قط نقمة على نظام الكون من هذه الناحية فى أوائل الشباب حيث تكثر الشكوى ويكثر الطموح ، أو فيما بعد ذلك حيث يكثر إيمان الإنسان بحقه فى الراحة والرجحان ، ولعلها قلة الاكتراث بالمال هى التى جعلتنى أصفره فى حسابى أن يكون التفاوت فيه علة الشك فى نظام الوجود .

فقديما — قبل أربع وعشرين سنة — عرضت لهذه المسألة فى مقدمة الطبعة الثانية من مجمع الإحياء ، فقلت يومئذ : «لم أزل منذ دارت فى نفسى هذه الخواطر أسمع حجة واحدة هى أكثر ما يورده الناس على فساد نظام الكون ، وهى مع ذلك أوهن الحجج وأظهرها بطلاناً ، وتلك الحجة هى تباين موازين الجزاء

وتنزلها على خلاف المقرر المسلم به فى عرفهم . فهم يقولون : أما كان العدل يقضى بالتسوية بين الناس فى منازلهم وحظوظهم ؟ أليس من الغبن أن يقتضر الشاب ويؤخر الهرم ، وأن يحرم العامل ويغدق على العاجز وأن يرتفع الوضيع ويبتذل الكريم ؟ وإن كان هـذا مراد الأقدار أفما كان فى وسعها أن ترضى كل مخلوق بنصيبه وتغنى كل طالب عما ليس فى يده ؟ وازدادت هـذه الشكوى بعد الحرب الكبرى فسمعت فى كل مكان ، وكان لها فعل عجيب فى تغير الأحوال ، وستسمع فى كل حين ما دام الاختلاف بين الناس فتكون من أقوى دوافع التيار الإنسانى ... والشاكون بهذا اللسان لا يداخلهم الريب فى عدل شكواهم ، وينسون أن أنانيتهم هى الشاكية المتلهفة على التغيير وأن ليس العالم هو المفتقر إليه ، المتوقف نظامه عليه ، وإن أحدهم ليقول فى أيام رضاه ما لا يقول فى أيام سخطه ، ويتقلب أمله فى حالتى الرضى والسخط . فهل يريد أن يتحول العالم معه كما تحولت به الصروف وتقلبت عليه الآمال ؟ . . . يشكون من تفاوت الأعمار والحظوظ ، وهم إنما تعجبهم من الرجل شجاعته وهمته وجوده ، لأن الأعمار مجهولة ، وإن يكون لرجل على رجل فضل بشجاعة أو همة أو جود لو زالت المخاطر من الدنيا وتساوى الناس فى الآجال أو أمنوا الموت إلا فى وقت معلوم ، فإذا أمن الشيب والشبان فهل يرضيهم هذا العدل الذى لا نعيش معه فضيلة ، والذى يجعل الإنسان أشبه بالإنسان من اللبنة باللبنة ، فتبطل مزايا البأس والذكاء والأريحية والمروءة : لا قائد ولا مقود ولا سيد ولا مسود ولا حاسد ولا محسود ، ولا تتشعب علوم أو تتنوع صناعات أو تتعدد خصال وأعمال أو تتفرع أجناس وأديان . فأى دنيا تكون هذه وأى حياة ؟ إن هؤلاء الشاكين لو أسند إليهم أمر الكون لحاروا فى تصور هيئة غير هيئته ولهدموه قبل أن يؤسسوه »

***

منذ أربع وعشرين سنة كانت الحال كهذه الحال ، وكانت الدنيا فى أعقاب حرب كهـذه الحرب ، وكان أناس مسلمون وغير مسلمين يصيحون تلك الصيحة وهم ينظرون إلى السماء : أأنت موجود ؟

وكنت طوال حياتى أرضى أن أقول مع البحترى فى لاميته الميكالية :

أعد أجل النائبات رزيئة وفور الرزايا وانثلام الأماثل
ولولا اهتمامى بالعلى وانعكامها لما ارتمت ذعراً من تملى الأسافل

ولكنى لا أرضى أن أصيح صيحة ابن الراوندى ، ولا صيحة غيره من المحرجين فى قسمة الأرزاق ، لأن مقداراً من الدراهم ينقص هنا أو يزيد هناك لا يزرى بنظام الكون كله ولا يساوى أن تنظر إلى القبة الزرقاء نظرتك إلى خواء .

فالآن أجدنى فى هذه الحرب أعيد إلى نفسى ما ابدأته فى الحرب الماضية ، وأجد أن لامية البحترى تمدنى بالشواهد حيث تقول :

أواخر من عيش إذا ما امتحنتها تأملت أمثالا لها فى الأوائل
وما عامك الماضى وإن أفرطت به مجانبه إلا أخو عام قابل

أجل هى ليلة شبيهة بالبارحة ، وفى كل عام قابل أو غابر مجانبه التى تغنيه ، ومسائله التى ترتفع منها الصيحة إلى القبة الزرقاء .

ولكننى إذا أنكرت الصيحة إلى القبة الزرقاء فليس فى وسعى أن أنكر دواعيها ولا مواجع النفس الإنسانية منها ، وغاية ما أصنعه بها أن أحولها من صفحات علم التوحيد أو علم « اللاهوت » أو علم ما وراء الطبيعة إلى صفحات علم آخر هو أولى بها وأحق بتصريف أمرها ، وهو علم الاقتصاد أو علم التشريع ، لأنها مسألة الأرض والعمل وليست مسألة الآباد والآزال .

عباس محمود العقاد

الحـــــروف اللاتينية

للكتابة العربية (*)

للدكتور عبد الوهاب عزام

ذهب الأستاذ عبد العزيز باشا فهمى مذهباً عجباً فى نقد محاضرتىّ اللتين نشرت خلاصتهما فى مجلة « الثقافة » ، بعد أن حشر ما حشر من الكلم الجافى الذى ذكرت نبذة منه فى المقال الأول . وإجمال هذا المذهب المجيب أنى كلما ذكرت مقدمة يقتضيها سياق الكلام قال هذا أمر معروف ، وكلما عرضت لمزية من مزايا الخط العربى إيفاء لبحثى فى « الخط العربى مزاياه وعيوبه » قال هذا ليس فى الموضوع . فالموضوع فى رأى الأستاذ هو الاعتراف بقصور الخط العربى وسقمه والعدول عنه فوراً إلى الخط اللاتينى . هذا هو الموضوع ، فمن جادل فيه فقد حاد عن الموضوع .

بيّنت حاجة البشر إلى الإبانة عما فى أنفسهم ، ونقلت جملة من كلام الجاحظ فى هذا . فقال الأستاذ : « آمنا وصدقنا ، لا لأن الجاحظ أو غير الجاحظ قاله . بل لأن هذا ضرورة ماسة واقعة يدركها كل إنسان ، سواء أرادها الجاحظ وغيره أو لم يريدوها . . . وليس هولاء المفكرون إلا مجرد مسجلين للواقع القضى بالضرورة . وهذا التسجيل أستطيعه أنا وأنت وكل عالم متمكن وكل ناقصى التعليم . الخ . » ، ولست فى حاجة إلى أن أدحض هذا الرأى فهو داحض بنفسه

وبيّنت تاريخ الخط فى العالم وتسلسل الخطوط من الخط الفينيقى إلى الخط العربى ، فاستبان أن الأصل القريب للخط العربى هو الخط النبطى . فقال الأستاذ : « وهو تقرير يستطيعه كل إنسان يعرف لغة أجنبية فيطلع على معجم من معاجمها المطولة . الخ . »

أفكان حتما علىّ أن أترك هذا الحديث وأحذف مقدمة لابد للبحث منها من أجل أن كل إنسان يعرف لغة أجنبية يستطيعه ؟ وهل من الحق أن كل من عرف لغة أجنبية استطاع أن يكتب فى هذا الموضوع . إن الأستاذ يكلف الناس علمه وذكاءه فيكلفهم شططاً

وقلت إن الخط العربى خط أمم منتشرة فى أصقاع مترامية ، وأن هذه الأمم على اختلاف لغاتها ، أخذت هذا الخط فزادت فيه ما احتاجت إليه وأحكمته وجمّلته . فقال سعادة الأستاذ : « وهذا التقرير معروف الموضوع عند الجميع . . . فهو هنا مجرد حشو وتزيد لا غناء فيه . »

وكذلك ادعى الأستاذ فى مسائل أخرى تحتاج إلى البيان أو يحتاج إليها الاستدلال : أنها معروفة ذكرها حشو وتزيد . كأن كل مستدل يلزمه أن يحذف المقدمات المعروفة ، ويأتى بدعواه منكرة يعوزها الدليل . أليس الاستدلال يا سعادة الأستاذ هو الاستعانة بالمعروف على معرفة المجهول

لم أستطع والله أن أنسى وأنا أقرأ هذا الكلام وشبهه قصة جحا المشهورة ، إذ صعد المنبر فقال : أتعرفون ما سأقول ؟ — إلى آخر القصة التى يمنعنى من ذكرها أنها معروفة يعدّ ذكرها حشواً وتزيداً

وقلت إن من مزايا الخط العربى أن السامع يستطيع أن يكتب به ما يسمع دون عناء . ولا كذلك الخطوط اللاتينية ؛ فإن سامع الكلمة من بعض لغاتها لا يستطيع أن يضبط كتابتها بالسماع ، ولابد له أن يراها مكتوبة أو يعلم كتابتها ، ومقصدى أن أبين مزية من مزايا الخط العربى واللغة العربية ، وموضوعى هو تبيين المزايا والعيوب .

فقال الأستاذ : « إن حضرة المحاضر فى هذه القطعة ينسى نفسه تماماً ... إن أحداً لم يشك لحضرة المحاضر ولا لغير حضرة

(*) تأخر هذا المقال لسفرى إلى الشام من أجل عيد المعرى

المحاضر من أن الكاتب بالعربية لا يستطيع أن يكتب ما يسمعه . ما شكا أحد هذا إليه قط ، لأن أحداً — حتى ولا عطية كاتب الزراعة المجهول — لا يكاد يخطئ في رص حروف النغمات بعضها تلو بعض على الترتيب الذي يسمعه » . إلى أن ذكر الأستاذ أن هذه الكتابة التي تسهل على السامع بشكل على القارئ قراءتها . الخ . فهل إشكال القراءة وهو مسألة أخرى ينفي هذه المزية ، مزية السهولة واليسر على الكاتبين . أقول الكتابة العربية سهلة على الكاتب . فيقول الأستاذ : لا تقل هذا فإنها صعبة على القارئ . فهل هذا جدل يساير « أدب البحث والمناظرة » . ومن الذي نفسه في هذا الجدال .

وقد رأيت — وهو رأي لم أسبق إليه ، وإن عده الأستاذ معروفا عند الناس أو في غير الموضوع — أن حذف حروف الحركات من الكلمة ملائم للغات السامية ، والعربية خاصة . ورددت هذا إلى اشتقاق هذه اللغات ، والتفريق بين الأصول والزوائد فيها . وقلت لو كتبت الحركات أثناء الكلمات لاضطرب أصل الكلمة ، وبان في صور مختلفة ، وضربت مثلا مادة كتب وقلت لو كتبنا : « كاتابا يا كتوبو ، في الما كتابي ، كيتابن » . بدل : « كتب ، يكتب ، في المكتب كتاباً » لالتبست مادة الفعل ، وهي أصل الاشتقاق والعمدة في التصريف ، وظهرت في صور تلبس الأصلي بالزائد — ولهذا كان خيراً أن تشكل الكلمات العربية شكلا خارجا عن بِنْية الكلمة .

قلت هذا فقال سعادة الأستاذ ما خلاصته : إن اشتقاق العربية وتغيير المادة فيها تغيّراً كثيراً يجعلانها أولى بالضبط من اللغات الأخرى التي لا تتغير موادها أو التي يقل فيها التغيير الخ . » ، وما كانت دعواي أن العربية باشتقاقها غنية عن الشكل ؛ بل كانت الدعوى أن الشكل الذي وضعه الخليل ابن أحمد أقرب إلى طبيعة العربية من إدخال حروف الحركات في ثنايا الكلمة . فنسي الأستاذ هذه الدعوى وذهب يجادل في غيرها . ثم ختم كلامه بقوله : « وعلى كل حال فإن الكلام في هذا الصدد هو كما ترى من قبيل الأدلة الخطابية المتخاذلة التي إذا عصرتها لم تجدها شيئاً ، ولم تدرك لها أية فائدة فيما نحن فيه »

ولست أدري كيف سمى الأستاذ الاستدلال بالاشتقاق والتصريف والحروف والحركات أدلة خطابية . إنها أدلة برهانية واضحة ، ليست من قبيل الخطابيات ، ولكن الأستاذ يجادل كما يشاء ، ويدعي على مجادليه ما يشاء ، ويسمي الأشياء كما يشاء ؛ فكيف يستقيم معه جدال ؟

لم أرد الاستقصاء في هذا الجدال ولكن التمثيل . وحسبي ما ذكرت ، وإني أعترف أني عاجز عن الجدال على هذه الطريقة ، بل الجدال على غير طريقة ، وقد رجعت إلى نصيحة صديق لي من زعماء فلسطين نصحني ألا أحفل بالرد على مثل هذا الكلام

عبد الوهاب عزام

صلوات فكر
فى محاريب الطبيعة !
للأستاذ عبد المنعم خلاف

أقباس من ظلمات القبح

إن القبح يتعرض لى لأصوّره فى صحفى ! أليس قانوناً مؤثراً فى حياة الأرض كما يؤثر الجمال ؟

إذاً فاستيقظى يا رءوس الشر والقبح التى طال نومها وصمتها فى دنياى ، وحدثينى حديثك . ارفعى رأسك ، وجرجرى جسمك ، وارقصى أمامى رقصاتك فقد جاء دورك !

وما صُوَرُ الأهوال فى جحيم « دانتى » ، ولا خيال الطفولة عن السَّعالى والغيلان والجِنَّان فى كِسَف الظلام ، ولا أحلام السكيظة و « الكابوس » على صدر نائم ممتلئ واسع الخيال مُرْهَف الحس بأشدَّ تهويلاً وتخييلاً وافتناناً مما أراه الآن فى عالم القبح ... !

سَيّالات متدافعة من ظلمات الأوهام ... وتهاويلُ مُفزعة من شناعات الأشباح والأجسام ... وصور وأطياف من الوحل والجر والقيح والصديد والغِسلين والزقُّوم وزفرات البراكين ورءوس الشياطين ، كل أولئك بعض ما تمر موا كبه فى خيالى الآن وأنا أستعرض ذلك العالم !

فسيرى أمامى يا جنود الشر التى تطمس نضارة الحياة وتنهش جسمها العبقرى وتشوه محياها الجميل ...

انسابى أيتها الزواحف السامة فى جنح الليل تحت أقدام الأحياء ، وروّعيها بفحيحك الهامس ولسمك القاتل ...

إنكِ نفوس فى أجسام حية أيضاً ، ولكنها نفوس تعيش مقبوحة مسلولة ملعونة مطارَدة تجرجر أجسامها فى العفونات ، وترقب الحياة فى الأحياء العليا بعيونٍ حديدة محمومة من الحقد، وأنياب يغلى فيها السم المخزون فى رءوس كأنها حُوَيصِلاتُ أذى ... !

انعَبى أيتها البوم والغربان على الأطلال والخرائب بصرخات تفزع منها طمأنينة النفس وتترك فيها أنغاماً جنازية قابضة تدبر منها بهجة الحياة ...

عيثى أيتها الجِعْلان والخنفسان والدود فى الخبائث والعفونات ، وعلى أشلاء الأحياء ، غائبة عن عالم النور والعطر والطهر ...

رَصّعى أيتها السوس والبُرغوث والبعوض حقول النبات وأجسام الإنسان والحيوان ، وأعطبى ثمراتها ، وامتصى دماءها ، واشربى ماءها ...

اخفِقى أيتها الخفافيش البغيضة حائرةً محرومة فى غَبَش المساء بين الخرائب والأطلال فلم يبق لعيونك الخفشاء إلا وشلٌ من النور تَسْبحين فيه ، وتحومين على الوجوه بمسٍّ كريه

خوضى أيتها الأحياء الدنيئة فى الأوحال والمناقع والأدغال متربصة بالأذى على طريق الحياة ...

انبعثى أيتها العفونات والمنتنات وازكُمى الأنوف وأفسدى الأذواق والطعوم واخنقى عطور الأزهار وطيوب الأشجار

اضربى يا أكفَّ الظلام النجم بالأُفول ، والصحة بالمرض ، والصبا بالشيخوخة والذبول

ثُورى يا جبال النار واقذفى الحجارة المصهورة ، والمعادن الذائبة ، والشواظ الحارق ، وانشرى ذوائبك السود على أجواء الأحياء ...

***

وأنت أيتها القبائح الخفية فى قلوب الناس ! اطمسى جمال الحياة من داخل النفس كما تطمسه تلك من خارجها ...

انشرى العقوق والحقد والبغض والحسد والرياء والكبرياء وفرّقى بين الأحبّاء ...

كُلِى قلوب البشر وأكبادهم ، وأثيرى شهوات أحشائهم على حكومة العرش الأبيض الهادئ فى رءوسهم ...

أعيدى إلى أضراسهم وأنيابهم وأظفارهم سعار اللحم والدم ، وأدْلِعى ألسنتهم بالسِّباب والهُجْر والمهاترة والعُواء ...

اجعلى لبطونهم سعة البحر ، ولأطماعهم جوع الجحيم ...

تسللى أيتها الجريمةُ رهيبةً مخيفةً للغيلة والغدر ، واختطفى حياة نفس آمنة شفاء لحزازات حقيرة وتلبيةً لصراخ الغرائز الوحشية .

أمطرى الدمع والدمَ ، وأحرق شِغَاف القلوب ولفائف الصدور بالإثم ...

ازرعى قرون الشيطان أبيك العتيد فى كل مكان ، وضاعفى البذور ليتضاعف محصول الحصاد ...

ابرزى أيتها الحرب راقصة عارية بادية السَّوْآت خاضبة بالدماء ، حاجلة على جماجم العباد وأنقاض البلاد...

اختطفى زهرات الشباب من أحضان الأمهات والزوجات وضُمِّيهم إلى أحضانك الجافية القاسية عاشقين مخدوعين فانين...

تربعى أيتها الجهالات والضلالات ، وانشرى سلطانك الغَشُوم المَقِيت على أفكار الحيوان المقدس !

* * *

افعلن كل أولئك ياجنود الشر والقبح وخُذْنَ مكانكن من مجال المعركة الأبدية بين الخير والشر وبين القبح والجمال فى هذه الدنيا لترى نفس ما تختاره لنفسها فى تلك الحياة الآتية الموعودة التى لا يكون فيها مزيج من الخير والشر والجمال والقبح فى مكان واحد . وإنما للخير والجمال وحدهما مكان ، وللشر والقبح وحدهما مكان ...

فإن كانت الدنيا مزيجاً من عالم الجنة « وهو المباهج واللذات والكمالات » وعالم النار « وهو القبائح والآلام والنقائص » فإن الآخرة عالم جنة خالصة أو نار خالصة ...

وقد شاء الله للإنسان أن يحيا حياته فى الدنيا ذات الصبغة المزدوجة ليتعرف إلى العالَمَيْن ويختار أحدهما . فهو إذاً المسئول عن عذابه بعالم القبح والشر الخالص فى أخراه ، إذ أنه هو الذى اختاره لنفسه فى دنياه ...

ومن العدالة ووضع الشيء فى موضعه ألا يدخل دار الجمال والخير إلا من مَرَنَ على الصفات الأساسية اللازمة لسكناها ومعاشرة قُطَّانها . .

ومعاذ الجمال أن يوضع البَعْر فى طاقات الريحان والزهر !

أجراس

فى سمعى من سير الزمان أجراس رنانة تدق بالليل والنهار ...

هى أجراس السكون والصمت اللذين يغمران العالَم الأعلى ...

لا يشغلنى عنها شاغل من ضجة مطارق البشر فى المصانع والمناجم ، أو جلجلة مدافعهم وقوارعهم فى الملاحم ، أو رنين صحافهم وأقداحهم فى المباهج والمناعم ، أو عويلهم وصراخهم فى المآتم ، أو عربدات مجّانهم فى المباذل والمآثم ...

وسهلٌ أن ألاقى أجراس الحركة بأذنى وحاستى المحدودة . أما أجراس الصمت والسكون فعلىَّ من ضجتها ضغط ثقيل أجتمع له بجميع حواسى وقوى نفسى !

الزمن

فى « الكرنك » قضيت فى الشتاء الماضى سويعات من الزمن !

والكرنك أعظم رحبة من رحبات الأطلال الفرعونية ؛ فهو أثر صناعي بشرى ليس من الطبيعة . ولكن الزمن أضفى عليه من سحره ما جعله فيما وراء الوعي منى كأنه محراب من محاريبها . لفَرْط إيغاله فى القدم حتى ليتصل بيوا كير التاريخ الإنسانى المعلوم ويتاخم منطقة المجهول من ذلك التاريخ

والزمن تشتد الحساسية به فى هاته الرحاب حتى لكأنها مقبرته . ترى فيها مومياءه وجُثْوَتَهُ تضحك لنا بفكين مقبوحتين وعينين مطموستين وشفتين مقلوصتين ! وتغمرنا منه سيّالاتٌ ورعشات حتى لنحُسُّه حين نحس هذه الأطلال التى طالما رأت صباحه ومساءه وصيفه وشتاءه وظلاله وأفياءه وظلماته وأضواءه في يوم واحد مُعاد مكرور يُشيب الصغير ويُفنى الكبير ويُبلى الحجر ...

وبينى وبين الزمن علاقة سيئة ! فأنا لا أباليه ولا أحفل به كثيراً . فالحياة عندى منذ أدركتها يوم واحد لا أزال فى بهجة من تماجيب صبحه وضحاه .. ! وقد أقبلت على حدود الأربعين ليس بينى وبينها إلا خطوات ثلاث . ومع ذلك فأنا من حساسيتى بالطبيعة وأذواق الحياة أسير فيها كمبتدئٍ حياته أو كمبتدئٍ رحلته ، يريد أن يتخفف من أثقال الزمن وأوقاره حتى يَعْبُر الأسواق بجسم خفيف ونظر طليق لماح يرى كل يوم جديداً ...

ومع هذا الشعور الذى يكاد يلازمنى قد أحسست حين دلفت إلى معبد الكرنك بين صفين من تلك الكباش الرابضة منذ خمسة آلاف سنة تستقبل الوافد فى وداعة وقوة ، أننى قادم على الزمن شيخاً هرماً راعشاً راهباً ترهّب وتعبّد فى الحجرات المظلمة والدهاليز المتداخلة والأقبية المسحورة التى تضمها أسوار هذا المعبد

وقد تركت لرفاقي حظ الاستماع إلى شرح « الدليل » وسرد التفاصيل ، وأقبلت على أوهامي أطلقها تلعب فى ملاعب الأوهام القديمة التى كانت تعيش بها الإنسانية فى تلك العصور السحيقة وتجسمها فى التماثيل والتهاويل التي على عجزها وجمودها تثير خيال ناظريها واللائذين بها وتجعلهم يخلعون عليها ألواناً من حياتهم ويبادلونها أحاديث نفوسهم ...

* * *

أأطلال هذه أم ظلال ! وجنادل وصُفّاح أم أوهام وأشباح ! أهذه أعمدة المعبد الفارعات أم كاهناته الراقصات ! أنهارى هذا الطالع المشرق أم نهارهم ! أبقايا ظلام مخزون هذا الذى أراه جاثماً فى حجرات أسرارهم أم ظلام جديد !

أهذه النسمات التى تمسح وجوهنا الآن خفقات رياح القرن العشرين بعد الميلاد ، أم رياح القرن الأربعين قبل الميلاد ! أنحن أرواح بائدة تجوّل فى خلال هذه الأطلال أم نحن فلان وفلان وفلان من أبناء هذا الزمان ؟ أقصائد مرسلة هذه الأطلال أم حجارة ميتة جامدة !

ألا بقية حياة تحدثنا بصوت حى بين الرِّجام ؟ !

ألا تعست الأحلام وخابت الظنون ! فبين اليوم وأمس جدار بحجم دورة الشمس فى عرض السماء ! فما بالك بما بيننا وبين هاتيك الأيام من دورات !

لماذا هذا التملق بالبقاء يا أبناء الفناء ؟ لماذا تولهون قلوب الأحفاد أيها الأجداد ؟ لماذا تعمقون الإحساس بالزمن ؟ امضوا من غير أن تتركوا صُوًى وأعلاماً على الطريق ، حتى لا يُراع بعدكم أحد ، من طول المدى بين الأزل والأبد !

وإنه ليخبّل عقلك ويشرّد لبّك أن تبحث عن عُمّار هذه الهياكل الذين كانوا ! وأن تضع قدميك على مواطئ أقدامهم ، ويديك على ملامس أيديهم ، وعينيك على مواقع أنظارهم !

وإنك لتحس لذع السخرية يصبّها الزمن على حسك ووعيك حين تحين منك التفاتة إلى وجه الشمس من خلال ظُلل المعبد ؛ فتراها لا تزال كما رآها أجدادك جديدة الوجه عنيفة الشباب مصقولة المرآة قوية الصحوة ، وكأنها بنت يومك أنت وُلدت فى صبحه وبُكْرته !

وإنك لتوشك من فرط التخييل أن تنادى الأفراد المقبورين المملوكين والسادة المالكين والكهنة حافظى الأسرار ليجيبك صدى صوتك مردوداً إليك باليأس والعجز بعد أن تتلقفه الزوايا والأبهاء وتعوى به التماثيل الصماء !

أكذلك أطبق ظلام الموت وظلام الأرض على أشخاص الأحياء فغابوا فيه ثم بقيت أعمالهم فى محيط الجوامد الخوالد ؟ !

أكانوا أمواج ماء اضطرب به سطح الأرض فأرغوا وأزبدوا وهدروا ، حتى وصلوا إلى شاطئ الموت فانساحوا وفنوا بأصدافهم وقواقعهم وزَبَدهم وغثائهم !

أذهبوا وبقيت أحجارهم خالدة ؟

وهل يملك فانٍ أن يصنع خالداً ؟

لقد أحسها حسرةً (لَبيدُ) فأرسلها كلمة جاهلية ترجمت كل معانى إحساس النفس البشرية بالألم فى كل عصر حين ترى أن نصيبها من الزمن أوكس حظاً من نصيب الجماد . إذ قال :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الديار بعدنا والمصانع !

عبد المنعم خلاف

فتنة وحـــدة الوجود
والدكتور زكي مبارك
للأســتاذ دريني خشبة

لست أدرى علة هذا الموقف الذى يحاول أن يقفه الصديق الفاضل الدكتور زكى مبارك من فتنة وحدة الوجود ! لقد حاولت بكل الوسائل أن أجتذبه إلى الميدان الذى لم يكن شك فى أنه واجد فيه أخوة كريمة وصراحة تامة ، وطريقاً منضورة بالورد . لكنه آثر السلامة آخر الأمر ، وليته فى إيثاره السلامة كان رحيماً بالناس كما يقول فأغلق باب جهنم حتى لا يَصْلى بحرها أحد لا من الخاصة ولا من العامة ...

لقد وعد الأخ الكريم أن يُجلِّي للناس غامض هذه الفتنة بعد إذ لاحظ أن كل الذين كتبوا عنها حاموا حولها ولم يخوضوا فيها ... لكنه أخلف ، ثم وعد ، ثم أخلف ، ثم وعد ... ثم آثر السلامة آخر الأمر ، خوفاً من بلبلة أفكار المسلمين ، وإشفاقاً على العامة من أن يزلزل إيمانهم ... فما هذا الذى يقوله الأستاذ ؟ وأى وسيلة لبلبلة الأفكار أفتك من هذه الوسيلة من وسائل الحوار ؟ إن الأستاذ بموقفه ذاك يلقى الريب فى قلوب المسلمين أضعاف ما كان يفعل لو أنه توكل على (الوجود المطلق الكلى) فشرح لنا وحدة الوجود كما يفهمها ويؤمن بها ... على أننى أسبق فأطمئنه ؛ فمهما حاول الأستاذ أن يوهم بأن الذى قاله الشيخ معروف الرصافى فى هذه الوحدة حق ، فلن يتأثر بإيهامه أحد من المسلمين الصادقين الذين لا يعقلون كيف تكون الحمير والبغال والمجانين والببغاوات ... و ... وهذه القطة النائمة التى (تخربش) من يوقظها أجزاء من الله الذى يعبدونه ويخبتون له أومظاهر لهذا الإله العجيب الذى يقول أنصار وحدة الوجود إنه لا وجود إلا له ... أما هذه المخلوقات فهى باطل ... هى وهم ... ولست أدرى كيف يكون وجود الرصافى وهماً وباطلاً ، ووجود الدكتور زكى مبارك وهماً وباطلاً ... وها هو ذا يعترف بوجود نفسه ويعترف الناس بوجوده ويأكل ويشرب ويسافر وحده أو مع غيره ويعلم وينتفع الناس بعلمه وينصح التلاميذ الأغنياء ويواسى التلاميذ الفقراء ، ويكتب فى الجرائد والمجلات ويحاضر ويخطب ويؤلف إلى آخر ما يقوم به من شؤون هذه الحياة الدنيا

ولست أدرى كيف يؤمن أخى الدكتور زكى بأنه لا وجود له وهو ينكر الموت فى السؤال الذى يوجهه إلى لأحترق إذا حاولت أن أبينه له ! إن الوجود كما تقول يا صديقى ليس فيه موت ، فكيف تؤمن بوحدة الوجود إذن وهى تقول — أو الخرفون الذين يؤمنون بها يقولون ، إن الموجودات كلها عدم ، ولا وجود إلا للوجود الكلى المطلق الذى لا أدرى وحياتك يا أخى ماهو ؟ ثم كيف تجهر يا أخى بأنك تكفر بالموت ؟ أتعنى بذلك أن أحداً من حضرات أجدادك — وأجدادى — لم يمت ؟! احذر يا أخي أن تظن أننى أستهزىء بأحد ، فالمسألة أجل من هذا ! أحرام إذن أن أدعو لوالدى وأجدادى بالرحمة ، وهذيان أن أقول اللهم ارحم أجداد أعز أصدقائى الدكتور زكى مبارك ؟! ثم ما هذا الذى تقوله يا أخى ؟ لماذا توهم الناس أن وراء الأكمة قطة (تخربش) ! وقد آثرت القطة الظريفة اللطيفة السلامة ؟ ثم ماذا تصنع الخربشة ما دام أنه لا موت ؟ وماذا فى الاحتراق تخيفنى به وهو لا يميت ؟! ولماذا تمنعنى عن الإجابة على سؤالك فتدعونى بهذا المنع إلى السكون ، وأنت نفسك فى سؤالك تجهر بأنه لا سكون . . . وبهذه المناسبة يا أخى ، هل باطن جبل المقطم متحرك غير هذه الحركة الكلية التى تحمله فيها الكرة الأرضية فى رحلتها السماوية ؟ وهل باطن الجنيه الذهبي الذى تشترى بألفين منه — ألفين عداً ونقداً — عزبة عامرة بفلاحيها وجاموسها وبطها وأوزها ؟ وإذا كان باطن المقطم متحركاً ، وباطن الجنيه — الجنيه الذهبى ! — متحركاً ، وباطن كتلة الفولاذ متحركا ، وباطن زجاج كؤوس الطلى التى حفها ـ أو لم يحفها ـ الحبب ـ المتحرك دائماً ـ متحركا ... فهوضنا نحن المؤمنين السذج على الله فى عقولنا ، أو فى غباوتنا !

آه ... تذكرت ... إن كتلة المادة مركبة من الكترونات ! والألكترونات هى هذه الذريرات من الكهرباء السالبة تدور بسرعة حول بروتونات من الكهرباء الموجبة . وعلى هذا فكل شىء متحرك حتى باطن جبل المقطم وباطن الجنيه الذهبى

والفولاذ وزجاج كؤوس الطلى ... وحتى الموتى متحركون بتحرك ذراتهم على هذا النحو ... وليس فى الدنيا فضاء لأن الفراغ الموهوم بين الكواكب والسدم تملأه الجاذبية ؟! وما الموت عندكم إلا نوع من أنواع التحول !

ولكن ما هذا كله وما نحن فيه ! لماذا تخيفنى يا أخى إن أنا أجبت على سؤالك الهائل على هذا النحو ؟ وبعد صدور الرسالة صبيحة يوم الأحد بنصف ساعة ؟! هل كنت تحسب أن الإجابة على هذا السؤال هى من قبيل ذلك المضنون به على غير أهله ؟ لأنه من العلوم اللدنية . على أن الأمر أيسر من أن يخفى وراءه أحداً . إنك تريد أن تقول إنه ليس فى الوجود فضاء ، فلا مكان لله إلا المكان الذى يشغله العالم !؟ وعلى هذا فالله حال فى العالم . وإذن فأنت تؤمن ، مع إيمانك بوحدة الوجود ، بالحلول الذى ينافى الإسلام الصحيح

يا أخى :

قبل أن نبعد ... أصارحك أنى لا أقبل الدنية فى دينى ، ومن الدنية فى الدين أن آلف ممك إذا ألفت ، وأن أداورك إذا داورت . لنكن صرحاء إذن . فمن ورائنا ألوف القراء من المسلمين ومن غير المسلمين يرتقبون أن تنكشف هذه الغمة التى لم أفر من ميدانها حينما طلبت إلى أن أساجلك فيها ، ولم أطلب أنا منك شيئاً قط قبل أن تبدأ أنت بطلب هذه المساجلة ، فى أمر أنت أول من يشهد بين يدى ربك أنه باطل ، لأنك أقمت على ذلك الحجة التى لا تدفع فى كتابك القيم الذى كان سبب هذا الشر ، ولن يصدقك أحد اليوم إن تصيدت المعاذير عن نقضك لهذه النظرية بمثل الحجة الفارغة التى جئت بها فى كلمتك الطريفة فى العدد الماضى ، والتى تدعى فيها أن « البحث العلمى الذى ارتضيته لنفسك يوجب أن تدرس كل نظرية من جميع الجوانب مع التحرر من رأيك الخاص ، حرصاً على تثقيف قرائك » . فليس هذا بعذر ! لأنك لم تتبع تلك الطريقة فى أى كتاب من كتبك ، لأنك أقمت الدنيا وأقعدتها بكتابك عن الغزالى لأنك أعلنت فيه عن (رأيك الخاص) الذى كان الإجماع منعقداً ضده ومع ذلك فقد انتصرت ! هذا ، وقد ألممت ، بالرغم من ذلك بكل النظريات التى سبقت إليها عن الأخلاق عند الغزالى ، وأرجوك أن تعود إلى كتابك الثمين هذا فتقرأه إن كنت قد أنسيت ما فيه

ثم أنت قد أتيت فى كتابك عن النثر الفنى — هذا الكتاب القيم أيضاً ، الذى أشدت لك ألف مرة بقيمته ، بالرغم من البقع الكبيرة التى فيه ، بنظريتك العجيبة التى لا يقرك عليها أحد فى إعجاز القرآن بمعانيه لا بأسلوبه . وهذه النظرية هى بلا شك رأيك الخاص الذى جئت اليوم تزعم أنك تخفيه وتتحرر منه فى دراستك لأى نظرية من جوانبها المتنوعة ... وأعود فأرجوك أن تعود إلى كتابك الثمين هذا فتقرأه إن كنت قد أنسيته

ثم أنت أيضاً فى كتابك عن التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق لم تكن مقراً للنظريات التى سبقك إليها الناس ، وإلا ما استحققت قط أن تمنحك الجامعة درجة الشرف فى الفلسفة . بل منحتك الجامعة هذه الدرجة لحسن مناقشتك لتلك النظريات وتزييف ما يستحق التزييف منها ، وإحقاق ما يستأهل الإحقاق ، ولو من وجهة نظرك أنت ، لا من وجهة نظر الممتحنين ... ويؤسفنى أن تضطرنى إلى تذكيرك بهذا كله بعد كل ما نلته من درجاتك الجامعية ... كما يؤسفنى أن أراك تقف هذا الموقف فى قضية لا تستطيع أن تجهر برأيك فيها بعد أن أعلنت (أنا) للعالم أنك عندى أجرأ كاتب فى مصر ، بل فى الشرق العربى كله ! فإذا سألتك هل تخشى على الإسلام شيئاً من إعلان ما تعتقد أنه الحق فى نظرية وحدة الوجود نفيت ذلك النفى الشفشاف ، وقلت : كلا ، بل خشيتى هى على عامة المسلمين الذين لا خير لهم فى الإيمان بهذه النظرية . ولست أدرى لماذا لا ترى لهم مصلحة فى الإيمان بها ؟ أليس كما قررت فى كتابك لأن هذه النظرية تهدم القوانين والشرائع وتنسف الأخلاق المقررة التى تواضع عليها الناس ، والتى يكون أمرهم بدونها فوضى يستوى فيها الخير والشر ، والتقى والدعارة ، والهدى والعمى ، والرشد والغواية ، والأبيض والأسود ، والسجود بين يدى الله الواحد القهار ، وإكباب المرء على حليلته فى وضح النهار !

ما هذا الموقف الزئبقى يا صديقى ؟

كيف تتنكر لماضيك بهذه السهولة وبذلك اليسر ؟ وكيف

تخشى أن تعلن عن رأى تؤمن أنه الحق ؛ وأنت تعلم أنه يناقض ديننا الحنيف وينافيه ، لأنه دعوة إلى التجسيم والحلول، وإن حاول أهل وحدة الوجود أن ينكروا ذلك بادعائهم أن جميع المخلوقات باطل ووهم لأنه لا موجود إلا الوجود المطلق الكلى ؟

وبعد . فقد كنت لخصت آراء صاحبك الرصافى التى علق بها على كتابك فى التصوف ... وقد ذكرت أن هـذا الرجل يجهر بما يأتى :

١ — أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو مخترع خرافة وحدة الوجود

٢ — وأنه لم يخبر بذلك أحداً من أصحابه إلا ما لمح به لأبى بكر

٣ — وأن القرآن من تأليف محمد بدليل ما دأب على ذكره من قوله : قال محمد فى القرآن

٤ — وأنه كان يعتذر لمحمد عن ذلك بأنه كان يفنى فى الوجود المطلق الكلى فيخيل إليه أنه ينطق باسم الله الذى هو هذا الوجود

٥ — وأنه لا يرى معنى للصلاة والأدعية لأنها لن تغير فى نظره شيئاً من قوانين الوجود المطلق الكلى التى هى قضاء الله وقدره ...

٦ — وأنه لا يرى معنى للبعث الذى يؤمن به المسلمون وجاء به القرآن الكريم

٧ — وأنه لا يرى معنى للحساب ، ولا للثواب والعقاب . إنما الثواب أن (يموت الإنسان) فيعود إلى التراب ويتحد بالوجود المطلق الكلى ... والعقاب هو ذلك أيضاً مع شيء من وخز الضمير

٨ — أن المتضادات أمام الوجود المطلق الكلى سواء ، ومن هنا استواء الخير والشر وغيرهما مما قدمنا . ومن هنا ألوان الشذوذ الأخلاقية التى نددت من أجلها بالمتصوفة ... أو ببعضهم ... فى كتابك

٩ — أنه يخضع تفسير كثير من آيات القرآن لأهوائه فى خرافة وحدة الوجود . فالله : الظاهر والباطن . أى المنظور المسموع المشموم المأكول الخ . ثم ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى . أى الجبر المطلق الذى ليس معه لمخلوق اختيار فى شيء ما

ثم أشياء أخرى لا أذكرها الآن

فما رأيك أنت فى هذا كله ؟ أحق هو ؟ إنك إلى الآن تؤيد نظرية وحدة الوجود وتشفق من تفسيرها على ما نرى . فكن حراً فى إشفاقك هذا ، ولكن هل تتفضل فتبدى رأيك فيما يذهب إليه صاحبك من هـذه الآراء التى ربما خيل إلى الناس أنك تؤمن بها لإيمانك بوحدة الوجود !

يا دكتور زكى :

أعود فأذكرك أنى لا أرضى الدنيّة فى دينى ، وأنى لن أبقى على إرضائك لأسخط الله ... وأنت الذى انتهيت بى وبك إلى هـذا الوضع ، وهأنذا قد كشفت عن مقصدك فى سؤالك عن القضاء والسكون والموت . فعسى ألا نعود إلى إيثار السلامة وإثارة الغبار فى وجوه الناس

ولست أحذرك أن تحترق بشيء ، ولكنى أدعوك بالهداية والتوفيق ، وهكذا علمنا رسول الله ، فلنتخذه أسوة

دريني خشبة

على هامش النقد

فى عالم القصة

شماب قلب ... حبيب الزحلاوى

للأستاذ سيد قطب

« شماب قلب » مجموعة أقاصيص للأستاذ حبيب الزحلاوى، من أفضل المجموعات التى ظهرت باللغة العربية . ففيها طبيعة قصاص ، وقلب إنسان ، وقسط من الشاعرية فى الإحساس بالخلجات النفسية ، وبصور الكون والحياة . وهى سمات تكفى لتقرير حقها فى الظهور ، ثم يبقى بعد ذلك مجال تقويم هذه السمات !

فيها طبيعة قصاص ، يعرف كيف يتناول موضوعه ، وكيف يدير فكرته ، وكيف يضمن شوق القارىء ، ومتابعته للأقصوصة فى غير تمحل ولا تكلف ، ولا مغالطات براقة وهو قصاص طويل النفس — فى الأقصوصة — متعدد المسالك ، والبناء الأصلى لأقصوصته . يصلح لأن تقوم عليه قصة مع بعض التعديل والتحوير

وفيها قلب « إنسان » إنسان حى يعيش على هذه الأرض ، ينفعل بأحداثها ويستجيب لهذه الانفعالات ، ويتابعه القارىء فى نبضه الطبيعى : يبطىء ويسرع ويرتفع ويهبط ، كما تنبض قلوب الآدميين ، فى هذه الحياة

وفيها قسط من الشاعرية ، ينقذ القصة من الواقعية المحدودة الضيقة ، ويطلق فى جوها بعض الإشعاعات الحارة . دون أن يحيلها إلى جو رومانتيكى مصطنع ، ولا إلى أسطورة خيالية . إنه يمنحها الحرارة الإنسانية الطبيعية وكفى !

ولا يحسب أحد — تبعاً لهذا — أن الزحلاوى قد بلغ القمة . كلا . فهذه الصفات التى أعددها هى — فى اعتقادى — بعض الشرائط الأول للأقصوصة . ويبقى المجال بعدها مفتوحاً للسباق والمفاضلة . وعلى الذين تخلو أعمالهم القصصية من روح القصاص ومن حرارة الإنسان ، ومن قبس الشاعرية ، أن يبحثوا لهم عن عمل آخر فى الحياة !

***

تحتوى هذه المجموعة على تسع قصص . كلها موسومة بهذه السمات التى أسلفت على تفاوت فى حظها منها . وكلها موسومة بسمة أخرى ، هى دليل الصدق فيها جميعاً

الأستاذ حبيب « الزحلاوى » ليس مصرى الأصل — كما هو واضح من نسبته — وللبيئة فى بعض جاراتنا الشرقية إشعاعات معينة ، قد لا نحسها فى البيئة المصرية على هذا النحو من العنف والوضوح . وهذه القصص تحمل — عدا طابعها الإنسانى العام — طابع هذه الإشعاعات البيئية الخاصة

بعض هذه الجارات يضيق بسكانه ، فهم أبداً يمدون أبصارهم إلى مطالع أخرى : تارة تكون هذه المطالع نقلة جسم إلى حيث تتوافر وسائل الحياة . وتارة تكون نقلة روح ، إلى حيث الغنى والثروة ، أو السعة والحرية

وأقول الحرية ، لأن التقاليد الدينية والاجتماعية ، ولا سيما قبل ربع قرن ، ربما كانت من الصلابة والشدة بحيث يفر منها الكثيرون ينشدون الحرية والطلاقة إما بأجسامهم وإما بخيالهم . فهناك أبداً رغبة فى الانطلاق ، وهناك أبداً شىء من العنف فى التفلت من القيود ، وفى الإقبال على الحياة

حلم الثروة ، وحلم الحرية ، هما الحلمان الواضحان فى كل قصة من هذه القصص على وجه التقريب ، وهما ينبعان من منبع واحد ، ويتجهان فى اتجاهين متضادين ، يؤديان فى النهاية إلى طابع واحد ؟

هما ينبعان من الضيق بالواقع : الواقع المادى ، والواقع المعنوى ، الضيق بالمجال المحدود الذى لا يتسع لأهله من السكان . والضيق بالقيود والتقاليد ، التى تقف دون أشواق الإنسان

وهما يتجهان فى اتجاهين متضادين : أحدهما الرغبة فى الغنى والحرص على جمع الثروة ، (وقد تقود الرغبة والحرص إلى الجور على المتعة بالحياة ، والانطلاق مع الأشواق) وثانيهما الرغبة فى الانطلاق من القيود ، والاندفاع للمتاع (وقد تقود الرغبة والاندفاع إلى التضحية بالغنى ، والاستهتار بالمال) !

وهما يؤديان — فى تناقضهما — إلى طابع واحد : طابع القلقل والاضطراب ، والحيرة بين هذا وذاك

وينشأ من هذا كله إشعاعات نفسية خاصة ، هى التى تجمع فى النفس الواحدة بين يقظة التاجر وحلم الشاعر ؛ وبين عنف الثائر وترفق المهاجر ، وبين استغراق البوهيمي ، وروحانية الصوفى ...

وكل هذه الإشعاعات تبدو فى هذه القصص على السواء . تبدو وتبدو معها صفحات فى وصفها وعرضها وتحليلها ، هى التى تجعلنى أقول : إن هذه المجموعة من أفضل المجموعات التى ظهرت باللغة العربية

***

من عيوب هذه المجموعة أن يحفل بعضها بالتوجيهات الفكرية ، والنظريات الفلسفية والاجتماعية ، بحيث يطغى هذا على صور الانفعالات النفسية ، والحوادث الواقعية . والفن فن . ومهما يكن للعلم والفلسفة من مكانة . فيجب ألا يجتازا عتبة الفن إلا بمقدار ، ومقدار لا يبرز بل يبقى وراء الستار

وقصة « إشاعة طلاق » مثال بارز لهذا العيب فى المجموعة ، فهى قصة رجل فنان تزوج ، وسارت حياته الزوجية فى المبدأ كما يبتغيها فنان ، ثم نظر . فإذا المرأة قد صارت أمًّا وربة بيت لا عروساً جميلة ، ولا زوجاً أنيسة . فضاق بها وهجرها ، وانطلقت فى محيطهما « إشاعة طلاق » وفى النهاية يرسل إليها رسالة طويلة ، يشرح لها فيها ما دعاه إلى العزلة ، ويبين لها وظيفة المرأة الكاملة ، مع رجلها الفنان

فى هذه الرسالة « توجيهات » أطول مما تحتمل الأقصوصة ، وأبرز مما يحتمل العمل الفنى . وهذه التوجيهات لها قيمتها فى ذاتها ، وهى تحليل صحيح لنفسية الفنان ، ولوظيفة المرأة ولواجب الزوجة . ولكن قيمتها هذه لا تبرر حشرها — بهذا الطول — فى أقصوصة وكان خيراً أن تبدو فى حركات ولفتات ، لا فى عبارات وكلمات

ومن عيوبها كذلك بعض أخطاء السياق كما فى قصة « تربص القدر » حيث يلتقى القصاص بزميل له لم يره منذ ست سنوات . كان هذا الزميل من الدعاة ضد الزواج . فإذا لاقيه اليوم بغتة ، اندفع يقص عليه أنه تزوج وأنه أسعد مخلوق بهذا الزواج . ثم يقص عليه كيف تزوج فى نوبة حماسة إنسانية وكيف وجد الحياة الزوجية التى كان يخشاها حياة جميلة حافلة بما لم يخطر له على بال ... وبعد هذا كله يفاجئه بأن زوجته قد ماتت منذ أيام ، وأن حياته الآن لا تطاق ، وأنه خرج ذاهلا يتمشى فى الطرقات !

إن إنساناً منكوباً ، خرج ذاهلاً يتمشى وحده فى الظلام حين يلقى صديقه لا يكون من التماسك بحيث يبدو سعيداً ، وبحيث يقص أولاً قصة سعادته . إن الطبيعى فى هذه الحالة أن يبادر صديقه بقصة نكبته التى تسيطر هذه اللحظة على نفسه ، وتتراءى مجسمة فى خاطره ، ثم يتدرج منها إلى استعراض سعادته الضائعة

ولقد يبدو — من وجهة الفن القصصى — أن الطريقة التى سلكها المؤلف هى الأولى . لأنها تضمن شوق القارىء ومفاجآته مرتين : عند ما يعلم بزواج هذا الذي كان داعية ضد الزواج ، وبسعادته فيما كان يفر منه ويخشاه . ومرة عند ما يعلم بالكارثة التى كان يتربص بها القدر ، لينزلها به وهو فى أوج سعادته

ولكن الصدق فى عرض هذا الإنسان — وهو فى حالة الذهول بالنكبة — أولى من كل حيلة فنية . وعلى قواعد العرض الفنى أن تتحور وتحتال لتحقق الصدق — وليس على الصدق أن يتحور ويحتال ! وقد كان هذا ممكناً لو أن المؤلف حكى عن زميله ولم يدعه يعرض حكايته بنفسه . أو لو أنه سلك أية طريقة أخرى من طرق العرض الفنى الكثيرة

إلا أننى أحب هنا أن أنبه إلى أن هذه القصة لا تقوم على الحادثة وحدها ، إنما تقوم — كمعظم قصص المجموعة — على استعراض المفارقات النفسية ، والخلجات الشعورية والالتفاتات الذهنية ، وهذا ما يجعل لها قيمة ، وما يجعلنا نناقش عيوبها — كما نراها —

ومن عيوبها أن تغلب قوة المفاجأة على بساطة الطبيعة فى قصة واحدة هي « عين زكية » . فقد التقى القصاص فى ليلة زفافه والكاهن يربط بينه وبين زوجته برباط الأبدية . التقى بعينى

بحث علمي

حقائق عن الدماغ البشرى

للأستاذ عبد العزيز جادو

في آخر يوم من أيام شهر ديسمبر منذ ١٦٧ سنة مضت ، ولد بالقرب من قرية Treves غلام قضى حياته في السعى باجتهاد لحل مشكلة الصلة بين قوى العقل ووظائف المخ والحالات المختلفة للجمجمة .

سعى جاسبر سبورزيم بالاشتراك مع فرانز جول إلى تفسير سر التفكير بطريقة سميت فيما بعد بعلم فراسة الدماغ Threnology . وكان جاسبر أول من نشر هذا المذهب الجديد في إنجلترا . وقد اعتقد أن الارتفاعات السطحية في الجمجمة تشتمل على ارتفاعات مناسبة في المخ . وكانت نظريته باختصار أن الجمجمة البشرية تتركب من مجموعة نتوءات توضح مساحات الذكاء في المخ والقوى الذهنية الموافقة في الشخص .

ولسوء الحظ كانت طريقة علم فراسة الدماغ يعوزها الاتقان والتجربة والبرهان . ولكننا على أي حال مدينون بدين الشكر ومعرفة الجميل لهذين المشتغلين بعلم تشريح المخ .

واليوم قام طب المخ الجراحى بتحديد مساحات المخ شيئاً فشيئاً بتدقيق علمى ، فظهرت من أثر ذلك حقائق عجيبة . فإنه قام الدليل مثلاً على أن قوى الرجل العقلية تظل مستمرة في تأدية وظيفتها طبيعية وعادية حتى في حالة انتقال نصف المخ من موضعه . وكشف الأطباء الجراحون أيضاً أن العقلية لا يلحقها فساد أو تلف عندما تنتقل فصوص المخ الأمامية . والمسائل التي تواجه دارسي تركيب المخ وهندسته هي الكشف عن سبب نبوغ بعض الرجال وخمول بعضهم الآخر .

والدكتور واجنر هو أول عالم سبر سرّ طاقة المخ بمقارنته أمخاخ رجال ذوى نبوغ بمخ الرجل العادى ، وأتم تجربته الأولى سنة ١٨٦٠ . فلقد قام الدكتور واجنر بفحص مخ أحد المشاهير في الرياضيات ومخ رجل بستاني ؛ وبعد دراسة طويلة شاقة وصل إلى النتيجة الآتية :

فتاة استطارنا نفسه ، فتمنى لو لقيها قبل هذا الرباط الذى ضاقت به نفسه منذ هذه اللحظة . ثم تسير القصة وقد علم فيما بعد أن هذه الفتاة صديقة زوجه . فكان هذا وسيلة إلى اجتماعهما وارتباطهما عشر سنوات . يستمتع فيها بالفاكهة المحرمة من بعيد ، وتأبى هذه الفاكهة أن تستجيب لمن يطلب يدها ، لأنها تؤثر حياتها في هذا الثالوث العجيب ! ويستعرض المؤلف هنا مشاعره وخوالجه في كل موقف استعراضاً جميلاً

وفجأة نعلم في النهاية أنها صنعت ذلك كله ، لأنها تهم زميلتها !

لا نكران في أنها مفاجأة تامة لا يوجد في القصة أى إشعار سابق بها فلها في النفس هزتها . ولا نكران أن فيها سخرية بكل أحلامه وهواجسه ، فقد كان يحسب ذلك كله لأجله! ولا نكران أن هذا الشذوذ هو حالة مرضية يعترف بها علم النفس الحديث !

ولكن هذا كله لا يساوى أن تسير الحياة على طبيعتها ، وأن تكون هذه العقدة بسبب أى حادث آخر غير هيامها بزميلتها ، وأن تختم القصة خاتمة أخرى

* * *

هنالك أقصوصة سلمت من كل عيب في هذه المجموعة ، وفازت بكل ميزة من ميزاتها . هى قصة «هواجس» توازنت فيها الانفعالات النفسية والبحوث الفلسفية . وسار السياق مشوقاً حتى نهايته . واتسمت حبكتها بسمة الطبيعة الصادقة . واختلطت فيها الشاعرية المرفرفة ، بالواقعية الصحيحة . وتوافرت لها كل عناصر الأقصوصة الجيدة

وهناك خمس أقاصيص أخرى تتراوح بين الأقاصيص الثلاث السابقة وبين هذه الأقصوصة الجيدة ؛ فتأخذ من هذه وتأخذ من تلك ، وتبقى وسطاً بينها جميعاً

سيد قطب

١ — ليس هناك أى اختلاف بين المخين

٢ — الشقوق والتلافيف في المخين متشابهة تماماً

٣ — وزن المخين كليهما مماثل من الوجهة العملية

ومنذ أن أجريت تلك التجارب وُجد أن مخ المتوه يكون فى الغالب أثقل فى الوزن من مخ الرجل العاقل والمرأة العاقلة .

أساطير عن المخ

بات من المفروض أن الجزء الجبهى (الأمامى) من المخ هو المنطقة التى تحتوى على أعلى الملـكات وأسمى الطاقات

وأوصى كل من البروفيسور ستانلى هول العـالم النفسانى الشهير ، والسير وليام أوسلر الطبيب العالمى المعروف بأن يشرّح مخاهما . وبمقارنتهما بالفصوص الجبهية لرجال عاديى الذكاء ثبت أن هـذه الفـكرة إن هى إلا محض خرافة . ولقد أكد أيضاً أن المرضى الذين تلفت فصوصهم الجبهية من تأثير مرض ، عنـدهم القدرة ـ مع ذلك ـ على إجراء خططهم العقلية بطريقة اعتيادية . وعندما يواجه الإخصائيون فى المخ مخين فلن يقدروا على تمييز مخ الرجل ذى الذكاء الحاد من مخ الرجل الأجير الأمي .

سر قوة المخ

وبعـد قطع الرجاء من إيجاد قاعدة فيزيقية للذكاء ، أدرك أحد المشتغلين بعلم تشريح المخ نهائياً أن جميع دراساته كانت على شىء من القيمة العلمية ، فلقد كان من العبث وإضاعة الوقت سدى دراسة الأمخاخ الميتة أو أمخاخ الموتى ! فهى أشـبه شىء بدراسة آلة أو جهاز تالف ، ولا يمـكن الـكشف عن كل شىء فى الآلة إلا فى حالة سيرها . والمخ كـكل آلة يجب أن يكون له بعض منابع من الطاقة ، أى القوة الدافعة . ما هـذه الطاقة ؟ الجواب على ذلك بسـيط ـ فهى مورد الدم . والدم هو المفتاح لسر المخ ، ويمكننا به أن نفهم آثاره وأعمـاله بدقة تفوق التأملات الميكروسكوبية للخليات والأنسجة

وأكبر غلطة لواجنر هى أنه تغاضى عن أغطية المخ . وهذه الأغشية أو الأنسجة الدقيقة الناعمة كانت بمثابة « حجر رشيد » للمشتغلين بعلم تشريح المخ . إنهم تـكلموا كثيراً عن طاقة المخ أكثر مما تكلموا عن الحجم والثقل والتعقيد بغشاء المخ ذاته .

وفى سـنة ١٩٢٦ قام الدكتور هينزيه الإخصائى الفرنسى فى المخ بكشف مهم فيما يختص بسر طاقة المخ . وأدت أبحاثه فى التركيب الشريانى لأمخاخ الأشخاص المتفوقين فى الذكاء إلى التسليم بأن أنسجة الرجال « سريعى الفهم » لها دائماً مورد دم غزير وأوعية دموية ذات طاقات كبيرة . ولقد ثبت ثبوتاً لا شك فيه أن طاقة المخ لا تتوقف على وزن المخ أو على تعقيد طياته ؛ وإنما المهم هو مجرى الدم . وغطاء المخ عند ثقيل الفهم له مورد دم عقيم بشريانات مزمومة (مضغوطة)[1] . وفى مقدور الخبير أو الإخصائى الآن أن يحدّد بصفة قاطعة ما إذا كان المخ الذى يدرسه مِلكا لنابغة أو لأحمق . ودم المخ الجيد عنصر جوهرى فى الذكاء .

جير المخ وسكره

وثمة استكشافات مهمة جاء بها الدكتور هينزيه منذ بضع سنين تضمنتها رسالته (الدلالات الإضافية على أساليب دراسة الجهاز الشريانى للمخ) وبيَّن هينزيه أن تركيب مجرى الدم إنما هو نقطة من الأهمية بمكان ، إنه موضوع ليس فى الـكم فحسب ولـكن فى الـكيف أيضاً . والأساليب العقلية يمكن أيضاً أن تـكون محكومة بمجرى الدم الذى يسيطر عليها ، ولقد وُجد أن الجير والسكر يلعبان دوراً مهماً فى « دراما » المخ ، وأكد الدكتور كاتزينيلبوجن طبيب الأمراض العقلية — أن غالبية المعتوهين الذين يرجع اختلال عقلهم إلى عـلَّة عضوية ، عندهم نقص فى الجير وزيادة فى سكر الدم ، والسكر الـكثير فى الدم يزيد التوتر العصبي ، والمخ الذى تـكون « حلاوته » شاذة ، خارجة عن أصولها ، يحتمل أن يكون مخاً سفيها

كهرباء المخ

لم تعرف كهرباء المخ حتى زمن قريب . وكان معروفاً منذ خمسين سنة أن المخ ينتج كهرباء ، ولـكن منذ أن أخذ الصمام

---

(١) نتيجة كشوف الدكتور هينزيه طبعت فى تقريره المسمى :
(Les Arteres du Perveau des Hommes d'Elite.)

العنصر الانسانى

فى كتاب « النماذج البشرية »

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

أصدر الدكتور محمد مندور كتباً ثلاثة أضافها فى الأسبوع الماضى إلى المكتبة العربية هى « نماذج بشرية » و « فى الميزان الجديد » و « من الحكيم القديم إلى المواطن الحديث » الأول والثانى من تأليفه ، والثالث ترجمه عن الفرنسية لمجموعة من الدراسات فى الثقافة الخلقية ، كتبها نفر من كبار أساتذة فرنسا المعاصرين

وليست « النماذج البشرية » بالكتاب الغريب عن القراء فقد طالعنا بعضه مقالات فى المجلات الأدبية ، ظل ينشرها المؤلف تباعاً منذ عاد من أوروبا ، قبل الحرب الحالية بقليل ، حتى اليوم . وقد جمعها المؤلف فى كتاب واحد بعد أن أعاد فيها النظر فأصلح منها ، ورجع عن الكثير من آرائه وأحكامه ، وفقاً لتطوره الروحى . وأضاف إليها نماذج جديدة ؛ وفضلاً عن ذلك فقد صُدِّر للكتاب بمقدمة طويلة كتبتها زوجته السيدة ملك عبد العزيز خريجة كلية الآداب . وقد احتوت تلك المقدمة على دراسة عميقة لما جاء فى الكتاب ؛ وبما لها من نفاذ الأديبة الشاعرة ، وبحكم كونها أقرب الناس إليه عرضت لشخصية المؤلف بالتحليل فكشفت لنا الستار عما يخفى علينا من خصائص نفسه الفنية الزاخرة بمختلف المشاعر الحادة والمعانى المتألقة

وبعد فما موضوع هذا الكتاب ؟ أو ما هي هذه النماذج البشرية التى عرضها علينا المؤلف ؟ نفر قليل من العباقرة الخلاقين أمثال : « جيته » و « دستويفسكى » و « موليير » و « هوميروس » الخ ... هم وحدهم الذين استطاعوا بطول

الفرغ Vacwm tube يتحول وبتقدم أخذت القوة الكهربائية للمخ نصيبها من البَزْل (اصطلاح طبى)

وكان الدكتور برجر أول من اشتغل بكهرباء المخ . وقد بزل المخ بوضع آلات تسمى (إليكترودات electrodes) مباشرة على العضو من خلال فتحات صغيرة فى الجمجمة . وحصل على آثار موجة المخ للعباقرة والبلهاء . وهذه الطريقة الآن يسهل استعمالها

هب أن مخك أريد به أن يبزل ؛ إذن يجب أن يدعك ذراعك الأيمن دعكاً تاماً لينتقل كل زيوت الجلد . ثم يُلف حول الذراع ضمادات مشبَّعة بمحلول ملحىّ لتحفظ الآلات المسماة (إليكترودات) مضغوطاً عليها تجاه الجلد عند المعصم والساعد . وتوضع حول رأسك عمامة بيضاء تحتوى على الجهاز الفضى للرأس ، وتوصل الأسلاك هذا الجهاز بجهاز آخر يسجل « تموجات المخ » على قصاصات من الورق

التموجات الكهربائية للمخ

الموجات الكهربائية فى المخ وزنان rhythms معروفان فى العلم بموجتى « ألفا » و « باء » Alpha & beta ووزن Alpha يتموج نحو ١٠ مرات فى الثانية الواحدة . و beta نحو عشرين مرة فى الثانية . وتظل هذه الموجات متماثلة يوماً بعد يوم فى حالات اعتيادية . وحينما يحدث اضطراب عقلى أو عصبى تسجله الموجات الكهربائية . فمثلاً فى الصرع epilepsy يوجد تكديس عظيم من القوة الكهربائية فى المخ بمقدار ٣٠٠٠٪ فوق العادى . وفى الأغماء تبطئ موجات المخ بالنزول إلى ٣ أو ٥ مرات فى الثانية . وعلى قدر ما يكون استعمالك لمخك شاقاً تكون القوة الكهربائية التى تنشرها أكثر . والاشتغال بالمسائل الحسابية العويصة يجمل الإلحاح على مقياس المخ كبيراً

ومن الوزن rhythm الذى يظهر على المسجل نحكم بأن النساء يفكرن أسرع من الرجال . والتكرار المتوسط لموجات « ألفا » عند المرأة ١١ فى الثانية مقابل ١٠٫٢ عند الرجال

والبزل الكهربائى للمخ يظهر فى موجات أناس يختلفون اختلافاً تاماً . ولقد برهنت التجارب حقيقة نظرية علم النفس بأنه ليس هناك شخصان يتشابه تفكيرهما بأى حال .

(الأسكندرية) عبد العزيز جادو

ماتدبروا الوجود والنفس الإنسانية ؛ النفاذ إلى جوهر الحياة الإنسانية ، فكشفوا الستار عن أسرار البشر وطبائعهم الأصيلة ، وأودعوا أبطال قصصهم هذه الأسرار وحملوهم هذه الطبائع فجاءت « نماذج بشرية » بحق كما سماها المؤلف لأنها تمثل آلافاً من البشر الذين يعيشون بيننا ويضطربون فى مناكب الحياة ؛ ولأنها تساهم فى تجسيم المشاكل الإنسانية ، تلك التى نشترك فيها جميعاً أياً كان زماننا وأياً كان مكاننا ، كمشكلة السعى الأبدى لبلوغ الحق والخير والجمال ، كما تصورها مأساة « فوست » ، وكالصراع الدائم بين قوى الفرد وصخرة المجتمع العاتية التى لا ترحم ، كما تبرزها قصة « جوليان سوريل » أو قصة الحلاق الفيلسوف « فيجارو » ، وكالحب ذلك القبس القدسى الذى أودعه الله قلوب البشر والذى لن تخمد جذوته ما بقى قلب ينبض فى هذه الحياة ، ذلك الحب الأبدى الذى خلد حياة « دانتى » الشاعر الإيطالى بقصته مع « بيتريس » فى « العهد الجديد » Vita Nova

فكتاب النماذج إذن وحدة متسقة لأن كل نموذج إنما هو محاولة لبلوغ العناصر الخفية فى نفوسنا الإنسانية . ولهذا كانت حياة النماذج حياتنا لأنها تجاوب ما فينا من عنصر إنسانى ، وتعبر عما يكتنف نفوسنا من مشاعر وأهواء

وقد أدرك الدكتور مندور هذه الحقيقة الواضحة التى يرجع إليها الفضل فى خلود نماذجنا على صفحات الزمن ، فبعث هذه الشخصيات الروائية خلقاً جديداً ملیئاً بالحياة ، زاخراً بمانيها . وكأن المؤلف إذ يحدثك عن نماذجه ويورد أخبارها إنما يحدثك عن شخصيات رآها ، أو حيوات عاشها ؛ وذلك ، بما له من قدرة على بعث نماذجه من مرقدها وإكسابها واقعية حية ، وتهيئة الأجواء التى عاشت فيها ، واستحضار الملابسات التى اكتنفت حياتها

وقد ساعده على هذا دراسة طويلة للآداب الغربية ، دراسة تستطيع أن تقف على مدى عمقها إن أنت قرأت ما كتبه عن « أوليس » ، تلك الشخصية التى خلدت فى الأدب اليونانى ، وذلك البطل الذى تردد ذكره فى الأوديسا والإلياذة ، ملحمتى « هوميروس » ثم بعد ذلك بقرون فى « فيلوكتيت » مسرحية « سوفوكليس » الشاعر اليونانى العظيم الذى عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد . وهل كان الكاتب يستطيع أن يلم بمعالم هذه الشخصية وتطورها إلا خلال دراسة ممحصة لهذه المسرحيات الثلاث ؟ بل ولحياة اليونان بأسرها : تاريخها وفلسفتها ، وفنها وأخلاقها ؟ وإن القارئ ليلمس آثار هذا الجهد حين يقرأ ما كتبه المؤلف عن « أوليس » وكيف أودع هذا النموذج تطور اليونان الروحى من خشونة البداوة الأولى بما فيها من مظاهر الشجاعة والإقدام إلى طور الحكمة وما يسوده من مكر ودهاء ؛ ثم إلى طور الانحلال الخلقى الذى يجعله المؤلف رهيناً بظهور الفلسفة وما يتبعها من سفسطة وتمرد للفكر . ويقول المؤلف فى ذلك (ص ١١٤) :

« لا . إن أوليس لم يعد « فى الأوديسا » من الصلابة بحيث كان ، وقد أخذ التفكير يتغلب فى نفسه على خشونة البداوة . أخذ الدهاء يسيطر على الشجاعة ، أخذت الرقة تنفذ إلى صلابة قلبه . أخذ يتحضر . وهذا أمر لا عيب فيه ، ولكن طريق الحضارة طريق زلق سوف تراه فى الحديث الآتى « فيلوكتيت » ينتهى برجلنا كما انتهى بالشعب اليونانى كله إلى بوادر انحلال خلقى ، ستكون إحدى مظاهره ذلك الخبث القبيح الذى يصدر عنه أوليس « فيلوكتيت » Philoctète مسرحية سوفوكليس اليونانى العظيم » . ثم يقول عن أوليس فى فيلوكتيت (ص ١١٤) :

« تركنا أوليس وقد أصبح فى الأوديسا أقدر على الدهاء مما عهدناه من قبل . وها نحن نلقاه اليوم فى « فيلوكتيت » مسرحية « سوفوكليس » الشاعر العظيم فإذا بنا فى القرن الخامس قبل الميلاد وإذا بنا فى أثينا حيث ظهر الفلاسفة ، وكثر الخطباء ، وتعدد السوفسطائيون : فأخذت بوادر الانحلال تدب فى

الأخلاق . وتلك ظاهرة لها أشباهها فى تاريخ كل الشعوب ، فالتفكير ملكة خبيثة كثيراً ما تنتهى بالإنسان إلى تبرير كل الوسائل والتماس كافة السبل لما نسعى إليه من أهداف ، فيسكت صوت الضمير ، وتختفى من النفس معانى النبل التى تتوافر عادة فى البداوة »

وهو يأبى أن يدع (أوليس) بعد هذه المسرحيات اليونانية الثلاث فتلمسه فى الآداب الحديثة أيام نهضت أوروبا من رقادها فى عصر النهضة ، تفتش عن تراث اليونان الخالد فتبعثه من جديد . وكان (أوليس) — وقد اجتمعت فيه عوامل الخلود — ممن استوقف الناظرين فظهر فى كثير من آداب عصر البعث العلمي . فتتبعه مؤلفنا عند (دانتى) الإيطالى وعند الشاعر الفرنسى (دى بللى Du Bellay) وأخيراً ينتهى بنا عند أوليس الكاتب الإنجليزى المعاصر (جيمس جويس James Joyce)

هذا هو الجهد الذى كان على المؤلف أن يحتمله كى يخرج لنا أوليس نموذجاً بشرياً فى صفحات قلائل ، يقرؤها آلاف البشر فى يسر دون أن ينعموا النظر فيما تخفى هذه السطور من دراسة دقيقة متصلة

(أوليس) إذن عصارة مركزة لتلك الآداب اليونانية التى تشربها المؤلف ، وأحسب أنه لو لم يتشربها لما استمتعنا بقراءة (أوليس) . فنحن إذ نقرأ أوليس نحس لذة لا تزول لأن مَن صور حياتها عاش أعواماً فى ظل (هوميروس) يحسو أعذب الرحيق من ملحمتيه ، وماشى تطور اليونان حتى عصر (سوفوكليس) . ولأنه زار تلك المواطن التى أوردها هوميروس فى ملحمتيه : شاهد بحار اليونان التى خرج فيها (أوليس) على رأس جنده ، وتطلع إلى قمة (الأولب) مقر الآلهة ، وشاهد تلك المخلفات الرهيبة الساحرة ، التى لا تزال تفوح منها حتى اليوم رائحة هذه المعارك الدامية بين أثينا واسبرطة ، وتنبعث منها صور الماضى السحيق وأطياف أبطال اليونان وشعرائهم وفلاسفتهم

وهكذا فالمؤلف إذ يحدثنا عن (جفروش) أو (العبيط) أو (ابراهيم الكاتب) لا يحدثنا عن شخصيات قرأ عنها فى بطون الكتب بل جاء حديثه نتاج تمثله لهذه النماذج وتشربه روح خالقيها . فحديثه إنما هو بعض نفسه ، ومن أجل هذا استطاع أن ينقل إلى قرائه فى يسر ، ما أحس من مشاعر ، وأن يضمن فى نفوسهم ما أحدثته هذه النماذج فى نفسه من أثر عميق لا يمحى

كل ذلك فى أسلوب لا أجد فى التعبير عن موسيقاه أحلى من قول السيدة ملك فى مقدمة الكتاب : « إنها ليست موسيقى رقص محدودة متقابلة ، ولكنها فيض نفس ، نفس حارة غنية ، موسيقى سيالة تعلو وتهبط ، وتتكسر وتتراخى وتتدافع حسب نبضات الإحساس أو وثبات الفكر . »

وبعد : فهذا أيها القارئ كتاب النماذج من حيث هو كتاب أدب . ولكن هل هو كتاب أدب فحسب ؟ أو أراد به مؤلفه أن يكون صياغة جديدة لبعض القصص العالمي ، وعرضاً تحليلياً لأبطال هذا القصص ؟ اللهم إن كان هذا لجاء الكتاب دراسة فحسب ولما كان فيه خلق أو طرافة . ولكن ما يعطى الكتاب قيمته التى سيخلد بها هو انطواؤه على تيارات خفية ؛ من اليسير على القارئ اللبيب أن يدركها ، تيارات نفسية هى مزيج من السخط على ما فى المجتمع من شرور ، وتطلع قلق لتحطيم ما فيه من أصنام ، وتدمير ما يحوى من نظم عقيمة بالية . هذه التيارات اعتملت فى نفس المؤلف وأقلقت روحه مذ كان شاباً غض الشباب ، فلم يجد سبيلاً للافصاح عن هذه الثورة الكامنة والتعبير عن أفكاره ، ومثله السياسية والاجتماعية ، إلا أن تكون هذه النماذج البشرية ، هذه المخلوقات الإنسانية التى تبناها لتصور بعض جوانب نفسه وتنقل رسالته الاجتماعية إلى الجيل الجديد .

عبد المنعم عبد العزيز المليجى
ليسانسيه فى الفلسفة

البريد الأدبي

فرقة التمثيل

حاربت مع من حارب الفرقة القومية للتمثيل التي كان يديرها الأستاذ الجليل خليل مطران، ولم أحفل بمن كان يطالب بالتريث والاصطبار إلى أن يشتد عضد الفرقة وتقوى على مسايرة الأمة في نهضتها الأدبية، لأني كنت ولا زلت أعتقد أن المسرح مرآة ثقافة الأمة وعنوان إذرا كها معنى الحياة وأن السكوت عنه إنما هو خيانة للأدب

ولقد صفقت فرحاً يوم استخلاص الشبان الإدارة من أيدي الشيوخ، لظن حسن مني بأن إرادة شبابنا لا تقاوم، وأن حبهم الفني للفن يقصيهم بعيداً عن الشهوات والنزعات

ولكن، سرعان ما قبض الشبان على أعنة التمثيل حتى استهانوا بالفن وبذواتهم، وتراخوا عن العمل، وانحدروا دراكاً إلى مستوى عامة الشعب

أسوق هذه الكلمة إلى إخواني في فرقة التمثيل المصرية وهم هم الذين قاموا على أنقاض الفرقة القومية، لا لأحاسبهم على ما اقترفوه في حق النهضة الأدبية خلال العامين المنصرمين في تمثيل روايات «كانا كده» وشهرزاد «وسلك مقطوع» وأضراب هاتيك المهازل السخيفة والتهريج السمج، بل لأنبههم بأن أقلام الكتاب لم تعد تغلها قوة طاغية، ولا تسيطر عليها أهواء السياسة ووسوسات الشيطان

حبيب الزحلاوي

تعقيب

عقب الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في الثقافة رقم (٣٠٠) على كلمة الأستاذ عبد الحميد ناصف في الرسالة رقم (٥٧٩) بشأن كلمة (الصدفة) إذ يستشهد الثاني على لغويتها ببيت أبي دهبل الجمحي:

فطوراً أمنى النفس لقياك صدفة
وطوراً إذا ما لجّ بي الحزن أنشج

ويتساءل الأستاذ عبد الباقي عن المصدر الوارد به هذا البيت

قلت: ورد البيت في كتاب الأغاني جزء ٦ صفحة ١٥١ (طبعة المغربي) هكذا:

فطوراً أمنى النفس من عمرة المنى
وطوراً إذا ما لج بي الحزن أنشج

كما أنه ورد على هذه الصورة في أمالي المرتضى جزء (١) هامش صفحة ٨٢

وأما عمرة هذه صاحبة أبي دهبل فهي امرأة من قومه (وكانت جزلة يجتمع الرجال عندها لإنشاد الشعر والمحادثة)

(نابلس) **فدوى عبد الفتاح طوقان**

إلى الأستاذ توفيق الحكيم

سيدي الأستاذ الجليل صاحب مجلة الرسالة المحترم

قرأت في العدد ٥٨٨ من مجلتكم الغراء في باب البريد الأدبي كلمة للأستاذ توفيق الحكيم يرد بها عن نفسه بعض تهم ألصقتها به الصحافة السورية، كما أنه يتبرأ من رأي [هو كعادة آرائه في المرأة] كان قد أعطاه عن الوحدة العربية راجياً صحف الأقطار الشقيقة أن تضن قليلاً بحسن ظنها في صحة الأقاويل والإشاعات التي تنسب إليه وألا تلقي بالاً إلى غير ما ينشر موقعاً عليه باسمه من مقالات أو تصريحات مسنداً ذلك إلى بدعة «أحاديث المجالس» المتفشية في الصحافة الحديثة. (كذا)

ولما كنت ذلك الصحافي الذي تفضل عليه الأستاذ (حفظه الله) برأيه في الوحدة العربية لأنشره، وقد نشرته فعلاً في مجلة (العالمان) السورية في شهر يونية الفائت إلى جانب آراء للأساتذة أنطون الجميل بك وعبد القادر المازني و.. وكان يومئذ جالساً في مقهى (ريتز) مع الأستاذ المازني (الذي لم أكن أعرفه) فقدمني إليه يعطيني بدوره حديثاً عن الوحدة قائلاً: إن الأستاذ المازني خير من يفي هذا الموضوع حقه لأنه أكثر ممارسة له

وقد كان الأستاذ المازني لطيفاً جداً إذ وعدني بإنجاز

الحديث في اليوم التالي بينما كان الأستاذ الحكيم يكتب بخط يده ! نعم بخط يده ، أجوبته على أسئلتي على ورقة ما زالت محتفظاً بها

وبعد . فقد جئتكم راجياً نشر كلمتي هذه على صفحات رسالتكم لإظهار الحقيقة

وتفضلوا بقبول أسمى احترامي **محمد فاضل طه**

نظرية دوركهيم والإصلاح الاجتماعي

كتب الدكتور محمد مندور مقالاً في العدد ٥٨٦ من مجلة الرسالة الغراء ، ذكر فيه رأيه في المنهاج الذي يجب أن نسير عليه إذا أردنا النهوض ببلدنا . ونص فيه على « شاب مسكين أكبر الظن أنه حديث التخرج من قسم الفلسفة بالجامعة » لأنه « تحدث عن مكافحة الأميين في ضوء علم الاجتماع » فذكر « أن هذه المكافحة ستجري ضد قوانين علم الاجتماع المزعومة » وأنها لذلك لن تنجح لأن عقلية الفلاح ليست عقلية حضارة وعلم وإنما تصبح كذلك بعد أن تنتشر الصناعات في مصر »

وأنا لم أقرأ مقال هذا الشاب (المسكين) ولا يعنيني رد الدكتور مندور عليه أو شتمه إياه وإنما يعنيني أن أدفع زعماً نشأ عن سوء الفهم لنظرية المدرسة الفرنسية الحديثة وعلى رأسها العلامة دوركهيم

لعل الفكرة الأساسية في نظرية دوركهيم هي أن الظواهر الاجتماعية تسير وفق قوانين لا تقل في صرامتها عن قوانين الطبيعة ، وأنها تتطور تبعاً لسير الزمان واختلاف المكان

وليس معنى هذا أننا لا نستطيع عمل أي إصلاح . ويتحتم علينا أن نقف مكتوفين أمام ما تبرمه تلك القوانين . كلا . إننا إذا دققنا الفهم ووضعنا هذا الأساس أمام أعيننا أمكننا أن ننشئ فناً إصلاحياً دعامته علم الاجتماع . فمن يقوم على دراسة ظروف البيئة وأحوال الشعب وأخلاقه ، ومقدار التطور فيها ، ومقدار تقبل الشعب للإصلاح الجديد . ويجب أن نقف على حالته الاقتصادية وقوفاً تاماً . وبالجملة نكون على علم تام بحالة البلد التي نحاول أن نضع لها مشروع الإصلاح ، وما يترتب عليه من نتائج في شتى فروع الحياة . وينبغي كذلك أن نستعرض آثاره في الأمم التي أخذت به ، حتى نستطيع أن ننتفع بأخطاء غيرنا ، وأن نكون على علم بالأحوال والظروف التي أحاطت بتنفيذه حتى نتلافى الضار منها

هذا هو الوضع الصحيح إذا أردنا الإصلاح ، وأردنا أن نسير بالمجتمع نحو الكمال في شيء من التدرج الذي لا يحس معه أفراد المجتمع أن شيئاً خارجاً عن طبيعتهم قد أقحم عليهم ، بل يشعرون إن إصلاحاً كهذا من طبيعة الأشياء ومن لوازمها .

ولعمري إن هذا الشعور وحده قمين بنجاح أي إصلاح

ولقد أجاز بعض العلماء التدخل في قوانين الظواهر الاجتماعية . أي في لغتنا نحن أجاز هؤلاء العلماء أن نظفر بالشعب ونستحثه على السير إلى الأمام بخطوات أوسع ، ولكن هذا لا يتم إلا إذا هيأنا أذهان المجتمع لإصلاحنا التهيؤ الكافي

ومن هذا نرى أن علماء الاجتماع لا يقفون بعلمهم موقفاً عقيماً في وجه أي إصلاح بل إنهم يريدون أن يكون الإصلاح أساسه العلم الصحيح بأحوال المجتمع وميوله

وإذا رحنا نحن نوسع هذا القول ونقاربه من الموضوع الذي حدا بنا إلى كتابته وهو موضوع محو الأمية . فإننا نرى أن هذا المشروع يسير وفق قوانين المجتمع ، فلقد أحسسنا رغبة شديدة في محو الأمية للاستزادة من العلم والسير في قافلة العالم المتمدين . ثم إن هذا المشروع لم يرتجل ارتجالاً بل أتى نتيجة لدراسة عامة شملت جميع النواحي الاجتماعية وخاصة الناحية الاقتصادية . زد على ذلك أنه عند عرض هذا المشروع على البرلمان المصري لم يعترض أحد على المبدأ مما يدل على أن هناك استعداداً لتقبله

وأخيراً فإني أعتقد أننا عملنا الدعاية الكافية له . وأن في مسارعة الهيئات المختلفة إلى تلبية ذلك النداء لدليلاً كافياً على أن الزناد كان متوقفاً على إشعال الثقاب فقانون محو الأمية يوافق رغبات المجتمع إذن وهو بذلك يسير وفق قوانين علم الاجتماع التي قلنا عنها إنها تتطور على مرور الزمان وتختلف باختلاف المكان

أما إذا كان مخالفاً لرغبات المجتمع فما كنا نرى بالمرة صيحات الاستحسان له من كل مكان ومنها صيحة الدكتور مندور، وأظنه يعلم من تاريخ النهضة أولئك الرجال الذين أوذوا في سبيل دعواتهم لأنهم لم يمهدوا لها التمهيد الكافي مخالفين بذلك نواميس الاجتماع

فليطمئن إذن الدكتور مندور فإن أحداً لن يتأثر بدعوته الهوجاء في نبذ نظريات العلم لأن هذا يخالف قوانين المجتمع ولأن أحداً لم يبلغ من السذاجة مقدار ما بلغه رجله الفرنسي

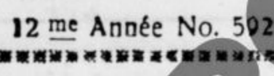
وبعد فهذه كلمة قصيرة نكتفي بها اليوم ولدينا مزيد إذا أراد الدكتور مندور .

سعيد زايد
ليسانسيه في الفلسفة والاجتماع



12 me Année No. 592

Lundi - 6 - 11 - 1944





مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٩٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٠ ذو القعدة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٦ نوفمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

العقلية المصرية

للدكتور محمد مندور

لست ممن يركنون إلى اليأس أو يدعون إلى التثبيط ، وبودى لو نفثت فى كل قلب إيماناً بالنفس وأملاً فى الحياة حتى أرى جميع مواطنينا كالـكراة من المطاط ، كلما زدتها صدماً ازدادت قفزاً ، ولـكننى مع ذلك عودت قرائى الصراحة فى علاج مشاكلنا ، ولقيت دائماً ممن حظيت برأيهم تأييداً حاراً صادقاً . ثم إنى أومن بأنه لا خير فى التعامي عن الواقع ، بل لا خير فى إنـكاره ، لأن إنـكاره لن يمحوه . وهأنا اليوم أعالج أخص ما تملك كأمة ، وهو العقلية المصرية . ولى فى تلك العقلية رأى ثابت استخلصته من احتكاكى الطويل بعقليات الشعوب المختلفة وبخاصة الشعوب الغربية . وسأبسط هذا الرأى ثم أحاول تفسيره لنستنبط ما نستطيع من علاج.

كنت أنا وزملائى من المصريين نتلقى العلم سنين طويلة بالجامعات الأوربية مع طلبة من كافة الأجناس ، ولاحظت أن الـكثيرين منا كانوا يتفوقون على إخوانهم فى الدرس تفوقاً واضحاً . ثم عدت وعاد زملائى ؛ فإذا بالقليل منا من يوفق إلى اكتشاف جديد فى ميدان المعرفة ، بل إلى تجديد فـكرة

معروفة أو تعميقها ، وعلى العكس من ذلك نسمع أن هذا الزميل الفرنسى ، أو ذاك الإنجليزى قد اهتدى إلى نظرية غير معروفة أو كشف الحجاب عن مجهول فى مجال المادة أو مجال الإنسان . وأنعمت النظر فى هذا التناقض الواضح فاستقر بنفسى أن العقلية المصرية سلبية قابلة ، بينما عقلية الغربيين إيجابية فعالة . فنحن نستطيع أن نحصل ما يلقى إلينا ، ولسنا بلا ريب دون أحد فى قوة الذاكرة ، ولكننا لا نكاد نتخطى دور التقبل والتحصيل حتى يتبلد حمارنا ، ولقد ينجح بعضنا فى الجدل ، ولكن مجهوده قلما يعدو فك الأفكار الأساسية كما تفك النقود إلى وحدات من البرونز ، ولا يقف تأثير تلك العقلية القابلة عند ميدان المعرفة ، بل يمتد إلى الحياة العملية ذاتها ؛ فترى الكثيرين منا حتى المثقفين ضيق الحيلة سيئ التصرف ، قليلي الاعتماد على النفس والسير على أقدامهم أو الاهتداء إلى السبيل السوى عندما يضطرب حبل الأمور وتشتد المواقف

هذه ظاهرة لا أظن هناك ما هو أخطر منها فى حياتنا ، ولابد من أن نلق عليها من الضوء ما يظهر مواضع الخلل فى بنائها

لعل من أكبر الأسباب التى كيفت العقلية المصرية على النحو الذى ذكرنا تلك الحقيقة الواضحة ، وهى أنه قد يكون عندنا تعليم ، ولكن مما لا شك فيه أنه ليست لدينا ثقافة ، حتى لقد استطعنا فى إحدى المقالات السابقة أن نتحدث عن أمية المتعلمين ، والتعليم شيء والثقافة شيء آخر ، وإن كان من الممكن أن يصبح التعليم ، إذا أقيم على مناهج سليمة ونهض به أساتذة أكفاء ، وسيلة من وسائل التثقيف ، التعليم كما نلاحظه عندنا تلقين للمعارف ، وأما الثقافة فتكوين الملكات ، وهذا مالا وجود له بيننا تقريباً ، وفى الغرب نستطيع أن نقول إن عملية التثقيف تبدأ مع الميلاد ، وهذا هو ما يعبر عنه المفكرون بقولهم إن خلف الأوروبيين قروناً من الثقافة يتوارثونها ابناً عن أب . وهذا قول لا يخلو من تجوز ، ومع ذلك فهو صحيح ولفهمه يلجأ بعض المفكرين إلى البحث فى تأثير النشاط الثقافى على مراكزنا العصبية ، وتوارث تلك المراكز مشكلة مكيفة ، ولكن هذا بحث نتركه لأنه فى نظرنا لا يقل غموضاً ومجازفة عن البحث فيما وراء الطبيعة ، وإنما نقف على العكس من ذلك عند أمرين : اللغة ، وطريقة الحياة . فالطفل الأوربى يحصل بتحصيله لغته اليومية طائفة كبيرة من المعارف التى تملأ سوق الحياة ، وهو يحس بأثر تلك المعلومات الفعالة فى كل أموره ويخبر صدقها عن تجربة ؛ فيتمثلها تمثل الهضم ، وإذا بها جزء من تكوينه العقلى ، وهو يسير فى حياته على طريقة لا تخلو ، مهما بلغت من البوهيمية ، من منهج وغاية . وتنظيم تلك الحياة المادية ذاته فيه ما يرفع عن كاهله الكثير من تفاصيلها ، حتى ليتكلف أقل الجهد فى إعداد ما يحتاجه من طعام أو كساء . وليس من شك فى أنه كلما تخلصنا من تلك التفاصيل وأنزلناها منزلة الآلية تحرر الكثير من وقتنا لنصرفه فى النشاط العقلى ، وبخاصة القراءة ؛ فالأم فى بيتها والأب فى عمله يجد كل منهما متسعاً لتغذية تفكيره ، وإذا بجو المنزل تنمره الثقافة التى تنفذ إلى عقل الطفل إن لم تُندّ خلاياه

لقد ناقشنا بإحدى الصحف مشكلة الأخلاق ؛ فرأينا أن التربية لن تجدى فى علاجها قدر ما يجدى إصلاح النظم التى تمكن الفرد من أن يصل إلى حقه ويدفع عن نفسه العدوان بوسيلة كريمة غير الرجاء الذى تفشى فى بلادنا كالوباء . وباستطاعتى اليوم أن أجد فى نفس هذا الإصلاح علاجاً للعقلية المصرية . وليس بخاف أن العلاقة متينة بين العلم والخلق ، وقديماً قال أحد المفكرين إن علماً بلا خلق خراب للنفس ، وفى الحق ماذا يستطيع فى مجال العلم رجل لا يملك حتى الثقة بنفسه والاعتزاز بكرامته . وعندما تضطرب النفس وتتقاذفها الآلام كيف تريدها أن تصبر على كشف مجهول أو متابعة حقيقة أو استقصاء رأى . نعم إن العلماء فى كافة بقاع الأرض لا تأخذ نفوسهم شهوة المادة ، وتعلقهم الأول إنما هو بجوهر الفكر الخالد ، ولكن هذا لم يمنع الهيئات الاجتماعية التى يعيشون بينها من أن توفر لهم أسباب الحياة ، وتمكنهم من وسائل البحث . وأما نحن فنى وضعنا معملاً تحت تصرف عالم ، أو رزقاً ضرورياً فى متناول أديب . وهبنا أبدينا استعداداً لأن نفعل ذلك فكيف السبيل لهذا العالم ، أو ذاك الأديب أن يظهر مواهبه فى بلاد بلغ فيها التفاوت فى الثراء مبلغاً عض معه الفقر ملايين من

البشر الذين لا يمكن أن نعدم — لو واتتهم الفرص — أن نعثر بينهم على نفر ولو قليل ممن حباهم الله مواهب النفس.

إذن فعدم تهيؤ الجو الثقافى الصحيح فى منازلنا ودور تعليمنا من جهة، وفساد نظمنا الاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى عاملان كبيران فى تكييف العقلية المصرية. ولربما كان هذا هو السبب فى أن الكثيرين ممن يعودون من أوروبا من شباننا لا يلبثون قليلا قليلا أن يخمد ضغط الوسط ما فيهم من حماسة ويثبط ما فى قلوبهم من عزم بحيث لا نستبعد لو أن أحدهم بعد تخرجه باشر حياته العملية فى أوروبا لاستطاع خيراً مما يستطيعه هنا، وإن كنت لا أنكر أن نفراً غير قليل منهم لم ينزحوا إلى الغرب إلا بعد أن أخذوا طابعاً شبه نهائى، وكانت أمزجتهم من الصلابة بحيث لم تستطع ملابسة الوسط الجديد والتشبع بثقافته وطرق حياته؛ فلم تجد فيهم رحلة ولا أجدى اغتراب.

والآن كيف السبيل إلى علاج تلك الظاهرة. وهنا قد يصيح بى صائح، ولكن السبيل واضح تستطيع أن تجده فيما أسلفت من قول، فما عليك أو علينا إلا أن نصلح نظمنا، وأن نهيئ ما نريد ونريد من جو ثقافى فى منازلنا ودور علمنا، ولكن هذا الصائح لن يلبث أن يوقعنا فى دور؛ فمن لى ولكم بإنجاز ذلك، وهو لا يبدو هيناً إلا فى الكتابة؟ فهذه إصلاحات لابد أن يسوق إليها رأى عام قوى، وهذا الرأى لن يتكون إلا باستنارة العقول. والسبيل إلى تلك الاستنارة هو أن نسكت فى نفوسنا النعرات الباطلة، وألا نستنكف فى الأخذ عمن سبقونا فى الحضارة، وألا نمل تكرار ما نأخذه عنهم، حتى يستقر فى النفوس وينزل منها منزلة الإيمان؛ فمنذئذ يصبح الفكر عملا، وإذا بعقليتنا السلبية القابلة تستحيل إيجابية فاعلة. فاليوم الذى نؤمن فيه أن لكل فرد حقاً يجب أن يناله بغير رجاء؛ فإن لم ينله حكم له به قضاء عادل، واليوم الذى نؤمن فيه بأن لكل فرد أن يستغل ملكاته، وأن يُمكَّن من وسائل ذلك الاستغلال، وأن جهده لابد أن يقوته على نحو جدير بمستوى الإنسانية، واليوم الذى نؤمن فيه بأن للفكر الإنسانى كرامة لا تدانيها كرامة المال، حتى تقر الهيئة الاجتماعية لرجاله بما يستحقون من وجاهة وتقدير، هو اليوم الذى سيمتاز فيه المصرى بألا تكون عقليته سلبية قابلة، بل إيجابية فاعلة

محمد مندور

صـــــلوات فـكر في محاريب الطبيعة !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

في فيض الحياة

أحياناً ينبثق في روحي فيضٌ غامرٌ من الحياة كما ينبثق الماء في حوض جاف ... ولن يقيد روحي وقت ذاك قيد ما ، بل تكون كمين ثَرَّة تتفجر فتشق الصخر العاتي وتجرف السدود كما يجرف السيل الحصى والحطب والغُثاء ... وأنا حينذاك أُحسُّ بإنسانيتي الفائقة ، ويزداد شعور ثقتي بنفسي وإقبالي على الحياة ...

وأتمنى أن يشيع هـذا الشعور الفائق الفياض في جميع أرواح أبناء آدم . سواء كانت أرواح تلك الأجسام العاجيّة الوردية ذات العيون الصافية والشعور الذهبية والعنبرية ، التي أتخيلها راقصة ضاحكة في أفراح الحياة مخمورة بخُمار الحب وسكرات الجمال وطُفور القوة ... أتمنى لهـا ذلك حتى لا يكون خُمارُها خُمارَ الغفلة والزهْـوِ والركون إلى فترات الحياة اللاهية مع إهمال ما وراء هذا العالم الفاني من العالم الباقي ..

وأتمنى أن تشيع هذه القوة أيضاً وهذا الشعور الفياض في أرواح تلك الأجسام القبيحة الضعيفة الكئيبة ذات العيون المنطفئة والجلود المجعَّدة المخدَّدة والشعور الكدِرَة التي تعبث بها نسائم الحياة كأنها شعور جماجم موتى تعبث بها ريح ثقيلة ... والتي تتخيل بياض النهار سواد ليل ، وذهب الضحى خزف تراب ، وحرير الورد إبر شوك وقتاد ... وترقص على ذلك رقصة ذبيح يُجرجِرُ جسمه المتهالك في رعشة الموت وحشرجة الفناء ، وتَغَصُّ بريقها وتأكل أكبادَها من الحسرة ، وتشرب حميم دموعها من الغُصَّة وتطعمُ غِسْليناً وزقُّوماً ... أتمنى ذلك حتى لا يكون وراء هذيانها وبَحرانها بحمَّى الألم ، وانكسار أعوادها بقاصمات الظهور شيء من يأس الكفر بالحياة والجحود لمستقبلها فيما وراء هذا العالم الفاني من العالم الباقي

فاسكب اللهم فيضك ونورك على أرواحنا ، وأوسع ما بينها وبين رحمتك ، ولا تُظمِئها فتجعل هذا الفيض غوراً يغيض ولا يفيض !

حياة مضاعفة

لست أحيا حياتي وحدي ... وإنما أشعر أني أحياها ومعها حيوات جميع الكائنات التي أدركتها بالفكر والقلب !

وتظهر قيمة رُحْب النفس الإنسانية من مثل هذا الشعور .

إن الإنسان إذا اتصل بالكون اتصالاً وثيقاً كان حَرِيّاً أن يقذف الله مُفِيضُ الحياة على قلبه فيوضاً من كل منبع من منابع الوجود التي يتعرف إليها بفكره وقلبه !

الحياة بالحس وحده

يَـلَذُّ لي أن أعيش حيناً بالحس وحده في فراش دافئ وثير في صبح يوم من أيام الشتاء جامد الفكر والجوارح لا أكاد أحرك في فكري وجسدي قوة ! حين أتلقى من الحياة فيضاً من فيوض الشعور بالجسد ! ... حينئذ أستقبل الحياة بأنفاسي وحدها آخذُها شهيقاً وأرسلها زفيراً في رتابة واسترخاء ...

وقد يدور في خلدي حينئذ طائف من الأفكار المختزنة أجترُّها في هدوء كما تجترّ الأنعام الجاثمة على العشب الطعام المختزن في كسل واسترخاء واستغراق واستقبال لموجات فيض الحياة من منبعها الخفي غافلة عما يدور في الكون ...

حينئذ يحلو لي أن أتسمع إلى أنفاسي تتردد بين الجو وصدري ، وأن أتسمع إلى نبضات قلبي التي تختلج وتهتز لها كل خلية في جسدي وتنقضي بها لمة من لمات روحي ...

حينئذ أشعر بحنان غامر يغمر أعضائي وآلاتي العاملة في دءوب وقوة وصبر منذ أن دارت دورتها الأولى مع نسمة الحياة

التي نفخها فيها نافخ النسمات ، فابتدأت تدور طائمة مع جماعات الأحياء التي ترقص برعشات الحياة !

الحياة بالفكر وحده

وفي كثير من الأحيان أشعر بخفة في جسمي كأني لا أحمله ولا صلة لي به إلا إذا تحسسته بيدي ... وحينئذ قد أشعر أنني صوتٌ أو نظرٌ أو سمعٌ لا أكثر

يعتريني هذا الشعور غالباً حين أكون في الظلام في مهب نسيم رفيق ...

تُرَى ، هل يكون إحساسنا بالكون بعد انسلاخ أرواحنا من أجسامنا هكذا ؟ فنصير كائنات مجردة من الأجسام ، ترى وتسمع وتحس بدون هذه الوسائط المادية ؟

على أي حال إن هذا الشعور مَدْخلٌ ندخل منه إلى عالم كائنات الأفق الأعلى الذي يلي أفق حياتنا ...

الكون الجديد دائماً

أرى الكون صباح كل يوم كأنما فرغ من صنعه الصانع الأعلى في التوّ والساعة ! ولا أجد فيه قديماً إلا ذهني الذي أحس أنه يعرض عليَّ صوراً قديمة من الأيام السابقة ...

إن الله مُحتفِظ بالكون مُجدِّد عوامل الحياة والنمو فيه !

ولو أنصفنا لصحونا من نومنا كل صباح كأننا مخلوقون في ذلك الصباح وحده . ولأهملنا ما في ذاكرتنا من ذكريات الآلام في الأيام السابقة ، حتى نتجدد مع الكون

الكون أبو الهول

كلما تخيلت نفسي فرداً واحداً في غمرات الناس ، وذرَّةً ضئيلة بين هذا الكون الواسع الهائل الجبار تنظر بعينين ضئيلتين إلى دولاب الحياة الدائر وإلى وجه الله القيوم على ذلك الكون وما وراءه ، أحسست بهول المسألة الكبرى والنبأ العظيم الذي ينبثّ في الكون والسر الخفي الذي خلق له ... !

وحينئذ لا أملك إلا ما تملكه الذرَّة الصغيرة التي تحملها ريح عاصف وتضرب بها في فجاج الأرض في سفر لا ينتهي !

روائح الجنة

الجنة في الأرض ولكنها غير دائمة ، تراها في رحاب الجمال في زمان الربيع في سكرة الحب في حالة صفو النفس ورضاها عن نفسها وعن ربها ، وقت أن تقول ليس في الإمكان أبدع مما كان !

ولو دامت النفس على هذه الحال لاستراح الناس إلى الدنيا باستراحتهم من أحاسيس القبح والشناعة والشقاء واعتكار البال والسخط على الحياة

ولكن الله حين لم يُرِدْ لنا الدوام في هذه الأرض ، لوّح لنا بالجمال والقبح ، والرضا والسخط ، والراحة والشقاء ، وداولها على نفوسنا حتى نعلم أن الكمال ليس هنا ، وأن النقص الذي نراه وندركه هنا هو وسيلة إلى إدراكنا للكمال التام هناك .

وما تحلم به النفس من المتاع الدائم والقدرة عليه والانتقال السريع إلى درجة الكشف عن رحاب السموات والأرض في خطرة النفس ولمحة البصر ، ولقاء الأحباب بعد الموت والخلود معهم ، وعدم وقوف عائق أمام إرادة النفس ، وعدم استعصاء شيء على الإدراك و ... كل أولئك هو من عالم الجنة ، عالم « ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين » و « لهم فيها ما يدَّعون » و « لا مقطوعة ولا ممنوعة » و « عرضها كعرض السماء والأرض » و « ما أُخفي لهم من قرة أعين » و « رضي الله عنهم ورضوا عنه » و « رضوان من الله أكبر »

إن الله يداول جميع المعاني الأرضية على القلب البشري كما يداول « الفنان » أنغامه على أوتار قيثارة . وفي القلب البشري أوتار الألم لا بد من استعمالها لتبرز نوعاً ما من الحياة لا بد منه في الدنيا . وانفعال النفس تحت العوامل الدنيوية هو الذي ولد لها خواصها ، وأخرج منها معانيها الكامنة

وكما تحرث الأرض بالمحاريث وتمزق بالفئوس لتخرج كوامن العناصر تُمِدُّ بها الزرع لا بد من حرث النفس بعوامل النعمة والشقاء ، حتى تخرج كوامنها .

عبد المنعم خفوف

٢ـ أبو تمام بين أعدائه وأصدقائه

للأسـتاذ دريني خشبة

في أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي أن أعداء أبي تمام احتجوا فيما احتجوا به على سرقاته بما رواه[1] أحمد بن أبي طاهر أبو الفضل الـكاتب قال : دخلت على أبي تمام وهو يعمل شعراً ، وبين يديه شعر أبي نواس ومسلم ، فقلت : ما هذا ؟ قال : اللات والعُزّى ، وأنا أعبدهما من دون الله مذ ثلاثين سنة !

وقد دافع الصولي عن أبي تمام فقال : وهذا إن كان حقاً فهو قبيح الظاهر ، رديء اللفظ والمعنى ، لأنه كلامٌ ماجنٍ مشغوف بالشعر والمعنى أنهما شغلاني عن عبادة الله عز وجل

ثم انطلق الصولي ينفي تهمة الـكفر عن أبي تمام ، وفاته أن المقصود بالرواية هو إكباب أبي تمام على شعر أبي نواس ومسلم ينتهب من معانيهما ما يشاء . وقد دافع الصولي عن أبي تمام دفاعاً مجيداً ، إلا أنه ليس — في نظري على الأقل — أمجد من اتهام الآمدي[2] له ، واستقصائه سرقاته يرجعها واحدة فواحدة إلى أصحابها ، هذا وإن اشتط الآمدي وأفرط في ذلك إفراطاً يبدو من ثناياه تجنيه على أبي تمـام ، وظلمه له أحياناً ... والذي يعفي الآمدي من سخطنا هو إلمامه الواسع بأشعار العرب ، ومقدرته المدهشة في رد السرقات إلى أصولها من أشعار قائليها ، وأستاذيته التي تتجلى في إدارة حواره بين صاحب أبي تمام وصاحب البحتري ، والفصول القيمة التي أظهر فيها سقطات أبي تمام في الموازين والنحو والبيان والبديع ، وما إلى ذلك كله من نواحي الضعف في شعره

والذي يدرس أبا تمام في هذين الـكتابين الفريدين من كتب النقد العربي ، يرى كيف أن الناس — على حد ما ذكره المسعودي في مروج الذهب[3] كانوا فيه طرفي نقيض ... متعصب له يعطيه أكثر من حقه ، ومنحرف عنه معاند له .. أو كما قال أبو الفرج صاحب الأغاني :[4] وفي عصرنا هذا من يتعصب لأبي تمام ، فيفرط ، حتى يفضله على كل سالف وخالف ، وأقوام يتعمدون الرديء من شعره فيشهرونه ويطوون محاسـنه ، ويستعملون القحة والمـكابرة في ذلك ؛ وعبارة أبي الفرج توحي بما كان يضمره لأبي تمام من إعجاب . وقد ذكرنا في كلمتنا ما كان يقوله دعبل في شعر أبي تمام ، من أن ثلثه سرقة ، وثلثه غث ، وثلثه صالح . وقد روى الصولي بعد هذا الخبر عن دعبل أنه كان يقول : لم يكن أبو تمام شاعراً . وإنما كان خطيباً ، وشعره بالـكلام أشبه منه بالشعر

وقد أشرنا إلى خصومة ابن الأعرابي ، تلميذ المفضل الضبي والـكسائي ، لأبي تمام ، وقد وعت بطون كتب النقد أعاجيب شتى من أنباء تلك الخصومة تعد من النوادر في أخبار الخصومات الأدبية : فمن ذلك ما ذكره الطوسي قال : وجه بي أبي إلى ابن الأعرابي لأقرأ عليه أشعاراً ، وكنت معجباً بأبي تمام . فقرأت عليه من أشعار هُذَيل ، ثم قرأت أرجوزة أبي تمام على أنها لبعض شعراء هذيل :

وعاذل عذلته في عـــذلهِ فظن أني جاهل من جهلهِ

حتى أتممتها ، فقال : اكتب لي هذه ، فـكتبتها له ، ثم قلت : أحسنة هي ؟ قال : ما سمعت بأحسن منها ! قلت إنها لأبي تمام ! فقال : خَـرِّقْ خَـرِّقْ ! أي مزّق ، مزّق !

ومع ذلك ، فقد كان ابن الأعرابي ، هذا الحجة الفاضل ، يحفظ كثيراً من شعر خصمه أبي تمام ، ويتمثل به ، وهو لا يدري أنه له ؟

وعلى هذا النحو كان الناس في عبقري الشعر العربي . وعلى هذا النحو ، لا يزال الناس في أبي تمام !

والحق الذي لا يماري فيه إلا مكابر ، أن أبا تمام كان نادرة زمانه في الشعر العربي ، بل إنه لا يزال نادرة هذا الشعر حتى اليوم ، فليس في شعراء العربية من استطاع أن يصور كما صور أبو تمام . وليس فيهم من استطاع تلوين صوره كما لونها هـذا الشاعر المفتن المبدع[1] ، وذلك لا يعارض ما أثبته عليه خصومه

(١) ص ١٧٣ (٢) الموازنة بين أبي تمام والبحتري
(٣) جـ ٧ ص ١٥٣ (٤) جـ ١٥ — ص ١٠٠

(١) مما نذكره معجبين ، في هـذا الصدد . ذلك الفصل القيم ، أو تلك الفصول القيمة ، التي جلى بها الدكتور الفاضل شوقي ضيف الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول مقدرة أبي تمام على التصوير ، وذلك في رسالته الثمينة « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » تلك الرسـالة التي لا نرى بداً من توجيه أنظار شعراء الشباب إلى ما تضمنته من بحوث عميقة جيدة في الشعر العربي ، منذ الجاهلية إلى الآن . ونرجو أن تسمح لنا ظروفنا بمناقشة بعض آرائها التي لا نوافق الأستاذ الفاضل عليها مع اعترافنا بعظم ما فيها من حسنات .

من سطوه الكثير على معانى الشعراء ، ذلك السطو الذى كان يفتن أبو تمام فى إخفاء معالمه وستر مصادره بهذا البهرج الكثير من الصنعة البيانية ، وتلك المركبات البديعية التى كانت تأتى زاهرة باهرة أحياناً ، وملتوية معقدة لا تكاد تفهم أحياناً أخرى : وما ظنك بهذا الالتواء الذى يشتد ، حتى لا يفهمه عبد الله التوّزى – أو التوّجى ، تلميذ أبى عبيدة والأصمعى ، الذى قال فيه المبرد : ما رأيت أحداً أعلم بالشعر من أبى محمد التوّزى ، كان أعلم من الرياشى والمازنى ! فقد سئل هذا الرجل عن شعر أبى تمام فقال : فيه ما أستحسنه ، وفيه ما لا أعرفه ولم أسمع بمثله ، فإما أن يكون هذا الرجل أشعر الناس جميعاً ، وإما أن يكون الناس جميعاً أشعر منه ! (الصولى ص ٢٤٥) والعجيب أن يعترف بذلك الصولى نفسه وهو (محامى) أبى تمام وقد ذكرنا كلمته التى أقر فيها بأنه : ليس أحد من الشعراء يعمل المعانى ويخترعها ويتكئ على نفسه فيها أكثر من أبى تمام وأنه متى أخذ المعنى زاد عليه ، ووشحه ببديعه ، وتمم معناه ، فكان أحق به ! وقد ذكر الآمدى أن أبا تمام كان يتعالم فى شعره ويتفلسف (الموازنة ص ٢ — ١١) ويصف ممدوحيه بالرمز إلى عقائد بعض الفرق الإسلامية ، فيزيد ذلك فى غموض شعره ويضاعفه ، ويتعسر فهمه على غير من يعرف تلك العقائد ، ويلم بهذه الأسرار : فقوله من مدحة فى أبى سعيد :

فلو صح قول الجعفرية فى الذى   تنص من الإلهام خلناك ملهما

لا يفهم حتى نعرف أن الجعفرية فرقة من الشيعة تنتسب إلى جعفر بن محمد ويدعون له الإلهام ، كما يحدثنا بذلك التبريزى فى شرحه لديوان أبى تمام ، وكما نعرف ذلك من كتب الملل والنحل مثلاً ، ثم قل مثل ذلك فيما يصادفك من أبياته التى تنبئ بالمامه بالمذاهب والعلوم والفلك والنحو والمنطق مما كان يجيد الرمز به والإشارة إليه ، متعمداً مرة ، جارياً على سليقته أحيانا . وكله مما لا نرى أنه يدخل فى باب الشعر ، بل هو ، كما ذكرنا فى كلامنا عن ثقافة أبى العلاء تعالم من أبى تمام على أهل زمانه المتعالمين . أما ثقافة أبى تمام الحقة ، فتنحصر فى سعة إلمامه بشعر من تقدمه من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين والأمويين والعباسيين ، ودقة فهمه لمعانيهم ، وحسن اطلاعه على مذاهبهم ، وقد اشتغل فعلاً بالتصنيف الشعرى ، يؤيد ذلك ما ذكره البديعى فى كتابه « هبة الأيام ، فيما يتعلق بأبى تمام » من أن له (كتاب الحماسة) الذى دل على غزارة فضله وإتقان معرفته ، وحسن اختياره ، وكتاب فحول الشعراء جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ، وكتاب الاختيار من الشعراء . وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره ، حتى قيل إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد !)[1]. وذكر البديعى كذلك سبب تصنيف أبى تمام ديوان الحماسة ، فقال (ص ١٣٨) : « فإنه لما وصل إلى همذان (فى رحلته شرقاً) ، وكان فى زمن الشتاء ، والبرد فى تلك النواحى شديد ، خارج عن حد الوصف ، قطع عليه كثرة الثلج طريق مقصده ، فأقام بهمذان ينتظر زوال الثلج ، وكان نزوله عند رجل عنده خزانة كتب فيها دواوين العرب وغيرها ، فتفرغ لها وطالعها واختار منها كتاب الحماسة ». وفى مؤلفات أبى تمام يقول الآمدى : (ص٢٣) : « كان أبو تمام مشتهراً بالشعر ، مشغوفا به ، مشغولا مدة عمره (بتخميره !) ودراسته ، وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة ، فمنها الاختيار القبائلى الأكبر ، اختيار فيه من كل قصيدة ، وقد مر على يدى هذا الاختيار ؛ ثم اختيار آخر لم يورد فيه كبير شيء للشعراء المشهورين ، ثم اختيار ثالث تلقط فيه محاسن شعر الجاهلية والإسلام ، وأخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهى إلى إبراهيم بن هرمة ، وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول ، ومنها اختيار تلقط فيه أشعاراً من العشرة المقلين والشعراء المغمورين غير المشهورين ، وبوبه أبوابا وصدره بما قيل فى الشجاعة ، وهو أشهر اختياراته وأكثرها فى أيدى الناس ، ويلقب بالحماسة ، ومنها اختيار المقطعات ، وهو مبوب على ترتيب الحماسة ، إلا أنه يذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم من القدماء والمتأخرين ، وصدره بذكر الغزل ، وقد قرأت هذا الاختيار وتلقطت منه نتفاً وأبياتا كثيرة ، وليس بمشهور شهرة غيره ،

(١) هبة الأيام ص ١٠ : وفى هذا الكتاب مناقشات ممتعة لسرقات أبى تمام ودفاع مجيد عنه

تلك الروح وذلك اليوم

للدكتور زكي مبارك

بعد جفوة مسبوقة بنذير يئس القلبُ أثقل اليأس ، واليأس يتجسم أحياناً فيصير أثقل من الجبال ، وأبرد من الثلوج

ثم بدت الحياة لعيني وكأنها بيداء قفراء ليس فيها نبات ولا ماء ولا ظلال

كنت أسير في شوارع القاهرة فأراها تموج بالبِشر والإيناس ، وأرى القاهريين كما عهدت مسرورين منشرحين ، كأن الدنيا ليست في حرب شعواء ، وإنما هي في حرب خفيفة الظل ، هي الحرب بين العيون والقلوب

وكنت أنظر فأراني وحيداً شريداً ، وإن كان من يراني يتوهم أني ماض إلى ميعاد ، فقد كانت القاهرة فيما سلف من أيامي ملاعب للمواعيد اللطاف

لقد اغتربت أسابيع كانت لهولها أطول من الآباد ، بفضل الجفوة المسبوقة بنذير من تلك الروح ، وكنت أخشى أن يطول اغترابي فيما بقي من أطياف حياتي ، فما حياتي بعد تلك الروح غير أطياف

هذا هو اليأس ، وذلك طعمه المرير ، وتلك أيامه السود

وحاولت أن أعيش في ظلال الذكريات فتكدر عيشي ، لأن تلك الروح لا تزال بعافية ، وهي صائرة إلى غيري إن ضاعت من يدي ، فما في الدنيا جمال يعيش بلا عاشق ، ولو كان مقدوداً من الصخر الجلمود

لابد من رجعة أعنف من رجعة السيل ، لابد من اقتناص تلك الروح من جديد ، لأحميها من الضيم وأحمي نفسي من الموت

* * *

قلت لنفسي : إن هنالك غنيمة مضمونة وهي سماع صوتها في الهتاف ، فما نطقتْ كلمة « ألو » إلا تمثلتُ أنها بُلبل جماله كله في الحَلْق

وبكلمتين اثنتين تواعدنا على التلاقي ، فأين النذير ؟ وأين الجفاء ، وأين اليأس ؟

إن عقول المحبين عقول أطفال !

كان يجب أن أنتظر في حديقة البيت ، وأن يكون في يدي كتاب ، مع أني لن ألقى تلك الروح في ضوء المصباح

وتخفق أرواح في الطريق فلا ألتفت ، لأن الروح التي أنتظرها لن تغيب عني ، وإنني لأشعر بخطواتها على أبعاد الألوف من الأميال

ما هذا الذي أراه ؟

إن الروح ثقيل وقد تجسمت في عروس من عرائس البحر في دمياط ، وأنا أتلقاها بقلب قبستُ ناره من كهرباء الوجود

— أنت ؟

— أنا ؟

— ومن أنت ؟

— أنا العاشق الذي صبر فظفر بعد صبوة دامت أكثر من عشر سنين

— وتستحق عطفي عليك ؟

ومنها اختيار مجرد في أشعار المحدثين ، وهو موجود في أيدي الناس . وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر وأنه اشتغل به ، وجمله وكده ، واقتصر من كل العلوم والآداب عليه ، فإنه ما شيء كبير من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا محدث إلا قرأه واطلع عليه ... »

وينتقل الآمدي من ذلك إلى قوله : « ولهذا أقول إن الذي خفي من سرقاته أكثر مما قام منها على كثرها ، وأنا أذكر ما وقع إلي في كتب الناس من سرقاته ، وما استنبطته أنا منها واستخرجته ، فإن ظهرت بعد ذلك منها على شيء ألحقته بها إن شاء الله »

ثم يأخذ بعد ذلك في حصر سرقات أبي تمام وردها إلى مصادرها . فإلى أي حد وفق الآمدي في ذلك ؟ سنرى

(يتبع) درينى خشبة

— إن رأيت يا روحى أن تؤدى زكاة الجمال

ثم يدور الحديث بما يعجزنى ، لأن الروح تقول :

« لقد أوحينا إليك »

فما هو إيحاء تلك الروح ؟

أمرتنى أن أصف لحظات التلاق ولحظات العتاب ، وتلطفتْ فلم تأمرنى بوصف وجهها الوهاج ، ولو أنى أطعتها لا كتفيت بكلمة واحدة ، وهى أنى بها أعيش ، ولها أعيش ، فما للحياة بدونها مَذاق

غنائمى من حياتى هى التعرف إلى تلك الروح ، وانتظار عطفها فى أوقات الكروب ، وليس فى الوجود بجانب عطفها كروب

* * *

ثم صحونا فوجدتها تشكو عدوان أظفارى . كتب الله عليها أن تشقى إلى الأبد بعدوان أظفارى ! إن كنت جرحت جسمها فقد جرحت قلبى ... والجروح قصاص

أنا صحوت ؟ هو ذلك ، وما الذى يمنع من أن أخادع نفسى ؟

قضيت اليوم التالى وأنا لا أصدّق أن ما وعته الذاكرة من وقائع الليلة التى مضت كان وقع بالفعل ، فما تسمح الدنيا الغادرة بمثل ذلك النعيم ، إلا أن يكون حلماً من الأحلام

وأستنجد بالهتاف لأسمع « ألو » ، ولأعرف أن ما وقع حقيقة لا خيال ، فيكون الجواب بالإثبات مصحوباً بالاستغراب من شطحات صوفية وأنها تلك الروح بوادر جنون

وآخذ بتلابيب الفرصة فأدعو إلى لقاءة ثانية لأقيم البرهان على أنى عاقل لا مجنون

اللقاءة الثانية بالنهار لا بالليل ، وبالصحراء لا بالبيت ، ثم يدور الحديث :

— أنت مصرٌ على أن الوجود ليس فيه فضاء؟

— نعم

— وما دليلك ؟

— الدليل حاضر ، وهو أن ما نراه فضاء هو فى الواقع مسكون بالأربطة الكهربائية التى يتماسك بها الوجود ، وهو باعتراف الجميع مسكون بالهواء ، فهو ليس بفضاء

— سلّمتُ إلى أن أجد ما ينقض رأيك ، ولكن الذى لن أسلم به أبداً هو إصرارك على أن كل موجود فيه حياة حتى الجماد

— الجماد كلمة اصطلاحية فقط ، ولكنه فى الحقيقة يحيا ، كما يحيا الحيوان والنبات ، وأنا سأجد الشواهد من الحجارة المنثورة فى الصحراء ... انظرى هذه زلطة فى حجم ثمرة الدوم وشكل ثمرة الدوم

— أتظن أنها دومة تحجرت ؟

— هو ذلك بالفعل ... ثم انظرى فهذه زلطة فى حجم الخيارة وشكل الخيارة

— هى أيضاً خيارة تحجّرتْ ؟

— نعم

— ولماذا لا تتحجر جميع الثمار ؟

— لأنها ليست جميعاً فى قابلية متساوية ولا فاعلية متساوية

— والنتيجة ؟

— النتيجة أن الجماد الذى يتحول من وضع إلى وضع لا يتم له التحول بدون حيوية ، وقد جهل أبو العلاء حين قال :

والذى حارت البرية فيه
حيوانٌ مُستَحدَثٌ من جماد

— وما رأيك فى الآية الكريمة « يخرج الحىّ من الميّت ويخرج الميّت من الحى »

— القرآن يعرض الظواهر التى تعارف عليها الناس لتكون الحجة على القدرة الإلهية أقوى وأوضح ، فمن العجيب فى نظر من لا يعرف أن تكون البذرة الخرساء أصلاً للدوحة الشمّاء ، وأن تكون البيضة الصغيرة أصلاً لطائر جميل يغرد أو يصيح

ولكن البذرة قد تفسد فلا يصدر عنها شجر ولا نبات ، والبيضة قد تفسد فلا يصدر عنها طائر ولا حيوان

— ليس فى الوجود فساد ، وإنما هو تحوّل ، فالبذرة

الفاسدة والبيئة الفاسدة تتعرضان إلى تعفن تعيش به خلائق

— آمنت بالله وكفرت بفلسفتك

— لن تؤمنى بالله إلا يوم تدركين حقائق هذه الفلسفة ، يا محبوبتى الغالية

— وأصدّق أن الحجر فيه حياة ؟

— نعم ، فى الحجر حياة ، وأثمانه تتفاوت لهذا السبب ، فالحجر الذى يباع رخيصاً فى هذا اليوم لأنه لين ، سيباع غالياً بعد ألف سنة لأنه صلب ، وإن صبرنا عليه مليون سنة فقد يتحول إلى جرانيت ، وهذا هو الفرق بين محاجر طره ومحاجر أسوان

— بدأت أفهم

— وأنا لو شئت أفهمت جميع الأغبياء

— أنا غبية ؟

— اسمعى يا غبية ثم اسمعى ، هذا البناء الشاهق مِمَّ يتألف ؟ إنه يتألف من جمادات يأخذ بعضها برقاب بعض ، لأنها جميعاً أحياء . فالجبس يعشق الطوب ، والأسمنت يعشق الحديد ، وبفضل هذا التعاشق تنهض هذه البنايات الشواهق ، كما تبتسم الحمر حين يصافحها الماء

— وأنت بالأمس أنكرت الموت ، وهذا أغرب ما سمعت من الآراء

— ليس فى الوجود موت ، فالدجاجة التى ذبحناها وشويناها ماتت فى نظر الناس ، فكيف تستطيع وهى ميتة أن تثير فينا النشاط حين نأكلها فى صباح أو مساء ؟ واللحوم التى ترد إلينا من استراليا محفوظة فى علب هى لحوم حيوانات بعضها ذُبح قبل أعوام طوال ، ونحن نأكلها فنشعر بنشاط وأريحية ، فكيف نصدّق أنها ماتت ؟

— إننا نرى بأعيننا ناساً يموتون ، وندفنهم ونترحم عليهم ، ونقيم لفراقهم الحداد

— إنهم يموتون موتاً عُرفياً ، وهم فى الواقع أحياء ، فلو بدا لرجل أن يأكل قطعة متعفنة من جثة ميت لأصابته نوبة تؤدى به إلى الهلاك ، وهو نقله من حالة اسمها الحياة إلى حالة اسمها الموت فى عرف الناس ... وهنالك صورة أوضح من هذه الصورة فى تأكيد الحياة لمن نتوهم أنهم أموات وهى خلود الفكر وتأثيره الموصول من مكان إلى مكان على اختلاف الأزمان ، فأفلاطون لم يمت ، والغزالى لم يمت ، والمتنبى لم يمت ، لأن هؤلاء بتأثيرهم الروحى أحياء غير أموات

— والدكتور زكى مبارك ؟

— هو أيضاً لن يموت ، وسيحيا بفكره وروحه حياة لا يعروها فناء ، وسيقال فيما يلى من الأجيال إنه أول شارح لنظرية وحدة الوجود

— ولكنها نظرية غير إسلامية

— قلت ألف مرة إنى أتكلم باسم الفلسفة لا باسم الدين ، فلا تثقلى علىّ بأمثال هذا الاعتراض ، فأسلافنا ظلموا أنفسهم حين قالوا إن الفلسفة لا تخالف الدين ، وكانت النتيجة أن يمقّتوا الفلسفة والدين

— بدأت أفهم

— ألم أقل إنى لو شئت أفهمت الأغبياء !

— أنا غبية ؟ أنا ؟

— لو لم تكونى غبية لما كدرت هذه الساعة اللطيفة بهذه الاعتراضات

— وهل يؤذيك أن أدعوك إلى شرح آرائك الفلسفية ليرعوى من يتهمونك فى عقيدتك الدينية ؟

— الناس لا يتهموننى فى شىء ، فصايرنا جميعاً محتومة بصورة أزلية ، وليس للمؤمن ولا الكافر إرادة فيما صار إليه ، وليس هناك تعليل واضح لسحر هذه العيون

— عيونى ؟

— عيونك وعيون ليلى المريضة فى العراق

— يظهر أن تهمتك بالجنون لها أصل

— نعم ، ومجنون ليلى يتعجب من أن تغزوه ليلى بعينيها الكحيلتين وبينها وبينه مسافات تعجز عن اختراقها الشياطين

— أسكت يا مجنون !

— وهذا الفضاء الذي بيني وبين بغداد ليس بفضاء ، وإنما هو مجال لأسهم سحرية ترسلها ليلى في كل وقت ، وإني لأراها مني في هذه اللحظة كما أراك مني

— اسكتْ ، اسكتْ ، فأنا أخاف أن تقتلني الغيرة

— تغارين من الوهم يا غبية ؟

— ليس هذا بوهم ، إن ليلى تطاردني في كل يوم وتحاول أن تسدّ طريقي إليك

— ومن أجل هذا يا محبوبتي أنكر المكان وأنكر الزمان

— ماذا تقول ؟

— ليلى معنا ، أليس كذلك ؟

— بلى ، وأنا أغار منها أعنف الغيرة

— إذن فليس هناك مكان ، وهل تغارين مما وقع بيني وبينها في سنة ١٩٣٧ ؟

— أغار ، أغار

— إذن فليس هناك زمان

— خبلتني ، خبلتني

— كذلك كانت تقول ليلى ، زادك الله وإياها خبالاً إلى خبال !!

— هذا الحوار ينتهي بنا إلى وحدة الوجود ؟

— إن فهمت مرادي يا أجمل غبية رأيتها في حياتي

— تلميذتك لا تكون غبية

— إذن فاسمعي ، ثم اسمعي ، ليس في الوجود فضاء ولا سكون ولا موت

— آمنت وصدّقت

— وليس في الوجود زمان ولا مكان

— آمنت وصدّقت

— وليس في الوجود ماضٍ ولا مستقبل

— ما معنى ذلك ؟

— معناه ياطفلتي أن الوجود كله خُلِق دفعةً واحدة ، فالماضي والحاضر والمستقبل صور لحقيقة أبدية لا تحُول ولا تزول

— لم أفهم.

— ستفهمين ، هل تؤمنين بالأحلام ؟

— أومن بالأحلام

— تؤمنين بأن الرؤيا قد تتحقق بعد سنين ؟

— هو ذلك ، ولي مع الرؤيا تواريخ ، فقد رأيتك في منامي قبل سنين ، وكان في الرؤيا أنك تمزج بين المجادلة والمازلة لأنخدع لك باسم العقل

— وأنا أيضاً رأيتك في منامي قبل سنين ، وكان في الرؤيا أنك تلميذتي لا معشوقتي

— وانخدعت لك ؟

— تلك أضغاث أحلام !

— أسرع وحدثني عن رأيك في الأحلام

— اسمعي ، الأحلام واقعة بلا ريب ، ولها تفاسير أختصرها في تفسيرين اثنين : التفسير الأول هو تفسير بعض علماء النفس ، وهو أنها تعبير عن رغبات مكبوتة نعبّر عنها في منامنا لنراها بعد أيام أو أسابيع ، والتفسير الثاني هو تفسير الدكتور زكي مبارك ، وهو أن لنا حاسة دقيقة تخترق المستقبل في بعض الأحايين فتحدثنا بما سيكون بعد أزمان طوال

— وكيف نعرف ما سيكون بعد أزمان طوال ؟

— كما يعرف علماء الفلك أن الشمس ستنكسف أو أن القمر سيُخسف بعد عدد من السنين ، ومعنى ذلك أن الوجود كله خُلق دفعة واحدة ، وأن الرجل الملهَم قد يرى في منامه ما سوف يقع ، لأنه سوف يقع ، ولو طال الزمان

***

تلك الروح ، وذلك اليوم ، وآه ثم آه من تلك الروح وذلك اليوم ! تلك الروح ملك يدي ، وإن باعدت بيني وبينها مسافات لا أعترف لها بوجود

وذلك اليوم ملك يميني ، وهو يومنا الهائم بمجاهل الصحراء ، إنه يوم تجسَّم فيه إيماني بوحدة الوجود ، وأعلنت فيه إشراكي بأوهام الغافلين

قيل إنه يومٌ ذهب ، وأقول إنه يومٌ لن يذهب ، لأنه سيلاحقني إلى البواقي من أيامي ، وليس لأيامي نهاية ، لأني قَبَس من كهرباء وحدة الوجود .

زكي مبارك

اقتراح في إصلاح الرسم العربي

للدكتور علي عبد الواحد وافي
أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

قبل عرض الاقتراح ، يحسن أن أذكر كلمة قصيرة فى عيوب الرسم العربى وآثارها ، لأننى قد راعيت فى الطريقة الجديدة التى اقترحتها أن يتخلص رسمنا من جميع هذه العيوب وما يترتب عليها من نتائج

ترجع أهم عيوب الرسم العربى إلى الأمرين الآتيين :

(أولهما) أن الكلمات تدون بحسب هذا الرسم فى الكتابة والطبع عارية عن حركات حروفها ، أى مجردة من الإشارة إلى أصوات المد القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة) التى تلحق الأصوات المقطعية فى الكلمة

وقد ترتب على ذلك الأضرار الأربعة الآتية :

١ — أنه لا يستطيع أحد أن يقرأ نصاً عربياً قراءة صحيحة ويشكل جميع حروفه شكلاً صحيحاً إلا إذا كان ملماً بقواعد اللغة العربية وأوزان مفرداتها إلماماً تاماً ، وكان فاهماً من قبل معنى ما يقرؤه . ففى معظم اللغات الأوروبية ، كما يقول قاسم أمين ، يقرأ الناس قراءة صحيحة ما تقع عليه أبصارهم ، وتتخذ القراءة وسيلة للفهم ؛ أما نحن فلا نستطيع أن نقرأ قراءة صحيحة إلا إذا فهمنا أولاً ما نريد قراءته

٢ — أن النص العربى الواحد عرضة لأن يقرأ قراءات متعددة بعيدة عن اللغة الفصحى . وذلك أنه قد حدث تناوب واسع النطاق فى أصوات المد القصيرة (التى يرمز إليها بالفتحة والكسرة والضمة) فى اللهجات العامية ؛ حتى أننا لا نكاد نجد كلمة باقية فى هذه اللهجات على وزنها العربى الصحيح . فالنص العربي المجرد من الشكل عرضة لأن يقرأه أهل كل لهجة حسب منهجهم فى وزن الكلمات

٣ — أنه من المتعذر مع هذا الرسم قراءة أسماء الأعلام (أسماء الأمكنة والبلاد والبحار والجبال والأناسى .. الخ) قراءة صحيحة ، إلا إذا كان القارئ يحفظ الكلمة وضبطها من قبل . ولذلك تضطر بعض المعجمات إلى تهجى حروف للكلمات التى من هذا القبيل والنص على حركة كل حرف منها

٤ — أن رسماً كهذا من شأنه أن يشيع اللحن ، ويعمل على انحلال العربيـة الفصحى ، ويحول دون تثبيت ملكتها في النفوس ، ويحمل على الاستهانة بقواعدها ، ويصرف كثيراً من خاصة الناس أنفسهم عن الإلمام بضوابطها النحوية والصرفية ، لأن فى استطاعتهم ، بفضل هذا الرسم المعيب ، أن يكتبوا ويؤلفوا بدون أن يكونوا ملمين بأصول هذه اللغة ، ولا مستطيعين هم أنفسهم قراءة ما يكتبونه قراءة صحيحة ، وبدون أن يظهر فى كتاباتهم أى أثر لقصورهم هذا

(وثانيهما) أن للحرف الواحد بحسب هذا الرسم صوراً مختلفة : فله صورة إذا كان مفرداً وصورة إذا كان متصلاً بغيره ؛ وله صورة إذا كان فى أول الكلمة ، وأخرى إذا كان فى وسطها ، وثالثة إذا كان فى آخرها

وقد ترتب على ذلك الأضرار الأربعة الآتية :

١ — أن تعدد هذه الصور من شأنه أن يحدث الارتباك والحيرة عند المبتدئين من المتعلمين ويطيل زمن تعلمهم للهجاء

٢ — أنه يكلف المطابع نفقات باهظة فى الحصول على عدة نماذج لكل حرف من حروف الهجاء

٣ — أنه يخلق صعوبات فى الطبع ويرهق العمال القائمين على صف الحروف مِن أمرهم عسراً ، إذ يتردد الواحد منهم بين أكثر من مائة صندوق مختلفة فى صور ما تشتمل عليه من نماذج ، فضلاً عن صناديق الشكل وعلامات الترقيم ؛ بينما لا يتردد العامل القائم على صف الحروف الإفرنجية إلا على نحو خمسين صندوقا

٤ — أن كثرة الصناديق وتعدد الصور للحرف الواحد ، كل ذلك يجعل عمل هؤلاء العمال عرضة للزلل . ومن أجل هذا تكثر الأخطاء المطبعية فى الكتب العربية بينما تندر جداً فى الكتب الإفرنجية ، مع أن جامعى الكتب الأولى ومصلحى تجاربها يبذلون من الجهد فى الجمع والإصلاح أضعاف ما يبذله زملاؤهم فى الكتب الثانية

* * *

وقد قُدِّمت عدة اقتراحات لاتقاء هذه العيوب وآثارها

ولكن معظم هذه الاقتراحات لا يحقق هذه الغاية تحقيقاً كاملاً ؛ والقليل منها الذى يحققها أو يدنو من تحقيقها يخلق لنا رسماً يختلف كل الاختلاف عن رسمنا الحالى ، فيقطع بذلك الصلة بين حاضرنا وماضينا ، ويحول بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربى ، كما بينتُ ذلك بتفصيل فى كتابىّ « علم اللغة » و « فقه اللغة »[1]

وقد كنت رأيت فى كتاب « فقه اللغة » أنه من الممكن التغلب على صعوبات الرسم العربى « بالتزام شكل الكلمة التى من شأنها أن تثير اللبس عند أواسط المتعلمين إذا تركت بدون شكل »

ولكن ظهر لى فيما بعد أن هذا لا يقضى إلا على قليل من عيوب هذا الرسم ولا يقى إلا من بعض الأضرار التى أشرت إليها آنفاً

هذا إلى أن رسم الشكل فوق الحرف أو تحته مع اتصال الحروف بعضها ببعض وضيق الحيز الذى يشغله كل حرف منها يجعل هذا الشكل عرضة للانحراف فيحدث الارتباك ويوقع فى الخطأ والحيرة . وفضلاً عن هذا كله فإن التجارب قد دلت على أن القلم كثيراً ما يزلّ فى تدوين هذه العلامات الخارجة عن هيكل الكلمة وأن النظر كثيراً ما يتخطاها عند القراءة ، فلا تكاد تؤدى الغرض المقصود منها

* * *

لذلك فكرت فى طريقة أخرى تخلّص الرسم العربى من العيبين الرئيسيين اللذين أشرت إليهما وإلى آثارهما فيما سبق ، وتُعفى القلم والنظر من الصعود والهبوط نحو حركات ترسم فوق الحروف أو تحتها ، وتقى القارىء والكاتب شرور الانحرافات المترتبة على هذا الصعود والهبوط ، ولا تقطع الصلة بين قديمنا وحديثنا ، بل تتيح للأجيال القادمة الانتفاع بتراثنا القديم

فاهتديت إلى طريقة يمكن تلخيص أصولها فى الأمور الأربعة عشر الآتية :

— أن ترسم حروف الكلمة مفردة منفصلاً بعضها عن بعض بنفس الصورة التى ترسم بها الحروف المفردة فى رسمنا الحالى ؛ هكذا : ا ب ت ث ج ... الخ

٢ — أن ترسم الهاء هكذا : « ه » ، والتاء المربوطة هكذا « ة » ، للتمييز بينهما وللنطق بكل منهما على وجهها الصحيح ، فينطق بالأولى هاء دائماً وينطق بالثانية هاء فى الوقف وتاء فى الوصل

٣ — أن ترسم حروف المد الثلاثة مجردة من العلامات والنقط ، هكذا : و ى ا . وترسم الألف اللينة ألفاً مطلقاً مهما كان أصل الكلمة وعدد حروفها . فكلمات : رمى ، إلى ، على ، متى ... الخ ترسم ألفاً حسب النطق بها

٤ — أن يوضع فوق الواو التى ليست حرف مد علامة ثمانية صغيرة هكذا « وٚ » (أو أية علامة أخرى) للتمييز بينها وبين واو المد وللنطق بها على وجهها الصحيح

٥ — أن يوضع نقطتان تحت الياء التى ليست حرف مد ، هكذا « ي » للتمييز بينها وبين ياء المد وللنطق بها على وجهها الصحيح

٦ — أن ترسم همزة القطع ألفاً فوقها همزة هكذا « أ » للتمييز بينها وبين الألف اللينة ولينطق بها القارىء على وجهها الصحيح . وترسم على هذه الصورة أيّاً كانت حركتها وحركة ما قبلها ، وأيّاً كان موضعها فى الكلمة

٧ — أن ترسم همزة الوصل ألفاً فوقها علامة ثمانية صغيرة هكذا « اٚ » (أو أية علامة أخرى) وذلك للتمييز بينها وبين الألف اللينة وهمزة القطع ، وللاشارة إلى أنه لا ينطق بها مطلقاً فى الوصل ، وينطق بها همزة فى الابتداء

٨ — أن ترسم اللام الشمسية (التى لا ينطق بها فى علامة التعريف) لاماً فوقها ثمانية صغيرة ، هكذا « لٚ » (أو أية علامة أخرى) ، وذلك للتمييز بينها وبين اللام القمرية وللاشارة إلى عدم النطق بها

٩ — أن يرسم الحرف الساكن بطبعه غير متبوع بأية علامة ، ويكون تجرده هذا دليلا على سكونه (وأقول « الساكن بطبعه » لأن الحرف المتحرك إذا سكن فى النطق لعارض ، كالوقف عليه مثلاً فى آخر الكلمة يكون حكمه فى الرسم حكم

(١) أنظر على الأخص كتاب « فقه اللغة » صفحات ١٧١ — ١٧٥ فى الطبعة الأولى و ١٤٣ — ١٣٨ فى الطبعة الثانية . وانظر كتاب « علم اللغة » صفحات ٢٤٦ — ٢٥٨ فى الطبعة الأولى و ١٨٧ — ١٩٦ فى الطبعة الثانية .

الحرف المتحرك ، فندون حركته وفقاً للقواعد الآتية)

١٠ — أن يرسم عقب الحرف المشدد بطبعه (كالسين في « مسّ ») أو المشدد في النطق لوقوعه بعد لام شمسية (كالسين في « السماء » علامة شدة فوقها فتحة أو ضمة إن كان مفتوحاً أو مضموماً وتحتها كسرة إن كان مكسوراً . فالسين المشددة أو الواقعة بعد لام شمسية ترسم هكذا في أحوالها الثلاثة : س ـّ س ـِّ س ـُّ . وذلك للاشارة إلى أن الصوت ينطق به مرتين يسكن في أولاهما ويحرك في ثانيتهما بالحركة المدونة بعده . وإن كان الحرف المشدد منوناً رسمت علامة تنوينه فوق شدته . فالميم في « عمّ » مثلاً ترسم هكذا في أحوالها الثلاث : م ـّ م ـّ م ـّ

١١ — أن يرسم عقب الحرف المنون غير المشدد علامة تنوينه : فيرسم عقب المفتوح فتحتان هكذا = ؛ وعقب المكسور شرطتان متوازيتان تتصلان بشرطة مائلة هكذا = (حتى تتميز هذه العلامة عن العلامة السابقة) ؛ وعقب المضموم علامتان من نوع الفاصلة في علامات الترقيم هكذا ،، (وقد فضلت هذا الرمز على الرمزين المتداولين في التنوين المضموم وهما ״ ٌ لأن أولهما يلتبس بالواو المكررة وثانيهما يلتبس بالقاف في خط الرقعة) فاللام المنونة ترسم في أحوالها الثلاثة هكذا : ل = ل = ل ،، وذلك للاشارة إلى أن هذا الصوت محرك بالحركة المشار إليها ومتبوع بنون التنوين

١٢ — أن يرسم الحرف المتحرك الممدود بالألف أو الياء أو الواو غير متبوع بما يدل على حركته ، لأن وجود الألف بعده يدل على أنه مفتوح ، والياء على أنه مكسور ، والواو على أنه مضموم . فيرسم المقطع الأول من : قال وقيل وقوت هكذا قا قى قو . إلا إذا كان هذا الحرف مشدداً فتطبق عليه القاعدة العاشرة السابق ذكرها . (فكلمة الدارُ مثلاً ترسم هكذا : ا — ل د ـّ ا ر ،)

١٣ — أما الحرف المتحرك غير المشدد ولا المنون ولا الممدود فترسم حركته بعده : فإن كانت فتحة رسمت وفق صورتها في الرسم الحالي ، وإن كانت كسرة رسمت هكذا (حتى لا تلتبس بالفتحة) ، وإن كانت ضمة رسمت هكذا ، (حتى لا تلتبس بالواو إن رسمت بصورتها المتداولة)

١٤ — وأما علامات الترقيم فترسم الأنواع الآتية منها وفق صورها في الرسم الأفرنجي ، وهي ؛ . ؟ ! « » ( ) . أما الفاصلة المجردة ، virgule فترسم فوقها نقطة هكذا ، حتى لا تلتبس بالواو إن رسمت بشكلها الأفرنجي وبالضمة إن رسمت بالصورة التي نرسمها بها الآن في العبارات العربية « ، » . وأما الشرطتان اللتان تحصران بينهما الجملة المعترضة فيستبدل بهما القوسان حتى لا تلتبسا بالفتحة إن رسمتا بصورتهما العادية : فترسمان هكذا ( )

وفيما يلي نموذج لتطبيق هذه الطريقة ، فالبيت والعبارة الآتيان (وهما يشتملان على نماذج لجميع القواعد الأربع عشرة التي تقوم عليها طريقتنا) :

السيف أصدق إنباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب

لكل قاعدة استثناء ، ولكل مطلق قيود

يدونان حسب الطريقة المقترحة على الصورة الآتية :

ا — ل س ـّ ي ف ، أ - ص د — ق ، أ ـِ ن ب ا = م ـِ ن —

ا ـ ل ك ـ ت ، ب ـِ ف ى ح ـ د ـّ ه ـِ ا ـ ل ح ـ د ـّ ب ـ ي ن ـ

ا ـ ل ج ـِ د ـّ و ـ ا ـ ل ل ـّ ع ـِ ب ـِ

ل ـِ ك ، ل ـّ ق ا ع ـِ د ـ ة = ا ـِ س ـ ت ـِ ث ن ا أ ،، ،

و ـ ل ـِ ك ، ل ـّ م ، ط ل ـ ق = ق ، ي و د ،،

وتمتاز هذه الطريقة عن جميع الطرق المقترحة من قبل بالأمور الآتية :

١ — أنها تخلص الرسم العربي تخليصاً تاماً من عيبيه الرئيسيين اللذين أشرت إليهما في صدر هذا المقال ومن جميع آثارهما الضارة التي أشرت إليها كذلك ، وتحقق جميع الفوائد المقابلة لهما

٢ — أنها تعفي القلم والنظر من الصعود والهبوط نحو حركات ترسم فوق الحروف أو تحتها ، وتقي القارىء والكاتب شرور الانحراف المترتب على هذه الحركات وموضعها . وذلك أن طريقتنا ترسم الحركات في صلب الكلمة نفسها . ولا تشتمل

إلا على ثلاث علامات خارجة عن صلب الكلمة ؛ ولكنها تشير إلى أمور أخرى غير حركة الحروف ، وهى الهمزة وعلامة الوصل وعلامة اللام الشمسية وعلامة الواو غير اللينة أ ا ل و

٣ — أنها لا تقطع الصلة بين ماضينا وحاضرنا ، ولا تحول بين الأجيال القادمة والانتفاع بالتراث العربى المدون بالرسم القديم . لأنها تستخدم نفس الصور والأشكال التى يستخدمها هذا الرسم (فيما عدا الكسرة والضمة والعلامة المميزة لهمزة الوصل واللام الشمسية والواو غير اللينة ـ ، ٨ . على أن العلامتين الأولين قريبتان جداً من شكلهما القديم ، والعلامة الثالثة لا تغير شيئاً من هيكل الحرف وإنما ترمز إلى أنه غير ناطق أو غير لين) . فالعالم بهذه الطريقة يستطيع مع شىء يسير جداً من التأمل والمران أن يقرأ الكتب المدونة بالرسم الحالى

ولا يؤخذ على هذه الطريقة إلا أمران :

(أحدهما) أنها تطيل رسم الكلمة قليلاً بالنسبة إلى رسمها القديم . ولكن ضرر هذه الإطالة ليس شيئاً مذكوراً بجانب ما تحققه من جليل الفوائد للعربية وأهلها . على أن معظم عيوب الرسم القديم قد نشأ عن مبالغته فى الاختزال والتعمية وإغفال الرمز إلى كثير من الأصوات التى ينطق بها فى الكلمة فلا يرجى له إصلاح جدى إلا بالقضاء على اختزاله وتعميته واعتماده على فراسة القارىء . وهذا يستلزم حتماً أن يطول رسم الكلمة حتى تكون رموزها معبرة تمام التعبير عن جميع أصواتها . هذا إلى أننا لم نأل جهداً فى تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من الاقتصاد فى مجهود القارىء والكاتب والطابع [1] ، مع عدم الإخلال بالغرض المقصود ، وذلك بما تضمنته طريقتنا من الأصول المشار إليها فى موادها التاسعة والعشرة والحادية عشرة والثانية عشرة . على أنه من الممكن أن نحذف علامة الحرف المفتوح لكثرة دوران الفتحة فى اللغة العربية ، وتثبت علامة الحرف الساكن لقلة دوران السكون ، فيتحقق بذلك بعض الاقتصاد ؛ وإن كانت الطريقة الأولى أكثر مطابقة للنطق

(وثانيهما) أنها ترسم حروف الكلمة متفرقة . ولكن رسم الحروف متفرقة أسلوب سليم لا غبار عليه ولا غرابة فيه . فقد سار عليه معظم أنواع الرسم السامى (الفينيقى والعبرى والآرامى والحبشى واليمنى ...) وسار عليه الرسم العربى نفسه فى أقدم صوره ، ويسير عليه الآن الرسم الأوربى فى الطباعة ؛ بل لقد أخذ هذا الأسلوب منذ أمد غير قصير ينفذ إلى أقلام الكاتبين باللغات الإفرنجية ، وأخذت مدارس كثيرة تسير عليه فى تعليم الهجاء الإفرنجى وتأخذ تلاميذها به فى كتاباتهم . وقد رأيت بعد تفكير طويل أن هذا الأسلوب وحده هو الكفيل بتخليص الرسم العربى من عيوبه وتحقيق الغايات التى نرمى إليها على أحسن وجه وأكمله . فبفضله نستطيع أن نرمز إلى أصوات المد القصيرة (الحركات) بعلامات ترسم فى هيكل الكلمة لا فوق حروفها أو تحتها ، وبفضله يصبح لكل حرف صورة واحدة لا تتغير ، مهما كانت حركته وكان موضعه فى الكلمة

صحيح أن من اعتاد الرسم والقراءة على الطريقة القديمة التى تقوم على الاختزال ووصل الحروف بعضها ببعض ، سيعانى بعض العنت فى السير على هذه الطريقة المفصلة المتفرقة الحروف . ولكن قليلا من المران كفيل بتخفيف هذا العنت وإزالته . على أن عبأه سيكون مقصوراً على أهل الجيل الحاضر ممن تعلموا على الطريقة القديمة . وأمر كهذا لا يقام له وزن بجانب ما تحققه الطريقة المقترحة من تقويم الألسنة والأقلام ، وصيانة للعربية الفصحى ، وتسهيل فى طرق تعلمها وتعليمها ، وتثبيت لمكانها فى النفوس ، وتمكين كل فرد من قراءة أية عبارة قراءة صحيحة مهما كانت درجته فى العلم ضئيلة ، ومهما كان ضعيفاً فى مبلغ إلمامه بقواعد اللغة

على عبد الواحد وافى
دكتور فى الآداب من جامعة السوربون

---

(١) تزيد صناديق المطبعة بحسب الطريقة القديمة على مائة صندوق للحروف فقط ، وتبلغ نحو مائة وثلاثين إذا أضيف إليها صناديق الشكل وملحقاته ؛ بينما تبلغ بحسب طريقتنا ثلاثة وأربعين فقط ، منها ثمانية وعشرون للحروف والباقى للتاء المربوطة والواو والياء غير اللينتين وهمزة القطع وهمزة الوصل واللام الشمسية وعلامتى التشديد والتنوين فى أوضاعهما الثلاثة والفتحة والكسرة والضمة (ة و ي أ ا ل ـّ ـً ـٌ = =، — ،) فالصناديق فى طريقتنا تقل حتى عن صناديق المطابع الافرنجية نفسها .

ديوان أفراح الربيع

الشاعر حسن البحيرى

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

لعلَّ الحركة الأدبية فى مدينة حيفا أظهر مما هى فى المدن الأخرى من فلسطين ، فهذا النشاط الدائب الذى نراه فى جمعياتها وأنديتها يجعلنا نقول بهذا الرأى ، ويعزز قولنا ما تطالعنا به في كل مناسبة من مهرجان تقيمه أو ذكرى تحييها تستفز بها الهمم وتوحى إلى الأدباء والشعراء

وقد طلع علينا فى العام الماضى نادى أنصار الفضيلة فى حيفا بديوان الأصائل والأسحار للشاعر الشاب حسن البحيرى ، وإذ قرأنا فيه كلمة اللجنة الثقافية للنادى ، تلك اللجنة التى (أخذت العهد على نفسها أن تخدم لغة الضاد وأن تناضل لتذود عن لغة القرآن ، وأن تبحث وتنقب عن تلك الكتب الضائعة المخفية وراء ظلام الوحدة لتخرج بها إلى عالم النور) أقول إننا إذ قرأنا هذا رأينا أى نهضة أدبية تتطلع إليها عيون الشباب فى فلسطين وأى مطمح نبيل يساور قلوبهم المتفتحة للنور . فأفعم نفوسنا الأمل المشرق وملأها جمالاً وجلالاً وإيماناً بالمستقبل .

هذه ظاهرة ميمونة لم أر بدا من الإشارة إليها إذ أقدم بين أيدى القراء ديوان « أفراح الربيع » لشاعر حيفا حسن البحيرى ، أو شاعر الحب والجمال كما يسميه صديقه الشاعر المصرى أحمد رامى

نقرأ فى هذا الديوان كتاب الطبيعة المفتوح وقد زانت فى منظرها الفتان ، وفى جوها الذى سبح فيه خيال الشاعر تتضوع الأزهار وترف الأنداء على ثغورها رقيقة رائقة ، وهناك الجدول الراقص يستضحك من فرط الطرب (ويعزى من بكى عما بكى) بل هناك الدنيا ترف أمام عيوننا طيباً ونوراً وتمتلىء شذى وعطوراً

وللموسيقى وسحر إيقاعها نصيب وافر من الديوان ، وكثيراً ما نستمع إلى حنين العود وأنين الناى فيه ، فتتم لنا صور جمال الطبيعة ، تلك الطبيعة التى نشأ الشاعر فى أحضانها المفوّفة وعل من جمالها ونهل ؛ والشاعر كما يلوح لنا موسيقى بطبعه وله هيام لاحد له بالموسيقي ، نلمس ذلك فى (ألحان شاردة) وهو القسم الثانى من الديوان . حيث يستهله بقوله :

لئن يوماً حدا بكمو حنين   لسكان القبور الدارسات
وأوقفكم على قبرى اعتبار   أو استعبارُ عين الذكريات
فناجونى بناى أو كمان   لتسعد في حفائرها رفاتى

وفى قصائده « عازف » و « ناى » و « وداع عود » وغيرها من الألحان الشاردة ، نحس بالأنغام التى صيغت من ذوب القلوب ... فبعثت الذكرى وهاجت الشجن ، وقد تحمل الأرواح أحياناً من دنيا الهموم وتحملها تطوف بأشواقها على متن الغيوم ، وقد يهيج النغم أشجان القمر فيقف على باب مغنيه ويتمنى لو مُدَّ بقاؤه له لكى يتمتع بأنات الوتر . ولا عجب أن نرى وحى الموسيقى يشيع فى الديوان فهى والشعر أخوان تهيم بهما النفس الجميلة ، وتسمو على أجنحتهما إلى دنياوات ساحرة

وهناك من القصائد ما هفت فيها روح الشاعر نحو أليفها حيرى مضطربة ، أذكر منها « الموعود » و « وادى الأحلام » وقد تشيع روحه الحيرى هذه فى كثير من قصائده ولكنها فى هاتين أظهر . ولنستمع إلى هذا العتاب وما فيه من مرارة عذبة ، إذ يقول فى قصيدة وادى الأحلام :

أنسيت عهدك والزمان مسالى   فتركتنى والبؤس من أخدانى
أم شاق قلبك غير ودّى شائقٌ   فرميت بى فى وحدة الأحزان
يا سالياً ما إن ذكرت زمانه   إلا بكى زمنى وأنَّ مكانى

ثم يصف لنا ما كان فى وادى أحلامه من طير وشجر وماء وزهر ، وكيف كان الماء يروى للبنفسج شوقه وهيامه بمراشف الأغصان ، إلى أن يقول :



إلى الطبيب القرير الدكتور حسين همت

يا صديق . ويا طبيبي !

دار الحول واقتربت الساعة التي أوشكت أن تكون موعد لقاء منظور ، وقد كانت عندك أفجع فراق مرهوب

مضت ثلاثة أعوام على تلك الليلة التي ناديتني فيها لتبلغني كلمة واحدة لم تزد عليها ، ولكنها لا تحتمل الزيادة ، لأنها وسعت من التعبير عن آلام نفسك — أيها الصديق العزيز — ما تضيق به المعجمات والأسفار

ويخيل إلى أنني أسمعها الساعة كما سمعتها منذ ثلاثة أعوام ، لأن للكلمات أرواحاً تعيش وتموت ، وأعماراً تطول وتقصر ، وقلما تموت كلمة مرهونة بألم طويل العمر ، مديد البقاء

سمعت يا صديقي وطبيبي أن أطرق جرسك في هدأة الليل لأعود بعلمك وطبك في أمري وأمر الأعزاء عندي ، ولكنني لم أسمع صوتك يطرق سمعي في هدأة الليل إلا هذه المرة ، ولم أسمع منك في هذه المرة غير تلك الكلمة الواحدة . ولكنها الكلمة التي جمعت فيها من ألمك ما لم أجمعه في مئات الكلمات

ماتت !

ولا حاجة بعدها إلى مزيد

وليس من عادتي أن أقحم العزاء على المفجوعين في ساعة الفجيعة الدامية ، لأنني أحسبه اجتراء على قدس الأحزان لا خير فيه ، ولكنه صوت سمعته لابد له من جواب تسمعه غير الصمت والسكون . . فقلت كأنني لا أعلم ما أقول :

« إنك رجل يا دكتور ، ولن تنفعك الرجولة في مقام بعد اليوم إن لم تنفعك بالصبر الجميل في هذا المقام »

* * *

يا من رسمت خياله بمدامعي ... وحملت من ذكراه ما أشجاني
أنسيت وادينا وما كنا به ... من حلو أحلام وعذب أماني
كم ساعة للوصل في أحضانه ... سعدت بظل التوت والرمان

ولا أغفل عن ذكر قصيدته الجميلة « زهرة العمر » ومنها :

أخاف على زهرتي أن تموت ... وسلوة روحي في عطرها
لقد سمعت من فؤادي الجريح ... شجاه فكنته في مرها
وبثت أساه لنظارها ... ببسمة شجو على ثغرها

وفي القصيدة نظرات فلسفية في الحياة والمصير الذي تنتهي إليه

وليس ما يؤخذ على الشاعر الشاب سوى وقوعه أحياناً في « سناد الردف » وهذا من عيوب القوافي ، فتراه يردف في القافية بحرف الألف حيث يدع الردف في القافية التي سبقت أو تلت كقوله في قصيدة « عيد في عيد » إذ يشير إلى مولد النبي صلعم :

مولد كالشمس في إشراقها ... ضوأ الدنيا بأنوار اليقين
مالت الشمس له من شرقها ... ثم حيته بإحناء الجبين

وكذلك في قصيدة « زورق الأحلام » حيث يردف بحرف الياء في قافية (الطير) بينما تخلو قوافي القطعة كلها من الردف مثل النهر والعطر

هذه هنات ما كنت أحب أن آتي عليها لولا إيثاري للشاعر ورغبتي الخالصة في أن يتجنبها في المقبل من شعره ، وما عدا ذلك فالديوان يفيض بالشاعرية والجرس الموسيقي الذي يشمل كلماته المنتقاة التي تدل على ذوق جميل وطبع أصيل

وتتصدر الديوان أبيات للشاعر أحمد رامي صديق شاعرنا ، فبين الشاعرين تآلف روحي مصدره ذلك الشبه بين روحيهما الهائمين في سماء الحب والجمال . والديوان رشيق الطبع أنيقه ، مزين بصور طبيعية لبلادنا الحبيبة الفاتنة ، وهذه الصور تكمل في نفس القارئ شعوره بالجمال ، وقد طبعته شركة فن الطباعة في القاهرة ونشره محمد احمد حجازي

وإذ أشكر للشاعر الرقيق هديته الجميلة فإنني أهنئه بنتاجه الموفق الجميل .

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان

نعم يا صديقي ، ويا طبيبي !

إنك رجل ذو عزيمة وجلد وإباء . صبرت على الأهوال في بلاد الأهوال ، وصحبت الحرب الماضية في البلاد التركية وفي بلاد أوربا الوسطى وأوربا الشرقية يوم كانت تلك البلاد موارة بالخطوب والفلاقل ، موارة بالفتن والزلازل ، تصبح في حال ولا تمسى عليه ، وتمسى ولا تدرى كيف يطلع عليها الصباح

وبلوت من الدنيا ما هو أقسى على النفس من أهوال الفتن والحروب : بلوت منها تقلب القلوب وغدر الصحاب وخيبة الظنون

بلوت هذا كله فما وهنتَ ولا شكوت ولا أجريته على لسانك إلا كسمر السامر وفكاهة المتحدث، وعبرة المعتبر بأحوال الدنيا وخلائق الناس

أنت يا صديقي رجل ذو عزيمة

ولكنك وا أسفاه رجل ذو قلب وذو ضمير . وكثيراً ما يكون القلب وحده مدداً للعزيمة ، والضمير وحده ينبوعاً للصبر والإباء

وها أنت يا صديقي تفجع في القلب فما جدوى العزيمة وما غناء الصبر وما حيلة الإباء ؟

أكنتُ نسيتُ ذلك كله ساعة أبلغتني الخبر المشئوم فأهبت منك بعزم الرجال ؟

إن كنت قد نسيته في تلك الساعة فما كان أخلقني ألا أنساه ، لأنني لمست شواهده قبيل ذلك بأيام ، وشاءت الأقدار أن أسبقك إلى مصاب يهد القوى ويفت في الأعضاد ، وشاءت الأقدار أن تكون أنت في لواعج الخوف من وقوع مصابك الأليم ولا علم لي بشيء من ذلك ، لأنك كنت تواسيني مواساة الصديق والطبيب ، وتعوذ من نفسك بعزم أولى العزم ، وتكتم عنى ما كنت فيه

فلما برح بي الألم ولجأت إليك أستمد منك عوناً لهذه البنية ينصرها على البرحاء علمت ما يشغلك ، وعلمت مبلغ صبرك على مغالبة الخوف والفزع والبلاء

علمت أنك هجرت بيتك ولزمت حجرة المستشفى منذ أيام ، وتركت محرابك الذي لا تتركه لتقيم إلى جوار تلك العزيزة التي تودع الحياة : تلك العزيزة التي كان منها مدد قلبك ومدد عزمك ... تلك الزوجة الرؤم بل ذلك الملك الكريم الذي سكنت إليه كما تسكن السفينة إلى الميناء الأمين بعد هوج البحار

علمت أنك تأوى إلى المستشفى منذ أيام ولم أعلم ما حقيقة الداء، وما مبلغ الرجاء في الشفاء ، وكان أغلب الظن عندي أنها عقدة من عقد الجراحة يحلها مبضع الجراح . فلما ذهبت إليك قويتَ عندي هذا الظن وتماسكت وتجلدتَ وألححت في السؤال عني لتطلق لساني وتنسيني ما أنت فيه

وها أنت يا صديقي تفجع في القلب فما جدوى العزيمة وما غناء الصبر وما حيلة الآباء ؟

حين دق الجرس في هدأة الليل ، وسمعت صوتك يجهش بالبكاء ، ويلقي إلي بتلك الكلمة القصيرة في حروفها ، الطويلة في عقابيلها — لم يخطر على لساني إلا الصبر أثوب بك إليه ، ولولا ذهول المفاجأة لخطر لي أن الصبر قد أصيب في المقتل المنيع ، لأنه قد أصيب في القلب الذي يعتصم به الرجل الصبور ، وكثيراً ما يتراجع الرجال بعزائمهم إلى قلوبهم ، فإذا أصيب القلب — فإلى أين يتراجعون ؟

ذلك هو الثلم في الميناء ، وإنه لأهول من الأعصار في هوج البحار

واليوم وقد دار الحول دورته الثالثة لا أحاول العزاء ، لأن العزاء تخفيف من الأسى والأسى على الأعزاء عزيز مثلهم ، لا يروقنا أن نمسه بتخفيف

إنما أحاول ترويض الحزن بشيء من التذكير

ولا أذكرك إلا بمصائب الحياة إلى جانب مصائب الموت .

فوالله يا صديقي أن الحياة لأقسى من الموت في أكثر من مصاب ، وأن قسوة الموت لرحمة في بعض الأحايين عند قسوة الحياة ، فليست أوجع السهام مخبوءة لنا في جوف التراب ، بل هي مخبوءة لنا في رحب الهواء

إن فقدان الموت يورثنا الألم ولكنه الألم الذي لا نهون به ولا نخجل من قبوله ، وقد نشرف أمام أنفسنا بالصبر عليه والحنين إليه

وكم من فقدان في الحياة يورثنا الألم الذي يُخجل ويضيم ، لأنه ألم لا يجمل بنا أن نحسه ولا يشرفنا الصبر عليه والحنين إليه ، وإنما يشرفنا أن نقتلعه من جذوره كلما استطعنا ، وقد لا نستطيع

كل مفقود بالموت يستحق الحزن عليه ، وكل مفقود بالحياة فالحزن عليه كثير

ولا كرمُ لنا وللأعزاء أن نفقدهم موتى ولا نفقدهم أحياء ، وما يرضينا أن نفقدهم على حال من الحالين لو كان لنا اختيار بين الأمرين ، ولكننا مسيرون يا صديقى للقضاء ، ولا حيلة يا صديقى للموتى ولا الأحياء ، مع حكم القضاء

عباس محمود العقاد

شرح وحدة الوجود

فى غير هذا المكان من الرسالة يجد القراء كلمات كتبتها لنفسى ، ولم أكن أنوى نشرها فى هذا الوقت ، ولكن المقال الأخير للأستاذ دربنى خشبة حملنى على تقديمها لمجلة الرسالة ، لتكون جواباً على اعتراضات كثيرة واجهنى بها كثير من أصدقائى ، وتمنَّوا أن أجيب ، ليستطيعوا الإجابة عنى حين يستطيل أعدائى

وأقول بعبارة صريحة : إن الأستاذ دربنى بعيد كل البعد عن نظرية وحدة الوجود ، ومقالاته فى نقضها تشهد بأنه لا يريد أن يسمع ما نقول فى تأييد هذه النظرية ، وأنه يحرص على أن تكون كل فكرة موصولة بالدين الإسلامى ، مع أنى قلت له إنى لا أجعل الإسلام فى بالى حين أواجه معضلات الوجود ، لأن الإسلام ينهانا عن مواجهة تلك المعضلات

وقراء الرسالة يشهدون أنى فررت من الميدان حين رأيت أن ثباتى فيه يعرضهم لبلبلة فكرية لا أريدها لهم بأى حال ، وأنا القائل بأن المجد كالرزق فيه حرام وحلال ، وأنا لهذا أبغض الشهرة المجلوبة بإيذاء الناس

وقال قومٌ إنه كان يجب أن أردّ على الأستاذ معروف الرصافى ، وأقول إنى لن أرد عليه ، لأنه أكرمنى بنقد آرائى ، وأنا أحترم من ينقدون آرائى بإخلاص ... وقد قلت مرة إن الذوق خير ما دعا إليه الأنبياء ، ولهذا المعنى لن أناقش الأستاذ دربنى ، لأنه من أعز أصدقائى ، وإن كان ينفر من آرائى

وأنتهز هذه الفرصة فأسجل بيتين هما خير ما قال صديق فى الشوق إلى صديق ، وهما تحية من الشاعر عبد الرحمن البنّاء :

لك يا ابن الغرّ الميامين نفسٌ [illegible] خلقت من مكارم الأخلاق
فرّقتنا الدنيا فهل يا زكيّ أنا باق إلى اللقاء ، أنا باق

سأراك يا أيها الشاعر إن سنحت فرصة لزيارة بغداد ، وسأراك إن تفضلت بزيارتى فى وطنى ، فأنا بحمد الله من أكابر الأغنياء فى وطنى ، وسيكون من الشرف أن أهدى إليك داراً فى سنتريس هي طيف من دارك فى بغداد ، يا شاعراً سابق الرصافى إلى إكرامى فى بغداد .

زكى مبارك

حول أبى فراس الحمدانى

إلى مترجمي دائرة المعارف الإسلامية

قرأت ترجمة أبى فراس فى دائرة المعارف الإسلامية ، فاسترعى نظرى أمران خالف فيهما وجه الرأى مترجمو هذه الدائرة ، والواجب العلمى يقضى بالتنبيه إليهما

أما الأمر الأول فما جاء فى هذه الترجمة من قولهم : « وقبض عليه (أى أبى فراس) المرة الثانية عام ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) وسيق إلى القسطنطينية وسجن فيها عدة أعوام ، ونظم فى ذلك الحين مراثى مؤثرة رثى بها أفراد أسرته ، ومن بينها مرثيته المشهورة فى أمه التى ترجمها أهلوارت Ahlwardt » . وهذا خطأ واضح ؛ فإن أبا فراس لم يرث أمه أصلاً ؛ لأنه مات قبلها كما أجمع على ذلك مؤرخوه

أما القصيدة التى يشير إليها بروكلمان الذى كتب هذه الترجمة ، فليست قصيدة رثاء لوالدته ، ولكنها قصيدة أرسلها إليها وقد ثقل من الجراح التى نالته ، ويئس من نفسه فكتب إلى أمه كأنه يعزيها ، وأول هذه القصيدة التى ترجمها أهلوارت إلى الألمانية

مصابى جليل والعزاء جميل وظنى بأن الله سوف يزيل

والأمر الثانى قولهم : « وتمتاز أشعاره بطابع شخصيته القوى الواضح ، وهى أقرب ما تكون إلى اليوميات . ولو أنها لا تختلف فى أسلوبها عن أشعار معاصريه ، وهى ليست فى روعة أشعار المتنبى »

وقد نقل المستشرق المعروف بلاشير Blachère فى كتابه

عن المتنبي (ص ٣٣٠) رأى بروكلمان الذى ذكره فى دائرة المعارف الإسلامية، وهو يخالف هذه الترجمة التى نقلناها إذ يقول:

Comme von Kremer, Brockelmann met Abou Firâs bien au dessus d'Abou -t-Tayyib

أى أن بروكلمان، مثل فون كريمر، يضع أبا فراس فى مرتبة أعلى من مرتبة أبى الطيب. ومنه يتبين الفرق بين ما نقله بلاشير عن بروكلمان فى دائرة المعارف وما ترجمه مترجمو هذه الدائرة إلى اللغة العربية.

أحمد أحمد بدوى
(حلوان) مدرس بحلوان الثانوية للبنين

الهكسوس ومدة حكمهم لمصر

اختلف الأستاذان سيد قطب وصلاح ذهنى فى تحديد مدة حكم الهكسوس لمصر. فهذه المدة فى رأى الأستاذ ذهنى مائتا عام أو أقل مستنداً فى ذلك إلى الفصل الذى كتبه الدكتور أبو بكر فى كتاب «الجمل فى تاريخ مصر العام»، وهي فى رأى الأستاذ قطب خمسمائة عام مستنداً إلى جوستاف لوبون فى كتاب «الحضارة المصرية القديمة»، وهذا فارق كبير فى التقدير يحتاج إلى كثير من التحقيق

يقرر الدكتور أبو بكر أن الهكسوس دخلوا مصر عام ١٧١٠ ق م. وطردوا منها نهائياً عام ١٥٨٠ ق.م. فتكون مدة حكمهم قرناً ونصف قرن ويقدر الأستاذ برستد فى كتاب «تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى» المدة بين حكم الأسرة الثالثة عشرة (وهى التي بعد إنحلالها أغار الهكسوس على مصر)، وبين نهاية حكم الأسرة السابعة عشرة بمئتين وثمانية أعوام (١٧٨٨ — ١٥٨٠ق م) بما فى ذلك مدة حكم الهكسوس، ويؤكد أن مدة حكمهم لم تزد على مائة عام، ويجعل المسيو دريتون فى كتابه : L'Egypte «Les Peuples de l'Orient Médetcrraneén II» مدة حكمهم بمائة وخمسين عاما (١٧٣٠ — ١٥٨٠ق م)

أما الذين قالوا ببقاء الهكسوس بمصر خمسة قرون. فلا أذكر منهم غير المؤرخ اليهودى جوسيفوس الذى زعم أنه نقل عن مانيتون أنهم استمروا يحكمون مصر ٥١١ عاماً. ولكن برستد يقرر أنه لم يوجد على الآثار ما يؤيد كلام مانيتون، كما يقرر الدكتور أبو بكر مبالغته مدة حكم الهكسوس

ويرجح الأستاذ دريتون حدوث المحاولات التى انتهت بطرد الهكسوس بين (١٦٨٠ — ١٥٨٠ق.م)، ويورد قائمة بأحد عشر ملكاً سماهم ملوك الأسرة السابعة عشر حدثت فى أيامهم تلك المحاولات، فتكون مدة هذا النضال مائة عام وليست مائتين أو مائة وخمسين كما يحاول الأستاذ قطب تأويل كلام الأستاذ ذهنى هذا وأمل أن يتقدم أحد المشتغلين بتاريخ مصر القديم والمهتمين بعصر الهكسوس بصفة خاصة، وأقصد به الأستاذ الدكتور باهور ليعرض عصر الهكسوس عرضاً سليماً صحيحاً ويجلو لنا بصفة خاصة مسألة المجلات الحربية، ولا يخفى على دارسى تاريخ مصر القديم ما كان للهكسوس من أثر كبير فى ذلك التاريخ

وبعد فأنتهز هذه الفرصة لأعرب عن أسفى لاستعمال ذلك الأسلوب الذى غلب على الأستاذين المتساجلين ورمى أحدهما الآخر بالتبجح والجهل، فما كانت الحقائق التاريخية لتخضع لمثل هذا الجدل، بل لابد أن يدحضها منطق سليم وتؤيدها أدلة ثابتة قاطعة

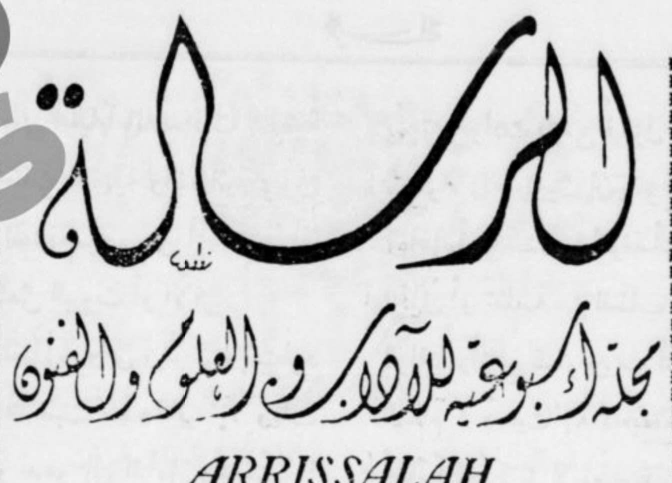
وكم أود كذلك لو انتفع النقاد بما كتبه الدكتور صبرى فى العدد ٥٩٠ من الرسالة، فهذا دستور سليم لمن أراد نقداً أدبياً صحيحاً، فقد سئمنا ذلك الأسلوب الذى جرت عليه المساجلات والمناقشات فى السنين الأخيرة، وطالما تأذينا من ذلك الصغار الذى يقلب على كتابة كبار الكتاب، وكم نرجو أن تكون الحجة هى الفاصل والعقل هو الحكم، والخلق الأدبى هو الذى يسود حتى يتخلص النقد الأدبى من تلك المهاترات التى لا تقدم ولا تؤخر، بل تنزل من قيمة كاتبها درجات، ويبعث فى مصر الرأى العلمى الصحيح الذى يزن الأمور بميزان النقد الصحيح. فلا يكون النقد أداة هدم فحسب.

مصطفى كمال عبد العليم
(الأسكندرية) ليسانسيه فى التاريخ



12 me Année No. 593 Lundi - 13 - 11 - 1944





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٩٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٧ ذو القعدة سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

تعليقات على يوميات

للأستاذ عباس محمود العقاد

من آيات الكتاب الحي أنه يذكر ويوحي ويستطرد بك إلى مناسبات تشبه مناسباته وأحاديث تقترن بأحاديثه ، لأنه يروي عن الحياة الإنسانية وهي متشابهة في كثير من الوقائع ، متقاربة في شتى الأزمنة والأعمار . فإذا صدق الكاتب في الحكاية عنها لم يلبث القارئ أن يلمس دليل ذلك في أحاديثه ومناسباته التي تشبه ما في الكتاب من الأحاديث والمناسبات

وكذلك الكتاب الذي بين يدي وهو كتاب « من يوميات محام » لمؤلفه القانوني البحاثة والأديب المبين الأستاذ عبده حسن الزيات

والأستاذ عبده مؤلف معروف بأكثر من كتاب في أكثر من موضوع ، فهو مترجم رواية اللصوص للشاعر شلر ، ومترجم كتاب « حكايات من الهند » التي ظفرت بتقدير الأدباء ، ومؤلف كتاب « سعد زغلول في أقضيته » وهو مرجع في تاريخ القضاء وتاريخ الزعيم

أما كتابه الجديد فقد يوهمك أنه كتاب محامين لأنه « من يوميات محام » كما جاء في عنوانه ، ولكنه في الواقع مما يقرأه المحامي وصاحب القضية كما يقرأه من لا يلم بالقانون

ولا يعرف ساحة القضاء ، لأنه يعنى أحياناً بالملاحظات النفسية والاجتماعية كما عنى حيناً بالملاحظات الفقهية والقضائية ، وفى كل مسألة من مسائل الخلاف الذى يعرض على المحاكم مسألة من مسائل النفس وقصة من قصص البيوت أو الأفراد

وأدل ما فيه على الحياة كما أسلفنا أنه يوحى ويذكر ويستطرد بالقارئ إلى مناسبات كثيرة . فما قلبت صفحة فيه إلا وقفت عند حادثة تشبهها أو تقاربها أو تدعو إلى التأمل والتعقيب . ففى كل صفحة منه صفحات يضيفها القارئ إليه لو شاء ، أو هو ينطوى على قطعة من كل نفس على حد تعبيره فى الكلام عن ذكرياته بمدينة بور سعيد

***

أهدى كتابه « سعد فى أقضيته » إلى صاحب الدولة احمد زيور باشا لأنه كان عضواً فى المحكمة التى كان يجلس فيها سعد رحمه الله ، وكان المؤلف حريصاً على تسجيل رأى زيور باشا فى زميله ورئيسه وعلى الإصغاء إلى ذكرياته فى هذا الصدد من خمس وأربعين سنة

فسأل دولته عن جناية الجزيرة الشقراء وقال له : « بأن ما يهمنى هو أن الحكم تضمن حملة شديدة على رجال البوليس فى أسلوب عنيف قوى العبارة »

فقال غير متردد : « نعم هو سعد كان شديد على رجال الإدارة »

فذكرت تواً أحاديث سعد رحمه الله عن رجال الإدارة ، وعجبت كيف تتنبأ طبيعة الرجل بما سيبلوه من بعض الناس قبل عشرات السنين ، فقد كان سعد فى أحاديثه وخطبه كما كان فى أحكامه القضائية شديد الأنحاء على رجال الإدارة والشرطة ، وسماهم فى بعض خطبه ملوك النيروز الذين يدوم لهم الملك يوماً ثم يزول ، ولم يكن يعلم وهو يعقب أخطاءهم بالتنديد من منصة القضاء أنه سيبتلى بهم على منصة الزعامة وسيعانى من تصرفهم أضعاف ما كان ينعاه من ذلك التصرف فى شئون الناس . وقد صدق ابن الرومى حين قال :

وللنفس حالات تظل كأنها … بما سوف تلقى من أذاها تهدد

فلعل حالة من هذه الحالات هى التى أوحت إلى سعد أن يسبق حوادث الزمن فيقول فى أسباب الحكم فى قضية الجزيرة الشقراء : « وحيث إن وقوع مثل هذه التصرفات بحجة إظهار الفاعل أو كشف الحقيقة أشد خطراً على النظام العام من خفاء الجانى أو تخلصه من العقاب ، لأنه لا شىء أسلب للأمن وأقلق للراحة وأزعج للنفوس من أن يعبث بالنظام من عُهد إليه حفظ النظام . وحيث إنه لا يصح أن تكون مثل هذه التصرفات أساساً للحكم بل لا يصح غض النظر عن المؤاخذة عليها ، لأن ذلك مما يضر بالقضاء ويجعله عوناً للظلم بدلاً من أن يكون نصيراً للعدالة »

وقد طرب زيور باشا وهو يسمع هذا الكلام مرة أخرى بعد خمس وأربعين سنة ، فابتسم ابتسامته الصافية كما وصفها المؤلف وقال : هذا كلام سعد ... والفرنسيون يقولون الأسلوب هو الرجل

***

وأشار المؤلف الفاضل إلى قضية لى مع مصلحة التلفونات كان له الفضل فى كسبها قبل أربع سنوات

قال الأستاذ عبده : « منذ يومين أرسل إلى الأستاذ عباس العقاد حكماً صدر ضده قاضياً بإلزامه بأن يدفع لوزارة المواصلات مبلغ ٤٧٥ قرشاً والمصروفات ، قال الأستاذ إنه يريد أن يعارض فى هذا الحكم تمسكاً بوجهة نظره ، فإن القيمة التى طالبته الوزارة بها هى أجرة مواصلة بين تلفونين كانا له حين أصدر صحيفة الضياء فلما ترك هذه الصحيفة نقل كلاً من التلفونين إلى منزل لصديق من أصدقائه وقد تولى كل من الصديقين وفاء الاشتراك الخاص به لمصلحة التلفونات ولم يبق مبرر بل لم يبق سبيل للاتصال بين التلفونين ، فإنهما فى دارين مختلفتين عند صديقين مختلفين ، فعلام إذن تستحق أجرة أو رسوم هذه المواصلة المستحيلة ؟ »

هذه هى الواقعة التى بُنيت عليها الدعوى

وتتمة الواقعة أن أروى للمؤلف الفاضل ولحضرات القراء قصتين صغيرتين

فالقصة الأولى قصة نزاع على شجرة فى بعض جهات الإقليم الذى نشأتُ فيه وهو إقليم مشهور باللدد فى المنازعات القضائية هذه الشجرة التى لا ثمر لها ولا ينتفع منها بغير الوقود بعد

قطعها كانت موضع النزاع سنوات بين أسرتين ، واجتمع من قضاياها عشرات الملفات وألوف الصفحات ؛ وتفرعت على الدعوى المدنية فيها دعاوى جنايات شتى لا تنتهى الواحدة منها حتى تتلوها الأخرى

وكانت الأحكام العسكرية يومئذ مضروبة على إقليم أسوان لاشتعال الثورة المهدية وقرب الإقليم من الحدود

فكان قاضى المدينة ضابطاً من رؤساء الضباط فى فرق الجيش المقيمة بها ، وضاق ذرعاً بهذه المنازعات فأمر بإعداد الزورق البخارى ذات يوم ودعا بأحد الحطابين وبأفراد الأسرتين المتنازعتين لموافاته عند الشجرة ... ثم أمر بقطعها وإلقائها فى النيل ووراءها الملفات والأوراق ... فأراحهم واستراح

تلك إحدى القصتين

والقصة الأخرى يعلمها أديب من بلد الأستاذ عبده الزيات : دمياط

وخلاصتها أننى كنت أشترى أقة من الكمثرى الخشنة التى تعرف « بالخشابى » لأننى كنت أستعين بخشونتها على الهضم فى بعض الأوقات . فساومنى الرجل فيها ثمانية قروش ، وكانت تباع بسبعة قروش فى ميدان سليمان باشا

قلت للرجل : إنها تباع بسبعة قروش عند زميلك فلان

قال : إذن خذها من فلان !

قلت : نعم آخذها من فلان ، ولن آخذ شيئاً منك بعد الآن ...

وكان اليوم قائظاً فأنفقت فى الركوب إلى ميدان سليمان باشا والعودة منه عشرة قروش ، لكيلا يسومنى أحد من الناس أن أرضخ عن قرش واحد بالعنت والاكراه

أ كانت معارضتى فى قضية التلفون إذن من لدد الإقليم أم من هذه الخليقة الشخصية ؟

لا أحسبنى أحب المنازعات القضائية لأننى أحسمها دائماً قبل الدخول فيها ، ولكننى أعلم أننى كنت على استعداد لإنفاق عشرة أضعاف المبلغ الذى طلبته مصلحة التلفون قبل أن أسلمه لها بغير الحق ، وإننى ما كنت ألجئها إلى المقاضاة لو علمت أنها كانت على حق فيما تدعيه

ولكن الأستاذ عبده قد أراحنا من سداد المبلغ ومن إنفاق أضعافه ، لأنه وفق بدفاعه إلى تقرير مبدأ عادل فى موضوع هذه القضايا ، لعله قد أراح المئات من المشتركين وحق له فى أموالهم جميعاً نصيب غير مقدور

* * *

ومن طرائف ما فى الكتاب قصة ذلك « البرىء » الذى حكم عليه بالسجن فى قضية قتل لم يجنه ، ولكنه كان قد جنى وأفلت من العقاب مرات

أعرف شبيه هذه القضية فى سرقة عوقب عليها لص ولم يجنها وكان قد جنى غيرها ونجا من العقاب

فليس بالنادر هذا الجزاء الإلهى الذى يجرى أحياناً على أيدى القضاء

ولكن الذى يحضرنى فى هذا الصدد مشابهة فكاهية لهذا الصواب فى الخطأ ، أو هذا الخطأ فى الصواب ، حدثت لى يوم كنت فى مراجعة التذاكر بمصلحة السكة الحديد

فقد زدت تذكرة فى قسم ونقصت تذكرة فى قسم آخر ، وسئلت فى ذلك فقلت : واحدة بواحدة ، ضموا هذه فى مكان تلك ، فلا زيادة إذن ولا نقصان

إن جاز هذا فى حساب العدد والنقود جاز ذلك فى حساب النفوس والأحكام

وكلاهما يجوز عن اضطرار

* * *

ولو شاء القارىء لاستطرد من الكتاب إلى كتب على هذا المنوال ، ففيه ضروب من القضايا وفيه فنون من الهوامش والتعليقات ، وهو يلم أحياناً بجرائم الصادفة وأحياناً بجرائم العوارض النفسية وأحياناً بمذاهب التشريع فى غير تعسف ولا إقحام ، ويمزج ذلك بلمحات من السخر تستطاب فى سياقها ، كقوله فى التعقيب على كلام مجرم ينتظر بعد خروجه من السجن أن ينصفه أقرباؤه فى الميراث :

« . . هذا مجرم لم يتحجر فؤاده بعد عشرين عاماً فى قطع الأحجار . إنه حسن الظن بالناس ، بل بالأقرباء أيضاً ... » أو قوله يعاتب نفسه على إهمال المذكرات ثلاثة أشهر : « ... إن هذه المذكرات هى هى التى حنت عليك وهى هى التى تقبلتك فى صدرها واستمعت إلى هرائك وسخفك ، وأصغت إلى هزلك

منع الحـــــرب ؟

حلم الأبد !

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

خبت نار الحرب الكبرى السابقة ، وبقى أثر رزاياها وذكر أهوالها باعثين من البواعث على حب السلام والوعد بحفظه والتحذير من نقضه . من ذلك قول الفيكونت جراى إن الأفراد والأمم « إذا أرادوا ضمان المستقبل وحياة المدنية ، وجب أن يعرفوا هل الحال العقلية السائدة فى الحاضر هى أكثر حذراً وصواباً من العقلية التى سادت قبل تلك المحنة العظيمة ، وإلا زالت مدنيتنا كما زالت مدنيات سابقة[١] » ؛ وقول بلدوين رئيس الوزارة البريطانية الأسبق « من فى أوربا يجهل أنه إذا وقعت فى الغرب حرب جديدة انهارت فى زلزلة هائلة مدنيتنا المؤلفة ، كما انهارت مدنية رومة »[٢] وقول المستر ديفز « إذا نشبت حرب عالمية جديدة ، واحتدمت بالأسلحة التى تمدها التطبيقات العلمية للانسان ، سهل إبادة الأمم فى بضعة شهور »[٣]

لكن التجارب والمخاوف جميعاً لم تمنع هذه الحرب الضروس الشعواء التى يشهد العالم طرا ما تحدث وحشيتها من دمار وانهيار . ذلك بأن الغرائز والشهوات ما زالت تتغلب على العقل ، والطبيعة لم تصلح بعد من شأن النزعات الأنانية ، ولم توجهها إلى التعاون الصادق ، والإنسان مقسور على الكفاح فى الحياة ، والدول من طبعها أن تتعمد التوسع وترغب فى الفتح والسيادة الدولية بالمنافسة الطائفة فى الاقتصاد والصناعة ، والتجارة والتسلح ؛ وهذه سبيل لا مندوحة فيها عن الحرب بين حين وحين ، تشتبك بحجة الدفاع الشرعى أو الدفاع عن شرف الدولة وسيادتها ؛ وتارة ببعض تلك الحجج التى تموه بها بواطن الأمور وحقائقها من أنانية وشهوات وأطماع ذاتية ومصالح شتى ، لتندفع الشعوب إلى الملاحم الجهنمية والمجازر الآدمية

على أن كل حرب كبيرة تعقبها فترة رجمية سببها الحاجة الطبيعية إلى الراحة واستجمام القلب ولم الشعث ، فترة تهبط فيها غريزة المنافسة الطليقة إلى مستواها الأدنى ، وتتلاشى فى المعسكرات لتظهر على الأخص فى الميدان الاقتصادى ، فتدفع إلى الاستعداد لحرب تالية وإن كثرت الوعود بالمحافظة على السلام وبتوطيد دعائمه ومنع الحرب . من هـذه الدعائم جمعية جنيف المحترمة التى أمست ، فيما زعموا ، لعبة بيد الدولة البريطانية وفرنسا ثم بيد بريطانيا وحدها ، ثم أخفقت فى منع الحرب : لأن منعها يحتاج إلى نظام يضمن العدل الدولى ، والعدل الدولى دونه التسلح ، ومنع التسلح لا يتحقق بغير أمن ، والأمن ليس يوجد بغير عقوبة مقررة للمعتدى ، وتقرير العقوبة ليس بوازع إلا إذا كانت هناك قوة تنفذها ، قوة تفوق مجموع قوى الدول ، وما من دولة تأمن طغيان مثل هذه القوة المتفوقة أو ترضى أن تنزل نزولاً حقيقياً عن سيادتها أو عن حق حماية شرفها ، بل حتى عن حق الاعتداء على غيرها

وليست سياسة جنيف تجربة أولى لحفظ السلام بجمعية دولية ، بل هى سياسة يمكن إرجاع العمل بها أول مرة إلى عهد المدنية اليونانية المهيد ، على الأقل . وقد عادت إليها الدول مراراً منذ ذلك العصر القديم ، وإن تكيف تنفيذها بالأحوال فى كل زمان . ولكن الأمم لا تزال ترفض بعزم وحزم أن

---

(١) و (٢) و (٣) من كتاب « مشكلة القرن العشرين » لدافيد ديفز
Le Paobleme du xxe Siecle,1931, david davies, Payot

إصغاءها إلى جدك ! أتراك أنت أيضاً قد سرت إليك العدوى فأنت مدبر عمن يقبل عليك مسىء إلى من يحسن إليك » أو قوله عن القتلة أتباع الطريق الذين استباحوا القتل ولا يستبيحون الكلام فى المرحاض « لأن شيخنا ينهى عن الحديث فى محل الأدب ، لأن الملائكة مكلفون بقيد كل ما نقول ؛ فإن نحن تحدثنا فيه فقد أرغمناهم على ملاحقتنا داخله ، وهـذا لا يليق فى حقهم ! »

وترتفع نغمة الحديث أحياناً من السرد إلى الوصف البليغ بل إلى الشعر المنثور حين يعرض المؤلف للذكريات فى مدينة الاسماعيلية وغيرها من مدن القناة

فهو لا شك قراءة ممتعة ، ومطالعة نافعة ، وكلام فيه ما يروق بالسخر والفكاهة ، وفيه ما يروق بالوصف والبلاغة ، وكله مما يشوق القارىء أن يرى يوماً من الأيام « يوميات محام » ولا يقنع به « من يوميات ... »

عباس محمود العقاد

أن ترضخ لسيادة الحق ، وإن هددت الجوائح مرات عديدة بأن تهلك الجنس البشرى بأسره

كانت المدينة اليونانية فى الغابر دولة حقيقية ذات سيادة . وكانت دول المدائن الهلّينية تتحد لأغراض دينية وسياسية . ومن محالفاتها « اتحاد دياس »[1] والعصبة « الآخية »[2]

جمع اتحاد ديلس ، تحت رياسة أثينا ، الدول الهلّينية البحرية ، وأوجب عهد التحالف على كل منها تقديم سفن لأسطول مشترك أنشىء للدفاع عن الاتحاد ضد الفرس ، وحراسة النظام فى بحر إيجه ، ولتنفيذ العقوبات التى يقضى بها مجلس الاتحاد فى المنازعات بين أعضائه

كانت ديلس مقر المجلس ، ومن شروط الحلف نص يلزم أعضاءه أن يعرضوا عن المحاربة فيما بينهم وأن يحكموا المجلس فى منازعاتهم . وهو يمثل السلطة التنفيذية ويفصل الخصومات ويحكم بالعقوبات وأثينا تباشر تنفيذها وتقتضى كل عضو ما شرط عليه تقديمه من رجال ونقود ، وتتخذ تدابير الإجبار للمخالفين والمقصرين فى القيام بالالتزامات العسكرية

فكان كل عضو ، فى البداية ، دولة بحرية مستقلة ذات سيادة ، تعاون بحصة لحفظ القوة المشتركة . لكن أثينا كانت أقدر على بناء السفن الحربية وأسرع من غيرها ، فانتهى الأمر إلى اختصاصها ببناء هذه السفن إذ صار أكثر الدويلات فى الاتحاد يؤدى بدل السفن نقوداً للخزينة المشتركة

والنتيجة السياسية من هذا النظام هى سيادة أثينا على قوات الاتحاد الحربية ، وإرادتها سائر الأعضاء على معاونتها براً وبحراً وعلى اتخاذ دساتير ديموقراطية مماثلة لدستورها هى ، حتى ردت الاتحاد أمبراطورية بحرية تحت سيطرتها

أما العصبة الآخية فقد جمعت قرابة ستين دولة مدينة ، حين بلغت أعظم شوكتها . وكان لكل عضو منها حرية التصرف فى شؤونه الداخلية . أما السياسة الخارجية . فكانت بيد مجلس العصبة ، ولكل عضو صوت فيه . والمجلس هو الذى يعقد المعاهدات والمحالفات ويعلن الحرب ويجتمع بدعوة من رئيسه . ورئيسه قائد ينتخب كل سنة ولا يعاد انتخابه إلا بعد مدة رياسته بسنة ، وهو ، فى حالة الحرب ، يصبح قائداً عاماً مطلق السلطة . وقد اعتمدت العصبة على جيش دائم تحت إمرة مجلسها رأساً ، وكانت أحياناً تطلب مؤناً وعتاداً من بعض المدن ، أو تخول قائدها السلطة لحشد جميع القوات العسكرية التى لأعضاء الاتحاد . أنشئت العصبة لمواجهة النفوذ المقدونى على الخصوص ، وكانت تستعمل هذه القوى فى حماية نفسها وتنفيذ العقوبات ، وفى حتم الانضمام إليها على دول أخر فى بعض الأحوال

وحق أن هذه العصبة وما سبقها من اتحادات كانت جميعها محالفات بين دول المدائن الهلّينيّة توالى الإخلاص لعنصر واحد ، لكن يخطئ مَن يظن أن تحقيق الاتحاد بين تلك الدول كان سهلاً أو أن التحاسد بينها لم يكن شديداً قاسياً

ثم بسط السلام الرومانى Pax Romana رواقه على كل أرض رفرف فوقها علم رومة ، وتحقق العدل بين الأمم للمرة الأولى فى التاريخ ، إذ ارتاض أقوام مختلفة عناصرهم ومدنياتهم لفكرة نظام سياسى مشترك؛ ولولا اعتماده على تفوق الجيوش الإمبراطورية لما أمكن قيامه فى كل مكان وُجدت به حامية رومانية

وشبيهة الإمبراطورية الرومانية فى العصر الحديث هى الإمبراطورية البريطانية بالهند التى كانت إماراتها على اعتراك دائم والاضطهاد فيها كثير ، ثم انتظمت محاكمها بعد الاحتلال واعتمد تنفيذ أحكامها على الشرَط وخلفهم الحاميات البريطانية . فقضت الهند رَدَحاً من الدهر فى ظل السلام البريطانى Pax Britannicus كالسلام الرومانى . لكن نظام الهند قد ضُرب على أهلها ، ولم يبن على أساس من رضاهم وإرادتهم

وقد وُضعت مشروعات عديدة فى أزمان مختلفة لتحقيق العدل الدولى وإقرار السلام ومنع الحرب . ولكن الأمم والدول عاشت حتى الآن فى تحاسد وحرص على سيادتها ، وعلى حق فى دفاعها عن شرفها ؛ وآثرت أخطار الحرب — ولو فظُعت بأسلحتها الحديثة ، فى سبيل الأطماع والشهوات — على سلام يحفظه مجلس مشترك بيده قوة متفوقة . ذلك بأن الاتحاد الذى

---

(١) LaConfederation de Délos . وديلس هى صغرى جزر السيكلاد فى الجنوب الشرقى القريب من أثينا .

(٢) La Ligue acheenne والنسبة إلى الا كين acheens : kein وهم جيل من اليونان استقر فى الجانب الشمالى من البلوبونيز

يعتمد مجلسه على مثل هذه القوة قد ينقلب امبراطورية يسود فيها الأقوى، كما شهد التاريخ

أما وقد مضى خمسة وعشرون قرناً عانت الإنسانية فيها من الحروب بلايا فادحة أفظعها ما ترى من فتك هذه الأسلحة الشيطانية التي تمحق البشر وتمحو المدن؛ أما وقد وعد الحلفاء بسلام دائم ورخاء عام، فالمأمول أن يفلحوا هذه المرة. والذي يؤكد للآملين أن الحلفاء صادقون في وعودهم قادرون على الوفاء بها هو ما يذاع من أقوالهم وينشر من كتاباتهم ويجيء ذكره في الأخبار من أعمالهم، مثل «مشروع تأمين سلامة العالم» المقترح من مؤتمرهم في دومبرتون أوكس بأمريكا، وملخصه[1]:

١ — إنشاء عصبة أمم جديدة تسمى «الأمم المتحدة» - على أن يكون للعصبة أربع هيئات هي «مجلس الأمن»، الذي تكون له القيادة الفعلية لقوات العالم المسلحة؛ «والجمعية العمومية»، التي ينضوي تحت لوائها جميع الأعضاء - يعني جميع الأمم المحبة للسلام؛ و «محكمة العدل الدولية»، وأخيراً «السكرتارية»، ويجب أن يكون السكرتير العام رئيساً إدارياً من حقه أن يوجه نظر مجلس الأمن إلى ما يبدو أنه يهدد السلام العالمي

٢ — أن يكون للدول الأربع الكبرى: أمريكا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي والصين، ثم فرنسا فيما بعد، مقاعد دائمة في مجلس الأمن؛ وأن تشكل الجمعية العمومية من جميع أعضاء هذه الهيئة الدولية، ويكون لها أن تنتخب الأعضاء غير الدائمين في المجلس

٣ — تشكيل «لجنة عسكرية» مهمتها إسداء النصيحة إلى مجلس الأمن فيما يتصل بجميع الحاجات العسكرية لحفظ السلام، وبقواعد التسلح، أو نزع السلاح إذا لزم الأمر؛ وأعضاء هذه اللجنة هم رؤساء قيادة الولايات المتحدة وقيادات بريطانيا والاتحاد السوفيتي وفرنسا والصين، أو ممثلوهم؛ وعلى جميع أعضاء هذا النظام أن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن، بناء على طلبه، قوات مسلحة وأن يبذلوا العون اللازم للمحافظة على السلام

٤ — أن يجب على الأمم المتنازعة اتخاذ الوسائل السلمية فيما بينها؛ فإذا استمر النزاع تولاه مجلس الأمن، وهو صاحب الحق في أن يقرر لنفسه تولي أمر هذا النزاع؛ فإذا وجد أن للنزاع ما يبرره أحاله على محكمة العدل؛ والمجلس أخيراً أن يستعمل القوة المسلحة متى تراءت له ضرورة ذلك

واضح أن بين هذا المشروع وبين اتحاد دبلس والعصبة الآخية أوجه شبه

هذا ويرى المستر سمنر ويلز، وزير خارجية أمريكا السابق «أن وجود هيئة الأمن الدولية بعد الحرب سيكون مرهوناً باستعداد روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة للعمل معاً»[1].

إن تحالف الروسيا وبريطانيا والولايات المتحدة (نهض[2] على أسس المصالح الجوهرية الدائمة) من حيث أن هذه المصالح، وإن اختلفت بين الدول، تقتضي الإجماع على التخلص أولاً من العدو المشترك. وفيما يتعلق بتواتر الأحاديث (عن نشوب خلاف بين الدول الكبرى الثلاث حول بعض المسائل المتصلة بضمان سلامة العالم، قال المرشال استالين: هنالك خلافات بطبيعة الحال وقد أوضحت قرارات مؤتمر دومبرتون أوكس حزم الجبهة المعادية للألمان ... والتحالف (سيصمد أيضاً لامتحان المراحل الأخيرة من هذه الحرب ... بل يجب علينا أيضاً أن نجعل من المستحيل وقوع أي اعتداء أو حرب جديدة إذا لم تكن نهائياً فعلى الأقل لوقت طويل)[3]

ويبدو أن في أمريكا نفسها من يعترض على أصحاب المشروع من هذه السياسة فيقول إنها «طريق الدولة العظمى» وقد قطع مراراً من قبل، وإنه يبدأ في الأغلب بفكرة «مثالية» ولكنه ينتهي دائماً بمعارك دموية. فالدول العظمى تتولى أمر العالم «بتحالف سلمي» ينتهي «بمناطق نفوذ» وكل دولة كبرى

---

(١) بإيجاز مما جاء في الأهرام يوم ١٠ اكتوبر الماضي

(١) برقية من نيويورك لجريدة المصري تاريخها ١٣ اكتوبر الماضي في شأن حديث للمستر ويلز أذيع بالراديو

(٢) من خطبة ستالين في الاحتفال بالذكرى السابعة والعشرين للثورة الشيوعية

(٣) من خطبة ستالين المذكورة

تسرع في الأخذ بأساليب القوة في منطقتها ، والمناطق تتزاحم وتتصادم . يمد سمتر ويلز من أعظم الساسة الطامين الذين أنجبتهم الولايات المتحدة ، وهو يقول : « ما من محالفة عسكرية تدوم ، فإن كل فريق فيها لا يلبث أن يحاور الفريق الآخر في سبيل الأهداف الفردية الخاصة »[١]

ويقول آخر : « إن الحرب لا يمكن أن تمنعها إجراءات جماعة عامة ؛ والنظام العالمي لا يمكن أن يحرسه الشرط . على أننا نستطيع أن نقيم مجلساً عالمياً تتشاور فيه الحكومات ، وتحاول أن تتفق . فإن المسائل التي تمدها الدول حيوية لا يمكن أن تقرر بالتصويت . إن الولايات المتحدة تحتاج الآن إلى الدفاع عن نفسها - شأنها في ذلك شأن الدول الأخرى في التاريخ - بالدبلوماسية والسياسة والسلاح .. ولا يمكن إقامة نظام دولي إلا بعمل متسق من « جماعات » من الأول . وأنا أسمي إحدى هذه الجماعات « جماعة الأطلسي » ومن الجلي أن روسيا محور

(١) مقتطف مايجاز من مقال وليم هارد في عدد نوفمبر من مجلة المختار

وحدة ثانية ... فتقدم الدول الكبرى الحماية التي لا تستطيع الدولة الصغيرة أن تكفلها لنفسها ، بسبب الخصائص الفنية للحرب الحديثة ، وتقدم الدولة الصغيرة التسهيلات الاستراتيجية اللازمة للدفاع المشترك ... ولقد اهتدت الأمم الأمريكية إلى سياسة ثبتت فائدتها ، وإن كانت لم تبلغ بعد مرتبة الكمال . وقد كان من الممكن أن تفضى إلى امبراطورية أمريكية ؛ غير أنها أفضت إلى بدعة في الشؤون الإنسانية هي البديل الصحيح الوحيد من الإمبراطورية ، وهو ما نسميه « سياسة الجوار الحسن »[١]

وإذا كان هذا الحسن بديل الإمبراطورية ، والتصادم من سوس الإمبراطوريات أو الدول العظمى أو مناطق النفوذ ، وكانت الأنانية أس الاجتماع الإنساني ، فالحق أن منع الحرب حلم الأبد .

محمد محمود عبد السلام

(١) مقتطف بإيجاز من ملخص كتاب والتر ليبمان في عدد نوفمبر من مجلة المختار

يا أخت ليــــلى

للأســتاذ دريني خشبة

صديقى الأعز الدكتور زكى مبارك :

رحمك الله رحمة واسعة يا أخى ، وغفر لك ، فلقد كنت فينا مُرْجوًّا قبل هذا ؟!

عَمْرك الله ما ذلك الغرام الجديد يا أخى ؟... وكيف اتسع له قلبك وليلاك المريضة لا تزال تئن وتتوجع ، بالعراق وبغير العراق ؟ ... ألم أقل لك يا صديقى إنك تياسر مع كل سانح ، وتيامن مع كل بارح ؟ ... ولـكن لا عليك يا أخى ، ما دامت ليـلاك الجديدة غبية بلهاء ، يسهل إقناعها بهذا الأسلوب الذي يحمل فى تضاعيفه أدلة الإعياء .. بل أدلة الموت

هل تعبت فى اجتذابك إلى الميدان كل هذا التعب ، لتفضح نظرية وحدة الوجود على هـذا النحو ، غير الخليق بك ، ولا بجميع الغيد الحسان اللائى وقعن فى شراك هواك ، وأحابيل حبك ، على ضفاف السين مرة ، وحفافى دجلة مرة أخرى ، وفى مراتع القاهرة تارة ، وبين أزقة سنتربس العزيزة الغالية تارات وتارات ؟!

أهكذا يا صديقى بضيع تعبى فى معالجتك هباء منثورا فتبعثره على هذه الصورة بين الخدود والقدود ، والثغور والنحور وتجعله جروحاً لا قصاص لهـا فى جسم محبوبتك الغبية البلهاء التى أنشبت أظافرك فى بدنها ، وفى عقلها ، وفى روحها ... دون أن تضع ثناياها العـذاب الرِّطاب فوق (عَـلا بِيـَّك !) — أى عَصبِ عنقك — ولست أفسرها لك — فتعضه عضة تريحنا من زكي مبارك ، ومن أبالسة زكى مبـارك ، ومن وحدة الوجود ، ومن الخرفين بوحدة الوجود ؟!

لا تجزع من هـذا الـكلام يا أخى فأنت تـكفر بالموت ، الذى يؤمن به الأغبياء أمثالنا ... وحبيبتك الغبية البلهاء لن تصنع شيئاً ، مهما أنشبت أظفارها وثناياها العذاب الرِّطاب فى عنقك . حقيقة إنها إن فعلت ، فربما سكتت نأمتُـك ، وشالت نعامتك ، وأراحت جميع الأغبياء منك ... ولـكن هذا كله ، فى نظرك ، لا يكون موتاً ، وإنما يكون تحولاً . وأنت ماذا يهمك من هذا التحول ، وإن شئت فسمه التناسخ ، ولا سيما إذا انتهى بك إلى أن تـكون دجاجة أو هرة ، أو ثعباناً ... أو .. ببغاء مثلاً ؟! ماذا يهمك أن تتحول بعد مليون سنة ياصديقى العزيز إلى ببغاء يهرف بما لا يعرف ، ويزعم لجماعة الطير أنه لاموت ولاسكون ، ولا فضاء ولا زمان ، ولا مكان ... ثم يتعالم على الماشية ودواب الحمل ، فيزعم لها ، فى وقار الفلاسفة وسمت العلماء ، أن كل من فى الوجود حى يرزق ، فالحديد حى ، و (وابور) الزلط حى ، والزلط نفسه حى . وكل ما فى الدنيا من جماد حى ، كما يفسر ذلك الدكتور زكى مبـارك — الذى كان يعيش بعقله ، وشحمه ولحمه ، قبل مليون سنة ، فى بلاد اسمها مصر ، ومدينة اسمها القاهرة ، وكما كتبه بيمينه فى مجلة اسمها « الرسالة » كانت تصدر فى تلك المدينة ، رداً على الأغبياء الذين كانوا يلحدون فى نظرية وحدة الوجود . ويجادلون فيهـا بالباطل وهم أبعد الناس عنها ، ويدعون وصل ليلى . . وليلى لا تقر لهم بذا كا ؟

أهكذا ياعزيزى الدكتور تعود إلى دائك القديم ، أو يعود إليك داؤك القديم ، من دعوى وقوع الغيد الأماليد ، والأعاريب الرعابيب ، فى حبك ، وشغفهن بك ، وقتلهن أنفسهن تهالـكاً عليك ، وترضِّـيًا لك ؟

لقد كان الناس يضيقون بتلك النغمة ، أو تلك الدعوى ، يوم كنت شاباً أزهرياً ، غض الإهاب فتياً ... ثم زاد حنقهم عليك حين لم تقلع عنها وأنت والد كريم ذو ... وبنين ... أما وقد صرت جداً ... وجداً لحفدة . . فأظن يا أخى أن تلك الدعوى ... دعوى افتتان الحسان بدمك الخفيف الظريف ... قد أصبحت شيئاً بائخاً ... وبائخاً لدرجة لا تطاق ... فهل أنت مرعو عنها يا صديقى ؟

هذه نصيحة ...

والاحظ هذه الأيام أنك تسيغ شيئاً من الـكذب ، تحسب أنه ينفعك فى التهويش على أصدقائك ، الذين تزعم أنهم أعداؤك ، والذين تزعم أنهم إنما يناوشونك ليصلوا — على قفاك ! — إلى شىء من المجد الحرام !

أما هذا القليل من الكذب ، فهو زعمك فى كلمتك القصيرة أنك كتبت الكلمة الطويلة (بالعدد السابق) لنفسك ، ولم تكتبها ردًّا على أحد ... لكنك نسيت كل هذا الافتراء القليل وأنت تخبرنى - متحدثاً مع شخصى كما يقول المحضرون أنك عند ما قرأت مقالى صبيحة الأحد الماضى ، فار دمك ، وانطلقت إلى مصر الجديدة من فورك ، وسهرت ليلك الطويل ، تستوحى فتاتك البلهاء الغبية ، وتصور نفسك لهـا بطلاً ، ثم تزعم لها أنك أقنعتها فاقتنعت ، وتزعم لها أنك لو شئت أفهمت أغبى الأغبياء ، وأنك تفتخر بكونك أول شارح لنظرية وحدة الوجود فى هذا العصر .... فما هذا كله يا أخى ؟ إنك إذا حمدت الكذب القليل على الناس ، فليس يحمد لك الناس هذا الكذب العريض على نفسك ! ... أنا واثق من أنك الآن مستطيع أن تقول إنك لم تقل لى هذا القول ، فترمينى بدائك وتنسل ، كما يقول المثل ... ولكن اذكر أنك قلته أمام تلاميذك الأذكياء الجدد ، وقد نبهتهم إليه ليؤدوا الشهادة إذ أنكرت ... فاحذر ...

ومن هذا الكذب القليل الذى تستبيحه هذه الأيام أن تزعم أن الناس هم الذين طالبوك بالرد على فيلسوف العراق ... وأنك لن ترد على فيلسوف العراق ... وأنك قرأت رسائل التعليقات ، مع أنك - وأقسم بحبك الجديد - لم تقرأها ، لأنك اعترفت لى بهذا ، وأنت تعترف لى بأنك كسول جداً هذه الأيام !

أما أن الناس قد طالبوك بالرد على ذلك الفيلسوف ... فلا ... لأنك أنت نفسك الذى وعدت بذلك فى كلمة مكتوبة نشرتها لك الرسالة .. وهى أولى كلماتك فى هذا الموضوع ... ولكن لما حال كسلك بينك وبين الرد ، لأنه حال كذلك بينك وبين قراءة الكتاب ... فضلت أن تزعم أن أحداً يطالبك بالرد وأنك لن ترد .. إذ يقتضى الذوق فى نظرك أن تحسن إلى من أحسن إلينا .. وقد شرفك الرصافى بتأليف كتاب علق به على كتبك . فأقل الذوق ألا نناقشه ، وإن كان فى عدم مناقشته إيمان بما يؤمن هو به من وحدة هذا الوجود وما يفرع منها من أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو مبتدعها ، وأنه منشىء القرآن ، وأنه لا معنى للدعاء والصلاة والبعث والثواب والعقاب والحساب ... إلى آخر هذه الكفريات التى هذى بها فى كتابه

ولكن لماذا يطالبك الناس بالرد على الرصافى وأنت تؤمن بشر مما يؤمن هو به ؟! ألم تصرح بذلك فى فلتة من فلتات لسانك ؟ وهلا يحسن أن أنتظر كيف ترد على هذا الخبر ؟ لنترك ذلك الآن ...

أما أكبر الأدلة على أنك لم تقرأ رسائل التعليقات إلى الآن فهو قولك إنى أصر على أن أقحم الإسلام فى وحدة الوجود ... وأنا — وحق صداقتك يا أخى ، لم أصر على شىء قط ، وإنما الذى أصر على ذلك هو صاحبك الذى علق بكتابه على كتابك لأنه لم يقحم وحدة الوجود فى الإسلام فحسب ، بل جعلها من اختراع رسول الله — أو رسول الإسلام — كما تقول أنت . وما صنعت أنا شيئاً إلا ما دفعت به ذلك الإفك الذى يفتريه الرصافى على رسول الله . فلو أنك تنازلت — أيها الكسول الكبير — فقرأت كتاب صاحبك الذى علق به على كتابيك ، لما وقعت فى هذا الخطأ الذى تكرر منك غير مرة ، من اتهامك لى أننى آبى إلا أن أقحم الدين فى الفلسفة . وأذكر أننى قبلت مبدأ إبعاد الدين عن وحدة الوجود حينما طلبت إلى أن تساجلنى فيها . فرأيتك تهلع لقولى هذا ، ثم تصور لنفسك أننى أستدرجك ، فتطلق للريح ساقيك فراراً غير كرار ، زاعماً للناس أننى فيما يظهر ، لا أنتوى إبعاد الدين والإسلام عن وحدة الوجود ! ولكى تستر هذا الفرار ، تخرج على الناس بآرائك الفلسفية المدهشة عن الموت والفضاء والسكون والزمان والمكان فتقع فى أخطاء فتاكة ، ليتك سترت نفسك فلم توقعها فيها ، إبقاء على ماضيك العلمى المجيد ، وسمعة كتبك القيمة التى لم تبال أن تتنكر لهـا مجاملة ذميمة لرجل حاول مجترئاً أن ينسخ عقائدنا وأن يمكس علينا ديننا

فوصيتى لك إذن ألا تستبيح ذلك اللون من الكذب الخفيف يا أخى لأنه غير خليق بك

وتلك نصيحة ثانية ...

ووصية ثالثة أجترىء فأقدمها لك عسى أن تعمل بها . ذلك أنك تتعرض فى مقالاتك لما لم تحسنه ، بل لما لم تطلع عليه من كثير من العلوم . وكل الذين قرأوا كلمتك الغَزِلة السالفة عجبوا لك كيف لا تعرف الطريقة التى يتم بها تحجر الحيوان

على هامش النقد

٥ – في عالم القصة

الذئاب الجائعة . . . محمود البدوى

للأســـتاذ سيد قطب

هنا قصّاص من لون جديد . وهنا قصة ذات طعم خاص .. لهذا القصاص عيوبه ، ولهذه القصة هنواتها . ولكن هذا كله شيء آخر . وليس هو بأفضل قصاص ، وليست هي بأرفع قصة . ولكن هذا كله شيء آخر كذلك !

هنا « لذعة » حارة تحسها وأنت تقرأ مجموعة « الذئاب الجائمة » كلها أقصوصة أقصوصة . وهنا « جوع » دائم في كل قصة ، وفي كل شخصية — جوع إلى شيء ما : حسى أو معنوى — وهنا « تفزع » دائب في كل موقف وفي كل خطرة — تفزع من شيء ما موجود أو مرقوب .

والقارىء يحس بهذا كله يلهب حسه ، ويلذع أعصابه ، فإذا فتر في بعض الأحيان أحس بخدر لذيذ ، كأنه في بحران ...

ولأول مرة — فيما أعتقد — تظهر هذه الخصائص في قصة باللغة العربية . وهذا ما يوجب تسجيل هذا اللون الخاص .

وأعود مرة أخرى لأقول : إن الخاصية ليس معناها الأفضلية ؛ وإننى لا أرفع هذا اللون فوق الألوان الأخرى ؛ وإن هذه الخصائص لا تنفى نواحى النقص فى اللون الجديد . وكل ما يهمنى هو تسجيل هذه الجدة ؛ بخيرها وشرها ، وتنبيه القارىء إليها فى مجموعة « الذئاب الجائمة » .

* * *

تحتوى هذه المجموعة على ثمانى أقاصيص : الذئاب الجائمة ، وساعات الهول ، والنفوس المعذبة . ورجل مريض . وفى القرية . وحياة رجل . وقلب عذراء . وفى القطار .

في « الذئاب الجائمة » و « فى القرية » لوحتان خاصتان من حياة الريف المصرى الصميم . وفى كلتيهما ذلك الجوع الحار وذلك التفزع العنيف . فالأولى تصور منظراً من مناظر اللصوص حياة « أبناء الليل » كما يسمونهم فى الريف ، أو ذئاب البشر .

والنبات . فأنت تحسب أن مادتها تتحول إلى حجر . وهذا خطأ يحسن أن ترجع لتصحيحه إلى بعض مصادر هذا العلم الجليل . فإن تكاسلت ، فاسأل أحداً فى مصلحة الطبيعيات يشرحه لك

وبالمرة ... يحسن لمن يدعى أنه بطل نظرية وحدة الوجود فى هذا العصر والعصور التوالى أن يقرأ كتاباً واحداً على الأقل فى كل من علم الفلك وعلم طبقات الأرض وعلم الحيوان وعلم النبات ، ثم كتاباً واحداً فى علم التطور أو النشوء والارتقاء ، لتعلم أشياء كثيرة عن أسرار الحياة والموت وخلق العالم وتكون السدم وانفصال الكواكب وتكون القشرة الخارجية لأرضنا العزيزة ، وما تتركب منه تلك القشرة وكيف غبرت عليها عصور جيولوجية متنوعة انتهت إلى العصر الذى أنجب لنا الصديق الأعز ومن سبق الصديق الأعز ممن يقولون مثله بأن الوجود إنما وجد هكذا مرة واحدة ... بعجره وبجره !

لله ما أظرف دعاباتك يا دكتور زكى ما بعدت تلك الدعابات عن ليلى وأخت ليلى ، وما لم يوقعها سوء الطالع بين علمك القديم ، وعلمك الحديث ؟ !

ترى ماذا أنت صانع لو أن الشاعر العراقى صدقك ، فشد رحله إلى سنتريس يطالبك بالبيت الذى وعدت ، وما يحتاج البيت من زوجة وخدم وضيعة إلى آخر الحكاية التى تعرفها جيداً ؟

أتهرب منه على النحو الذى هربت به من الأسئلة التى وجهناها إليك لتدلى فيها برأيك عما يعتقده الرصافى من قدم العالم وإلهيته واختراع محمد (ص) لخرافة وحدة الوجود وتأليفه للقرآن وإنكار البعث والحساب والعقاب والثواب وتساوى المتضادات أمام (الوجود المطلق الكلى؟)

اثبت على حال يا صديقى . اثبت على حال واحدة ، رحمك الله رحمة واسعة ، وغفر لك ، فلقد كنت فينا مَرْجُوًّا قبل هذا ... !

دريني خشبة

حياة السطو الدائم والفزع الدائم والجوع فى فريسة ، كالذئاب الحيوانية التى نشاركهم نفس الحياة !

والثانية تصور حياة « كَـلَّة » من العمال الفـلاحين كما يطلق على الجماعة ذات الرئيس ينتقل للعمل بهم من مكان إلى مكان . حين تطول بهم الغربة ، ويتعطشون إلى المرأة ، فيصبح صوتها الذى يطرق أسماعهم من بعيد ، وخيالها الذى يداعبهم من قريب ، هما الشغل الشاغل فى الصحو والمنام ! ثم صورة الفتاة النورية تلهب هذا الجوع الغاشم فى نفس رئيسهم الفتى حتى يمرض ويضعف ، فتتحول عنه إلى سواه ، كأنها « الشهوة » الجائعة لا تحفل إلا بما يسد الجوعة من هذا القطيع !

فى كلتا القصتين يبلغ المؤلف مدى خصائصه وأوفاها . فـكل شخصية هى « نموذج إنسانى » من « الذئاب الجائعة ! » وكل موقف هو لذعة جوع أو وثبة ذئب ؛ وكل حركة هى لفتة ذعر أو فزعة نمر . ولـكن فى كلتيهما غلطة مشتركة هى أن المؤلف يدع هذا الصنف من الناس يعبر عن مشاعره بنفسه فى مستوى دقيق من التحليل والتعليل ، وفى أفق رفيع من التعبير الجميل !

هـذا القطيع من الناس أو من الذئاب ، أغلب الظن أنه يعيش بغرائزه ، ويتصرف بسليقته ، ويتحرك بوخزة اللحم والدم والأعصاب ، دون أن يلتفت مرة واحدة إلى التعليل والتحليل . فإذا شئنا أن نعلل نحن ونحلل ، فطريقنا إلى ذلك أن نترجم عنهم ، ولا ندعهم يعبرون بأنفسهم لأنهم لا يستطيعون التعبير إلا بالحركة والعمل ، وعلينا نحن التفسير والتأويل !

وفى « ساعات الهول » تصوير عنيف للحظات غارة جوية تنتهى ببطل الأقصوصة إلى بتر ساقه وهو « نموذج إنسانى » للرجل الحاد المعتز بقوة بدنه ، يرى نفسه بعد لحظات أبتر الساق ضعيفاً مسكيناً . وهنا فقط يتذكر الريف ... الريف الحنون المتسامح ، ويتذكر القرويين ، القرويين الطيبى القلوب الذين لا يسخرون بذوى العاهات ، والذين يرحمون عزيز قوم ذل ! والخطرات النفسية المتتابعة صحيحة و « النموذج » مرسوم بوضوح بطريقة المؤلف الحادة العنيفة

وفى « رجل مريض » و « حياة رجل » نموذجان من لون آخر : الأول نموذج الرجل الضعيف الخائب المنحل . والثانى نموذج الرجل البوهيمى الساخر بكل الأوضاع والأوهام

وفى هذه الأقصوصة الثانية اقتباس من موقف الراقصة فى قصة « نزوة هوى » لـكوبرين . وانتفاع من بعيد بشخصية « سانين » فى قصة « ابن الطبيعة » لتشيكوف من القصص الرومى . ولـكنه اقتباس وانتفاع لا يعيب

أما « نفوس معذبة » فهي أقصوصة خفيفة . ليس فيها من خصائص المجموعة إلا الجوع . ولـكنه جوع هادئ سارب فى النفس ، يجد غذاءه فى لحظة مناسبة ، فيقتات فى فكاهة ولطف : شاب انقطع عن التعليم وآوى إلى الريف ، ولـكنه يرتاد القاهرة بين الحين والحين فى زيارة أخيه ، فتضيق به زوجة شقيقه القاهرية المتعجرفة . وفى مرة لا يجدهما ، ولـكن يجد فى الدار فتاة خادمة جميلة ، تعذبها الزوجة عذاباً أليماً لأنها جميلة ! ويحس فى نفسه الجوع إلى المرأة والوحشة إلى الأنيس ، فيرويهما وينتقم من زوجة أخيه فى ضربة واحدة ... ويتزوج الفتاة

والحادثة ليست هى العنصر الأول فى القصة ، إنما هو التصوير للمواقف والتشخيص للخواطر ، وكلاهما متوافر فى هذه الأقصوصة الخفيفة

***

وتبقى بعد ذلك أقصوصتان : قلب عذراء . وفى القطار . ولست أشك فى أنه بلغ فيهما غاية التوفيق – على طريقته وفى مستواه – وهما مقابلتان لأقصوصتي : « الذئاب الجائعة » و « فى القرية » ...

إذا كان الجوع فى الأولى جوع الطعام ، وفى الثانية جوع الغريزة ، فالجوع فى هاتين الأخيرتين هو جوع روحى – بمقدار ما تخلص الروح من جوع الغريزة – جوع الروح الموحشة من الرفيق ، ورفرفة الروح التى تجد هذا الرفيق وإن أبى (شيطان المؤلف) إلا أن ينتهى بهما إلى الحرمان أو ما يشبه الحرمان ؛ لأن نزعته العامة هى تصوير (الجوع) هذا العنصر الذى يبرزه إبرازاً واضحاً ، ويوفق فى إبرازه إلى أبعد الحدود

فى (قلب عذراء) نجد الفتاة الفتية الفنية ، ذات الحس الأنثوى الشاعر . نجد فى نفسها الفيض الذى تحسه الفتاة ، ثم لا تجد لهذا الفيض متصرفاً ... الرجل من حولها إما شاب طامع ، وإما شيخ متهدم . لم تجد منها الأعلى الذى ترجوه ، وضاق صدرها بهذا الفيض الذى لا يتصرف ، فتطوعت للتمريض لتريق هذا الفيض المذخور عطفاً على المرضى البائسين !

ولـكنها تمل هذه الحياة بعد حين ، ويكاد النبع الفائض

بفيض حين تلتقي بالشاب (حسن) يحضر لزيارة أخيه الصبي المريض ويجمع كل أشواق الأنثى الحبيسة ، وكل حنان المرأة الكظيم ، فتتوجه بهما جميعاً لا إلى الشاب – فالخجل الفريزى يمنعها – ولكن إلى هذا الصبي المريض ، شقيق الشاب الحبيب

كل خطرة نفسية وكل حركة جسدية صورها المؤلف تصويراً قوياً صحيحاً وطبيعياً صادقاً . ولكنه آثر فى النهاية – إطاعة لشيطان الحرمان ! – أن ترفض المرأة الختام الطبيعي المنتظر ، لأنها أصبحت امرأة عامة ، تقابل هذا وذاك . فهي تشفق على فتاها أن تشقيه بها ، وهو ابن الريف ، وقد شاهدت والده القوى الغيور !

على أية حال ليس لنا أن نتحكم فى اتجاه المؤلف . ولكن لنا أن نلاحظ ، أن المرأة فى هذا كانت مثالية أكثر مما تستطيع طبيعة المرأة ذات الفيض الحبيس المكتوم

فأما (فى القطار) فقد سمح له هذا الشيطان اللعين أن يتخفف قليلاً من (غول الحرمان) وأن يسمح لبطل الأقصوصة وبطلتها أن يرتويا ، وأن يرويا نزعة الفن والحياة فى نفوسهما

لقد التقى بها في القطار . ولقد تعارفا كما يتعارف الغريبان الظامئان ، ولقد نزلا فى فندق واحد على البحر ، فى حجرتين متجاورتين ، وحينما جنهما الليل استعرت فى بدنه جوعة الغريزة ؛ ولكنه نام حتى الصباح ليكشف أنها كانت ساهرة ترسم المنظر الجميل فى ضوء القمر ، لتخر صريعة الحمى فى اليوم التالى

وهنا تتوارى جوعة الجسد ، وترتفع النفس البشرية إلى الآفاق الإنسانية ، حتى إذا زالت الوعكة ، وجدا نفسيهما الشاعرتين ، وعاشا للحب والفن ، عاشا إنسانين قد تاهبهما الغريزة ولكنهما تتسامى وتتزيا بالزى الروحى الجميل

* * *

للمؤلف أعمال أدبية لم أقرأها : الرعيل . ورجل وفندق الدانوب . فهو إذن ليس مبتدئاً — وأنا لا أعرف شخصه ولا ثقافته — و « الذئاب الجائعة » تصلح عملاً أدبياً فى منتصف الطريق .. شيء من التحوير فى حكاية القصة كالذى تطلبناه فى القصتين الأوليين وشيء من البساطة فى رسم النماذج الإنسانية والخواطر والمواقف يكمل به الصدق الطبيعي فى الحياة وإن نقص به بعض اللذة فى التعقيد والمفاجأة ؛ فنجد بين يدينا كاتب قصة أو أقصوصة من لون جديد ، ومن طعم جديد

سيد قطب

الحروف الأبجــــدية

[بحث فى الأبجدية بمناسبة اقتراح تغيير الحروف العربيــة ورسم كتابتها]

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

أبجد أو أبو جاد ، مستهل الكلمات الثمانين التى اعتاد العرب أن يدلوا بها على ألِفِ بائهم . هذه الكلمات تنطق كالآتى «أبجد — هوز — حطي — كلمن — سعفص — قرشت — ثخذ — ضظغ »(1)

والأصل أن يرمز لهذه الحروف بأبجد ، وفى تاج العروس « وقيل أبا جاد كصيغة الكنية » . وجاء فى موضع آخر : « وقال قطرب — هو أبو جاد ، وإنما حذفت واوه وألفه ، لأنه وضع لدلالة المتعلم ، فكُره التطويل والتكرار وإعادة المثل مرتين ، فكتبوا أبجد بغير واو ولا ألف ، لأن الألف فى أبجد والواو فى هوز قد عرفت صورتهما ، وكل ما مثل من الحروف استغنى عن إعادته

وفي دائرة المعارف الإسلامية : « وترتيب الحروف فى هذه المجموعة هو نفس الترتيب فى العبرانية والآرامية ، وهذا يثبت إلى جانب أدلة تاريخ الخط نظرية أن العرب تلقوا أبجديتهم عن الأنباط . أما الأحرف الستة الخاصة بالعرب فقط فقد وضعت فى آخر المجموعة

وأصحاب المعاجم من العرب ، ولو أنهم لم يفطنوا إلى الموازنة بين الأبجدية العبرانية والآراميــة القديمتين ، وبين الأبجدية العربية ، إلا أنهم فصلوا بين الحروف الأولى وبين الأحرف الستة الأخيرة ، فقالوا عن الكلمات الأولى إنهم (ملوك مدين) ثم « وجدوا بعدهم ثخذ ضظغ فسموها الروادف(2)» . وفى التاج شرح القاموس ، وهى أحرف ليست من أسمائهم . وهذا يدل على أن الأصل الذى انحدرت عنه الأبجدية العربية أصل قديم عبرانى وآرامى ، ولكن العرب نسوا ذلك الأصل

على أن بعض الباحثين من العرب رجحوا أن يكون أصلها أعجمياً . فى تاج العروس « ثم الاختلاف فى كونها أعجميات أو عربيات كثير ، فقيل إنها كلها أعجميات كما جوزه المبرد وهو الظاهر . ولذلك قال السيرافى لا شك أن أصلها أعجمية ، أو بعضها أعجمى وبعضها عربى كما هو ظاهر كلام سيبويه وغير ذلك مما ذكره الرضى وغيره ، ووسع الكلام فيها الجلال فى المزهر . وجزم جماعة بأن أبجد عربى ، واستدلوا بأنه قيل فيه أبو جاد بالكنية ، وأن الأب لا شك أنه عربي ، وجاد من الجود ، وهو قول مرجوح »

وأخذت دائرة المعارف عن تاج العروس هذا الرأى فقالت « على أن بعض النحاة من العرب كالمبرد والسيرافى لم يقتنعوا بالتفسير المتداول عن الأبجدية ، وصرحوا بأن هذه الأحرف لا بد أن تمتد إلى أصل أجنبى »

وفى دائرة المعارف أيضاً (والأصل العبرانى والآرامى للأبجدية العربية مما لا شك فيه ومع ذلك فإن العرب لجهلهم باللغات السامية الأخرى ، ولتحيزهم ، وتعصبهم لجنسهم وشخصيتهم ، حاولوا تفسير أصل الأبجدية التى وصلت إليهم مع التقاليد تفسيراً جديداً . وهى تفسيرات شائقة حقاً ، ولكنها أدخل فى باب الخرافات)

فى القاموس (أبجد إلى قرشت ــ وكلمن رئيسهم ــ ملوك مدين) وفى تاج العروس « وفى ربيع الأبرار للزمخشرى أن أبا جاد كان ملك مكة ، وهوز وحطى فوج من الطائف ، والباقين بمدين

وقيل بل إنها أسماء شياطين ، نقله سحنون عن حفص بن غياث وقيل أولاد سابور ، وغير ذلك

قال وقد روى أنهم هلكوا يوم الظلة مع قوم شعيب عليه السلام ، فقالت ابنة كلمن ترثيه :

كلمن هدم ركنى هلكه وسط المحله
سيد الحتف أتاه الـ حتف ناراً وسط ظله

وهم أول من وضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم

* * *

وفى دائرة المعارف « وقد نشأ إلى جانب هذا الترتيب القديم

---

(1) دائرة المعارف الاسلامية
(2) القاموس المحيط

الذى يعود بنا إلى أصل الأبجدية العربية ، الترتيب المستعمل فى الوقت الحاضر . والفكرة فيه أن توضع الحروف المتشابهة فى الرسم بعضها إلى جانب بعض ، فمثلاً ت ث ، يأتيان بعد ب وهكذا ثم هـ و ى توضع فى الآخر

وقد احتفظت الأبجدية المغربية بهذا الترتيب حتى الوقت الحاضر وهو :

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ى

أما الترتيب الذى وضعه الخليل فى كتاب العين ، فهو ترتيب يتبع أساساً صوتياً فسيولوجياً ، فيبدأ بالحروف الحلقية ثم ينتهى بالحروف الشفوية . وهذا الترتيب هو :

ع ح خ غ ق ك ج ش ص ض س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و أ ى

ويشبه هـذا ما ذكره الأزهرى فى التهذيب والمحكم لابن سيده »

* * *

وجاء فى دائرة المعارف أيضاً أن هذه الحروف لها قيم عددية تشبه ما هو موجود عند العبرانيين والآراميين . من الهمزة إلى القاف تدل على واحد إلى مائة ، والتسعة الباقيـة من مائة إلى ألف

واعتمد المنجمون على خصائص الحروف العددية فاستعملوا أبجد وأخواتها كتماويذ وطلاسم سحرية . فكل حرف من الألف إلى العين يدل على إله أو قوة طبيعية . وعلى أساس هذه الصلة المتبادلة بين العدد والحرف من جهة ، وبين الرموز المقابلة لها من جهة أخرى قام بناء من السحر . وكان اليهود يزاولون ما يشبه هذا فى القرون الوسطى

* * *

هذه هى خلاصة القول عن الأبجدية . ومنها يتضح أمران : الأول أنها ترجع إلى أصل عبرانى وآرامى ، والثانى أن الناس انصرفوا بها إلى عالم الطلاسم والتماويذ والسحر

ولهذين السببين صدف المسلمون عن استعمالها ، وزهدوا فيها وفكروا فى وضع ألف باء أخرى كما سبق

على أن كثيراً من المسلمين لم يجدوا حرجاً فى اتباعها جاء فى الشاطبية ما يأتى

جعلت أبا جاد على كل قارىء دليلاً على المنظوم أول أولا

وشرح الإمام أبو القاسم القاصح هذا البيت فقال [1]

أخبر أنه جعل حروف أبى جاد دليلاً أى علامة على كل قارئ نظم اسمه فى القراء السبعة ورواتهم أولاً أولاً ، أى الأول من حروف أبى جاد للأول من القراء . فى اصطلاحه أبج لنافع وراوييه ، فالهمزة لنافع ، والباء لقالون ، والجيم لورش ... الخ

* * *

وقد نهى القابسى [2] عن تعليم أبى جاد ، ووجوب اتباع ألف باء أخرى على الصورة المغربية ، وهى التى ذكرناها سابقاً ونقلنا عن دائرة المعارف أن المغاربة لا يزالون يتبعونها إلى الآن . وفيها خلاف يسير فى الترتيب من حيث التقديم والتأخير عن ألف باء المتبعة فى مصر وفى كثير من معاجم اللغة كالقاموس واللسان والصحاح . ولكن القاعدة واحدة وهى تجاور الحروف ذات الرسم الواحد فى الكتابة . ونثبت هـذه الألف باء المتبعة فى مصر من باب الموازنة

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ى

* * *

هذا الترتيب وضعه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدوانى فى زمن عبد الملك بن مروان . وهو الترتيب الذى عليه العمل الآن فى البلاد العربية ، وجرى عليه أصحاب الصحاح والقاموس ولسان العرب وغيرهم . والمقصود منه ضم كل حرف إلى ما يشبهه فى الشكل [3]

والذى دفعهما إلى وضع هذا الترتيب ، هو النظر فى حروف الهجاء والتفكير فى تنقيطها ، لما كان يقع فى قراءة القرآن من

(١) سراج القارىء المبتدىء وتذكار المقرىء المنتهى شرح الامام أبى القاسم القاصح على الشاطبية طبع الحلبى ١٩٣٩ ص ١٦ .

(٢) هو أبو الحسن القابسى صاحب رسالة أحكام المعلمين والمتعلمين ، وكانت موضوع رسالتى فى الدكتوراه وهى تحت الطبع الآن

(٣) حياة اللغة العربية — حفنى بك ناصف — مطبعة الجريدة ص ٣٢

التصحيف . فاخترعا النقط كتمييز الحروف المتشابهة فى الشكل منعاً للالتباس

جاء فى الإتقان لا اختُلِفَ فى نَقْطِ المصحف وشكله . ويقال أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلى بأمر عبد الملك ابن مروان ، وقيل الحسن البصرى ويحيى بن يعمر وقيل نصر ابن عاصم [١]

وقد دعا النقط إلى ملاحظة الحروف المتشابهة فى الرسم . فالباء والتاء والثاء واحدة ، وإنما تتميز بالنقط فقط . لذلك تدرج الذين نقطوا الحروف إلى وضع الترتيب الجديد للألف باء وهو ترتيب المشارقة .

***

وعندنا أن هذا الترتيب الجديد ، سواء أكان ترتيب المشارقة أم كان ترتيب المغاربة ، إنما وضع لتيسير التعليم على الصبيان ، على الأخص لأن قاعدته الرسم والكتابة . وهذه الألف باء لا يحفظها الصبى إلا كتابة ، لأنه لا يستطيع ضم حروفها فى كلمات ، وإذا كان بعضهم يحفظها حرفاً حرفاً ، فإن هذا الحفظ يسير جنباً إلى جنب مع تعلم كتابتها

أما أبجد هوز ، فلأنها تجتمع فى كلمات ، فلم يكن بد ولو على سبيل الاختراع من إلباسها معانى مختلفة . وليس هذا غريباً عن قواعد علم النفس ، فكل لفظة يقابلها معنى ، لذلك تعددت الروايات عن معنى هذه الكلمات وألبسوها ثوب الخرافة . فهى تارة أسماء ملوك بادوا ، وتارة أخرى أسماء شياطين ، وتارة ثالثة أسماء أولاد سابور

كما أن هذه الكلمات لبعدها عن العربية الصحيحة ، تثير التعجب الذى قد يصل فى بعض الأحيان إلى السخرية فى نفس العربى الأصيل . فى تاج العروس قصة - إن صحت - يتضح منها سخرية أعرابى من أبى جاد . ويذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقى أعرابياً فقال له : هل تحسن أن تقرأ القرآن ؟ قال نعم . قال : فاقرأ أم القرآن . فقال : والله ما أحسن البنات فكيف الأم ؟ قال : فضربه ثم أسلمه إلى الكتاب فمكث فيه ثم هرب ، وأنشأ يقول :

أتيت مهاجرين فعلمونى	ثلاثة أسطر متتابعات
كتابَ الله فى رق صحيح	وآيات القرآن مفصلات
فخطوا لى أبا جاد وقالوا	تعلّم سعفصاً وقرَيْشات
وما أنا والكتابة والتهجى	وما حظ البنين من البنات

دكتور
أحمد فؤاد الأهوانى

(١) الاتقان للسيوطى الجزء الثانى ، ص ١٢٠

بين سيد قطب والحقيقة

للأستاذ صلاح ذهني

لم تعد المعركة بيني وبين سيد قطب ، فقد خرج الأمر من يدي ...

المعركة الآن بين سيد قطب وبين الحقيقة الواضحة . إنه إن صلح ناقداً للشعر فلن يصلح ناقداً للقصة . ذلك لأن أبسط ما يستلزمه فهم القصة الحديثة ودراستها وفهم المدارس الأدبية إطلاقاً هو الالمام بلغة أجنبية . ولو أن سيد قطب قصر كلامه في مقاله عن تيمور على إبداء الاعجاب والسخط ، ولو أنه لم يتعالم فيتكلم عن مدارس الأدب ويأخذ في التقسيم والتوزيع . لو أنه قنع بذلك دون أن يقحم نفسه فيما جرّ عليه الخطأ ، إذن لما كان يعنيني أن أرد عليه . لكنه أبى إلا أن يحشر نفسه في مجال لا يفهم فيه ، ولا يعيبه ألا يفهم فيه .

وبعد . فلأخاطب القراء فيما بين سيد قطب وبين الحقيقة من خلاف ، ولأعرض عليه القضايا التي أثرتها في وجه سيد قطب .

١ — حار سيد قطب في أمر تيمور فقلت له إنه من كتاب القصة القصيرة ومكانته بين ذوى النزعة الواقعية

٢ — حشر الصديق يوسف جوهر حشراً في زمرة الناسجين على منوال موباسان . فقلت له : إن هـذا خطأ ، لأن يوسف جوهر ينحو نحواً غير الذي تنحوه القصة عند موباسان

٣ — ذكر الأستاذين توفيق الحكيم والمازني في أصحاب القصة ؛ والأول كاتب روائي ومسرحي ورائد فن قائم بذاته ، والثاني كاتب مقالة ممتاز مهما يكن القالب الذي يصطنعه

ذلك في مقاله الأول ، أما في مقاله الثاني ، فقد زج بنفسه مرة أخرى فيما ليس له فيه ، وزعم أنه كشف عن هنات أربع للأستاذ نجيب محفوظ في روايته كفاح طيبة ، ونبه إليها المؤلف في لهجة توهمه إنه إزاء عالم في المصريات ...

١ — قال : إن نجيب محفوظ مخطئ لأنه قدر حكم الرعاة بمائتي عام . فقلت له : بل مصيب لأن ذلك هو التقدير الصحيح

٢ — وقال : إن بلاد النوبة تسمية حديثة . فقلت له : بل هي تسمية قديمة ولصقت بهـذا الاقليم من أرض مصر حتى العصور الحديثة

٣ — وقال : إن الاسم الصحيح لهذه البلاد هو بلاد بنت فقلت له : إن بلاد بنت هي الصومال الحالية ...

٤ — وقال : إن نجيب محفوظ مخطئ في توهمه اشتقاق اسم أحمس من الحماسة والجرأة ، لأن ذلك اشتقاق يجوز في اللغة العربية ، فقلت له : بل إن أحمس بمعناها القديم تعني الجرأة والاقدام .

فما ذا كان رد سيد قطب الناقد ؟

ساق إلى دليلاً على صحة رأيه في حكم الرعاة لمصر تقدير جوستاف لوبون ! !

وجوستاف لوبون عالم في الاجتماع لا في التاريخ . ولو سألني عن مؤرخ يؤيده في رأيه لقلت له اسم مانيتون مثلاً الذي قدر مدة حكم الرعاة بأكثر من ستمائة عام ! ولقلت له إن جوستاف لوبون اعتمد على مانيتون وأضرابه من المؤرخين القدماء الذين أتوا بعده بقرون ، والذين كتبوا قبل أن تتسع المعلومات عن التاريخ المصري القديم ...

ثم لقلت له ما دام مغرماً بالأسماء الأفرنجية إرضاء لمركب النقص الخبيث . أمامك عشرات العلماء في التاريخ من المحدثين عد إليهم ، عد إلى هنري برستد « في تاريخ مصر القديمة » الفصل الحادي عشر والثاني عشر ، في أكثر من موضع من هذين الفصلين يتكرر تقدير مدة حكم الرعاة بأقل من مائتي عام وفي الخمسة أسطر الأولى بالذات من الفصل رقم ١٢ تجده يذكر ذلك . وغير برستد تجد فلندرز بتري وغيره .

أما التصويب الثاني بشأن تسمية بلاد النوبة ، فقد صمت عنه صمتاً جميلاً !

وأما التصويب الثالث ، فقد أقره واعترف بخطئه ، ثم رماني بالتبجح العريض لأنني صححت خطأ ناقد ممتاز ...

وأما عن كلمة أحمس القديمة ، فلم يسلم بتصويبي ولا أكد رأيه وإنما قال إنه ينتظر الاثبات ! !

وإني لأترك للقراء أن يبحثوا في قواميسهم عن وصف يليق بناقد يخطئ كلاماً لا يملك له إثباتاً ولا نفياً ...

وأما قصة المجلات الحربية التي أدخلها الهكسوس في مصر، فهي أوضح من أن تحتاج لتملله من الرد عليها، فهو يستنكر جملة وردت على لسان الملك المصري الذي شهد الحرب على الهكسوس لاخراجهم من مصر وهو (سكنن رع) يظهر بها استنكاره لكثرة عدد المجلات الحربية لدى الرعاة، مع أنهم حديثو عهد بها، وقد أخذوها عن سكان فلسطين، كما أخذها المصريون بدورهم عن الرعاة، هذه مسألة واضحة، من الجائز، بل من المنطق، أن يطمع ملك مصر العليا في أن يصنع عماله عدداً أكثر مما يصنعه عمال ملك الرعاة...

وبقيت بعد ذلك قصة المدارس الأدبية، وهي التي جرت عليه أخطاءه في مقاله الأول عن تيمور، لقد كان رده ترك الحديث فيها لأنها لا تستحق الحديث

ومرة أخرى أصحح للناقد الفاضل. إنه مصيب في ترك هذا الموضوع، لا لأنه لا يستحق الحديث، وإنما لأن موضوع المدارس الأدبية هو موضوع الأدب الأوروبي أولا وقبل كل شيء، ولا غنى لمن يتكلم عنها من الاطلاع على هذا الأدب؛ ولا أحب مناقشة سيد قطب في موضوع الأدب الأوروبي لأنه — ولن يعيبه ذلك — لا يعرف لغة أوربية معرفة تسوغ له الكلام فيه، ولقد أخطىء أو أصيب، ولكنه سيخطىء حتما إن تعرض له شأن من يقحم نفسه فيما لا يعلم.

وأرجو بهذه المناسبة أن يقلل سيد قطب من ذكر الأسماء الأفرنجيه وترديد أسماء الكتاب الأوربيين بلهجة توهم القراء أنه من أهل الاطلاع الواسع في هذا الأدب. إنه لا يفعل أكثر من الخطأ المضحك كلما ذكر اسماً من الأسماء الأوروبية، وأذكر أنني قرأت له منذ عام مقالاً جاء فيه ما نصه:

«وإن بعضهم ليحتج بمثل اعترافات روسو، وقصص بودلير، وقصائد لورنس... وقصص بودلير تحمل فناً وهي مع ذلك ليست خير الآداب ولا أرفعها، وقصائد لورنس تحمل فكرة يعالجها من هذا الطريق...»

والذين يعلمون أبسط العلم يعرفون أن بودلير لم يكن قصاصاً وإنما كان شاعراً وإن كتب قصتين، وأن لورنس لم يكن شاعراً وإنما كان قصاصاً، وأن الأوصاف التي وصف بها سيد قطب لا تنطبق إلا على شعر الاول وقصص الثاني!!

هذه الأخطاء منشؤها الولوع بترديد الأسماء الأوروبية في غير داع إلا الإبهام والتغرير، ولا ضير على سيد قطب لو لزم حدود ثقافته..

ولقد أشـــار في ختام مقاله إلى الدوافع التي أثارتني لمهاجمته.

فأما تشجيعه أو هجومه فما أحسب أن ساذجا يعنى برأى ناقد في موضوعات مبلغ علمه بها ما قدمت.

إنما الذي أثارني أن سيد قطب له عادة غير عاداته التي قصها على قراء الرسالة في العدد الماضي وهي أن لا يقرأ كتاباً ولا يكتب عن كتاب إلا إذا استهداه. ولقد جاءني يوما يطلب أن أستهدى له تيمور مؤلفاته لأنه يريد دراستها ففعلت، وكان أبسط واجب للياقة أن أصحح للناقد أخطاءه في دراسة صديقي تيمور، وليلاحظ أني أقول صديقي. فإني حريص على أن يفهم أن الصلة بين الكتاب قد تكون صداقة أحيانا، ولا تكون دائما صلة الأصل بالظل والتابع بالمتبوع.

وما أنكر أني أفدت من قراءة تيمور كما أفدت من قراءة غيره من الكتاب. لكن الذي أنكره دائما أن يكون كل الكتاب ظلالاً.. ذلك ما أنكره ولا أحبه. ولا أملك مثلا غير سيد قطب نفسه أضعه أمام القراء ليروا فيه نموذجا للظلال. فقد قضى عشرين عاما لم يعد خلالها أن يكون ظلاً في ساعة الظهيرة للكاتب الكبير عباس محمود العقاد ... وماكان في ذلك ضير لو أنه كان ظلا مستقيما ...

وليحكم القراء أخيراً بين من يترفق بالجاهل فيصفه بعدم العلم ويدعوه في رفق إلى التثبت والتبصر، وبين من يخطيء ويعترف ويتهم من يصوب خطأه بالتبجح المريض!!

صموع زهنى



محمد عبد العزيز

وصلَ إليَّ خطابٌ مسجَّل بإمضاء سيدة طوت اسمها عني، وهي ترجو أن أكتب في مجلة الرسالة كلمة يعرف منها العراقيون أن الأستاذ محمد عبد العزيز مات

فمن هو الأستاذ محمد عبد العزيز ؟

هو الأستاذ الذي عرفته مصر باسم عبد العزيز سعيد ، وعرفه العراق باسم محمد عبد العزيز ، فمن هذا الرجل ؟ وما قيمته الحقيقية ؟

هو معلمٌ مصريٌّ أقام في العراق ثلاث سنين في بداية عهد الاستقلال ، فترك في العراق آثاراً روحية يعرفها الأكابر من تلاميذه الذين يسيطرون على الحياة العلمية في العراق

كانت مزية هذا الرجل أنه لا يتكلم ولا يخطب ، ولا يعرف أحد أين يقيم ، وبهذه العزلة وصل إلى الظفر بوفاء العراق ، لأن العراقيين يحبون أهل الصمت ، بسبب ما ابتلاهم به المقادير من كثرة الصياح

وهذا سرّ إخفاقه في مصر ، لأن مصر بسبب هدوئها تصفق للصائحين

لاحت فرصٌ كثيرة لاختبار مواهب الأستاذ عبد العزيز سعيد ، فكان يخيب ظني في جميع الأحوال . وكانت النتيجة أن أقرر فيما بيني وبين نفسي أن بغداد قد انتهبت حيويته في تلك السنوات الثلاث

كان جهاد هذا الرجل في بغداد معرضاً للضياع ، فشاء حبي لوطني أن أشيد باسمه وأن أهدي إليه كتاب « ملامح المجتمع العراقي »

وكان الرجل يعرف أنني أهديت إليه كتابي لوجه الحق ، فكان يُجنُّ من نشوة الفرح يوم يلقاني ، وكنت أشعر بنشوة مزلزلة حين أتذكر أنني أهديت كتابي إليه ولم أهده إلى أحد أصدقائي من الوزراء

مات محمد عبد العزيز العراقي ، ومات عبد العزيز سعيد المصري ، وبقيت لوعة لن تموت ، وهي فقد صديق بوزارة المعارف

ما هذا الذي أقول ؟

إن الأقدار التي امتحنتني بموت الأستاذ محمد أحمد جاد المولى تعرف أنه لم يبق لي صديق بوزارة المعارف ، مع الاعتذار للدكتور أحمد رياض .

زكي مبارك

إلى الوزير الأديب هيكل باشا

من حسناتك التي تذكر فتؤثر وتشكر ، مسابقة الترقية إلى التعليم الثانوي التي عُطِّلت في العهد السابق .

زعموا أنهم سيستبدلون بها معهداً للدراسات العليا ...

وعطلت المسابقة وقام المعهد ، فماذا كان ؟

كانت المسابقة لمدرسي المدارس الابتدائية وسيلة يترقون بها إلى التعليم الثانوي فحيل بينهم وبين معهد الدراسات وقصر على معلمي الثانوي .

قيل — يوم عطلت المسابقة — إن الذين يتقدمون إليها قلة . وهذا غير صحيح — على الأقل في اللغة العربية — وإن صح فإن علاجه يكون بالترغيب والجزاء ، لا بالتعطيل والإلغاء

وقيل إن المسابقة لم تنجح كوسيلة لكشف المواهب والكفايات . وإذا سلمنا هذا فإن علاجه يكون بتهذيب المسابقة وتجميلها ، لا بإلغائها وتعطيلها

يا سيدي الوزير ... إذا أردت أن تريح نفسك من شفاعة الشافعين . ولجاجة المتوسلين . وتلك سياستك — فالمسابقة المسابقة ... إنها الطريق السوى

***

روى ياقوت في معجم الأدباء أن المتوكل لما أراد أن يتخذ المؤدبين لولده جعل ذلك إلى « إيتاخ » وتولى كاتبه ذلك . فبعث إلى أدباء عصره وأحضرهم مجلسه فلما اجتمعوا قال لهم: لو تذاكرتم وقفنا على موضعكم من العلم واخترنا ، فألقوا بينهم بيت ابن عنقاء الفزاري

ذريني إنما خطئي وصوبي علىَّ وإنما أنفقتُ مالُ

فقالوا : ارتفع « مال » بإنما إذا كانت « ما » بمعنى الذي ثم سكتوا

فقال لهم أحمد بن عبيد من آخر الناس : هذا الإعراب ، فما المعنى ؟ فأحجم الناس عن القول ، فقيل له : فما المعنى عندك ؟ قال : أراد ، ما لومك إياى ، وإن ما أنفقت مال ولم أنفق عرضاً فالمال لا أُلام على إنفاقه

قال ياقوت : « فجاءه خادم من صدر المجلس فأخذ بيده حتى تخطّى به إلى أعلاه وقال له : ليس هذا موضعك ؛ فقال : لأن أكون فى مجلس أُرْفع منه إلى أعلاه ، أحب إلى من أن أكون فى مجلس أُحط منه

فاختير هو وابن قادم

« بنى سويف » محمد محمود رضوان

إلى الأستاذ سيد قطب

جاء فى مقالكم القيم بالعدد (٥٨٩) من الرسالة الغراء أنكم ترون (شوقى) نضّر الله وجهه أخطأ فى روايته : (مجنون ليلى) إذ يقول :

عارضنا الحسين فى طريقه ليثرب
هذا سنى جبينه ملء الوهاد والرُّبِى

وقد حسبتم أنه كسر الباء فى (الربى) للضرورة الشعرية ذاهبين إلى أنها جمع (الربوة) المضمومة الراء ، وأرى أن (الربى) التى وردت فى كلام (شوقى) صحيحة بكسر الباء على أنها جمع (رَبْو) وهو بمعنى (الربوة) كما فى (الفيروزابادى)

ووزن (الربِىّ) بالكسر (فُعُول) مثل (دَلْو) الذى يجمع على (دُلِىّ) صار إلى هذه الصورة بعد إعلال كثير تبينه مباحث علم (الصرف) ؛ وإذا كان فى البيت ضرورة فهى تخفيف الياء المشددة وهذا كثير سائغ فى شعر العرب كما يعلم الأستاذ الفاضل

وقد استعمل (شوقى بك) هذا الجمع على هذه الصورة فى قصيدة فلسفية عصماء مطلعها :

ألا حبذا صحبة المكتب وأحبب بأيامها أحبب

والسلام عليكم ورحمة الله

(الأسكندرية) محمود على البشبيشى

فرقة التمثيل

روايتان معروفتان فى عالم الأدب والفن ، الأولى (يوليوس قيصر) والثانية (مرتفعات روذرنج)

لا أعرف الأديب الذى ترجم الأولى وهى من تأليف شكسبير ، أما الثانية فهى من تأليف إميل برونته وقد ترجمها عن الفرنسية الأستاذ فتوح نشاطى

أخرج الأولى الأستاذ زكى طليمات المدير الفنى للفرقة وقد اختار لتمثيلها الأكفاء من ممثلى الفرقة وممثلاتها . وأخرج الثانية الأستاذ فتوح نشاطى ، وقد اختار الأصلح من الممثلين والممثلات لفهم أدوارهم وتمثيلها وفق حرفية أصول الفن

سقطت الرواية الأولى سقوطاً فظيعاً ، ولم يقو شكسبير المسكين أن يأخذ بيد الكُسحان من الممثلين ، وعجز ببيانه الممتع ومقدرته الخلابة على إصلاح لكنات فى ألسنتهم ، وموات بادٍ فيهم

ونجحت الرواية الثانية نجاحاً باهراً اجتذب النظارة أى اجتذاب ، وكاد يذهل الناقد المتربص بالفرقة عن فنه . وكيف لا يذهل وقد خلت الرواية ، تعريباً وإخراجاً وتمثيلاً ، حتى من الهنات ، فما السر فى ذلك يا ترى ؟

السر فيما أرى هو فى قعود الأستاذ طليمات بعد أن وصل إلى ما كانت نفسه تشتهيه ، وفى توهمه أيضاً أنه بلغ هو وزملاؤه وتلامذته أقصى ما يمكن بلوغه من فن الإخراج والتمثيل . أما فى الناحية الثانية فهو فى توفر الأستاذ فتوح نشاطى ، وفى دأبه المتواصل على الدرس والتحصيل وفى عدم رضاه عن كل ما عمله فى محيط الفن المسرحى لأنه ينشد الأحسن والأكمل

تانك هما القصتان الرائعتان اللتان أخرجتهما فرقة التمثيل فى فصلها الحالى . وكم نتمنى أن تكون جميع الروايات التى تمثلها فى هذا الموسم من هذا النوع ليكون مدرسة للذين تؤهلهم ملكاتهم الأدبية والفنية للتأليف المسرحى ، ولأن الروايات المترجمة إذا أحسن اختيارها تمثل حقيقة أدبنا المستمد أكثره من الغرب

حبيب الزحلاوى



١ — امرؤ القيس

[الكتاب الأول من الشوامخ]

لم نأسف على شيء قط ، أسفنا على تأخرنا عن الكتابة عن هذا الكتاب الجميل قبل أن يحدث الذى حدث بسببه بين صديقينا الفاضلين الدكتور محمد صبرى المؤلف والدكتور سيد نوفل الذى نقد الكتاب نقداً لم يعجب الدكتور صبرى فغضب غضبته التى رد عليها الدكتور نوفل رده المعروف . ونقول الحق إن موقف الأستاذين لم يصادف إلا الأسف الشديد من نفوس القراء جميعاً . فالدكتور نوفل — وهو البادئ — قد جرد الكتاب من حسناته جميعاً ، وقد صارحناه بذلك يوم صدور مقاله ، والدكتور صبرى لم يكن واسع الصدر حين ضاق بنقد الدكتور نوفل ، فأهمل الرد على مآخذ الأستاذ وحصررده فى حملة كنا نجله عنها ، وقد عاود الكرة حينما رد عليه الدكتور نوفل فراح يلقى عليه وعلى المجلات الأدبية الممتازة — وما أقلها عندنا — دروساً فى ضبط النشر وحسن التوجيه الأدبى ، وهى دروس نشكرها له كل الشكر ، ولكن فى غير ذلك المقام

أما الدكتور نوفل ، فقد فاته أن ينوه بكثير من حسنات الكتاب ، وفى مقدمتها ميزة الدكتور صبرى الأولى ، التى لا يشاركه فيها كثيرون ممن كتبوا عن الشعر الجاهلى ، تلك هى ميزة الأستاذ فى سمو تذوقه لهذا الشعر ومقدرته على إظهار صوره الرائعة التى كنا — أو كنت أنا على الأقل ، كى لا يغضب أحد — لا أحس لها جمالاً ، ولا أعرف لها روعة ، حتى وقفنى كتاب الدكتور صبرى على طرافتها وإعجازها ، وليست هذه بالحسنة الهينة التى ينفرد بها هذا الكتاب ، ولا بد لنا من عودة إن شاء الله . والذى أرجوه أن تصفو نفوسنا خدمة للأدب وأن نعدل فى خطة النقد فلا نجعله ثناء سمجاً ولا تجريداً معيباً

٢ — المعرى ذلك المجهول

[منشورات الأدب ببيروت]

ليس الأستاذ عبد الله العلايلى مجهولا لدى قراء العالم العربي وهو معروف فى كل مؤلفاته بالتعمق والاستيعاب ، وكتبه تاريخ الحسين وحياة الحسين ودستور العرب القومى ومقدمة لدرس لغة العرب شواهد ناطقة بفضله . وقد أطرفنا اليوم بكتابه الجديد عن أبى العلاء فقرأنا به ميادين جديدة كانت مجهولة حقاً فى أهداف أبى العلاء الفكرية ، وقد أعطانا الأستاذ بكتابه هذا مصباحاً نمشى فى نوره وسط تلك الزحمة من ظلمات مذاهب الفرق الأسلامية التى كان يداعبها أبو العلاء فيوافقها مرة ويثور بها مرات ومرات ، ونرجو أن نتفرغ للكتابة الطويلة عن هذا الكتاب العميق

٣ — فى قصور الخلفاء :

[منشورات دار المكشوف]

صديقنا الأستاذ صلاح الدين المنجد أديب شاب طموح حسن التنسيق لمؤلفاته التى ضايقتها الحرب فأخذت تخرج صغيرة الحجم عظيمة القيمة مع ذلك . . وقد قدمنا له بالأمس مجموعته الشائقة الرائعة « إبليس يغنى » ويسرنا أن نقدم له اليوم مجموعته الثانية « فى قصور الخلفاء » وهى مجموعة من القصص العربى الرائع استطاع الأستاذ أن يخرجها فى ثوب قشيب من أسلوبه البديع وروحه الفياض . ولنا ملاحظات على هذه المجموعة سنعرضها على صديقنا الفاضل فى كلمة أخرى

٤ — قصص من العالم :

[الناشر المصرى بالقاهرة]

قلم الأستاذ محمود حسنى العرابى قلم جديد المنهج فى أدبنا المصرى الحديث . . وقد قرأنا مذكراته العظيمة (٨٩ شهراً فى المنفى) فلمحنا فيها روح عباقرة الروس الروائيين من أمثال دستوئفسكي وجوركى وتشيكوف ، وكنا نشهد أطيافهم فى ثنايا سطوره الأخاذة الشائقة فندرك السر فى عبقرية أديبنا المصرى العظيم الذى نرجو أن تواتيه ظروفه فيكمل لنا مذكراته القيمة ونحن نقدم للقراء فى العالم العربى مجموعته الجديدة « قصص من العالم » ترجمها ولخصها واقتبسها من أروع القصص العالمى القصير : من أفريقيا وأوروبا وأمريكا وآسيا بأسلوبه الروائى الممتاز وسهولته التي تمتنع على الكثيرين . والمجموعة نماذج ممتازة لا يستغنى عنها القارىء أو القصاص الناشىء

(د . خ)



12 me Année No. 594

Lundi - 20 - 11 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

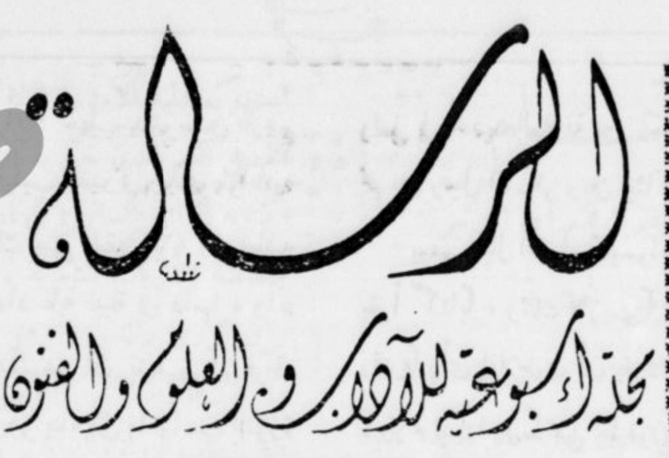
٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٩٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٤ ذى الحجة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

قادة الفـكر ...

للدكـتور محمد مندور

منذ القدم والمستنيرون من الناس يقتتلون حول قادة الفكر، فمنهم من يدعوهم إلى الـكفاح مع مواطنيهم عند ما يدعو داعى الوطن ، ومنهم من يودلو نأى بهم عن كل ضجة فانية ليتوفروا على خلق الأفـكار الباقية ، وصياغة المشاعر التى تتغذى بها الأجيال فى كل زمان ومكان . وتلك قضية تستحق النظر فما لا شك فيه أن الـكاتب ـ وبخاصة إذا كان انفعالى الطبع ـ لا يملك فى بعض الأحيان أن يدفع إحساسه بالمسئولية ، فـكلما رأى فساداً من حوله أو أحس ظلماً يقع على الناس أو جراحاً تصيب وطنه ثارت نفسه ، وكأن سكوته تأمين على ما يرى إن لم يكن مشاركة فيه . ولقد يتساءل الناس من حوله عن سر حماسته لهذه الفـكرة أو تلك دون أن يحظوا برد يقنع الماديين منهم لأن الرد الوحيد هو طبيعة الـكاتب وحرارة قلبه

وموضع التدبر هو أن نتساءل عما يستطيع الـكاتب عندئذ أن يكتب دون أن يصيب كتابته الفناء ، وليس أشق على نفس الـكاتب من أن يحس بأن جهده سيتبدد أنفاساً ، وأن كل ما يخط لن يخلف أثراً لأنه وليد ملابسات يومية لن تلبث أن تتغير فتفقد كتاباته قيمتها . ولـكن هذا قول ليس صحيحاً

على إطلاقه ، فإلى اليوم لازلت أقرأ خطب ديموستين الزعيم الإغريقى الخالد يوم كان يكافح فيليب المقدونى ويدعو مواطنيه إلى مكافحته دون أن يثنيه عن ذلك حتى اليقين بأنه ومواطنيه سائرون إلى الهزيمة مؤمناً بأن الجهاد غاية نبيلة فى ذاتها ، وأنه من الخير أن تموت وسلاحك بيدك عن أن تَنْفَقَ فى فَرَق الجبان . ولا زلت أقرأ لروبسبير وهو يناهض ما صاحب الثورة الفرنسية الكبيرة من انحلال فى الخلق وتقلب فى العقائد وتيقظ فى الشهوات واستحصاد للضغائن العمياء . ويدعو إلى أن يكون الطموح عملاً على استحقاق المجد وتقدير الشعب ، أقول إننى لازلت أقرأ للخطيب الإغريقى أو الخطيب الفرنسى فلا أستطيع أن أقول مع القائلين إن الكتابات أو الأفكار التى تولدها ظروف خاصة سيصيبها الفناء . فكل كتابة تستطيع أن تخلد بما تحمله من عناصر إنسانية ثابتة ، والإنسان هو الإنسان فى كافة عصوره . وسيظل أبد السنين يهتز لمعانى الكرم النفسى

هذه إذن قضية الحق فيها واضح . ولكن ثمة قضية أخرى أشق منها علاجاً وهى : أيهما أجدى على قادة الفكر : أن يتوفروا على فهم الإنسان وشق الحجب عن أسراره النفسية أم ينصرفوا إلى توجيهه وقيادته . وهنا قد يبدو التعارض واضحاً ، ولكنه فى الحق تعارض سطحى . وكبار الكتاب يجمعون دائماً بين الأمرين دون أن يقصدوا إلى أيهما . ففهمك للانسان وتبصيرك إياه بحقائقه الغامضة فيه خير توجيه له . وإنه لمن الحمق أن يظن أشباه الأميين أن باستطاعتهم أن يخلقوا أمة أو يوجهوا رأياً توجيهاً ثابتاً بالألفاظ الخطابية الرنانة أو بالجمل المرصعة الجوفاء ، فهذه حماقات موقوتة التأثير وأما الأثر الباقى فهو ما تستمده من حقائق النفس لترده إليها ، ولكم من مرة يكون من واجبك إذا أردت أن ترفع قلباً أو تحث عزماً أن تسلم له بادئ الأمر بحقه فى أن يبتئس أو يتوانى عزمه ، ولكم من مرة يكون فى هذا التسليم ذاته أكبر ناهض بالنفوس ، وأما المكابرة وأما التنكر لحقائق النفس البشرية ومحاولة أخذها بالضجيج فذلك تفكير عقيم .

وإذن فمشكلة الفهم أو التوجيه هى الأخرى محلولة فى أعماقها .

ولعل فى تحديد العلاقة بين رجال الفكر وبين رجال السياسة ثم بين رجال الفكر وبين بيئاتهم مشكلات أشق من السابقتين

بعض رجال السياسة ليسوا من قادة الفكر ومنهم من لا يكاد يقرأ كتاباً ، وتلك لاريب آفة شديدة الأثر على الحياة العامة ، وقديماً رأى إفلاطون أن يقود الفلاسفة المدينة . وقادة الفكر بدورهم ليسوا جميعاً ممن يطيقون مجابهة الجماهير وخوض المعارك السياسية ، ومن هنا تنشأ طائفة من السياسيين لاعلاقة لها بالفكر وطائفة من المفكرين لا صلة لها بالسياسة ، ومن عجيب الأمر أن ترى فى التاريخ مفكرين سياسيين جاء تفكيرهم تقريرياً بحتاً بحيث لم يدعوا إلى عمل ولا نادوا بتغيير ، ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك كارل ماركس الذى يتخذه الاشتراكيون اليوم زعيما لهم ، فقد كان الرجل مؤرخاً عالماً لا سياسياً عاملاً ، وهو لم يناد بتحقيق مذهب وإنما درس الماضى وتنبأ بأن تصيب العالم فى يوم من الأيام أزمة اقتصادية تقضى طبيعتها ألا يكون لها حل غير الاشتراكية ، ومع ذلك كم من السياسيين استطاعوا أن يتخذوا من مبادئه التقريرية دعوة إلى الثورة ومبادىء للعمل الإيجابى . ولقد يتفق أحياناً أن يقول مفكر بنظرية من النظريات فى بلد ما ، ثم لا تطبق إلا فى بلد آخر ، ولعل أوضح مثل لذلك مونتسكيو الفرنسى ونظريته فى فصل السلطات ، ففرنسا لم تطبق هذه النظرية على نحو دقيق وإنما طبقتها أمريكا . والأمر فى العلاقة بين رجال الفكر ورجال السياسة عندئذ شديد الشبه بالعلاقة بين رجال العلم ورجال الصناعة . فالعلماء يكشفون عن قوانين المادة التى تمكن من تسخيرها للانسان ويصوغون قوانينهم معادلات جبرية ، ويأتى رجال الصناعة فيستغلون تلك القوانين والمعادلات فى الإنتاج الاقتصادى والإثراء به . ولكن الوضع بين العلماء والصناع قد يكون مقبولاً على نحو ما هو الآن ، بينما هو بين المفكرين والسياسيين محفوف بأشد المخاطر على سلامة الأمم واستقامة الحكم فيها . ولقد تعقدت أمور الحياة العامة فى العصر الحديث بحيث لم يعد كافياً لقيادة الأمم أن تكون وطنياً مخلصاً أو ذا وجاهة اجتماعية ، بل لا بد لك من ثقافة عامة شاملة حتى تعالج الأمور على نحو سديد مستنير

١ – أبو تمـــام

وموازين السرقات الشعرية عند ابن الأثير

للأستاذ دريني خشبة

رأينا أن أبا تمام لم يشتغل طول حياته بغير الشعر تأليفاً وتصنيفاً ، ورأينا كيف كان يختار مرة المشهورين ثم يختار أخرى لغير المشهورين ، فيحكم ذوقه النقاد فى الحالين ، فلا يقدم إلينا إلا كل درة وكل غرة من درر الشعر العربى وغرره ... ولم يكن أبو تمام مصنفاً ومؤلفاً فحسب ، بل كان حافظاً ، بل كان أعجوبة فى الحفاظ الذين اشتهر بهم تاريخ الفكر العربى ... ورأينا اتفاق آراء خصومه وأصدقائه على أنه كان يأخذ المعنى ، فيمنى بتخميره – على رأى الآمدى – أو بالاتكاء فيه على نفسه – على رأى الصولى – حتى يخلص له آخر الأمر ، أو لا يخلص له ، بل يشوهه وينقص منه ، كما صرح بذلك دعبل وابن الأعرابى والتوّجى وأبو هفّان وأبو حاتم السجستانى وغيرهم من أعداء أبى تمام ...

وقبل أن نأخذ فى عرض طائفة من سرقات أبى تمام ، مما استدركه عليه الآمدى ، لا نرى بداً من وضع خلاصة لذلك الفصل القيم الذى ختم به الأستاذ العلامة أبو الفتح بن الأثير كتابه (المثل السائر ، فى أدب الكاتب والشاعر[١]) والذى خصصه للسرقات الشعرية ، ولا سيما عند أبى تمام والبحترى ، وابن الرومى والمتنبى ، وهو فصل من أبرع الفصول فى بابه ، وأكثرها إحاطة بهذا الموضوع الذى تشعبت أطرافه ، وكثر فيه إرجاف الرواة والنقاد . ومن الطريف أن ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧هـ كان قد ألف فى ذلك الموضوع كتاباً قائماً بذاته ، ثم ضاع هذا الكتاب ، فعوضنا منه بذلك الفصل خيراً

١ – فعند ابن الأثير أن الشاعر إذا أورد شيئاً من ألفاظ شاعر آخر ، فى معنى من معانى هذا الشاعر ، ولو كان ذلك لفظة واحدة ، فإن ذلك يكون دليلاً قاطعاً على سرقته

٢ – ويقسم السرقات الشعرية إلى خمسة أقسام : هى النسخ ، والسلخ ، والمسخ ، وأخذ المعنى مع الزيادة عليه ، ثم عكس المعنى إلى ضده

٣ – أما النسخ ، فهو أخذ اللفظ والمعنى برمته ، من غير زيادة أو نقصان ؛ وأما السلخ فهو أخذ بعض المعنى ، وأما المسخ فهو إحالة المعنى إلى ما دونه

٤ – ويعود ابن الأثير فيجمل النسخ على ضربين : فإما أخذاً كاملاً كما تقدم ، وإما أخذ معظم اللفظ والمعنى كله ، كقول أبى نواس :

دارت على فتية ذل الزمان لهم ... فما يصيبهمو إلا بما شاءوا

فقد نسخه من بيت فى أصوات معبد ، وذكره أبو الفرج :

لهفى على فتية ذل الزمان لهم ... فما أصابهمو إلا بما شاءوا

ومثل قول أبى تمام :

محاسن أصناف المغنّين جمّة ... وما قصبات السبق إلا لمعبد

نسخه ممن مدح معبداً ، وذكره أبو الفرج ، فقال :

أجاد طُوَيس والسُّريجى بعده ... وما قصبات السبق إلا لمعبد ؟!

٥ – ثم يقسم السلخ فيجعله أحد عشر[٢] نوعاً : « وهذا

(١) النسخة التى نتخص منها هذا الفصل هى التى نشرها الأستاذ الفاضل محمد محيى الدين عبد الحميد وعنى أحسن العناية بتحقيقها

(٢) المذكور فى كل النسخ أنها اثنا عشر نوعاً إلا أن الموجود فيها بالفعل أحد عشر فقط

وعندما يصبح السياسيون من قادة الفكر ستتحدد العلاقة بينهم وبين بيئاتهم . فللرجل المفكر فى وسطه مهمتان : أولاهما أن يبصر قومه بحالتهم الحقيقية ، حتى يعوا ما هم فيه من شقاء وتخلف ، وذوو النظر مجمعون على أن البؤس ذاته لا يحرك الشعوب ، وإنما يحركها أن تفطن إلى ما هى فيه من بؤس . ولعل فى حالة الفلاح المصرى أوضح دليل على ما نقول ، ومهمته الثانية هى أن يسبق الأمم إلى آمالها الغامضة ، ومن هنا ترى أغلبية الكتاب المفكرين من الداعين إلى الأفكار المتقدمة ، فهم رسل الرجاء وبألسنتهم تشكو النفوس آمالها وتتطلع إلى سعادة أتم . وهذا هو السر فى أنهم يعيشون دائماً فى كفاح مع بيئاتهم وكثير منهم لا يستجاب لندائه إلا بعد موته بسنين ؛ فعندئذ يُقر لهم بالفضل وتقام لهم النصب وتنزل آراؤهم من القلوب منزلة الإيمان

محمد مندور

التقسيم أوجبته القسمة ، وإذا تأملته علمت أنه لم يبق شيء خارج عنه ! »

فالأول : أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ، ولا يكون هو إياه ، وهذا من أدق السرقات مذهباً ، وأحسنها صورة ، ولا يأتي إلا قليلاً كقول بعضهم :

لقد زادني حباً لنفسي أنني بغيض إلى كل امرىء غير طائل

أخذه المتنبي فقال بيته المشهور :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

وقول أبي تمام :

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

أخذه البحتري فقال :

ركبا القنا من بعد ما حملا القنا في عسكر متحامل في عسكر !

والثاني : أن يؤخذ المعنى مجرداً من اللفظ ، وهو صعب قليل الورود ، بل هو من أشكالها ، وأدقها ، وأغربها ، وأبعدها مذهباً ، كقول أبي تمام :

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة

تقـــوم مقام النصر إذ فاته النصر

فقد سلخه من قول عروة بن الورد :

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذراً . أو ينال رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل مُنجح

ولا يخفى ما في بيت أبي تمام من الجمال والعبقرية في السلخ مع حسن السبك !

والثالث : أخذ المعنى ويسير من اللفظ ، وهو عند ابن الأثير من أقبح السرقات وأظهرها شناعة ، وقد افتضح بهذا النوع البحتري خاصة ، ووقع فيه أبو تمام كثيراً ، مثل قوله :

فلم أمدحك تفخيماً بشعري ولـكني مدحت بك المديحا

فقد سلخه من قول حسان :

ما إن مدحت محمداً بمقالتي لـكن مدحت مقالتي بمحمد

وقول ابن الرومي :

جرعته العيون فاقتص منهـــا

بجوى في القلوب دامي الندوب

فقد سلخه من قول أبي تمام :

أدميت باللحظات وجنتـه فاقتص ناظره من القلب !

وسرقة ابن الرومي ظاهرة مفضوحة لا شك فيها ويخفف من وزر السارق في نظر ابن الأثير أن يجيء بلفظ أحلى ، أو معنى زائد فيه جمال . أما أن ينحط عن الأصل ، فهذه هي الشناعة التي ما مثلها شناعة عنده !

— والرابع أن يؤخذ المعنى فيعكس . وهو حسن يكاد يخرجه حسنه عن السرقة ، كقول أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيذة شغفاً بذكرك فليلمني اللوم

عكسه المتنبي فقال :

أأحبه وأحب فيه ملامة ؟ إن الملامة فيه من أعدائه

— والخامس أخذ بعض المعنى ، كقول أبي تمام :

تُدعى عطاياه وفرا وهي إن شهرت

كانت فخـاراً لمن يعفوه مؤتنفا

ما زلت منتظراً أعجوبة زمناً حتى رأيت سؤالاً يجتني شرفا

أخذه من قول أمية بن أبي الصلت :

عطاؤك زين لامرىء إن حبوته ببذل ، وما كل العطاء يزين

وليس بشين لامرىء بذل وجهـه

إليك كما بعض السـؤال يشين

— والسادس هو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر ، كقول ولد مسلمة :

أذلّ الحياة ، وكره الممات وكُلا أراه طعاما وبيلا

فإن لم يكن غير إحداهما فسيرا إلى الموت سيراً جميلاً

أخذه أبو تمـام فقال :

مثّل الموتَ بين عينيه والذلّ وكُلاًّ رآه خطباً عظيما

ثم سارت به الحميّة قُدْما فأمات العِدا ومات كريما !

فزاد في المعنى : فأمات العدا ومات كريما

— والسابع أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من الأولى ، وهنا تتجلى عبقرية أبي تمام ... ولله من قال : من سرق معنى واسترقه ، فقد استحقه : وإن كنا لا نشجع السرقة !!

قال بعض الشعراء :

مُخَصَّرة الأوساط زانت عقودها

بأحسن ممـا زيّنتهـا عقودُها

أخذه أبو تمام فقال :

كأن عليهـا كل عقـد ملاحةً

وحسناً وإن أضحت وأمست بلا عقـد

وسطا عليه البحتري فقال :

إذا أطفأ الياقوت إشراقُ وجهها
فإن عناءً ما توخت عقودُهـا

وكلاهما رقق المعنى وزاده حسناً

— والثامن أن يؤخذ المعنى ويوجز فى سبكه ، وهو عند ابن الأثير من أحسن السرقات كقول أبى العتاهية :

وإنى لمعذور على فرط حبها ... لأن لها وجهاً يدل على عذرى

أوجز فيه أبو تمام فقال :

له وجه إذا أبصر ... ته ناجاك عن عذرى !

وقول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجتـه
وفاز بالطيبات الفـاتك اللهـج

أوجز فيه تلميذه سلم الخاسر فقال

من راقب الناس مات غماً ... وفاز باللـذة الجسـور !

— والتاسع أن يكون المعنى عاماً فيجعله السارق خاصاً والعكس : كقول الأخطل .

(ونسبه الناشر إلى أبى الأسود) :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليـك إذا فعلت عظيم

خصصه أبو تمام فقال :

أألوم من بخلت يداه وأغتدى ... للبخل تربا ؟ ساء ذاك صنيعاً

وقال أبو تمام :

ولو حاردت شُـولٌ عذرت لقاحها
ولكن مُنِعتُ الدَّرَّوالـضرع حافل

عممه المتنبى فقال :

وما يؤلم الحرمان من كف حارم
كما يؤلم الحرمان من كف رازق

— والعاشر زيادة البيان مع المساواة فى المعنى ، أو ضرب مثال يوضح المعنى المسلوخ : كقول أبى تمام

قد قلصت شـفتاه من حفيظتـه
فخـيل من شـدة التعبيس مبتسما

توسع فيه المتنبى فقال :

وجاهل مده فى جهله ضحكى ... حتى أتته يد فراسـة وفم
إذا رأيت نيوب الليث بارزةً ... فلا تظنن أن الليث يبتسم

وهذا عند ابن الأثير من المبتدع لا من المسروق !

— والحادى عشر هو اتحاد الطريق واختلاف المقصد ...

وبدون أن يسلك الشاعران طريقاً واحداً ينتهى بهما عند جنتين مختلفتين ! ثم تتجلى فيهما عبقرية كل منهما ... وقد ضرب ابن الأثير لذلك مثلاً قصيدة لأبى تمام فى الرثاء بولدين وقصيدة للمتنبى فى الرثاء بولد . ومطلع قصيدة أبى تمام :

ما زالت الأيام تخـبر سائلا ... أن سوف تفجع مسهلاً أو عاقلا

وهى موجهة إلى عبد الله بن طاهر . ومطلع قصيدة المتنبى :

بنا منك فوق الرمل ما بك فى الرمل
وهذا الذى يضنى كذاك الذى يُبلى

وهى فى رثاء أبى الهيجاء بن سيف الدولة وقد توفى صغيراً ، ثم أقام بينهما موازنة يشوهها التلخيص ، فيحسن الرجوع إلى المثل السائر ليشهد القارئ مثلاً من أمثلة العبقرية العربية فى النقد الأدبى الدقيق (ج ٢ ص ٣٩١ وما بعدها) ، وإن ظهر فيها ابن الأثير متحزباً (بحق !) للمتنبى ، مع سلخ المتنبى كثيراً من معانى أبى تمام . ثم إنه فضل المتنبي على البحترى فى وصفهما الأسد فى قصيدتين متشابهتين تواردا على كثير من معانيهما ، ولعل هذا التوارد هو الضرب الثانى عشر من السلخ الذى لم يشر إليه ابن الأثير

ثم يعرف ابن الأثير المسخ فيذكر أنه « قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة ... والعكس » على أن هذا العكس ليس فى رأينا مسخاً ، بل هو خلق وابتـداع وتجميل يقتضيه الذوق الدقيق الصناع

قال أبو تمام :

فتى لا يرى أن الفريصة مقتل ... ولـكن يرى أن العيوب مقاتل

مسخ صورته المتنبى فقال :

يرى أن ما مابان منك لضارب ... بأقتل مما بان منك لعائب

والمسخ هنا هو فى تجاور ما وما المختلفتين معنى

* * *

وحسبنا الآن هذا القدر مما لخصناه من ابن الأثير ، وهو تلخيص نضعه بين يدى القارئ العَجِل ، ليكون نوراً يكشف له جوانب الظلام وجوانب العبقرية ، فيما سنقدمه له من سرقات أبى تمام التى أحصاها عليه الآمدى . ولو أن ابن الأثير تولى عنا الفصل بين أبى تمام وخصومه ، لأمدنا بذخيرة لا تنفد ، ويد لا تجحد ... رحم الله نقادنا الأفذاذ وجزاهم عنا خيراً

دريني خشبة

قضية المرأة أيضاً

للأستاذ زكريا ابراهيم

إذا كان الرجل والمرأة سواء، اللهم إلا فيما يرجع إلى الجنس، فلا بدّ لنا إذن من أن نستند إلى البحوث الفسيولوجية الخاصة بمسألة التفرقة بين الجنسين، حتى نستطيع أن نفصل في «قضية المرأة» فصلاً علمياً صحيحاً. والبحوث الجنسية التي أجريت في هذا الصدد كثيرة متعددة، ولكن النتائج التي نستخلص منها مختلفة متعارضة. وسنحاول في هذا البحث الموجز أن نجد أساساً مشتركاً بين كل هذه البحوث، نجعله عمدة لنا في الوصول إلى رأي صحيح تنحل به مشكلة الجنسين، وبالتالي قضية المرأة.

وأول رأي يواجهنا في مسألة الجنسين، هو ذلك الرأي القديم الذي ينظر إلى المرأة والرجل على أنهما جنسان مختلفان، يقوم كل منهما بنفسه، ويستقل كلٌّ منهما عن الآخر. وهذا الرأي يقضي بأن يكون الرجل متميزاً كل التميز من المرأة، لأن جنس الذكر أرقى وأكمل من جنس الأنثى، ولأن المرأة هي التي جُبِلَت من ضلع الرجل، لا العكس! وقد دأب الناس على أن يأخذوا بهذا الرأي، حتى أن أيّ شك يثار حول رجولة فرد، كان كافياً لأن يثور له ذلك الفرد، باعتبار أنه إهانة عظيمة لا تغتفر! وليس من شك في أن قصة الخلق — كما وردت في التوراة — كانت عاملاً من العوامل التي أدت إلى اعتبار الرجل أرقى من المرأة، كما يظهر من استشهاد القدّيس بولس بها، في معرض المفاضلة بين الرجل والمرأة (١)

ولكن البحوث العلمية التي قام بها علماء «الجنس» والتجارب المنوعة التي قاموا بإجرائها، تدلنا على أن الأدنى إلى الصواب أن تكون الأنثى هي الأصل الذي اشتُقَّ منه الذكر. فالمرأة هي «الصورة الأولى» للنوع الإنساني، والرجل إنما هو «الصورة الثانية» التي تفرعت من ذلك الأصل، ومعنى هذا أن الذكر ينطوي في أثنائه على أنثى كامنة، هي الجنس الأصليُّ الذي تنزع إليه كلُّ الثدييات(١). وهذه الأنثى الكامنة هي على استعداد لأن تظهر بشكل واضح، حينما تُستأصل تلك الغدد الزائدة التي تعوق ظهورها — فليست الفروق الجنسية بين الذكر والأنثى إذن، فروقاً جوهرية أصلية، بل هي فروق فرعية مستجدة. وبعبارة أخرى يمكن أن يقال إن التركيب الجنسي لأفراد كل فصيلة، له أساس مشترك يحتمل التذكير والتأنيث، وهذا ما يعبّر عنه بالإمكانية الجنسية المتعادلة équipotentialité sexuelle.

من هذه الحقيقة البيولوجية، يتبين لنا خطأ النظرة القديمة إلى الجنس. فليس الذكر والأنثى وحدتين مستقلتين تقوم كل منهما بذاتها، وإنما هما حالتان متماسّتان، قد يبلغ بهما التقارب أن يندمجا معاً ليكونا حالة مختلطة هي ما يعرف بالخُنثى Hermaphrodite فليس في استطاعتنا أن نتحدث عن «النوع المذكر Male type»، و «النوع المؤنث Female type»، بل عن تلك السلسلة الطويلة من الحالات الجنسية التي تمتدّ ابتداءً من الخنثى حتى تلك الأشكال المعتدلة التي تكاد تكون سويّة طبيعية(٢).

هذه هي النظرة الصحيحة إلى الجنس، وهي نظرة تساعدنا على أن نفهم تلك الحالات الكثيرة التي طالما نظر إليها الناس على أنها انحرافات غريبة أو حالات شاذة، مثل حالة «التخنث» وحالة «حبّ الجنس للجنس Homosexuality». ذلك أن التجارب قد دلتنا على أنه ليس من الحق أن هناك رجولة خالصة أو أنوثة خالصة. فإذا لم يكن في استطاعة أحد أن يفخر بأنه رجل كامل الرجولة فأي حق يكون لنا إذا حكمنا بالغرابة والشذوذ على قوم بلغت درجة الرجولة عندهم حدًّا أدنى بقليل مما يوجد لدينا؟ إن كل ما هنالك هو أن هؤلاء القوم قد أخذوا من الجنس الآخر قسطاً أكبر مما لدينا، فلذلك ظهرت حالة «الاختلاط» عندهم بشكل أوضح. والتجارب قد دلتنا على أن التميز الجنسي

---

(١) يقول القديس بولس في رسالته إلى تلميذه تيموثاوس: «لأن آدم جبل أولاً ثم حواء؛ وآدم لم يغو، لكن المرأة أغويت فوقعت في التعدي». ويقول أيضاً في رسالته إلى أهل كورنثوس: «.. إن الرجل لم يؤخذ من المرأة، بل المرأة هي التي أخذت من الرجل. والرجل لم يخلق من أجل المرأة، بل المرأة هي التي خلقت من أجل الرجل»

(١) ارجع إلى الفصل الثاني من كتاب «فسيولوجية الجنس» لكنث ووكر ص ٢٨.

(٢) هذه نظرة مارانيون Maranon إلى الجنس، وهو يبسطها بوضوح في كتابه القيم: «تطور الجنس».

التامّ ، يكاد يكون معدوماً . فالرجل الخالص ، والمرأة الخالصة ، هما حالتان قلما يلتقي بهما المرء في الظروف المادية — كما يقول بيدل Biedel — وإذن فإن كل ما يميزنا عن أولئك الذين نعدهم شاذين منحرفين ، هو أن الإفرازات الهرمونية الموجودة لدينا أكثر مما يوجد لديهم . وقد كنا جميعاً في البداية ، ذوي نزعة جنسية إلى نفس الجنس بالقوة Potential homosexuals ، ولكننا لحسن الحظ قد تحولنا إلى الطريق الصحيح ، بافتراقنا عنهم وأصبحنا أميز من حيث الذكورة .

يتبين لنا من هذه النظرة الجديدة إلى الجنس أن الناس يخطئون إذ يعمّمون أحكامهم ، فيقولون بوجود فروق جنسية كبيرة بين الرجل والمرأة ، وبخاصة حول موقف كل منهما من الزواج والحياة الجنسية . فليس الرجل والمرأة كالقطب الموجب والقطب السالب ، وإنما الصلة بينهما أبعد ما تكون عن هذا التصور الساذج البسيط . وعلى الرغم من أن الخلط بين « الإيجاب » والذكورة ، وبين « السلب » والأنوثة ، قد يبدو لنا حقيقة بيولوجية ، فإن الواقع أنه خلطٌ لا أساس له — كما بين ذلك فرويد —[1] . وحتى في الناحية الجنسية الخالصة ، فإننا لا نستطيع أن نقول إن موقف المرأة موقف سلبيّ خالص .

أما تلك التعميمات التي قد نضطر إليها لبيان بعض الفروق الموجودة بين الجنسين ، فإنها قد تضللنا إذا اعتبرنا تلك الفروق عامة على الإطلاق . حقا إن تلك الصفات التي ننسبها إلى كل من الجنسين ، قد تكون صحيحة بالنسبة إلى الأفراد الذين يشغلون أعلى السلّم أو أسفله[2] ، أعني بالنسبة إلى الرجل الحقيقي والمرأة الحقيقية (وهذان قلما يوجدان) ، ولكنها تقل شيئا فشيئا حينما نقترب من الرجل المتأنث والمرأة المتذكّرة (أو المترجّلة) . فإذا كنا قد فرقنا بين الرجل والمرأة (في البحث السابق) من بعض النواحي الجنسية والنفسية ، فإن من الواجب أن نذكر القارىء هنا أن هذه التفرقة ليست عامة مطلقة ، وإنما هي تطبق في دائرة محدودة فقط ؛ وثمّ أفرادٌ كثيرون لا تصح بالنسبة إليهم .

وإذا كانت هذه هي حقيقة الصلة بين الرجل والمرأة ، فما أحرانا بأن نبتسم حينما نلتقي بأولئك الذين يفخرون برجولتهم ، متناسين أن هناك « امرأة » تكمن في قرارة نفوسهم ! « حقاً إن هؤلاء قد لا تكون بيوتهم كلها مصنوعة من الزجاج ، ولكنهم مع ذلك ينسون أن نوافذ بيوتهم مصنوعة من الزجاج ، فما يليق بهم أن يقذفوا الآخرين بالأحجار ! »[1] .

لقد دنت الشقة بين الرجل والمرأة ؟ فكيف بها بين الرجل والرجل؟ إن الرجولة الخالصة قد أصبحت أسطورة من الأساطير ، فلنترك لأولئك الواهمين تلك الأسطورة الرائعة ، أسطورة الرجولة المزعومة ! أما نحن فحسبنا أن نكون « إنسانيين » ، ننظر إلى الرجل على أنه إنسان ، وننظر إلى « المرأة » على أنها إنسان ، ونعتبر أن جوهر الإنسانية واحدٌ في كل منهما ؟

زكريا ابراهيم

(١) S. Freud : "Instincts and their Vicissitudes", 1915 .

(٢) هذا باعتبار أن الحالات الجنسية تكون سلماً échelle له درجات متتالية

(١) المقصود بهذه العبارة أن حظ الناس من الرجولة يختلف قوة وضعفاً ، ولكن جانب الأنوثة الكامنة موجود في كلتا الحالتين . فليس هناك معنى لأن نتهم الآخرين بنقص الرجولة ، ما دامت الرجولة الكاملة معدومة . . .

١٠ ـ القضايا الكبرى في الاسلام

قضـــية فدك

للأســتاذ عبد المتعال الصعيدي

تمتاز قضية فَدَك على سائر القضايا الإسلامية بتدخل السياسة فيها ، وما دخلت السياسة فى أمر من الأمور إلا جعلته عرضة للاضطراب والتقلب . ولو أن السلطة القضائية انفردت بالحكم فى هذه القضية لكان لحكمها فيها قداسته واستقراره ، ولم تقع فيه تلك التقلبات التى استمرت حوالى قرنين من الزمان

وفدك بلدة بينها وبين المدينة ثلاث مراحل ، وكان أهلها من اليهود ، فلما فتحت خيبر أرسل أهل فدك يطلبون من النبى صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يتركوا بلادهم ويرحلوا ففعل ، وبهذا كانت فدك خاصة للنبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، فكان ينفق منها ويأكل ، ويعود على فقراء بنى هاشم ، ويزوج أيمهم ، وينفق على أبناء السبيل ونحوهم

وكان للنبى صلى الله عليه وسلم غير فدك سهمه من خيبر ، وصدقته بالمدينة ، فأما سهمه من خيبر ؛ فإنه كان قد قسمه نصفين : نصفها لنوائبه وحاجته ، ونصفها بين المسلمين قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً . وأما صدقته بالمدينة فقيل إنها كانت نخل بنى النضير ، أفاءها الله على رسوله فأعطى أكثرها للمهاجرين ، وبقى منها له هذه الصدقة . وقيل إنها كانت أموال مخيريق من يهود بنى قينقاع ، وكان نازلاً ببنى النضير . وقد شهد أُحُداً مع النبى صلى الله عليه وسلم . وقال : إن أصبت فأموالى لمحمد يضعها حيث أراه الله

فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم وتولى بعده أبو بكر رضى الله عنه ، أتته فاطمة رضى الله عنها فقالت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل لى فدك فأعطنى إياها ، وشهد لها على بن أبى طالب ، فسألها شاهداً آخر ، فشهدت لها أم أيمن . فقال لها أبو بكر : قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا تجوز الاشهادة رجلين أو رجل وامرأتين ، وقيل إنها قالت لأبى بكر : أعطنى فدك ؛ فقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لى . فسألها البينة ، فجاءت بأم أيمن ورباح مولى النبي صلى الله عليه وسلم فشهدا لها بذلك ، فقال لها : إن هذا الأمر لا يجوز فيه إلا شهادة رجل وامرأتين . ولا يقتصر الاضطراب فى هذه القضية على هاتين الروايتين ، فقد روى أيضاً أن فاطمة سألت أباها أن يهب لها فدك فأبى

وهناك روايات أخرى تؤيد الرواية الثالثة ، وتجعل قضية فدك قضية ميراث لا قضية هبة ، فقد روى البخارى أن فاطمة والعباس عليهما السلام أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك وسهمهما من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ، ما تركناه صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، ثم قال : والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه إلا صنعته . فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت

وروى البلاذرى أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتت أبا بكر فقالت له : من يرثك إذا مت ؟ فقال : ولدى وأهلى . فقالت : فما بالك ورثت رسول الله صلى الله عليه وسلم دوننا ؟ فقال : يابنت رسول الله ، والله ما ورثت أباك ذهباً ولا فضة ولا كذا ولا كذا . فقالت : سهمنا بخيبر ، وصدقتنا فدك ، فقال . يا بنت رسول الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنما هى طعمة أطعمنيها الله حياتى ، فإذا مت فهى بين المسلمين ، وروى البلاذرى أيضاً أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أرسلن عثمان بن عفان إلى أبى بكر يسألنه مواريثهن من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وفدك ، فقالت لهن عائشة : أما تتقين الله ، أما سمعتن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ما تركنا صدقة ، إنما هذا المال لآل محمد ، لنائبتهم وضيفهم ، فإذا مت فهو إلى ولى الأمر بعدى . فأمسكن عن طلب ذلك منه . وقد مضى الأمر على هذا مدة ولاية أبى بكر ، ولم يسلم له حكمه فى ذلك إلا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم . أما فاطمة وزوجها على وعمه العباس فلم يسلموا له هذا الحكم

وتمسكوا بحقهم فى ذلك الإرث . ولا شىء فى أن تغضب فاطمة مع احتجاج أبى بكر بذلك الحديث السابق ، وهى أولى الناس بالخضوع لحديث أبيها ، فلعلها قام بنفسها أنها كانت أولى الناس بمعرفة هذا الحديث ، لأنها صاحبة الحق فى الإرث ، ولم يكن هناك ما يمنعها أن تسمعه كما سمعه أبو بكر . وقد قالوا فى تسويغ ذلك إنها كانت تعتقد تأويل الحديث على خلاف ما تمسك به أبو بكر ، وكأنها اعتقدت تخصيص العموم فى قوله صلى الله عليه وسلم — لا نورث — ورأت أن منافع ما خلفه من أرض وعقار لا يمتنع أن يورث عنه . وروى بعضهم أن أبا بكر عاد فاطمة فى مرضها ، فقال لها على : هذا أبو بكر يستأذن عليك . قالت : أتحب أن آذن له ؟ قال : نعم . فأذنت له فدخل عليها فترضاها حتى رضيت ، ولكنها رواية مرسلة لا تقوى على معارضة ما سبق من أنها ماتت وهى مغاضبة له

وقالوا أيضاً فى حكمة أن الأنبياء لا يورثون : إن الله بعثهم مبلغين رسالته ، وأمرهم ألا يأخذوا على ذلك أجراً ، كما قال تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً) وقال نوح وهود وغيرهما نحو ذلك ، فكانت الحكمة فى ألا يورثوا لئلا يظن أنهم جمعوا المال لوارثهم

ومن الشيعة من يروى الحديث بنصب — صدقة — على أنه حال ، فلا يفيد نفى إرثه صلى الله عليه وسلم على الإطلاق ، وقد رد عليهم بأن أبا بكر احتج بهذا الحديث على فاطمة فيما التمست منه مما خلفه النبى صلى الله عليه وسلم من الأراضى ؛ وهما من أفصح الفصحاء وأعلمهم بمدلولات الألفاظ ، ولو كان أمر هذا الحديث كما ذكره بعض الشيعة لم يكن فيما احتج به أبو بكر حجة ، ولم يكن جوابه مطابقاً لسؤالها ، ومما يؤيد أنه بالرفع ما ورد فى بعض طرقه — ما تركنا فهو صدقة — ولا شك أن هذا ليس بقاطع فى رد ما ذكره بعض الشيعة ، لأن فاطمة لم تقتنع باحتجاج أبى بكر ، فيجوز أن يكون قد فهم الحديث كما يفهمه أهل السنة على أنه بالرفع ، ويجوز أن تكون قد فهمت الحديث كما يفهمه الشيعة على أنه بالنصب ، وأما رواية ما تركنا فهو صدقة فيجوز أن تكون مروية بالمعنى ممن فهم الحديث كما يفهمه أهل السنة

وهذا أمر لم يتنبه إليه أحد فى هذه القضية ، وهو فى الحقيقة السبب فى أن فاطمة لم تخضع لحكم أبى بكر ، وفى أن ورثتها من بعدها لم يخضعوا له أيضاً ، وهذا الأمر هو أن أبا بكر فى هذه القضية كان خصماً وحكماً ، والخصم فى قضية من القضايا لا يصح أن يكون حكماً فيها ، وكان الواجب أن تعرض هذه القضية على بعض كبار الصحابة ليحكم فيها بين أبى بكر وفاطمة ، نزولاً على ما هو الواجب من الفصل بين السلطتين ، حتى يكون حكم القضاء نافذاً فى الحاكم والمحكوم ، ولا يكون لأحد وجه فى أن يقف منه هذا الموقف الذى كان من فاطمة وورثتها من بعدها

وقد مكثت هذه القضية على هذا الوضع مدة خلافة أبى بكر وسنتين من خلافة عمر ، ثم أتى على والعباس عمر فطلب منه على نصيب امرأته من أبيها ، وطلب منه العباس نصيبه من ابن أخيه ، فدفع عمر إليهما صدقة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وأمسك خيبر وفدك ، وقال : هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانتا لحقوقه التى تعروه ونوائبه ، وأمرهما إلى من ولى الأمر . وقد أخذ عمر عليهما عهد الله وميثاقه ليعملان فى الصدقة التى دفعها إليهما بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبما عمل فيها أبو بكر ، وبما عمل هو فيها إلى أن دفعها إليهما ، فكانا بذلك نائبين عنه فى النظر عليها . وقد اختلف على والعباس بعد ذلك فيها ، فأتيا عمر وطلبا منه أن يقسمها بينهما ، فأبى أن يقضى فيها بغير ما قضى به ، وطلب منهما أن يدفعاها إليه إن عجزا عنها

ولكن علياً غلب العباس بعد ذلك على هذه الصدقة ، ثم كانت بعده بيد الحسن ، ثم بيد الحسين ، ثم بيد على بن الحسين والحسن بن الحسن ، ثم بيد زيد بن الحسن ، ثم كانت بيد عبد الله بن حسن ، ثم ولى بنو العباس فقبضوها ، وغلبوا أبناء على عليها ، وكان من يتولى منهم يولى عليها من قبله من يقبضها ويفرقها فى أهل الحاجة من أهل المدينة ، ومكث الأمر فيها على ذلك إلى رأس المائتين من الهجرة ، ثم تغيرت الأمور فيها بعد ذلك ، وزالت الأوضاع فيها عما كانت عليه إلى ذلك العهد

وأما سهم النبى صلى الله عليه وسلم من خيبر وفدك فقد

مكث بيد أبي بكر وعمر مدة خلافتهما ، وكانا يقدمان منه نفقة نساء النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها مما كان يصرف منه ، وما فضل بعد ذلك يجعلانه في المصالح ، ثم اختلف في أمره بعدهما ، فقيل إن عثمان بن عفان أقطع فدك مروان بن الحكم ، لأنه رأى أن الذي يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم يكون للخليفة بعده ، فاستغنى عن فدك بأمواله ووصل بها مروان بن الحكم : وقيل إن الذي أقطعها مروان بن الحكم معاوية بن أبي سفيان ، فوهبها مروان لابنيه عبد العزيز وعبد الملك ، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز وللوليد وسليمان بن عبد الملك ، فلما ولي الوليد سأله عمر حصته منها فوهبها له ، ثم سأل سليمان حصته منها فوهبها له أيضاً ، فاستجمعها كلها في يده ، وكانت أحب أمواله إليه . فلما ولي الأمر بعد سليمان جمع بني مروان فأشهدهم على أنه ردها إلى ما كانت عليه مدة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين

فلما كانت سنة عشر ومائتين أمر المأمون بدفعها إلى ولد فاطمة رضي الله عنها ، وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين بمكانه من دين الله ، وخلافة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والقرابة به ، أولى من استن سنته ، ونفذ أمره ، وسلم لمن منحه منحة وتصدق عليه بصدقة منحته وصدقته ، وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته ، وإليه في العمل بما يقربه إليه رغبته ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدك ، وتصدق بها عليها ، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً ، لا اختلاف فيه بين آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تزل تدعى منه ما هو أولى به من صدق عليه ، فرأى أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها ويسلمها إليهم ، تقرباً إلى الله تعالى بإقامة حقه وعدله ، وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنفيذ أمره وصدقته ، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه ، والكتاب به إلى عماله ، فلقد كان ينادى في كل موسم بعد أن قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكر كل من كانت له صدقة أو هبة أو عِدَةٌ ذلك ، فيقبل قوله وينفذ عدته ، إن فاطمة رضي الله عنها لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لها . وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين يأمره برد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها ، وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك ، وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها ، فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين ، وما ألهمه الله من طاعته ، ووفقه له من التقرب إليه ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأعلمه من قِبَلك ، وعامل محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري ، وأعنهما على ما فيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلاتها إن شاء الله ، والسلام - وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة عشر ومائتين

وقد مكثت فدك بعد هذا لآل فاطمة إلى أن ولي المتوكل على الله ، وكان يعادي آل فاطمة عداء شديداً ، فأمر برد فدك إلى ما كانت عليه قبل المأمون .

عبد المتعال الصعيدي

وحـــدة الوجود

للبروفيسور ج٠١٠ بوردن
بقلم الأستاذ عثمان حلمي

لكى نقترب من قضية العلم الحديثة الخاصة بنظام الكون يجدر بنا أن نرجع إلى أولئك المخترعين العظام الذين ألمّوا بعلم الميكانيكا أمثال جاليلو وديكارت ونيوتون ، وعلى الأخص « نيوتون » أعظمهم جميعاً .

هؤلاء المفكرون لم يكونوا ضيق الأفق فى تفكيرهم ، ولا كانوا محدودى التفكير (كأولئك الذين لم يخرجوا عن دائرتهم المحدودة ، فلم يصلوا بسبب بين فلسفتهم وعلمهم وبين دينهم) . ذلك أنهم واجهوا هذه المسألة كاملة واشتغلوا (بالتدين الطبيعى) فكانوا بذلك رجالاً كاملين فى تفكيرهم ، بينما كان أتباعهم انصافاً . فلو أنهم لزمهم ذكر الخالق ومواجهة حقيقته ، لفهم الطبيعة وإدراك أسرارها ، فإنهم لا يحجمون عن ذكره فى علومهم .

لقد قيل : إن بحث نيوتون فيما وراء الطبيعة كان غير ناضج ومبايناً لما هو معهود فى طبيعة علمه . والحقيقة أن نيوتون لم يكن فيلسوفاً — بمعنى الكلمة — ولكن تقاليد الفلسفة الأفلاطونية للعصور الوسطى التى جاراها فى كامبردج فى أيامه ، هى قريبة للعبقرية العلمية أكثر منها للفلسفة السفسطائية التى تلت نيوتون .

لقد كان فى وسع هذه التقاليد أن تعترف بميلاد العلم الحديث والإدراك الميكانيكي والرياضى الذى ساق أمامه آياته القابلة للتصديق مع علاقته بهذه التقاليد .

إن الدنيا فى نظر نيوتون غير مفهومة المغزى بغير وجود « الله » ، وعلى ذلك ، فإنه لا يحجم عن ذكر الله فى طبيعياته وفلكه ، وهو يوضح لنا فكرته فى الله من الصفات التى يصفه بها : كالأبدية ، والأزلية ، والقدرة على كل شىء ، والعلم بكل شىء ... وهى صفات مستعارة من علم اللاهوت فى العصور الوسطى ، غير أن القدرة على كل شىء من وجهة نظر نيوتون لها معناها الطبيعى المادى ، كما لها معناها الروحى .

(هو قادر على كل شىء ، ليس نظرياً فقط ، ولكن مادياً أيضاً ، لأن الفاعلية لا تعيش فى رأيه ولا تستمر بغير المادية ، فنه — كما يقول نيوتون — تتكون كل الأشياء وتتحرك ، ومع ذلك فهى لا تؤثر فيه ، وهو لا يؤوده شىء من حركة الأجسام ، كما أن الأجسام لا تقوى على مقاومة قدرته على كل شىء) .

وبذلك فإن وجود الله الأكبر ضرورى ، ويمثل هذه الضرورة هو موجود أبداً وفى كل مكان ، فهو يرى ، لا كما نرى ، ويسمع ، لا كما نسمع ، ويعقل ، لا كما نعقل ، ويريد ، لا كما نريد ، أى بحال ليست بالمرة كحال الإنسان ، بل بحال يعجز العقل البشرى عن إدراك كنهها .

إن المرء ليعجب إذن كيف يمكن وصف الله (فى الدراسات الفلسفية) ، ولكن فهم نيوتون الحقيقى لله هو قريب الشبه من طبيعيات أفلاطون السابقة أكثر منها للتعاليم المدرسية اللاهوتية ، فهو يقول نفس ما قاله اكسينوفانس .

فنيوتون ليس أكثر من أنشتين ، لا يعتقد (فى الحركة مع الحيز) ، فإن الجاذبية فى نظر نيوتون ناشئة عن النواميس الرياضية ، أى أنها لا توجد فى أصل الأجسام .

وفى نظر نيوتون ، كما هو فى نظر أنشتين ، أن الحركة فى الأجسام (الأفلاك والأجرام والكواكب) مثلاً يشترط فيها الحيز ، ولكن الحيز ليس هو الفضاء المجرد الذى ورد فى العلم الحديث .

فلماذا إذن وجد نيوتون أنه من الضرورى ذكر الله فى العلم ، يوجد السبب العام وهو « حبُّه للجمال » هذا الجمال الذى أثر فى أفلاطون بقوته فرآه فى (البساطة والنظام) ، هذا الجمال الذى غمر الطبيعة فجمله يعجب بها أيما إعجاب ويجلها كل

الإجلال ، وقد كان ذلك أيضا بالنسبة لنيوتون مضافا إليه الأسباب الخاصة بما شاهده في تجاريبه الميكانيكية والرياضة ، فالنواميس الميكانيكية للطبيعة ليست كافية لحصر منشأ الدنيا ولا لحفظ توازنها ، ولو أن الكائن يحتاج فى تكوينه بهذه القوانين إلى أحقاب عديدة ، فإن الأساس المادى هو « قوة الاستمرار » فالحركة تابعة للمادة إذا تحركت ، و « قوة الاستمرار » هى مبدأ سلبي بموجبه تثابر الأجسام على حركتها وإلا فإنها تقف لتستمد الحركة المناسبة لقوة الدفع لها فتقاوم بقدر ما تقاوم وبهذا المبدأ فقط لن تكون هناك حركة فى العالم ، فقد تكون الأجسام فى وضع ضرورى لحركتها فينشأ وضع وهى فى حركتها بعكس هذه الحركة ، ومن مختلف الوضعين فى الحركتين يتضح أنه من المحتم وجود الكم من قوة الدفع فى العالم » .

إذن هو يرى أن الحركة قد تكتسب أو تنعدم إذ يقول : ولكن بسبب تماسك الأجسام السائلة وميوعة أجزائها وضعف المرونة في الأجسام الصلبة فإن الحركة أكثر عرضة للفقد من الاكتساب وهى دائما عرضة للاضمحلال والانحلال والتلاشى

هنا يقرر نيوتون بمفرده حقيقة التعويض الداخلى لمثل هذا الفقد ، فيظن أنه ربما كان ذلك آتيا من أرواح أثيرية ، فتتكاثف هذه الأرواح من الله إلى « مادة » وتسد النقص فى الحركة ، وهنا يلقى نيوتون ضوءاً على نظرية النشاط الإشعاعى وأنه قد يتحول إلى نشاط مادى ، وأن هذه الخلق وإعادة تجديده تأخذ محلا (فى الله) الذى يصفه (بالقوة التى تعيش أبداً والتى توجد فى كل مكان قادرة بإرادتها على أن تحرك الأجسام بوعيها الذى لا يحد ، وعلى ذلك فإنها تكوّن وتُعيد تكوين أجزاء الوجود بإرادة لا كما نعمل بإرادتنا فى تحريك أجسامنا ، ومع كل هذا فإننا لا نستطيع أن نقول إن العالم كجسم لله أو أن أجزاءه المتعددة كأجزاء متعددة له .

(يتبع) عثمانه حلمي

على هامش الشئون الخارجية

الرفق بإيطاليـــا

للأستاذ على إسماعيل بك

تعرض الدكتور محمد عوض محمد فى عدد « الثقافة » الصادر فى ٣ أكتوبر إلى « الرفق بإيطاليا » بعد هزيمتها ، وعزا ذلك الرفق إلى نبالة أخلاق البريطانيين وكرمها الذى يقضى عليهم أن يمدوا أيديهم إلى العدو المهزوم بعد صرعه ، والأخذ بناصره بعد خذلانه . وتبسط فى الحديث عن تلك النبالة وعن ذلك الكرم مبدياً أنهما كانا السبب فى خلاف شديد ساد ردحاً من الزمن بين فرنسا وبريطانيا ، حول معاملة ألمانيا بعد الحرب الماضية

وبعد أن دلل الكاتب على عاطفة الرفق عند البريطانيين بما اشتهروا به من حب العجماوات التمس لنفسه الاغتفار والغفران من مقابلة الرفق بإيطاليا بالرفق بالحيوان !

أما أن العفو من شيم الكرام الأنجلوسكسونيين فأمر قد أجمع عليه الجميع حتى خصومهم ، وتدلل عليه طبائع الأفراد فى بلادهم : فما دخل البريطانى ملاكمة وانتصر فيها على خصمه إلا كان أول واجباته مصافحة ذلك الخصم بعد أن قيض الله له النصر

وما نازل غريماً فى معركة انتخابية إلا نازله بأسلحة مشروعة لا غبار على استخدامها أمام الرأى العام ؛ فإذا انتهت المعركة بادر لغريمه المخذول يتمتم فى حياء كبير قائلاً « آسف أننى انتصرت لأنك قمت بنصيب أكبر من الجهد » ، أو « هو ذا الحظ الذى ساعدنى على النصر » وما إلى ذلك من عبارات المجاملة التى تنم عن روح مرهفة الحس وشعور عريق فى السراوة « الجنتلمنة » ، وعواطف فياضة بالمدنية

ألا فليعلم حضرة الكاتب أنه مع الاعتراف الصادق بتلك الناحيـة من الخلق الأنجلوسكسونى ، أقول ألا فليعلم أن الشئون الخارجيـة وعلاقات الدول بعضها ببعض لا تقوم على شيء من هذا الذى ذكر بل قوامها قبل كل شيء ذلك الأساس الصخرى الراسخ ما رسخت الأرض من المصلحة الذاتية وحدها دون مصلحة الغير

فهذا الرفق يدعو إلى كبير الأسف كما سترى

لقد دخلت إيطاليا هذه الحرب بفعل رجل واحد — هذا لا شك فيه — ومهما يكن من عيوب ذلك الرجل فقد كان له فكر ثاقب فى تفهم سياسة بلاده الداخلية ، ونظرة نافذة فى وسائل الضرب على أيدى المهرجين فيها

ألا تذكر « جابرييلى داننونزيو » المشعوذ ورفقاءه الأردبتى يوم كانوا يحتلون « فيومى » دون أن يكون لهم أية علاقة بالسلطة العسكرية الشرعية فى روما ؟

ألا تذكر « بومبانشى » ذا اللحية الفثة السوداء يوم كان يلوح بقبضته اليمنى على منصة الخطابة فى « مونتيشيتوريو » مهدداً بإدخال الدولة الثالثة فى أرض هى مهد الكلاسيكية ؟

ألا تذكر « كارلوسفورزا » سليل الأمراء إذ كان ينادى عبثاً بتوحيد الصفوف للذود عن حوض الديمقراطية فما لبى نداءه أحد ؟

أغمض الحلفاء إذ ذاك جفونهم لما كان يحدث فى إيطاليا ، وتركوا هذا وذاك يجر الحبل كل فى اتجاه ، بينا كانت أيد آثمة تعمل فى الخفاء لقلب نظام الحكم : فمن إضرام النار فى المسارح الشهيرة إلى إخراج القطر السريعة عن قضبانها ، ومن إضراب غير مشروع فى المعامل إلى إلقاء القنابل على رواد فى دور السينما ، ومن حوادث قتل وفتك بأيد مجهولة ، إلى حوادث إرهاب لا مبرر لها ! تلك كانت حال إيطاليا ! كوميديا إلهية ! جحيم دانتى ! جحيم دانتى الذى كتب على بابه « أولئك الذين يدخلون ألا فليطرحوا كل آمالهم طرحاً »[1]

أتلومن الحوادث أن تلد رجلاً بطاشاً يخرق الحجب الكثيفة التى تجهمت فوق سماء إيطاليا ، ويفتح باب الجحيم الدانتية على مصراعيه ، ويلقى فيها أصحاب تلك الأيدى الآثمة ، الهدامة للنظام التى كانت تلعب فى الخفاء وتبيت للأرض الكلاسيكية انقلاباً اجتماعياً لو أنه تم لقضى قضاء مبرماً على المعاهد الديمقراطيـة التى تغذى جيلنا بلبانها وتذوق حلاوتها وسكرها ؟

(١) Voi chi cutrate lasciate ogni speranza

أتلومن رجلاً قويا : (وهل تشرشل ضعيف ؟ وهل روزفلت ضعيف ؟) أقول أتلومن رجلاً قوياً أن يخرج ذلك الشعب الفنان المحبب من ظلمة التخبط إلى نور الاتزان اللاتيني الوهاج ؟

لقد سار الرجل في برنامج داخلي أعاد إلى إيطاليا رونق العهد الكلاسيكي . سار سيراً حثيثاً ، موفقاً ، مذللاً الصعوبات بيد حديدية ، مقتحماً العقبات التي اعتورت طريقه بإرادة قيصرية لا تعرف الكلال .

ولما أن رأى أن الإصلاح الداخلي وما إليه من مسكنات شهوته أصبح بعيداً عن أن يغذى طموح الجبار — وتلك هي خطيئته — أراد أن يطرق ميادين أخرى ، ميادين كنا نظن عيون الحلفاء بها ساهرة لا تعرف الغمض ولا النوم ؛ فأخذ يغرى الشعب الإيطالي بأمان براقة — وما أغرى لعواطف الشعب من التلويح له بالأماني البراقة ولو كانت كاذبة ! فصال صولة وجال جولة ، وقال في صدد الحدود بين مصر وبرقة إلى وزير مصر المفوض « لن يُخَدَشَ خطى قيد أنملة »
"Ma Ligne ne sera pas égratignée"

الخطأ الأول في دبلوماسية ما بعد الحرب العالمية أنها لم تقتل الفاشية في بدايتها ، فقد كانوا يعرفون أن فضلات المائدة مهما كثرت بعمدة عن أن تغذى معدة كمعدة موسوليني . لقد كانت الفضلات على العكس بمثابة مشهيات عنيفة : فما طالب بطلب أو هدد بتهديد إلا وطائرة تحلق بين لندن وروما ، وروما ولندن — خروجا على التقليد البريطاني الراسخ — تحمل إلى نيرون أغصان الزيتون ! !

لماذا أحجمت الدول عن قتل أفعى تلك الشهية وهي في مهدها ؟ أكان هناك مايبرر تنغيص العالم زهاء عشرين سنة بصراخ ذلكم الطاغية وتركه يتمادى في هواه وإثمه إلى أن شهر السلاح في وجه بريطانيا التي كانت العامل الأول في استقلال بلاده ؟

أَلمثل موسوليني يلوح بأغصان الزيتون ؟

أَلمثل موسوليني يطير ماكدنالد ويطير شامبرلين ويطير إيدن كلما صال الرجل وجال ؟

لقد كانت الدبلوماسية البريطانية تعرف حق المعرفة أنه سيتمادى في مطالبه كلما أذعنت له ، وأنه إذا أعطى قيراطا عبس وتولى وطالب بقيراطين . فإذا أعطى القيراطان طالب بثلاثة فأكثر وهكذا ، فإذا سلمت الجغبوب اليوم ظن تسليمك ضعفاً وطالب بالحبشة فلحقاتها فلحقات الملحقات إلى ما شاء الله ، ذلك أن بعض العقليات الواطئة ترى في الكرم ضعفاً وفي الرفق خوفاً ورهبة .

لماذا لم تعبر إذن الدول المتحالفة عن شعورها في حينه في حزم وفي صلابة ؟ لماذا تركت موسوليني يتمادى في مطالب لا يبررها التاريخ ولا تقرها حالة إيطاليا المادية والأدبية دون أن تقابل تماديه بتهديد يعززه الاستعداد لمقاومته بالقوة ؟

لقد دار الفلك دورته وانهزم الطاغية شر هزيمة وانهار صرح الإمبراطورية الإيطالية من أدناها إلى أقصاها وفقدت الصومال وأريتريا والحبشة وطرابلس وألبانيا وجثا أسطولها الشامخ يتلمس الرحمة من ذئاب البحر ورفع مليكها التاج عن رأس وخطها وخز الضمير شيباً ، وفتكت قنابل الحلفاء في حصونها فتكاً ذريعاً ، وخربت القلاع والمعاقل والموانى . فماذا بقى لإيطاليا بعد حدوث ما حدث ؟

الرفق !

الرفق ! كأننا لم نتعلم من دروس الماضي القريب !

فليرفق الدبلوماسيون بالمهزوم ما شاءوا ، دهاء منهم أو غير دهاء . أما نحن في مصر وقد أصبح لنا مقعد في الأسرة الدولية الكبرى فلا صالح لنا ألبتة أن نحيد عن المبدأ الواقعي الذي أشرت إليه في بدء هذا المقال : نريد أن يبنى مستقبل مصر الدولى على الصخر الراسخ . فليرفق إذن بإيطاليا ما شاء الدبلوماسيون ولكن بعيداً عن مصر وعن حدود مصر ، بعيداً عن النيل وعن منبع النيل !

علي اسماعيل



كلمة أخيرة ...

للأستاذ سـيد قطب

لست أملك أن أتمادى فى الحديث مع الأستاذ صلاح ذهنى أكثر مما فعلت حتى الآن ، حيث لا موضوع للحديث غير الشتائم والسباب ، وإلا فهو الرابع ... لقد عجز بإنتاجه فى القصة أن يكون موضع حديث أحد فى صحيفة ، فنال ذلك الآن عن طريق الشتائم والسباب !

وإلا ففيم كلمته الأخيرة ؟

لقد أخذت عليه أن لهجة رده الأول كانت لهجة بذيئة ، وأن ما جاء فيها من بيانات كان مستطاعاً دون الاضطرار إلى هذه البذاءة ، صوناً لمستوى المناقشات الأدبية . فإذا هو فى كلمته الثانية يهبط ويهبط ، حتى ليعز على كاتب يحترم قلمه أن يلاحقه .. لقد فشلتُ إذن فيما وجهته إليه أول مرة !

والمسائل التى أثارها ، فرددت عليها ، عاد يثيرها بالنص من جديد : توفيق الحكيم ليس كاتب قصة ، لأنه كاتب رواية ؛ والمازنى ليس كاتب قصة لأنه كاتب مقالة !

وعلى هذا النحو يسير ، فلا يجوز أن أتحدث عن قصص بودلير لأنه شاعر ، ولا عن قصائد لورنس لأنه قصاص وعلىّ أن ألغى إنتاجهما الآخر ، فلا أذكره ولا أسميه . وهكذا فشلت مرة أخرى فى أن أرد الأستاذ إلى الموضوع !

وقلت له : إن إنكارى للمدارس الأدبية مسألة لا تستحق المناقشة ، لأنها تردنا إلى سذاجة فى النقد ، وإلى فوضى لا تنتهى. فقال : إننى تركت الحديث فيها لجهلى بها ... ثم إذا هو يقول عن تيمور : إنه ذو نزعة واقعية ينتمي بها إلى موباسان ... لقد عدنا إذن إلى أن هناك عنوانات ترد إليها الأعمال الفنية . وكان قد أنكر ذلك وأثبته فى آن واحد فى مقاله الأول . فرأيت الحديث فيه عبثاً ، وقد اتضح أننى محق فيما رأيت ، فبعد مقالين ها نحن أولاء لا نزال حيث كنا من قبل !

بقيت أمور جديدة فى قائمة الشتائم :

إننى لا أعرف لغة أجنبية : وهـذا صحيح . ولعل منشأ كسلى عن تعلم لغة أجنبية هو أننى أرى الأستاذ صلاح وعشرات من أمثاله يعرفون لغة يتبجحون بمعرفتها ويلوكون مصطلحاتها ثم يكونون حيث هم ، وأكون حيث أنا . فأرى أن اللغة — وإن كانت ضرورية — لا تخلق المدومين ، ولا تعدم الموجودين !

وثانية الشتائم أننى لا أكتب إلا عن الكتب التى تهدى إلىّ ، ولذلك استهديته كتب تيمور . والأستاذ صلاح مسكين فى هذا الهبوط ، ثم مسكين . ولكن ما ذا يقول ، وقد أهدى إلىّ هو كتابه الأخير ، إهداء لا أدرى كيف أضع له الآن عنوانه فى سجل الأخلاق وهو : « إلى أخى الناقد البارع الأستاذ سيد قطب مع وافر التقدير » . ومع هذا فلم أكتب عنه شيئاً ، لأننى لم أجد أنه يستحق شيئاً ، فجاملته بالسكوت !

وليلاحظ أننى وقتها كنت « ناقداً بارعاً » وكنت الأستاذ فأما اليوم ، فأنا لا « ناقد » ، ولا « بارع » ، ولا « أستاذ » ، ولا يحزنون ... لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !

وثالثة الشتائم فى القائمة أننى ظل العقاد فى الظهيرة . فلأكرر هنا ما قلته من قبل للدكتور مندور : إننى أفهم المسائل على نحو غير الذى يفهمه بعض « شبان » الجيل . إننى لا أحاول إنكار تلمذتى للعقاد ، لأن لدىّ ما أقوله وما أبدعه وراء ذلك ، فلست أخشى على وجودى حين أعترف بهذه الأستاذية ، وهى حق ، فلا يسمح لى خلقى أن أنكرها أشد الإنكار ، وأن أبرأ منها كل البراءة ، كما كان الأستاذ صلاح يصنع ويتشنج حين يقال : إنه من تلاميذ تيمور !

***

وبعد ، فظل العقاد هذا يستطيع أن يكون « الناقد البارع » كما كنت عند الأستاذ صلاح فى ٢٣ أبريل الماضى ! وأن يكون « ناقد شعر فقط » كما أنا الآن عند الأستاذ صلاح أيضاً فى ١٢ أكتوبر الحالى . وأن أكون شاعراً كما يقول بعض الناس غير الأستاذ صلاح . فهل يستطيع أن يقول لى هو : ماذا يستطيع أن يكون ؟ لقد كنت أعنى ما أقول حين قلت له : إن إعزازى الشخصى له ، هو الذى يدعونى أن أناقشه ، وإلا فليس هنالك من محور أدبى نلتقى عنده ليستحق الحديث . وحتى هذا الإعزاز الشخصى قد عبث به ببذاءة التعبير ... تلك كلمة أخيرة ، لأن الشتائم فى متناول من يريد .

سيد قطب

القيثارة المحطمة

للدكتور عزيز فهمي

نسجت عليها العنكبوت شعارها
ورمى البلى لما رمى أوتارها

كانت عزاءك دون كل خليلة
لهفي عليك وقد حرمت حوارها

كم قد شكوت لها تباريح الهوى
في ليلة أرخت عليك ستارها

وشرحت آلام الجوى ولهيبه
فاستودعتك بدورها أسرارها

تتناجيان ولا سمير سواكما
والنجم يهتك أو يلم خمارها

حتى إذا طلع الصباح طرحتها
وأويت أهدأ ما تكون جوارها

وقفت عليك حياتها فأنينها
باك عليك إذا قدحت أوارها

ونشيجها لولا أساك كشدوها
وأساك يلهبها ويضرم نارها

عزافة الألحان تشدو طلقة
ما شئت حتى تستثير قرارها

تحنو عليك حنان أم برة
يفري ويقلم طفلها أظفارها

لا تقتضيك على الوفاء بديله
وتظل طوعك ليلها ونهارها

لولاك ما نطقت بأم حرة
يوماً ولا شق الحنين إطارها

ماتت عروس الشعر فوق شفاهها
والقوس يعزف راوياً أشعارها

وحكى الصدى ألحانها فتجاوبت
حيناً وأذهل صمتها سمارها

غنيتهم زمناً فهم نوم
وأشاح عنك فعاودت إصرارها

وحبست عنهم لحنها فتلفتوا
لما زجرت عيونها وهزارها

وصببت عنهم كأسها فتذوقوا
خمراً سواها واستسغت عقارها

فصدفت عنهم يائساً مترفعا
وغنيت عنهم واحتملت إسارها

كانت عزاءك دونهم لخيرتها
وبقيت وحدك حافظاً تذكارها

حملت هموك عنك دهراً فاحتمل
فيها المصاب مخلداً أخبارها

من شعر الأطفال:

القلم يقول عن نفسه...

للأستاذ على متولى صلاح

إنني شيء صغير
في يديكم كل آن

ليس جسمي بكبير
غير أني ذو مكان

كلكم يعلم فضلي
كلكم يعرف شاني

أنا عند الطفل والأستاذ في كل زمان

يفخر الناس بحملي
فأنا زين البنان...

صرخة اليأس

لشارل بودلير

[لا تقل ما أجملها بل قل ما أجمل الشعر فيها]

جميلة أنت في عيني يا جاني[1]
ياصرخة العار في شكي وإيماني

أقبلت في قوة كالشر يحفزه
ضعف النفوس فوا لهفي أنا الجاني

صببت قلبك في قلبي فأحرقه
حتى تبدى لهيباً دمعه القاني

ماذا بروحك من خمر ومن لهب
وأنت من أنت يانيران أشجاني

صرعت قلبي وأنت اليوم كعهته
ياجمرة الخلد في روحي ووجداني

يطوف حولك نفح دافئ عطر
كما يطوف فراش حول نيران

ياصرخة العار يا كأساً مرنحة
لعينة أنت في يأسي وخذلاني

أعيش في ظلك المسحور مرتجفاً
كأنني عابد أستاف إلهامي

أنا السجين بأغلال عبدت بها
قيد الجمال وإن أودت بأنغامي

أنا الطعين بسكين شربت بها
خمر الهلاك وأنت الخنجر الدامي

ناشدت قلبي سلواً عنك فارتجفت
فيها الحياة ودوى صوتها الحاني

ورحت للخنجر القتال أرفعه
فنازل النصل عيني وهو ينهاني

ورحت للموت أسقيه وأنشده
لحن الفناء فلم يهتف بألحاني

قالت لي الكأس لو ضاعت حقيقتها
لعشت فيها وكنت الهادم الباني

أواه مما ألاقي اليوم من عنت
وآه مما مضى في أمسي الفاني

عبد القادر محمود

---

(١) جان ديفال



نظرية الفصل وماذا يريد القائلون بها ؟ !

لا أريد بهذا المقال أن ألتقي مع المتلاحمين في معركة « وحدة الوجود » فحسب هذا الميدان من فيه ، وما أنا محاول كذلك فتح « جبهة ثانية » بعد أن انسحب الدكتور زكي محتمياً بما قاله عن ظروف حرية الرأي في مصر ، وهو احتماء غير كريم ...

إنما هي كلمة هادئة إلى هؤلاء الذين نادوا وينادون بنظرية عجيبة ، يذوبون هياماً بإشاعتها ، ويلبسونها قفازاً في أيديهم ، يلفون به في كل معركة ، عند ما يعوزهم الدليل والبرهان ...

ففصل العلم عن الدين غرام أنهك داؤه قلوب قوم أولعوا به ، إذ وجدوا فيه رفعاً لالتزامات ، لا تستطيع أعصابهم احتمال الوقوف عند سدها القائم لصد النزوات ، ورد الهفوات — هذا الميزان العلمي ، لضبط الفضيلة العلمية ، ووقاية العقل من الشطط ، وتحرير الحقيقة ...

وقد كان لهذه النظرية والقول بها مذاق في أفواه الأقدمين ، حين كانت الأديان طقوساً منعزلة عن الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية والثقافية ، وكل ما له صلة بحياة الناس العملية الواقعية وإن مستها فإنما تمسها وتتصل بها اتصالاً رفيقاً لا يدخل في صميم نظمها وتنظيمها ، ووضع أسسها ، وتفصيل برامجها ، والإفتاء في كل ما له صلة بها بكل جلاء ووضوح . . !

كان لهذه النظرية مكان في هذا الماضي التاريخي ، حين كانت الأديان على نحو ما ذكرنا ، وحين كانت تعنى بالمسائل الروحية التعبدية في مجموع ما فيها من وسائل ، وقد يسوغ أيضاً أن يبقى هذا المكان أو أن يمتد هذا التاريخ في غير بلاد الشرق المسلمة ، وفي غير مصر الإسلامية ، بعد أن جاء الإسلام منذ ١٣٦٣ سنة نظاماً عاماً ، شاملاً كاملاً ، تناول الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ، ونظم شئون الناس جميعها ، معنياً بالروح ، عنايته بالجسم والعقل ، وعنايته بكل النواحي الإنسانية الأخرى ، بما لا يدع مجالاً لمنكر أو طالب حقيقة ،

وآيات القرآن ناطقة بهذه الحقائق ، وسنوفيها حقها في موضعها من الكلام

فما بالنا إذن نبعد عن فهم حقيقة الإسلام ، ونحصره في زاوية ضيقة محدودة من آفاق الحياة ؟ ! إنها ليست دعوى تعصب ، ولكنها الحقيقة يؤيدها التاريخ والواقع

فعلى القائلين بنظرية الفصل أن يتريثوا ، وأن يترفقوا بتاريخهم ، ويتبصروا مقدارهما في هذا الخطأ الشائع من جناية على الحياة العقلية الشرقية ، والحقائق الإنسانية

كنا نريد أن يكون المتزعمون للحركة الفكرية عندنا قوميين أحراراً ، يصدرون في آرائهم عن باعث القومية الحرة ، وتقول القوميسة الحرة ، حتى يكون رأياً بعيداً عن التحيز أو التعصب ، وبعيداً كذلك عن الانغماس في الفكرة الغربية . بهالك المستسلم الذي نسي نفسه وجهل تاريخه وماضيه فذهب حاضره ومستقبله هباء

يا قوم ... إننا أمة ذات مجد وذات تاريخ ، فأين نحن في حاضرنا من مكاننا المرموق ؟ ! إننا لا ندعوكم إلى تعصب في العلم أو تعسف فيه ، ولا نطالبكم بتزييف التاريخ أو المغالاة فيه ، ولكننا ننبه إلى تفهم الحقائق التي بين أيديكم ، والسيطرة على مفاخر الكنوز من تاريخكم ، وهي كلمة أولى إن اتسع لها صدر الرسالة ، وما نظنه ضائقاً ، فسنتبعها بالكلمة المقصودة من المقال وهي بيان كيف أن الإسلام جاء نظاماً شاملاً كاملاً تناول كل مظاهر الحياة وعناصرها ، وكيف أنه لم يفرق ولم يفصل بين أية ناحية من نواحيها ، بل جمل منها جميعاً مزاجاً واحداً متماسكاً ، أقام عليه أسس الحضارة الإنسانية الفاضلة ، التي سعد في ظلها الناس جميعاً — ثم نعرض لموقفه من العلم — والعلم التجريبي خاصة

وموعدنا بهذا كله عدد آت إن تفضلت الرسالة الغراء .

احمد ... الحجاجي

إلى أستاذي المشبيشي

تفضلتم بتنبيهي إلى صحة كلمة « الزِّبِي » في بيت « شوقي » لأن أصلها الزُّبِيّ . وتسهيلها جائز . فأشكر لكم هذا التنبيه . وأذكر أنها وردت في مقالي في مجال نقدي لكثرة الاضطرار إلى التسهيل والترخيم . الخ مما لا يضطر إليه إلا المبتدئون . تلميذكم

سيد قطب

إلى سعادة عبد العزيز فهمى باشا

إذا وجد فى الأمة مكابر واحد ينكر عليك أنك كنت المحامى الأول والقاضى النزيه الأول ، فقد لا يوجد فيها من يجرؤ على إنكار أنك كنت ثالث رجلين حملوا كلمة مصر يجابهون بها مغتصب حقها ومستعبد أهلها يطالبونه بالاستقلال .

وليس بين عقلاء مصر من لم يكبر فيك تجنبك ديماجوجية زعامة الشعب وتهويشها

كان كل موقف من مواقفك هذه خليقاً بأن يرفعك إلى مصاف العظماء ، وكان الأخلاق بها متجمعة أن تسير بك فى سبل المجد الخالد ، ولكن أبت همتك الشماء إلا توقل مرتفعات المجد وبلوغ قمة الخلود

لقد أصبحت من الخالدين ، لا يوم اصطفوك ، لأن تكون فى زمرة أعضاء المجمع الخالدين ، بل يوم طرحت على زملائك رجال المجمع اللغوى اقتراحك « الحروف اللاتينية لكتابة العربية » فهذا الاقتراح فى ذاته ، بغض النظر عن خطئه وصوابه ، بطريقة عرضه ، وبالأسلوب الذى صيغ فيه ، وبصدقك الصادق ، وجرأتك العالية ، وحججك الدامغة ، قد نزع القناع الشفاف عن نفسية العبقرى . هى عبقريتك الفريدة ، فصرت فى الخالدين .

حبيب الزحلاوى

إلى الأستاذ العقاد

تبارك الرزاق فى تقسيم الأرزاق

أيها الأستاذ الكبير . إن ذلك الرجل الذى رفع إصبعه إلى السماء وصاح :

« أأنت موجود ؟ أهذا عدلٌ فى قسمة الأرزاق » (فى مقالك فى الرسالة بعنوان « تبارك رزّاق البرية ») ، وأن أبا العلاء المعرى الذى قال : « إذا كان لا يحظى ... فتزندقا » - وأن ابن الراوندى الذى قال : « كم عاقل ... العالم النحرير زنديقا » - وغيرهم من الشعراء ، وغير الشعراء ممن قالوا مثل هذا - إن هؤلاء يا أستاذ ، يريدون أن يلقوا المسئولية فى ظلم الحظوظ لهم على الرزاق أو على القضاء والقدر . وكأنهم فى الوقت نفسه يبتغون (وهم لا يدرون) أن يبرروا نظام المجتمع المسوف الغابن الجائر ، وأن يبرئوا منظمى المجتمع من فساد نظامه

ليس المسئول عن ذلك الغبن فى تقسيم الأرزاق ، لا الرزاق ولا القدر . بل المسؤول هو جنس الناس أنفسهم ، الذين سنوا قوانين مجتمعهم ناقصة وفاسدة وغير منصفة

إن تلك الألوف التى يبددها المسرفون ليست « بدل مفقود » كما تقول ، وإلا جاز أن يكون « أتيس » التيوس صاحب الملايين ، لأن الذكاء النابغ يثمّن بالملايين . وإنما هى ثمن عدل بيع بخساً أو ثمن ظلم اشترى رخيصاً . فما كانت الألوف فى زمن من الأزمان ، أو مكان من الأمكنة تنال بالبله أو بالخساسة أو بالسخف أو بالكسل المطلق . وإنما كان ولا زال كل قرش يُنال بتعب فى عمل معادل له . فإذا كان معك عشرات الألوف من الجنيهات فهناك ألوف من العمال حصلوها بتعب معادل لها ، وإذا كان عندك مليون جنيه ، فلا يعقل أنك بذلت تعباً يساوى مليون جنيه ، فهى من جنى تعب غيرك

فأولئك الكسالى والأخساء والبُله ، الذين يملكون الألوف والملايين لم يملكوها بدل ذكاء فقدوه ، ولا بدل نباهة أو عبقرية فقدوها ، ولا بدل عمل كسلوا عنه . وإنما نالوها متجمعة من حاصل أتعاب الذين تعبوا فى تحصيلها - وأنت تعلم ذلك جيداً . وتعلم أن ذلك ليس من قسمة الرزاق ولا من قضاء القدر . وإلا فلا جزاء للبشر لا خيراً ولا شراً إذ لا مسؤولية عليهم . إنما هو من فساد نظام البشر

والذين يتذمرون من عدم العدل فى تقسيم الأرزاق يعزونه إلى عدم التساوى فى المواهب والعقول والأخلاق ، حيث لا مبرر للتذمر أو الشكوى ، لأن هذا قضاء الرزاق ولا حيلة لهم فيه

وإذن ففساد نظام الكون ليس « فى تباين موازين الجزاء »

بل فى أن ذلك النظام يمنح من لا موهبة له ولا علم ولا ذكاء ولا عمل ويمنع الموهوب والذكى والعامل الصالح

على أن الفقرة التى ختم بها الأستاذ مقاله كفرت عن حملته على المتذمرين من عدم العدل فى قسمة الأرزاق .

نقولا الحداد

الدكتور زكى والشيخ الدجوى

فى بعض أعداد « الرسالة » الأخيرة ، افتخر الدكتور زكى أنه القائل « المجد كالمال ، فيه حرام وحلال » .

والذى نذكره أن الدكتور زكى نسب هذه القولة إلى أستاذه الشيخ يوسف الدجوى عضو جماعة كبار العلماء ، وقد كتب ذكر شيخه بهـا فى بعض رسائله التى كان يرسلها فى صحيفة « المساء » من مقامه فى باريس عام ١٩٣٠ .

وقال الدكتور يومئـذ إن الشيخ الدجوى نصحه بهذه « الحكمة » إبان صدور كتابه « الأخلاق عند الغزالى » حين أخذ جماعة من الناس يصاولونه ويناجزونه .

ولما كنا نعرف فى الدكتور الحقائق التاريخية ، فاننا نرجو أن يجلو لنا وجه الحقيقة حتى لا نقع فى الاضطراب بين الأقوال وأصحاب الأقوال !

(الرمل) منصور جاب الله

حول فرقة التمثيل

لو جرى النقد المسرحى على النمط الذى أرانا إياه الأستاذ حبيب زحلاوى فى العدد الفائت من هـذه المجلة ، لوجب علينا ألا نعبأ بالنقد وأن نطالب الهـداية لأصحابه ، وأن نعقد « الفصول والغايات » فى تبيان ماهية النقد وأصوله وأهدافه ! !

سقطت رواية (يوليوس قيصر) التى أخرجتها بوصفى مديراً فنياً للفرقة المصرية ، ونجحت رواية (مرتفعات ويذرنج) ومخرجها زميل لى ... والسبب فى هذا — كما يزعم الناقد — أنى قعدت عن توخى التجويد فى فنى بعد أن وصلت إلى أعلى مراتبه ، فى حين أن زميلى دائم التوفر على التحسين والاتقان . كذا ؟ ؟

بهذا جرى زعم الأستاذ زحلاوى ، وهو زعم له ما وراءه ، له أن يثير النفرة بينى وبين زميل لى فى الفن نجاهد معاً على تحقيق غرض واحد .

أما أن يعمد الناقد إلى تبيان كيف ولماذا لم تنجح الرواية الأولى ، ونجحت الثانية ، وأين مواطن الضعف فى هذه ، وأين مراتب التجويد فى تلك ، وما السبيل إلى تلافى وجوه النقص والوهن ، وكيف نزيد فى توخى الاتقان ، فكل هذا أمر مطوى فى سريرة الناقد لم يفصح عنه ، وأؤكد أنه لو قدر على الإفصاح عنه لما تردد ، لأننى أعهده متلمساً كل عيب يسهب ويفيض فى كل أمر يكتب فيه ! !

ولـكننى أؤكد أن الأستاذ زحلاوى ، لا يقدر على هذا ، وإذا جرى قلمه بشىء منـه ، فـكما تجرى مطرقة الحداد فى يدى اليسرى .

أسائل الأستاذ زحلاوى ماذا أفاد الناس من نقده وأنا فى مقدمتهم ؟ وبماذا ننعت نقداً لا يفيد المنقود ولا القارىء ؟ ؟

ليعفنى القارىء من الجواب ، ومن إيراد النعت اللائق بذلك النقد ، وللقارىء أن يقول فيهما ما يشاء ، ولـكننى أقول إن هذه الظاهرة العجيبة فى النقد المسرحى — وهي ظاهرة نطالعها فى أكثر ما يكتب عن المسرح — حدت بالوزارة إلى إنشاء « قسم النقد والبحوث الفنية » بمعهد فن التمثيل العربى الذى أتشرف بالعمل فيه .

فهل يجد الأستـاذ زحلاوى من الشجاعة الأدبية ما يحث خطاه إلينا ؟ إننى أدعوه دعوة صادقة مخلصة ، فنحن ما عشنا طلاب علم ، وإنما العلم من عند الله يؤتيه من يشاء .

زكى طليمات





١ — تاريخ ما قبل التاريخ

[مطبعة الشباب الحديثة]

الأستاذ الفاضل عبد الله حسين كاتب وصحفى معروف بسعة ثقافته وطلاوة أسلوبه وحسن تناوله للموضوعات التى يعرضها لقرائه المعجبين به ، وقد اضطره مرضه الذى أبل منه والحمد لله إلى البعد عن عالم التأليف وقتاً غير قصير ، وقد فاجأنا اليوم بكتابه الطريف « تاريخ ما قبل التاريخ » فذكرنا بمؤلفات وله خصوصا فى كتابه « خلاصة التاريخ » الذى جمع فيه أشتاتاً من المعارف منذ خلق الله الخلق إلى اليوم ... وقد تصفحنا كتاب الأستاذ الفاضل ثم لم نجد بداً من قراءته أخيراً ... فكانت ساعات ثمينة من المتعة الذهنية لم نقف فيها إلا عند هنات لا تنقص من جهد الأستاذ ... نحسب أن أهمها ما كان يضطر إليه الأستاذ من السرد الصحفى للموضوعات ، وعدم المبالاة أحياناً بتنسيق التبويب ، فبينما يحدثنا عن الفن فلا يذكر من الفنون إلا التمثيل ، ثم ينتقل إلى الأدب والشعر (وكل ذلك فى الفصل الثامن عشر) إذا به يحدثنا عن العواطف الجنسية فى الفصل الحادى والعشرين ويتناول الموسيقى فى هذا الموضع مع كونها فى مقدمة الفنون وكان مكانها فى الفصل الثامن عشر وإن مست العواطف التى يحدثنا عنها الأستاذ ... ومما لاحظناه أيضاً انتقال الأستاذ فجأة من العام إلى الخاص ، ككلامه عن الحديد فى مصر فى الفصل التاسع (العصور الجيولوجية وعصور المصنوعات المعدنية) وكان الأظرف جعل الكتاب عاما بدل هذا التخصيص الذى كان حقه أن يفرد بكتاب مستقل .

الحق إنه كتاب جميل ؛ فيه جهد وفيه فكر .

٢ — هارون الرشيد والبرامكة

[مطبعة جلى بدمنهور]

كتاب شائق للآنسة بنت بطوطة كتبته بالفرنسية ونقله إلى العربية الأستاذ د . ن . والكتاب قصة لهذه الفاجعة الأليمة التى انتهت بنكبة البرامكة ، والتى كان لحادثة العباسة أخت الرشيد فى علاقتها الشريفة بوزير الرشيد المقرب جعفر البرمكى دخل كبير فى أشنع مأساة لطخت العصر الذهبى للحكومة الإسلامية ... وقد استطاعت الآنسة بنت بطوطة أن تستعرض فى الكتاب جميع الآراء المختلفة فى أسلوب روائى ممتع تستحق من أجله التهنئة ، كما جاءت الترجمة العربية ترجمة سهلة فى عبارة خالية من التكلف

٣ — عشاق العرب وقصر الهودج

[جماعة النشر للجامعيين]

يخطو الأستاذ الفاضل كامل عجلان المدرس بالأزهر خطى حثيثة نحو الكمال الأدبى ، ونحن يسرنا أن يلتفت شباب الأزهر إلى ضرورة المشاركة فى نهضة مصر الأدبية فى عالم الشعر والقصة والرواية بأنواعها ... فليس يحرم هذه الفنون على شباب الأزهريين إلا جاهل بقيمتها وقيمة الأزهر وبرسالته الحديثة ... وقد بدأ الأستاذ عجلان يساهم فى الإنتاج الأدبى ، فقدم للقراء مجموعته الطريفة « عشاق العرب » ، وهى خمس قصص حوارية من أروع قصص الحب فى الأدب العربى أولاها ، حبابة ، وثانيتها جميل ، وثالثتها زينب بنت اسحاق ، والرابعة قيس ولبنى ، ثم الخامسة غادة الهودج وهى أطولها ، وكان الأحرى اختصاصها بكتاب قائم بذاته ... وغادة الهودج التى نثرها الأستاذ عجلان هى قصر الهودج التى نظمها صديقنا الأستاذ باكثير ... وقد وفق كل منهما توفيقا كبيراً فى الوصول إلى هدفه ... وسنجرى إن شاء الله موازنة بين التمثيليتين فى فصل خاص عسى أن يكون قريباً .

٤ — وامعتصماه !

[دار اليقظة العربية : دمشق]

مجموعة من التمثيليات الجيدة يصلح الكثير منها للتمثيل بالمدارس ، أنشأها الأستاذ الأديب عبد الوهاب أبو السعود أحد أدباء سوريا الشقيقة ، وقد راقتنا منها القطعة الرمزية الجميلة : الوطن — بقدر ما شاقنا حسن تصريف المؤلف للحوار فى المجموعة كلها ، وحسن استخلاصه لموضوعاته من أدبنا العربى الصميم .

(د . خ)

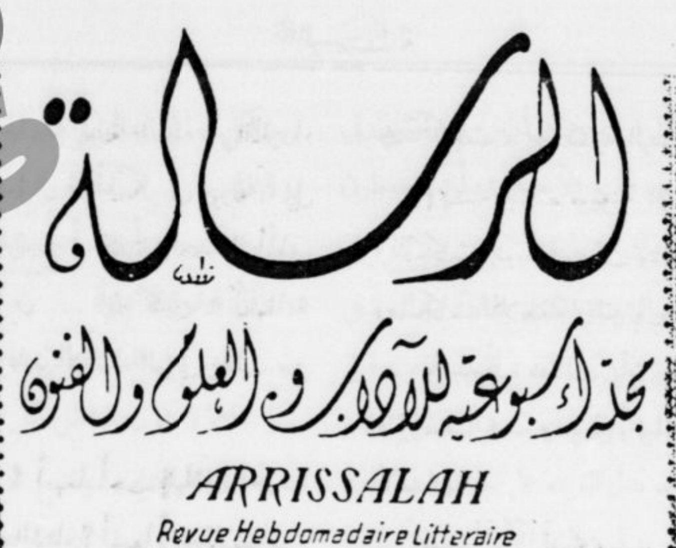


12 ^me Année No. 595

Lundi - 27 - 11 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠




بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٩٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١١ ذى الحجة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صـفحة

أيهمـــا ؟ ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

سؤال من الأسئلة الكثيرة التى توجهها الصحف الغربية والعربية إلى المشهورين ، وهو : أيهما أحب إليك : المال أو الشهرة ؟

وقد وجه هذا السؤال فى أمريكا إلى رجال ونساء عندهم المال وعندهم الشهرة ، ولو وجه السؤال إلى أناس لا يملكون هذا ولا تلك ، ولكنهم يسمون إليهما ويطمعون فيهما ، لظفر السائلون بناحية أخرى من نواحى الجواب ، لعلها أصدق وأقرب إلى معرفة النفس من جواب المشهورين الأغنياء

فالإنسان لا يحسن تقدير الشىء الذى هو فى يديه ، لأنه ينزل به عن قدره ، ولا يحسن تقدير الشىء الذى يصبو إليه ، لأنه يرفعه فوق قدره ، ولكنه — على الأقل — يصوره لنفسه وللناس فى صورة هى أجمل وأقرب إلى مرضاة الخيال

كذلك يختلف تقديرنا لما نملكه ونطمئن إلى بقائه وتقديرنا لما نملكه ولا نزال مهددين فيه

وإنما القصد بين جميع هذه التقديرات أن نملك الشىء ونحس الحاجة إليه ، ولكن فى غير فزع ولا اضطراب ، فمن ثم لا نزهد فيه ولا ننزل به عن قدره ولا نغلو فى تعظيمه غلو

من يتطلع إلى الأمنية وهو يحسبها منه بمنزلة السماء من الغبراء

رجعت إلى نفسى فى هذا السؤال فلم أفكر فى جوابه ، بل وثب بى الفكر إلى موضوعه ، ورجع بى طفرة واحدة إلى أيامى المدرسية فى أوائل القرن العشرين ... أيام كانت « أيهما » هى فاتحة كل موضوع من موضوعات الإنشاء العربى يطلب من التلاميذ أن يكتبوا فيه :

أيهما أفضل : العلم أم الغنى ؟ أيهما أحب إليك : الحرب أم السلم ؟ أيهما أجمل : الصيف أم الشتاء ؟ أيهما أنفع للانسان : الشجاعة أم الحكمة ؟

إلى آخر هذه المفاضلات التى استأثرت زمناً بأقلام الناشئين الصغار ، وكتب على جبلهم بعد ذلك بعشرين سنة أن يكون هو الجيل الذى يغرق إلى أذنيه فى النقاش والحوار : تارة نقاش الأحزاب ، وتارة نقاش الآراء والأفكار

وعرضت مراحل الإنشاء المدرسى من تلك الرحلة إلى الآن ، وهى المراحل التى حضرتها على كرسى الأستاذ ، ولم أحضرها على كرسى التلميذ

كانت هذه المراحل موزعة بين الوصف وكتابة الرسائل واستعادة الحوادث أو الذكريات

صف الربيع فى الريف ، أو صف الحجرة التى تتعلم فيها ، أو صف بناء المدرسة وما حوله ، أو صف رجلاً عظيماً رأيته ، أو صف محفلاً من المحافل العامة ... إلى أشباه هذه الأوصاف !

أما الرسائل ، فمنها ما يطلب من التلميذ أن يكتبه إلى أبيه ، ومنها ما يطلب إليه أن يكتبه إلى أستاذه ، أو زميله ، أو شخص من شخوص الخيال

واستعادة الحوادث والذكريات تتلخص فى تكليف التلميذ أن يذكر ما مر به فى الأجازة المدرسية ، أو فى يوم من أيام البطالة ، أو فى السفر إلى بلد من البلدان

والمقابلة بين هذه الموضوعات فى صعوبتها أو سهولتها على التلاميذ هى فى الآونة نفسها درس نافع لسبر أغوار العقول ، وقياس مقدرة الفكر الإنسانى فى كبار الرجال ، وليس فى صغار التلاميذ وحسب

فأصعبها بغير خلاف هو الوصف ، ثم استعادة الحوادث والذكريات ، ثم كتابة الرسائل على اختلافها

وإنما جاءت صعوبة الوصف من كونه امتحاناً للحواس والملكات جميعاً فى وقت واحد ، ومنها حواس النظر والسمع وملكات الملاحظة والترتيب والاختيار

فالواصف مطالب بأشياء كثيرة فى شىء واحد يسمى « الوصف » ، وهو فى الواقع عمل تشترك فيه كل ملكة فى الإنسان

فعليه أولاً أن يحصر ما يراه وما يسمعه وما يحسه على اختلاف ضروب الإحساس

وعليه ثانياً أن يرتب هذه المحسوسات كما سيذكرها فى وصفه

وعليه ثالثاً أن يختار منها ما هو حقيق بالذكر ، وينبذ منها الفضول الذى يسكت عنه أو يجتزئ بالإيماء إليه

وعليه رابعاً أن يحسن التعبير عما أحسه ورتبه واختار أن يكتب عنه

فلا جرم كان بهذه المثابة امتحاناً صادقاً لعقل الكبير والصغير ، وملكات الفيلسوف والرجل العامى من سواد الناس

ولا إخال الكاتب يعرف بعمل من أعمال قلمه كما يعرف بطريقة وصفه لمنظر من المناظر ، أو خالجة من الخوالج ، أو حادثة من الحوادث ، لأنه لا يهمل ملكة واحدة من ملكات قريحته وهو يعالج هذه الأوصاف ، وإذا هو أهملها عامداً أو غير عامد ، فإهمالها نفسه دليل على ملكات القريحة كدليل العمل والانتباه

وقد رأينا صحفيين مشهورين يرحلون من بلد إلى بلد ، أو من حى إلى حى ، ليكتبوا مقالاً وافياً عن بعض الزيارات أو بعض « الشخصيات » فيمنون بالعرض قبل الجوهر ، ولا يدرون « مكان الشاهد » كما يقال فى لغة العامة عند حصر الحديث المفيد

فيحسبون مثلاً أن المهم من حديث « الشخصية » المقصودة هو ما يسألونها عنه وتجيب عليه ، أو يحسبون أن السكوت عن بعض الأسئلة لا يفيد شيئاً كما يفيد الجواب عليها ، أو يحسبون أن وضع الطرف والصور فى بعض المواضع من المكتب أو البيت عامة أمر لا يهم الاطلاع عليه ، ويجرون على قاعدة واحدة فى السؤال والجواب ، وابتداء الحديث والانتهاء منه ، مع اختلاف الأمزجة والعادات بين أناس ينكشفون من المباغتة ، وأناس

ينكشفون من الشخصية والتكرار ، وبين أناس يتحفظون فى أحوال ، وأناس لا يتحفظون فى جميع الأحوال ، أو يتحفظون فى سياق ، ولا يتحفظون فى سياق

وقد تجرى بين الصحفى والرجل الذى يحادثه محاورة فى التمهيد للحديث يسقطها الصحفى من حسابه ، لأنها جاءت قبل افتتاح الحديث ، ولم تجىء فى صلبه بعد بداية السؤال والجواب ، مع أن المحاورة التمهيدية هذه قد تدل القراء على جوانب فى ذهن صاحب الحديث وعاداته ، لا يدلهم عليها عشرات الأسئلة والأجوبة التى تقال بعد تنبيه وتحضير

* * *

وندع الصحفيين وننظر إلى الروائيين الذين يتخللون رواياتهم بالوصف الحسى أو الوصف النفسى إما نصاً وإما فى خلال السطور

فما أيسر ما نعرف هؤلاء الروائيين قبل أن نعرف أبطالهم وحكاياتهم عنهم ؟ ... هذا روائى يصف لك الدنيا كأنما هى كلها سريرة نفسية لا محل فيها لاختلاف الصيف والشتاء ، وتبدل الأماكن والعصور ، وهذا روائى يصف لك الدنيا كأنما هى كلها حديقة أو غابة لا محل فيها لشىء غير نضرة الأوراق وذبول الأوراق وألوان الأوراق ، وهذا روائى غيرهما يصف لك الدنيا كأنما هى كلها سوق أو مضمار صراع أو مضجع غرام . وكلهم يظهرون بدنياواتهم هذه قبل أن يظهروا لنا أبطالهم من الرجال والنساء

* * *

عرضت مراحل الإنشاء المدرسى فى ذاكرتى ورجعت منها إلى مرحلتى على كرسى التلميذ يوم كنت أفاضل كل أسبوع بين العلم والجهل أو بين الحرب والسلم أو بين المال والجمال أو بين الصيف والشتاء ، أو بين القوة والمرفقة ، أو بين أولى الأشياء أحياناً بالتفضيل وأولاها أحياناً بالتهجين والإنكار

وذكرت كيف كنت أختار فى كثير من الأحيان أضعف الشيئين لأجتهد فى تمييزه والذود عنه ، ففضلت الجهل على العلم مرة وفضلت الحرب على السلم أخرى ، وناقشت فى ذلك أساتذتى وأناساً من كبار الزوار وأئمة العقول فى الديار المصرية

ثم عدت أراجع اليوم موقفى من أمثال ذلك السؤال ، وأعنى به كل سؤال يبتدئ بأيهما ويرمى إلى تغليب شىء على شىء كل التغليب

أصبحت أعتقد أنه سؤال لا يجوز أن يوجه إلى عاقل ولا يحتفل عاقل بالجواب عليه

فليس فى العالم الإنسانى مسألتان يكون الحق كل الحق فى إحداهما ويكون الباطل كل الباطل فى الأخرى

وإنما تختلف مواضع الاختلاف بمقدار نصيبها فى الحق كثرة وقلة وقوة وضعفاً لا بخلوها منه كل الخلو واشتمالها عليه كل الاشتمال

يسألنى بعضهم : هل تتغلب الديمقراطية بعد الحرب أو تتغلب الشيوعية ! فأقول مبدئياً إن الديمقراطية والشيوعية لن تبقيا كما هما الآن ، ولكن تأخذ الشيوعية من الديمقراطية وتأخذ الديمقراطية من الشيوعية وتتقابلان فى وسط الطريق ، ولكنى أعتقد أن موضع الالتقاء أقرب إلى الديمقراطية بكثير

ويسألنى آخرون : هل تفضل النهضة الفنية أو النهضة العلمية فى الأمم التى تحتاج إلى النهضات ؟

فأقول إن نهضة من هاتين النهضتين لن توجد على انفراد ، ولن تحيا أمة قط بالعلوم دون الفنون أو بالفنون دون العلوم ، فكل عالم تجرد من روح الفن عالم عاجز ؛ وكل فنان تجرد من روح العلم فنان غير موهوب ، ولا جواب « لأيهما » هنا إلا أن تقول « كلاهما » وتعود إلى التفصيل فى التفضيل

ويسألنى غيرهم : أيهما أحب إليك جمال المرأة أو جاذبيتها ؟ فأقول : وهل تتجرد الجاذبية من الجمال وتسمى جاذبية ؟ أو هل يتجرد الجمال من الجاذبية ويستحق بغيرها اسم الجمال ؟

فإذا بدأ السائل اليوم بأيهما ؟ أوشكت أن أجيب « كلاهما » قبل أن يتم السؤال

سألنى بعضهم مازحاً وقد سمع منى هذا الرأى : وأيهما على هذا القياس أفضل : البصر أم العمى ؟

قلت : وحتى هذا

نعم حتى هذا لا استثناء فيه ، لأن العمى هو انعدام البصر وليس هو ملكة تقابله مقابلة المناظرة والمشاكلة . فعلى هذا الاعتبار يمكن أن يقال إن احتجاب النظر فى بعض الأحوال

على هامش النقد

خواطر متساوقة

فى النقد والأدب والأخلاق

الأستاذ سيد قطب

مما يؤسف له أن يقف الناقد بين فترة وفترة ليرسم طريقه، ويحدد أهدافه، ويعلن عنها للقراء! ولكننا فى دور يفوعة أدبية، فلا مفر من الوقوف عند هذه البديهيات. ولعل مما يعزى عن ضياع الوقت والجهد فى هذه الوقفات — وإن كان موضع أسف جديد —، أن الناقد فى الشرق العربى، لا ينهض لتصحيح مقاييس الفن وحدها، ولكنه ينهض كذلك لتصحيح معايير الأخلاق!

وحينما تصديت لعمل « الناقد » كنت أدرك — كما قلت مرة — : « أننى لن أخرج من بين المؤلفين بكثير من الأصدقاء! فالفنان — بل الإنسان عامة — لا يرى فى الغالب إلا الصفحة الجميلة فى نفسه، لأن هذا الجانب هو الذى يسره ويلذه، ويملق كبرياءه ويغذى غروره. فإذا ووجه بالصفحتين جميعاً، فوجئ بالصفحة الأخرى التى يراها لأول مرة، وحسبها تزويراً عليه. وحتى لو اقتنع بأنها صفحة، فإنه لن يستريح لعرضها على نظره وأنظار الناس »!

ومن يومها وأنا أفقد الأصدقاء، واحداً إثر واحد، لأكسب عدداً معادلاً من الخصوم! بل عدداً أكبر لأننى أضم إليهم كل يوم خصوما... ولكننى أعاهد القراء على أننى سأمضى فى الطريق؛ فحسبى أن أعوض ما أفقد من بين القراء المحايدين وهم بحمد الله كثيرون!

ولقد احتملت منذ أشهر فقد صديق عزيز مقابل مقالة نقد، أعطيته حقه فيها دون تطفيف!

ولا بد أن يحتمل المرء ما يأسف له من الهنات الخلقية فى هذا السبيل أيضاً، فلبعض المؤلفين حاشية خاصة، وظيفتها التهليل والتكبير لكل ما يخرجون من أعمال، والدفاع — بكل أنواع الأسلحة — ضد النقد الحر، إذا استطاع ناقد أن ينفذ من هذه الشباك!

ولقد رمانى الحظ أخيراً فى وقعة من هذا النوع! فلم يكن بد من أن يصيبنى رشاش من هذه الهنات، وإذا كنت قد أسفت على شىء، فعلى أننى لم أكن عطوفاً عليها وأنا أفهم بواعثها الصغيرة.. وهل أقل من أن أكون جاهلاً؛ وألا أكون ناقداً لينجو مؤلف من حكم النقد العادل؟ إنها أيسر سبيل لتجريح هذا « الناقد » الذى لا يعرف كيف يتخلى عن وظيفته على الطريقة الساذجة المتبعة فى المحاكم من « تجريح » أفضل الشهود للحصول على البراءة عن هذا الطريق!

ما علينا. فمنذ اليوم سنعطف على مثل هذه الهنات!

***

وحينما تصديت لعمل « الناقد » كانت لى طريقة معينة أؤدى بها هذا العمل، لا أرى بأساً من عرضها هنا لقراء « الرسالة »:

إن عملى مع كل مؤلف هو وضع « مفتاحه » فى أيدى القراء الذين يقرأون أعماله متفرقة، ولا يدركون القاعدة التى تقوم عليها هذه الأعمال، ولا يتعرفون إلى شخصيته المميزة الكامنة وراء كل عمل

وهذا « المفتاح » ضرورى للتعريف بالأديب؛ وإلا كان

خير من النظر فى تلك الأحوال. ومنها النوم والراحة والإعراض عن القبح والشناعة وما لا يستحب النظر إليه فى جميع الأحوال، وليس لأحد أن يقول حتى في جواب هذا السؤال إن النظر خير من عدم النظر فى جميع الأحوال

ألم يقل المعرى فى هذا المعنى فقال:

قالوا العمى منظر قبيح قلت بفقدى لكم يهون
والله ما فى الوجود شىء تأسى على فقده العيون

فإذا أردنا الإنصاف قلنا: بل فى الوجود شىء تأسى على فقده العيون، وفى الوجود شىء لا تأسى على فقده العيون

و « كلاهما » ثم تفصيل فى التفضيل جواب صالح لكل « أيهما » على هذا الاعتبار.

عباس محمود العقاد

النقد عملاً جزئياً ليس وراءه كبير طائل بالقياس إلى القراء . ونقد كتاب دون بيان السمات « الشخصية » التي تطبعه إنما هو عمل ناقص لا يؤدي إلى شيء في هذا الباب

لا بل إن هذا « المفتاح » ضروري للمؤلف نفسه لا لقرائه وحدهم . فكثير من المؤلفين لا يعرفون أنفسهم ، ولا يلتفتون إلى خصائصهم . وهم يستفيدون من الناقد الذي يضع المرآة أمام وجوههم ليتبينوا فيها ملامحهم الأصيلة

وليس من وظيفة الناقد أن يغيّر من طبيعة المؤلف التي فطر عليها . ولكن وظيفته أن يعرّف هذه الطبيعة ويبلورها ، ويقيس أعمال المؤلف بها ، ويهديه إليها إذا ضل أو انحرف في فترة من فترات الضعف والضلال !

وكلما تناول الناقد أحد المؤلفين مرة ، يجب أن يصير هذا المؤلف « معرفة » لدى القراء : لا من حيث الشهرة والبروز ، ولكن من حيث تميز الملامح ، ووضوح الخصائص . فقد يكون المؤلف ذائع الشهرة عند آلاف القراء ؛ ولكنهم لا يدركون « من هو » على وجه التحقيق ؛ ولا يعرفون « مفتاح » طريقته الموحدة في أعماله جميعاً

وأذكر أنني سرت على هذا المنهاج في كل ما كتبته حديثاً من فصول النقد . فلم يكن همي هو التعريف بالكتاب فحسب ، بل التعريف بالكاتب أيضاً . وكانت سمات الكاتب العامة وخصائصه الأساسية ، هي التي تسترعي نظري ، وتنال اهتمامي . وكان المؤلف في نظري إنساناً ذا طبيعة قبل كل شيء ، ووظيفتي هي تصوير هذه الطبيعة . يستوي أن يكون المؤلف شاعراً أو باحثاً أو كاتب رواية أو قصة أو أقصوصة . فما يعنيني عنوان عمله بمقدار ما تعنيني طبيعة عمله

وعلى هذا الأساس تحدثت مثلاً عن أعمال تيمور ، وأعمال المشتغلين بالرواية والقصة والأقصوصة من الكبار والصغار ؛ وعن نزعته بين نزعاتهم ، وعن المدرسة التي يمكن أن ينمى إليها بين مدارسهم . فأما الذين فهموا طريقتي ، والذين يهمهم جوهر الطبيعة الفنية ، فقد وافقوني أو خالفوني فاهمين ، وأما الذين كل بضاعتهم مصطلحات وعنوانات ، ولا يملكون أن ينفذوا من ورائها إلى جوهر الطبيعة الفنية ؛ فقد راحوا يتمالون ببضاعة من الفهارس والمعجمات !

إن الأديب يكون ذا طبيعة واقعية أو رمزية أو خيالية ، ثم يكون شاعراً وكاتب رواية أو قصة أو أقصوصة ، أو كاتباً اجتماعياً ، أو باحثاً تاريخياً . والناقد المهتم بالطبائع الفنية ، قد يتجاوز العنوان الذي يقدم به أعماله ، ليبحث مباشرة في طبيعة هذه الأعمال ، كما أنه قد يراعى العنوانات الظاهرية مع الطبيعة الداخلية زيادة في التبويب والتقسيم . حينما يقف الآخرون أمام هذه العنوانات لا يتجاوزونها إلى النزعة الكامنة وراءها . لأنهم محرومون من الفطنة إلى طبائع الأشياء !

أحب أن يتنبه قرائي إلى هذا الاتجاه .

***

وبعد ؛ فالنقد ضريبة وتضحية ! فما أحسب « الناقد » في الشرق العربي إلا خاسراً لو حسب المسألة بالقياس إلى نفسه : إنه لا يرضى أحداً إلا القليلين . وإنه لينفق من الجهد ليقول شيئاً ذا قيمة — أكثر مما ينفقه في أي فن آخر من الفنون الأدبية ؛ فكتابة مقال تستأديه على الأقل قراءة كتاب ، أو عشرة كتب أو عشرين في بعض الأحيان . لقد صنعتها حينما كتبت في « الرسالة » منذ عام أربعة فصول عن الدكتور طه حسين و « مدرسة الأسلوب التصويري » والأستاذ توفيق الحكيم و « مدرسة التنسيق الفني » والأستاذ المازني و « طريقة الحركة الحيوية » والأستاذ العقاد و « مدرسة المنطق الحيوي » وقد كلفتني كل مقالة قراءة كل كتاب لهؤلاء الأربعة ومعظم ما كتبوه من مقالات . ولم أكن لأربح من هذا الجهد شيئاً لو اعتزمت أن أؤلف عنهم كتاباً . وكل ما يعزيني عن هذا الجهد أن هؤلاء الأربعة هم مع آخرين هم عندي اليوم موضوع كتاب !

ولقد كنت آخذ — في وقت ما — على بعض كتاب

الصحف الأول عندنا أنهم لا يخصصون جزءاً من وقتهم للنقد وتوجيه الحركة الأدبية . فالآن بدأت أفهم أنهم معذورون . فالنقد عمل يستنفد الوقت والجهد ، بلا تعويض مناسب . وخير لهم أن يؤلفوا كتباً موضوعية من أن يتتبعوا أعمال المؤلفين بالنقد . وقد لا يكون بين كل عشرة كتب يقرأونها كتاب واحد يستحق ما أنفق من الوقت في قراءته !

النقد ضريبة يؤديها الناقد من وقته وجهده ! – وأنا أؤديها قدر ما أستطيع – وإنني لأرغب في التخلي عن أدائها لأنشىء أعمالاً أدبية أخرى . فلولا أجازة أعطيتها لنفسي في صيف هذا العام ما استطعت أن أؤلف « كتاباً » . وأشهد أنني لم أتعب فيه أكثر من تعبي في إعداد مقال من مقالات النقد الصغيرة !

ولكنني أصرح – ويقل من شاء ما يشاء – بأنه ليس هناك الآن « ناقد » يؤدي هذه الضريبة . كان هناك رجلان يستطيعان أداءها – على اختلاف في النوع والطاقة – هما العقاد والمازني : فانصرفا – وحق لهما ذلك – إلى الخلق والإنشاء

ثم تصدى لها الدكتور مندور . والدكتور مندور من خيرة الشبان المثقفين ومن القلة النادرة بين « الجامعيين » في مصر الذين لديهم ما يقولونه ، وما يزيدون به شيئاً غير الفهارس والعنوانات . ولا يمنعني ما شجر بيني وبينه في وقت من الأوقات من الاعتراف له بهذه الخصائص

ولكنه – مع هذا كله وعلى الرغم من كتاب الميزان الجديد – لا يصلح ناقداً . إنه ناقل ثقافة وشارح آداب . أما النقد فلا . إن الحاسة الأولى للناقد تنقصه : حاسة التفرقة لأول وهلة بين الأصالة والزيف ، وبين النضج والفجاجة

فالناقد الذي يخلط بين طبيعة المتنبي وطبيعة الأستاذ محمود حسن إسماعيل ، فيرى أن هناك خيطاً – ولو ضئيلاً – يصل بين هاتين الطبيعتين ، إنما تنقصه الحاسة التي تفرق بين الأصالة والزيف ، ولو تشابهت الظاهر في بعض الأحايين

والناقد الذي يعجبه « تيمور » حين لا يعجبه « توفيق الحكيم » إنما تنقصه الحاسة التي تفرق بين النضج والفجاجة ، أيا كانت النزعة التي ينزع إليها هذا أو ذاك ، وأيا كانت الطريقة التي يسلكها : فالعمل الفني الناضج ينال مكانة ، مهما تكن عيوب النزعة التي أملته والطريقة التي يسلكها ، والعمل الفني الفج لا ينال هذا التقدير مهما تكن نزعته واتجاهه .

ليست المسألة أن هذا اللون يعجبك أو ذاك . ولكنها في الصميم ، إن هذا أصيل أم زائف ، وناضج أم مبتسر . وتلك مسألة لا تخفى معالمها على الناقد الأصيل

ويكون الإنسان قارئاً ومثقفاً ، ولكن هذه الحاسة هبة تنميها الثقافة ، وتعجز عن خلقها في النفوس

والدكتور مندور يبدع ويعجب ما ظل يتحدث عن المبادىء العامة ، ولكن الزمام يفلت من يده عند التطبيق ، فتختلط عليه الأصالة بالزيف والنضج بالفجاجة . وتستهويه بعض النزعات الأدبية دون بعضها ، فيضله هذا الاستهواء كما حدث في نماذجه عن « الشعر المهموس » وفي حديثه عن « تيمور »

وهذا لا ينقص من قدر الدكتور مندور ؛ فنحن في مرحلة بعد نقلة الثقافة فيها هم رواد الجيل .

سيد قطب



٢ - أبو تمام

بين عبقريته وسرقاته

للأستاذ دريني خشبة

استطاع أبو القاسم الآمدى أن يحشد لنا فى كتابه الموازنة طائفة كبيرة جداً من أشعار أبى تمام التى سطا فيها على معانى غيره من الشعراء ، والتى تركها تختمر فى رأسه — كما يعبر الآمدى — أو التى اتكأ فيها على نفسه — كما يقول أبو بكر الصولى — حتى أخرجها آخر الأمر زائدة المعنى ، أو معدولاً بها عن معناها الأصلى ، أو مذهوباً بها تلك المذاهب الطريفة التى تصورها ابن الأثير ، والتى قسمها إلى تلك الأقسام الخمسة : من نسخ ، ومسخ ، وسلخ ؛ وأخذ المعنى مع الزيادة عليه ، وعكس المعنى إلى ضده ، على نحو ما بيناه فى الكلمة السالفة . وكان ابن الأثير يضرب الأمثال لكل من هذه الأقسام بأبيات شائقة لشعراء مختلفين ، وكان ماخص منها أبا تمام شيئاً كثيراً . وسنجهد هنا أن نطبق موازينه على السرقات التى أوردها الآمدى ، لنرى أن أبا تمام كان يسرق حقاً ، وكان يستر هذه السرقة فتخفى على الناس أحياناً ، ثم تكشف عن نفسها أحياناً أخرى ، بل أحياناً كثيرة . وسنرى أنه كان يزيد فى المعانى المسروقة معانى مبتكرة يوفى بها على غاية الحسن ... بل يظهرها بها فى صور عجيبة لا يقدر عليها إلا خيال فنان مبتكر ، قادر على التوشية الحية ، والتلوين البديع . وسنرى أيضاً أنه كان يغلو فى صوره ، حتى يجعلها ضرباً من الألغاز ، يكاد ينقلب إلى ضرب من السخف ، لما يحشد فيها من الإغراب والتعقيد .. الأمر الذى جعل حساده يقولون فيه : إنه ابتعد عن عمود الشعر ، لإسرافه فى استعمال أدوات البديع ... استعمالاً حسياً أحياناً ، واستعمالاً معنوياً فى أغلب الأحيان

وسنرى كذلك أن أبا تمام كان يمسخ المعانى المسروقة ، ويقصر بها عن صورها الأصلية الرائعة ، وسنرى أن علامات السرقة التى نص عليها ابن الأثير ، ولا سيما فى السلخ بأنواعه ، مستوفية فى كثير من سرقات شاعر المعانى الخالد

١ — فمن نسخ أبى تمام قوله :

وركب كأطراف الأسنة عرسوا
على مثلها والليل تسطو غياهبه

أخذ صدره من بيت كثير :

وركب كأطراف الأسنة عرسوا
قلائص فى أصلابهن نحول

وأخذ قوله :

لما رأى الحرب رأى العين توفلس
والحرب مشتقة المعنى من الحرب

من قول إبراهيم بن المهدى :

وسمر الحرب ، واسم الحرب قد علموا
لو ينفع العلم ، مشتق من الحرب ؟

ولم ينفعه ستر السرقة بقوله مشتقة المعنى بدل اشتقاق الإسم

وأخذ قوله :

كأن بنى نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

من قول جرير :

أمسى بنوه وقد جلت مصيبتهم
مثل النجوم هوى من بينها القمر

أو من قول مريم بنت طارق :

كنا كأنجم ليل بينها قمر
يجلو الدجى ، فهوى من بينها القمر

وأخذ قوله :

وكانت لوعة ثم استقرت ... كذاك لكل سائلة قرار

من قول الفرزدق :

أنتم قرارة كل مدفع سوءة ... ولكل سائلة تسيل قرار

وأخذ قوله ، وهو يجمع بين النسخ والمسخ :

فلو أبصرتهم والزائرين ... لما ميزت الحميم من البعيد

من قول محمد بن بشير الخارجى :

وإذا رأيت صديقه وشقيقه ... لم تدر أيهما أخو الأرحام

ولا غرو أن بيت الخارجى أروع !

وأخذ قوله ، وزاد فى معناه وأبدع :

تعوّد بسط الكف حتى لو انه دعاها لقبض لم تجبه أنامله

من قول مسلم بن الوليد :

لا يستطيع يزيد من طبيعته عن المروءة والمعروف إحجاما

والنسخ هنا كلى فى المعنى ، مع تجويد فيه ، وتبديل للألفاظ

وقوله فى مغنية تغنى بالفارسية :

ولم أفهم معانيها ولكن شجت كبدى فلم أجهل شجاها

من قول الحسين بن الضحاك فى الظرف نفسه :

ولا أفهم ما يعنى مغنينا إذا غنّى

سوى أنى من حبى له ، أستحسن المعنى !

وذلك مما يلحق أيضاً بآخر ضروب السلخ عند ابن الأثير ، وهو الأخذ عن معنى ثم الانتهاء إلى جنتين مختلفتين ! والحقيقة أننا حرنا فى أى القولين أشجى وأيهما أملح وأروح ؟

وأخذ صدر البيت التالى ، وعدل بعجزه :

لايحسب الإقلال عُدْماً ، بل يرى

أن المقل من المروءة معدم

من قول أبى داود الإيادى :

لا أعد الإقلال عدما ، ولكن فقد من فقدته الأعدام

وعجز بيته :

فتى فى يديه البأس يضحك بالندى

وفى سرجه بدر وليث غضنفر

من بيت مسلم :

تغضى المنايا كما تغضى أسنته كأن فى سرجه بدراً وضرغاما ؟

ونسخ هذين البيتين :

ما اليوم أول توديعى ولا الثانى

البين أكثر من شوق وأحزانى

وما أظن النوى ترضى بما صنعت

حتى نشافه بى[1] أقصى خراسان

من قول الأرقط بن دعبل :

نهنه دموعك من سح وتسجام

البين أكثر من شوقى وأسقامى

وما أظن دموع العين راضية حتى تسح دما هطلا بتسجام

ونسخ هذين البيتين :

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء

فلا والله ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

(١) فى الآمدى (حتى تبلغنى) وقد أثبتناها كما فى الديوان .

من قول النظار بن هاشم الأزدى :

يعف المرء ما استحيا ويبقى نبات العود ما بقى اللحاء

وما فى أن يعيش المرء خير إذا ما المرء زايله الحياء

ولا يخفى أن تعبير أبى تمام أسلس ، وإن لم يبق على معنى الأزدى المسكين !

وقوله :

إليك هتكنا جنح ليل كأنه قد اكتحلت منه البلاد بإثمد

من قول أبى نواس :

أبِنْ لى كيف صرت إلى حريمى

ونجم الليل مكتحل بقار ؟

ولا يخفى أن أبا تمام وإن سرق من أبى نواس إلا إنه أجاد عنه ولم يقع فيما وقع هو فيه من قبح بتكحيل النجم بالقار — أى الزفت ؟ —

ونسخ قوله :

حمراء من حلب العصير كسوتها

بيضاء من حلب الغمام الرقرق

من قول مسلم :

صفراء من حلب العصير كسوتها

بيضاء من حلب الغيوم البُجَّس

وقوله :

وأحسن من نوْر تفتّحه الصبا

بياض العطايا فى سواد المطالب

من قول الأخطل :

رأين بياضاً فى سواد كأنه بياض العطايا فى سواد المطالب؟

وقوله ، وهو يجمع بين النسخ والسلخ :

لو كان فى الدنيا قبيل آخر بإزائهم ما كان فيها معدم

من قول بشار :

لو كان مثلك آخر ما كان فى الدنيا فقير

ونختم هذه المنتخبات التى وضعناها فى باب النسخ ، والتى تخيرناها من أكثر من ألفى بيت مما حشده الآمدى من سرقات أبى تمام ، بما رواه أبو محمد بن اليزيدى[1] قال : قال دعبل : لما مات ذفافة العبسى رثاه أبو سلمى المزنى ، من ولد زهير ، واسمه مكنف ، وكان بينهما هجاء فى إخاش بقصيدة منها :

(١) ذكر الصولى الواقعة ونسب روايتها إلى محمد بن موسى بن حماد ص ١٩٩

أمتع قصص الحب في الأدب الفرنسي

هيلوئيز الجديدة (*)

La Nouvelle Heloïse

للأستاذ صلاح الدين المنجد

كان الحبّ في القرن السابع عشر يُرافق البطولة ويُصاحب الشرف . ولقد رأيتَ أن الأميرة دُكليف ، خشيت أن تؤذى في الحب . فأفضَتْ إلى زوجها بأنها أحبَّتْ ، لئلا يمسّ شرَفُه وتُعفَّرَ كرامته . فلما أتى القرنُ الثامن عشر ، مالت المرأة إلى دراسة شمائل الرجل وعاداته من خلال الحب . وانقضى ما كان من قبل من حب هائم ، يُسْهِر الليل ويُذْهل اللب ، ويُضنى الفؤاد .

وما لبث النـاس أن انطلقوا . . . يلذُّون ، ويفكرون فساقهم هذا الانطلاق البعيد إلى الملل ، ودفعهم الملل إلى حب الطبيعة ، والرغبة في البساطة ، والبعد عن التكلف ، مما هيأ النفوس لقبول رواية هيلوئيز الجديدة ، والعناية بها .

***

كان روسّو قد أشرف على الخامسة والأربعين من عمره ، عند ما كتب هذه الرواية وكان قد نشأ ابن ساعاتي في جنيف . ثم ماتت أمه وهو صغير . وفر أبوه من رجال الحكومة وتركه فولج كل باب ، ودخل كل مدخل ، ثم مضى لاهياً متشرداً لا يحفل أحداً .

واتصل بمدام دفرنس ، فكانت خليلته وربيطته من غير أن تحبه . كما كانت جورج ساند ربيطة شوبان « Chopin » من بعد. ثم تركها وصنع كل صناعة . فكان ناموساً لأرشمندريت ، ثم سفيراً ، ثم سارقاً ، ثم موسيقياً ، وإلى هذا كله ، كان فناناً ، حالماً ، مرهفَ الحسّ ، رقيقَ الشعور ، يحس جمال الطبيعة ، ويعشق اللذائذ الصافية البسيطة ، وكان يرنو إلى زرقة السماء ، وخضرة الحقول ، وجريان المياه ... ويداعب في نفسه حلماً جميلا .

(*) انظر ما كتبناه من قبل عن الأميرة دوكلف ، في هذه المجلة

أبعد أبي العباس يستعتب الدهر ... وما بعده للدهر عُتبي ولا عذر

ألا أيها الناعي ذفافة ذا الندى ... تعست وشلت من أناملك العشر

ولا مطرت أرضاً سماء ولا جرت ... نجوم ولا لذت لشاربها الخمر

كأن بني القعقاع بعد وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

توفيت الآمال بعـد ذفافة

فأصبح في شغل عن السفر السفر

وما كان إلا مال من قل ماله

وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر (١)

قال أبو محمد : أنشدني دعبل هذه القصيدة ثم جعل يعجب من أبي تمام في ادعائه إياها وتغييره بعض أبياتها !

وقصيدة أبي تمام التي يقصدها دعبل هي مرثيته الخالدة التي رثى بها محمد بن حميد الطوسي ومطلعها :

كذا فليجل الخطب ، وليفدح الأمر

فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

والتي قهر بها أبو تمام أعداءه ، بما أبدع فيها من معان ، أقلقت بال دعبل ، وسهدت جفنيه ، فأخذ أبياتاً من مرثية أبي سلمى المزني في زفافه ، وخلطها بروائع أبيات أبي تمام ، ولا سيما :

توفيت الآمال بعـد محمد ... وأصبح في شغل عن السفر السفر

وما كان إلا مال من قل ماله ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر

كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

ثم جعل يشنع بها على أبي تمام . . . ولو فطن إلى سرقات أبي تمام التي وقع عليها الآمدي في هـذه المرثية ، والتي أشرنا إلى بعضها في هذه الكلمة لكان خيراً له من ذلك التلفيق .

وفي أخبار أبي تمام للصولي (ص ٢٠١) أن محمداً بن موسى حدث بذلك الحسن بن وهب فقال : أما قصيدة مكنف هـذه فأنا أعرفها ، وشعر هذا الرجل عندي ، وقد كان أبو تمام ينشدنيه ، وما في قصيدته شيء مما في قصيدة أبي تمام ، ولكن دعبلا خلط القصيدتين ، إذ كانتا في وزن ، وكانتا مرثيتين ، ليكذب على أبي تمام ! !

وعلى هذا فليس في ذلك نسخ كما وهم بعض نقاد أبي تمام ومنهم الآمدي .

(يتبع) درويش خشبة

(١) رواية الأبيات في كتاب الصولي على غير ترتيب الآن وفيها خلاف وزيادة

وقصد باريس ، حالماً بالمجد . كان يتمنى نصر الأبطال وخلود العباقرة . ولكن ما هو الثمن الذى ينبغى أن يؤديه ؟ لقد اخترع طريقة لترقيم الوسيقى ، وكتب غنائية لم ينشرها ، ثم إنه يحس أنه قادر على التأليف ، فهل يكفى هذا ... ؟

وكان إلى ذلك أيضاً رقيق المشاعر ، ولكنه متكبر . وكان يعيش فى الخيال . ويبتعد عن الواقع ، ويقول : « إن الإنسان لا ينعم بما يناله ، بل بما يأمله . ولا يحس المرء السعادة إلا عند ارتقاب السعادة . » فرجل كهذا ، قد يجد فى عزلته من النعيم مالا يجده بين الناس . ولكن هناك المجد .. وكيف يدركه ؟

واستطاع أن يتصل بمدام دوبان Mme. Dupin التى كانت تستقبل عظماء باريس كلها وصادق ابن زوجها « فرانكويل » Francueil وكان هذا عاشقاً « مدام دبيناى Mne d'Epinay » ثم انضم إلى جانب الفلاسفة . وعندما وضع مجمع ديجون Dijon بالسابقة خطابا حول الفنون والعلوم ، كتب دفاعه الشهير ثالباً محاسن المدنية : »

« ... أيتها الفضيلة ، أما نقشتِ مبادئك فى جميع القلوب ، أو لا يكفى ، لكى نعلم قوانينك ، أن ينحنى الإنسان على نفسه فيصغى إلى صوت ضميره ، عند صمت الأهواء ... »

وذاع صيت روسّو ، وعُرف بأنه عدو لدود للعواطف المتكلفة ، وأنه صديق الطبيعة . هذا أول لقب من ألقاب المجد ، فليفتش عن لقب آخر

وفى السنة ١٧٥٢ ، مُثِّلت روايته « عرّاف القرية Le Devin du village » أمام الملك فى فرساى ، وأوتيت حظاً كبيراً من النجاح فتطلّع الناس كلّهم إلى معرفة روسّو والتحدث إليه

لكن هذا العالم الذى استقبله ورحّب به ، لم يكن قد خُلق له . ولم تكن أبهاء باريس ، وما فيها ، لتروقه . « كانوا يلهون ، يحاولون الجمع بين الفكر والعقل ، ولا يتعمقون فى المباحث خوف الملل . ويجنحون إلى الإيجاز ، ثم لا تجد واحداً ينقد رأىَ آخر ، أو يؤيده ، ويتعصّب له ... »

فماذا يفيد روسّو من هذه الحادثات ؟

وعزف عن الناس ، وانقطع إلى مدام دبيناى ، فى أحضان الطبيعة

وهفت نفسه إلى تأليف رواية يدور موضوعها على الحب ؛ هذا الحب الذى لم ينعم به فى أيام صباه ، وقد هاجه ما يحيط به فى عزلته هذه ، فى دار مدام دبيناى . لقد ذاق طعم حياة هادئة فيها راحة وهناءة وسذاجة . وتمتّع بمرأى الغابات والحقول ، ولذّته أناشيد العصافير ، وأسكرته عبقات الأزاهير . إنها عزلة حلوة ، ولكن ، ما كان أكثر جمالها وأشد هناءتها ، لو كانت عزلة مخلوقين اثنين عن الناس ، عزلة قلبين متحابين يعيشان فى دار كهذه ، وينعمان بطيب الحياة . وكان الربيع الطلق قد أقبل يضحك ويغنى ، وفى كل مشهد من الطبيعة نداء للحب . فأغراه ذلك كله على كتابة رواية ما . فبدأ ، وأحاط حوادثها بمنظر الطبيعة التى عاش فيها وتمتع بروائها ، أيام كان صبياً غض العود ، على ضفاف بحيرة جنيف . وسماها هيلوئيز الجديدة لأنها تشابه مغامرة هيلوئيز وآبيلار ، المؤدب الذى عشق الفتاة التى عهد إليه أن يؤدبها . وتخيل شاباً لا نسب له ولا مال ، اسمه سان برو ، يحاكى روسو فى خلقه ، ويخالفه فى تبلده ، قد أتى به ليؤدب جوليا ابنة السيد ديتانج الغنى السويسرى . وكانت قد أوتيت الجمال والشرف والتهذيب . فما أن رآها حتى أحبها . فكتم حبه . فلما ثار الهوى ، وضاق به ذرعاً ، كتب إلى جوليا رسالة حبه الأولى . وهى رسالة رقيقة تفضى إليها بحبه

كان سان برو كروسو ، تؤثر فيه العواطف وتهزه الأهواء . وكان ، كما قلنا ، خيالياً حالماً . فلم يطمع من جوليا بما يصعب نواله ويستحيل إدراكه ، بل كان يريد أن يقول لها : « إن ملامحك خلابة بهرت عينى ... »

« ... إن أبصارنا تتلاقى ، فتفلت من صدورنا بضع آهات فى وقت معاً ، وتنحدر بضع دمعات ...

« ... لقد حاولت اليوم ، مائة مرة ، أن أرتمى على قدميك فأنديهما بعبراتى ، فيفل شجاعتى دائماً رعب قاتل ، وترجف ركبتاى ولا تطيقان ثنياً .. »

وينمو الحب فى قلبى العاشقين . ويحاول سان برو أن يفر خوف الفضيحة فيسافر ، وتتبعه رسائلها تدعوه فيها لكن كيف السبيل إلى صون الشرف . كلا العاشقين قد أذلها الهوى . ويريدان أن يبقيا شريفين طاهرين ؛ فكانت تتمنى ألا يجفوها

صادقة فى حبها إياه ، ولم يشأ روسو أن يغربها .. فتألم ويئس ، وأذعن ، ثم شعر بالملل ، وكان يراسلها فانقطع عن مراسلتها .

وعاد روسو إلى روايته يتمها ...

فتخيل أن جوليا تُجبر على زواج رجل روسى نبيل اسمه سان برو ، وتتطلب أن يحبها ، وأن يصونها ويحترمها

ولكى تتم الرواية ، جعل روسو لهذين البطلين وصيفين يكتمان أسرارهما . فاتخذت جوليا ابنة عمها ، واتخذ سان برو صديقه ميلورد ادوارد ، ويجتمع سان برو بجوليا ، وتكون معهما كابر فى غيضة شعرية ، ويكون مشهد القبلة الشهير

« فلما دخلتها ، دهشت لرؤية ابنة عمك تقترب منى وتسألنى قبلة بدلال واستعطاف فقبّلت هذه الصديقة الفاتنة غير مدرك من السر شيئاً ، ولكن رباه ! ماذا أصابنى بعد لحظة ، حينما أدركت ... لقد رعشت يدى ، وأحسست قشعريرة لطيفة تدب فى جسمى ، وشعرت بفمك الوردى ، فم جوليا ، يلتثم فوق فمي ، وبذراعيك تضمان جسمى . أواه ! كلا ليست نار السماء بأكثر تأججاً ، ولا أشد سرعة من النار التى سرت تلك اللحظة فى جسمى . لقد كانت النار تندلع من آهاتنا ، وتتأجج فى لاهبات شفاهنا ، وكاد قلبى يموت تحت عبء اللذة ، ثم رأيتك ، وقد شحب وجهك ، تغمضين عينيك الحلوتين ، وتتكئين على ابنة عمك ، ثم تسقطين على الأرض من الإغماء . عندئذ أطفأ الرعب سرورنا ، فلم يك نعيمي غير سنا خاطف كالبرق ...

« إن أثر الإحساس العميق الذى أحسسته لن يزول أبداً . احفظى قبلاتك يا جوليا ... فأنا لا أستطيع احتمالها ... إنهن شديدات الأثر ، يخزن ويحرقن حتى اللب »

ويتأجج الحب ويفور وتقسم جوليا ألا تتزوج أحداً غير سان برو

ويحاول سان برو أن يهدىء من فوران حبه ويخفف ثوران هواه فلم ير بُداً من السفر . فغاب وفى إبان غيبته ، أعلم السيد ديتانج ، ابنته جوليا ، أن زواجها رجلاً غير ذى نسب ونبالة مستحيل

فلما عاد سان برو ، هزها الشوق ، وعطفها إليه الحنين ، فتقربت منه ، وأزلها الشيطان ، فأضحت خليلته ، وعندئذ شعرت بوخز الضمير

« ليعزب هذا البربرى إلى الأبد عن وجهي ، ليمض فلا يضاعف بحضوره آلام روحى ، ليكف عن التلذذ الوحشى بتأمل دموعى ، ماذا أقول ؟ وا أسفى على نفسى ! إنه ليس مجرماً . أنا المجرمة وحدى . إن مصائبى لمن صنع يدى ، وليس لى أن ألوم غيرى »

ويسعى ميلورد ادوارد فى إرجاع الأب عما عزم عليه ولكن سعيه كان فشلا . واضطر سان برو إلى مغادرة سويسرة فقصد باريس .

وتكشف السيدة ديتانج بعد سفر ، رسائل العاشقين .

« ضاع كل شىء ، وانكشف كل شىء . لم أجد الرسائل فى المكان الذى خبأتها فيه ، مع أنها كانت فيه أمس مساء ، لا بد أنها لم ترفع من مكانها إلا اليوم ، وقد تكون أمى وحدها استطاعت أن تراها ، ولئن رآها أبى ، فليكون هذا آخر عهدى بالحياة ! »

ويقف روسو ، برسائله وروايته عند هذا الحد ، وكان يحمل هذه الرسائل فى حقيبته ، ويقرأهن على النساء ، فيبكين رقة وأسى ، وكان يعتقد أن روايته قد تمت ، وأن الحبيبين افترقا إلى الأبد ، فلا لقاء ، لكن حادثاً يقع ، فيكون نتيجة لتلك القصة الخيالية . وهذا مثال واضح يفسر الصلة بين الرواية والحياة وبين الخيال والحقيقة

***

عرف روسو ، فى هذه الحقبة ، مدام دوتو . وكانت هذه ، شأن كثيرات من نساء القرن الثامن عشر ، قد فركت زوجها وأحبت سان لامبير ، القائد الشاعر ، عاشق مدام دُشاتليه

وصادف أن لجأت إليه — وهو فى عزلته عند مدام ديبيناى — وحِلةً قد بللها المطر . ثم زارته زورة ثانية ممتطية حصاناً ، وقد تزيت بزى الرجال .

يقول روسو : « ... ورغم أنى لا أحب شبيهات هذه السخريات ، فقد بهرتُ بشكلها ، وأحببتها ... »

لم تكن مدام دوتو ، جميلة . ولكنها ذات سحر وجاذبية . وسرعان ما اشتد حبه وانتقل لجأة من العالم الذى كان يتخيله على الورق ، إلى عالم فيه ما يلاقيه الهائمون من الوله والحنين والشكوى . وكانت ، تياهة ، طياشة ذات دل ورقة ، وكانت لا تأبى على روسو النزهات فى ضوء القمر ، أو القُبلات على حفافى النهر . لكن قلبها كان شارداً . أسره رجل غير روسو ، وغير زوجها . رجل قائد خيل إليه أنه شاعر ، وأوهمته أنها

صادقة فى حبها إياه . ولم يشأ روسو أن يغربها . . فتألم ويئس . وأذعن . ثم شعر بالملل ، وكان يراسلها فانقطع عن مراسلتها .

وعاد روسو إلى روايته يتمها ...

فتخيل أن جوليا تجبر على زواج رجل روسى نبيل اسمه ولمار قد أوتى بسطة من البلادة ، وأن سان برو ، يُذعن ؛ وقد يئس . ثم يجعلها فى حل مما كانت عاهدته عليه ، فلا تتزوج غيره . وتذعن جوليا إطاعة لأبيها ، وشفقة على حبيبها ويضطرب سان برو ، فيسافر ليطوّف فى البلاد ، مسكينة جوليا إنها لم تذق من هواها غير القلق والخوف واليأس .. ولم تلق فى طريقها غير حبيب أحبته ، فأبعد منها ، وزوج لم ترض عنه قرّب إليها .

فلما طوّف كثيراً ، عاد فنزل عند ولمار نفسه زوج جوليا . وحادث جوليا أول محادثة ، وكانت خجلى ، وحاولت أن تبدى عذرها فى زواجها ، ولكن زوجها فاجأهما ...

يقول روسو « ... ولم نعبأ ، وظلت تتكلم بحضوره كأنه لم يكن . وعند ما سكتت قال لى : هذا مثال من الصراحة التى تسود هنا . وإذا شئت أن تكون فاضلاً حقاً ، فاتبع هذه السبيل . هذا هو الرجاء الوحيد والأمثولة الطيبة اللذان أقدمهما لك . إن أول خطوة نحو العار أن تخفى الأعمال العلانية . إن حكمة واحدة يمكن أن تحل محل الحِكم كلها . وهى : لا تعمل ولا تقل ما لا تريد أن تنظره من الناس أو تسمعه منهم ... »

لقد حاولت جوليا إدراك سلام القلب مع زوجها ، رغماً عن هواها القديم الذى يثور فى فؤادها . وهكذا انقلبت الرواية إلى درس أو منهج للأخلاق

لقد أراد أن يثبت أن الإخلاص بين الزوجين هو أهم واجبات الزوج شأناً ، وأن الهوى المنيف عند ما تكون الفتاة عذراء ، إذا دام بعد زواجها من لا تحب يصبح جريمة . وأن المرأة تستطيع أن تُنشئ حياة سعيدة على أنقاض حب عظيم

وتقضي جوليا العيش مع زوجها ، فى الحقول ، يراقبان الخدم ، ويوجهان الزارعين ، ويُعنيان بالكروم

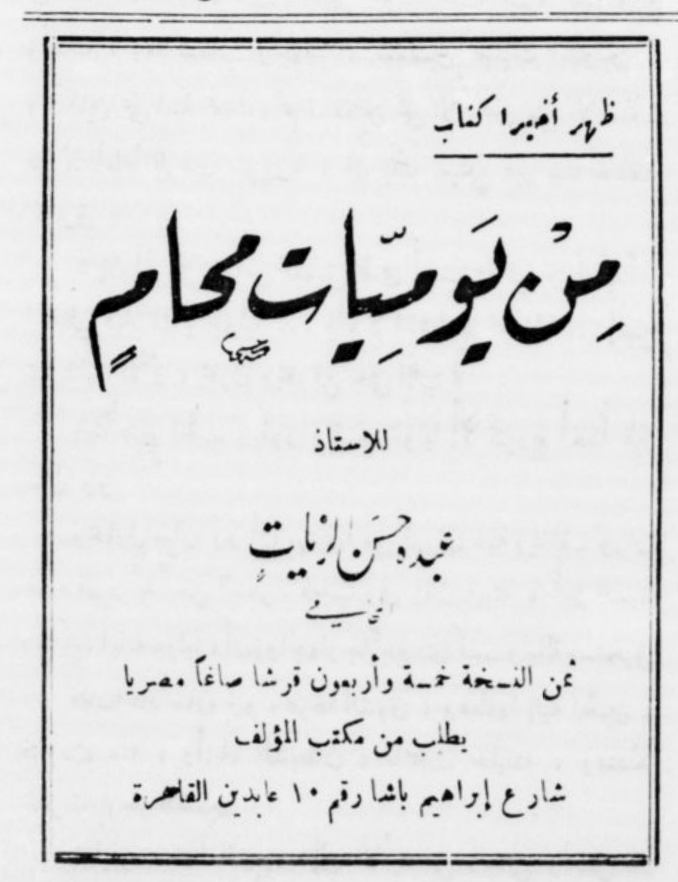
ويُعجب سان برو ، بحكمة ولمار وجوليا ورجاحة عقليهما . ويصف الخدم والحديقة ، وصفاً ممتعاً ، ولكنه لم يستطع أن يُطفئ لهب هواه ، أو ينسى حبه القديم فقد كان كل شىء يذكره ويذكرها بنعيم مضى ... وعند ما اتخذت جوليا قارباً تتنزه فيه ، فكرا معاً فى ذلك الماضى الجميل « ... كان صوت المجاديف المتزن ، يثيرنى لأحلم . وكانت صدحات دجاج الحقول المرحة تذكرنى بنعميات عمر مضى فتحزننى بدلاً من أن تفرحنى . وشعرت ، رويداً رويداً ، بازدياد الغم الذى كنت به مثقلاً . فلا صفاء السماء ، ولا طراوة الهواء ، ولا شعاعات القمر اللطيفة ، ولا رعشات الماء الفضية حولنا ، حتى ، ولا وجود هذه المخلوقة العزيزة ، لم يستطع أن يطرد عن قلبى ألف فكرة مؤلمة ... »

ويُنهى روسو روايته بموت جوليا . بعد أن أوصت سان برو بزواج كلير ابنة عمها ، ولكنه أبى . وعاش مع كلير ينشئان أولادها ، وفاء لها

* * *

تلك خلاصة موجزة عن هيلوئيز الجديدة . ولقد أوتيت من الانتشار مالم يقدّر لغيرها . وقرأها النساء والشبان والشيخان ، بحماسة ولذة . وظلت طوال القرن الثامن عشر ، رواية الجمهور . لقد علّم روسو بها الحب نابليون ، وأخذ عنه غوته وستاندال أيضاً . وعلم بها الناس الفضيلة ، فكان قائداً أخلاقياً ، ثم علمهم بها حب الطبيعة فأحبوها ، وكان أباً وأستاذاً للابتداعيين الذين أتوا بعده .

صلاح الدين المنجد



السلم العالمية

حلم قريب الأمد

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

كتب الأستاذ محمد توحيد بك السلحدار فى عدد سابق من « الرسالة » مقالاً عنوانه منع الحرب حلم الأبد ، وأقول رداً عليه إن السلم العالمية حلم قريب الأمد

والحق أننا نعيش الآن على مسمع من قصف المدافع وأزيز الطائرات ، وعلى مرأى من مشاهد حرب شنيعة المهلكات

ولا شك أن أحداً من الدول المشتركة فى هذه الحرب القائمة لم يكن يرغب فى إثارتها ، ليكتوى بنارها . والواقع المسلم به أن كل دولة تتبرأ من إعلان الحرب وتصرح بالابتعاد عن تبعة إثارتها

ولم يكن الأمر كذلك فى قديم الزمان ، إذ درج الحكام والملوك والأمراء على التفاخر بالعدوان ، والمباهاة بالقوة والبأس والسلطان . فإذا كنا نرى فى الوقت الحاضر أن أصحاب العروش وذوى التيجان وأقطاب الدول والزعماء المحركين للشعوب يتنصلون من تبعة الحرب ويتبرأون من إعلانها ، فلا شك أن هذا دليل يحمل فى طياته النزعة القوية إلى السلام ، ويبشر بتحقيق هذا الحلم الذى كان من أطماع الناس فى القديم ولا يزال من آمالهم حتى الآن

والقول فى الحرب أو فى السلام يقتضى منا الإشارة إلى الأسباب التى تسوق الدول إلى الخصام أو تدفع بها فى سبيل الوئام .

قال الأستاذ توحيد بك السلحدار فى أسباب الحرب ما نصه: « إن الغرائز والشهوات ما زالت تتغلب على العقل ، والطبيعة لم تصلح بعد من شأن النزعات الأنانية ، ولم توجهها إلى التعاون الصادق ، والإنسان مقسور على الكفاح فى الحياة ، والدول من طبعها أن تتعمد التوسع وترغب فى الفتح والسيادة الدولية بالمنافسة المطلقة فى الاقتصاد والصناعة والتجارة والتسلح . وهذه سبيل لا مندوحة فيها عن الحرب بين حين وحين »

وقد جمع الأستاذ بين الدوافع النفسية فى الفرد وبين العلاقات الدولية وتنافر مصلحة الجماعات

والحجة لا تستقيم بذكر طبائع الفرد وخصائصه ، لأننا بصدد حرب بين دولة وأخرى ، ومن المسلم به أن طبائع الجماعة تختلف عن طبائع الفرد ، كما هو معروف لكل من درس علم الاجتماع

والدليل على نقض تلك الحجة النفسية هو نفور الجند فى هذه الحرب الحاضرة من الحرب ، لأنها جماعات وكتل بشرية تترك فى الميادين يفقد فيها الفرد شخصيته المستقلة .

وأبلغ دليل فى هدم كيان تلك الحجة النفسية القائلة بحب الكفاح . وتغلب الغريزة والشهوة والأنانية ، أن الأفراد يعيشون فى داخل الدولة الواحدة ، ويرتفع عددهم إلى ملايين قد تزيد على المائة ، وتسود فيهم بطبيعة الحال غرائز الكفاح والأثرة والمغالبة والنزوع إلى السيطرة والسلطان ، ومع ذلك تعيش هذه الجماعة ، الواحدة كخلية النحل ، كل فرد يقوم فيها بعمل ، يكسب معاشه ، ويتصل بغيره من الأفراد فى سبيل كسب المعاش ، دون أن تقع بينهم معارك دامية ، إلا ما يحدث من الخصام المعروف بين الأفراد ، الذى يحله القانون ويقتضيه الأمن والنظام .

فنحن نسلم بوجود النزعة إلى الكفاح فى الفرد ، وقد اقتضت الحضارة والمدنية أن توجه هذه النزعة إلى كفاح الحياة والتغلب على عقبات المعيشة ، وتذليل البيئة المحيطة بالإنسان وتسخيرها لمصلحته ، ودفع عدوان الأمراض والأوبئة وهى أفتك بالإنسان من أسلحة الحرب .

والبوليس والقضاء كفيلان بضبط الأمن وحفظ السلام بين سكان الدولة الواحدة .

فالمسألة فى السلام هى خضوع الجماعة لحكومة واحدة ونظام واحد ، لأن الحرب تقع بين الدول لا بين الأفراد .

فهل يصبح العالم بأسره خاضعاً لحكومة واحدة ، وتتحول النزعة الوطنية إلى دولة واحدة وعالم واحد ونظام واحد ؟

ذلك أن العلة الأساسية فى الحروب هى انقسام العالم إلى دول تنطوى على نفسها ، وتحتفظ كل واحدة منها بشخصيتها المستقلة ، وتشيع العقيدة فى نفس بعضها أنها أقوى من غيرها

بأساً ، وأسمى عقلاً ، وأرفع منزلة ، وأوسع علماً .

لهذا وقعت الحرب الحالية لانقسام العالم إلى دول عظمى وامبراطوريات كبيرة تتنازع على السيادة والسلطان .

ولهذا أيضاً ستقع الحرب المقبلة — وأنا لا أشك فى هذا — بعد أن تضع الدول السيوف فى أغمادها ، والطائرات فى حظائرها ، لأنهم يقولون : إن العالم ستتحكم فيه الدول الثلاث المنتصرة : انجلترا ، وأمريكا ، وروسيا ، وقد يضيفون إليها الصين أو فرنسا.

ستقع الحرب فى الجيل المقبل أى بعد عشرين عاما كما يقال ، وقد تقع بعد جيل آخر أيضا ، ولكن الخطوات التى يخطوها العالم فى سبيل التطور والوحدة ، خطوات سريعة جداً ، هى التى تجعلنا نقول بأن السلم قريبة الآن .

ونحن نؤيد هذا القول بشواهد فى التاريخ ، معتمدين على النظر إلى تطور الإنسانية خلال العصور الطويلة .

ذلك أن الجماعات كانت تعيش قديما فى مدن صغيرة ، أو قبائل متناثرة ، ثم اقتضى الرقى والعمران أن يلتئم شمل المدن فى دول ، وأن تتسع رقعة القبيلة فتصبح شعباً كبيرا .

وكلما اتسعت الدولة زالت الفوارق بين الناس فى اللغة والتقاليد والعادات والفكر والدين .

وقد ظهر فى العالم عامل جديد لا ينبغى إغفاله لكل من يريد أن يبحث في تطور البشر . وهو عامل سيقلب كيان الإنسانية كلها ويغير من مظاهرها القديم .

هذا العامل هو سرعة المواصلات البرية والبحرية والجوية ، فأصبح انتقال الانسان فى أرجاء الدنيا الأربعة من أيسر الأشياء . وإن آثر أحدنا البقاء فى مكانه ولم يكلف نفسه عناء إلى شتى بقاع العالم ، فمن اليسير عليه أن يفتح المذياع فيتلقى أنباء العالم فى لمح البصر . وانظر بعد كيف يتم التقارب الشديد بين الناس جميعاً فى الفكر وأسلوب الحياة .

وهذه خطوة بالغة الأثر فى توحيد العالم

وستعقبها خطوات أخرى يخيل إلينا أنها قريبة الوقوع وهى وحدة اللغة ، ووحدة التقاليد ، ووحدة الزى ، ووحدة الأساليب فى شتى فروع الحياة .

ألا ترى أن تركيا اصطنعت الكتابة بالحروف اللاتينية . وأن عبد العزيز باشا فهمى يريد فى مصر مثل ذلك . والدلالة التى نعتبر منها فى مثل هذه الحالة وأشباهها ، هى النزعة الشديدة نحو اتحاد العالم فى مظهر واحد . ولن يتأخر اليوم الذى تتم فيه هذه الوحدة لما ذكرناه من سهولة شتى المواصلات وسرعتها .

ولا يغيب عن بالنا أن نذكر فى هذا الصدد ما دار فى الأذهان فى أوائل هذا القرن وأواخر القرن الماضى من محاولة اختراع لغة عالمية سموها فى ذلك الوقت « اسبرانتو » . وقد ماتت الفكرة حيناً من الدهر ، ولكنها أخذت تبعث الآن . فتوحيد اللغة أمر لابد من وقوعه لأنه لا يتوقف على الأمل والنية ، بل يعتمد على طبيعة الأشياء . وطبيعة العمران الجديد الناشىء عن تيسير المواصلات بين أجزاء العالم ، تقتضى حتما التفاهم بين الناس بلغة واحدة .

ومن العوامل القوية فى منع الحروب وتحقيق السلام بعد توحيد العالم على النحو الذى وصفنا وقوعه فى المستقبل ، انتشار التعليم بين سواد الناس ، وما يتبع ذلك من رقى عقلى ، ونزوع إلى تغليب الحكمة على الشهوة ، وحل المشكلات بالعقل لا بالقوة . وكلما ارتفعت عقليات الأفراد صعب قيادهم قياداً أعمى لمصلحة ذوى المطامع الذين اصطلحوا على تسميتهم بمجرمى الحرب ، ولا ننس أن الحرب صناعة كسائر الصناعات ، ويحتاج إعدادها إلى تهيئة جيش مدرب على استخدام السلاح ، ويعتنق فلسفة العدوان ويكره الجنوح إلى السلام ، والعالم يسير الآن نحو خطة جديدة يرمي بها إلى نزع السلاح ، ويجرى فى التعليم على بث روح السلم واعتناق فلسفة السلام

هذا التطور السريع الذى نشاهده فى العالم يرمى إلى اشتراكية اقتصادية لا شك فيها الآن . وقد كانت الشيوعية هى المذهب المنتظر للفلسفة المادية التى تبغى إلغاء الملكية ومنع الاستغلال المزرى ، ولكنها اعتدلت وأباحت شيئاً من الملكية لضرورة العمران ، فاقتربت بذلك من المذهب الاشتراكى الذى أصبح واقعاً فى جميع الدول الآن . ومن شأن تنظيم الاقتصاد العالمى ، وتيسير المعيشة لكل فرد فى طعامه وشرابه وملبسه ومسكنه وتعليمه ، أن يشعر جميع الناس بالراحة من جهة معاشهم ، فلا يبقى محروم تدفعه الحاجة إلى الثورة

٢ - وحــــدة الوجود

للبروفيسور ج . ا . بودن

بقلم الأستاذ عثمان حلمي

إن وجود الخالق الذي كوّن العالم من أرواح أثيرية والذي رعى ودعم العالم ، لا يمكن أن يُثبته وجود العالم نفسه ، بينما يظن « نيوتون » في موافقة للتقاليد أنه لما كان للعالم بداية فإن النظام الكوني كان أزلياً منذ أن ضمن وجود الله إعادة تجديده المستمر . ويرى نيوتون أن في شتى أجزاء الفضاء إلٰهاً يُشكل خلقه في المادة وكذا في قوانين الطبيعة ، ومن الجلي أن الطبيعة في نظر « نيوتن » ليست محض كتل ميّتة عمياء تصطدم على غير هدى وتتجمع أو تنفصل في الفضاء ، ولكن العالم تتخلله روح خالق يدين له العالم بوجوده كما يدين بتدعيمه وحفظه لهذه الحقيقة ، وهذا يجعل الدنيا قابلة للفهم كما يجعلها جميلة مقبولة يسخر ليبنتز Leibnitz من فكرة أن الله غير قادر على أن يخلق آلة ميكانيكية فوراً تسير بنفسها ، ولكنها في حاجة إلى عامل معها لحفظها ، إلا أن « ليبنتز » لم يقدر حساب اتجاه الانحدار في المادة (انحلال الحركة)

فني عالم « ليبنتز » لا يوجد فقدٌ عارض ، غير أن فهم « ليبنتز » في إعادة التناسق في الذرات الهيولية التي تدور كالساعة منذ الأزل لم يبرهن عليه بنتيجة يرتاح إليها العلم الحديث وأبعد من هذا فإن لابلاس Laplace قد تناول علم نظام الكون في مبادئ نيوتون (بفرض عدم وجود الله) ولكنه لم يعمل حساب قوة قابلية المادة للتحول

ويرى كلارك ماكسويل Clerk Maxucll ثاني أعظم مهندسي العلم الحديث وجهة قابلية المادة للتحول فيخال أن (روح العالم بكل شيء) الذي يقدر أن يتصرف بدقائق أجزاء الطبيعة قد يعكس تدرج الانحدار المادي باختبار عاقل مدرك ، غير أن (روح العالم بكل شيء) اصطناعية بجانب إلٰه نيوتن . ومما لاريب فيه أن نيوتون رغب في أن يعرف الله وأن يكشف عن جوهره بينما ارتضى علماء اليوم أن يقروا بجهلهم ، فهو مثلاً كان متأثراً بحقيقة أنه في أي توزيع لكمٍّ من المادة عدد لا حصر له من الأنظمة والقوانين ، وأنه يجب أن يكون هنالك اتجاه إلى نظم أخرى خارجة عنها حتى يمكن أن يظل استمرار تناسق الأشياء وتوازنها الذي لا يمكن أن يدوم بغير قوة إلٰهية لحفظه ، وجدير بعلماء هذا العصر أن يلاحظوا ، ما هي ؟

هو يجزم أن هذه الدنيا سائرة لا محالة إلى نهاية بعد قليل من بليونات السنين من يومه ، والذي نسيه هو أن مسألة النهاية محددة بمسألة البداية ، وعالم حقيقي كنيوتون يهمه أن يقف على حقيقة كل ذلك

لقد كان نيوتون عالماً عظيماً بما وراء الطبيعة بفضل سلامة بصيرته وصحة وجدانه ، فضلاً عن تخصصه الفني ، وإن درايته بما وراء الطبيعة لتزيد كثيراً على ما تطلبه حاجة علمه

(إنك لا تستطيع أن تفصل الله عن العالم الذي خصه العلم ثم تستطيع بعد ذلك أن تزعم أنك قد اقتنعت بهذ العلم)

هذه النظرة من فلسفة نيوتون قد أهملت طويلاً ، وقد قال لنا علماؤنا السفسطائيون إن (كانت) Kant قد دحض فلسفة نيوتون بتدليله على أن الفضاء والزمن وهميان - أي في العقل - وإنه بناء على ذلك لا يمكن أن يقال إنهما بميزان العالم الحقيقي إلا أن كل ما أورده (كانت) لم يكن إلا إظهار منطق نيوتون بصورة (إقليديسية) متخصص بعلم الفضاء ، وأن النظام الزمني لم يكن ليستمد إلا من عقولنا ، إن (كانت) لم يدحض نظرية الفضاء التجريبي الذي بنى عليه علم نيوتون حقيقة وهذه لم يمكن دحضها بحجج سابقة ، وفضلاً عن ذلك فإن إيمان نيوتون بدقة هذا

والامتشاق الحسام للحصول على الطعام

فإذا ذهبنا مع أصحاب الفلسفة المادية الذين يفسرون جميع الحروب التي حدثت في التاريخ تفسيراً اقتصادياً ، فإن تحقيق المساواة لجميع سكان العالم في الحياة المادية ، وهو ما يقضي به التطور الذي نشهد آثاره ، كفيل بمنع الحرب وإقرار السلام ، ولهذا صح ما نقوله من أن السلم حلم قريب الأمد ، لا أنه حلم الأبد

أحمد فؤاد الأهواني

النظام المحكم المتزن فى الطبيعة سيبقى حجة تتحدى العقل الإنسانى ، وإننا لا يمكننا أن نهمل سبق هذا النظام ولكن يجدر بنا أن نجهد أنفسنا لكى نكشفه كلما وجدنا إلى ذلك سبيلا

إن إصرار نيوتون على فكرة ضرورة وجود مبدأ ميكانيكي سام فى الطبيعة سيبقى كذلك ، ولقد قال بعض ذوى الكفايات العلمية المحدودة من متأخرى اللاأدريين ان (كانت) قد حطم أساس البراهين التى أقيمت على وجود الله ، غير أن (كانت) لم يحطم فى الواقع إلا البراهين السابقة التى بُنيت على الأوهام وشرود الذهن الذى لاحد له

إن رأى نيوتون فى الله كواسع ودائم وموجود فى كل مكان كان رأياً علمياً غير ثابت عند الطبيعيين كما أنه لم يكن ليستطاع جعله مثاراً للجدل

إنه ليوجد سبيل واحد نستطيع به فهم الكون كدعوى سائرة ، وذلك كما يقول أفلاطون عن طريق بعض الشعور بتسلط الحياة والعقل ، والحياة هى الشيء الوحيد الذى نعرفه والذى تصل به الطاقة إلى أعلى مستوى فى النظام ودقة الترتيب .

إن الجسم الحي هو النوع الوحيد من الأشياء الذى يستطيع أن يُطوِّع الطاقة فى حدود أجزائه بحيث يمكن توطيد صلة تداولها المشترك بين مصدرها وهدفها ، والطاقة فى الجسم الحي غير مبعثرة كيفما اتفق فى التوزيع بحيث يمكن أن يصدم جزء منها شيئاً آخر فى سبيله ثم يكون لهذا عواقبه المرجوة الموافقة ، ولكى تكون الصلة مناسبة على الدوام فإنها لابد أن تكون دائمة حتى فى المصادفات ، والجسم الحي لا يعمل كمجرد مجموعة عرضية من الأجزاء مع مجموعة عرضية مماثلة من الصلات العرضية ، ولكنه يعمل كوحدة ، وتدار طاقات الجسم كلها لصالح الجسم كله ، وبسيطرة ضابط على جميع الأعضاء فإن كل عضو يقوم بوظيفته حسب منهجه الخاص

وليست كمية الطاقة فقط هى التى يُعوَّل عليها ولكنها الطاقة المناسبة وعملها المحدد الذى ينجز حيثما تدعو الحاجة اليه ففى حالة ما إذا أصيب الجسم بجرح فان عدداً لا يُحصى من الكريات البيضاء يلم شعثه ويندفع إلى موضع الخطر لتلافى سوء نتائج ما حدث ، وليست هذه بالطبع مسألة مصادفة ، ولا تتكاثر هذه الكريات بدون تمييز فى النظام والترتيب حتى يكون منها القدر الكافى فى الموضع المعين فحسب ، ولكن النشاط الكلى للجسم يتركز فى نقطة الخطر لحصره ، أما كيف ينتقل نشاط الجسم فى مثل هذه الحال فإن ذلك يماثل فى غموضه وتعقيده حالة النشاط الإشعاعى فى فضاء الكون »

إننا نعرف أن لنشاط الغدد المهمة مثل الغدة الدرقية أهميتها البالغة فى حالة دثور وتجدد أجزاء الجسم المتعددة التى قد يكون بعضها بعيداً عن الغدد . ولكننا لا نعرف شيئاً عن انتقال هذا النشاط آلياً

وقد يكون إفراز عصارات الغدد داخلياً ومع ذلك فإنها تؤثر فى النواحى المتعددة التى هى فى حاجة إليها فى كل مكان من أجزاء الجسم

نجد فى الجسم الحى حينئذ مثالاً بل المثال الوحيد للعلاقة المشتركة — علاوة على المدى — بين الطاقة وهدفها

ففي الجسم الحى بناء وتجديد لأجزائه ، وهما فى خدمة الجسم كله .

ولو اعتبرنا الأمة كوحدة فى مقابل جسم الفرد لوجدنا الطريقة واحدة فى البناء والتجديد لحفظ كيان الأمة . والمجتمع هنا يكوِّن حياة الأمة في مقابل حياة الفرد ولكن المبدأ واحد

والآن لنفرض أننا فهمنا الكون قائماً كوحدة بتعدد جزئياته التى يجب أن تكون مناسبة لنا لتعليل ما يمكننا فهمه من أسرار الكون من المادة إلى العقل الخالق — يجب أن نفهم أن الكون تدب فيه الحياة والروح ، وأنه ليس مجرد كتل مبعثرة من المادة ، ولنفهم أنه كوحدة حية ليس معناه أن كل جزء فى الكون عضو حى ، وهذه هى مغالطة في التقسيم ، فى الجسم الحي الذى نعرفه توجد عناصر وتحولات كما يستعمل هذا التعبير فى الاصطلاحات الطبيعية والكيميائية — وهما يمدان حياة الجسم مع سيطرة الضابط — ولكنهما غير عضوين

ومن الواضح أننا لو فهمنا الكون كوحدة فانه لا يمكن أن تكون هناك علاقات خارجية — العلاقات حينئذ يجب أن تكون داخلية — لأن الكون ليس له خارج — والعلاقة بين جزء وجزء مع الضابط هي في أجسامنا أو في المجرة النجيمية أو في السديم اللولبي سواء.

ويمكننا أن نقرر أنه لا توجد طاقة مبددة في هذا الفراغ من الفضاء ، كما يمكننا أن نعتبر النشاط الإشعاعي في الكون كدم الحياة له ، وبسيطرة الضابط العام يدور الجميع .

يتبع — عثمان حلمي

عبد الرحمن عزام بك

لمن لا يعرفه من قرب

[بمناسبة تعيينه رئيساً للشئون العربية بوزارة الخارجية ، وأميراً على ركب الحج المصرى هذا العام]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

« كتلة » دقيقة من الأعصاب ! كلها نقاء وطهر ، ليس فيها شر أصلا . عليها وجه دقيق الملامح في سماحة وجد وتواضع ، فيه نفس عجيبة في هذا الزمان بل وفي كل زمان ، تطل من عينين نافذتين فيهما ذكاء وليس فيهما خبث الذكاء ... وتتضح عبقريتها إذا نطقت مسترسلة هادئة واصلة إلى أغوار الحق . إذا سمعتها تتحدث سمعت منطقا مسلسلا مرتباً واضحاً يأتى في هدوء وقوة استدلال وبلاغة استيعاب وهدى بصيرة ملهمة ، ومنطق طبع سليم من الالتواء والاهتمام بصغارات الحياة وصغائر الناس .

له عقل ذو قدرة عجيبة على تلخيص القضايا الكبرى المرتبكة وإيضاحها في تحديد دقيق .

بكرت رجولته وحساسيته بالمسئوليات الوطنية والقومية والمالية الكبرى فحمل من أعباء المجد وأوشحته ما لم يحمله أحد في مثل شبابه الأول ، وظفر من تقدير من اتصل به من رجال السياسة والحرب في الشرق والغرب ، وهو حدث ناشئ في باكورة الشباب ، فأدار ثورة وأقام دولة ، وأصلح بين أقوام مختلفين ، وآلف بينهم ووحدهم وهو فيهم غريب نزيل في الحدود الأولى من العقد الثالث من عمره .

عليه سكينة منزلة من الله في جميع الظروف . صابر دائما ، باذل دائما ، يبذل من نفسه وماله وشعاره قول محمد رسول الله : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » وهو قد وسع الناس بأخلاقه وماله معاً . فهو في بذل المال يحقق القول الشريف : « يعطى عطاء من لا يخشى الفقر » . وما يبذله من النفس شيء كثير عظيم عميق يتصل بأصول الخير في الوجود . الخير السلبي والإيجابي .

نظيف اللسان والجسد . لم يقع عليه ظل شبهة ، لا ينطق هذراً ولا سخفاً ولا سباباً ، ولا ينال أحداً في حضور أو غياب ، ويغفر غفراناً واسعاً كل ذنب . يقدر ضعف النفوس البشرية وينظر إليها نظر الملأ الأعلى سواء أكانت قريبة أم بعيدة في الجنس أو الدين والقومية .

حيي يستحى من الناس فينالون منه بحيائه ما يرهقه في بعض الأحيان . ومع ذلك لا يتململ . فهو كالنهر الكبير يأتى إليه كل وارد فلا يرده ولو كان كلباً . . . لأنه واسع طهور لا يتنجس . . . مجمع على حبه من جميع الأحزاب والأجناس والأديان فليس له فيما أظن عدو بالمعنى المعروف للناس . .

متواضع ليس لديه فروق مصطنعة في معاملة الناس ، يجالسه الفقير الضعيف المحدود ويأنس به .

زاهد حقيق في دنيا الناس وزينتها ، فلا يهتم بصغائر اللباس والرياش . وحظه من الدنيا حظ قليل لم يجد لديه من الوقت ما يتذوقه . .

حليم لا يثور ولا يؤذى عشيره بجارحة ، ولا يحب السيطرة والتحكم ، مع ثقة بالنفس واعتزاز بالكرامة في عدم تبجح أو ادعاء أو تظاهر .

ليس به لهفة على شيء مهما كان . فهو دائما هادئ الأعصاب ، وإن كان كثير الآلام الاجتماعية ، عميق الأحزان المقدسة في الدين والوطنية والقومية

الخير عنده واضح المسالك ، فلا تأويل ولا عذر يصرفه عنه ويصد قلبه عن مقتضيات البر والإحسان . . كأن لكل قاصده

عليه حقا لازماً يلام إذا قصر فى أدائه ، وطالما تجببت لصبره على رجاوات الناس ، فهو كنز من الصبر والاحتمال لا ينفد ، أو هو كالشجرة المثمرة المباحة القريبة الجنى ، لا ترد يداً عن قطاف . ما عرفه أحد من الناس إلا وأمسك بتلابيبه وعض على علائقه معه بالنواجذ ! فإن كان من أهل العلم وجد عنده علما وفقها بلباب الحياة وبصرا فى شئونها وعلومها . . وإن كان من أهل السياسة وجد لديه بصيرة ملهمة تنفذ إلى بواطن الأمور وتشير إلى مصادر الأحداث ، وتضع يدها على ماغاب عن أكثر الأذهان ، وإن كان من أهل السلوك والخلق وجد عنده فهماً له وتقديراً ورفعاً لشأنه وتشجيعاً واسع المدى . وإن كان من أهل الشر الذين لا يؤمنون بالخير وجد فى شخصيته وسلوكه رداً ونقضاً بليغاً على دعواه يحمله على أن يرجع النظر كرتين فيما رأى لنفسه وما اتخذه من مسالك الشر .

إنه يرفع الحياة الإنسانية ويرسم المثل الأعلى أمام « الماديين » وأمثالهم حتى يتيقظوا إلى أن فى الحياة روحاً من الخير هى أغنى وأعظم مما يملكون وما به يفتنون وإليه وحده ينصرفون .

فهو لطيف النفس والجسم كالنسيم الرقيق الذى يدخل الرحمة على النفوس البائسة القلقة . وبالإجمال لا حصر لوقائعه فى الجد والخير والسياسة الرشيدة ، ولذلك يستطيع كل من عرفه أن يذكر عنه قصة أو قصصاً تكفى لرفع نفس إلى العظمة والذكر الطيب الخالد .

وقد كافأه الله وجزاه بأن أولاه الدنيا فى الشرق والغرب فأوسع له فى آفاق المعرفة والخبرة ، وجمع عليه قلوب من عرفه من رجالات الشرق والغرب . وكثير ما هم !

ولن أنسى قول المرحوم « مستر ألبرت فينش » الوزير المفوض الأسبق للولايات المتحدة فى مصر قبيل سفره من مصر إلى منصبه فى أسبانيا بيوم واحد حينما زاره ليودعه فى مكتبه برياسة القوات المرابطة منذ ثلاثة أعوام تقريباً : « ما كنت لأسافر من مصر قبل أن أودع اثنين : جلالة الملك فاروق وأنت »

لحسب عبد الرحمن بك شرفا أن يذكر هذا الذكر بجوار اسم « الفاروق » على لسان رجل أحب مصر والشرق العربى وفهم روحهما وعرف من يمثلها خير تمثيل .

هذا النموذج الإنسانى الرفيع الذى عرفته من قرب معرفة جيدة ، أحببت أن أرسم له صورة عاجلة لمناسبة تعيينه عميداً للشئون العربية بوزارة الخارجية وأميراً على ركب الحج هذا العام ، أضعها أمام الشباب الذى اختلطت عليه نماذج الخير والمجد ، ونماذج الشر والضعة . وإن فيه لقدوة صالحة لمن يريد أن يقتدى .

عبد المنعم خلاف



كتاب المستقصى للزمخشري

محمود جار الله الزمخشري المتوفى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة إمام من أئمة اللغة له تصانيف فائقة فى الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعانى ، وغيرها منها : (تفسير الكشاف) و (أساس البلاغة) و (المفصل فى النحو) وهذه أشهر كتبه وأكثرها تداولاً ، وله تصانيف غير هذه لا يعرف شيء عنها ، منها (المستقصى فى الأمثال العربية) ، ولندرة هذا الكتاب أحببت أن أقدم شيئاً عنه على صفحات « الرسالة » العزيزة

لم يذكر صاحب (معجم المطبوعات العربية والمعربة) هذا الكتاب فى حديثه عن كتب الزمخشري المطبوعة ، وهذا المعجم شامل لأسماء الكتب المطبوعة فى الأقطار الشرقية والغربية من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية سنة ١٩١٩ . على أن المرحوم جرجي زيدان يذكر فى كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) شيئاً عنه ، فيقول : « إن منه نسخة فى المكتبة الخديوية فى ١٧٨ صفحة ، ومنه فى مكاتب أوربا ، والظاهر أنه غير مطبوع ... »

وأقول إن النسخة التى اطلعت عليها تقع فى ٤٧٨ صفحة ولست أعتقد أن فى الشرق نسخة أكمل منها

يقول المؤلف فى مقدمة الكتاب إنه قد خرج هذه الأمثال « فى واحد وستين باباً ينطق كل باب منها بذكر ما يشتمل عليه أولاً ، ويفصح عن الاستشهاد وسياقه المراد آخراً ، وما منها إلا ما يتعلق فى اللغة بسبب ، ويضرب فى الاستعارات والتشبيهات بسهم » . وقد عقد الباب الأول منها للكلام فيما يضاف إلى اسم الله تعالى ، والباب الثانى فيما يضاف إلى الأنبياء ، والباب الثالث فيما يضاف إلى الملائكة والجن ، والباب الرابع فيما يضاف إلى القرون الأولى ، والباب الخامس فيما يضاف إلى الصحابة والتابعين ؛ ولا أريد أن أعدد جميع الأبواب ، وإنما أريد أن أذكر نماذج للمواضيع التى طرقها من غير أن ألتزم فى ذلك تسلسل الأبواب . فقد ذكر فى الأبواب الأخرى ما يضاف إلى الشعراء ، وما يضاف إلى البلدان والأماكن ، وما يضاف إلى الحيوان والطير ، ثم ما يضاف إلى النيران والشجر والنبات والطعام والشراب والسلاح والليالى والأوقات والأزمان ، ثم الأدب وما يتعلق به ، ثم فى فنون مختلفة مرتبة على حروف الهجاء ...

يتكلم فى الباب الأول فيما يضاف إلى اسم الله تعالى فيبين لماذا يقال : أهل الله ، وبيت الله ، ورسول الله ، وكتاب الله ، وخليل الله ، وأرض الله ، وسيف الله ، ونهر الله إلى آخر هذه الإضافات . ثم يمضى فى شرحها فيقول فى قولهم أهل الله مثلاً : « إنه كان يقال لقريش فى الجاهلية أهل الله لما تميزوا به عن سائر العرب فى المحاسن والفضائل والمكارم التى هى أكثر من أن تحصر ؛ فمنها : مجاورتهم لبيت الله تعالى ، وإيثارهم سكنى حرمه على جميع بلاد الله تعالى وصبرهم على أذى مكة وخشونة العيش بها ، ومنها ما تفردوا به من الإيلاف والرفادة والسقاية والوفادة والرياسة .. »

وهكذا يمضى فى بيان فضائل قريش وتعداد مناقبها . ثم ينتقل إلى الكلام فى بيت الله وفضائله ورسول الله (ص) وفضائله ثم ينتقل إلى الكلام فى سيف الله (خالد بن الوليد) . ويقول مثلاً عن نهر الله : « ... من أمثال العامة والخاصة إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل . وإذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى ، ونهر معقل بالبصرة ونهر عيسى ببغداد وعليهما أكثر الضياع الفاخرة والبساتين النزهة . وإنما يريدون بنهر الله النيل والأمطار فإنها تغلب سائر المياه والأنهار ، ولا أعرف نهراً مخصوصاً بهذه الإضافة سواها »

وينتقل بعد هذا إلى الكلام فى إضافات أخرى مثل حسن يوسف ، وبلاء أيوب ، وصدق أبى ذر ، وحلم الأحنف ، وندامة الكسعي ؛ فيذكر الحوادث والنوادر التى كانت سبباً فى هذه الاضافات وهو فى كلامه هذا أقرب ما يكون إلى المؤرخ . على أنه حين يتحدث عن الشعراء وما يضاف إليهم يجمع الأدب إلى التاريخ ؛ وقد ذكر الشيء الكثير مما يضاف إلى الشعراء مثل : حلة امرىء القيس ، وحلم لبيد ، وحوليات زهير ، وصحيفة المتلمس ولسان حسان ، وسيف الفرزدق ، وغزل ابن أبى ربيعة .. الخ ، ثم يتحدث عن حلة امرىء القيس فيقول : « يضرب مثلا للشيء

الحسن يكون له أثر قبيح » ، ثم يذكر قصة امرىء القيس ووفوده على قيصر. ويقول عن لسان حسان « يضرب به المثل فى الذلاقة والطول والحدة » ثم يذكر طرفاً فى أخبار حسان ويقول عن سيف الفرزدق « يضرب مثلا للسيف الكليل بيد الجبان » ، ويسوق حادثاً وقع لجرير والفرزدق كان سبباً فى هذا المثل . وقد كسر أبواب الكتاب الأخرى على ذكر مختلف الإضافات ولا أريد أن أمضى فى الحديث عنها لأن فيما ذكرت ما يكفى لإعطاء فكرة عن الكتاب وما فيه ولست إلى غير هذا قصدت .

(البصرة) عبد الحميد صالح البكر

مليم الأكبر

[جماعة النشر للجامعيين]

الأستاذ عادل كامل من أدباء الشباب المصريين الذين لهم فى عالم القصة قدر ملحوظ ، وقد فازت قصته « ملك من شعاع » بالجائزة الممتازة فى مسابقة وزارة المعارف ، ولكن قصة « مليم الأكبر » لم تفز بشىء من ذلك ، مع أنها فى نظرنا خير من قصته الفائزة ، وكان ظريفاً من جماعة النشر للجامعيين أن تختار هذه القصة بالذات لتقدمها لجمهورها من القراء لتعطيهم مثلا من أمثلة التحكيم الأدبى فى مصر ، وخصوصاً ذلك التحكيم الرسمى العجيب ... وقصة مليم الأكبر تشمل مقدمة ضخمة فى ١٢٨ صحيفة هى من أثمن المقدمات الأدبية التى تذكرنا بمقدمات برنرد شو الممتعة . ولا بد من عودة إلى القصة فى فصل بذاته إن شاء الله .

وجيدة

[جماعة نشر الثقافة]

لست أدرى لماذا يؤثر الأستاذ شعبان فهمى الكتابة باللغة الدارجة المصرية وهو يداول الحوار بين أبطاله ، ولا سيما فى مثل قصته الجميلة « وجيدة » ... لا أنكر أننى كنت من أنصار هذا الرأى قبل أن أستبين خطله ، فاللغة الدارجة فى رأيى هى أداة للتحادث مؤقتة ، وسيقضى عليها انتشار التعليم والصحافة الراقية المهذبة ... ثم نحن لسنا لنا لهجة دارجة واحدة ، بل قد تمدو لهجاتنا الدارجة العشرين أو الثلاثين ... هذا غير لهجات الشعوب العربية الأخرى ... فإذا كان لدينا هذا اللسان العربى المبين الجامع الذى يخلصنا فى طول البلاد العربية وعرضها ، من هذه اللكنات العجيبة ، فلماذا نهمله وهو خير لنا كل الخير ؟ ثم لا يفوتن الأخ الفاضل أنه بإيثاره اللهجة الدارجة القاهرية يحصر مجهودة الأدبى فى محيط ضيق وقراء معدودين ، فلا أظن مثلا أن قارئاً عراقياً أو شامياً أو جزائرياً يرغب فى قراءة قصة طويلة كل حوارها بهذه اللهجة الدارجة التى لا يفهمها ، ونحن كمصدرين للأدب إلى إخواننا العرب ، يجب أن ناتى بالنا إلى تيسير الأداة التى نخاطبهم بها

وفى القصة بعض الآراء الجريئة التى يستجيدها بعض القراء كما يفرق منها بعضهم الآخر .

(د . خ)

القاهرة — من المعز الى الفاروق

[للبكباشى عبد الرحمن زكى]

مؤلف هذا الكتاب من رجال السيف ؛ إلا أن الله وهب له مزية البحث التاريخى ؛ فوقف عليه كثيراً من وقته ، ودرس حتى حصل على دبلوم فى الآثار من جامعة فؤاد الأول . ولا أطيل الثناء على هذا الصديق الوفى ، فأن أبحاثه ورسائله النفيسة الممتعة تغنيه عن كل ثناء . فهو صاحب كتاب « الجيش المصرى فى عهد محمد على الكبير » وهو سفر تاريخى قيم ؛ وصاحب رسائل « معارك مصرية فى القرن التاسع عشر » ، و « الصحراء المصرية والحرب » ، و « القائد إبراهيم » ، و « معارك مصرية فى القرن العشرين » ، و « موقعة كادش بين مصر وختيا » مشتركا مع الأستاذ محمد فاضل يوسف . و « حروب مصر القديمة » مشتركا مع اليوزباشى محمد حسين عواد . وغيرها .

وفى الكتاب أبواب عن قاهرة المعز ، وقاهرة صلاح الدين ، وقاهرة دولتى المماليك ، وقاهرة الباشوات والبكوات . وقاهرة محمد على باشا ، وقاهرة الخديو اسماعيل وقاهرة المغفور له الملك فؤاد وقاهرة الفاروق

وفى خلال هذه الأبواب فصول طريفة عن قصور القاهرة وأخطاطها ومساجدها وأسواقها ومشاهدها وحفلاتها ودور كتبها ومدارسها وكل أثر للحياة فيها . والكتاب يحق بعد تتمة لخطط على باشا مبارك على فرق ما بين الكتابين من الاجمال والتفصيل

إن مراجع المؤلف التى أثبتها فى آخر الكتاب تدل على طلاع واسع ؛ وقد استطاع صديقنا أن يصور لنا القاهرة فى ألف سنة فى « فيلم » تاريخى جميل

وإذا كانت العواصم حبيبة إلى نفوس الأهل ، فإن هذا الكتاب جدير أن يكون حبيباً إلى نفوس القراء .

محمد عبد الغنى حسن



· 12 me Année No. 596

Lundi - 4 - 12 - 1944



بدل الاشتراك عن سنة

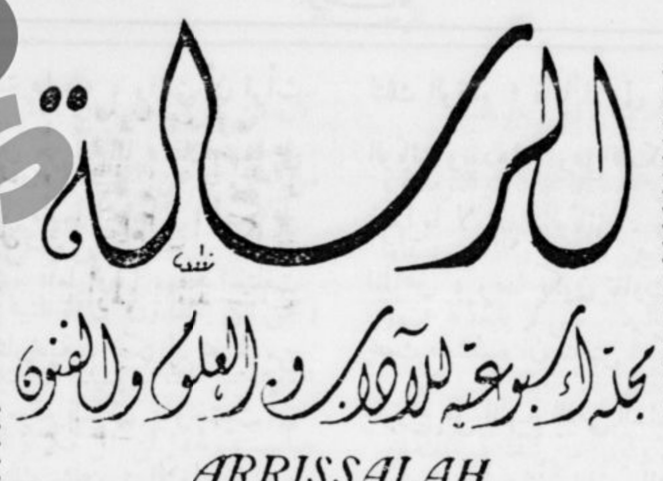
٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٩٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ ذى الحجة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

شـــعب مصر

للدكتور محمد مندور

لاقيت فى هذا الأسبوع ثلاثة من مفكرينا : أحدهم وجهاً لوجه ، وبيدى مقال أستعرض فيه ما نشكوه اليوم من مظاهر لانهيار الأخلاق ، وألتمس علاجاً لهذا الانهيار فى إصلاح نظمنا السياسية والاجتماعية ، عماً منى بأن التربيـة وبث مبادئ الأخلاق فى النفوس لا تكفى وحدها لتقويم النقص . ولقد أخذ محدثى على المقال ما فيه من قسوة ، وعنده أنه من الخطر أن نجسم للشعب مواضع ضـعفه ، لأن ذلك التجسيم قد يزيده ضعفاً ، وإنه لأجدى على هذه الأمة أن نحاول رد الثقة إليها ، حتى ولو لم تكن تلك الثقة على أساس سليم ، وأما فضح العيوب ، فذلك ما لا ينبغي . وأضـاف ، وهو من ذوى الأمر ، أنه كثيراً ما يتجاهل مواضع الضعف الأخلاقى فيمن يعملون معه ، وردهم إلى الأخلاق ، وكأنه يستمدها من نفوسهم ذاتها ، فإذا نقل إليه أحدهم قيلة سوء ، فسرها على أنها قيلة خير ، محاولاً حمله على أن يكون إلى الخير قصده ، وعنده أن ذلك أجدى فى معالجة النفوس من هتك ضعفها وأخذها بالقسوة

ساقنى هذا الحديث إلى النظر فى الحـكم على الشعب المصرى

ووجوب مواجهته بالحقائق أو سترها عنه ، واتفق أن قرأت فى هذا الأسبوع كتابين لمؤرخين من رجالنا ، فلاقيتهما على صفحات ما كتبا ، ولمست عند كل منهما اتجاهاً فى الحكم على الشعب المصرى يغاير اتجاه الآخر . فأما أولهما ، فقد استلفت نظرى حكمه في بعض مواقفه التاريخية ، حكماً لا يخلو من صرامة ، حتى لقد وقع فى نفسى موقع السيف ، وخشيت أن يكون صحيحاً ، ولأضرب لذلك مثلين : الأول تفسيره لاستقرار الحكم وازدهار المدنية أيام الظاهر بيبرس وغيره من المماليك ، برغم ما كان فى حكمهم من شدة وعسف بقوله تفسيراً لخضوع المصريين وعدم ثورتهم للحرية : « إن ثمن الحرية — كما يقول الإنجليز — هو الكدح والدأب والمراقبة ، ولما كانوا (أى المصريون) يكرهون النصب أكثر مما يحبون الحرية ، فقد عاشوا يستبد بأمرهم كل ذى همة وعزيمة » ؛ وفى قوله : « إنهم يكرهون النصب أكثر مما يحبون الحرية » ، ما يملأ النفس رهبة ، فتود لو لم يكن حقيقة . وفى موضع آخر يفسر نفس الكاتب سخط الشعب المصرى على الفرنسيين وثورتهم ضدهم أيام الحملة الفرنسية بمجرد حرصهم على ما ألفوه ... فقد رأوهم يقلقون عاداتهم ويزعزعون أساليب حياتهم الموروثة ، فيكرهونهم على نوع من الحياة لم يألفوه ، فى مقاومة الأمراض ، وتنظيف الشوارع ، وما إلى ذلك ، فثاروا بهم ، وهذه أيضاً قسوة فى الحكم ، لأن الكاتب لم يشأ أن ينسب إليهم ما نستشعره نحن اليوم من عاطفة وطنية ، أو تعلق بحرية وذود عن استقلال . وهـذا منهج قد تمليه الروح العلمية التى تلزم المؤرخ بأن يحكم بعقلية من يكتب عنهم ، لا بعقليته هو ، ولكننى مع ذلك أخشى أن يكون مؤرخنا قد أسرف فى القسوة وأسائل نفسى : هل من الحكمة ، بل هل من العدل ، أن نحكم على الشعب المصرى أحكاماً كهذه ؟ ونحن فى مجال التاريخ نحرص على الحقيقة أكبر الحرص ، ولكن ما هى الحقيقة التاريخية ؟ وفى كل تاريخ نوعان من الحقائق : وقائع ، وتفسير لتلك الوقائع ؛ فأما الأولى ، فمن الواجب الوصول إليها بجمع الوثائق ونقدها ، وعلى العكس من ذلك تفسير تلك الوقائع ، فهذا ما لا تحمله الوثائق ، وإنما يصل إليه المؤرخ باستنتاجه الخاص ، وهنا يكون تفاوت المؤرخين ؛ وتدخل شخصياتهم بحيث نستطيع أن نناقش أحكامهم دون أن يكون فى مناقشتنا خروج على المنهج العلمى السليم

وباستطاعتنا أن نناقش المؤرخ السابق بآراء الكاتب الآخر الذى لاقيناه يتحدث عن زعيم مصرى تركزت فيه يوماً نزعات شعبنا ، وهو السيد عمر مكرم . فمؤرخنا شديد الحماسة لتطلع هذا الشعب إلى الحرية منذ أوائل القرن الثامن عشر ، وهو يرى أن ظهور السيد عمر مكرم كان استمراراً وخاتمة لمحاولات عديدة قام بها زعماء الشعب المصرى الصميم للمساهمة فى الحكم ، وحمل الباب العالى على تعيين من يرتضونه والياً على مصر . وعنده أن سنة ١٨٠٧ هى التى وضعت حداً لتلك النزعة الشعبية ، وذلك لأن محمد على عاهل مصر الأكبر ، وإن كان قد وصل إلى الحكم بموجة شعبية قوية قادها السيد عمر مكرم ، إلا أن ضرورة الحكم ، وحرص هذا المصلح الكبير على أن يحث الخطى فى النهوض بالبلاد ورفع مستوى الحضارة بها ، قد اضطراه لسوء الحظ إلى أن يرفض عرض السيد عمر مكرم فى تلك السنة مساهمته هو والشعب المصرى فى عونه على رد الإنجليز عن رشيد . والرأى عند مؤرخنا أن هـذا الرفض قد أثر فى تربية الشعب السياسية ، وباعد بينه وبين الاهتمام بأمور الدولة والمشاركة فيها نحواً من خمسة وسبعين عاماً ، أى من سنة ١٨٠٧ إلى ثورة عرابى ، وهنا أيضاً لا ندرى إلى أى حد قد بلغ عطف المؤلف على الشعب المصرى ، وإلى أى مدى قادته الرغبة فى تمجيده ؟ !

ويقف المرء حائراً ... أى وجهة يوليها فى حديثه عن هذا الشعب الذى نبغى كلنا خيره ؟ هل نمس فى رفق عيوبه ، ونواريها عنه إلا بمقدار ، ليظل محتفظاً بثقته بنفسه ؟ أم نشق عنها الحجب ، ونلقى الضوء كاملاً لعله يثيب ؟ وإذا عالجنا ماضيه ، هل

نقسو في الحكم ، أم نلين ؟ وهل نحابيه ، أم نزجره ؟

إذا لم يكن بد من أن نفصل في هذه الاتجاهات المويصة ، وجب — فيما أظن — أن نفرق بين الحاضر والماضي : فأما الحاضر ، فالحكمة في أن نحدد فيه البصر حتى لا يأخذنا غرور مميت . وباستطاعتنا أن نتجنب الخطر بألا نقف عند تصور العيوب ، بل نلتمس لها العلاج . وليس من شك في أنك لن تستطيع حمل النفوس على قبول جديد وتغيير قديم ما لم تبصرهم بما في هذا القديم من عيب . والأمم لا يمكن أن ترق ما لم يشتد بها النقد ، وفيم الرغبة في التغيير إذا لم يؤمن الناس بضرورته ؟

وأما عن الماضي ، فلعلنا نكون أقرب إلى الروح العلمية الصحيحة كلما كانت نظرتنا أكثر عمقاً وأكبر اتساعاً . وآفة الأحكام في تفسير الظواهر كثيراً ما تأتي من التعميم ، فالمصريون مثلاً إذا كانوا يكرهون النصب ويؤثرون السلامة أكثر مما يحبون الحرية ، فإن ذلك لم يمنعهم عند ما يشتد بهم الاستبداد من أن يغامروا بسلامتهم مؤثرين الحرية على كراهة النصب . وفي حركاتهم الثورية أيام الحملة الفرنسية وعرابي ودنشواي وسنة ١٩١٩ أدلة على صدق ذلك . وهم إذا كانوا بفطرتهم محافظين يكرهون الخروج على ما ألفوه فيثورون ، إلا أنه قد لا يخلو من ظلم أن نرد حركتهم كلها إلى هذا الباعث ، فهم إذا كانوا لم يتحركوا لفكرة الاستقلال الوطني بحكم تبعيتهم المتصلة للدولة العلية وعدم نشوء فكرة الانفصال عندهم إذ ذاك ، إلا أن الشعور الديني مثلاً كان لا ريب من الحوافز التي يجب أن تضاف إلى نزوعهم إلى المحافظة على ما ألفوه . وهاهوذا الجبرتي نفسه يحمد الله أن سخر طائفة من النصارى (الإنجليز) لطرد طائفة أخرى (الفرنسيين) من أرض الوطن ، وبذلك يتحقق — فيما يقول — قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » . وهل من شك في أن الدافع الديني كان من محركات سليمان الحلبي مثلاً في قتله لكليبر . ثم هل من الحق أو من الحكمة أن نجعل من الشعور الوطني عاطفة تنهض بذاتها منفصلة عن مصالح الأفراد الذين يكونون الوطن ؟

ونحن ممن يعتقدون أن الوطنية ليست شعوراً بذاته ، وإنما هي مجموعة من المشاعر يستند الكثير منها إلى مصالح الناس ووسائل حياتهم ، ولهذا لن نمل تكرار القول بأن الوطنية الحقة لن تملأ نفوس الوطنيين إلا إذا أحس كل منهم أنه عزيز في وطنه ، ميسور الرزق في كرامة ، متمتع بحياة تليق بالإنسان . وإنما يظهر انفصال الشعور الوطني عن غيره من المشاعر والمصالح عندما يحدث التعارض ، وهنا يكون للمؤرخ الحق في أن يقسو في أحكامه أو يلين ، وأما عند ما تتساوق مصالح الناس ومصالح الوطن ، فمن الظلم أن يأتي المؤرخ فيفسر الحركات الوطنية بالدافع الأول دون الثاني

ونجمل الرأي بأن الخير هو دائماً في اتساع النظرة سواء نظرنا في الحاضر أو في الماضي ، فأي أمة لا يخلو ماضيها أو حاضرها من مواضع ضعف ومواضع قوة ؟ ومن الواجب إبراز الجميع ليكون في إظهار الضعف حافز للكمال ، وفي إظهار القوة داع للثقة

محمد مندور

غرام يوم الثـــلاثاء

للدكتور زكي مبـــارك

أخي الأستاذ الزيات :

إليك أقدم تحية الشوق ، ثم أذكر أني أكتب هذه الكلمة ، وهي مقدمة القصيدة الآتية ، بعد المحادثة التليفونية التي دارت بيني وبينك منذ لحظات في صباح هذا اليوم ، وهو يوم عرفات ، أعاده الله عليّ وعليك بخير وعافية !

وقد اتفقنا على نشر هذه القصيدة بالرسالة في العدد المقبل ، لأستريح منها وتستريح مني ، فلو بقيت بين يديّ أياماً أخَر لقتلتني ، لأنها تقهرني على الغناء بعد نصف الليل ، وهو أصلح الأوقات للغناء ، ولكنه يُكدَّر بمحادثات تليفونية مزعجة ، فقد يحلو لكل سامر أن يسأل عني بعد نصف الليل ، وكذلك الحال مع السامرات ، فهنّ يزعجنني بلا ترفق ولا إشفاق

أنا أعرف أن قرائي يحبونني ، لأن أدبي يقوم على الصدق ، ولكني أرجوهم أن يترفقوا فلا يسألوا عني بعد نصف الليل

عفا الله وصفح عن أولئك الهاتفات بعد نصف الليل !

أترك هذا وأحدثك عن تاريخ هذه القصيدة ، فلها تاريخ وتواريخ

هذه القصيدة من وحي روح غالية ، هي الروح التي تلقيت عنها الدرس الممتع المشبع في شرح نظرية وحدة الوجود

ما أكرمَ دمي وما أسخاه حين أسمع صوتها الجميل !

أترك هذا أيضاً وأحدثك عن التاريخ الجديد لهذا القصيد : رأى صديقٌ عزيز أن يغنيه الأستاذ محمد عبد الوهاب ، فقابلت صديقي عبد الوهاب في مكتبه بشارع توفيق

مَن يصدّق أن هذا الباكيَ الشاكي رجل أعمال ؟ !

قدّمت إليه القصيدة ومعنا الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ، الذي وضع قانون اللغة العربية ، فنظر في القصيدة لحظات ، ثم اقترح تعديلات ، فما تلك التعديلات ؟

إنه اقترح أن أنوّع الأوزان ليلعب كما ألعب » وذلك نص كلامه بالحرف »

وكان الوجد في ثورته العاتية ، فرأيت أن أنوّع الأوزان ، ليلعب كما ألعب ، وما كنت يوماً من اللاعبين !

ثم خطر في البال أن أغني قصيدتي في محطة الإذاعة بصوتي ، وهو في رخامة صوت الموسيقار محمد عبد الوهاب ؛ ولكنّ أبنائي اعترضوا ، فما يجوز عندهم أن يكون أبوهم من المغنين ، وهو يملك أكبر مجموعة من الألقاب العلمية

قلت لأبنائي : ألا تسمعونني أغني من حين إلى حين بقوة تنقل صوتي من الدور الثاني إلى أسماعكم بالدور الأول ؟

قالوا : نَعمْ

قلت : أنا أغني أشعاري حين يجود بها الوحي ، فما الذي يمنع من تقديم صورة ناطقة يعرف بها الجمهور كيف أنظم أشعاري؟

قالوا : وأين الملحّن ؟

قلت : أنا الملحّن ، فالشعر شعري ، وأنا أعرف كيف ألحّنه بالصورة التي تموّجتْ بها خفقات قلبي

لم يكن من السهل أن أقنع أبنائي ، وهل أقنعت نفسي حتى أقنع أبنائي ؟

إن جاز أن أغني هذه القصيدة في محطة الإذاعة ، فيجب أن أكون في حال تشابه حالي في الأوقات التي نظمت فيها هذه القصيدة

وهذا غير ممكن ، ففي الذيعين فريقٌ من تلاميذي ، ولم يرني أحدٌ من تلاميذي في لحظة بكاء

نظمت هذه القصيدة وأنا أبكي من الفرح ، وأصرخ من الفرح ، فما أنعم الله على شاعر بمثل ما أنعم عليّ بإقبال تلك الروح

من حق الحياة أن تصنع بأبنائها ما تريد ، فتُسعدهم أو تشقيهم كما تريد ، ولكنني فوق الحياة ، لأنني العاشق المسيطر على تلك الروح

ثم ماذا ؟

ثم أخبر صديقي صاحب « الرسالة » باعتراض الصديق محمد عبد الوهاب ، إنه يقترح ترك المكان والزمان ، فلا أقول « مصر الجديدة » ، ولا أقول « يوم الثلاثاء »

أنا أوافق على اقتراح هذا الصديق العزيز ، بشريطة واحدة هي أن يسمح بتزوير العواطف ، والغرام الذي أوحى هذه القصيدة

مكانه فى مصر الجديدة ، وزمانه فى أيام الثلاثاء

إن قراء « الرسالة » يذكرون أننى أول كاتب وجّـه الأنظار إلى الفتن التى تُنثر نثراً فنيًّا فى شارع فؤاد

سأغنى بجمال بلادى ، سأغنى بجمالها إلى آخر الزمان

أما بعد ، فقد اتفقت مع الأستاذ الزيات على إبداع هذه القصيدة « بمطبعة الرسالة » فى يوم الأربعاء ، لأستريح منها وتستريح منى ، فما لى قدرة على التفكير فى مصر الجديدة أيام الثلاثاء ، ولا أنا قادر على تصور غرامى بمصر الجديدة أيام الثلاثاء ، ولا أنا مستطيع نحر قلبى فى يوم عرفات

أنا بخير وعافية ، فلى مع هذه الروح فى ليلة عيد القمر ميعاد

وسأغنى بحضرتها القصيدة الآتية فأقول :

يا ليل ، يا ليلى ، يا ليل

يا ليل ، يا ليلى ، يا ليل

يا ليل ، يا ليلى ، يا ليل

وهنا أذكر أن الأستاذ عبد الوهاب اعترض على هذه الزفرة المحرقة :

يا ليل ، يا ليـلى ، يا ليل

وقال : سأترك هذه الكلمات عند الغناء

فقلت : ولكنى كنت أهتف بهذه الكلمات عند كل فاصلة من فواصل هذا القصيد ، فتأمل لحظة ثم قال : هى كلمات غير مفهومة ، ولكنها « شمهورش » ، وللجن وحىٌ يضلل الشعراء !

وأردت أن آخذ القصيدة لأردها إليه فى حدود ما اقترح ، ولكنه قال : اترك لى هذه النسخة ، وعدّل النسخة التى عندك ، فستكون لى معاودات أصل فيها إلى سريرة قلبك فى اللحظات التى نظمتَ فيها ذلك القصيد

تاريخ لطيف

الصفحات الماضية كُتبتْ بالأمس ، وهو يوم عرفات ، والصفحات الآتية أكتبها فى مساء هذا اليوم ، وهو يوم العيد ، فما الذى وقع فى صباح هذا اليوم ؟

مضيت إلى قصر جلالة الملك لأقيد اسمى فى دفتر التشريفات ، وتلك فرصة ذهبية أرى فيها أصدقاء لا يتسع الوقت للسؤال عنهم فى يوم العيد

وراعنى أن أرى رجلاً يجذب يدى بعنف وهو يقول : قيد اسمك وتعال معى !

والتفتُّ فإذا هو الأستاذ وهيب دوس الذى تحدثت عنه فى مجلة « الرسالة » مرات ، ففرحتُ بلقائه وصحبته إلى حيث يريد ، وشاء كرمه أن ينقلنى بسيارته إلى سنتريس ، فكانت النتيجة أن يصحبنى إلى حيث أريد

وفى الطريق سألنى عما يشغلنى من الشؤون الأدبية فقلت : إنى مشغول بنظم قصيدة فصيحة على وزن الموّال

— وما الموجب لذلك ؟

— الموجب واضح فى نفسى ، وهو أن وزن الموال وزنٌ قديم عرفه المصريون قبل الإسلام بأزمان وأزمان ، ولهذا يغنُّونه بسهولة عجيبة ، تشبه السهولة التى يغنى بها أهل الشام والعراق قصائد العرب القدماء

— وإذن ؟

— وإذن يجب أن ننظم الأغانى باللغة الفصيحة نظماً تأنس إليه الموسيقا المصرية ، فنجمع بين المزيتين ، ونتقى لذعات الأستاذ سليمان الصفوانى

— ومن هو الصفوانى ؟

— هو صديق عراقى عيّرنى فى مجلة بغدادية بأننا ندخل « لم » على الفعل الماضى فنقول :

« فى البحر لم فتكم فى البر فتونى »

وقد أجبت بأن « لم » تجعل المضارع ماضياً ، فدخولها على الماضى توكيد ، والجواب صحيح ، ولكن ما الذى كان يمنع من أن يقول صديقنا عبد الوهاب :

« فى البحر ما فتكم ... »

— وما هى خصائص هذه القصيدة ؟

— لها خصيصة أساسية ، وهى التحرر من مراعاة ما يسمى فى علم العَروض بالإيطاء ، فاللفظة تُقبَل بكل ترحيب حين يوجبها المعنى ، فلن ألتزم ما التزمتُه فى قصيدتى عن الأسكندرية وقصيدتى عن مصر الجديدة ، وقصيدتى عن بغداد ، فكلمة « الساقى » كررتها عامداً متعمداً لأنها مطلوبة فى القطعة الآتية :

شربتُ دمى فلا كأسٌ ولا ساقى

كتابة العربيــــة بالحروف اللاتينية

للدكتور داود الجلبي الموصلي

في المجلات والجرائد العربيـة ضجة في هذه الأيام حول إصلاح الحروف العربية أثارها اقتراح معالي عبد العزيز فهمي باشا لتيسير كتابة العربية باستعمال الحروف اللاتينية . قام كثير من الكتاب يؤيدون صعوبة الخط العربي ونقائصه ولكنهم يحجمون عن التوصية باستعمال الحروف اللاتينية ذاهبين مذاهب شتى كلها خاطئة فمنهم من يتوهم أن الحروف اللاتينيو تخل بالدين ، ومنهم من يعتقد أنها تهدم القومية وتضيع معها اللغة ، ومنهم من يرجح التمسك بالحروف العربية مع الاعتراف بنقائصها وصعوبة التعلم بها والتحريف والتصحيف اللذين ينشآن عنها ، يرجحون بقاءها لا لسبب إلا لكونها قديمة . فهذه أوهام لاظل لها من الحقيقة . واقترح بعضهم ابقاء الحروف العربية مع شيء من التعديل ولم يأتوا بشيء تطمئن اليه النفس . ومن الغريب أن أحدهم اقترح الحاق خطيطات برؤوس الحروف للدلالة على الحركات ، ولكنه لمـّا لم يطمئن هو نفسه إلى اقتراحه هذا اضطر إلى أن يوصي باستعمال هذه الإشارات في المطابع فقط وإبقاء الخط باليد على ما هو عليه .

لقد لاحظت أن جميع من كتب عن الكتابة العربية ذكر من نقائصها أولاً اختلاف أشكالها حسب وقوعها في أول الكلمة أو وسطها أو نهايتها وحسب انفصالها أو اتصالها بما قبلها وبما بعدها ، وثانياً خلوها من حروف الحركة . ونسوا أو تناسوا تشابه كثير من حروفنا مع بعضها وعدم تفريقها إلا بالنقط كالباء والتاء والثاء والنون والياء ، وكالجيم والحاء والخاء ، وكالدال والذال ، وكالراء والزاي ، وكالسين والشين ، وكالصاد والضاد ، وكالعين والغين ، والفاء والقاف مع تشابه هذين الأخيرين مع العين والغين في أوساط الكلمات إن هذا التشابه في الحروف أوجب ، منذ وجدت الحروف العربية ، ولا يزال يوجب أتعاباً جمة لكتـّاب العربية وأدبائها بسبب التصحيف الذي ينشأ عنه . إن الذين يعانون تدقيق وإصلاح الكتب لتهيئتها للطبع يدركون أكثر من غيرهم الصعوبة الناجمة عن تشابه الحروف هذا وأستطيع القول إن جانباً من علم القراءات ما كان يكون له وجود لولا هـذا التشابه في الحروف . وكذلك قل عن الاختلافات في رواية وضبط بعض الأحاديث الشريفة

مضى نديمي وخلاني لأشواق

يا ساقيَ الراح هات الدمعَ يا ساقي

دمعي هو الراح فاسقينيه يا ساق

يا ساقيَ الدمع بعد الراح يا ساق

دمعي دمٌ فترفـّق أيها الساق

— إذن نرجع

— إلى أين ؟

— إلى القاهرة ، وإلى دار أم كلثوم ، فهي القادرة على غناء هذا القصيد

— نروح اسكندرية !

— ما ذا تقول ؟

— كل طريق على غير هُدًى هو « نروح اسكندرية » كالذي وقع في فيلم « يحيا الحب »

— لا أفهم ما تقول

— أنا أهديت هذه القصيدة إلى الأستاذ محمد عبد الوهاب

— وأنا سأهديها إلى الآنسة أم كلثوم بإذنٍ صريح من الأستاذ محمد عبد الوهاب

***

رجعنا إلى القاهرة ، فما لقينا أم كلثوم ولا عبد الوهاب ، فقد صمت التليفون هنا وهناك ، وأراد الأستاذ أن يدعوني للغداء فاعتذرت ، برغم ما سمعت عن فخامة المآدب التي يقيمها الأستاذ وهيب دوس

أنا لا أشكو إلا من جوع روحي

هل أنشر في هذا العدد من الرسالة « غرام يوم الثلاثاء » ؟ الموعد في العدد المقبل ، وإنه لقريب

زكي مبارك

وفى قراءة أسماء الأعلام وغيرها . إن زلة القلم قليلاً تجعل النقطة نقطتين ، وتقصيره قليلاً يجعل النقطتين نقطة . لا ننتظر اتقاناً وضبطاً فى قراءتنا وكتابتنا ولا سهولة فى تعلمها مالم نطرح هذه الحروف ونستعمل الحروف اللاتينية التى لا غنى لنا عن تعلمها وإن أبقينا على حروفنا لاحتياجنا إلى تعلم ألسنة الغربيين والاقتباس من علومهم ومعارفهم . فباتخاذنا حروفهم نكون قد وفرنا على أنفسنا تعلم نوعين من الحروف

وخلاصة القول إنى أؤيد معالى عبد العزيز فهمى باشا فى فكرة استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، الفكرة التى بعثت على يده من جديد بعد أن كنت أول من نادى بها منذ ٣٧ سنة . فانى كنت قد بثثت هذه الفكرة فى استنبول وطبعت فيها رسالة بالتركية أسميتها (إصلاح حروفه دائر) أوضحت فيها بإسهاب مصاعب التعلم والقراءة والكتابة بالحروف العربية والتصحيف والتحريف اللذين ينشآن من استعمالها وحثثت فيها الترك والعرب والإيرانيين على استعمال الحروف اللاتينية عوضها . وكان تاريخ طبع الرسالة المذكورة سنة ١٣٢٦هجرية ، أى قبل أن تستعمل الترك الحروف اللاتينية فى كتاباتهم بـ ١٨ سنة . وكانت بعض الجرائد المصرية قد تناقلت خبر اقتراحى ورسالتى فى حينه . ثم كنت قد دافعت عن رأيى هذا فى مقالتين نشرتهما لى جريدة العراق البغدادية سنة ١٩٢٨ وأتمنى الآن أن تروج هذه الفكرة فتقوم مصر وسوريا والعراق باستعمال الحروف اللاتينية فتقتدى بها سائر الأقطار العربية . فأهنئ معالى الباشا بقيامه بهذا المشروع

بيد أنى لا أرى من الموافق إدخال بعض الحروف العربية بين الحروف اللاتينية كالجيم أو الحاء أو الخاء أو الصاد أو الضاد أو غيرها بصورها الأصلية أو مقلوبة . وإنى كنت قد عالجت الحروف العربية التى لا نظير لها فى الأبجدية اللاتينية فى رسالتى السالفة الذكر . وإنى مرسل لمعالى الباشا نسخة منها لأجل الاطلاع . إن فى الألبانية حروفاً لا وجود لها فى اللاتينية كالثاء والجيم والذال اتخذوا لها حروفاً تنسجم مع الحروف اللاتينية . وفى اليونانية ثاء وخاء . وهناك الطريقة التى يستعملها المستشرقون فى ضبط الألفاظ العربية . وعند الروس والأرمن حروف تقابل بعض حروفنا التى لا نظير لها فى الأبجدية اللاتينية فيمكن أخذ بعضها بأشكالها من الروسية واتخاذ البعض الآخر من الأرمنية بتعديل طفيف . أما حشر حروف عربية بين الحروف اللاتينية فيكون بمثابة ترقيع ثوب برقع من غير جنسه . لأن أشكال الحروف العربية لا تنسجم مع الحروف اللاتينية . وعدا ذلك إننا إذا استعملنا حرف الحاء (ح) كما هو ووقع فى وسط كلمة واتصل عما قبله وبما بعده أخذ شكل حرف الراء (r) اللاتينى تماماً

إنى عالجت فى رسالتى بعض الحروف فى لساننا باعتبار كون أحدها يلفظ مرققاً يقابله آخر مثله يلفظ مفخماً . فما لاشك فيه أن الطاء تاء مفخمة . والضاد دال مفخمة . والظاء ذال مفخمة . وكذلك الحال مع الصاد والسين ، والقاف والكاف . ويمكننا بنوع من التقريب اعتبار العين همزة مفخمة ، والغين كافاً فارسية مفخمة . والحاء هاء مفخمة . فنستطيع الدلالة على الحروف المفخمة بأشارة للتفخيم يتفق عليها توضع على الحروف المرققة . وبذا نكون قد استغنينا عن اتخاذ أشكال لحروفنا المفخمة

هدانا الله جميعاً طريق الصواب ، وألهم أولى الأمر ومنهم أعضاء المجمع اللغوى لفؤاد الأول قبول هذه الفكرة المصيبة ، إنه هو الهادى .

الدكتور داود الجلبي الموصلي

من رحلات القرن الماضي

انجلترة

في نظر سائح عربي

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

تختلف أساليب الرحالين والسياح في كتبهم تبعاً لاختلاف أمزجتهم وطبائع نفوسهم . فمنهم المتزمت الوقوركابن جبير، ومنهم الناقد اللاذع كعبد اللطيف البغدادي — وخاصة حينما نزل مصر ورأى فيها ما لم يعجبه . ومنهم المحدث المتفضل بالحديث عن نفسه والدوران حول شخصه كابن بطوطة . ومنهم الذي يدرس الطبائع والظواهر كالمسعودي . ومنهم الدقيق الملاحظة المستفيد مما تقع عليه عينه ليقدمه إلى بلاده بعد عودته كالشيخ رفاعة الطهطاوي . ومنهم الذكي المتوقد الذي يتتبع كل أمر ، ويتقصى كل شيء ، وينظر إليه من وجهيه . ولا تفوته النكتة اللاذعة والفكاهة المرة — أو الحلوة — والنادرة المكشوفة ، والعبارة المفضوحة كأحمد فارس الشدياق صاحب مجلة الجوائب . والشدياق من رحالة العرب في القرن التاسع عشر ، وهو قرن اشتهر فيه منهم رفاعة الطهطاوي وأمين باشا فكري وأحمد زكي باشا . ولكنهم على فضلهم لا يرتفعون إلى منزلة الرحالة الأولين من العرب .

ومن كتاب الرحلات في القرن العشرين لبيب البتانوني بك في رحلاته إلى الحجاز وأسبانيا وأمريكا الجنوبية . وأمين الريحاني في رحلته إلى بلاد العرب . وأحمد حسنين باشا في رحلته إلى صحراء ليبية . والدكتور عبد الوهاب عزام في رحلاته إلى البلاد الشرقية ومحمد ثابت في رحلاته المتعددة حول العالم ، وأحمد عطية الله في رحلاته إلى أوربا وفؤاد صروف في مشاهده في العالم الجديد

ولكل واحد من هؤلاء سبيله في الوصف ، إلا أنهم يشتركون جميعاً في طابع الجد الذي يميز كتبهم

ولكن الشدياق غير هؤلاء جميعاً . فالمزح طبع أصيل فيه يشهد بذلك كتابه (الساق على الساق) . وهو كتاب لم يخل من مجون أخذه عليه أهل الفضل والنظر .

وللشدياق رحلتان : أولاهما « الواسطة في معرفة أحوال مالطة — وضعها سنة ١٨٣٤ » . وثانيتهما « كشف المخبا عن فنون أوربا — طبع سنة ١٨٥٤ »

وقد أعلن المؤلف في مقدمة رحلتيه أنه يكتب عن حق ويروى عن صدق ، فلم يمل به هوى أو غرض إلى انحراف أو ميل . أو تفضيل قوم على قوم . وإنما يكتب بحسب ما ظهر له أنه الصواب

ولكن المتصفح لكتابه يرى فيه تحاملا وتجنياً . فهو متحامل على لندن . وامل ضبابها ودخانها أثرا في مزاجه ، وهو رجل مرهف الحس ، مرح كثير النقلة والحركة . فلم يعجبه محبسه في بيت انجليزي هادىء أمام موقد يرمى باللهب . وآثر الانطلاق إلى بعض عواصم أوربا الموسومة بحياة خارج الدور لا تسجن بجدران ! ولا تنقل بوجوه دائمة من السكان .

وفي رحلة الشدياق إلى انجلترة من الحقائق والاحصاءات الدقائق والدرس الواسع ما لا يستهان به . وكان يسعفه في ذلك الرجوع إلى الوثائق الرسمية . ومن هنا كان لكتابه قيمة تاريخية ولمشاهداته قيمة من ناحية الاستقصاء ، وفيها كثير من الموازنة والظرف والفكاهة ، والسخرية اللاذعة التي لازمت الشيخ الأشيب حتى على بياض لمته ...

فالقرية الانجليزية الصامتة المتزمتة التي وصفها الشدياق هي هي التي نراها اليوم (ليس فيها مواضع للهو والحظ ، وإذا أرادوا اللهو عمدوا إلى أجراس الكنيسة يضربونها فتقوم عندهم مقام آلات الطرب) وذلك حق من الشدياق ؛ فالريف الانجليزي على جماله يخيم على قراه هدوء حزين لا يسر الطبائع المرحة التي تجد في الحركة والصخب أنسا وراحة .

والشدياق يصف من الريف أرضه وسماءه وكل شيء فيهما ... حتى البقلة الناجمة والزهرة الحائلة ... ويوازن بين بقل وبقل ، وزهر وزهر . ويدرك الفرق بين أزهار مالطة وشبيهاتها في فرنسة وانجلترة . ويصف حيوانه وصفاً دقيقاً . ولا تفوته النكتة فيقول (ومما من الله به على هذه البلاد

– يعنى انجلترة – أن ليس فيها حيات ولا عقارب ولا سوام أبرص ، ولا ابن آوى يعوى فى الليل ، ولا نمس يأكل الدجاج ولا بعوض يمنع من النوم ، ولا براغيث فى الربيع إلا نادرا)

والشدياق حين يلاحظ الأمور الجارية فى رحلاته يردها إلى علل معقولة طبيعية أو اجتماعية . فالانجليزى يتخطى السبعين ولا يخط الشيب رأسه ولا عارضه . على عكس ما هو حادث فى الشرق . ويرد ذلك إلى أن الشيب سببه الهم والخوف وتوقع المساءة من أولى الأمر وذلك معدوم فى انجلترة لفشو العدل بينهم واطمئنان الناس إلى حقوقهم

ويلاحظ رحالتنا العربى فرقا بين ملامح الرجل المدنى وأخيه القروى فى انجلترة . فالأول ضاحك السمات ، مشرق البسمات . والثانى كثير العبوس قليل البشاشة لا يستخفه طرب ولا يستثيره لهو إلا فى القليل . ويرد رحالتنا ذلك إلى حياة اللهو فى المدن فينشأ الطفل على الطرب والخفة والبشاشة . أما القرية فقلّ أن تجد فيها ملهى قائماً أو ملعباً دائماً . . ومن هنا نشأ أطفالهم على الجد والعبوس والتوقر

وعيب الشدياق فى رحلته كثرة الاستطراد . وذلك عائد إلى ازدحام المعانى والأفكار والمعرفة عليه . فهو يروى ويصف ما شاهد ويؤيد ذلك بواقعة حال أو عبارة من مقال . أو يذكر بيتاً من الشعر أو لطيفة من الأدب أو حكاية عن العرب . ثم يعود بعد لف طويل إلى موضوعه الأول

وهو خبير فى رحلاته بكل شىء . تراه عارفاً بالطعام ، ذواقة لألوانه ، خبيراً بأطايبه ناقداً لمعايبه . . . ولهذا لم يعجبه الطعام الانجليزى على بساطته

وتراه خبيراً بالنساء طبيباً لأدوائهن ... دارساً لخبايا نفوسهن. يعرفهن بالرمز والأشارة ، كما يعرفهن بالقول والعبارة . ويقدّر جمال المرأة أحسن تقدير . . . ويؤثر العين والفم فى وجه المرأة لأنهما يتحركان فيحركان الوجد ويثيران الشوق . ولا يذهب مع من قال (أحب منها الأنف والعينان) بل يذهب مع الراجز الآخر حيث يقول : يا ليت عيناها لنا وفاها ... !

وتذهب به ملاحظته بعيداً فيتتبع الكتاب والشعراء الانجليز فى وصف محاسن المرأة . ويلحظ الفرق بيننا وبينهم فى التشبيه والاستحسان . فهم لا يشبهون العيون بالسيوف كما يفعل شعراؤنا ، ولا يشبهون المرأة بالشمس والقمر كما نفعل نحن . ولا يشبهون جيدها بجيد الغزال ، وإنما يشبهون الجيد بالمرمر أو يقتصرون على وصفه بالبياض . ويشبهون المرأة بالنجم . ولا يستحسنون الفلج فى الأسنان كما نستحسنه نحن . ويستطرد إلى غسل النساء وجوههن بالصابون فينقله ذلك إلى أول من عمل الصابون . وإلى أول عهد استعماله فى لندن سنة ١٥٢٤ ، وإلى مقدار ما يستهلكه الانجليزى منه فى العام تبعاً لما وصل إلى علمه من احصاءات

ويصف تقدير المرأة الانجليزية للهدية وتعظيمها لها مهما قل شأنها وتفه أمرها . فلا تراها إلا مثنية على المهدى معترفة بحسن صنيعه . مبالغة فى وصف الهدية وتقديرها حتى يتوهم المهدى أنه صار رابعاً لحاتم الطائى وهرم بن سنان وكعب بن مامة من أجواد العراب ...

ولا يفوته وصف الفلاحة الانجليزية وهى تعمل فى الحقل ؛ حتى ليشفق عليها من البرد يعض جسمها ، ومن شمس الصيف تلوح وجهها . . ويأسف لهذا الجمال الذى يرخصه مزاولة الأعمال. وينحى باللائمة على الرجال الذين يحوجون المرأة إلى هذا الابتذال

ولو عاش الشدياق فى عصرنا هذا ورأى المرأة الانجليزية فى المصانع وفى لباس الجنود ، وفى طبقات الجو وحُبُك السماء ، ولو رآها تلعب دورها فى هذه الحرب الضاربة فماذا كان يقول ؟

ولكن النكتة لا تفوته فى هذا المقام فيضع شعرا فى الفلاحة الانجليزية يقول فيه :

فلو برزت سواعدهن يوماً لشاعرنا لأنشد من ذهول
ربات الحقول يحق لى أن أشبب لا بربات الحجول ...

كما لا تفوته النكتة البديعية فيعمل جناساً بين الحقول والحجول

ويثنى الشدياق على المرأة الانجليزية كزوجة صالحة وربة بيت تدير شئونه وتصرف أموره على أحسن تدبير وأكمل تصريف . ويقرر (أن من تزوج بإحداهن فقد هنأه العيش وقرت عينه بما يراه من نظافة منزله مع الاقتصاد فى النفقة وراحة البال من الأسباب الباعثة على الغيرة)

ولقد قر هو نفسه عيناً بزوجة انجليزية صالحة إلا أنه لم ينجب منها . ولكنه أنجب من غيرها ثلاثة ذكور أكبرهم سليم الشدياق الذى ظفر بثقة السلطان عبد الحميد واحتل فى الآستانة مكاناً رفيعاً .

محمد عبد الغنى حسن

فرقة التمثيل ومديرها الفنى

للأستاذ حبيب الزحلاوى

لم نحمل على الفرقة القومية التى كان يرأسها الأستاذ الجليل خليل مطران بك كرهاً لها ، أو تقليلاً من قدر رئيسها الفاضل ، لأنه يستوى عند الأديب الغيور على فن المسرح أن تكون الإدارة بيد بكر أو خالد من الناس ، إنمـا حاربناها لتصدر مديرها إلى تحمل أعباء مسؤولية فنية أثقلت عاتقه ومهلت لذوى أغراض خسيسة إرضاء مطامعهم وشهواتهم على حساب فن المسرح .

وأزعم أن لو استجاب الأستاذ مطران دعوات الداعين إلى إيجاد مدير فنى يقظ الذهن يدرك غرض الحكومة من إنشاء الفرقة ، ويحرص على فن المسرح تأليفاً وتمثيلاً وإخراجاً ، لمـا حدث الانقلاب الذى نتج عنه تبديل فى الإسم واستبقاء للغرض والوضع

فرحنا أيما فرح عند تأليف الفرقة المصرية للتمثيل ، وقد أسند مديرها الجديد إدارتها الفنية إلى الأستاذ زكى طليمات الفنان المتخصص ، واغتبطنا أيمـا اغتباط عند ما تألفت لجنة القراءة من رجال بعيدين البعد كله عن تزمت شيوخ لجنة القراءة السابقة وعنعناتهم ، تحدوهم غيرة على الفن وحب للأدب لا دخل فيه ولا تصنع . ووقفنا بعيداً ننتظر قطف ثمار هذا الانقلاب

كأنى بالأستاذ زكى طليمات ساير الزمن فى انقلاب أوضاعه وماشى حكاماً استهانوا بكل شىء وأقاموا من شهواتهم قوانين للطغيان والظلم والكسب ، فجنح هو أيضاً عن دستور الفرقة وقوانينها ، وهبط إلى مستوى الفرق الأهلية التى تراعى الربح المادى ولا تلتفت إلا إلى الفوائد المادية المعدودة بالمليم والقرش ، فصرنا نشاهد على مسرح الأوبرا الملكية تمثيل رواية « شهرزاد » و « يوم القيامة » و « سلك مقطوع » و « كانا كده » ... وما شاكل هذه التلفيقات البهلوانية والتهريج الرخيص

بودى لو تسمح لى أعمالى الخاصة بالوقوف عند كل رواية من هذه الروايات التى لا تشرف أحط الفرق الجوالة لو مثلتها فى ساحة عامة على مشهد من السوقة والدهماء ، وإنى لأعجب والله كيف يباح لفرقة حكومية تعيش من أموال الدولة أن تقول عن أبناء الأمة إنهم كلهم ديوث وقواد وعكروت (وكانا كده) ؟!

أفهم أن يعمد مؤلف إلى إبراز أشنع الصور الأخلاقية والاجتماعية ، ويمعن فى التهويل وفى تزييف هذه الصور إلى حد يجعلها بغيضة مكروهة من كل النفوس ، حتى نفوس الأشرار والمستهزئين ، أما الذى لا يمكن فهمه ولا تسوغه سوى عقلية المدير الفنى للفرقة الحكومية أن يقال للأمة « كانا كده » !

ناهيك بالانحراف عن الكلام الفصيح ، والتزام اللهجة العامية وتعابيرها النابية ، والتنكيت البارد ، والحركات السمجة ، والزار ، وضرب الطار ، وهز البطن والأرداف ، « والتشلبق البلدى » فى رواية « يوم القيامة » ، وقد كان ضحيتها ممثل بارع افتديه « بمعهد فن التمثيل » هو الممثل المقتدر عباس فارس ، وقد اختاره زكى طليمات المدير الفنى لأن يكون ذبيحة تلك الرواية ومهرجاً فيها ... فياخيبة الفن !

وهكذا فعل أيضاً ، فقد سخر أحمد علام وحسين رياض لأن يكونا مهرجين فى رواية « سلك مقطوع » ، ولم يسخرهما اعتباطاً ، بل لغرض كامن فى قرارة نفسه . ولم يخترهما لرواية « يوليوس قيصر » ، بل تحايل بالمرض على تقديم فساكل من الممثلين المبتدئين ليمثلوا دوريهما ، فكانوا على المسرح كالغراب صوتاً ومشية ...

لا تخلو تصرفات المدير الفنى فى توزيع أدوار الرواية من الغرض ، هذا إذا لم أقل مع الممثلين إنه يتعمده تعمداً ، فقد شاهدت تمثيل رواية « الوطن »

وقد كانت بطلة تلك الرواية ممثلة لا أعرف اسمها ، ولكنى أذكر قصر قامتها ، وشلل أوتار وجهها الذى لا يعبر عن شىء ، وثقل حركتها ، وعجز حنجرتها عن تلوين صوتها لعلة فى مخارجه !

ألمثل هذه الممثلة الباردة يسند تمثيل رواية عنيفة ، متعددة المواقف ، متنوعة التلوين والانفعالات ؟ ؟

لا ألوم تلك الممثلة المسكينة ، وأعتذر إليها من وصفي موقفها ذاك ، إنما ألوم الذي أثقل كاهلها بحمل لا تطيقه طبيعتها بزعم خاطئ وتقدير معكوس في أنه يرفعها إلى مصاف كبار الممثلات ، وإذا به يدفعها إلى الهاوية التي لا تستأهلها

لا يعني كلامي أن هذه الممثلة لا تتقن فن التمثيل ، فقد تصلح ولا ريب لأدوار أخرى ، إنما أعني أن المدير الفني أساء الاختيار كعادته في التحكم بالممثلين والتسيطر على الممثلات

بودي لو أقف طويلاً حيال كل رواية أخرجها الأستاذ طليمات لأقارنها بروايات أخرجها الأستاذ فتوح نشاطي ، وبذلك يتبين له البون الشاسع والفرق الظاهر بين المجتهد الدؤوب ، وبين القاعد المتقاعس

وسأفعل ذلك إذا توفر لي الوقت ، وسأتكلم عن المواقف الفنية وعن فعال العنصر النسائي في الفرقة ، وسأخصص درساً لروايتي « قطر الندى » و « شارع البهلوان »

والآن أسأل : ماذا أفاد الأستاذ زكي طليمات الفرقة المصرية للتمثيل ، وبماذا أساء إليها بكونه مديرها الفني ؟

لقد أفاد الفن كثيراً ، وسأذكر هذه الفوائد بالتفصيل في الحين المناسب ، ولكن هذه الفوائد على كثرتها أقل كثيراً من إساءاته ، ولا أحصى منها إلا ما يأتي :

١ — أساء إلى الحكومة في تعطيله قانون الفرقة بإدخاله اللهجة العامية وجعلها تطغى على اللغة الفصحى

٢ — أساء إلى الحكومة في إنفاق خمسة عشر ألفاً من الجنيهات من أموال الدولة على « تكية » ممثلين نفعوا ذواتهم ولم يحسنوا إلى الأمة ، وكان في وسعهم نفعها لو توفر لهم مدير فني يعمل للفن بدافع من الغيرة على الفن والاعتزاز بأمته

٣ — أساء إلى الحكومة التي وكلت شئون التمثيل إلى جماعة توهمت فيهم القدرة دون أن تقيم رقباء عليهم ، فجعلوا الفرقة مطية للأهواء والشهوات

٤ — أساء إلى النهضة الأدبية وإلى سمعة مصر في البلاد العربية

٥ — أساء إلى نفسه وقد عرضها للوقوف أمام لجنة التحقيق — على حد ما ذكرت الصحف — عما نسب إليه من أمور لا شأن لي بذكرها

وإنه لمن المدهش حقاً أن تقف لجنة القراءة — وأعضاؤها من ذكرت — هذا الموقف المهين اللين من مدير الفرقة الفني ، وهي تعلم أن مآلها مرتبط بسقطاته الفنية وغير الفنية ، وقد يزول العجب متى أعطانا اللثام عن بعض أسباب ذلك الموقف وموعدنا قريب

حبيب الزحلاوي

الحياة الأدبية في السودان
بين ماضيها وحاضرها
للأديب سعد الدين أ. فوزي

لا أريد أن أطوي القرون القهقرى ، لأتكلم عن النهضة الأدبية في السودان القديم الذي عاصر الفراعين في مصر ، والبابليين والأشوريين في العراق . ولا أريد كذلك أن أقتصر على النهضة الأدبية الناشئة الآن ، ولكني أحب أن أقدم عرضاً موجزاً للحياة الأدبية في السودان العربي

عند ما انتصر العباسيون تفرق الأمويون في بلاد الله ، فنزل فريق منهم الأندلس وأسس بها مملكته الشماء ، وجاء فريق إلى جنوب السودان وهبط سنار بين النيلين الأزرق والأبيض ، حيث وجد موجات عربية أخرى قد سبقته ما بين القرنين السادس والثالث عشر الميلاديين إلى تلك الربوع ، وهناك امتزج بالسكان الأصليين وتزوج منهم وتناسل ، على أشهر الروايات ، وأسس صرح مملكة عظيمة تسمى بالسلطنة الزرقاء أو مملكة الفونج ، امتدت شهرتها حتى وصلت إلى القسطنطينية واتسعت حدودها حتى البحر الأحمر وأطراف الحبشة وحدود دارفور

وقد اشتهر ملوك سنار بما جُبلوا عليه من الشيم العربية ، من الكرم والشهامة وحب الثناء ، فكان الشعراء يفدون عليهم من مصر ومن سائر البلاد العربية ، فينظمون فيهم عقود الثناء ، وينضدون فيهم قلائد المدح ؛ ولكن الطابع الأصيل للنهضة الأدبية في رعاية ملوك سنار كان دينياً بحتاً ، فكان للعلوم الفقهية المقام الأول ، في الدراسة والتحصيل ، وفي البحث والتنقيب . ولم تقتصر همة ملوك الفونج على رعاية العلماء في داخل حدودهم ، بل كانت لهم صلات وثيقة بأفاضل العلماء في مصر ،

ورجالات الأزهر المعمور . ومن أشهر هؤلاء الملوك الملك بادى أبو دقن ؛ كان يرسل الهدايا والهبات إلى رجال العلم فى الوادى الشمالى حتى مدحه الكثيرون بقصائد رنانة — أورد منها شقير بك فى كتابه « تاريخ السودان » أبياتاً للشيخ عمر المغربى قال فيها :

أيا راكباً يسرى على متن ضامر
إلى صاحب العلياء والجود والبر
وينهض من مصر وشاطىء نيلها
وأزهرها المعمور بالعلم والذكر
لك الخير إن وافيت سنار قف بها
وقوف محب وانتهز فرصة الدهر
إلى حضرة السلطان والملك الذى
حمى بيضة الإسلام بالبيض والسمر
هو الملك المنصور بادى الذى له
مدائح قد جلت عن العد والحصر
سليل ملوك الفونج والسادة الألى
علا مجدهم فوق السماكين والنسر

وظلت هذه الصلات وثيقة العرى حميدة الأثر حتى ضعفت دولة الفونج وصار الأمر فيها إلى مواليها من « الهمج » . وكان القرآن هو الدعامة الكبرى للتعليم فى ذلك الوقت ، تخصص على درسه وتدريسه فقهاء أجلاء من علماء الأزهر وعلماء السودان

ومن أشهر هؤلاء فى ذلك العهد ، الشيخ ادريس بن محمد الأرباب ، اشتهر بالفضل والتقوى ، حتى لقب بسيد الأولياء ، وكانت له ولأحفاده من المكانة عند ملوك سنار ما جعلهم ملجأ المستغيث ومأمن الخائف . واشتهر بعده الشيخ حسن بن حسونة الذى جاء أبوه من الأندلس ، فسكن « كركوج » على النيل الأزرق ، واشتهر بالصلاح والتقوى . وفى هذا العهد أيضاً رحب السودان بعلماء كثيرين وردوا ساحته من سائر البلاد العربية ، كالشيخ تاج الدين البهارى الذى جاء من بغداد ، والشيخ ابراهيم بن جابر البولادى من مصر ، والشيخ محمد العركى من مصر أيضاً . وفى المخطوط التاريخى الذى يعرف عند مؤرخى السودان « بطبقات ولد ضيف الله » ذكر الكاتب نيفاً وتسعين من رجال العلم والدين فى ذلك العهد فى مختلف أنحاء السودان لا داعى لاستعراضهم جميعاً

أما الكتابة الفنية الخالصة والشعر الوجدانى المشبوب فما كانا غرضاً من أغراض الكتاب فى دولة الفونج ، إذا استثنينا الشعر الشعبى الذى لا يتقيد بالفصحى ، والذى يعرف عندنا « بالدوبيت » وإنما كانت الكتابة وسيلة لمدح ، أو رداً على رسالة أو تهديداً لخصم ، وكان عمادها الجملة القرآنية ، والاقتباس من الأحاديث النبوية ، مع التزام السجع ، وتقطيع الكلام إلى فقر قصيرة . وإليكم مثلا الرسالة التى رد بها السلطان محمد عدلان على اسماعيل بن محمد على قائد الجيش المصرى الفاتح عند ما طلب منه التسليم . قال :

« لا يغرنك انتصارك على الجمليين والشايقية ، فنحن الملوك وهم الرعية ، أما بلغك أن سنار محروسة محمية ، بصوارم قواطع هندية ، وجنود جرد أدهمية ، ورجال صابرين على القتال بكرة وعشية ؟ »

وكانت الحياة الأدبية فى مملكة دارفور المعاصرة لمملكة سنار الآنفة الذكر ، والواقعة فى غرب السودان مماثلة لما تقدم وصفه : حركة دينية عمادها القرآن والحديث والمذاهب ، وأشعار مصطنعة فى مدح الملوك والسلاطين ، والفخر والحماسة ، وتعليم أساسه الدين يبذل فى المساجد وبيوت القرآن

ثم دالت مملكتا سنار ودارفور العربيتان ، واستتب الحكم المصرى فى السودان سنة ١٨٢١ ميلادية ، فاستمرت شعلة الاسلام متقدة وكثرت الطرق الصوفية فى طول البلاد وعرضها وصار لأربابها من النفوذ ما يدانى نفوذ السلطة ، وانتشر علماء السودان الواردون من الأزهر فى أنحاء البلاد ، وازدحم الطلاب على أبواب كبارهم كالشيخ القرشى والشيخ محمد الشريف من زعماء الطريقة السمانية الكبار

وقد نشر المصريون فى السودان عدداً من المدارس الأولية ، وأنشأوا مدرسة وسطى بالخرطوم بنظارة الشيخ رفاعة بك الطهطاوى ، وشمل خديوى مصر المساجد برعايتهم فأجروا أجور الأئمة ، وقاموا بأصلاح الكثير منها ، ولكن مما يؤسف له أن الشطر الأكبر من هذه الجهود ما زال مطوياً عن الجمهور

فى الوثائق الرسمية ، ولم يصل بعد إلى آذان الجمهور فى مصر والسودان . بيد أن سوق الأدب كسدت فى أواخر الحكم المصرى لاضطراب الحالة السياسية وضعف الأداريين واستبداد الجباة .

وكان النثر على نوعين في هذه الفترة : لغة الدواوين التى تكتب بها التقارير وتصدر الأوامر وكانت مهلهلة لا ترمى إلى غير الأداء . ولغة العلماء والفقهاء التى ظلت تحتذى أسلوب القرآن وتسرف فى تضمين آياته وأحاديث الرسول ، ومن أشهر علماء هذه الفترة الفقيه السنوسى بقادى ، والفقيه محمد الحاج الطيب إمام جامع الخرطوم فى ذلك الحين ، والفقيه محمد على ولد العباس ، والشيخ الطريفى بن الشيخ يوسف ، والشيخ حسن ولد بان النقاب وكثيرون غيرهم .

وعندما انتهى الحكم المصرى على يدى الثورة المهدية ازدادت شعلة الدين توهجاً ، وامتزجت السلطة الدنية بالسلطة الدينية تماماً . وكان المهدى رجلاً متفقهاً فى الدين متمسكا بالكتاب والسنة ، وكان على ذلك بليغاً سيال العبارة سلس الأسلوب ، وقد عمل مخلصاً على نشر الدين وبث العلوم القرآنية . وكان إذا ما صلى صلت الأمة كلها وراءه ، وكان إذا ما جاهد اندفع الجميع تحت لوائه . ولعل فى النبذ الآتية من خطبه ومنشوراته مايوضح ما نحن بصدده من تحليل النثر فى ذلك العهد

قال المهدى فى رسالة له : « قد اجتمع السلف والخلف فى تفويض العلم لله ، فعلمه سبحانه وتعالى لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفننين ، بل يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب . قال تعالى : « لا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء » و « عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » و « لا يسأل عما يفعل » و « يخلق مايشاء ويختار » . وإليكم نص البيعة التى بايعه عليها أنصاره الكرام « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الوالى الكريم ، والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله مع التسليم ، أما بعد فقد بايعنا الله ورسوله ، وبايعناك على توحيد الله ، وألا نشرك به أحداً ، ولا نسرق ولا نزنى ، ولا نأتى ببهتان ، ولا نعصيك فى معروف ، بايعناك على زهد الدنيا وتركها ، والرضى بما عند الله رغبة فيما عند الله والدار الآخرة وعلى ألا نفر من الجهاد »

وكان للمهدى شعراء أفذاذ ، نذكر منهم الشيخ عمر البناء ، فقد كان شاعراً بليغاً قوى الديباجة ، رصين المعانى ، له قصائد مشهورة أذ يعها

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت فى شأن الاله حياة

ولولا ضيق المقام لأوردنا الشىء الكثير غيرها . والشعر فى ذلك الحين كان يقوم مقام الخطابة عند العرب ؛ مدح المهدى وتشجيع لأنصاره وحملة على أعدائه — ومن ثم كانت دائرته محدودة ، ونظرته ضيقة

ثم انقضت المهدية وجاءت الحكومة الحاضرة ، واتصل أدباء السودان وشعراؤه بالعالم العربى الحديث فنشأت مدرستان فى الأدب : قدماء ومحدثون

أما المدرسة الأولى فنهلت من مناهل الأدب العربى القديم ، ورشفت على وجه خاص من موارد العباسيين ، وعاصرت شوقى وحافظ عند المصريين

وأما المدرسة الثانية فتأثرت بالأدب المصرى الحديث أول ماتأثرت ثم تشربت روح الآداب الغربية ، واهتزت لشعراء وأدباء المهجر

وفى طليعة الأوائل الشيخ عبد الله عمر البناء والأساتذة أحمد محمد صالح ، وصالح عبد القادر

وفى طليعة الأواخر : التيجانى يوسف بشير ومحمد عثمان محجوب والمرضى محمد خير ويوسف التنى

أما النثر فقد تطامن متنه لأدباء السودان ، ولا داعى للأفاضة فيه ، فهو لا يتميز عن النثر الحديث فى العالم العربى ، وإنما يجرى فى ركابه مع الاختلافات اليسيرة التى تميز أسلوب كاتب عن كاتب وشاعر عن شاعر

وقد اعتاد أدباء السودان وشعراؤه أن يقيموا مهرجاناً أدبياً كل عام يعرضون فيه ثمرات أفكارهم وروائع أشعارهم . وقد أقيم هذا المهرجان فى ثانى يوم عيد الأضحى

وإذا ما قدر لإنتاج السودانيين فى القريب بإذن الله ، أن يجد طريقة إلى المطبعة فسيرى القراء الكرام مدى ما وصلنا اليه فى عالم الفكر والأدب ، ويحكمون بأنفسهم على ذلك الانتاج

بخت الرضا — سودان سعد الدين . أ . فوزى

الذوق الأدبي العراقي

للدكتور مصطفى جواد

للأدب العراقي سمة واضحة وخصائص لائحة ومزايا مشهورة ومقام شريف ، ولكل صقع من الأصقاع تأثير فى سكانه ، تحدثه الوراثة والأرض والماء والهواء . وإن سلمنا نحن هذه الحقيقة فإنا لا نغلو فيها فنقول قول فيكتور كوزان[1] العلامة الفيلسوف الفرنسى : « صفوا لى بلاد قوم أذكر لكم تاريخهم » ولقد علم علماء العرب القدماء هذه المعرفة وأسلافهم سبقوهم إليها ، حتى ذكر ذوو الدراية أن عمر بن الخطاب ، حين فتح الله البلاد على العرب كتب إلى حكيم من حكماء العصر : « إنا أناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد أن نتبوأ الأرض ونسكن الأمصار فصف لى المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره الترب والأهوية فى سكانها[2] » . فهذا الخبر — إن كان صحيحاً — يدل على تفطن العرب لأثر المسكون فى الساكن منذ أول العهود الإسلامية ؛ وإن كان موضوعاً فإنه لا يخلو من كون هذا الرأى قديماً يزيد قدمه على ألف سنة

ودونك اسم باب من أبواب أحد الكتب القديمة « ذكر جمل من ذكر الأرض وشكلها وما يغلب عليها وتأثيراتها فى سكانها وما اتصل بذلك والأهوية وتأثيراتها[3] » . والعراق فى صفة الأرض القديمة معدود من أقليم بابل ، وفى نعته يقول أحد سكانه : « وأما العراق فنار الشرق وسرّة الأرض وقلبها ، إليه تحادرت المياه ، وبه اتصلت النضارة ، وعنده وقف الاعتدال ، فصفت أمزجة أهله ، ولطفت أذهانهم ، واحتدت خواطرهم ، واتصلت مسرّاتهم فظهر منهم الدهاء وقويت عقولهم وثبتت بصائرهم ... وفضائل العراق كثيرة لصفاء جوهره وطيب نسيمه واعتدال تربته وإغداق الماء عليه ورفاهية العيش به ... كانت الأوائل تشبهه من العالم بالقلب من الجسد لأن أرضه من إقليم بابل الذى تشعبت الآراء عن أهله بحكمة الأمور ، كما يقع ذلك عن القلب ، وبذلك اعتدلت ألوان أهله وأجسامهم .. وكما اعتدلوا فى الجبلة

(١) Victor Cousin ، ١٧٩٢ — ١٨٦٧ م ،

(٢) أبو الحسن المسعودى فى « مروج الذهب ج ١ ص ٢٧٢ وما يليها » من طبعة مصر

(٣) أبو الحسن المسعودى أيضاً فى « التنبيه والأشراف ص ٤ من طبعة مصر »

كذلك لطفوا فى الفطنة والتمسك بمحاسن الأمور[1] » . فكل هذه المأثورات الدالة على أن للترب والأهوية والماء تأثيرات فى السكان ، كتبت فى أواسط القرن الرابع للهجرة . ومما يؤيد اختصاص العراق بخصائصه الإقليمية المؤثرة فى ثقافة سكانه ومعايشهم وأخلاقهم ما ذكره سائح أندلسى بلنسى ورد بغداد سنة « ٥٨٠ » هـ والدولة العباسية فى عهد عزها وفخامتها وزمن عظمتها من حيث العدل والتدبير والسياسة والاستقلال والسعادة والنظم والرسوم ، قال : « وكنا سمعنا أن هواء بغداد ينبت السرور فى القلب ويبعث النفس دائماً على الانبساط والأنس ، فلا تكاد تجد فيها إلا جذلان طربا وإن كان نازح الدار مغتربا حتى حللنا بهذا الموضع ... وهو على مرحلة من بغداد . فلما نفحتنا نوافح هوائها ، ونقعنا الغلة ببرد مائها ، أحسسنا من نفوسنا — على حالة وحشة الاغتراب — دواعى الأطراب ، واستشعرنا بواعث فرح كأنه فرحة الغياب بالإياب ، وهبت بنا محركات من الأطراب ، أذكرتنا معاهد الأحباب فى ريعان الشباب ، هذا للغريب النازح الوطن ، فكيف للوافد فيها على أهل وسكن :

سقى الله باب[2] الطاق صوب غمامة
وردّ إلى الأوطان كل غريب

* * *

والذوق الأدبى هو إدراك محاسن الأديب ومعرفة دقائقه ولطائفه ونكاته ، وهو للأديب ملكة تأسيس على مقاييس المحاسن الأدبية ، وللقارئ الأدبى هو ملكة تمييز واستذاقة ، وامتلاك هاتين الملكتين قائم على الدراسة والزمان والذهن ، وبالذوق الأدبى يستطيع الإنسان قدر اللطائف الأدبية حق قدرها ، وتعرُّفَ الحكمة وإحساس الأدب الجميل ولمح التأثيرات الأدبية فى النفوس ، وتمييز المستحسن من المستكرَه من الأدب بالإضافة[3] إلى ذوى الأكثرية من أهل الأدب ، ومعرفة ما يلائم الطباع من الآثار الأدبية ، والغوصَ على النكات

(١) المرجع المذكور « ص ٢٧١ »

(٢) باب الطاق ، فى بغداد القديمة ، كانت محلة كبيرة بالجانب الشرقى ، والطاق هو طاق أسماء ، وكانت المحلة من حيث الخطط القديمة بين الرصافة (مدفن الملك فيصل الأول وما حوله فى أيامنا) ونهر المعلى (بغداد الشرقية فى عهدنا) وكان الطاق عظيما فى دار كبيرة وكان عنده مجلس الشعراء فى أيام الرشيد ، ومحلة باب الطاق اليوم بساتين بين كرادة المعظم وجنوبى مدفن الملك فيصل الأول وقد نسى الاسم

(٣) بالاضافة إلى كذا ، معناه « بالنسبة إليه والقياس إليه » ويستعمله المترجمون بمعنى « مضافا إلى كذا » وذلك خطأ عظيم

والدقائق وعلم سُبُل الشعور المستقيمة ، فمحروم الذوق الأدبي لا يدرك مثلا قول امرئ القيس :

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مُدبرٍ معاً
كجلمود صخر حطه السيل من علِ

ولا يعلم أن المراد به « معاً » هو أن الكر والفر والإقبال مجتمعة في قوة الفرس لا في فعله المقترن بالزمان ، وذلك لأن المشتقات في العربية هي للنعوت والأوصاف لا للأفعال والأحداث ، ولأن « معاً » للمصاحبة المطلقة ، لا للزمان البحت ، فلذلك يُقال : « جاءنا مع العصر » بجعله مصاحباً للعصر في المجيء . ومن حرم المقياس عدم الإحساس

أجل تضافرت الآثار والأخبار على أن الذوق الأدبي العراقي حكيم بارع كريم ، ألا ترى أن أبا علي محمد بن اسماعيل القاضي الطوسي ، قاضي طوس المتوفى سنة « ٤٥٩هـ » كان يلقب بالعراقي لظرافته وطول مقامه ببغداد[١] ، وما نشك في أن الظرافة العراقية هي سبب التلقيب وإن كان لقبه « البغدادي » لا العراقي لأنه أطال الإقامة ببغداد . وروى الإمام أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة « ٣٨٤ » أن محمد بن أبي العتاهية قال : « أنشدت أبي أبا العتاهية شعراً من شعري ، فقال لي : أخرج إلى الشأم ، قلت : لِمَ ؟ قال : لأنك لست من شعراء العراق ، أنت ثقيل الظل مظلم الهواء جامد النسيم[٢] » وقال العلامة أحمد بن محمد الفيلسوف المؤرخ الملقب بمسكويه : « إذا أنصفنا التزمنا مزية العراقيين علينا بالطبع اللطيف ، والمأخذ القريب ، والسجع الملائم واللفظ الموفق والتأليف الحلو والبسوطة الغالبة ، والموالاة المقبولة في السمع ، الخالبة للقلب ، العابثة بالروح ، الزائدة في العقل المشعلة للقريحة ، الموقوفة على فضل الأدب الدالة على غزارة المغترف ، النائية عن عادة كثير من السلف والخلف[٣] » وقال أبو حيان ينعى على الصاحب بن عباد أسلوبه : « وطباع الجبلي مخالف لطباع العراق ، يثبُ مقارباً فيقع بعيداً ، ويتطاول صاعداً فيتقاعسُ قعيداً[٤] »

والظاهر هو أن ظروف أهل العراق في الأخلاق والأدب أصبح في العصور الإسلامية كالحقائق المجمع عليها المتخذة مقاييس وعبرا ؛ فهذا أبو منصور عبد الملك الثعالبي يقول في نعت أدب أبي العباس محمد ابراهيم الباخرزي الكاتب إنه كتب إليه بيتين ، فأجابه الباخرزي بأبيات منها :

استودع الله الحفيظ حبيبا
يحكي إذا نظم القريض حبيبا

متطبعاً طبع الشآم مبرزا
متدرعاً ظرف العراق أديبا[١]

وإذ لم يكن بد من التخصيص المؤدي إلى الاختصاص نذكر أن جماعة من الأدباء خصصوا أكثر الظرف العراقي والإبداع الأدبي بدجلة — أعني سكان بلادها — ومن ذلك ما قاله أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي يصف أدب أبي القاسم عبد الواحد[٢] ابن المطرز الشاعر البغدادي بعد إيراده له هذه الأبيات :

عسى طيف المهمة بالنعيم
يلم بنا على العهد القديم

أرقت له أماطل فيه هماً
يلازمني ملازمة الغريم

لعل خيال ذات الخال يسري
فينقع غلة النضو السقيم

وكيف ينام عشق تغلبي
تؤرقه ظباء بني تميم ؟

قال : « هذا لعمري الشعر الذي ورد دجلة فارتوى من زلالها ، وروّح بشمال بغداد فرفل في سربالها ، واستفاد الصحة من اعتلالها[٣] » ولقد حكى الباخرزي في هذا الوصف عن شعور شعره وإحساس أحسه ولون أدب ارتوى من نميره العذب ، حتى امتلأ منه . وتفصيل ذلك أنه لما ورد بغداد مدح الإمام القائم بأمر الله الخليفة العباسي ، بقصيدة صدّر بها ديوانه منها :

عشنا إلى أن رأينا في الهوى عجباً
كل الشهور وفي الأمثال عش رجبا

أليس من عجب أني ضحى ارتحلوا
أوقدتُ من ماء دمعي في الحشا لهبا ؟

وأن أجفان عيني أمطرت ورقا
وأن ساحة خدي أنبتت ذهبا ؟

وإن تلهّبَ برق من جوانبهم
توقد الشوق من جنبي والتهبا

---

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في « المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ٨ ص ٢٤٧ »
(٢) الموشح ص ٣٧٥
(٣) هذا قول عزاه إليه أبو حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ٦٤
(٤) المرجع المذكور ص ٦٢

(١) تتمة اليتيمة ج ٢ ص ٣٦
(٢) هكذا ورد اسمه في النسخة المطبوعة ص ٧٩ وفي إحدى النسخ المخطوطة « بدار الكتب الوطنية بباريس مخطوط رقم ٣٣٠٣ ورق ٦٩ » وللدمية نسختان أخريان بباريس أرقمهما « ٥٩٢٦ و ٥٢٥٢ » وسماه الثعالبي في تتمة اليتيمة « عبد الرحمن » ج ١ ص ٥٧
(٣) الدمية ص ٨٠

فاستهجن البغداديون شعره وقالوا : « فيه برودة العجم » فانتقل الباخرزى إلى الكرخ[١] وسكنها وخالط فضلاءها وسوقتها مدّة وتخلّق بأخلاقهم واقتبس من اصطلاحاتهم ثم أنشأ قصيدته التى أولها :

هبّتْ علىَّ صبا تكاد تقول : إنى إليك من الحبيب رسول

سكرى تجشمت الرُّبا لتزورنى من علتى وهبوبها تعليل

فاستحسنها البغدادّة وقالوا : تغير شعره ورق طبعه[٢] » .

ولا ينفك الأديب يلمح هذه الإشارات ويقرأ أمثال تلك العبارات ويستحيل هذه الحال فى كثير من الكتب الأدبية ، وتراجم الأدباء ، فالثعالبى لم يومئ إلى ذلك فى موضع واحد — أعنى الموضع الذى أثرنا خبره — وإنما قال أيضاً فى ترجمة أبى الفضل محمد بن عبد الواحد التميمى البغدادى : « وله شعر الأديب الظريف الذى شرب ماء دجلة وتغذى بنسيم العراق[٣] » ونحن لا نرى حقاً تسمية الخروج عن الأسلوب العراق أو الأسلوب البغدادى خاصةً « برودةً » وإنما هو « أثر الانتقال » و « أمارات العبور » من الفارسية إلى العربية ، فالمؤاخذة أكثر ما تكون فى « الأسلوب » ولا يستطيع الفارسى وإن بلغ الذروة من صحة التركيب فى العربية ، أن يمتلك زمام مجاز العربية وبلاغاتها الأخر . ثم إن للشعر العربى طابعاً خاصاً به وسمةً دالةً عليه ، فالفارسى على إجادته اختيار المعانى وإحسانه تزاويق التشبيه وزخارف الاستعارة ، لا يخلص إلى أسلوب عربىٍّ لاحب ، قال نقلة الأخبار إن الإمام أبا العباس أحمد بن الحسن الناصر لدين الله العباسى أسد بنى العباس وسياسيّهم الأعظم وأديبهم البارع ومحدثهم الماهر لما سمع قول تاج الدين الطرقى الاصفهانى :

إذا ما رآنى العاذلون وغردت حمائم دوح أيقظتها النسائم[٤]

يقولون مجنون جفته سلاسل وممسوس حىّ فارقته التمائم

تعجّب من ذلك وقال : « ما ظننت أن أحداً من العجم يصلُ كلامهُ إلى هذا الحد » وبعث إليه بخلعة[١] . وهذا الخبر يدلنا أيضاً على ما بلغه الإمام الناصر لدين الله من إدراك لمحاسن الأدب العربى ومعرفة لدقائقه ولطائفه وبارعه ورائعه .

وقال أحد المؤرخين العراقيين : « سمعت أبا عبد الله محمد بن يوسف الأرجانى ببغداد يقول : « قال لى إنسان بسمرقند — وقد جرى ذكر أهل العراق ولطافة طباعهم ورقة ألفاظهم — كفى أهل العراق أن منهم من يقول :

تنبَّهى يا عَذَبات الرند كمْ ذا الكرى ؟ هبت نسيم نجد ؟

وكرر البيت تعجباً من لطافته وعذوبة لفظه ، وهو لابن المعلم [أبى الغنائم محمد بن على بن فارس الواسطي الهرثى المتوفى سنة ٥٩٢] مبدأ قصيدة مدح بها إنساناً يعرف بهندى ، بنى القصيدة على هذه القافية لأجل اسمه[٢] .

ولقد صدق هذا السمرقندى فان هذا البيت من قصيدة تجلّتْ فيها محاسن الصناعة وبانت عليها بوارق البراعة ، وهى فى مدح الأمير هندى الكردى أحد الأمراء فى أواسط القرن السادس للهجرة ، كان فى خدمة الإمام المقتفى لأمر الله الخليفة العباسى مجدد دولة بنى العباس ، وقال فى ديباجتها الغزلية :

تنبهى يا عذبات الرند كم ذا الكرى هبت نسيم نجد؟

مر على الروض وجاء سحَراً يسحبُ بردَىْ أرج وبرد

حتى إذا عانقتُ منه نفحةً عاد سموماً والغرامُ يعدى

واعجباً منّىَ أستشفى الصبا وما تزيد النار غير وقد

أعلل القلب ببان رامة وهل ينوب غصُن عن قد ؟

وأسأل الربعَ ومَن لى لو وعى رجع كلام أو سخا برد

أأقتضى النوح حمامات اللوى هيهات ماعند اللوى ماعندى؟

كم بين خال وجو وساهر وراقد وكاتم ومبدى ؟

ما ضر من لم يسمحوا بزورة لو سمحت طيوفهم بوعد ؟

بانوا فلا دار العقيق دارهم دار ولا عهد الحمى بعهد

آه من البعد ولو رفقتم ما ضرنى تأوهى للبعد

عشق لا ما عشقته عذرة قبلى وبى يستن بى من بعدى

نعلة وقوفنا بطلل وضلة تسآلنا لصلد

إن نسكب الغيث الحمى وضن أن بنبر فى عراصها ويسدى

---

(١) محلة الكرخ فى زمن الباخرزى المتوفى سنة ٤٦٧ من المحلات المستقلة التى هى كالمدينة ، وكانت فى الجنوب الغربى من المشهد المعروف بمشهد المنطقة وهذا المشهد لا يزال قائماً بين الكاظمية وبغداد ، أما أرض الكرخ فصحراء

(٢) ياقوت الحموى فى «معجم الأدباء ج٥ ص ١٢٤ طبعة مرجليوس الأولى »

(٣) تتمة اليتيمة ج ١ ص ٦٣

(٤) الظاهر أن النسائم جمع نسيم كأفيل وأفائل وتبيع وتبائع وضمير ضمائر ونظير ونظائر

(١) محيي الدين عبد القادر العيدروسي فى النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص ٢٩٣ — ٤

(٢) أبو عبد الله محمد بن سعيد الدبيثى فى « ذيل تاريخ بغداد » من الكتب الخطية

سقته عيني ورمته أضلعي بوابل وبارق ورعـد
طرف بجف المزن وهووا كف كأنما جفناه كف هندي(١)

وأقر أيضاً بجمال الأسلوب العراقي في الأدب أدباء مشاهير من أهل الأندلس ، فان ابن جبير الرحالة الأديب المشهور ، المتقدم الذكر حضر — أيام دخوله بغداد في سنة ٥٨٠ - مجلس (أبي الفرج ابن الجوزي الحنبلي) فقال :

« وفي أول مجلسه أنشد قصيداً نير القبس ، عراقي النفس ، في الخليفة الناصر أوله :

في شغل من الغرام شاغل من هاجه البرق بسفح عاقل
بإكمات الله كوني عوذة من العيون للامام الكامل

فنرغ من إنشاده وقد هز المجلس طرباً (٢) » . فقوله إن ذلك الشعر عراقي النفس يدل على اشتهار النفس الشعري العراقي في الأندلس فضلا عن المشرق . وهذه الخصـائص الأدبية واللطائف الشعرية . لم تكن مقصورة على الخاصة من العراقيين دون العامة ، ألا ترى أحد المؤرخين يقول : « ومن خالط أهل بغداد وعلماءها عرف فضلهم ولطفهم ؛ ومن تأمل لطافة العوام بها في مجونهم وحديثهم وإشاراتهم التي لا يفهمها أكثر علماء غيرها من البلاد حتى أن فيهم من يقول الشعر المسمى (كان وكان) فيأتي بمعان لا يقدر عليها فحول الشعر تبين له فضلهم ولطافة أخلاقهم (٣) » .

وإن من غير العراقيين من اعترف بهذه الخصائص الأدبية وأسجل بهـا على نفسه كما يسجل القاضي بالحكم ويثبته في المحضر ، وهناك لا تجد أنبل من هـذه النفوس العلية والطباع المرضية التي من عادتها الإقرار بالحقيقة والإذعان للواقع مع ما فيه من هضم الجبلة وزم النفس عن مراتبها وتواضع هو في مقياس الفضائل ترفع ، ومن أولئك النبلاء الأدباء أبو سعد علي (٤) ابن محمد بن خلف الهمذاني ؛ وفي ذلك قال :

فدًى لك يا بغـداد كل مدينة
من الأرض حتى خطتي ودياريا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها
وسـيرت خيـلي بينها وركابيا

فلم أر فيها مثل بغـداد منزلاً ولم أر فيها مثـل دجلة واديا
ولا مثـل أهليها أرق شمائلاً وأعذب ألفاظاً وأحلى معانيا
وكم قائل: لو كان ودك صادقاً لبغداد لم ترحل فكان جوابيا:
يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم وترمى النوى بالمقترين المراميا(١)

روى هذه الأبيات أبو بكر الخطيب عن أبي القاسم علي بن المحسن القاضي التنوخي ورواها التنوخي عن ناظمها سماعاً بحضوره وإنشاداً من فيه ، ومن طريف ما نذكر هنا أن أبا حيان التوحيدي لما مدح الوزير أبا عبد الله بن سعدان العارض ، ذكر له أنه ممن يعتد به في مقامات المساجلة ومواطن المفاخرة وأنه يكايد به أصحابه ببغداد ويقول لهم : هل كان في حسبانكم أن يطلع عليكم من المشرق من يزيد ظرفه على ظرفكم ، ويبعد بعلمه عن علمكم ، ويبرز هذا التبريز في كل شيء تفخرون به على غيركم ؟ (٢) »

وآخر ما ننقل للقارىء شهادة أديب كبير وعلامة خطير ومنشىء بارع وشاعر مجيد وكاتب مجود ومؤرخ ذي يد باسطة في تحرير التراجم والأخبار ، وهو عماد الدين الاصفهاني فانه قال في ترجمة أبي الفتح محمد بن محمد(٣) بن عمر الأديب الكاتب : « لم يكن في عصرنا أكتب منه ، تبحر في أدبه ، وتطرف في مذهبه ... وله شعر كثير وديوان كبير ، ولم يخلف له نظيراً ... وعلى نظمه طلاوة بغدادية وحلاوة عراقية فنه .

قام بالعذر في هواك العذار فسلوى عن حسن وجهك عار
أدلال هذا التعنت أم أنـ ـت كما قيل خائن غدار ؟

بغداد — مصطفى جواد

(١) الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد ج ١ ص ٥٢ » .
(٢) أبو حيان في « الامتاع والمؤانسة ج ٢ ص ١٨٨ »
(٣) ولد سنة « ٤٨٤ » وتوفي سنة « ٥٥٧ » .

(١) عماد الدين الأصفهاني في جريدة القصر وجريدة العصر (من الكتب الخطية)
(٢) تقييد السياحة لابن جبير ص ١٩٤ طبعة مصر
(٣) كمال الدين ابن الفوطي في تلخيص مناقب بغداد ص ٣١
(٤) ورد في رتاريخ بغداد للخطيب البغدادي « ج ١ ص ٥٢ » بصورة « محمد بن علي بن محمد بن خلف » وليس بصحيح ، فان الثعالبي ذكره هكذا في اليتيمة « ٣ : ٢٧٥ » من طبعة الصاوي ونقل السبكي « فوات الوفيات ج ٢ ص ٧٥ » ترجمته من كتب تاريخ بغداد مع أسماء « علي بن محمد » وذكر أن وفاته كانت سنة ٤١٤ وذكره بهذه الصورة ياقوت الحموي في مادة « سابو خواست » من معجم البلدان

المناجاة الثالثة

إلى أخي بفرنسا

للأستاذ محمد برهام

من ذا يزف تحرقي وحنيني لأخ يعيش على ضفاف السين؟
كنا على حذر وكان بمأمن ما بالنا وسط الليالي الجون ؟
يارا كباً متن الصعاب إلى العلا وتكاد تقتلني عليه ظنوني
ما قيل إن على فرنسا غارة إلا بدوت بخفقة لجنون
عام يقضى في انتظار رسالة وتفض كل رسالة تأتيني
ليد الرقابة أن تفض غلافها أو أن تحيط بسرها المكنون
لكن مطالعتي بها مبشورة من فرط ما بي من هوى يشجيني
فذر الرسالة يا رقيب سليمة وإذا أبيت فبعضها يكفيني
لله أمٌ وهي في محرابها بين الخشوع وأنة المحزون
تدعو إلهك أن يعيدك سالما لتقر شتى أنفس وعيون
وحنت على كل الطيور بزادها ربما أنت بالطائر الميمون
يا أمنا رُحمى تبلبل خاطر غالٍ على عمر الزمان مصون
ها قد تحققت الأماني أبشرى فلقد لمحت النصر فوق جبين
(ياسين) لو بك أي جنب آمن قلت ارعه في الجانب المأمون
ما كان مهداً للجمال ومرتعا وتموج جنته بحور عين
قد صيرته الحادثات جهنما أبوابها فتحت لكل قطين
أأخي العزيز، الصبر جنة حازم فاشدد يمينك صابراً بيميني
فلقد يعود إلى الحياة نعيمها وتعود دنيا من دَدٍ وسكون
ستقول كيف أبي وأين تحية منه لمضطرب المكان رهين؟
إني لأشفق أن أجيب فأعفني إن السؤال جوابه يعييني !
أسلمتَ أمر أخي لرحمة ربه فإلى اللقاء ، ويارعاية صوني !

محمد برهام

مناجاة ...

للأديب ابراهيم محمد نجا

طواك الـكرى في حنان ولين فيا ليت شعري بما تحلمين ؟
بحب يبـوح به مغرم يغنيك لحن الجوى والحنين
وأفق تحوم عليه الظلال وقد غُيِّبت شمسه منذ حين
وعش يحلق فوق الغمام تحوم عليه منى العاشقين

هواك جرى في دمى مره وراحت تغازل قلبي رؤاه
وذكراك تشرق في خاطري كفجر ينبه روح الحياه
ويهتز قلبي إذا ما رآك كأنك لحن وقلبي صداه
وأنسى الزمان كأني نبيٌّ يشارف بالروح نور الإله

نظمت حياتي وأهديتها إليك قصيداً كنوّر الربيع
وقدمت عمري في طاقة من الزهر روّيتها بالدموع
وأودعت حبي في غنوة كأن صداها عبير يضوع
فرنت بها في السهول الرياح وغنت بها الطير بين الربوع

بدا الفجر نشوان بين السهول يغني فيرقص روح الوجود
ويضفي السنا فوق تلك الربى ويلقى الندى فوق تلك الورود
فأحسست نفسي تفك الإسار وأحسست قلبي يحل القيود
وعاد كما كان روحي طليقاً يريد إلى عشه أن يعود

تعالى لنخطر فوق السفوح مع الطير حتى يحين المساء
أغنيك أشجى أغاني الغرام وما هيج الشوق مثل الغناء
وسيان أن يتجلى الربيع على الكون، أو يتراءى الشتاء
فكل نهار — إذا ضمنا — صفاء ، وكل الليالي ضياء

تعالى نعش في ثنايا المنى تعالى نعش في حنايا الخيال
لنا في الهوى جوسق في السماء وعش هنالك فوق الجبال
نعيش فريدين بين الضياء ونحيا وحيدين بين الظلال
فكل الأغاني أغاني غرام وكل الليالي ليالي وصال

ابراهيم محمد نجا



١ – مالزكي مبارك ولكتاب الله

عاد الدكتور زكي مبارك يعرض للقرآن الكريم بسوء الرأي كما فعل في مقاله الأخير في « الرسالة » . وهو لم يعرض للقرآن مرة إلا افتضح ، ولكنه في هذه المرة قتل نفسه : قتلها بالهواء الذي يملأ العالم ، وبالزلطة التي كانت دومة لأن شكلها كالدومة ، والزلطة التي كانت خيارة لأن شكلها كالخيارة ، وبحياة الزلطتين لأنهما من دومة وخيارة حيتين ، وبحياة الجماد كله قياساً على حياة الزلطتين !!

فما الطفل الذي يضرب به المثل في بعض كتب التربية لأنه علل بياض اللبن ببياض أول بقرة رآها تحلب بأقبح جهلا ولا أضعف عقلا من هذا الذي زعم أن الزلط حي لأن بعضه يشبه شكله شكل الدوم والخيار .

ونعوذ بالله من أن نعرض لكتابه سبحانه بما لا يرضى فينتقم منا بنا كما انتقم من زكي مبارك بزكي مبارك . فما كان أحد يظن أن هذا الرجل إذا خلي بينه وبين قلمه يتخذ من قلمه حبلا يشنق به نفسه كما قد فعل على صفحات الرسالة في مقاله الأخير .

٢ – الى الاستاذ ابراهيم زكي الدين بدوي

تحيتي الخالصة إلى الأستاذ على غير سابق معرفة به ، واعتذاري اليه وإلى قراء الرسالة من أني لم أجب على كلمته الفاضلة التي نقد بها كلمتي الرابعة في فساد الطريقة في كتاب النثر الفني . وأكثر عذري أني أردت أن أرجع إلى قديم مخطوط إعجاز القرآن للباقلاني لعلي أجد فيه حكما بين رأيي ورأي الأستاذ أدرجه في جوابي . فكان الأمل في الوقوف على المخطوط يتجدد كل أسبوع من غير أن يتحقق في أسبوع .

أما وقد طال الإنتظار فسأكتب ما عندي من جواب غير راجع إلى ما في المخطوطات حتى تتيسر ، والموعد الأسبوع الآتي إن شاء الله

محمد احمد الغمراوي

الاقوال وأصحاب الاقوال

في العدد الأخير من مجلة الرسالة يذكر الأستاذ منصور جاب الله أنني أفتخر بأنني القائل « المجد كالمال ، فيه حرام وحلال » ، ثم يذكر أنني نسبت هذه الكلمة الطيبة الى الشيخ يوسف الدجوي في بعض المقالات التي كنت أرسلها إلى جريدة البلاغ أيام إقامتي في باريس ، ويرجو أن أجلو له وجه الحقيقة حتى لا يقع في الاضطراب بين الأقوال وأصحاب الأقوال

وأقول بعبارة صريحة إن هذه الكلمة الطيبة هي كلمة أستاذنا الشيخ يوسف الدجوي ، وقد تلقيتها عنه في معرض النصح يوم رآني أجادل خصومي بعنف وأنا أدفع عدوانهم على الآراء التي دونتها في كتاب « الأخلاق عند الغزالي »

وقد انتفعت بهذه الكلمة الطيبة فجعلتها شعاري في الجهاد العلمي ، بحيث صرت أومن بدون وعي بأنها من كلامي ، لأنها اتصلت أوثق الاتصال بروحي وعقلي ، ولو كان الشيخ الدجوي يخطر في بالي عند الافتخار بهذه الكلمة الطيبة لأسندتها اليه مفتخراً بأني كنت تلميذه فيما سلف من أيامي

ثم أقول إني قرأت للأستاذ منصور جاب الله مقالات ظفرت بإعجابي ، ولكن مقاله الوجيز في مجلة الرسالة فاق تلك المقالات ، لأنه أتاح لي فرصة ذهبية ، هي فرصة التنويه بمكانة أستاذنا الشيخ يوسف الدجوي ، أطال الله في حياته وأسبغ عليه نعمة العافية

أما بعد فقد كانت النية أن أكتب لمجلة الرسالة مقالاً أفصل فيه ما وقع بيني وبين هذا الشيخ الجليل من خلاف كان السبب في أن أحرم من صحبته عدداً من السنين ، وهو خلاف طريف ، لأنه يتصل بآراء لو نشرت لكانت من أجل الميادين التي تصطرع فيها العقول

وأعترف بأن حجة الشيخ أقوى من حجتي ، لأنه أصدق مني ، فأنا مجادل ، وهو مؤمن ، والإيمان أقوى من الجدال

أنا أحب أن ألقى الشيخ لأستأذنه في نشر ما دار بيني وبينه من مصاولات ، ولكن أين الوقت ، وبين داري وداره أميال وأميال ؟

لم يبق إلا أن أقول إن هنالك تاريخاً مجهولاً ، وهو أن

مشيخة الأزهر دعت أستاذنا الشيخ الدجوى إلى تأليف كتاب يشرح أصول الإسلام للأقطار الأمريكية ، فألف الكتاب ، ولكنه لم يجد المترجمين

لن تُعرَف قيمة أستاذنا الشيخ يوسف الدجوى إلا بالرجوع إلى نضاله الدينى فى البلبلة التى أوجبتها الحرب الماضية

على أستاذى ألف تحية من التلميذ الذى يحفظ الجميل .

زكى مبارك

إلى الدكتور سيد قطب

لاحظت فى سلسلة مقالاتك النقدية عن « عالم القصة » أنك تكرر فى كثير منها قولك إنك لا تعرف — ولم تر — شخوص أغلب من تتحدث عنهم ويبدو هذا غريباً فى نظرى — فالقصة — فى هذا اللون بالذات من ألوان الأدب — لاشك أن لشخصية الكاتب وحياته الأثر القوى فى إنتاجها — ومن قرأ كتاب ديهامل « دفاع عن الأدب » الذى أهداه الدكتور مندور إلى المكتبة العربية — يذكر أن ديهامل عرف أغلب — إن لم يكن كل — من تعرض لذكره أو نقده فى كتابه الحافل ، من معاصريه من الكتاب أو القصصيين .

وأنت — لاشك — قد خطوت خطوة كبيرة فى خدمة رسالة النقد المعنوية فى هذا البلد فلم لا تحاول أن تخرج من عزلتك وتتعرف إلى من تكتب عنهم ، بل وتكون معهم صداقات روحية ، فإذا أمسكت بقلمك بعد ذلك لتتحدث عن إنتاج لهم ، جمعت بين الصورة والأصل ؛ كما أنك ستخدم تاريخ الأدب المعاصر فتترك للأجيال المقبلة صوراً حية قوية من حياة المفكرين والكتاب المعاصرين . والسلام عليكم ورحمة الله

فوزى سليمان

إلى الأستاذ دريني خشبة

لقد أضعتُ وقتاً غير قليل من أيامى الماضية فى تدبر أشعار أبى تمام ، وجمع شتاتها ، إذ احتلَّت من نفسى المكان المرموق برغم ما كان يستوقفنى أحياناً عند ما تتحرى الذاكرة فتتعرض صوراً من أشعار بعض الشعراء القدامى مشابهة لبعض صور أبى تمام كما جاء فى فصولك التى تقدمها إلينا اليوم بأسلوبك العذب ، وعلى طريقتك المثلى

ولا يسمنى — وأنا الحريص دائماً على استيعاب كل ما يكتبه الأستاذ الفاضل — إلا أن أعرض عليه ما يأتى :

جاء فى مقالك الأخير ، أن أبا تمام نسخ قوله :

وأحسنُ من نَوْرٍ تفتحه الصَّبا
بياض العطايا فى سواد المطالب

عن قول الأخطل :

رأين بياضاً فى سوادٍ كأنه بياض المطايا فى سواد المطالب

فذكرتُ ما قاله ابن الأثير فى الجزء الأول من المثل السائر ص ٥٦ فى الحكمة التى هى ضالة المؤمن : « ويحكى عن أبى تمام أنه لما نظم قصيدته البائية التى أولها : على مثلها من أرْبُعٍ وملاعب انتهى منها إلى قوله :

يرى أقبح الأشياء أوبة آمل كسَتْه يدُ المأمولِ حلة خائب

ثم قال : وأحسنَ من نَوْرٍ يفتحه الصَّبا

ووقف عند صدر هذا البيت يردّده ، وإذا بسائل على الباب وهو يقول : من بياض عطايا كم فى سواد مطالبنا ، فقال أبو تمام :

بياض العطايا فى سواد المطالب

فأتم صدر البيت الذى كان يردده من كلام السائل »

أورد ذلك بعد ما قرر « أنه يجب على المتصدِّى للشعر والخطابة أن يتتبع أقوال الناس فى محاوراتهم ؛ فإنه لا يعدم مما يسمعه منهم حِكماً كثيرة ، ولو أراد استخراج ذلك بفكره لأعجزه » . وعلى ذلك لا يكون عمل أبى تمام هذا من باب النسخ ، وإنما يكون من باب الأخذ بالحكمة التى هى ضالة المؤمن ، وقد أوجب ابن الأثير الأخذ بها كما جاء فى كلامه ، كما أن هذا لا يتفق وطريقة النسخ عند ابن الأثير .

وبعد ، فلست أدرى أى المصدرين لبيت أبى تمام خليق بالاعتبار ، فانه تختلف درجة البيت بقدر مابين هذين المصدرين .

أرجو إيضاح ما ذكرت أيها الأستاذ الفاضل ، أيدك الله وألهمك التوفيق .

محمد العراقى



12me Année No. 597

Lundi - 11 - 12 - 1944





ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٥٩٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٦٣ — الموافق ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

بعد الاعتكاف

وجدتُني بعد خروجي من المستشفى أشبه شيء بالآلة الميكانية الموهونة ، تزلزلت مفاصلها وانحلت عُراها ، فشدوا بعضها إلى بعض بخيوط غليظة بالية ؛ فكنت إذا نهضت نهضت متحاملاً على ذراع ، وإذا مشيت مشيت متثاقلاً على حذر . وتلقيت على هذه الحال دعوة المجمع العلمي العربي بدمشق إلى مهرجان المعري ، فارتحت إلى هـذه الدعوة ، لأنها ستتيح لي سعادة النفس بلقاء الإخوان ، ومتعة العقل بشهود المهرجان ، وصحة البدن بهواء الجبل ، وتأدية الواجب لشيخ المعرة

ولكن السفر شاق ، والأمد بعيد ، والآلة الهشة لا تزال من الوهن تميد وتتخلع . فقررت الاعتكاف عن دنيا الناس حيناً من الدهر تحية وزلفى لإمام المعتكفين في مهرجانه ؛ وقلت لنفسي : هي خلوة صوفية يثوب فيها الجسم ، وتصفو بها الروح ، وتشفُّ بيننا وبين أبي العلاء الحجب ؛ فنخلو إلى روح الشاعر في كتبه ، ونجلو لإخواننا المحتفلين فناً من أدبه . ووقفت بنا السيارة على باب صومعتي الريفية ، وهي قائمة وحدها بين الحقول الخُضر والأشجار الفِين ، كما كان يقوم عش آدم في الجنة حين لم يكن على الأرض إنسان غيره وغير زوجه ، فدخلتها دخول الناسك الشريد وجد الظل والماء بعد وقدة الهجير وشدة الظمأ . وهبّت على الجسد العليل نفحات النسيم البحري فأذهبت عنه ما أرمضه في القاهرة من لفحات يوليو

الفهـرس

القائظ . وغمرنى السكون الريفى الحى فى المنزل والحديقة ، وفيما حولهما من مزارع القطن والرز ، فسبحتُ فى فيض من سكينة الفردوس اختنق فيها ما بقى عالقاً بسمعى من أصداء الحياة وضوضاء المدينة . وقطعت عن عشى صِلات العالم الخارجى فلم أعُد أرى غير مخضرٍ أو مفترٍ ، ولم أعد أسمع غير صادح أو باغم .

تذكرت حينئذ ناسك المعرة ، وقد اختصر العالم فى داره ، واختزن العلم فى صدره ، ثم كفاه الله هم الرغيف والمرأة ، فانفلت من إسار العيش ، وانطلق سابحاً فى رِجواء الفكر الحر ، ينظر من عَلٍ إلى بنى آدم المساكين ، وقد سلطتهم الطبيعة على أنفسهم ، فتفارسوا بالغرائز ، وتنافسوا فى الصغائر ، وزعموا أنهم العلة الغائية لخلق السموات والأرض وما دب على ظهرها ، وتولد فى بطنها ، ونما فى ثراها . ولو أنك نضوت عنهم ثياب التمثيل ، وجردتهم من وسائل التمويه والتجميل ، لما وجدتهم فى حقيقة الأمر يختلفون عن جماعة الكلاب تقتتل على جيفة ، أو تختصم على كلبة ! !

كان اعتكافى كما قلت قرباناً لأبى العلاء ؛ فأنا أعيش معه أكثر النهار فى اللزوميات ، أو فى الفصول والغايات ، أو فى مسارح التأمل والتفكر . وكثيراً ما كنت أستغرق فى ادّكاره واستحضاره وأنا مستلق على العشب ، فأتمثله وهو مضطجع على سريره يفكر ، أو جالس على حشيَّته يملى ، وكاتبه بين يديه ، وأولاد أخيه من حواليه ، وتلاميذه وزواره فى صحن الدار يرقبون أن تشرق عليهم شمس المعرفة من غرفته . وكنت أتخيل الشيخ بين هؤلاء كائناً عجيباً يشع العلم طبعاً كما تشع الشمس النور ، وتبث الزهرة العطر ، وتعسل النحلة الشهد ، فأسائل نفسى : هل أبو العلاء وأضرابه من عباقرة الفكر أفراد من نوع الإنسان ؟ وإذا كان وجودهم دليلاً على قابلية هذا النوع لمثل هذا الرقى ، فلماذا كانوا من الندرة بحيث يُعَدون عدًّا منذ وقع فى سمع الزمان نبأ آدم ؟ وهل يجوز أن يكون التفاوت بينهم وبين سائر الناس كالتفاوت بينى وبين هذه الحشرات التى تموج من حولى تحت وريقات هذا العشب ؟

خلوت إلى أبى العلاء فى هذا المعتكف شهرين شغلتهما بالفكر فيه والقراءة له والتأمل معه وكنت أشعر فى خلالهما أنى أعمق شعوراً بالكون ، وأدق فهماً للطبيعة ، وأتم علماً بالناس ، ولكنى مع ذلك حاولت مراراً أن أكتب فلم أفلح ! ذلك لأن الخواطر التى كانت تنثال علىّ إنما كانت صدى لخواطر المعرى أو اشتقاقاً منها أو اقتباساً بها . وكنت أجد فى شعره أو نثره التعبير الجميل الصادق عن هذه الخواطر فلا أجد بى حاجة إلى مزيد . والاعتكاف بعد هذا ضرب من العبادة الصامتة يغنى فيها الفكر عن الذّكر ، والاستغراق عن المشاهدة ، والاستقبال عن الإذاعة

وأوفيت على تلك الحال بالنذر للشيخ ، فودعته وودعنى ، وانسدلت بينى وبينه حجب القرون العشرة ؛ ثم عاد إلى قبره الجديد ، وعدتُ إلى مقرى القديم ، ليستأنف هو راحة الخلود فى سكون المعرة ، وأستأنف أنا جهاد الحياة فى زحمة القاهرة . فلما أخذت ، على عادتى فى الريف ، أبسط رئتى للهواء النقى ، وأرهف أذنىَّ للصوت الجميل ، إذا الهواء منتن يزكم الأنف ويأخذ بالنفَس ، وإذا الصوت منكر يندب الأخلاق وينعى الشرف ، وإذا النقائص والفواحش التى أخذها أبو العلاء على الناس متفرقين فى الأمم والعصور ، تتجمع كلها فى زمن واحد وبلد واحد ! وتلك كارثة خلقية تتضاءل بجانبها كوارث الحرب فى الأموال والأنفس . فإن من يشكو الجوع والموت والدمار وهى بلايا تدفعها السلم القريبة ويعوضها العمل المنتج ، ليس كمن يشكو جوع النفوس ، وموت الضمائر ، وخراب الأخلاق ، وهى محن لا ينفع فيها غير تبديل الفطَر الأصيلة ، وذلك من صنع الله وحده !

لم يأت وا أسفا على مصر فى دهرها الطويل حينٌ كهذا الحين انماعتْ فيه الرجولة ، وانحلت الأخلاق ، وطغت الشهوات ، وأظلم الحس ، حتى خفّت الرذائل على الطباع ، وساغت التهم الفواجر فى الأسماع ، فأصبح الناس يقرأونها كالأخبار ، ويسمعونها كالقصص ، ويتبادلونها كالتحايا ، ثم لا يجدون لها فى أنفسهم مضاً ولا غضاضة !

(للكلام بقية) أحمد حسن الزيات

حول وحدة الوجود

فيما كتبه الأستاذ دريني خشبة

للأســتاذ معروف الرصافي

كتب الأستاذ دريني خشبة فى العدد (٥٩١) من الرسالة مقالاً كرر فيه شتائمه السابقة لأهل وحدة الوجود عامة ، وللرصافى خاصة ، ونحن هنا لا نريد أن نقابل تلك الشتائم بمثلها ، وإن كنا أقدر عليها من غيرنا ، لأننا نكره النزال فى حومة لا يخرج منها الغالب إلا وهو ألأم من المغلوب

يقول الأستاذ خشبة : « كيف تكون الكائنات مظاهر لهذا الإلـه المجيب الذى يقول أنصار وحدة الوجود إنه لا وجود إلا له ... أما هـذه المخلوقات فهي باطل — هى وهم ... ولست أدرى كيف يكون الرصافى وهماً وباطلاً . . » إلى آخر ما هنالك من أقاويل أرجف فيها

إن الأستاذ خشبة يتهم خصمه بنقيض اعتقاده ، ويحمل كلامه على ضد مراده ، ثم يؤاخذه على ذلك مؤاخذة إرذال وتشنيع ، وهذا لعمر الله لم يعهد فى تاريخ البحث والمناظرة لأحد قبل الأستاذ

أنا لا أشك فى أن الأستاذ ، لو قرأ فى الصفحة ٢١ من رسائل التعليقات ، ما نقلناه عن محيى الدين بن عربى من كلامه حول ما جاء فى الحديث النبوى « أصدق كلمة قالتها العرب ، قول لبيد (ألا كل شىء ما خلا الله باطل) وما أوضحناه نحن وذكرناه هناك ، لاحمر خجلاً من قوله إن هذه المخلوقات باطل ، وإنها وهم

إن أهل وحدة الوجود ، يعطون الكائنات وجوداً لا يدركه الفناء ، لأنهم يرون وجودها ووجود الله واحداً . وهذا هو كل ما يريدون من قولهم بوحدة الوجود ، فالوجود فى رأيهم واحد لا اثنان ، وهو الله ذو الوجود الكلى المطلق اللانهائى ، وما هذه الكائنات عندهم ، سوى مظاهر للوجود الكلى ، وصور قائمة به ، كالأمواج فى البحر ، فإن الوجود فى البحر ، واحد وهو الماء ، وما الأمواج إلا مظوز من مظاهر الماء ، وصور قائمة به ، وليس للأمواج وجود غير وجود الماء ، ولا ريب أن وجود الأمواج حق ، لا وهم من الأوهام

والظاهر أن الذى حمل الأستاذ خشبة على جعله المخلوقات وهماً ، هو قولهم : إنه لا وجود إلا لله ، ولو افتكر الأستاذ جيداً ، لأدرك أنه لا يلزم من ذلك أن تكون المخلوقات وهماً ، ولنضرب له مثلاً أوضح من أمواج البحر : هرماً مبنياً من الثلج ، فنسأل الأستاذ هل لهذا الهرم وجود غير وجود الماء ؟ كلا ! وهو مع ذلك حق ، لا وهم من الأوهام ، بل كل ما هنالك أنه غير قائم بذاته ، بل بالماء ، فهو من هذه الناحية ، يقال له باطل على طريق التشبيه أى كالباطل ، وبذلك فسر محيى الدين ابن عربى قول لبيد : ألا كل شىء ما خلا الله باطل ، إذ قال : « اعلم أن الموجودات كلها ، وإن وصفت بالباطل فهى حق من حيث الوجود ، ولكن سلطان المقام إذا غلب على صاحبه يرى ما سوى الله باطلاً ، من حيث أنه ليس له وجود من ذاته ، فحكمه حكم العدم ، وهذا معنى قوله ما سوى الله باطل ، أى كالباطل ، لأن العالم قائم بالله لا بنفسه »

ثم قال : (والعارف إذا وصل إلى مقامات القرب فى بداية عرفانه ، ربما تلاشت هذه الكائنات ، وحجب عن شهودها بشهود الحق ، لا أنها زالت من الوجود بالكلية ، ثم إذا كمل عرفانه ، فإنه يشهد الحق والخلق معاً فى آن واحد)

هذا ما قاله محيى الدين ، وأين هو مما يقوله الأستاذ خشبة من أن هذه المخلوقات باطل ، وإنها وهم . ولا ريب أن شهود الحق والخلق معاً فى آن واحد كما قال محيى الدين ، هو كشهود الماء والهرم الثلجى معاً فى آن واحد ، وهذه المرتبة عند الصوفية ، تسمى مرتبة الجمع ، كما هو مسطور فى كتب التصوف ، فكما أن وجود الهرم الثلجى حق ، لا وهم ، وإن لم يكن له وجود غير وجود الماء ، كذلك وجود المخلوقات حق ، لا وهم ، وإن لم يكن لها وجود غير الوجود الكلى أو غير وجود الله ، وكما أن هذا الهرم ، مظهر من مظاهر الماء ، وصورة قائمة بالماء ، كذلك

المخلوقات كلها مظاهر للوجود الـكلى ، وصورة قائمة به ، فهى كهذا الهرم ليس لها وجود غير الوجود الـكلى

أليس من المعيب عند الأستاذ خشبة ، أن يتهم الصوفية بضد ما يقولون ، ثم يشنع عليهم قولهم كل هذا التشنيع .

وكيف جاز للأستاذ أن يتغاضى عن فصل كتبناه تحت عنوان (الحق والباطل ، فى رأى أهل التصوف) وقد صرحنا فيه بأن كل ما وقع فهو حق عند أهل وحدة الوجود وأنه لا باطل عندهم إلا المحال

٢ — ومن شتائم الأستاذ خشبة للرصافى قوله : (إن الرصافى يرى أن القرآن من تأليف محمد ، بدليل ما دأب على ذكره من قوله : قال محمد فى القرآن)

فنقول : إن هذا القول قد قاله بعض المشايخ من ذوى العمائم عندنا فى بغداد قبـل الأستاذ خشبة ، وهو يدل على أنهم يجهلون اختلاف علماء الإسلام فى القرآن ، هل هو المعنى ، أو المعنى واللفظ معاً ، وأنه ذهب فريق منهم إلى أن القرآن هو المعنى القائم بذات الله ، دون الألفاظ ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك) ولم يقل على سمعك ، حتى إن الإمام أبا حنيفة أجاز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة ، ثم إن هؤلاء اختلفوا فى ألفاظ القرآن لمن هى ؛ فمنهم من قال بأنها لرسول الله ، ومنهم من قال بأنها لجبريل ، ومنهم من قال غير ذلك كما هو مسطور فى كتب العقائد الإسلامية

وأما الفريق الثانى فذهبوا إلى أن القرآن هو المعنى واللفظ معاً ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) والنطق يشمل المعنى واللفظ معاً ، وأجاب الفريق الأول بأن (هو) فى قوله : (إن هو إلا وحى يوحى) ، عائد إلى القرآن ، لا إلى المصدر المفهوم من (ينطق) ، وإذا كان الأستاذ خشبة لم يطلع على هـذا ، فليقرأ ما كتبه الإمام السيوطى فى الإتقان على الأقل

وعلى كلا القولين لـكلا الفريقين ، لا يلزم من قول الرصافى (قال محمد فى القرآن) كونه من تأليف محمد ، أما على القول الأول فلأن التأليف يشمل المعنى واللفظ معاً ، ولا يكون للفظ فقط ، والقرآن هو المعنى الموحى من الله على قول هؤلاء ، فيكون معنى قولنا (قال محمد فى القرآن) عبر محمد عن المعنى الموحى إليه من الله . وأما على القول الثانى ، فظاهر ، لأن قول محمد هو قول الله ، بدليل (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى)

٣ — ومن شتائم الأستاذ خشبة للرصافى قوله : بأن الرصافى لا يرى معنى للبعث الذى يؤمن به المسلمون وجاء به القرآن الـكريم

فنقول سبحانك هذا بهتان عظيم ، إن الرصافى إنما قال عند الـكلام عن البعث : (أما مسألة بعث الموتى بأرواحهم وأجسادهم ، فلم أقف على كلام للصوفية فى تخريجه على مذهبهم وتوجيهه) قال : (والذى أراه أنه معتقد صرف لا يقوم إلا بالإيمان ، وأن ليس للعقل فيه مجال ، ولا يخفى أن الإيمان بالغيب ، يتسع لأكبر منه وأبعد) قال : (ومن العبث إقامة الأدلة العقلية على أمور لا تقوم إلا بالإيمان فى جميع الأديان ، وليس الدين إلا إيماناً بالغيب ، كما جاء فى القرآن (يؤمنون بالغيب) فالإيمان بالغيب هو أساس الأديان كلها)

وإنما قلنا إنه ليس للعقل فيه مجال ، لأن العقل البشرى ، عاجز عن أن يدرك قيام الموتى من قبورهم شعثاً غبراً ، ينفضون التراب عن رؤوسهم ، إلى ربهم ينسلون .

أما أنا فأعترف للناس أجمعين بأن عقلى عاجز عن إدراك حقيقة البعث على هذا الوجه ، وإن آمنت به ، فإن كان عقل الأستاذ خشبة ، يستطيع أن يقيم لنا الأدلة العقلية والعلمية على ذلك ، فليتفضل ، فنحن له من الشاكرين ، وبهديه من المهتدين

ولـكن كيف يستطيع ذلك ، وهو ينادى بأعلى صوته أنه مؤمن بالله ورسوله إيماناً ساذجاً كإيمان العجائز ، ولو كان فى استطاعته إقامة الأدلة العقلية على البعث ، لمـا كان إيمانه كإيمان العجائز ، ذلك الإيمان التقليدى الذى يزلزله أدنى شك ، ويزعزعه أقل ريب

وإلى القراء بعض فقرات مما كتبه الرصافى عند كلامه على البعث ، قال :

(وإن كان البعث مما لا تدركه العقول ، فإن الإيمان به معقول ومقبول ، ذلك لأن الغاية المقصودة منه ، هى اعتقاد المؤمن بيوم الدين ، الذى هو يوم الحساب والجزاء ، ذلك اليوم الذى يجازى فيه المحسن ، ويعاقب المسيء . ولا ريب أن الإنسان إذا كان مؤمناً بيوم الدين إيماناً صادقاً ، اجتنب الشرور ، وكف عن العدوان ، وبذل الجهد فى الأعمال الصالحة ، وهذا هو كل ما تريده جميع الأديان فى كتبها السماوية ، وجميع الحكومات فى قوانينها الأرضية » . قال : « وعليه ، فلا مرية في أن الإيمان بالبعث ، يكون من أهم الوسائل المؤدية إلى السعادة فى الحياة الدنيا ، لأن المؤمن به ، وبيوم الجزاء ، يستحيل عليه عقلاً وعادة ، أن يرتكب الشرور ، وأن يعمل غير الصالحات ، ومتى كان كذلك ، كان صالحاً للحياة الاجتماعية بكل ما اشتملت عليه من حقوق وواجبات »

ثم قال : « وتالله إنى لا أرى فى الوسائل العلمية والأدبية ، وسيلة تؤدى إلى إصلاح الإنسان فى حياته الاجتماعية ، أنفع ، ولا أنجع ، ولا أروع من إيمانه بيوم الجزاء المترتب على إيمانه بالبعث ، ولا ريب أن الفضل كله فى ذلك ، راجع إلى دين الإسلام القائل بالبعث دون غيره من الأديان »

هذا ما قاله الرصافى فى رسائل التعليقات من الكلام الذى أعرب فيه عن كل هذه المعانى السامية ، ولكن الأستاذ خشبة يقول إن الرصافى لا يرى للبعث معنى فإنا لله وإنا إليه راجعون

أنشدك بالله أيها القارئ الكريم ، هل فى هذا الكلام ما يدل على أن قائله كافر بالبعث ، وهل يجوز للأستاذ خشبة أن يشتم الرصافى هذه الشتيمة المنكرة ، ويتهمه بأنه لا يرى للبعث معنى

من الجائز شرعاً ، أن أقابل هذه الشتائم بمثلها ، « والحرمات قصاص » وليس الأستاذ خشبة بمعجزى أن أكايله مثل هذا الشتم صاعاً بصاع ، إن نثراً فنثر ، وإن شعراً فشعر ، ولكنى كما قلت آنفاً أكره النزال فى حومة لا يخرج منها الغالب إلا وهو ألأم من المغلوب

أنا لا أطلب من الأستاذ خشبة ، ولا من غيره ، أن يترك إيمانه الساذج ، إلى إيمان تسايره الحكمة ، ويؤيده العقول ، فإن ذلك منى فضول . كما أنى لم أكتب رسائل التعليقات لدعوة الناس إلى وحدة الوجود ، بل كل ما هنالك أنى قرأت كتاب التصوف الإسلامى للدكتور زكي مبارك ، فعلقت عليه بعض ما عندى فى التصوف من معلومات ، وأنا خاضع لكل رد يأتينى بالحق ، لا بالباطل . أما التغيير والتبديل ، بقصد التكفير والتشنيع ، فشيء لا يرتضيه حتى الكفر المركب ، فضلاً عن الإيمان الساذج ، والسلام على من ترك هوى النفس ، ولم يقل إلا الحق .

بغداد معروف الرصافى



على هامش النقد:

خواطر متساوقة

فى النقد والادب والاخلاق

للأستاذ سيد قطب

كنت أعد مقالى للرسالة عن « مليم الأكبر » كتاب الأستاذ « عادل كامل » ، حينما وصل إلىّ منها العدد الأخير ، فقرأت فيه كلمة الأديب الفاضل « فوزى سليمان » الموجهة إلىّ فى باب البريد الأدبى عن الناقد بين الكتب والشخصيات. وقد رأيت فى هذه الكلمة ما يدعو إلى البيان المفيد . ولم أجد بأساً من تأخير الكتابة عن « مليم » . فهذا الشاب الفقير « مليم » قد صار من أغنياء الحرب كما يقول مؤلفه . وحسبُ أغنياء الحرب ما هم فيه من ثراء ، ولا ضير عليه حين يتأخر نصيبه من الأدب . بل لعله لا يحفل مطلقاً بهذا النصيب!!! ثم إنّ له لدينا حساباً عسيراً عن أخلاقه وأعماله وآرائه . ومن حقه علينا وقد أصبح من الأثرياء أن نفرغ لحسابه بما يناسب المقام !!!

***

يقول الأديب الفاضل :

« لاحظت فى سلسلة مقالاتك النقدية عن « عالم القصة » أنك تكرر فى كثير منها قولك : « إنك لا تعرف — ولم تر — شخوص أغلب من تتحدث عنهم . ويبدو هذا غريباً فى نظرى ، فالقصة — فى هذا اللون بالذات من ألوان الأدب — لا شك أن لشخصية الكاتب وحياته الأثر القوى فى إنتاجها ... »

ثم يقول :

« فلم لا تحاول أن تخرج من عزلتك ، وتتعرف إلى من تكتب عنهم . بل وتكوّن معهم صداقات روحية . فإذا أمسكت بقلمك بعد ذلك لتتحدث عن إنتاج لهم جمعت بين الصورة والأصل ، كما أنك ستخدم تاريخ الأدب المعاصر ، فتترك للأجيال المقبلة صوراً حية قوية من حياة المفكرين والكتاب المعاصرين . »

***

وهذا كلام صحيح فى مجموعه ، وإن لم يكن ضرورياً فى كل حين وأنا قد قلت شيئاً منه فى مناسبات سابقة :

فمنذ اثنى عشر عاماً كنت أقدم الديوان الأول لزميلى وصديقى الشاعر « عبد العزيز عتيق » — وكنت وإياه ما نزال طالبين — فجاء فى مقدمتى هذه الفقرات :

« أعتقد أننى أحق إنسان بأن أكتب هذه المقدمة لديوان « عتيق » وأنه لو لم يطلب منى وضعها لتقدمت أطلبه منه . ذلك أنى قد أكون أعرف الناس بشخصيته ، وبالعوامل التى تختلج فى نفسه ، والظروف التى تحيط به ؛ وما كان هذا الشعر إلا صدى لهذه المجموعة ، وصورة أخرى لها . ولقد قاسمته كثيراً من هذه العواطف التى سجلها الديوان ؛ وشاركته كذلك بعض ظروفها . والذى لم أكن موافقاً عليه من ناحية نسجه ومنحاه ، كنت موافقاً على الظرف الذى انبعث عنه ، والعاطفة التى أملته

« وأنى لميال إلى اعتبار شخصية الشاعر جزءا من ديوانه ، — إن لم تكن هى كل ديوانه — فمعرفة الناقد بشخصية من ينقده أمر ضرورى له فى تحليله . وهو إذا لم يعرفها استعان على معرفتها بآثارها المكتوبة . فإذا قلت : إننى قد أكون أعرف الناس بشخصية صاحب هذا الشعر ، كان ذلك معادلاً للقول بأنى أحق إنسان بأن يقدمه للناس .

« وأنا اليوم حينما أريد أن أعرف صدق الشاعر فى التعبير عن شعوره — وهو عندى مناط الشاعرية — لا أجهد نفسى فى التحليل والتمحيص . وتخريج المعانى ومراجعة الأحاسيس . كلا ! فإن لدى صورتين حاضرتين : صورة صاحب الديوان وتصرفاته فى الحياة وأفكاره وخواطره ودراسته . . . الخ . وصورته الأخرى المخطوطة فى ديوانه . وما علىّ حين أشاء معرفة صدقه من كذبه ، إلا أن أوازن بين الصورتين ، فيمتاز المشوه والدخيل . وتتبين مواضع التزييف والمغالطة ، أو تستقيم الصورتان وتنعدم الفروق ... »

***

وأنا اليوم على هذا الرأى مع اختلاف فى التطبيق والتفسير. فالصدق الفنى — كما أفهمه اليوم — ليس من الضرورى أن يحقق الصدق الواقعى . وحسبه أن يبلغ صدق الإحساس بالحياة وصحة الشعور بالطبيعة ، وأن يعبّر بعد هذا عن الخلجات المستسرة فى الضمير، وإن لم يطابق تصرف الفنان الظاهر للعيان !

فهذه الصورة المستسرة هى الصورة الفنية مترجمة إلى لغة التعبير

على أن العجز لسبب ما عن تحقيق الشىء فى عالم الواقع ، كثيراً ما يقود الفنان لتحقيق ذلك الشىء فى عالم الفنون . سواء أكان سبب العجز شخصياً أو كونياً . مثال ذلك شاعر أو قصاص مندفع بحكم بنيته أو وراثاته أو مزاجه إلى الارتكاس فى حمأة الشهوات ؛ ثم نجده يتغنى بالمثل الرفيعة أو يرسم شخصياته نماذج للترفع أو الصوفية . . .

لهذا الفنان عالمان : عالم الواقع الملموس ، وعالم الرغبات المكنونة . وعالمه الفنى هو هذا العالم الأخير . إنه ذو شخصية مزدوجة . نعلم ذلك من صورة شخصه ، ومن صورة فنه . وليست إحداهما بكاذبة وهنا يكون للمعرفة الشخصية قيمتها فى تحليل هذا الازدواج !

والموانع الكونية شبيهة بالموانع الشخصية . وصرعاها أكثر وأكثر . وما المدينة الفاضلة والطوبى المصرية وأمثالها إلا من صنع هذه الموانع الكونية ، والرغبات الكونية كذلك . فأنا حريص على أن أعتقد أن للكون رغبات مضمرة فى التسامى المطلق تمثلها رغبات الأفراد الفانين !

* * *

ولست كذلك ممن يخشون غلبة الملابسات الشخصية على الأمانة الأدبية فى النقد — إذا أنا عرفت أشخاص المنقودين — ولا ممن يخشون اتهام بعض القراء لى بأن لهذه الملابسات دخلاً فى توجيه النقد ، تحت تأثير الصداقات والخصومات !

وقد وقفت قبل أحد عشر عاما كذلك ألقى محاضرة عن « وحى الأربعين » ديوان الأستاذ العقاد فى « رابطة الأدب الجديد » فبدأتها بهذا التمهيد :

« أود قبل أن أتحدث عن « وحى الأربعين » أن أعلن إليكم صداقتى لصاحب « وحى الأربعين » ! وأن هذه الصداقة شرط أساسى للدراسة والنقد — ولا سيما نقد الشعر ودراسته — فأنت لن تستطيع فهم الشاعر وتحليله حتى تتصل بقلبه وعقله ، ولن يتاح لك الاتصال بهما حتى تكون صديقاً للشاعر ، وحتى يكون بينكما تواد وتعارف قديم .

« وربما جهد غيرى فى مثل هذا الموقف أن ينكر صلاته بالرجل الذى يتحدث عنه ، أو ربما جهد أن يعلن إليكم أنه تخلص من صداقته ، ليخلص إليكم برأيه البرىء !

« أما أنا فلا أنكر ! وأما أنا فلم أحاول التخلص من هذه الصداقة ؛ لا . بل إنى لأعلن إليكم أننى اتصلت بالأستاذ العقاد لأستوضحه بعض النقط ، ولأتأكد من بعض ما كنت فى شك منه .

« ولست أخشى من هذه الصداقة — على أشدها — أن تؤثر فى رأيى . لأن لى صداقة أخرى أقوى من هذه الصداقة . وهى صداقتى لضميرى . لا . بل صداقتى لشخصيتى ، وحرصى عليها أن تفنى فى أية شخصية أخرى ... »

* * *

وأنا اليوم بعد أحد عشر عاماً كما كنت يومذاك بفارق واحد. وهو أننى لم أعد أعنى اليوم — كما كنت أعنى يومذاك — بإعلان « صداقتى لشخصيتى وحرصى عليها أن تفنى فى أية شخصية أخرى ... »

إننى لم أعد أحرص اليوم على مقاومة الفناء فى الشخصيات الأخرى، لأننى عدت أكثر اطمئناناً لعدم الفناء ! وإنى لأعرف اليوم أن صيحتى يومذاك إنما كانت صيحة الخائف الذى يحدث نفسه فى الظلام ، وينفى عنها الأوهام ليشعر بالاطمئنان !!!

لقد كنت أتحدث يومها عن العقاد . وكانت شخصية العقاد هى الشخصية الوحيدة التى أخشى الفناء فيها — كنت أحس هذا بينى وبين نفسى — ولقد ظلت هذه الخشية إلى وقت قريب حينما بدأت أشعر أننى قد تخلصت . وأننى أنتفع بالعقاد ولكننى لا أقلده . وأن لى طريقاً ألمح معالمه وأستشرف آفاقه . وأننى

بين الأبصار والبصائر

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

امتاز الأدب العربى بطائفة من العُميان فقدوا نعمة البصر ولكنهم لم يفقدوا نعمة الذكاء والفهم والبصيرة . حتى لقد بلغ بعضهم منزلة يحسده عليها المبصرون .

وفى كل أمة طائفة من هؤلاء ، اشتهروا بحسن الأثر ، وجليل العمل . وعند الإنجليز منهم أمثال الدكتور أرميتاج ؛ والقس توماس برنارد ، والسير فرنسيس كامبل ، ودكتور رانجر ؛ والسير روبرتسون تندال ، وهنرى تايلر ، والسيدة هيلين كيلر .

وعند الفرنسيين منهم أمثال السيدة جاليرون دى كاليرون وعند العرب أمثال أبى العلاء المعرى ، وبشار بن برد ، وحماد بن زيد الضرير .

والذى يولد أعمى يقال له أكمه . ومن هؤلاء عندنا بشار ابن برد وقد جمع إلى الكمه جحوظ العينين وضخامة الخلقة وعظم الوجه .

ومن العميان من أصابه العمى فى طفولته ، كما حدث المعرى . وقد اعترف هو بذلك فى احدى رسائله إلى داعى الدعاة .

وقد يكون العمى فى الصغر نتيجة لشىء آخر غير المرض . كما حدث للقس برنارد الإنجليزى وللسير فرنسيس كامبل الذى جنت على بصره لعبة طائشة .

أتذوق بحسى ، وأنظر بعينى ، وأسمع بأذنى . وإن كان للعقاد فضل التوجيه فى الطريق العام .

عندئذ بدأت أسكت عن كل اتهام . وبدأت أتحدث عن أستاذية العقاد لى وتلمذتى له ، وبدأت أسخر من بعض « شبان » الجيل الذين يحسبون هذا مطمناً يوجهون إلىّ منه الغمزات ! فأؤكد لهم التهمة التى يلمحون بها أو يصرحون !

وإنى لأضحك وأسخر من الكثيرين ، الذين كما رأوا أنفسهم ينتفعون ببعض الشخصيات ، خافوا أن يضبطهم الناس متلبسين فراحوا يعلنون تجاهلهم التام أو خصومتهم القوية لهذه الشخصيات ، على طريقة السذج من المتهمين الذين إذا سئلوا : هل سرقتم من بيت فلان ؟ كان الجواب : إننا لم نعرف فلاناً هذا ولا بيته فى يوم من الأيام !

وبعد فأنا أرى الآن أن المعرفة الشخصية قد تكون ضرورية فى أحيان ، وغير ضرورية فى أحيان ؛ وذلك حسب طبيعة الفنان ، فبعضهم يغنيك بما يكتبه عن معرفته لأنه يكتب ما يشبه الاعترافات كابن الرومى والمازنى . وبعضهم لا بد أن تعرفه وبعضهم تزيدك معرفته علماً بفنه ...

***

تلك خلاصة رأيى فى النقد والمنقودين ، فإذا كان الأديب الفاضل لاحظ أننى ذكرت عدم معرفتى لبعض من كتبت عنهم من الشبان ، فإنما كان ذلك لأننى لم أعرفهم فعلا ؛ ولم تكن لدى الفرصة لمعرفتهم من قبل . كل ما هنالك أننى وجدت بين يدى أعمالاً أدبية تستحق التنويه ؛ فلم يكن من الميسور أن أتعرف إلى أصحابها لأكتب عنها مقالة عابرة . ورأيت أن أكون أميناً ، فلا أدعى معرفتى الكاملة لهذه الشخصيات ، ولا أزعم أن ما كتبته هو كل ما هنالك . فأعلنت أننى لا أعرفهم ، وهذا يتضمن فى طياته بعض العذر إذا كنت لم أحط بكل جوانبهم .

ومنذ عامين لدىّ كتاب عن « المدارس الأدبية المعاصرة » وما يؤخرنى عن كتابته إلا استيفاء بعض الدراسات الشخصية لأبطاله . وقد استطعت أن أجمع عن كثب معظم ما أريد جمعه عن « العقاد وتوفيق الحكيم » وشيئاً مما أريد جمعه عن « طه حسين . والمازنى » وقليلاً جداً عن « المنفلوطى والزيات » ومتفرقات عن « تيمور وحقى ولاشين » وآخرين ...

وبعد ما أستوفى هذه الدراسات — لا قبله — سآخذ فى الحديث عن « المدارس الأدبية المعاصرة » . ولو صرفت عامين آخرين . فأنا أقدر قيمة هذا العمل وأعرف ما هو مطلوب منى إزاءه . ويومها سأحقق مايقترحه علىّ الشاب الأديب .

سيد قطب

وقد يكون العمى نتيجة لحادث مقصود لذاته ، كتوقيع عقوبة أو تنفيذ حكم . كما حدث لأمير المؤمنين المتقي الخليفة العباسي الذي خلعه الثوار وسملوا عينيه ، ولم يعنهم دينه وصلاحه وكثرة صلاته وقيامه من تعذيبه على تلك الهيئة . واجتمع عليه فقد البصر وعذاب السجن خمسة وعشرين عاما احتملها صابراً راضياً مذعناً لقضاء الله . وله في ذلك أبيات مؤثرة يقول فيها :

سملونا وما شكو | نا إليهم من الرمد
ثم عاثوا بنا ونحـ | ـن أسود وهم نقد
كيف يغتر من أقا | م وفي دستنا قعد

وكما حدث للوزير محمد بن بقية وزير بني بويه الذي رثاه ابن الأنباري الشاعر بقصيدته المشهورة التي مطلعها :—

علو في الحياة وفي الممات | لحق تلك إحدى المعجزات

وهذه القصيدة وزعت في شوارع بغداد خفية — كما توزع اليوم المنشورات السرية — إلى أن بلغ خبرها ابن بويه فتمنى أن يكون هو المصلوب وأن تكون القصيدة قيلت فيه .

ومن الناس من يصـاب بالعمى على سن عالية كما حدث للدكتور أرميتاج الإنجليزي من رجال القرن التاسع عشر ، فقد كان جراحا نابهاً وبرع في علم النبات براعة جعلته من أكبر الثقات فيه . وأتقن الألمانية كأنه وهو يتكلم بها لا يستعمل لغة غريبة ، فلما نزلت به البلية لم يستكن إلى محبس العمى وسجن الظلام بل استطاع أن يقدم إلى إخوانه في البلاء أجل المساعدات التي جعلته في عداد الآخذين بيد المكفوفين العاملين على تحسين أحوالهم وتهوين الحياة عليهم .

ومن هؤلاء في أدبنا العربي صالح بن عبد القدوس صاحب البيت المشهور : —

ما يبلغ الأعداء من جاهل | ما يبلغ الجاهل من نفسه

فقد ذاق متع الدنيا ولذاذات العيش وهو بصير ، فلما عمي لزم بيته وأوى إلى محبسه ، ووجد في الوحدة أنساً وفي العزلة سروراً . وعبر عن ذلك بقوله :—

أنست بوحدتي فلزمت بيتي | فتم العز عندي والسرور
وأدبني الزمان فليت أني | هجرت فلا أزار ولا أزور

وله أبيات مؤثرة يخاطب بها عينه الذاهبة بقوله : —

عزاءك أيها العين السكوب | ودمعك أنها نوب تنوب
وكنت كريمتي وسراج وجهي | وكانت لي بك الدنيا تطيب

ومنهـا :—

على الدنيا السلام فما لشيخ | ضرير العين في الدنيا نصيب
يموت المرء وهو يعد حيا | ويخلف ظنه الأمل الكذوب
يمنيني الطبيب شفاء عيني | وما غير الإله لها طبيب
إذا مامات بعضك فابك بعضاً | فإن البعض من بعض قريب

***

وممن أصيب بالعمى على كبر عطاء بن رباح الذي ولد في خلافة عثمان بن عفان ، وكان تابعياً جليلاً . انتهت إليه الفتوى بمكة وشهد له أبو حنيفة بالفضل .

ومنهم عقيل بن أبي طالب أخو الإمام علي ؛ وقد اجتمع له من علم النسب وأيام العرب شيء كثير .

ومنهم عبد الله بن العباس ابن عم النبي عليه السلام ، وأبو الخلائف من الدولة العباسية . وكان فقيهاً عظيما . وبلغ من تفقهه أن الخليفة عمر كان يستشيره في مسائل الفقه . هذا إلى وضوح في الحجة ، وجهارة في الرأي ، وقوة في البرهان .

***

وليس في الدنيا من يشتهي العمى ويطلبه ، فهو شيء بغيض إلى النفوس ؛ حتى ليدعى به على المكروه ، ولكن شاعراً واحداً تمناه لنفسه فكان له ما تمنى ...

أما الشاعر فاسمه المؤمل بن أميل ؛ وأما قصته فكما يأتي :— أحب امرأة من الحيـرة ؛ ورآها فجنت عليه نظرته إليها فقـال :—

شف المؤمل يوم الحيرة النظر | ليت المؤمل لم يخلق له بصر

فما عمر طويلاً حتى تحقق ما تمناه ، وضاعت منه عيناه ...

ولم يبلغ أحد في الأدب العربي كله منزلة أبي العلاء ، وهو في الشعر من هو . أما في التأليف فقد عد له المرحوم تيمور باشا أربعة وسبعين كتاباً ؛ ليست مثل كتب السيوطي ... ولكنها

مثل « رسالة الملائكة[١] » و « الفصول والغايات » و « رسالة الغفران » .

* * *

استعمل العمى فى القرآن بمعنى الضلالة والحيرة . وذلك شر أنواع العمى . أما فقد البصر فقد يخففه ويغنى عنه تفتح البصيرة وتنور القريحة . ونحن نجد الآن بعض المكفوفين يفوقون المبصرين إدراكاً للأمور وخوضاً فى المعترك الحيوى ، وهم ليسوا كمكفوفى الأمس يخلدون إلى الدعة ويلتزمون المحابس فى دورهم ، ولكنهم يشتركون فى الحياة العامة .

فالسير فرنسيس كامبل حصل على أعلى درجة من جامعة جلاسجو وهو أعمى . وكافح فى الحياة ، واحتل مكاناً بارزاً فى الحياة الإجتماعيـة بانجلترا حتى استحق لقب « سير » وهو به جدير .

والسيدة هيلين كيلر لم يمنعها العمى من التأليف المجدى فى علم النفس ودرس نفسيات الأطفال . وكتاباها حجة فى هذا الموضوع .

والشاعرة الفرنسية مدام جاليرون دى كالون « Galeron de Calonne » لم يعطل العمى مواهبها فى الشعر وبراعتها فى الخيال . وهى تعبر عن ذلك فى قصيدة لها عنوانها « ماذا يهم ؟ » تقول منها :—

لن أراك بعد هذا أيتها الشمس الساطعة
ولكنى سأحس حوادثك
لن أراك بعد هذا ياسناء الورود
ولكن السماء قسمت حظوظنا
فماذا يهم الضياء ؟ — إن عندى روح الأشياء
لن أرى بعد هذا بهاء الورود
ولكن عندى عبيرها الفوّاح .

* * *

والدكتور رنجر مثال لشجعان المكفوفين . لم ينطو على نفسه بل حصل على أجازة الحقوق وهو ضرير . واشتغل بالمحاماة واشترك فى مجامع عديدة للعميان وصاهر إلى أشرف الأسر الإنجليزية .

والسير روبرتسون تندال لا يقل عنه شجاعة فقد ناضل واشترك فى الهيئة الإجتماعية ، وألقى دلوه مع المبصرين حتى شرفته مدينة بريتون الإنجليزية بالنيابة عنها فى مجلس النواب .

والمستر هنرى تايلر أكمل نفسه بالعلم — وهو ضرير — فاختير فى سنة ١٨٩٨ رفيقاً بالجمعية الملكية للمهندسين ؛ واختير ممثلاً جامعياً فى مجلس جامعة كامبريدج . واختير عمدة المدينة سنة ١٦٠٠ م . وله على المكفوفين من طلاب العلم العالى فضل عظيم . فقد اشترك فى طبع كتب لهم على طريقـة « بريل » فسهل عليهم الدراسة فى كتب يقرأونها بأطراف أصابعهم ، لا بأبصارهم ...

ولعل القراء يذكرون فصلاً ترجمته مجلة المختار خلاصةً لكتاب ألفه كفيف اسمه « كارستن اونستاد » وعنوان الكتاب « العالم عند أطراف أصابعي » ، وهو ترجمة لحياة حافلة بالمغامرة والبطولة والنضال من شاب فَقَدَ نعمة البصر وهو دون الثلاثين . وهذا الكتاب يذكرنا بكتابين نفيسين للسيدة هيلين كيلر ؛ الأول « قصة حياتى » والثانى « العالم الذى أعيش فيه »

وللمكفوفين نوادر وطرائف لا يخلو منها كتاب من كتب الأدب والتاريخ ، وقد صنع فيهم صلاح الدين الصفدى كتابه المشهور « نكت الهميان » الذى أشرف على طبعه المرحوم أحمد زكى باشا رحمه الله .

محمد عبد الغنى حسن

مصادر البحث :

١ - The History of the Education of the Blind By Illing worth.
٢ La vie des aveugles
٣ نكت الهميان
٤ تهذيب الاسماء واللغات للنووى

(١) حدثنى عن هذه الرسالة الأستاذ الجليل إسعاف بك النشاشيبى وله فى خطرها رأى رجيح .

جواب على نقـــد

للأستاذ محمد احمد الغمراوى

تفضل الأستاذ ابراهيم زكى الدين بدوى(١) فنقد كلمتى الرابعة(٢) فى فساد الطريقة فى كتاب النثر الفنى ، وخالفنى فى رأيين ارتأيتهما ، الأول يتعلق بالبيت المعروف

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

والثانى يتعلق بنص من كتاب إعجاز القرآن للامام الباقلانى

فأما البيت فقد أورده صاحب النثر الفنى مثالاً للكلام يكون بالغ الصدق فلا يعنمه. ذلك أن يكون بالغ التفاهة . وضربته فى كلمتى مثلاً لسوء فهم صاحب الكتاب ، لأنه لم يدرك أن تفاهة البيت البالغة راجعة لا إلى صدقه ولكن إلى نوع من الكذب فيه ، لأنه فى الواقع بيت كاذب من ناحية التشبيه إذ لم يغاير بين المشبه والمشبه به . وأردت أن أمتحن هذا الرأى باختبار عملى فقلت لو نقلنا البيت عن التشبيه إلى الإخبار ، بحذف كأن وإحلال إن محلها ، لصار البيت صادقاً ولارتفعت قيمته ارتفاعاً ينجيه من أن يكون مثلاً مضروباً للكلام المستهزأ به . وتعقب الأستاذ بدوى قولى هذا بأن البيت يظل تافهاً حتى بعد التعديل المقترح ، بل يكون من وجهة اللغة غير صحيح لأن الخبر فيه لا يفيد فائدة تزيد على المبتدأ ، ولأنه لا يحتمل أن يكون من قبيل قول أبى النجم « وشعرى شعرى »

فأما أن البيت يظل تافهاً فصحيح . لكنى لم أزعم للبيت أنه بذلك التعديل ينجو من التفاهة ، ولكن زعمت أنه ينجو من التفاهة البالغة التى جعلته مثلاً يسخر منه . وتحول الكلام من تافه بالغ إلى تافه مجرد ارتفاع فى قيمته من غير شك ، كالعدد السالب الكبير إذا صار سالباً صغيراً أو موجباً صغيراً . وليس كل تافه من الكلام يستهزأ به ، فالكلام التافه كثير ، ومضرب المثل للمستهزأ به منه قليل

أما عدم صحة البيت برغم جعله إخبارياً فلست أوافق الأستاذ عليه . ألا يرى أن الإظهار بعد الإضمار ، والوصف بعد أن لم يكن وصف ، فائدة زائدة فى الخبر ، لها قيمتها فى الإخبار وليس لها أية قيمة فى التشبيه ، بفرض أن ليس هنالك فرق معنوى ما بين الجملة الحالية فى الشطر الأول وأختها الوصفية فى الشطر الثانى ؟ إن الجملة الخبرية فى صميمها هى « إننا قوم جلوس » وهى جملة مفيدة من غير شك ، كبرت الفائدة أو صغرت . وإسقاط الجملتين ، الحالية والوصفية ، عند تجريد البيت المعدل هكذا لتقدير فائدته جائز عند الإخبار ، غير جائز عند التشبيه ، لأن الجملة الحالية — والماء من حولنا — هي من صميم المشبه فى بيت التشبيه ، وليست من صميم اسم إن بعد أن صار البيت إخبارياً . أى أنها جزء أساسى من المشبه ، وليست أختها الوصفية ـ حولهم ماء ـ إلا صفراً فى المشبه به فى البيت فطرح كل منهما من طرفى البيت لتصفيته وتقدير قيمته ممكن فى حالة الإخبار ، غير ممكن فى حالة التشبيه

وأنا مع الأستاذ فى أن المبتدأ والخبر ـ لولا الوصف بالجلوس ـ ليسا من باب قول أبى النجم (وشعرى شعرى) ، لا لأنه لا يحتمل شيئاً مما يحتمله قول أبى النجم كما يرى الأستاذ ، فإن المسألة فى مثل هذا مسألة توجيه الذهن إلى معنى غير ما فى ظاهر اللفظ ، وتوجيه الذهن ممكن فى الحالين ، ولكن لأن قائل البيت لا ينتظر منه مثل هذه الالتفاتة الذهنية ، لأن الذى يعجز عن أن يغاير بين طرفى التشبيه يكون عن مثل هذه الالتفاتة أعجز

على أن الأمر كله هين من الناحية التى كتبت من أجلها الكلمة المنقودة . فلو صح نقد الأستاذ كله لما غير شيئاً من السبب الذى من أجله خطأت صاحب النثر الفنى فى فهمه أن البيت بالغ الصدق وبالغ التفاهة معاً . ولا أظن الأستاذ يصوب صاحب الكتاب فى هـذا . والتعديل الذى اقترحته وتعقبه الأستاذ لم يكن ، كما قلت ، إلا من باب الاختبار العملى للرأى الذى ارتأيته . ولو شئت لاختبرته من الطرف الآخر ، بإبقاء حرف التشبيه وإدخال المغايرة على المشبه به ، كأن يكون ـ طير جثوم حولها ماء ـ بدلاً من قوم جلوس . وهذا يرفع البيت حالاً من الوهد إلى النجد ، ويجعله فى حالة التشبيه أعلى مرتبة منه فى حالة الإخبار ، لوضوح التشبيه وخفاء الاستعارة

---

(١) العدد ٥٨٠ من الرسالة (٢) العدد ٥٨٣

فيما يبدو . لكن الأمر لا يستحق كل هذا التدقيق

أما النص المنقول من كتاب إعجاز القرآن فأمره أهم . والنص محل الخلاف هو : « السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع . وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى . وفصلٌ بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ . ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره . ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى »

هذا هو النص . وقد ذهبت إلى أنه مختلف غير متفق بعضه مع بعض ، فما قبل قوله : « وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه الخ ... » مستقيم ، وهو عمود الكلام وأصل رأى الباقلاني ، إليه ينبغي أن يرد ما عداه ؛ لكن ما بعده لا يتفق معه ولا مع نفسه إلا إذا تبودل المكان بين كلمتين تحل إحداهما محل الأخرى ، وبين جملتين تحل إحداهما محل الأخرى كذلك . فتصير بقية الكلام كما يأتي : « وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون اللفظ منتظماً دون المعنى . (ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع) كانت إفادة السجع كإفادة غيره . (ومتى ارتبط المعنى بالسجع) كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى » . والشرطتان تبينان الكلمتين ، والأقواس تبين الجملتين - على أحد وجهين - اللتين حلت إحداهما محل الأخرى ليستقيم الكلام كله

وذهب الأستاذ بدوي إلى أن النص كما هو في الأصل مستقيم واضح كل الوضوح ، لا تداخل فيه ولا اختلاف ، وجاء بتوجيه هو خير ما يمكن أن يوجه به النص ، لولا موانع من ذلك في نفس الكلام .

وأظهر هذه الموانع هو أن توجيه الأستاذ للنص المطبوع يستقيم به أكثر النص لا كله . فهو مثلا لم يوجه قول الباقلاني « دون تصحيح المعنى » في قوله : « ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى » مع أن هذه الكلمات الثلاث هي التي تحول دون ما ذهب اليه الأستاذ بدوي لأنها صريحة في أن الباقلاني يقصد كلاما غير منتظم المعنى ولا صحيحه ، وهذا لا يتفق مع صدر الجملة الشرطية لأن ارتباط المعنى بنفسه لا بالسجع يضمن صحة المعنى من غير شك لأنه هو المقصود وله في هذه الحالة الاعتبار الأول . فكيف يمكن أن يكون غير صحيح أو أن يكون الكلام المرتبط معناه بنفسه مستجلباً للتجنيس دون تصحيح المعنى ؟ إن من الواضح أن فعل الشرط وجوابه مختلفان غير متسقين في هذه الجملة من النص المطبوع ؛ كذلك من الواضح أن الاختلاف يزول بالإبدال الذي اقترحته ، لأن استجلاب التجنيس دون تصحيح المعنى يتفق مع الحالة الأخرى التي ذكرها الباقلاني ، حالة ارتباط المعنى بالسجع وخضوعه له ، في القسم الذي قال عنه في صدر كلامه إن المعنى يقع فيه تابعاً للفظ المسجوع . فإذا وضع فعلا الشرطيتين - أو جواباهما - أحدهما مكان الآخر ، زال الاختلاف واتسق الكلام

ونستطيع أن نتبين وجه الحق في هذا الموضوع من طريق آخر : طريق رد النظائر في النص بعضها إلى بعض ، لننظر على أي الوجهين يمكن أن يستقيم الكلام كله في نفسه ووفق رأى الباقلاني في تقسيم ما هو على هيئة السجع من الكلام

لقد قسم الباقلاني ما هو على هيئة السجع إلى قسمين في صدر النص : قسم يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع ، وقسم يتبع اللفظ فيه المعنى . ولا خلاف في المقصود من هذين القسمين فأولهما للفظ فيه الاعتبار الأول ، وثانيهما للمعنى فيه الاعتبار الأول

هذان القسمان قد أشار اليهما الإمام الباقلاني في بقية النص مرتين : الأولى في قوله « وفصلٌ . . دون اللفظ » والثانية في قوله « ومتى ارتبط المعنى بالسجع ... دون تصحيح المعنى »

ففي الأولى ذكر صنفين من الكلام : كلام منتظم في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه - وواضح أن هذا مراد به القسم الثاني الذي يتبع اللفظ فيه المعنى - وكلام يكون المعنى فيه منتظما دون اللفظ ولا محيص من رد هذا إلى القسم الأول الذي يتبع فيه المعنى اللفظ . ويتبين بأدنى تأمل أن الوصف كما هو لا ينطبق على القسم الذي يجب رده اليه ، لأن الوصف يذكر كلاما غير منتظم اللفظ منتظم المعنى ، والقسم الأول على عكس ذلك تماماً : منتظم اللفظ لأنه قصد فيه إلى السجع ، غير منتظم

هوستن ستيوارت شمبرلين

فيلسوف النازية الأول وصاحب دعوة الزعامة الألمانية

للأستاذ زكريا ابراهيم

لعلّ من غريب المصادفات أن يكون الرجل الذي وضع الأصول الأولى للفلسفة النازية، رجلاً انجليزياً ينتسب إلى أصل إنجليزي صريح. ولعل من غريب المصادفات أيضاً أن يكون الرجل الذي استمد منه فيلسوفُنا هذه الأصول، رجلاً فرنسياً لا يمتُّ إلى الأصل الألماني بأدنى سبب. فقد نشر الكاتب الفرنسي « آرثر دي جوبينو » كتابه عن « تفاوت الأجناس البشرية » (من سنة ١٨٥٣ إلى سنة ١٨٥٧) وفيه أعلن سيادة العنصر الآري على سائر العناصر؛ فلم يكد القرن التاسع عشر يشارف تمامه، حتى تأسست في ألمانيا نفسها جماعة عرفت باسم « جماعة جوبينو »، أخذت على عاتقها أن تقنع الألمان — وهؤلاء لم يكونوا في حاجة إلى إقناع طويل — بأنهم أرق الأجناس، وأنهم أنقى سلالة من سلالات الآريين. ولم تكد تمضي على اليوم الذي تأسست فيه هذه الجماعة خمسةُ أعوام، حتى ظهر كتاب ضخم يُعدّ إنجيل « العنصرية »، وهو كتاب « دعائم القرن التاسع عشر »
« Die Grundlagen des Neunzlhnten Jahrhundert »
للكاتب الإنجليزي هوستن ستيوارت شمبرلين

وقد وُلد شمبرلين من أب إنجليزي كان ضابطاً كبيراً في الجيش؛ ولكنه تأثر بالمؤثرات الألمانية، فدفعه إعجابه بعظمة الجنس التيوتوني إلى أن يتخلى عن الجنسية الإنجليزية، لكي يتجنس بالجنسية الألمانية. ولم يلبث أن اقترن بابنة ريتشارد فاجنر، فأصبح بعد نفسه منذ ذلك الحين ألمانيا خالصاً ينحدر من أصل ألماني خالص! وحينما نشر شمبرلين كتابه الذي أودع فيه دفاعه الحار عن العنصر الجرماني، لقي هذا الكتاب رواجاً كبيراً، وأثنى عليه كثير من النقاد، حتى لقد قيل إن القيصر

المعنى لخضوعه للفظ وتبعيته له. فلا يمكن أن يكون الباقلاني أراد هذا. فما تعليل الخلف؟ لا شيء إلا أن كلمتي « المعنى » « واللفظ » حلت إحداهما بسبب ما محل الأخرى في الوصف. هذا هو أبسط تفسير ممكن. وإذن يجب أن تكون حقيقة الوصف هي « أن يكون اللفظ منتظما دون المعنى » حتى ينطبق على أول القسمين اللذين قسم إليهما الباقلاني ما هو على هيئة السجع من الكلام

لننظر الآن في الأشارة الثانية إلى نفس القسمين. أشار الباقلاني إلى أحدهما بقوله « ومتى ارتبط المعنى بالسجع » وإلى الآخر بقوله « ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع ». فإلى أي القسمين ترجع كل من الإشارتين؟ إن من الواضح أن الإشارة الثانية راجعة إلى القسم الثاني الذي يتبع اللفظ فيه المعنى، وإذن تكون الإشارة الأولى راجعة إلى القسم الأول الذي يتبع المعنى فيه اللفظ ويكون للفظ فيه الاعتبار الأول. ليس عن ذلك محيص

من هذا يتبين أن معنى قولي الباقلاني « ومتى ارتبط المعنى بالسجع » أي متى جاء تابعاً خاضعاً للسجع، ومعنى قوله « ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع » أي متى جاء مستقلاً عن السجع وجاء السجع تابعاً له. لكن توجيه الأستاذ بدوي عكس الوضع، وجعل ارتباط المعنى بالسجع معناه استلزامه السجع لأداء المعنى على وجهه، أي أن اللفظ المسجوع جاء في هذه الحالة تابعاً للمعنى، فرد صدر الإشارة إلى القسم الثاني، ورد آخرها إلى القسم الأول، أي عكس ما يحتمه رد النظير إلى نظيره في كلام الباقلاني

وما دام قد تبين أن ارتباط المعنى بالسجع هو تبعيته للفظ، وجب أن يكون هذا هو المستجب لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى، وتكون فائدة السجع كفائدة غيره في حال ارتباط المعنى بنفسه واستقلاله عن اللفظ. ومن هنا التعديل الثاني الذي يقتضيه الاتساق، ويقضي به رد النظائر بعضها إلى بعض، من إحلال فعلي الشرطيتين — أو جوابيهما — كل محل الآخر على النحو السابق في الكلمة التي كانت موضع نقد الأستاذ في هذا الجواب

وبعد فهذان طريقان كل منهما يؤدي إلى وجوب تعديل النص المطبوع ليتسق كلام الإمام الباقلاني كله.

وتحيتي الخالصة وشكري إلى الناقد المفضال.

محمد أحمد الغمراوي

نفسه كان يقرأ هذا الكتاب على أبنائه ؛ كما كان يقدمه لضباطه ويأمرهم بأن ينشروه خلال ألمانيا كلها . وحسبنا أن نلقى نظرة على كتاب « كفاحى » الذى ألفه هتلر ، لكى ندرك إلى أى مدى أثر كتاب شمبرلين فى ألمانيا الحاضرة نفسها

والفكرة الأساسية التى يقوم عليها هذا الكتاب الضخم هى أن الحضارة الحديثة وليدة العمل الذى قام به التيوتون ، أعنى أنها ثمرة للعمل الجرمانى الآرى . فالعنصر الجرمانى قد استطاع أن يمزج بين الحضارات المختلفة (من يونانية ورومانية وغيرها) وعن هذا المزج اجتمعت له مدنية قوية ، أقام على دعائمها حضارة القرن التاسع عشر

وكما أن حضارتنا الحديثة ليست إلا ثمرة لذلك الامتزاج الذى تم بين الحضارات القديمة ، فكذلك التيوتون هم أيضاً ليسوا إلا ثمرة للامتزاج الذى حدث بين العناصر الجرمانية القديمة ، والسلافية ، والسلتية . وأنقى مزيج لهذه العناصر الثلاثة هو ذلك الذى نجده فى ألمانيا ، فلهذا كان الألمان هم الشعب المختار . وليس ثمة أمارات جسمية خاصة تميز الألمان ، فليس بلازم أن يكونوا طوال القامة ، أو زرق العيون ، أو بيض البشرة ؛ وإنما هم يتميزون بصفات خاصة لا تمت بأدنى صلة إلى تلك الصفات الجسمية المزعومة : « فالألمانى — كما يقول شامبرلين — إنما هو ذلك الذى تدل أفعاله على أنه ألمانى ، كائناً ما كان الأصل الذى ينتسب إليه »

ولكن ، ما هى أظهر الصفات التى يتميز بها الطابع الألمانى ؟ إنها ليست إلا الإيمان الراسخ بمبدأ الزعامة المقدسة ؛ أعنى الخضوع للزعيم خضوعاً مطلقاً ، وطاعة أوامره طاعة عمياء . فلو وجدنا هذه الخصلة لدى الإيطاليين أو الفرنسيين ، فإنه يكون علينا أن نعتبر هؤلاء أيضاً ضمن التيوتون ، مهما كانت مواطنهم الأصلية التى ولدوا فيها . وعلى ذلك فإن الجنس هو خُلق ، وليس دماً أووراثة . وإذا غيّر أحد نفسيته العنصرية racial psychology فإنه بذلك يكون قد غيّر أيضاً جنسه أوعنصره . « وليس أيسر على الإنسان من أن يصبح يهودياً ... فإن حسبه فى هذا أن يديم الاتصال بجماعة من اليهود ، وأن يقرأ الصحف اليهودية »

بيد أن شمبرلين يعود فيقول : « إن الرجل الذى ينتسب إلى جنس نقى خالص ، لا يمكن أن يفقد شعوره بالعنصر الذى ينتسب إليه مطلقاً . والسبب فى ذلك أن ثمة ملاكا أو حارساً يذكره دائماً بعنصره ، ويرافقه دائماً فى تنقله ؛ ويحذره حينما يتهدده خطر الضلال ، ويجبره على الطاعة ، ويضطره إلى القيام بكثير من الأعمال الجليلة التى ما كان يجرؤ على القيام بها ... فالجنس (أو العنصر) يعلو بالإنسان على نفسه ، ويمده بقوى غير عادية ، بل بقوى خارقة للطبيعة . وإنها لحقيقة تُظهرنا عليها التجربة المباشرة أن لنوع الجنس أهمية كبيرة ، وقيمة حيوية عظيمة » .

وإذا تأملنا فى هذه الأقوال المختلفة ، فإن من السهل علينا أن نرى كيف أن شمبرلين قد وقع فى كثير من التناقضات . فهو أولاً قد قال إن الجرمان هم أرقى البشر ، لأنهم ثمرة لخير امتزاج تم بين « الأجناس النبيلة » ولكنه قال إن جلائل الأعمال إنما هى وقف على أهل « الأجناس النقية الخالصة » . ثم عاد بعد ذلك فقال إن من الممكن أن يتغير الجنس ، لا عن طريق امتزاج الدماء فحسب ، بل أيضاً عن طريق الاتصال الاجتماعى بشعوب ذات « عقلية بدائية » !

ولكن شمبرلين لم يحفل بهذه التناقضات ، فإن ما كان يعنيه هو أن يجد أسطورة يستلهمها مبدأ العنصرية الذى يدعو إليه ، أما التوافق المنطقى ، فهذا ما لم يكن يعنيه فى كثير أو قليل

والأجناس البشرية — فى نظر شمبرلين — مختلفة أشد الاختلاف ، إن فى الُخلق والصفات ، أو فى القوى والملكات . وقد ترتب على هذا الاختلاف أن أصبح هناك جنس راق يتميز بصفات « فطرية » سامية ، وجنس منحط يتميز بصفات « فطرية » وضيعة . ومن بين الأجناس المنحطة التى تنتسب إلى النوع الأخير (فيما يرى شمبرلين) الجنس « اليهودى »

فاليهود هم الشعب الذى لم يستطع يوماً أن يعيش على وفاق مع أى شعب آخر ، ومن أجل ذلك فقد ظلوا دائماً أبداً « شعباً غريباً أجنبياً بين كل الشعوب » . ولقد استجاب الأوروبيون

لداعي المحبة والصداقة ، ففتحوا الأبواب أمام اليهود ؛ وعندئذ لم يلبث اليهود أن اندفعوا كما يندفع العدو المنتصر ، فا كتسحوا كل المناصب ، واستلبوا جميع المراكز ، ثم رفعوا من بعد أعلامهم التي هي غريبة عنا كل الغرابة ... وأينما تُركت القوة لليهود، فانهم لابد أن يسيئوا استعمالها ... أليس اليهود هم ذلك الشعب الذي جعلت منه طبيعته جنساً ميالا إلى الربا والطمع ، في حين أن شريعة موسى تحرم الربا تحريماً قاطعاً ؟ ... » إن اليهودي لهو من الكراهية إلى الرجل الأوروبي ، بحيث أن الأطفال الصغار الذين لم تؤثر الحضارة بعد في نفوسهم ليقدرون أن يشموا رائحة اليهودي عن بُعد ! »

* * *

هذه هي الأفكار الرئيسية في مذهب شامبرلين ، ولسنا في حاجة إلى أن نبين للقارئ ما فيها من أخطاء علمية ، وأغلاط تاريخية ؛ وإنما الذي نريد أن نلفت نظر القارئ إليه ، هو أن قوة الفكرة لا ترجع إلى صدقها أو مطابقتها للواقع ، وإنما ترجع إلى ما فيها من قدرة على التأثير . وكثيراً ما تكون الفكرة الخاطئة نفسها ، قوة كبيرة توجه شعوباً بأ كملها فتنقاد لسحرها في حماسة وقوة ، دون أن تدرك ما فيها من خطأ ، وما يشوبها من العناصر الأسطورية . بعضها يتفق مع ما ذهب إليه نيتشه اتفاقا كبيراً حتى إنه ليصعب علينا أن نتصور أن يكون نيتشه لم يطلع على ما جاء فيها . ومما يتفق فيه الفيلسوفان :

أولا : القول بأن « الحياة هي الكل » tout est vie بمعنى أنه ليس في وسعنا أن نتصور شيئاً ما على أنه موجود حقيقة إلا إذا كان هذا الشيء حياً .

وثانياً : القول بأن الأخلاق التي تنادي بفكرة الواجب والأمر المطلق ، أخلاق فاسدة يجب القضاء عليها ، لأن الإلزام أو التكليف يرجع إلى الحياة نفسها ، إذ الحياة هي التي توفر للفرد الشعور بالقدرة على العمل ، وليس هناك قوة سحرية غريبة « كالأمر المطلق » المزعوم

وثالثاً : القول بأن التشاؤم يدعو إلى الانحلال والفناء ، في حين أن التفاؤل يكسب الحياة خصباً وامتلاء ، فكل من جويو ونيتشه يعتبر التشاؤم مظهراً للانحلال والهبوط والفناء ...

رابعاً : القول بأن الفن هو المعنى الباطن للحياة بمعنى أنه ليس مجرد متعة أو ألهية ، بل هو أمر جدي له قيمته في الشعور بالحياة الحافلة الخصبة المليئة . فكل من جويو ونيتشه ينظر إلى الفن نظرة حيوية ، ولا يعده عديم الغاية بل يذهب إلى أن الفن للحياة وبالحياة . ومعنى هذا أن الفن عندهما ليس للفن — كما يقال عادة — بل هو غائي ، وغايته ليست تقويم الأخلاق أو إصلاح الناس ، بل تقوية الشعور بالحياة

وأما النواحي التي يختلف فيها جويو مع نيتشه فهي تلك التي تمس مشكلة « الفردية » ؛ وذلك لأن جويو يعتقد أن الرجل القوي ليس هو الرجل المتوحد (كما زعم نيتشه) بل هو الرجل الذي تجمعه بغيره من الناس ، وشائج العقل والقلب . فعلى الرغم من أن جويو يتفق مع نيتشه في القول بالحياة الخصبة المليئة ، إلا أنه يتصور هذه الحياة على أنها أولا وبالذات ، حياة اجتماعية تنعدم فيها الأنانية ، لأن الأنانية سلب للحياة نفسها ، وإنكار لكل خصب أو امتلاء . . ولعل خير ما يوضح لنا الفارق بين نيتشه وجويو ، هو أن الأول يدعونا إلى اتباع الطبيعة (كما دعا إلى ذلك الأقدمون) ، في حين أن الثاني يدعونا إلى تعميق الطبيعة . فنيتشه يقول : « اتبع الطبيعة » Suivez la nature ، وأما جويو فإنه يقول : « عمق الطبيعة » Approfondissez la nature . ومهما يكن من شيء ، فإن جويو هو بلا ريب واحد من أولئك الرواد الذين سبقوا نيتشه في الطريق الذي سلكه . وقد رأينا أن هؤلاء الرواد كثيرون ؛ فهل علينا من حرج بعد هذا إذا قلنا إن السبيل الذي سلكه نيتشه سبيل مطروق ؟

(السويس) زكريا ابراهيم
مدرس بمدرسة السويس الثانوية

شعر البارودي في منفاه

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

وضعت الثورة العرابية أوزارها ، وقضى على كثير من زعمائها بالنفى إلى جزيرة سيلان التي تقع جنوبى بلاد الهند ؛ فى أواخر عام اثنين وثمانين وثمانمائة وألف أبحرت السفينة من مصر تقل البارودى ومن معه من الزعماء إلى هذه الجزيرة ، وقد رست السفينة بهم فى ثغر كولومبو حيث قدر للشاعر أن يعيش مع رفقائه سبع سنوات ، سئم فيها تلك الحياة ، وهؤلاء الصحب ، فرحل إلى كندى العاصمة القديمة للجزيرة ، وهى مدينة في الداخل مرتفعة عن سطح البحر ذات مناظر جميلة ومناخ صحى ، وظل بها البارودى عشر سنوات أخرى

غادر البارودى وطنه وعمره أربع وأربعون سنة ، لم يفارق بعد عهد الشباب والفتوة ، وظل فى منفاه سبعة عشر عاما فقد فيها القوة والشباب ، وفى هذه الغربة الطويلة كان البارودى فى وحدة نفسية موحشة ، فرفقاؤه الذين سافروا إلى كولومبو قد انقلب بعضهم على بعض ، كلّ يلقى تبعة ما حل بهم على رفيقه ، وكل يضمر لصاحبه الحقد ومر العتاب ، ولعل نصيب البارودى من موجدتهم كان عظيما بمقدار ما كان له من يد فى الثورة وشئونها ، فتبرم بهم ، وآثر أن يعتزلهم ، ويصم أذنيه عما تلوكه ألسنتهم ، وما يتحدثون به عنه فى غيبته

ولم يكن نصيبه فى كندى بأفضل من ذلك ، لأنه اضطر إلى الوحدة يقوم بشئونه فيها خويدم أسود ، ذلك أن سكان هذه المدينة لا يعرفون اللغة العربية ، فلم يستطع أن يجد من بينهم رفيقا مؤنساً ، يخفف عنه آلام وحدته وغربته ، ولعل هذا هو ما دفعه إلى أن يعلّم بعض أبناء هذه البلاد اللغة العربية عله يجد منهم من يفهم عنه ويجعله صديقاً ، ولكنه لم ينجح فى لقيان هذا الصديق ، واضطر إلى معاشرة من لا تستريح نفسه إليه

وجد البارودى نفسه إذا فى وحدة مؤلمة ، فاتجه إلى الشعر يتخذ منه الأنيس الرفيق ، والصديق المخلص ، يبثه آلامه ، ويناجيه بأحلامه وأمانيه ، ونستطيع أن ندرس شعره فى تلك الفترة من الزمن ، فنجده صورة صادقة لما كان يعتلج فى صدره حينئذ من الأحزان والآمال ، وإنه لصادق حين قال فى إحدى قصائد منفاه :

فانظر لقولى تجد نفسى مصورة ... فى صفحتيه ، فقولى خط تمثال

شكا البارودى إلى شعره هذه الغربة الطويلة ، والوحدة التى اضطر إليها ، وهو يردد هذه الشكوى فى كثير من قصائده ، فحيناً يقول :

أبيت فى غربة لا النفس راضية ... بها ولا الملتقى من شيعتى كثب

فلا رفيق تسر النفس طلعته ... ولا صديق يرى ما بى فيكتئب

وحينا يشبه نفسه بطائر ترك فريداً بين الأدغال ، وقد غال الردى والديه فتركاه صغيراً لا يستطيع النهوض ، ولا أن يصون نفسه ممن يريد به السوء ، يرتاع كلما سمع صوت البزاة ، بل إنه ليفوق هذا الطائر بما يحس به من الجوى ، وما يذرفه من الدمع فيقول :

لا فى سرنديب لى إلف أجاذبه ... فضل الحديث ولاخلّ فيرعى لى

فلو ترانى ، وبردى بالندى لثق ... لخلتنى فرخ طير بين أدغال

غال الرّدى أبويه فهو منقطع ... فى جوف غيناء لا راع ولا وال

أزيغب الرأس لم يبد الشكير به ... ولم يصن نفسه من كيد مغتال

يكاد صوت البزاة القُمر يقذفه ... من وكره بين هابى الترب جوّال

لا يستطيع انطلاقاً من غيابته ... كأنما هو معقول بعقّال

فذاك مثلى ، ولم أظلم ، وربّتما ... فضلته بجوى حزن وإعوال

شوق ونأى وتبريح ومعتبة ... يا للحميّة من غدرى وإهمالى

ولقد كان أثر هذه الوحدة فى نفسه قوياً ، حتى صار أكبر آماله فى منفاه أن يجد الصديق الوفى المخلص :

لم يبق لى أرب فى الدهر أطلبه ... إلاّ صحابة حر صادق الخال

ولو كان البارودى قد وجد فى مغتربه الخل الوفى لخفف قربه آلام نفيه ، وعذاب اغترابه ، فاضطر - كما قلنا - إلى أن

يتصل بمن لا يشتهى قربه ، ولا تأنس نفسه إليه ، وظل يهتف باحثاً عن صديق يسره ويقول :

فهل من فتى يسرى عن القلب همه ... بشيمة مطبوع على المجد مسعف

رضيت بمن لا نشتهى النفس قربه ... ومن لم يجد مندوحة يتكلف

ولو أننى صادفت خلاً يسرنى ... على عـدواء الدار لم أتلهف

وأبى القدر إلا أن يزيد فى آلامه ، فبعد زهاء عامين ورد إليه نعى زوجته فبكاها ، ورثاها بما نلمس فيه صدق للعاطفة وخالص الود ، وأشفق على بناته بعدها ، وقد اغترب الوالد وماتت الأم فقال :

يا دهر فيم فجعتنى بحليـلة ... كانت خلاصة عدتى وعتادى

إن كنت لم ترحم ضناى لبعدها ... أفلا رحمت من الأسى أولادى

أفردتهن فلم ينمن توجعاً ... قرحى العيون رواجف الأكباد

ألقين در عقودهن وصغن من ... در الدموع قلائد الأجياد

يبكين من وله فراق حفية ... كانت لهن كثيرة الإسعاد

فخدودهن من الدموع ندية ... وقلوبهن من الهموم صوادى

وهى قصيدة طويلة صادقة التعبير لا يقلل من قيمتها أنه تأثر فيها بقصيدة التهامى فى رثاء ولده ، لأن معانيها تنبع من إحساس صادق لا تقليد فيه

وفجعته الأيام كذلك بابنته ، فقابل الفجيعة بحزن بالغ ، جمدت له عيناه ، ثم بصديقين عزيزين هما حسين المرصفى وعبد الله فكرى باشا ، فحزن عليهما أشد الحزن ، وبكاهما فى قصيدة طويلة أرسلها عبرة مسفوحة على موطن شبابه وأيام شبابه وصديقى شبابه ، فقال :

لم تدع صولة الحوادث منى ... غير أشلاء همة فى ثياب

فجعتنى بوالدى وأهلى ... ثم أنحت تكر فى أترابى

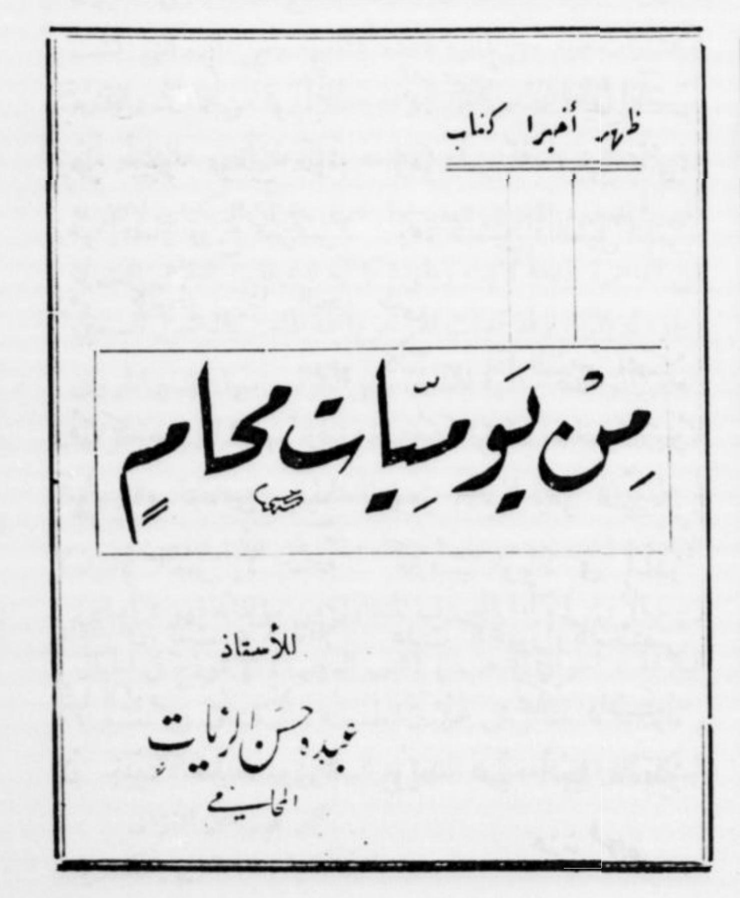
كل يوم يزول عنى حبيب ... يا لقلبى من فرقة الأحباب

أين منى حسين بل أين عبد الله رب الكمال والآداب

لم أجد منهما بديلاً لنفسى ... غير حزنى عليهما واكتئابى

(البقية فى العدد القادم)

احمد احمد بدوى
مدرس بحلوان الثانوية للبنين



الضــــمير . . .

للدكتور عزيز فهمى

صاحبٌ وشنانٌ من طول السهر
إنْ تنمْ ناداكَ أوْ تنسَ ادّكَرْ
كلّما غافلتَه فى سكرةٍ
من أمانيكَ تجنَّى أوْ عذرْ
فإذا كفّرتَ عن وزرٍ عفا
وإذا عدتَ إلى إثمٍ ثارْ
ليسَ ملموساً فتدرى كُنْهَه
وهْوَ ما كتّمتَ يدرى ما تُسرْ
وتُواريه فيُغضى ساعةً
ثمَّ يستيقظُ فى لمحِ البصرْ
ليسَ عقلاً أو شعوراً خالصاً
بل تُراثاً من شعورٍ وفكرْ
فهْوَ عقلٌ باطنٌ أو مُلهِمٌ
وهْوَ إحساسٌ قديمٌ مُدَّخرْ
كمْ جرعتَ الصّابَ من ترياقِهِ
وانتَهَبْتَ الشُّهدَ ممّا قد هَصرْ
أنتما الدهرَ طريدٌ آبقٌ
وغريمٌ طاردٌ أو مُنتصِرْ
أينا وليتَ أحصى مُرجِئاً
مَوعِداً حتماً فأيّانَ المفرْ ؟

***

يتراءى شاحباً أو إمَّعا
فهْوَ كالظلِّ إذا الظِلُّ انتشرْ
وهْوَ جبّارٌ عنيفٌ تارةً
وهْوَ أحياناً ضعيفٌ يأتمرْ
وهْوَ إعصارٌ وريحٌ صرصرٌ
وهْوَ كالسَّيلِ إذا السَّيلُ انهمرْ
وهْوَ كالبحرِ إذا البحرُ طغَى
وهْوَ كالموجِ إذا الموجُ انحسرْ
وهْوَ كالسهمِ إذا السهمُ رمى
وهْوَ كالسيفِ إذا السيفُ بترْ
آمرٌ ناهٍ وعاصٍ طيِّعٌ
وهْوَ الآمِرُ وهْوَ المُزدَجِرْ
لا ينامُ الدَّهرَ إلا ساعةً
فترقَّبْها وبالغْ فى الحذرْ
ساعةَ أن نِمْتَ عنها غافلاً
عُدْتَ كالمخمورِ أو كالمحتضَرْ
أيُّها السَّاهرُ نَمْ أوْ لا تَنَمْ
وترفَّقْ وتجلّدْ واستعِرْ
إنْ جَنَيْنا فعلينا وزرُنا
وإذا نحنُ أثِمْنا فاعتذِرْ

عزيز فهمى

قد كنت شيئاً . . .

للآنسة الفاضلة « دنانير »

أينَ زمانٌ كابتسامِ الضُّحى
تُظِلُّنى أغصانُه الوارفهْ
أشهى من الدنيا إذا أقبلتْ
أينقضى كاللمحةِ الخاطفهْ

ما كنتُ إذ حاولتُ إبقاءَهُ
إلاّ كمن أُوقظَ من رقدتِهْ
مدَّ يديْهِ خافَ حُلْمٌ سرى
يودُّ لوْ يُبقيهِ فى مقلتِهْ

أخشى على قلبيَ من يقظةٍ
تسلبُه أطيافَ أحلامِهِ
فإنّما يحيا بتلكَ الرُّؤى
ومن رؤاهُ فيضُ إلهامِهِ

يا من نأى الصدُّ به والنوى
هلْ ضِقْتَ بالشوقِ وتبريحِهِ
فحاجةُ النفسِ إلى إلفِها
كحاجةِ الجسمِ إلى روحِهِ

لكنّما قلبُكَ غيضَ الهوى
منه فأضحى ناضبَ المنبعِ
وماتَ ممّا جفّ ، فانظرْ إلى
حُطامِهِ وابكِ عليه معى

أوْ لا فكيفَ اليومَ عافَ الهوى
وطُهْرَ دنياهُ وعليا سماهْ
وراحَ يهوى فى حضيضِ الثرى
يخلبُه جاهُ الغنى والرفاهْ

هلْ يستوى القلبانِ هذا مضى
فى الأرضِ يستهويهِ وهجُ الذهبْ
وذاكَ فى الأفلاكِ تصعيدُهُ
يفتنُهُ النورُ ووهجُ اللهبْ

رغائبُ العيشِ وأطماعُهُ
راوَدْنَ منكَ القلبَ حتى غوى
يا ضَيْعةَ القلبِ إذا لم يكنْ
لعالمِ الحبِّ ودنيا الهوى

دُنيا من الطُّهرِ هيولِيَّةٌ
وكلُّ ما فيها رقيقٌ شفيفْ
خفيّةُ الألطافِ إلاّ على
مَنْ مسَّهُ منها الشعاعُ اللطيفْ

وعالَمٌ أبدعَهُ ساحرٌ
ينفُثُ فيه من هُنا أوْ هُنا
لطافةَ السِّحرِ وإعجازَهُ
صاغاهُ جَمَّ العِطرِ جمَّ السَّنا

قد كنتَ شيئاً راعنى سحرُهُ
صوَّرهُ وهْمى وصاغَ الخيالْ
واليومَ ما أنتَ ؟ لقد بِنْتَ لى
حقيقةً أُفرِغَ منها الجمالْ

(فلسطين) « دنانير »



زكي مبارك وكتاب الله

التحدى نُشر بمجلة (الرسالة)، وهى مجلة عالية، والمتحدى أستاذ بكلية الطب، وهى أيضاً كلية عالية، فمن واجبي أن أدفع عن نفسي بلاء هذا التحدى فأقول: إنى رجعت إلى مقالى المنشور (بالعدد ٥٩٢) من (الرسالة) عن «تلك الروح وذلك اليوم»، فلم أجد فيه لفظة واحدة تدل على أنى أخاصم القرآن حتى يصح لذلك الفلان أن يقول «ما لزكى مبارك وكتاب الله»

أنت يا أيها الأستاذ محمد أحمد الغمراوى تسيء إلى نفسك بإصرارك على اتهامى فى إسلامى، وإن صح زعمك، فسيكون كفرى أفضل من إيمانك، لأنى أعرف ما لا تعرف من حقائق العلم والدين

كان يجب أن تتذكر أنى دكتور فى الفلسفة ثلاث مرات، وأنى أجدر العلماء وأقدرهم على شرح نظرية وحدة الوجود، وسأخرج عنها كتاباً يفوق فهمك، ولكنه سيشرّفك حين تدرك أن فى أبناء وطنك من شرح معضلة عجز عن شرحها الفلاسفة فيما سلف من الزمان!

وأنا مع هذا راضٍ عنك، لأنك بعلمك الغزير الوفير ترشدنى إلى فهم القيمة الصحيحة لحقيقة نفسى، فما خطر فى بالى أنى أعظم من أساتذة كلية الطب، قبل أن أقرأ ما تكتبه عنى

ثم ماذا؟ ثم أتعجب من ثنائك على نفسك بنشر ما قال أحد مخاطبيك مدحاً فى قدحك على كتاب «النثر الفنى»

وهل تفهم كتاب «النثر الفنى» حتى تتطاول على مؤلفه بذلك الأسلوب؟

ثم ماذا؟ ثم أسأل عن سكوتك المطلوب المرغوب عن نقد كتاب «التصوف الإسلامي» ... وأجيب عنك فأقول: إنك تعجز عن فهم كتاب «التصوف الإسلامى»، لأنه كتاب فى الفلسفة العالية، ولا تستطيع أنت ولا يستطيع أشياخك أن ينقدوه بحرف؛ لأنه فوق ما تطيق وفوق ما يطيقون!

أنت يا أيها الأستاذ فى احتياج شديد إلى من يدلك على أن الشتائم لا تنفع فى مقارعة الخصوم، وإنما ينفع الصدق، ولو أن الله وهبك عمر نوح لعجزت عن تأليف كتاب مثل كتاب «النثر الفنى»، أو كتاب «التصوف الإسلامى».

زكي مبارك

كتاب المستقصى للزمخشري

اطلعت على ما كتبه الفاضل عبد الحميد صالح البصرى عن كتاب المستقصى فى الأدب للزمخشرى؛ وهو فى أمثال العرب أوله: الحمد لله على ما أثلج صدورنا من برد اليقين. ذكر فيه جملة من أمثال العرب، وعنى فى شرحها بإيراد قصصها، وذكر النكتة والروايات فيها والكشف عن معانيها والأنباء عن مضاربها، والتقاط أبيات الشواهد لها مع الاختصار المستحسن المقبول، وتجريد الألفاظ عن الفضول. رتبه على فصول المعجم، وانتهى من تأليفه فى شهر رمضان سنة ٤٩٩ هجرية.

ولدى نسخة من المستقصى، والنسخة التى تحت يدى فى ستمائة صفحة مكتوبة بخط جيد أنيق على ورق من الكتان العتيق أحسبها كتبت فى القرن السابع أو الثامن الهجرى لاعتبارات فنية من ناحية قاعدة كتابتها ومن المادة التى كتبت بها والورق، وهى من ضمن مجموعة خطية أثرية من مخلفات والدى. وإنى مستعد لتلبية من يود طبعه بشروط أتفق عليها أو أنى أقدمها للمجمع اللغوى بمصر إذا رغبها. على أن الكتاب لا يخرج من القاهرة خدمة لأبناء وطنى؛ كما أنه لدى تفسير البقاعى الذى لا وجود له بالمرة. وقد قدمت للمرحوم أحمد طلعت بك حول السبعين ألفاً من المؤلفات النادرة المثال، ومن النفائس منها: تفسير الخروبى لا يوجد له نظير فى الدنيا وهو نسخة المؤلف. وللزمخشرى مؤلف لم يطبع ولا يوجد له نظير مثل المستقصى وهو كتاب «ربيع الأبرار» اختصره هو نفسه وسماه: (روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار)، أما المعروف المتداول من مؤلفاته فهو: أساس البلاغة، أطواق الذهب، أعجب العجب، الأنموذج فى الجبال والأمكنة، الحقائق فى غريب الحديث، الكشاف فى التفسير، الكلم النوابغ المفصل، النصائح الكبرى، مقدمة الأدب.

محمد عبد الله الغزالي
أمين مكتبة منطقة التعليم باسكندرية

العقلية المصرية

أعجبت بالكلمة التي كتبها الدكتور مندور عن العقلية المصرية في عدد ٥٩٢ من الرسالة ، ولست أخالفه في وجهة نظره ، ولكني أريد أن أقول إن العقلية المصرية إيجابية فعالة كالعقليات الغربية ، وليس أدل على هذا من أنها سلبية قابلة لحكمه عليها ، لأن العقل المحصل الواعي القوي الذاكرة لابد أن يكون منتجا فعالا لو أتيح له ، وفي نهضتنا العلمية الحاضرة مظاهر للانتاج العقلي الإيجابي تتفق وخطواتنا في سبيل التقدم العلمي ووسائلنا المادية المساعدة ، ومن شبابنا المثقف من اهتدى في عالم الأدب والنفس إلى نظرية غير معروفة ، ومن كشف الحجاب عن مجهول ، ومن استطاع أن يقود حركة خاصة ويتزعم مدرسة خاصة . فإذا تذكرنا أننا في الواقع في بدء النهضة التي ينتظر أن يتسع مجالها غدا استطعنا أن نصدق في كثير من الرضا أن العقول المصرية إيجابية فعالة . والمعقول أن النهضات تبدأ بالتحصيل والقبول أزمنة تختلف باختلاف الأمم استعدادا للنهوض واستجابة لدوافعه ، ثم يكون بعد ذلك الإنتاج الإيجابي . فإذا كنا نحن في بدء النهضة ، ونحن في الواقع كذلك ، فليس لنا أن نحكم على العقلية المصرية بأنها تكيفت بكيفية ما تيئسنا من أن يكون فينا منتجون إيجابيون بالقدر الذي نبغيه وبأنه لا وجود للملكات بيننا تقريبا .

إن الإنتاج الإيجابي في أي أمة يتجلى في مظهرين لا ثالث لهما . الأول : المظهر الأدبي بأوسع ما يمكن أن تحتمله هذه العبارة ، وهذا ، ولا أغالي ، قد قطعت فيه مصر شوطاً لا بأس به يتناسب جد التناسب مع عمر نهضتها الحالية . والثاني : المظهر المادي وحظ مصر فيه حقاً قليل جداً ، لأن المظهر المادي دائماً يعتمد على المال وحسن استثماره ، ولكن إذا قسنا كذلك ما وصلت إليه مصر في هذا المجال إلى عمر نهضتها وظروفها الخاصة ، كان من المعقول أن يكون حظها منه مناسباً

وهذا لا يدلنا على أي حال أن العقلية المصرية تكيفت بالنحو الذي يجعلها سلبية قابلة فقط

ومظاهر سوء التصرف وضيق الحيلة وضعف الاعتماد على النفس وعدم الاهتداء إلى السبيل السوي عندما يضطرب حبل الأمور وتشتد المواقف ، مرده في الواقع فيما نراه في الكثيرين منا حتى المثقفين إلى تغير مجرى الحياة السياسية بمصر منذ عهد غير بعيد . ولو أن مصر كانت حسنة الحظ سياسياً وسارت نهضتها التي بدت بمهد عاهلها الأكبر محمد علي باشا في طريقها لرأينا النفس المصرية غيرها الآن .

والمشكلة الحقيقية عندنا هي مشكلة الأخلاق التي هي أقوى مظاهر الثقافة ، فإذا استطعنا أن نربي في نفوس الأجيال المقبلة الملكات التي توجه الأفراد والمجتمعات صغيرة أو كبيرة الوجهة الصالحة في غير عناء اتسع المجال أمام العقلية المصرية السلبية القابلة ويسرت لها وسائل الإنتاج الإيجابي فكانت فعالة مبتكرة .

ولست أرى رابطة بين العلم والأخلاق إلا بقدر البيان الإرشادي فقط باعتبار أن الأخلاق قد تكون من مباحث العقل ، فلا يمكن أن يكون العلم والتوسع فيه مقوماً للأخلاق ، فالعلم شيء والثقافة شيء آخر . فليتجه من بيدهم الأمر بمصر إلى تقويم الأخلاق ، وليجعلوا كل شيء من مظاهر الإصلاح في المحل الثاني بعدها ، فهناك تستقيم أمورنا ويستطيع الفرد أن يبتكر ، وهناك نرى العقلية المصرية إيجابية فاعلة .

عبد اللطيف ثابت

« الشوامخ »

أصدر الدكتور الفاضل محمد صبري الجزء الثاني من الشوامخ ، وهو دراسة تحليلية لخصائص الشعر الجاهلي بدراسة أعلامه : الأفوه الأودي ، وزهير ، وطرفة ، ولبيد ، والشنفرى ، والشعراء الهذليين وقد قال المؤلف الفاضل في مقدمته : « ولا ريب أن خير وسيلة لدراسة الشعر العباسي ، والشعر الحديث بصفة عامة ، هي دراسة الشعر الجاهلي والرجوع إلى (عمود الشعر) الذي تكلم عنه مشايخ النقد ، كما أن خير وسيلة لدراسة الشعر الجاهلي هي الانتباه إلى الصلة الدقيقة التي تربط النثر الجاهلي بالشعر الجاهلي ، وبعبارة أدق درس المحيط والبيئة التي نشأ فيها الشعر وتمكن ، وإلى الصلة التي تربط ذلك الشعر بآداب العرب وفنونها من نحت وتصوير .

« وفي اعتقادنا أن دراسة الشعر الجاهلي في ذلك الضوء الجديد من شأنها أن تظهر لنا الكثير من روائعه ، وأن تفتح لنا منه كل باب مغلق » . وهو كلام حق لا ريب فيه

والكتاب مطبوع في مطبعة (دار الكتب المصرية) طبعاً متقناً . ويطلب من المكاتب الشهيرة وثمنه ثلاثون قرشاً .



12 me Année No. 598

Lundi - 18 - 12 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٩٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣ محرم سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٨ ديسمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

الثقـــافة والأخلاق

للدكتور محمـــد مندور

هذه مشكلة ما زالت تلح على عقلي منذ أخذت أفكر لنفسي ، ولقد كنت ولا أزال أحس أن حلها ضرورة من ضرورات الحياة ، لأنها تفسر الكثير من مواقفنا إزاء الناس ، فالحديث فيها ليس بمجرد رياضة عقلية نلهو بها ونلهى القارئ — وهذا نوع من الحديث تنفر عنه نفسي بطبيعتها وما أرى فيه نفعاً لأحد — فمهمة الكاتب لا ينبغي أن تكون الإفحام بالجدل ، بل الإقناع بالقلب ، ولن تصل إلى إقناع إلا إذا اكتفيت بأن تعرض تجاربك النفسية داعياً الغير إلى مثلها

أول ما أثار تلك المشكلة فى نفسي هو ما قرأته فى صدر الشباب « لأفلاطون » ، إذ يعرض نظرية « سقراط » فى أسس الأخلاق ؛ ومن المعلوم أن هذا الفيلسوف الجليل كان يرى أن المعرفة هي عماد الخلق ، وقد زعم أنك لا تستطيع أن ترتكب الشر إذا أدركت أنه شر ، وأنك لا بد آت الخير إذا تحققته بنظرك . ولقد أبهج خيالى هذا الرأى ، ولكنني كنت أنظر فأرى نفسي وأرى غيرى ندرك الخير والشر ، ثم لا نملك أنفسنا من الاندفاع فى أعقاب الهوى ، فيساورني الشك . ووقع بين يدى يوماً قول لفيلسوف فرنسي معاصر هو بول جانيه يقول

فيه : « إن الإنسان بطبيعته يفضل الخير المحسوس على الخير المدرك » . ولما كانت شهوات النفس أقرب إلى الحس منها إلى الإدراك المجرد ، فقد كان من الطبيعي أن تستأثر بالنفس ما دام هدفنا الأخير من الحياة هو التماس السعادة بتحقيق أكبر قسط مستطاع من رغباتنا ، وليس من شك في أننا نحس أن خيرنا في هذا التحقيق . وذلك رأى بيليل الفكر ، ولكنك لن تعدم السبيل لرده إذا تعمقت الأمور ، فإنه وإن يكن من الصحيح أننا نفضل الخير المحسوس على الخير المدرك ، إلا أننا لن نعجز عن تغليب الخير الأخلاق إذا أنزلناه هو الآخر منزلة الخير المحس . وذلك بألا نكتفى بتحقيقه بالنظر المجرد ، بل نتعمق به إلى مجال الإحساس فندرك بقلوبنا ما فيه من جمال . وجماله تلحظه في صفات ثلاث يورثها النفس وهى : الحرية والقوة والمرح . فأما الحرية ، فأى نشوة يستشعرها الفرد عند ما يحس أنه لم يعد عبداً لشهواته ، وأما القوة ، فهل نحن بحاجة إلى أن نبصر القارئ بعظمة النفس البشرية عند ما تنطلق بقوتها كاملة لا يحدها نفع حقير تحرص عليه ، أو رغبة وضيعة تبغى تحقيقها ؟ وعند ما تحس بنفسك حرة قوية أى مرح سيأخذ بالروح عندئذ ؟ ثم هل هناك ما ينشط ملكات الخلق في الفرد مثلما ينشطها المرح الروحى ؟ وأى سعادة في الحياة تعدل سعادة الخلق ؟

هكذا نستطيع أن نجد حلاً للجزئية التي عرضنا لها ، ولكن المشكلة لا تزال قائمة في عمومها ، ولقد لاحظ الكاتب الفرنسي « ديهامل » أن من الكتاب والفنانين من وهبوا ملكات ساحرة دون أن يمنعهم ذلك من انحلال الأخلاق . ولقد قسا بهم الرجل فشبههم بالعاهرات يلهو الناس بأجسامهن ثم لا يمنعهم ذلك من احتقارهن . ولا بد لتفسير هذه الظاهرة من أن نفرق بين ثقافة النفس وملكة الخلق ، فليس من الضروري للأديب ، أو الفنان الخالق ، أن يكون رجلاً مثقفاً ، بل من الناس من يرى أن ثقل الثقافة قد يعوق الخلق ، وباستطاعتك أن تستعرض أسماء الكثيرين من كبار الكتاب أمثال : شكسبير وموليير وروسو وديكنز وبلزاك وفالرى ، ممن لم يتلقوا تعليماً جامعياً منظماً ، وإنما هم رجال وهبوا القدرة على الخلق ، ثم جدوا فحصلوا بقراءاتهم مواد أولية يعملون فيها ملكاتهم ، وليس هذا هو المقصود بالثقافة ، وإنما الثقافة بأدق معانيها هى تكوين نظام عقلى وغرس روح علمية في النفس ، وهذا النظام وتلك الروح لا ينموان بالتحصيل أو بجمع المواد الأولية ، بل هما راسبان يتخلفان بالنفس بعد أن ننسى ما حصلنا وما جمعنا . وعلى هذا النحو نستطيع أن نحل هذا الجزء الآخر من المشكلة ، فنميل إلى الاعتقاد بأن ثقافة النفس خليقة بأن تسدد الخلق

ولكن كيف تسدد الثقافة الخلق ؟ للجواب على ذلك يجب أن نميز بين المعرفة والثقافة : فالمعرفة التي تنحصر في تحصيل المعلومات لا نظن أن لها تأثيراً ما على الأخلاق ، وإلا فأى أثر تريد أن يكون لعلمك بقانون الجاذبية أو بأن نابليون قد انتصر في موقعة أوسترلتز أو ما شابه ذلك على سلوكك الخلقى . وعلى العكس من ذلك الثقافة بالمعنى الذي حددناه ، فإذا وصلت بفضلها إلى نظام عقلى وروح علمية ، نمت بنفسك قدرة على تمييز الحقيقة ، ثم محبتها ، وعندئذ ستحس بالحرية الروحية ، وقوة النفس ، ومرح العقل ، التي ركزنا فيها جمال الخير . ولى على هذا شاهد في أستاذ تلقيت عنه العلم ، وهو رجل دؤوب على القراءة ، وإطالة التفكير فيما يقرأ ، حتى لأحسبه لطول ما قرأ وفكر قد وصل إلى ما وصفت من نظام عقلى وروح علمية ، وأكبر ظنى أن هذا النظام وتلك الروح قد أصبحا اليوم أساس سماحته الأخلاقية ، فهو من قلائل الناس الذين يحرصون على أن يعطوا كل ذى حق حقه ، وهو من قلائل الناس الذين يسلمون لكل فرد بما ينبغى أن يكون له من كبرياء ، دون أن يلقى هذا الكبرياء على نفوسهم أى شبح من ظلال . أى جمال تحس في نفسه عند ما تلوح لك خالية من عتمة الحسد ؟ وقديماً قال المفكرون : « إن قليلاً من العلم يبعد بنا عن الله ولكن كثيره يعود بنا إليه »

ونترك العلاقة بين الثقافة والأخلاق في حياة الفرد لنواجهها في حياة الأمم ، وهنا تبدو لنا ظاهرة كبيرة لا بد من تفسيرها ، وهى ما نلاحظه في التاريخ من أن جميع الأمم قد انتهى بها الأمر عند ما اتسمت ثقافتها النظرية إلى الانحلال فالفناء ، وهذا

السلم العالمية حلم الأبد

للأستاذ توحيد السلحدار بك

جاء في (العدد ٥٩٥) من «الرسالة» مقال ظريف للدكتور أحمد فؤاد الأهواني عنوانه «السلم العالمية حلم قريب الأمد».

وليس هذا من المستغرب: فإن الآراء تختلف، وكثيراً ما أيَّد الناس أحبها إليهم، أو أقربها إلى لون ثقافتهم، أو أصلحها لسياستهم. وقد نشط القائلون باتجاه الإنسانية نحو السلم العالمية أو بقربها بعد الحرب الكبرى السابقة، ومنهم مثلاً: ديفز[1]، وكُرنيجو[2]، وويلز[3] الذي يصف بكتابه المشهور «سيرَ الإنسانية المظفر نحو وحدة عالية». وهذا هو مذهب الدكتور. وموضوعه كثير الأبواب والأصول، متشعب الأطراف والحواشي؛ وإيفاء بيانه وأدلته يملأ سِفراً فزائداً، ولا طائل وراء الإطالة فيه.

يقول الدكتور في فاتحة احتجاجه: «لا شك أن أحداً من الدول المشتركة في هذه الحرب القائمة لم يكن يرغب في إثارتها» لكنه يقول في منتصف مقاله: «تشيع العقيدة في نفس بعضها (الدول) أنها أقوى من غيرها بأساً وأسمى عقلاً وأرفع منزلة وأوسع علماً. ولهذا وقعت الحرب الحالية لانقسام العالم إلى دول عظمى وامبراطوريات كبيرة تتنازع على السيادة والسلطان»

عجباً! لم ترغب دولة في هذه الحرب، وقد نشبت، إذ اعتقد بعض الدول أنه أقوى من غيره، فنازعه السيادة، ومَن أراد السيادة أراد الحرب. أفلا يبدو أن في هذا الكلام تناقضاً ينتفي به معنى الجملة الأولى منه؟ وفي الجمل التالية إشارة واضحة إلى ألمانيا، إذ المعروف أنها ابتدأت بالاعتداء على غيرها وأرادت أموراً حققتها بالقوة وهي عالمة بأن إرادات أُخَر تعارضها. وقد علَّمها كِلَوزِوِتز[1] أن غرض المحارب هو إخضاع إرادة

(١) دافيد ديفز (Daveid Davies)، في كتابه المسمى «مشكلة القرن العشرين» (Le Problème du XXs Siècle).

(٢) مريانو . هـ . كرنيجو (Mariano H. Cornéjo) وزير الأرجنتين وعضو مجلس جمعية الأمم سابقاً، في كتابيه: «توازن القارات» و «الكفاح للسلام».

(L. Equilibre des Continents. 1932 et La Lutte pour La Paix. 1934), chez Félix Alcan.

(٣) هربرت جورج ويلز (Herbert George Wells) في كتابه المسمى «خلاصة التاريخ العام».

(Esquisse de l' Histoire universelle).

(١) شارل ده كلزوتز (Charles de Clausewitz) القائد الكاتب الحربي البروسي والكلمة في كتابه عن الحرب، وهو معروف معتبر

ما نجده عند اليونان والرومان والعرب على السواء، فما السر في ذلك؟ يخيل إليَّ أننا نجد الجواب في أمرين: أولهما: أن الأمم لا تحيا بالثقافة النظرية فحسب، وإنما تحيا أيضاً بتقاليدها. وثانيهما: أن للثقافة النظرية نوعين من النشاط: نشاط هدم ونشاط بناء. فعند ما يسبق التفكير الفردي التقاليد ويأخذ في تناولها بالبحث ومناقشة الأسس، لا بد من أن يقوضها، لما هو معروف من أن كثيراً من التقاليد لا تقوم على أسس نظرية قوية بل تستند في الغالب إلى مواضعات اجتماعية خلقتها عصور موغلة في الظلام. وإذا كان العقل قادراً على الهدم فهو أقل قدرة على البناء، وبخاصة بناء التقاليد، وتلك لا يكفي في تدعيمها النظر المجرد بل لا بد من أن تطرد بها الحياة حتى تنزل من الناس منزلة العادات الآلية، وهذا أمر يحتاج إلى زمن طويل. وهكذا نفسر انحلال الأمم: عقل يهدم ثم لا يستطيع لساعته أن يقيم بناء على الأنقاض وإذا كان العقل يقوض من دعائم الأمم، فإن ذلك لا ينبغي أن يصرفنا عن تثقيفه، فهو ليس منبع الشر وإنما منبعه أنه لم يثقف عند كافة أفراد الأمم المنحلة، بل عند نفر قليل منها هم الذين قوضوا التقاليد. والتقاليد في الحق ليست من ضرورات الحياة الاجتماعية إلا بحكم أنها تحل عند غير المثقفين محل النظام العقلي والروح العلمية اللذين أشرنا إليهما، وعند ما تستطيع أمة من الأمم أن تدعي أن كل فرد من أفرادها يملك ذلك النظام وتلك الروح فلن يرهبها عندئذ أن تضيع تقاليدها

وهكذا نستطيع أن نخلص إلى أن الثقافة الحقيقية دعامة قوية من دعائم الأخلاق في حياة الأفراد وحياة الأمم على السواء، وإنما تأتي الكوارث عند ما نتخبط في فهم معنى الثقافة ومدى انتشارها بين الأفراد الذين يكونون أمة واحدة

الثقافة ضوء ولا بد للضوء من أن يبدد الظلمات.

محمد مندور
المحامي

العدو لإرادته هو . ولِـكليمَـنصُـو[1] قوله : « سواء كانت الحرب استراحة من ملهاة السلم ، أو كان السلم استراحة من مأساة الحرب ، يبقى مقرراً أننا نقبل معاناة محنها الدامية ، حتى إننا نَنشِـدها ، ويسرنا فوق ذلك أن نفخر بها » . ولا حاجة إلى مزيد بعد أن جاء المحتج بدليل ونقيضه فى آن معاً

ثم يقول الدكتور : « إن أصحاب العروش وذوى التيجان وأقطاب الدول والزعماء المحركين للشعوب ، يتنصلون من تبعة الحرب ، ويتبرأون من إعلانها ، فلا شك أن هذا دليل يحمل فى طياته النزعة القوية إلى السلام »

والصواب الذى يستقيم ههنا مع حقائق الواقع فى الإنسانية إنما هو أنهم « يتبرأون » ستراً لطمعهم وأغراضهم ، و « يتنصلون » دفعاً للتبعة إن هم قُهروا ، وتبريراً لجشعهم وإذلالهم عدوَّهم إن هم قَهروا ، وتضليلاً عن سَوقهم الأمَمَ إلى المجازر وعن سُبل سياستهم ؛ ولم يكونوا يوماً لينزعوا إلى « السلام » حين يخالف مصالحهم الحيوية وهم قادرون على الحرب ، أو يحول دون مطامعهم الحقيقية ، شخصية كانت أو قومية . فليس يصح فى الأذهان أن ما تقدم دفعه من الكلام « يبشر بتحقيق هـذا الحلم » ، كما يظن الدكتور وإن قال : « ستقع الحرب فى الجيل المقبل ... وقد تقع بعد جيل آخر » ، ليس غير

ثم رأى الدكتور فى نظرته إلى أسباب الحرب « أن ذكر طبائع الفرد وخصائصه ... بصدد حرب بين دولة وأخرى » حجة نفسية لا تستقيم ، لأن « طبائع الجماعة تختلف عن طبائع الفرد كما هو معروف لكل من درس علم الاجتماع »

لـكن عندنا دكتور آخر كتب مرة أن الآراء التى سمعها « من أساتذة السربون فى علم الاجتماع وعلم النفس » هُراء . وما التذكير بهذا التقرير إلا لتنبيه من قد يجب أن ينعم النظر فى العلمين لينكرهما أو يعتبرهما، ويرى هل يتحقق أنهما عند ذكر أسباب الحرب ، لا يسمحان بالجمع « بين الدوافع النفسية فى الفرد وبين العلاقات الدولية وتنافر مصلحة الجماعات » . فإن الذى يجهلهما ، أو يقرأ كلاماً فيهما ويفوته فهمه كل الفهم ، قد يظن أن للأفراد ، خصوصاً فى الأمم الحية المتعلمة ، عاطفة وطنية ، وحساسية قومية ، وآراء مشتركة بينهم ، وشعوراً بالمصلحة العامة ، ملاحَظاً فى كلامهم واستعدادهم للدفاع عنها ، وأن الرأى العام وإن كان دون الرأى الفردى أو أكثر منه تعرضاً للخطأ ، يؤثر تأثيراً قوياً فى الحكام والزعماء ، لأن البيئة تؤثر فى الأفراد كما تتأثر منهم ، وأن الأنانية مَرَدُّها الأخير فى التحليل النفسى غريزتا حفظ الذات وحفظ الجنس ، وإذن فهى الأساس العميق فى الفرد وفى الجماعة ، سواء ظهرت أو سترتها التربية والآداب . زد أن الإنسان منذ ظهر على هذه الأرض قد جعل فخره فى توسيع معاركه وزيادة أخطارها ؛ وهو يرفع عقيرته بالسلم ، بل يخيل إليه أنه يريد أن يعيش فيه ، ولـكنه لا يريده بشدة كافية لحفظه ، والتزاحم الطبيعى الشامل يحتم تضاد القوى ، ولو خفف الإنسان بعض أساليبه . أما الأحلام الـكمالية ، فإنما قربها فى الكلام وشبه المنام

يقول الدكتور : « الدليل على نقض تلك الحجة النفسية نفور الجند فى هـذه الحرب الحاضرة » وهم يحاربون ، لأنهم « جماعات وكتل بشرية تترك فى الميادين » .

يريد ، على ما يبدو ، أن الجندى النافر يسيطر عليه روح الجماعة فى هذه الـكتل فينساق معها إلى المحاربة . وهذه حجة لا بد أن تكون حقيقة علمية دقيقة ، لا يدركها إلا كل من درس علم الاجتماع . لـكن الذى لم يدرس قد يظن أن روح الجماعة ، وإن كان دون روح الفرد ، يكون أحياناً أنبل من أرواح أفرادها ، كروح الجمعية الوطنية فى الثورة الفرنسية الـكبرى ، إذ أعلنت الجمعية حقوق الإنسان ، مثلاً ، ونزل النبلاء فيها عن ألقابهم وميزاتهم . وقد يعجب القارئ لروح أولئك الجنود المتكتلين ، وهو ناتج من أرواحهم النافرة من الحرب ونافر بالضرورة من هذه الحرب ، كيف يدفعهم إليها وهم كتل مسلحة متجمعة فى الميدان وفى المعسكرات ، فنى وسعها العصيان بروح الـكتلة المسيطر

هذا ، والأمم مجاميع أفراد ، والفرد يؤثر فى البيئة ويتأثر منها ، كما ذكر آنفاً ، والحياة ميدان قتال . فالقبائل ليس فيها نظام الحكومات والجندية ، وإن كان الاحتكام عندها إلى شيوخها، وعادتها الغزو ، يجمع له الأفراد مختارين للسلب والسبي، وطلب المرعى والماء ؛ وشيمة هؤلاء الأفراد المنازلة وأخذ الثارات النيمة . والذين فتحوا الولايات المتحدة الأمريكية من محيط إلى محيط ، تقاتلوا فيما بينهم وكل منهم يحمى أرضه ويوسعها ،

(١) جورج كليمنصو (Georgea Clemenceau) ، الطبيب ، الـكاتب ، الصحافي ، السياسي ، الوزير الفرنسى الشهور ؛ والجملة بالصفحة ٤٧٣ فى الجزء الثانى من كتابه الفلسفى « فى مساء الفكر » . (Au Soir de la Pensée) .

وقاتلوا الهنود والحيوان أفراداً ثم جماعات قبل أن ينتظموا ولايات منفصلة فتحدة . وما القول فى المرتزقة قديماً والمتطوعين حديثاً من أمريكيين وبريطانيين وسواهم ، كما تطوع كنشنر لفرنسا فى حرب سنة ١٨٧٠ ؟ وأرض الأهل حيث يفتح الفرد عينيه لنور الحياة بين قلوب تتحنن عليه أرض تحببه إياها وتسمو به فى كل أمر حتى يضحى بنفسه وبذوى قرباه فى سبيل وطنه إرضاء لمعنى مثالى فى فؤاده لا يقبل البحث . والأمثلة وافرة : رجال المقاومة والعصابات الأهلية فى فرنسا وبولونيا وغيرهما ، والذين يفرون من الأسر ، ويركبون الأهوال فى سبيل العودة إلى صفوفهم مختارين ، والذى يُقطع نصفه فى الحرب فيخرج من المستشفى مُلحًّا فى طلب طائرته ليعود بنصفه الباقى إلى القتال ، والحال النفسية البادية على أوجه الجنود من شتى الأقطار وهم آتون غادون أمام أعين الناس ، وهى حال لا تدل على تأفف أو استياء ، بل تدل على الارتياح ، واحتشاد الأهالى فى الثورات والحروب الأهلية — وهى فى الإنسانية أكثر من الحروب الدولية — لمحاربة السلطات القائمة والجيش بما تصل إليه أيديهم من الآلات

لكن هناك « أبلغ دليل فى هدم كيان » القولِ « بحب الكفاح وتغلب الغريزة والشهوة والأنانية »

ذلك الدليل الأبلغ فى نظر الدكتور ، هو « أن الأفراد يعيشون فى داخل الدولة الواحدة ... وتسود فيهم بطبيعة الحال غرائز الكفاح والأثرة والمغالبة والنزوع إلى السيطرة والسلطان (كذا) ، ومع ذلك تعيش هذه الجماعة الواحدة كخلية النحل ... دون أن تقع بينهم معارك دامية ، إلا ما يحدث من الخصام المعروف بين الأفراد الذى يحله القانون ويقتضيه الأمن والنظام . والبوليس والقضاء كفيلان بضبط الأمن وحفظ النظام »

فلا يتوهمن متوهم ، بعد هذا الدليل ، أن تضارب فردين ، أو جماعتين ، أو قريتين ، ولو قتل أناس منهم — لسبب كالغيرة مثلاً أو السطو أو الانتخابات الديمقراطية — يُعد « معركة دامية » ، إنما هى تضارب داخل حدود الدولة ؛ وإن أبطل القضاء والبوليس، أى القوى الآمنة الرادعة، الذائعة وجوباً داخل « خليَّة النحل » ، فإن أفرادها لا يتقاتلون بدوافع جبلّتهم البشرية لتغيُّرها بالمدنية ، حتى أصبحوا نافرين من الاقتتال ، لا يحاربون إلا مكرهين فى ميادين الحروب الدولية . أما ظلم ذوى القربى وشتى الجرائم التى يدرك أو لا يدرك البوليس والقضاء مقترفيها ، فإنها أمور ليست فى شىء مما يدل على أن الفطرة البشرية لم تتغير ذلك التغير ، وإن كان مما يُسلِّم به الدكتور أن الأفراد داخل الدولة « تسود فيهم غرائز الكفاح والأثرة والمغالبة والنزوع إلى السيطرة والسلطان » ؛ إذ أنه يقول : « قد اقتضت الحضارة والمدنية أن توجه هذه النزعة إلى كفاح الحياة والتغلب على عقبات المعيشة وتذليل البيئة المحيطة بالإنسان وتسخيرها لمصلحته ودفع عدوان الأمراض والأوبئة »

فكأن الحكام أوشكوا أن يصبحوا حكماء ، والمحكومين أن يصبحوا قديسين ! ذلك هو ما يؤخذ من تطبيق علمى النفس والاجتماع فيما يبدو من كلام الدكتور . غير أن كايمنصو يقول : « إن الحاكم لا تستطيع أن تشفى الناس من اقتراف القتل فى السلم ... ومنذ أقدم الأزمان إلى أيامنا هذه ، لم نعرف بعدُ غيرَ الدم كفارة عن الدم ؛ والكلمة الأخيرة لمدنيتنا صاحبها الجلاد على ما يفهمنا جُزيف دُه مِستْر[1] »

على أساس الكلام الذى تقدم النظر فيه ، وهو أساس ليس يتحمل ما شُيِّد عليه ؛ يقول الدكتور : « الحرب تقع بين الدول لا بين الأفراد » ؛ « فالمسألة فى السلام هى خضوع الجماعة لحكومة واحدة ونظام واحد ، لأن الحرب تقع بين الدول لا بين الأفراد ؛ فهل يصبح العالم بأسره خاضعاً لحكومة واحدة ، وتتحول النزعة الوطنية إلى دولة واحدة وعالم واحد ونظام واحد ؟ » ؛ ثم يجيب عن السؤال بعرض الأمور التى يراها خطوات فى سبيل « توحيد العالم » ومنع الحرب ، لأن « العلة الأساسية فى الحروب هى انقسام العالم إلى دول تنطوى على نفسها وتحتفظ كل واحدة منها بشخصيتها المستقلة »

وهذه حجة وهمية : فالدولة العالمية حُلم قديم تغنى به فريق من عشاق السيادة الشاملة إرضاء للشهوات ، لا توخيا لخير الإنسانية ؛ وهو كذلك حلم الشيوعية ، وقد يكون حلم الشيوعى عن يقين أو غير يقين . مع ذلك يقول الدكتور إن « الخطوات التى يخطوها العالم فى سبيل التطور والوحدة خطوات سريعة جداً (كذا) هى التى تجعلنا نقول إن السلم (العالمية) قريبة الآن »

فهل يُسلِّم الناس بأن الإنسانية قد أصبحت على باب دولة الفارابى المثالية الشاملة للأرض المكونة بأسرها ، كما صورتها

---

(١) يوسف ده مستر (yoseph de Maistre) فيلسوف فرنسى مشهور . وكلام كليمنصو بالصفحة ٤٤٧ فى الجزء الثانى من كتابه المذكور فى هامش سابق .

شعر البارودى في منفاه

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

كان البارودى فى أول عهده بالنفى متحفزاً متوثباً ، بل كان ثائرا مهددا ، يرى أنه لم يقترف ما يستحق النفى من أجله ، غير أنه دافع عن دينه وعن وطنه ، وليس ذلك ذنبا يستحق أن يحاسب عليه ويغترب ، وهو لذلك غير نادم على ما قدّم ، وغير خاطىء فيما فعل ، وحسبك أن تقرأ هـذه الأبيات لترى فيها الثورة النفسية العنيفة :

ومن عجائب مالاقيت من زمنى ... أنى منيت بخطب أمره عجب
لم أقترف زلّـة تقضى على بمـا ... أصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى ... ذنب أدان به ظلما وأغترب
فلا يظن بى الحساد منـدمة ... فإننى صـابر فى الله محتسب
أثريت مجدا فلم أعبأ بما سلبت ... أيدى الحوادث منى فهو مكتسب
إنى امرؤ لا يرد الخوف بادرتى ... ولا يحيف على أخلاقى الغضب
وما أبالى ونفسى غير خاطئة ... إذا تخرص أقوام وإن كذبوا

بل إن شعره الذى قاله فى تلك الفترة الأولى ليدل على أنه كان يؤمّل قيام ثورة تعيد إليه مجده ، وكان قوى الثقة فى أن أنصاره سيرغمون خصومه بقوة السيف على أن يعود البارودى إلى السلطة التى ترضاها العلا ، نرى ذلك حين يقول :

ختام نسرى فى دياجير فتنة ... يضيق بها عن صحبة السيف غمده
إذا المرء لم يدفع يد الجـور إن سطت ... عليـه ، فلا يأسف إذا ضاع مجـده
ومن ذَلّ خوف الموت كانت حيـاته ... أضر عليـــه من حمـام يؤدّه
وأقتل داء رؤية المرء ظالمـا ... يسىء ويتلى فى المحـافل حمده
عـــلام يعيش المرء فى الدهر خاملا ... أيفرح فى الدنيــا بيوم يعـده
وإنى امرؤ لا أستكين لصولة ... وإن شد ساقى دون مسعاى قيده
ولابد من يوم نلاعب بالقنا ... أسود الوغى فيه ويمرح جرده
يمزق أستار النـواظر برقه ... ويقرع أصداف المسامع رعده
تدبر أحكام الطعان كهوله ... وتملك تصريف الأعنة مرده
قلوب الرجال المستبدة أكله ... وفيـض الدماء المستهلة ورده
أحمل صدر النصل فيه سريرة ... تمـــد لأمر لا يحاول رده
فإما حياة مثلما تشتهى العـلا ... وإما ردى يشفى من الداء وقده

غير أن الانتظار قد طال ولم تصل إليه أنباء تقوى فيه هذا الأمل ، فسمعناه يستنجز الوعد ، ويحث الصحب قائلا :

فيا سراة الحمى ما بال نصرتكم ... ضاقت على وأنتم سادة نجب
أضعتمونى وكانت لى بكم ثقة ... متى خفرتم ذمام العهد يا عرب

والبيت الثانى يحمل كل معانى الألم وخيبة الأمل .

وقد اختلفت بذلك نظرته إلى السيف ، فبعد أن كان يهدد بامتشاق الحسام ، وشن الثورة على الخصوم ، رأى — وقد خذله ناصروه — أن سيفه ليس له غناء فى يده ولا قيمة ، ولننصت إلى ما دار بين الشاعر وسيفه من حديث حين قال :

ولا صاحب غير الحسام منوطة ... حمائله منى على عاتق صــلد
أقول له والجفن يكسـو نجاده ... دموعا كرفض الجمان من العقد
لقد كنت عونا لى على الدهر مرة ... فمالى أراك اليوم منثلم الحد
فقال : إذا لم تستطع سورة الهـــوى ... وأنت جليد القوم ما أنا بالجــلد
وهل أنا إلا شقة من حديدة ... ألح عليها القين بالطرق والحد
فما كنت لولا أننى واهن القوى ... أعلق فى خيط وأحبس فى جلد
فدونك غـيرى فاستعنه على الجوى ... ودعنى من الشكوى فداء الهوى بعدى

فهذا السيف الذى كان سبب مجده الحربى يراه الآن قطعة من الحديد ضعيفة واهنة القوى ، لا تستطيع أن تقدم له يدا ، ولا أن تساعده :

لم تنزل بالبارودى نفسه فيلحف فى الاعتذار ، ويلح فى الاسترحام كما فعل سواه ، ولعله طلب أن يعود إلى وطنه موفور الكرامة ، متبرئاً من تهم ألصقها به حاسدوه ، كما يمكن أن نلمح ذلك فى قوله :

نظراته الخيالية وهى اعتبارات فيلسوف لا سياسى ولا مشترع[1] لـكن الدكتور يقول : « نحن نؤيد هذا القول بشواهد فى التاريخ ، معتمدين على النظر إلى تطور الإنسانية خلال العصور الطويلة »

والبحث فى هذه الشواهد وهذا النظر مؤخَّر إلى عدد آت

محمد توحيد السلحدار

---

(١) من « تاريخ الأدب العربى » لصاحبه ك . هيار (Clément Houart) .

يا غاضبين علينا ، هل إلى عدة بالوصل يوم أناغى فيه إقبالى
قد كنت أحسبنى منكم على ثقة حتى منيت بما لم يجر فى بالى
لم أجن فى الحب ذنباً أستحق به عتبا ، ولكنها تحريف أقوال
ومن أطاع رواة السوء نفره عن الصديق سماع القيل والقال

ولكن شعره الثائر وما عرف عنه من حب المجد والسعى إلى العلا ، لم يكونا مما يدفع ولاة الأمر إلى الصفح عنه والمغفرة ، فاستسلم إلى حكم القدر ، وسلم نفسه لله ، ولجت به الرغبة فى زيارة الرسول الكريم ، وأنشأ الشعر فى مدح النبى والثناء عليه ، ولكنه مع ذلك لم يسل يوما مجده ووطنه ، بل أخذ يبث شعره شوقه إلى ملاعب شبابه وصباه ، وما كان له من سلطان وجاه ، فهو لا ينفك ذاكرا الماضى مشتاقا إليه ، يحن إلى ملاعب الروضة وحلوان ، وكان كلما تقدمت به السن ، خلف الشباب وراءه ، فتلفت يبكى هذا العهد السعيد الذى قضاه فى وطنه ممتعاً بالأهل والأصدقاء والأحباب والسلطان ، ويوازن بينه وبين ما صار إليه من ضعف وهوان ، وقد وصف هذه النفسية القلقة المشتاقة حين قال :

أحن إلى أهلى ، وأذكر جيرتى وأشتاق خلانى وأصبو لمألفى
فلا أنا أسلو عن هواى فأنتهى ولا أنا ألقى من أحب فأشتفى

أو حين يحدث فى لهفة وشوق قاتل إلى النيل قائلا :

فهل نهلة من جدول النيل ترتوى بها كبد ظمآنة ومشاش

أو حين يذكر الماضى متأسفا على حاضره :

لله أيام بهم سلفت لو أنها بالوصل تأتنف
إذ لمتى فينانة وبدى فوق الأكف وقامتى ألف
أجرى على إثر الشباب ولا يمشى إلى ساحاتى الجنف
إن سرت سار الناس لى تبعاً وإذا وقفت لحاجة وقفوا
فالآن أصبح طائرى وقع بعد السمو وصبوتى أسف

بل لقد انتهى به الأمر إلى أن أصبح يتمنى العودة إلى الوطن ولو عاش فيه فقيرا مملقاً .

أما حزنه على الشباب وبكاؤه عليه وألمه من الشيب وما ناله فيه من الضعف ففى كثير من قصائد منفاه ، وها هو ذا يصور لنا نفسه فى عزبته شيخاً أخلق الشيب جدته ، ولوى شعر حاجبيه على عينيه ، وضعف بصره فصار يرى الشىء كأنه خيال ، وإذا دعى لم يتبين مصدر الصوت ، وإن أراد النهوض قعد به الضعف فلا يستطيع .

كيف لا أندب الشباب وقد أصبحت كهلا فى محنة واغتراب
أخلق الشيب جدتى وكسانى خلعة منه رثة الجلباب
ولوى شعر حاجبى على عينى حتى أظل كالهداب
لا أرى الشىء حين يسنح إلا كخيال ، كأننى فى ضباب
وإذا ما دعيت حرت كأنى أسمع الشىء من وراء حجاب
كلما رمت نهضة أقعدتنى ونية لا تقلها أعصابى

كان البارودى كثير التأمل فى حوادث حياته ، ما مضى منها وما حضر ، وكثيراً ما كان يفكر فيما آل إليه أمره ، فيسلى نفسه حيناً بأن الحظ يلعب دوراً كبيراً فى النجاح ، ولا ذنب له إن جافاه الحظ فلم ينجح ، وحيناً يعود باللائمة على الحياة الدنيا ، فهى لئيمة قلب ، لا تحسن اليوم إلا لتسىء غداً ، وأحياناً يسوق الأمثال والحكم ليجلو إلى نفسه الهدوء والراحة ، فالسيادة لها تكاليفها والمغامر تقوى هموم قلبه ، وطالب العلا يعرض نفسه للحلو والمر إلى غير ذلك ، مما تجده منثوراً فى قصائد منفاه ، وإذا ذكر ثروته وكيف جرد منها قال :

أثريت مجداً فلم أعبأ بما سلبت أيدى الحوادث منى فهو مكتسب
لا يخفض البؤس نفساً وهى عالية ولا يشيد بذكر الخامل النشب

وكان يسبغ على نفسه الرضا والطمأنينة راحة ضميره وإيمانه بأن سيرته ليس فيها ما يزرى أو يغض من قيمته :

راجعت فهرس آثارى فلحت بصيرتى فيه ما يزرى بأعمالى

وأنه لم يبع ضميره بالمال ولم يفرط فيما يعتقد أنه واجب عليه ، مؤمناً بأن التاريخ سينصفه ، وسوف يبين الحق يوماً للناظرين ، قال فى إحدى قصائده :

ولو رمت ما رام امرؤ بخيانة لصبحنى قسط من المال ذاخر
ولكن أبت نفسى الكريمة سوأة تعاب بها والدهر فيه المعاير
وسوف يبين الحق يوماً لناظر وتنزو بعوراء الحقود السرائر

كان نفى البارودى إلى جزيرة سيلان ومعيشته بين القوم الذين وصفناهم له هذا الأثر الحزين فى كل شعره الذى قاله فى منفاه ، ولم تستطع طبيعة هذه البلاد — وقلبه ملىء بالحزن والأسى — أن توحى إليه بشعر فرح إلا قصيدة واحدة يصف فيها روضة بكندى ، ويوماً قضاه مع رفقة بتلك الروضة ، ولمح

في هذا الوصف أنه وصف حسي لم يشارك القلب فيه الحواس .

بل إن لسانه لم يتحرك بقول هذا الشعر إلا بعد أن سأله رفقاؤه أن يخلد ذكرى يومهم في شعره . وأما وصفه لسكندي فم قلته تشيع فيه روح الألم والحزن

برغم كل ما قاساه البارودي في غربته لم يفقد الأمل في أن يعود يوماً إلى وطنه ، فهذا الأمل وطيد لا يمكن أن يزول :

ولي أمل في الله تحيا به المنى ... ويشرق وجه الظن والخطب كاشر

وطيد يزل الكيد منه وتنقضي ... مجاهدة الأيام وهو مثابر

وقد حقق الله له هذا الأمل . ففي (١٧ مايو سنة ١٩٠٠) أصدر الخديو عباس حلمي الثاني أمره بالعفو عنه ، فعاد البارودي إلى وطن طالما حن إليه وشرب ثانية من ماء النيل الذي لم يرو بماء غير مائه منذ فارقه حتى عاد إليه .

(حلوان) **أحمد أحمد بدوي**

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

فرقة التمثيل ومديرها الفني

للأستاذ زكي طليمات

المدير الفني للفرقة المصرية

يشاء السيد الزحلاوي [1] أن يجعلني المسئول الأول والأخير عن تصرفات الفرقة ، وهو يعلم علم اليقين من المصادر التي يستقي منها معلوماته ، أن للفرقة لجنة عليا تشرف على توجيهها إشرافاً دقيقاً ، وأخرى تنتخب مسرحياتها – ولست عضواً فيها – ثم إن للفرقة لجنة ثالثة تتولى توزيع الأدوار على الممثلين ، وأن للفرقة مديراً عاماً له السلطة الواسعة ، وأنه ما من اقتراح أتقدم به يأخذ دور التنفيذ إلا بعد موافقة هذه اللجان .

ففيم إذن تجاهله كل هذا ، إلا لغرض مبيت في سريرته .

فهو والحالة هذه أحد رجلين : إما أنه (مخلب قط) لموتورين من الفرقة – وما أكثرهم وأحبهم إلى نفسي – فهم لا يزودونه إلا بالمغرض الكاذب من المعلومات ، وإما أنه يعلم كل هذا ، ثم يتجاهل ليغالط نفسه والقراء . وما أحب له أن يكون هذا أو ذاك

بيد أنني له في كل مزاعمه ، وسأناقش على الاعتبار الذي اجتلبه وافتعله ولم يبال بحقائق الأشياء ، أي على اعتبار أنني المسئول الأول والأخير

١ – يأخذ علينا أن الفرقة قدمت (شهرزاد) و (يوم القيامة) و (كانا كده) و (سلك مقطوع) ، فكان في زعمه أن « هبطت إلى مستوى الفرق الأهلية التي لا تراعي إلا الربح المادي » ، وكأن الفرقة لم تقدم غير هذه المسرحيات ! أسائله : أين إذن مسرحيات (يوليوس قيصر) لشكسبير و (متلوف) و (مدرسة الأزواج) لموليير و (غادة الكاميليا) لديماس الابن ، و (الوطن) لساردو ، و (مروحة الليدي وندرمير) ، و (زوج كامل) لأوسكار وايلد ، و (مرتفعات ويذرنج) لأميلي برونتي. ثم أين (قيس ولبنى) للشاعر النابه عزيز بك أباظة ، و (قطر الندى) للمؤلف المصري الكبير عباس علام . وكل هذه المترجمات من النفائس الأدبية في عالم التمثيل ، والروايتان الأخيرتان من أحسن ما أخرجته الأقلام المصرية ، وقد توليت بنفسي إخراج ست منها ؟

أتساءل لماذا لم يسجل السيد الزحلاوي غير الجانب الذي قد يؤاخذ عليه في منهج الفرقة ، ولم يذكر الجانب الآخر الذي يشرفها ويقيم الحجة على أنها في جادة الطريق إلى تأدية رسالتها ؟

ثم ذاك الجانب الذي لا يؤاخذ عليه إلا صاحب العنت والهوى ، ما خطره ما دامت الفرقة تحرص في انتخاب مسرحياتها على إقامة توازن دقيق بين الهزيل والماحل ، وبين الدسم والخصب من المسرحيات ، تمشياً مع الجمهور الذي لم يستقم له بعد أمر الهضم القوي لما هو دسم حقاً ، وموفور الغذاء حقاً ؟

ما الخطر في أن تأخذ الفرقة بالاعتدال في انتخاب ما تقدمه مراعية أمر التفاوت البين بين طبقات الجمهور من حيث المستوى الثقافي والمزاج ، فتكون تارة لخاصة الجمهور ، وأخرى لعامته من غير تعال أو إسفاف مشين ؟

كلنا يعلم – إلا المتعنت المتجني – أن التهذيب بطريق

(١) انظر الرسالة رقم ٥٩٣ ، ثم ٥٩٤ تحت عنوان فرقة التمثيل

المسرح اختياري محض ، إذ الجمهور إنما يغشى المسارح مختاراً لا مجبراً . ولهذا أسائل : هل من الخير للفرقة أن تحظى بإقبال الجمهور مع أخذها بهـذه السنة الحصيفة المعتدلة فى انتخاب مسرحياتها ، أم تبوء بالفشل وانصراف الجمهور وهى لا تقدم إلا التحف الأدبية والروائع الفنية ؟

هل يدرى السيد الزحلاوى لماذا أخفقت الفرقة القومية فألغيت وقامت مكانها هذه الفرقة القومية المصرية ؟ هل غاب عن علمه أن إيراد تلك الفرقة الملغاة انكمش إلى قروش وملاليم فى الحفلة الواحدة ؟

وهل فى استطاعته أن يعرض على الجمهور تلك المسرحيات الرفيعة مع ضمان إقبال الجمهور ؟ إذا كان هذا فى وسعه فإننى أنزل له عن مكانى فى الفرقة لأعمل تحت إمرته

٢ — لم نقصر فى إعلاء شأن العربية الفصحى كما زعم الكاتب ، بدليل أن الفرقة حتمت أن تكون كل المسرحيات المترجمة مكتوبة بالعربية السليمة معنى وإعراباً ، كما أنها لم تتوان عن تقديم مسرحية (قيس ولبنى) وهي مكتوبة بالشعر الرقيق الآسر ، كذلك لم تقض الفرقة بأن تكون المسرحيات المحلية الموضوع مكتوبة باللهجة العامية المبتذلة ، ولكنها قنت بأن تكتب باللهجة التى يتكلم بها شخوص الرواية كما لو كانوا فى الحياة الواقعية حتى لا ينهار جانب المعقول فى أسلوبها

٣ — الذى يأخذه علينا الأستاذ من أننا أوردنا (ضرب الزار وهز البطن والأرداف) ـ وهما الرقص أو الحركة الإيقاعية فى لغة العلم ـ لم نورده لذاته ولم نزج به زجاً فى روايتى (شهرزاد) و (يوم القيامة) ، بل أوردناه لأنه عنصر لا تستقيم بدونه المسرحية الغنائية الفكاهية (الأوبريت) ، وهو نوع يقوم على الموضوع اللين المشرق بالفكاهة وبالغناء ، ويقضى كمال إخراجه بأن نجمل من شخوص الرواية وممثليها والمنشدين منها عرضاً منسقاً لمتعة العين والأذن

وإخراجنا هذا النوع يحقق جانباً من رسالة الفرقة ، إذ هى للتمثيل والموسيقى المسرحية كما يشهد بذلك عنوانها (الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى) ، ومع هذا فإننا لا نقدم غير رواية واحدة من هذا النوع فى كل عام

٤ — تشاء خبيئة السيد الزحلاوى أن تتهمنى بالتفرض والعبث فى توزيع الأدوار على الممثلين ، أى أننى أعطي الدور لمن لا يحسن تأديته . وتفنيد هذا الزعم الباطل أنه ما من رواية قدمتها الفرقة وباءت بالفشل ، بل كان نصيب كل رواية النجاح الجدير بها . ومن المعلوم أن نجاح الرواية يتكئ أولاً على حسن تأدية الممثلين أدوارهم . فلو صح ما زعمه السيد الزحلاوى لأغلقت الفرقة أبوابها ، لأنها لا تعيش من إعانة الوزارة وقدرها عشرة آلاف جنيه ، فقد بلغت مصاريف الفرقة فى العام الماضى ثلاثة وعشرين ألفاً من الجنيهات ، وزاد دخلها على مصاريفها بدليل أن الممثلين تناولوا مرتبات خمسة عشر شهراً عن العام الماضى

ثم ماذا يقول الأستاذ المتجنى ، وما عسى أن يقول له القارئ ، إذا علم أن توزيع الأدوار لا يرجع أمره إلىّ وحدى ، بل إلى لجنة أنا واحد منها ، إذ تتضمن سواى مدير عام الفرقة ، وعضو من اللجنة العليا ، وزميلى فى الإخراج !

٥ — شاء أدب الأستاذ الزحلاوى أن يتهمنى بأننى أسأت إلى سمعة مصر فى البلاد العربية . أسائله هل قرأ ما كتبته صحف فلسطين ولبنان وسوريا عن رحلة الفرقة ورواياتها فى الصيف الماضى ؟ ما أظن ... ويقيني أنه لو قرأه لتغيرت فى ذهنه معانى ما يقرأ ، لأن العين التى يرانى بها ترى الزهر شوكاً والضياء ظلاماً ، وكان الله فى عونه

وإذا سمح أستاذنا الزيات فإننى أنشر فى (رسالته) نبذاً مما تفضل بكتابته عن الفرقة بعض الأدباء والكتاب فى هذه الأقطار الشقيقة الكريمة

٦ — وأروع مثال أقدمه ليتعرف القراء إلى مقدار فهم الأستاذ الزحلاوى لما يشاهد من مسرحياتى ، ما أورده عن (كانا كده !) فى مقاله ، فالرواية فى فهمه وعلى حد قوله : « تقول عن أبناء الأمة إنهم كلهم ديوث وقواد وعكروت » !

فليتصور القارئ رواية هذا موضوعها ومفادها ! كيف وافق عليها قلم النشر فى الداخلية ، وكيف تأتى أن النظارة لم يحطموا مقاعدهم ويقذفوا الممثلين بحطامها ، وكيف توالى تمثيلها شهراً ونصف شهر فى حفلات متوالية ! لا مراجعة فهذا فهم الأستاذ ، فى حين أن الرواية تجرى حوادثها وتتعاقب مشاهدها لتلوح فى لطف أننا كلنا كتب علينا الخطأ ، وكأنها تذكرنا بالحديث الشريف « كل امرئ خطاء وخير الخطائين التوابون »

وأرجو أن يكون الأستاذ الزحلاوى من الخطائين التوابين !

زكى طليمات

على هامش النقد

الرباط المقدس

كتاب توفيق الحكيم

للأستاذ سيد قطب

خيل إلىّ في وقت من الأوقات أن توفيق الحكيم قد بلغ مداه وارتقى آفاقه ، وأنه منذ الآن سيكرر نفسه ، مع شيء من التحوير والتعديل

خيل إلىّ هذا وأنا أقرأ « سليمان الحكيم » فأجد فيه اختلافاً ما في موضوعه وشخصياته عن أهل الكهف ، وشهرزاد ، وبيجماليون ؛ ولكنه يتفق معهما في طريقة تناول الموضوع وفي إدارة الحوار مع تعديل طفيف

ثم كتب « زهرة العمر » ، فلاحت بوادر آفاق جديدة ، ولكن لها شبهاً في خطرات المصباح الأخضر والبرج العاجي . وإن ظهرت في صورة رسائل لا في هيئة مقالات فالفرق في صميم العمل الفني هنا كذلك طفيف .

ولكن هذا الوهم قد تبدد من نفسي وأنا أقرأ « الرباط المقدس » كتابه الأخير. هنا أفق جديد من آفاق توفيق الحكيم ونغمة جديدة ، وعطر جديد ... إنه عطر النضوج ، ونغمة الاكتمال ، وأفق الأستاذية . في الموضوع والأداء والطريقة ، وسائر ما يقاس به العمل الفني الكبير .

ولقد التمعت من قبل ومضات من هذا الجديد في أعمال توفيق الحكيم ؛ ولكنها بالقياس إلى « الرباط المقدس » تبدو بواكيرفيها الالتماع والحلاوة ، دون النكهة العميقة والنضوج الأخير .

فالخطرات الذهنية — التي اعتدناها من المؤلف — لا تقف هنا عادية ، تتخايل بالألاقة والالتماع . إنما هي هنا تسرى في مادة حية ، وتخطر في إطار من اللحم والدم يمنحها الحرارة والحياة ... هنا قلب إنساني يضبطه ويدل على حركاته ذهن فنان . وهذه هي اللمحة الجديدة في فن توفيق الحكيم .

لقد كان في « عودة الروح » و « يوميات نائب في الأرياف » شيء من هذا . ولكن النبض الحيوي كان هناك باهتاً ما كنا غير ملحوظ في ثنايا التنسيق الفني الدقيق . أما في « الرباط المقدس » فالنبض الحيوي يساوق التنسيق الفني ، ويبدو كلاهما كاللحمة والسدى في النسيج الواحد ، أو كالجسد والروح في الكائن الحي .

وفي الكتاب صفحات من خطرات الفكر ، ووثبات الغريزة ، وسبحات الروح ، ووسوسة الضمير ، ونزوات اللحم والدم ، وصراع القوى البشرية في النفس الواحدة يقل نظيرها في كل ما سجله الأدب العربي الحديث .

والمهم ليس هو التماع هذه الصفحات في الكتاب . ولكن تناسق العمل الأدبي كله في مبدئه إلى نهايته ، في مستوى متقارب من النبض والحرارة والالتماع والنضوج .

لقد أدركت بعد قراءة الكتاب خطورة الأحكام النهائية على المعاصرين . فلقد كنت أعد بحثاً عن « المدارس الأدبية المعاصرة » وكدت أنتهي إلى حكم قاطع في فن توفيق الحكيم وطبيعته وطريقته . . . فها أنذا أجدني في حاجة إلى تعديلات أستمد حيثياتها من « الرباط المقدس » . وإلا فما كان أدراني أن في طاقة المؤلف بلوغ هذا الأفق الجديد . وإن كل ناقد يحترم نفسه يكون قد أصدر حكماً سابقاً على توفيق الحكيم يجب أن يعاود حكمه فيتناوله بالتعديل !

* * *

القصة قصة امرأة تخون ، امرأة منحرفة ، تدعوها نوازع اللحم والدم فتستجيب ، وتغريها بدعة العصر في التحلل من القيود فتتفلسف السقوط بالحرية والتجديد ، وتنظر إلى ما تسميه « مغامرة » نظرتها إلى أمر يومي صغير ، لا يجوز أن يحطم عشا ولا أن يحدث ضجة ؛ ثم تسخر ما شاءت لها السخرية من رجعية الرجل ومن أنانيته لأنه يتطلب فراشاً نظيفاً وذرية مضمونة ! ! !

وقصة رجل مستقيم الفطرة تربى في إنجلترا ، ولكنه لم ينحل ، وعرف كيف يؤدي حقوق الزوجية كاملة . ولكن في حدود الفطرة السليمة . فضاقت المرأة المنحرفة بهذه الحدود .

وتأتت نفسها إلى « المغامرة » اللذيذة ، والاستجابة الممنوعة .

وهي تصف في مذكراتها لحظات هـذه الاستجابة وصفاً حسياً عنيفاً . تصفها كما وقعت محوطة بالوهج واللهب ، مغلفة باللذة الحيوانية الهائجة ، غارقة في بحران الغيبوبة ... فإذا وقعت هذه المذكرات مصادفة في يد الزوج الوائق المسكين كانت المفاجأة التي تهد القوى وتذهل اللب ، وتمسخ كل لحظة من لحظات الماضي ، فتحيلها غولا لئيما يعذب فريسته بالسخرية اللاذعة قبل أن ينقض عليها ليمزقها شر تمزيق !

والقصة بعد هـذا كله قصة « راهب الفكر » الذي رأى هذه المرأة أول مرة فرفعها إلى مصاف الحوريات في الفراديس ، ونسج حولها هالات من القداسة والسحر ، وأقامها في مصاف الآلهـة والقديسين .. ثم ... ثم إذا هو يطلع على الـكارثة مع الزوج المنكوب ، فيفجع في أحلامه فجيعة الزوج في كيانه ، ويحس لها بالحقد والازدراء ، ويخيل إليه أنها انتهت من عالمه ... ولـكن !

أجل . ولـكنها « المرأة » . المرأة الخالدة في ضمير كل « رجل » . وراهب الفـكر هو كذلك رجـل أيضا . هو مزيج من اللحم والدم والفكر والشعور . ولئن كانت هذه الأفعى قد سحرت فيه رجل الفكر والشعور أيام أن كانت — عنده على الأقل — حورية أو قديسة ، فإنها اليوم لتستطيع أن تسحر فيـه رجل اللحم والدم ، بعطرها العابق ، ونكهتها الأنثوية ، وأن تدعوه لصوت الغريزة الخالدة فيستجيب . ولولا سبب خارج عن إرادته — حسب تعبير القانون — لتم كل شيء في عالم الواقع المحسوس ، بعد أن تم في عالم الضمير المكنون !

يا للمرأة ! بل يا للحياة في صورة المرأة !

وعلى الهامش رجل آخر أوقعته مذكرات الزوجة المفضوحة في شك مفترس في عشه وفراشه هو الآخر ، ولـكنه لا يستطيع الجزم واليقين ، ولا يطيق جحيم الشك المـؤلم فيستريح من قريب ... ينتحر ! ولا يستغرق من القصة إلا القليل ، الذي يكفي الموازنة السريعة بين قسوة اليقين المحتملة على كل حال ، وقسوة الشك التي تجل عن الاحتمال .

***

أشهد أن الصفحات التي تناول فيها المؤلف عرض نظريات المرأة ودواعيها ، ووصف نزواتها ومفاتنها ؛ وكشف حيلها ومغرياتها . كالصفحات التي صور فيها كارثة الرجل وعاطفته ، وأوضح منطقه واتجاهه . كالصفحات التي أبرز فيها « راهب الفكر » ونزعاته ، واختلاجاته ونزواته ، كالصفحات التي كشفت روح العصر والعوامل الخفية والظاهرة التي تعمل في كيانه ... كلها صفحات رائعة فيها ذلك النضوج الأخير

ولـكن الصفحات التي عرض فيها صورة « الشك » لم تجيء في مستوى تلك الصفحات . جاءت مختصرة ومجملة ، جاءت في لمسات عريضة لم تتناول الجزئيات الثمينة في لحظات الشك المريرة . وختمت في عجلة ظاهرة

حقيقة إن « التنسيق الفني » سمة توفيق الحـكيم الأصيلة — هو الذي يجبره في هذه القصة — حسب وضعها الحالي — إلى الاختصار في صورة الشك ؛ فـكيان القصة قائم على مواجهة الرجل المستقيم بالمرأة المنحرفة في العصر الحديث وعلى اضطراب رجل الفـكر بين الغريزة والوجدان أمام المرأة الخالدة ، وعلى منطق الغريزة العميقة ومنطق الفـكر المحلق ، وعلى لغة الفناء الأرضي ولغة الخلود السماوي ... الخ فلا مجال فيها لعرض صورة « الشك » إلا في هذا الحيز المحدود

ولـكني أخشى أن يكون تصوير « الشك » في هذا المستوى الرفيع في حاجة إلى طاقة أخرى لم يزاولها حتى اليوم « توفيق الحـكيم » . طاقة كطاقة شكسبير في « عطيل » أو طاقة العقاد في « سارة » وطاقة الأضواء تتداخل في الظلال ، لا طاقة الخطوط الحاسمة التي تفرق بين الظل والنور وإن كنت لا أظنها — بعد اليوم — بعيدة عن توفيق الحـكيم . فتصوره لتأرجح (راهب الفـكر) في اللحظات الأخيرة يمنحه القدرة على تصوير (الشك) في النفس الإنسانية في هذا المستوى الرفيع

ونحن منتظرون ... !

***

ثم نقد ستوقفني المؤلف عند هذا الحوار بين راهب الفكر والزوجة المستهترة كانت تسخر من غيرة الرجل على فراشه ، وتعد دفاعه عن هذه الغيرة حماسة منه للرجال :

— « ولماذا لم تتكلم بهذه الحماسة عن خيانة الأزواج ؟

— إنى لم أبح للزوج أن يخون زوجته

— وإذا خانها . أليس لها الحق أن تخونه ؟

— لا

— النغمة القديمة التى نسمعها من الرجال . تبيحون لأنفسكم ما تحرمون علينا لأنكم أنتم السادة ونحن الإماء .

— بل لأن الرجل هو الذى يعرق ، والمرأة هى التى تنفق . اكدحى كما يكدح زوجك واعرقي كما يعرق ؟ فإذا تساويتما فى التضحيات تساويتما فى الحقوق . لا أقول إن الرجل يجب أن يخون . ولكنه إذا خان خان من ماله . ولكن لزوجة تخون من مال زوجها . ثم هنالك شيء آخر . . هو النسل . . فالزوج يخون ولا يدخل على زوجته نسلا مدلساً . أما الزوجة فإذا خانت أدخلت على زوجها نسلا ليس من صلبه . لن تكون هناك مساواة مطلقة بينكن وبين الرجال فى هذا الإثم إلا إذا تطور الزمن تطوراً آخر فرأينا الزوجة تناضل فى الحياة وتكتسب بالقدر الذى يربحه الزوج ... ثم يستطاع بواسطة العلم أو بغيره من الوسائل أن يفرز للزوج نسله عن نسل غيره بغير وقوع فى شك أو ارتياب ... إلى أن يتم ذلك فلا تتحدثن عن المساواة فى الخيانة .

— إذا حدث ذلك فلن تكون هنالك زوجية . وإن يكون لها محل على الإطلاق . .

— ولن يكون للخيانة عندكن لذة ولا طعم . إذ لن يكون الزوج ضحيتها ...

— « يا لك من خبيث ! »

أحسب أن هناك اعتبارات أخرى غير الاعتبارات الاقتصادية الخاصة بالانفاق والعائلية الخاصة بالنسل ، بل أكبر من العوامل النفسية بين الرجل والمرأة حين يراد منهما بناء أسرة ورعاية أطفال ... فندع هذا كله ، وندع منطق الأخلاق لننظر من ورائه إلى منطق الطبيعة . . .

أحسب أن الطبيعة الخالدة كانت تقصد الإشارة إلى معنى خاص وهى تقدم أنثى الانسان — وحدها دون بقية إناث الحيوان — مختومة مقفلة بذلك القفل الطبيعى الخاص ! وأنها لم تحسب حساب العلم فى تطوراته التى يستطيع بها فرز النسل أو لا يستطيع . فقامت هى بوسائلها الخفية الخاصة بضمان العفة فى الحدود التى تملكها . وما كان عمل فرسان القرون الوسطى حين كانوا يلبسون زوجاتهم أحزمة ذات قفل فى ثنايا اغترابهم للحرب ، إلا محاكاة لعمل الطبيعة وامتداداً له فى صورة عنيفة . فمهما كانت نظرتنا نحن اليوم إلى طريقة التنفيذ ، فيجب أن نقدر أصالة الفكرة ، وعمقها فى تفكير الطبيعة . وإذا كان عصر من العصور لا يسمح بفكرة القفل المادى ، فإن هذا لا ينفى أن فكرة القفل المعنوى أصيلة فى صميم الطبيعة كلها لا فى صميم النفس الإنسانية وحدها !

إن الطبيعة لأحكم من كل فلسفة أخلاقية ، ومن كل سفسطة إباحية . وإن كل انحراف عن سننها لهو انزلاق إلى مهاوى الفناء !

سيد قطب

الدستور فى شعر شوقى

بمناسبة إزاحة الستار عن تمثاله

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

— ١ —

كانت الدعوة إلى الدستور قد قويت ودوَّت فى أوائل هذا القرن ، وزعيمها مصطفى كامل باشا وكان مصطفى لا يفتأ يدعو إلى الجلاء وإلى الدستور لأنه وسيلة الحكم الصالح ، فقد كتب فى اللواء فى ٥ أكتوبر سنة ١٩٠٠ مقالاً بعنوان « الحكومة والأمة فى مصر » ذكر فيه وعد لورد دوفرين باسم حكومته أن يؤسس فى مصر مجلس نيابى ، وإخلاف الحكومة البريطانية وعدها كإخلافها وعود جلائها

ودعا إلى الدستور فى خطبته فى العيد المئوى لمحمد على يوم ٢١ مايو سنة ١٩٠٢ ، ومما قاله : « أين ذلك الدستور الذى يلجم الحكومة بلجام من حديد ، ويهب الأمة حرية الرأى والفكر وحق المراقبة على أعمال الحكام وسن القوانين والشرائع ومناقشة الوزارة عن الصغائر والكبائر ...

لعمرى إن مايسميه المحتلون وأنصارهم بالدستور لهو الفوضى فى لباس النظام ، والاختلال فى قالب الاحتلال ، وإلا فأين الضمانة التى تطمئن لها القلوب والخواطر ؟ أين مجلس النواب المصرى الذى يقف فى وجه كل طامع ويرد كل ظالم ؟ أين ذلك المجلس الذى وعدت به بريطانيا على لسان اللورد دوفرين ؟ »

وقد كان لخطابته هذه دوى فى مصر ، وأثر فى المقيمين بها من الأوروبيين ، وكانت من أعظم دروسه الوطنية ، وعلقت عليها الأهرام بقلم الشاعر الكبير خليل مطران بك ، والبصير ، وجريدة الفارد الكسندرى تعليقاً يشف منه الإعجاب والحماسة

ولشوقى بمصطفى كامل صلات ، فقد كان من كتاب اللواء ، ومن أصدق أصدقاء الزعيم الشاب وأعظمهم إعجاباً به ، وكان مصطفى يبادله الحب والإعجاب ، فقد وصف شعره بأنه الغدير الصافى فى ألفاف الغاب يسقى الأرض ولا يبصره الناظرون ، وخصص لقصائده أعلى مكان فى اللواء ، وفى ذلك يقول شوقى :

قد كنت تهتف فى الورى بقصائدى
وتحل فوق النيرين مكانى

وكتب مصطفى إلى صديقه محمد بك فريد من أوروبا : « وإذا قابلت شوقى بك فقبله لى مرتين ، وقل له أن يرسل لى ما طبع من ديوانه مع صورته وأعطه عنوانى »

وشوقى يقرر أنه شارك مصطفى فى البعث والدعوة إلى الاستقلال والحرية بقوله :

أتذكر قبل هذا الجيل جيلاً ... سهرنا عن معلمهم وناما
مهار الحق بغضنا إليهم ... شكيم القيصرية واللجاما
لو أن كان يسقيهم بجام ... وكان الشعر بين يدى جاما

وقد اشترك معه فى الاحتفال بالعيد المئوى لولاية محمد على بقصيدته الخالدة (محمد على) ورثاه لما مات بقصيدة من عيون المراثى العربية ، ثم ذكره ، وفى آخر ذكرى يقول :

يا أخا النفس فى الصبا ... لذة الروح فى الصغر
وخليلاً ذخرته ... لم يقوم بمدخر

— ٢ —

على أنه قد درس فى مصر طرفاً من القانون فى مدرسة الحقوق قبل أن يتحول إلى قلم الترجمة ، ثم أتم دراسة الحقوق فى فرنسا ، وما من شك فى أنه وقف على آراء علماء الاجتماع والقانون والسياسة فى خير نظم الحكم ، وما من شك فى أنه تأثر بميولهم إلى حكم الشورى ، على أنه شاهد هناك صولة الدستور وفضل الشورى وسلطان الشعب ، فطمح إلى ما طمح إليه غيره من المصريين الدارسين فى أوروبا أن يكون لمصر دستور ، وأن يصرف الشعب أمره بنفسه ، وأن ينجاب عن سماء الإسلام قتام الحكم المطلق

ثم إنه مولع بالتاريخ وتمجيد الماضى ، ويعلم أن الشورى نظام الحكم فى الإسلام ، وأن الخلفاء الراشدين تسلموا مقاليد الحكم بالانتخاب ، فهو يجمع هذا إلى مايتجدد أمامه فى الحاضر فى الدول الراقية فلا يرى مندوحة من الميل إلى الشورى ، والدعوة إليها والاستمساك بها

كان ذلك وشوقي في ريعان شبابه ، فدعا إلى الدستور وهو شاعر الأمير تقيده الوظيفة ، وتحد من جريانه في تيار الثوران على الحكم المطلق . فلما نشبت الحرب الماضية نفي ، لأن الناصبين أيقنوا خطورة شعره في التأليب عليهم والتنفير منهم ، فأميره مبعد عن ملكه ، ومصر كلها رَمِيَّة بقيود الحماية ، وتركيا في غير صف انجلترا ، وشوقي شاعر الأمير ، وروحه مصري وتركي ، وشعره يوقظ الغافل ، ويشدو به الصبية والكهول

ثم ألقى الله على العالم أمنه وسكينته ، وعاد شوقي إلى مصر يغرد بالمجد ، ورجّع بالدعوة إلى الدستور في مناسبات شتى في عهد الملك فؤاد ، وهو في ترجيعه حر يصور عواطف الشعب آنا ، ويرشده آنا ، لا تلجمه وظيفة ولا تثنيه رهبة ؛ فقد أفاق الشعب كله واستقاد لزعيمه سعد ، وثار ثورته يشرى حريته ودستوره واستقلاله ، وشوقي مغتبط يحدو للسائرين أو الطائرين إلى مثلهم العليا ؛ ولم يجاره شاعر في حماسة دعوته ، ولا في تكرار صيحته ، ولا في بلاغته وجرأته ، ثم لم يدانه شاعر في جلال الصور التي صور الدستور بها ، أو في مهارة الربط بين الفكرة التي يدعو لها والمناسبة التي يهتبلها

ولعل في هذا البحث بلاغاً لحساده الذين زعموا أنه لا يمثل عصره ، ولم يتحدث بلسان شعبه ، ولم يصور عواطف معاصريه وميولهم ، وإن هم إلا واهمون أو ظالمون ، فإن شعره ثبت مفصل لما اضطرب من أحداث ، وما اشتجر من آراء ونزعات ، وقلما حدث حدث إلا جلجل فيه شوقي بشعره الملتهب ، فمضد الحق ، وسند الشعب ، ورسم الصوى للحيرى

وشعره في الدستور والشورى وفضلهما وما يتصل بهما كثير منوع الصور ، جاشت به نفسه فنفس عنها ، واستدعته عاطفته فاستجاب لها ، وإنها لعاطفة صادقة لا مجاراة فيها ولا مَيْن ، ولو جارى لأقل فأشار في معرض أو معرضين ، ولكنه طرق الدستور وحكم الشورى في أكثر من عشرين موضعاً من ديوانه ، وفي بعضها يخلق المناسبة خلقاً ، ليمجد الدستور ونظمه ، وليس هذا شأن المجاري . وعاطفته مع صدقها حارة عالية الدرجة نبيلة تثير عواطفنا وإعجابنا ، فلا مرد إذن لأقاويل خصومه المتنقصين قدره إلا أنهم نفسوا عليه سلطانه ومكانه وبيانه ، فاتهموه في موضع الاقتدار ، فكانوا كمنكر النهار ، أو المماري في حرارة النار

ومن الوفاء له أن نسوق هنا طرفاً من شعره نحيي به ذكرى شاعر العصر ، المساهم في مجد مصر ، ونحيي به الدستور في وقت تمتحن فيه دساتير الأمم ، فتجاهد الحكم المطلق

وإن من يقدر الظروف التي تغنى فيها شوقي بالدستور ليجد حرجها ، ويحس أشواكها ، فكيف سلم من معاطبها شوقي ؟ وكيف لبق فأرضي نفسه وصور آمال الشعب ثم لم يجمح به قلمه أو كلمه ؟

الحق أنه كان يروض الألفاظ حتى لا تثير سخطاً ، ويروز المعاني ويصطفيها حتى لا يحس منها معارض بجفوة أو نبوة ، وليس من السهولة أن تحبب إلى معارض ما يكره وأنت لم تشعره بغضاضة الرجعة ، أو لم توقظ في نفسه نوازع العناد . وهذه درجة علية من اللباقة والكياسة والحذاقة

— ٣ —

هلل شوقي بالدستور العثماني واحتفى به ، وقصر عليه قصيدة كاملة إثر صدوره عام ١٩٠٨ إذ زف في بعض أبياتها البشرى إلى الترك وإلى الخاضعين لهم ، ولعله استشف أن الدستور سينتظم مصر وغيرها ، ففي رأيه أن الخلافة كانت تعاني الضعف وتقاسي الانحلال فجاء الدستور سياجاً لها وقوة ، وكانت متداعية الأركان فخيطت بالشورى ونادي الشورى

والدستور الذي أصدره السلطان عبد الحميد نعمة على الشعب جليلة كجلال الخليفة ، صافية الحواشي ، إذ لم ترق لها دماء أو تلابسها جرائم ، ومن عجب أن يرغب الناس عن الشورى وقد شرعها الله وأوصى بها نبيه

وحينما نظرت رأيت سمات الفرح ، فإن الشعب الصادي إلى الدستور والحكم النيابي ينقع اليوم بالشورى صداه ، وكل فرد في الأمة يشعر بالعزة والعظمة والجاه أنْ صار له صوت في سياسة الوطن ورأي

حاط الخلافة بالدستور حاميها	بشرى البرية قاصيها ودانيها
بعد الخليفة بالشورى وناديها	لما رآها بلا ركن تداركها
جلت كما جل في الأملاك مسديها	أسدى إلينا أمير المؤمنين يداً

بيضاء ما شابها للأبرياء دم ... ولا تكدر بالآثام صافيها

وإنما هي شورى الله جاء بها ... كتابه الحق يمليها ويمليها

أماترى الملك في عرس وفي فرح ... بدولة الرأى والشورى وأهليها

لما استمد لها الأقوام جئت بها ... كالماء عند غليل النفس صاديها

فضل لذاتك في أعناقنا ويد ... عند الرعية من أسنى أياديها

خلافة الله جر الذيلَ حاضرُها ... بما منحت وهز العطف باديها

طارت قناها سروراً عن مراكزها

وألقت الغمد إعجاباً مواضيها

— ٤ —

وينتهز الفرصة في إعلان رأيه في مشروع ٢٧ فبراير فيخاطب الملك فؤاداً ناصحاً له أن يوطد ملكه على دعائم من العلم والأدب والعدل والشورى :

فؤاد حليت جيد النيل مأثرة ... حذوت في صوغها آباءك النجبا

ما زلت في السلم تغزو كل معضلة ... بالحلم حتى اقتحمت المعقل الأشبا

إن سرك الملك تبنيه على أسس ... فاستنهض البانيين العلم والأدبا

وارفع له من حبال الحق قاعدة ... ومدمن سبب الشورى له طنبا

— ٥ —

ويلتفت في قصيدته (الأزهر) التفاتة بارعة فيقرن إصلاح الأزهر بإصدار الدستور ، أليس بإصلاح الأزهر يستقيم الدين والدنيا ؟ وبالدستور تنهض الأمة وتسلك طرقها صعداً ؟ أليس الأزهر فخار مصر المسلمة والدستور شعار مصر الناهضة ؟

الله أكبر يا ابن إسماعيل لم ... تترك لصناع المآثر مفخرا

بالأمس تنهض مصر في دستورها

واليـــوم تنهض للسماك الأزهرا

(البقية في العدد القادم)

احمد محمد الحوفي

المدرس بالسعيدية الثانوية



منهـــا ...

لشـــاعرة غربية

[جمعتهما المصادفة فأحسا بذلك الانعطاف الروحي الذي يزيل الحواجز ويمحو الفروق . هي شاعرة غربية نبيلة ، وهو شاعر شرقي أصيل ، وأحسا بالهوة العميقة العريضة التي تفصل بينهما فتحدث إليها عن ذلك الحب اليائس وألمه الممض ، وأن القدر لا يريد لهما هـذه السعادة ، وظنت هي أن كل شيء قد تغير سريعاً ، فكتبت إليه بهذه القصيدة التي ترجمها هو فيما يلي] :

وحيدةٌ ! ويحي ! بلا راحةٍ   ما بين موجٍ طاغياتٍ قُواهْ
تجرى بيَ الفُلْكُ كأُرجوحةٍ   حَيْرَى بأقيانوس هذِي الحياه
أبحث عنه وسُدًى ما أرى   أين حبيبي ؟ أين سارت خُطاه ؟
لم يَهْدِني نجمٌ إليـه ولم   يبسمْ لِيَ الحظُّ فألقى سَـناه
وليس لي من موجةٍ برَّةٍ   تحملني في إثرهِ كيْ أراه
من شاطئ الراحة لم يَدْنُ بي   إليـه أُفقٌ لا يُرَى منتهاه !
هناك في الشاطئ وا فرحتا   أعزُّ إنسانٍ صـفالي هواه
منتظراً لي شاخصاً باسمـاً   تُشِـيرُ بالآمال لي راحتاه
لـكنَّما هيهات كيف السُّرَى   وأين من عصف الرياح النجاه ؟
قد صار حتماً أن يُرَى زورقي   محطَّماً قد مال بي جانباه
وهل فضاء البحر أو غَوْره   مهما تناءى وارتمت لجتاه
يكفي مداه أن تُوارَى به   جميعُ آلامي ؟ أيكفي مداه ؟

نمَتْ زهرةٌ في غصون الخريـ   ـف كحُلْمٍ من الماء والخضرة
كزنبقةٍ في زُهَى حُلّةٍ   ربيعيـةِ الوشْي محمرَّةِ
تبثُّ المراعيَ نوراً يشفُّ   ويجـلو الطهارة في النظرة
كأني بهـا قدحاً مُتْرَعاً   به مُزِجَ السمُّ بالخمرة
لهـا وهج الحب في قبلة   على شفةٍ شِـبْهِ مُفْترة
ألا إنها هي بقْيا الهوى   وآخِرُ ما فيـه من نضرة
ألا إنهـا هي صهباؤه   وآخر ما فيـه من قطرة
تميتُ وتُحْيي فيا لَلْحياةِ   والموتِ إلْفَيْنِ في زهرةِ !

إن أنا قاومتُ هيـاج العبابْ
مصطرعاً والأفقُ داجي السحابْ
ولم تَدَعْ كفي إلى زورقي   زمامَهُ حُرّاً وخضتُ الصعاب
فسـوف يُلقيه خفيُّ القضا   محطماً فوق الصخور الصلاب
وإن أقوى سـاعد عاجزٌ
أن يُمسك المجداف دون اضطراب
إن عاند الأمواج فهو الذي   يحفرُ في اليم حَفِيرَ التَّباب
وهو الذي يسعى إلى حتفه   في هوَّة مَفغُورة في العباب
فلْيُلْقِ بالمجداف من كفه   وليترك الموجَ طليق الرغاب
وليَمْضِ بالزورق ما يشتهي   إلى القضاء الحتْمِ دون ارتياب
وليبتلعه الموجُ في جوفه   فلا مفرٌّ اليوم مما أصاب
طال كفاحي ويح نفسي فما   طول كفاحي غير طول العذاب !

أطلَّ الخريف بأعقاب ليل   دجيٍّ الظلام بكيِّ السُّحبْ
وآخر ما في الربى زهرة   عداها من الصيف وقْدُ اللهب
غدت وحـدها في أديم عفا   من النَّور والورقات القشب
كحارسة الميْتِ ليست تَرِيم   مكاناً به وقفتْ تضطرب
تُساقط من حولها أدمعاً   غصـون تطالعها من كثَب
جرى الغيث ، من ورقات بها   إلى آخَرٍ شاحبات ، صبَبَ
تحدَّر مختنِقاً فوقها   بلا نَبْأَةٍ قَطْرُهُ المنسكب
فيا من هـ زهرة لجو رحين   مَنِ الزائرُ الحذِرُ المقترب ؟ !
جَناحٌ لآخرِ ما في الفراشا   ت من رحمة بقِيَتْ أو حدب
مضى الصيف وانقطعت إثره   أغاريدُ كُنَّ منارَ الطرب
نأى طيرُها مُجْهَدًا واختفى   غرامٌ أتى وغرام ذهب !

« هي »

إليهـــا ...

للأستاذ علي محمود طه

[... وقرأ قصيدتها فراعه ذلك الروح الشاعر الثائر المضطرب في محيط من العذاب والألم ... وأدرك سر هذه الخواطر الحزينة الباكية ... وأحس أنه المتهم ، وهو البرىء الذي لم يكفر بهذا الحب ، ولم يخل قلبه من أنه ... قد إليها ذراعيه يخاطبها بهذه القصيدة] :

لا تتركى زورقَنا المُجْهَدَا يجرى به اليأسُ ويمضى العذابْ
لا تُســـــلمِى مجدافه للردى
فالشاطئْ الموعودُ وشْكَ اقتراب
سيّان أرغى الموجُ أم أزبدا لن نحنىَ الرأسَ أمام الصعاب
هذى يدى ! مُدّى إليها يدا نقتحم النوء ونطوِ العباب !

نادَى بروحى منكِ روحٌ شرودْ لبّيكِ يا رُبّانتى الهــاتفه
شرائع الناس بهــذا الوجودْ أعجزُ من أنْ تقهرَ العاطفه
وَددتِ لو حطّمتُ هذه القيودْ وجئتُ ألقاكِ على العاصفه
يُضىء وجهينا بريقُ الرعودْ فننثنى بالنظرة الخاطفه !

وحدكِ أنتِ الآن ؟ إنّا هنا روحانِ شبّا فى ظلال الكفاحْ
شراعُنا الخفّاق لن يَسْكُنَا لليأس مهما مزّقَتْهُ الرياح
ونجمُنا ما زال طلقَ السَّنَى يُطالع الأفقَ وباقى البطاح
إذا الغواشى السُّودُ مرّتْ بنا ألقَى لنا الضوء وَمَدَّ الجناح

حُبُّكِ رُبّانُ الهدى والسلامْ ما لان للأخطار أو أذعنا
لا تنزعِى من قبضتيهِ الزمام ولا يَرُعْ قلبكِ هذا الضنى
كم ثار نوءٌ وتدجَّى ظلام وهــذه أنتِ وهــذا أنا
إنّا بلونا الهــولَ باسم الغرام جنباً لجنبٍ ، ورجونا المنى !

ثِقِى بملاّحــكِ فى المأزقِ إنى أنا ابن الموج والعاصفاتْ
ألشعَرَاتُ البيضُ فى مفرق تُنْبِيكِ عن أيامىَ الخاليات
آثارُ عمرٍ مُرعِدٍ مُبْرق تعصف فيه أروعُ الحادثات

ما كدّرتْ من روحىَ المشرقِ تلك الليالى القُلّبُ المظلمات

حبيبتى من أىِّ قلبٍ حزين وأىِّ روحٍ عبقرىِّ الألمْ
وأىِّ وادِ اللأسى أو معين فجّرتِ لحناً من أرقِّ النغمْ ؟
وَصَفتِ فيه زهرة « الجُورجين »
حارسةَ الميْتِ بوادى العدَمْ
وَخِلْتِها كالكأس ذات الرنين برّاقةً فيها الردى يبتسم ؟ !

بكيتِ بالدمع السخين الذريفْ على غرام خِلْتِهِ قد مضى
وأبصرت عيناكِ ظلَّ الخريف يُجلل الأرضَ ويغشَى الفضا
تخضبُ كفّاه النضيرَ الوريفَ
وَرْساً ، وتُدمِى الزنبقَ الأبيضا
وتُخرس الطير بليلٍ شغيف يروعُ فيه القلبَ أن ينبضا !

هذا الخريفُ الجَهْمُ تمشى خُطاهْ على الربيع الذابلِ المحتضَرْ
كآبةً تحجبُ أفقَ الحياهْ سحابةً تخنقُ ضوء القمرْ
أختاه ! هذا الحبُّ غَضٌّ صِباهْ أىُّ عذابٍ صاغ هذى الصورْ ؟
لم يَبْرحِ الشاطىءَ ، إنّى أراهْ كعهدهِ فى الموعد المنتظر !

كان حديثُ القَدَرِ المبهَمِ مثارَ هــذا الخاطرِ المفزعِ
برغم قلبى : صحتُ لا تُقدمِى ! وكان ما كان فلم تسمعى
أشفقتُ أن تَشْقَىْ وأن تألمى معى ، فناشدتُكِ أنْ ترجعى
لكنْ أبى الحبُّ فلم تأثمِ وكان أن أبقى وتَبْقىْ معى !

أكانَ حُلْماً أم قضاءً دعا ؟ ماذا يُفيد العاشقين الحذرْ ؟
شئنا فلم نقدرْ وعدنا معاً يا أختَ روحى ذاك حكم القدرْ !
لم ندّخِرْ جهداً ولا أدمعاً ولا دماً ، ما نحن إلاّ بشرْ !!
ما أمجد الحبَّ وما أروعا إذا تحدى العاشقان الخطرْ !

الحبُّ ما زالَ ، وهذا سناهُ يُلهِبُ حتى الشعلةَ الخامده
تذوى الأزاهير وتذوى الشفاه وهو ربيعُ الأنفس الواجِده
قلوبنا منه نصيبُ الحياه ونستمدُّ منه النَّضْرة الخالده
إذا أضعناه فوارحمتاه لنا ، وبؤسَى لليد الجاحده !

« هو »



فكاهات الشعراء

[احتاج الشاعر الأستاذ محمد الأسمر إلى زوج من (كاوتش الأحذية) فأرسله إليه صديقه الشاعر محمد عبد الغنى حسن مشفوعاً بهذه الأبيات] :

إننى مُرْسِلٌ إليك «الكوتشا» / وبدى مِنْ نداكَ ترعش رعشا

ليتنى أستطيعُ إهداء نفسٍ / لم تجدْ فى صفاء نفسك خدشا

ما لحرب البسوسِ عادت ضروساً / تبطش اليومَ بالمهالك بطشا

عجباً أصبح «الكوتشُ» نفيساً / بينما المرء لا يُساوى قرشا !!

لا تَضِرْكَ الكعوب إن هى عزت / أنتَ أعلى «كعباً» وأرفعُ عرشا

يا مُذيب القلوب رقةَ شِعْرٍ / أوَ لم تخشَ أن تُذيب «الكوتشا» ؟!

خفةٌ فيكَ لم تُتح «لبهاء» / وأفانينُ لم تكن «للأعشى»

أنت تمشى على الأديم خفيفاً / لم تُصعِّر خداً ولم تُغل رمشا!

فلماذا «الكوتش» تطفر فيه / طائراً فى السماء تطلبُ عشا ؟

يا خفيف الظلال بين أناس / يطأون الثرى صخوراً (ودبشا)

ما عهدنا عليك فى الود زَيْفاً / ما عرفنا عليكَ فى الحب غشا

فلماذا تزيفُ كَعْبَ حِذاء / إنْ كَعْبَ القنا يُهابُ ويُخشى

فلما قرأها الأستاذ الأسمر رد عليها بهذه الأبيات :

هشٌ قلبى لمّا بعثتَ وبشا / بقوافى القريض، بَلْهَ الكوتشا (١)

ما طلبناهُ للحذاء ، وحاشا / بل طلبناه فى الأضاحى كبشا

فهو خيرٌ من بعض لحم أراهُ / يتمشى بمن به يتمشى

ربَّ لحم إذا الكوتش رآهُ / قال ماذا أرى وخاف وكشا

العُجول المعلّقات صخورٌ / علقوها مثل المجاجيل غشا

كل من كان مثل (دبشة) أمسى / يَزِنُ اليوم للجماهير (دبشا)(٢)

هذه الحربُ غيّرت كل شىء / لم يعد عيشنا كما كان عيشا

فالرغيف اللُّباب أصبح طيناً / والحرير الدِّمقس أصبح خيشا

ما لهذا الغلاء يزحف كالسيـ / ـل ويغشى كالليل ساعة يغشى

ليس يُنجيك من بوائقه السو / د اعتصامٌ أو أن تكون الخَشّا(٣)

نحن غرقى فيه ، وحسبُكَ منه / أن يصير الجنيهُ عشرين قرشا

يا صديقى يا بلبلَ النيل أرسلـ / ـتُ بقلبى إليك فاقبله عُشا

أيها الشاعر المُربى صُغْ الشعـ / ـر ، وصُغْ فتيةَ البلاد قريشا

أنت نعم الشادى ، ونعم المربى / إن عوى جاهلٌ غروراً وطيشا

محمد الأسمر

الجامعات الأربع فى وادى النيل

نشرت جريدة الأهرام كلمة للأستاذ منصور جاب الله اقترح فيها ضم كلية غوردون بالخرطوم إلى جامعة فؤاد الأول ، أخذاً من خطاب ألقاه سعادة حاكم السودان العام حيث قال إن الكلية ستنتمى إلى إحدى الجامعات الخارجية فى الوقت الحاضر .

ونحن نرجو أن يتم هذا الأمر فى الوقت الذى تنشأ فيه جامعة أسيوط ، فتضم ربوع وادى النيل جامعات أربعاً : جامعة فؤاد الأول فى القاهرة ، وجامعة فاروق الأول فى الاسكندرية ، وجامعة محمد على فى أسيوط ، وجامعة غوردون فى الخرطوم .

ومصر إن طالبت بإزالة القواعد القائمة الآن بينها وبين السودان ليصبحا قطراً واحداً وبلداً واحداً ، فليس أقل من أن

---

(١) بله اسم فعل أمر بمعنى دع

(٢) دبشة اسم لأحد الجزارين المعروفين بالقاهرة ، والدبش : الحجارة

(٣) الخش الجرىء على مغامرات الليل

ندعو إلى ضم كلية فوردون إلى جامعتها الكبرى كخطوة نرجو أن تكون موفقة إن شاء الله.

وإنا لموقنون بأن مصر لن تدخر وسعاً للسعي في إظهار ما تكنه للسودان من ود وعطف عن هذا الطريق الثقافي ولاسيما وقد فتحت «مدرسة فاروق الأول الثانوية المصرية» بالخرطوم أبوابها لأبناء السودان الكرام كي تساعدهم على ارتشاف أفاويق الثقافة من مناهلها الطبيعية.

عبد العزيز جادو

تصويب

وقع خطأ مطبعي في مقالي المنشور بالعدد ٥٩٧ من الرسالة عن «هوستن ستيوارت شمبرلين»، إذ أضيفت إلى المقال فقرة طويلة من مقال آخر لي عن نيتشه عنوانه «سبيل مطروق». ولا ريب أن القرّاء قد فطنوا إلى أن هذه الفقرة تبدأ بالعبارة الآتية وهي: «بعضها يتفق مع ما ذهب إليه نيتشه .. الخ» إذ لم يرد اسم نيتشه في المقال كله (وهو ينتهي قبل هذه الفقرة).

وبهذه المناسبة أحبّ أن أقول لذلك الأديب الذي بعث إليّ برسالة يسألني فيها عن سبب انقطاعي عن الكتابة في الرسالة عن نيتشة؛ إنني لم أنقطع عن عرض فلسفة نيتشه (فإن لي كتاباً بأكمله عن نيتشه وفلسفته) ولكنني لم أجد متسعاً من الوقت لموافاة الرسالة ببعض فصول من هذا الكتاب أعيد كتابتها من جديد، فلذلك تراني أوثر أن أكتب في موضوع آخر، عن أن أعيد النظر فيما سبق لي تدوينه.

زكريا إبراهيم
مدرس بمدرسة السويس الثانوية

ذكرى شوقي وتمثاله

احتفلت وزارة المعارف بذكرى المغفور له «أحمد شوقي بك» في دار الأوبرا الملكية مساء الجمعة الماضي، فألقى كلمة الافتتاح معالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف، وأنشد الأستاذ خليل مطران بك قصيدة عصماء، ثم تفضل صاحب الجلالة الملك المعظم بإزاحة الستار عن تمثال نصفي لأمير الشعراء نصب في مدخل دار الأوبرا الملكية.

والتمثال من البرنز بالحجم الطبيعي. وهو من صنع الأستاذ إبراهيم جابر. وأول من فكر في إقامة هذا التمثال لأول من وضع الأساس للشعر التمثيلي في المسرح المصري هو الدكتور هيكل باشا سنة ١٩٣٨، وهو الذي دعا اليوم إلى هذا الاحتفال، لإزاحة الستار عن هذا التمثال.

وبعد ذلك مثلت الفرقة المصرية فصلاً من رواية مصرع «كليوباترة»، وفصلاً من رواية «مجنون ليلى»، ثم فصلاً من رواية «هدى»؛ وكلها من تأليف صاحب الذكرى العظيم

إلى الدكتور زكي مبارك

سلام الله عليك، وبعد فقد قرأت كلمتك الأخيرة المنشورة على صفحات الرسالة تحت عنوان «زكي مبارك وكتاب الله» فلم يقع نظري — مع الأسف — إلا على تجريحك للأستاذ محمد أحمد الغمراوي واتهامه المجرد بأنه يعجز عن فهم كتبك ولا يستطيع هو ولا أشياخه نقدها، وإلا على تعجبك من «ثنائه على نفسه بنشر ما قال أحد مخاطبيه مدحاً في قدحه على كتاب النثر الفني». وكنت أنتظر أن أقرأ بدلا من ذلك — أو مع ذلك إذا لم يكن منه بد — تفنيداً علمياً للنقد الذي وجهه إليك حتى أستبين ويستبين القراء وجهة نظر الطرف الثاني في الموضوع.

ولما كنت تعني بمدح أحد مخاطبيه، كلمتي [1] التي عقبت بها على مقاله الرابع عن «فساد الطريقة في كتاب النثر الفني» [2] فإنني أبادر — إنصافاً له وبياناً للحقيقة — إلى تنبيهك إلى ما في نسبتك إليه الثناء على نفسه من تجن عليه، فالواقع أنني لم أبعث إليه رأساً بكلمتي حتى يصح أن ينسب إليه أنه نشرها، وإنما وجهتها إليه على صفحات «الرسالة» وهي التي تفضلت بالنشر على عادتها فيما يرد إليها من كلمات «البريد الأدبي». وأتعجب بدوري: كيف يغيب ذلك عنك وأنت الذي توجه وتوجَّه إليك الرسائل على صفحات الرسالة منذ سنين! كذلك أقرر — في الوقت نفسه — أنني إنما عنيت بالمدح فيما وجهته إلى الأستاذ الغمراوي، آراءه العلمية التي اشتمل عليها نقده والتي تناولت بعضها بالتفنيد، فلا شأن لي بما عدا ذلك؛ ولو أنك ضمّنت كلمتك الأخيرة شيئاً من هذا، لكانت أيضاً جديرة مني ومن سواي بالإطراء.

وبمناسبة تعرضك لنقد الأستاذ الغمراوي بعد طول سكوت، ألا ترى أن النقاش بيني وبينه قد وصل — بعد جوابيه الأول [3] والثاني [4] على نقدي — إلى مرحلة تقتضيك بعدها الأمانة العلمية وواجبك نحو القراء أن تتولى إكماله معه باعتبارك الأصيل، عسى أن يساعد ذلك على جلاء وجه الحق في هذا الموضوع، وبخاصة فيما يتعلق برأي الباقلاني في السجع؟

إبراهيم زكي الدين بدوي

(١) العدد ٥٨٠ من الرسالة
(٢) العدد ٥٨٣ (٣) العدد ٥٩٦ (٤) العدد ٥٩٧

كتاب بساتين الفاكهة – انشاؤها وتعهدها

كان من ثمار النهضة المصرية الحديثة فى شتى نواحى الإنتاج الزراعى أن توسع القائمون على سياستها ورعايتها فى إنشاء البساتين حتى بلغت مساحتها فى الأقاليم المختلفة سبعين ألف فدان . وليس هذا التوسع العظيم فى هذا الزمن القصير قائماً على الكم وحده ؛ وإنما يقوم كذلك على الكيف باجتلاب الأنواع وأقلمتها وتجربتها، وانتقاء البذور وإكثارها وترقيتها على الطرق العلمية الصحيحة . والفضل في ذلك يرجع إلى جهود الأكفاء من الأساتذة الإخصائيين فى كلية الزراعة وقسم البساتين . وفى مقدمة هؤلاء الأفاضل الدكتور محمد بهجت أستاذ فلاحة البساتين فى هذه الكلية ، وأحد العاملين المخلصين فى ذلك القسم ، ومؤلف هذا الكتاب القيم الذى نقدمه إلى قرائنا اليوم

اجتمع للأستاذ بهجت من دراسته العالية بمصر ، ومن دراسته العليا فى كاليفورنيا ، ومن اطلاعه الواسع على الكتب والنشرات الحديثة ، ومن مشاهداته الكثيرة بمحطات التجارب الزراعية وحدائق الزراع الأهلية ، ومن تجاربه الخاصة فى قسم البساتين ؛ اجتمع له من كل ذلك ما جعله جديراً بتأليف كتابه (بساتين الفاكهة) على نمط لم يتهيأ لأحد من قبله . فقد امتاز هذا الكتاب بمزايا كثيرة نذكر منها : أنه أحاط بكل ما وصل إليه العلم الزراعى فى موضوعه إلى يوم الفراغ منه ؛ وأنه طبق النظريات العلمية على تربة مصر ومناخها فلم يأخذ بأقوال العلماء وتجاربهم أخذ الناقل أو المقلد ؛ وأنه غلب فيه الجهة العملية على الجهة النظرية بناء على مشاهداته واختباراته ؛ وأنه توخى فى كتابته التبسيط والتسهيل ليكون دانى القطوف من الطالب المختص والزارع العادى فيستفيد منه كل قارئ . والكتاب معقود على سبعة أبواب تضمنت أمهات المسائل فى هذا العلم ، كالمشاتل ، وإكثار الفاكهة ، والأصول ، وإنشاء البساتين ، والتسميد ، والرى ، والتقليم . وقد صدره المؤلف بمقدمة تاريخية بليغة ألمت بأطوار فلاحة البساتين فى القديم والحديث . فله من ربه خير الجزاء ، ومن قرائه أجزل الشكر

مجلة (الثريا) التونسية

بهذا العنوان أصدر جماعة من صفوة الأدباء فى تونس مجلة شهرية جامعة تعالج الأدب والتاريخ وتعنى على الأخص بتراجم النابغين من قدامى المغرب ، وتشجيع الناشئين من محدثيه .

وهذه كلمة مقتطفة من افتتاحية عددها السابع عن الأدب المغربى:

« يوجد أدب مغربى رائع الصورة ، فائق الأسلوب ، واضح المعالم ، بين الصفة والذات ، يستمد وحيه من طبيعة الأرض ومناخها ، ويتغذى إلهامه من عوائد أهلها ورجالها ، وهذا الأدب المغربى فى حاجة إلى من ينصره ، وفى افتقار إلى من يدعو إليه ويظهره .

واحات الجنوب التونسى والجزائرى والمغربى ونخيلها ، ومياه أودية الشمال الإفريقى وجبال الأطلس وشواطىء المغرب الواقعة على البحر المتوسط تطبع الأدب المغربى بطابع قوى كما طبعت الفن « المالوف » بطابع ممتاز ، وتاريخ الموحدين والمرابطين وتاريخ العرب الذين زحوا للمغرب يحملون الدين والنور والبلاغة والشعر ، وتاريخ العبيديين والعائلات المالكة التى انتشر صيتها واتسع نفوذها ، لبنة صالحة لإقامة الهيكل القوى الذى نريد تشييده لتوضيح سبل تفكيرنا ، وخصائص ثقافتنا .

والأدباء الذين ألفوا الكتب فى العروض ونقد الشعر ، وفى الفقه وأحكام التشريع ، والشعراء الذين تغنوا بجمال المغرب والأندلس ، حريون بأن يكونوا أساتذة لنا نسير على ضوئهم . والعلماء المغاربة الذين ألفوا فى الفلاحة والطب والبيطرة والهندسة ووسعوا آفاق المعرفة فى هذه الربوع ، وشع نبراسهم فى جنوبى إيطاليا وفى جزائر البحر المتوسط يطالبوننا بتخليد ذكرهم، والاشادة بأمرهم، حتى يكونوا قدوة لشبابنا الطموح ... »

الرصافى وأبو حنيفة

جاء فى مقال (حول وحدة الوجود) للأستاذ الرصافى المنشور بالعدد السابق ما نصه :

« حتى أن الامام أبا حنيفة أجاز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة » مع أن أبا حنيفة الفارسى يقول :

« لو قرأ بغير العربية فأما أن يكون مجنوناً فيداوى ، أو زنديقاً فيقتل » ، كما ورد فى ص ١٣٦ من شرح الفقه الأكبر لأبى حنيفة ، لعلامة ملا على القارى ، نقلا عن شارح عقيدة الطحاوى عن الشيخ حافظ الدين النسفى فى المنار . فهل عند الأستاذ الرصافى نص يؤيد ما قال ؟

راشد سليمان

غرام بوم الثلاثاء

ضاق نطاق هذا العدد عن نشر حولية الدكتور زكى مبارك فأرجأناها إلى العدد القبل

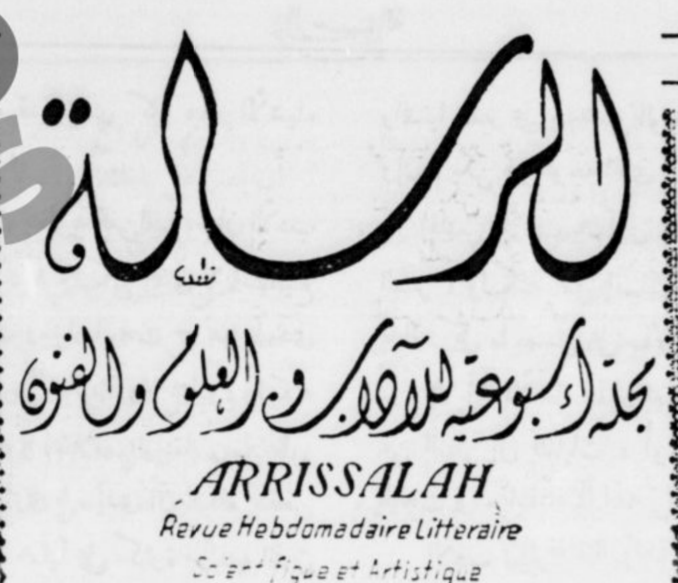
العـــدد ٥٩٩

السنة الثانية عشرة

12 me Année No. 599

Lundi - 25 - 12 - 1944





صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٩٩ « القاهرة في يوم الإثنين ١٠ محرم سنة ١٣٦٤ — الموافق ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

أســـئلة وأجوبة

للأستاذ عباس محمود العقاد

أتلقى بالسرور بعض الرسائل الأدبية التي تشتمل على أسئلة من أصحابها يستطلعون بها الرأي في غرض من أغراض الأدب يقع عليه الخلاف، ويحسن عرضه للقراء من وجهات النظر المتباينة. ومن أمثلة ذلك هذه الأسئلة التي تلقيت بعضها من العراق وبعضها من فلسطين واتفق أصحابها الفضلاء على طلب الإجابة عنها في مجلة الرسالة التي أصبحت كاسمها رسالة من العرب إلى العرب في جميع الأقطار

يقول الأديب الفاضل « عبد الحميد صالح » بالبصرة بعد تمهيد أومأ فيه إلى سابقة هذا البلد الذي عمر زماناً « بأفكار الجاحظ وابتداعات الخليل ومساجلات سيبويه » وغيرهم من العلماء والأدباء :

« ... إن الأمر يحوطه كثير من اللبس والغموض ويشوبه الاختلاط، وإن الاختلاف فيه هنا بالبصرة قد بلغ حده ولم يرض أحد بأدلة الآخر. والمختلفون اتفقوا على أن يرجعوا إليكم لتقولوا القول الفصل فيه وكلهم من قرائكم على صفحات مجلة الرسالة الحبيبة. وفحواه قول (لاسل آبر كرومبي) في قواعد النقد إن مطالبة الأدب بأن يعلمنا أمراً أو يصلح أخلاقنا تخرج بنا

عن فن الأدب ، وإن الأدب قد يؤدى كل هذه الأشياء ولكنه لم يكن أدباً لمجرد أدائها »

وبعد أن قال الأديب إنه يدين بنظرية الفن للفن، وإن الأدب كالموسيقى متعة ولذة عاد فقال : « ولكن الذى لا أستطيع أن أفهمه — وهو موضع الخلاف ومدار البحث — هو مامدى تأثير الأديب فى بيئته عملياً؟ إنه يتأثر بالبيئة ولا شك ، ولكنه هو هل يغير أحوال الناس ويحور أخلاقهم وينقلهم من طور إلى طور ومن عادة إلى عادة ؟ أنا أرى يا سيدى أن الواقع ينقض هذا . فأبو العلاء لم تطبق آراؤه عملياً على كثرة مريديه الذين لازموه ... والروايات التمثيلية التى تنقد أوضاع الناس أو تحل المشاكل لم تر الناس غيروا ما انتقدوا عليه ولا حلوا مشاكلهم ؛ ولكن هذا لا يمنعهم من مشاهدة التمثيل وقراءة الروايات إرضاء لحاجة إنسانية كامنة فى أعماق النفس : هي اللذة الفنية ! وإذن ما مدى تأثير الأدب عملياً ؟ إننا نقول إن الشعراء كانوا يبعثون الحماسة فى نفوس الثائرين ، ولكننى أظن أن الثائرين استعدوا للثورة ثم جاء الأدب يعبر عن عواطفهم ، والثورة الفرنسية تهيأت لها أسباب عديدة ثم دفعهم مع عوامل أخرى ـ الكتاب لا الأدباء ـ إلى الثورة ... »

***

ورأيى الموجز فى كلام الأديب البصرى أن ما ذكره عن الأدب يصدق على المطالب الإنسانية التى لا اختلاف بين المفكرين على أغراضها وفوائدها

فالناس يختلفون على الأدب هل يطلب للفائدة أو يطلب للمتعة الفنية ، ولكنهم لا يختلفون فى عمل المصلحين من دعاة الأخلاق أو السياسة أو الدين ، بل يتفقون على أن الإصلاح مقصود للفائدة دون سواه ، وأن المصلح الذى لا يبغى نفع الأمم بإصلاحه لا يستحق الإصغاء إليه ..: ومع هذا يدعو المصلحون إلى غرض . ويتحقق غيره فى الطريق مقصوداً أو غير مقصود ، وتتبدل المذاهب وللناس أخلاق باقية لا تتبدل ، ويتبعهم المعرى جيلاً بعد جيل بقوله الخالد المتجدد :

كم وعظ الواعظون منا وقام فى الأرض أنبياء
وانصرفوا والبلاء باق ولم يزل داؤنا العياء
حكم جرى للمليك فينا ونحن فى الأصل أغبياء

ولكن الإصلاح بعد هذا كله مفيد ، والدعوة إليه واجبة ، والدنيا تتغير على وجه من الوجوه بعد كل دعوة من دعواته ، وإن لم يكن هو الوجه الذى تمنه الدعاة

فليس الأدب بدعاً فى هذه الخصلة التى عمت جميع أعمال البشر ، ولكنه عمل إنسانى يصدق عليه فى أمر الوصول إلى غاياته كل ما يصدق على سائر الأعمال

إلا أن الأدب ينفرد بخصلة أخرى تصرفنا بعض الشىء عن النظر إلى الغايات ، أو تمنعنا أن نقصر النظر عليها عند البحث فى مزاياه

الأدب تعبير

والتعبير تلحظ فيه البواعث قبل أن تلحظ فيه الغايات

لماذا يصرخ المعذب المتألم ؟

إنه قد يصرخ فيدركه على الصراخ منقذ أو مساعد على التعذيب والإيلام ، ولكنه سواء ظفر بهذا أو ذاك إنما صرخ لباعث فى نفسه أو جسده ، ولم يصرخ لغاية يتوخاها من إسماع صوته

وقد يسمع صوته فيسعد أو يشقى بانتهائه إلى الآذان ، فيتحقق النفع كما يتحقق الضرر غير مقصود

والتعبير وظيفة لا حيلة فيها ، لأنه أثر الحالة التى تقوم بالنفس فتدل عليها بما لديها من وسيلة ناطقة أو صامتة

ولكنه مع هذا عمل مفيد لا شك فى نفعه ، لأن الرجل بعد التعبير غيره قبل التعبير ، ومن استطاع أن يعبر استطاع أن يفهم نفسه ويفهم ما يريد ، واستطاع أن يجمع إليه من يشعرون مثل شعوره ويريدون مثل مراده ، ولكنه لا « يعبر » لأجل هذا ولا يكف عن التعبير إذا امتنع هذا . فكثيراً ما « يعبر » فيجمع من حوله الأعداء ويفرق الأصدقاء

وسؤال السائل : لماذا نعبر ؟ كسؤاله لماذا نحس ؟ ولماذا نحيا ؟ لأن الحياة مظهران لا ينفصلان : تأثير من الخارج إلى الداخل هو الحس ، ورد من الداخل إلى الخارج هو التعبير ، والكلام فى غايته كالكلام فى غاية الحياة . وليس للحياة غاية وراءها ، لأن وراءها الموت الذى تقف دونه الغايات

قل للأديب « عبر » أيها الأديب ولا تسأله بعد ذلك غاية من وراء تعبيره ، وكفى أن يكون هذا التعبير من دلائل الحياة ، ولا خير فى الحياة بغير دليل

وأعود إلى مثل يطابق الحقيقة هنا كل المطابقة ويعين على فهمها أقرب معونة ، وهو مثل الزهرة والثمرة فى الشجرة النامية

الفائدة كما نفهمها نحن هي الثمرة الناضجة

ولا فائدة للزهرة بهذا المقياس

ولكن الشجرة التي لا تنبت الزهرة تبطل فيها دلائل الحياة، وهي زينة وبهجة إلى جانب هذه الدلالة

ثم يأتي أناس فيعصرون الزهرة عطراً ودواء وشراباً ينعش ويفيد، ولكنها لم تكن زهرة لهذه الفائدة التي جاءت في عرض الطريق

وجملة القول أن الأدب على هذا الاعتبار أصدق من جميع المطالب العقلية التي تحسب من ذخائر الثقافة الإنسانية

لأن البواعث حق والغايات أوهام، ونحن حين نسعى إلى غاية فنحن منخدعون بها قبل الوصول إليها وبعد الوصول إليها. وقد نسعى إلى غاية ونصل إلى غيرها، وقد نصل إلى الغاية التي نريدها فإذا هي هباء لا يساوي مشقة السعي في سبيله

أما البواعث فهي حق لا مهرب منه، وهي شيء موجود لا خلاف في وجوده، وهي مصدر التعبير، والتعبير دليل الحياة

فإذا بحثنا عن الأدب فلنبحث عن شيئين لا يعنينا بعدهما مزيد وإن وجد المزيد: أهناك باعث صحيح؟ أهناك تعبير جميل؟ فإن وجد الباعث والتعبير فقد أدى الأدب رسالته، وبقي على الدنيا أن تستفيد منها إن شاءت، وهي تستفيد بمشيئتها وبغير مشيئتها من كل عمل يجري على سنة الحياة

* * *

وجاءني من الأديب «داود احمد العاروري» ببيت المقدس سؤال عنا نحن الشرقيين: ما بال رجالنا يتقاتلون ويخذل بعضهم بعضاً حين نرغب في عمل يفيد بلادنا؟ أهو حب الظهور؟ أهو الغرور؟ أهو العناد والجمود؟

والسؤال جديد قديم منذ قال جمال الدين رحمه الله «اتفق الشرقيون على ألا يتفقوا»

أما السبب فقد تكتب فيه المطولات، وقد يوجز في سطور، ونحن في مقام الإيجاز فنسمى أن نحصر السبب في كلمات قليلة تدل على مكمن العلة وتترك المجال بعد ذلك مفتوحاً للطبيب المأمول: طبيب الزمان

إن الخلاف يطول كلما قل الحكم المسموع

والحكم المسموع بين الرجال العاملين هو تمييز الأمة أو تمييز الرأي العام كما نسميه في الاصطلاح الحديث

فالأمم التي بلغ الرأي العام فيها مبلغ التمييز يخاف المخطئ أن يصر على خطئه فيها، لأنها تقضي عليه

والأمم التي لم تبلغ مبلغ التمييز يطمع المخطئ في تضليلها ولا يخشى المتنازعون فيها عاقبة نزاعهم على الحق أو على الباطل، فيطول أجل النزاع ويصعب الفصل فيه

وسيظل الخلاف دأب الشرقيين ما دام مأمون العاقبة على المختلفين؛ ويظل مأمون العاقبة عليهم ما دام الحكم المسموع قابلاً للتضليل عاجزاً عن التمييز

وكلما صعد سواد الأمة درجة في سلم الإدراك والأخلاق هبط الخلاف درجة بين الزعماء العاملين

وأحسبهم صاعدين، وإن كنا نستبطئ خطواتهم في الصعود

* * *

وأحسبني قد أجبت عن السؤال الثالث قبل أن يكتبه صاحبه الأديب «صلاح حماد» من الناصرة بمساحة فلسطين

فهو يوجه إلي سؤالاً من تلك الأسئلة التي تبدأ «بأيهما» ويجاب عنها «بكليهما» كما أسلفت في مقال قريب بالرسالة

وموضع الخلاف بين أدباء الناصرة عن الزوجة: هل يعصمها حبها لرجلها دون خوفها منه، أو تعصمها سطوته ورجولته ثم حبها إياه! وهل إذا وجد الخوف بين اثنين امتنع الحب بينهما؟ أو يمكن الجمع بين الحب والمهابة في آن؟

قال أيهما؟.. قلنا كلاهما!

وهذا هو الجواب الذي يغني عن إسهاب، ولكننا نضيف إليه أن الخوف قد يوجد مع الحب كما يوجد مع الكراهية:

أهابك إجلالا وما بك قدرة على، ولكن ملء عين حبيبها

فالمحب يخاف أن يغضب المحبوب لأنه يحبه ويرجو نفعه، والعدو يخاف عدوه لأنه يتقي الضرر منه. ويختلف الخوفان كما يختلف الحب والعداء

والزوجة يعصمها أن ترهب سطوة زوجها ولا تمنعها الرهبة أن تحبه، لأنها تحبه قوياً مرهوب السطوة، وليس معنى ذلك أن يبطش بها ويسيء إليها، وإنما معناه أن يحسب لغضبه ورضاه حساب

* * *

تلك وجهات من النظر تتقابل بين السؤال والجواب، وكل سؤال فيه وجهة فللسائل فيه هداية سبقت هداية المجيب.

عباس محمود العقاد

٢ – السلم العالمية حلم الأبد

للأستاذ توحيد السلحدار بك

يقول الدكتور الأهواني : « الخطوات التي يخطوها العالم في سبيل التطور والوحدة خطوات سريعة جداً (كذا)، هي التي تجعلنا نقول بأن السلم قريبة الآن . ونحن نؤيد هذا القول بشواهد في التاريخ ، معتمدين على النظر إلى تطور الإنسانية خلال العصور الطويلة »

إن مذاهب التاريخ وأنواعه وكتبه كثيرة . فعلى أيها اعتمد الدكتور يا ترى ؟ يحسن ، على كل حال ، تقديم كلمة في التاريخ بوجه عام ، قبل النظر في « الشواهد » وفي « تطور الإنسانية » مما اعتمد عليه الدكتور

إن كل قرن يكتب في التاريخ لإحيائه وتجديده . والتواريخ المكتوبة على أحدث وجهات النظر تعتمد على المنطق والفلسفة كي تبين حقيقةً ذات شأن تؤخذ ، بالنظرة الشاملة ، من مشهد الحوادث الإنسانية . وهذا هو التاريخ السامي إلى الرتبة العلمية . على أن تطبيق هذه الطريقة يعرِّض المؤرخ لتعميمات واهية الأساس ، واستنتاجات فطيرة ، وإطلاق في الكلام . ولا يقدر سوى القليلين على ترجيح كفة الأمانة ، كل الترجيح ، في التحليل والحكم ؛ وترجيح الضمير والعلم على هوى الآراء المجملة ، وجواذب الحاضر السطحية ، والتباس الشهادات الناقص تحقيقها . ومما يجب التنبه له ، في هذا الباب ، عادة التوفيق بين الحوادث المنقضية وبين همّ المؤرخ من جهة تأليفه وفنه ، أو بينها وبين أذواق عصر من العصور ووجدانيات أهله ، ومصالحهم أو بعض المصالح الحزبية . والزمان الحاضر عصر تقدم ، لكن يجب الاعتراف بأن الذين بالغوا في الفروض المخاطر بها كثيرون

وهذا ويلز يقول في مقدمة كتابه : « ليس يمكن أن يوجد سلم ولا نجاح مشتركان بغير أساس مشترك من الفِكَر التاريخية » ؛ وتاريخه مكتوب في سبيل هذا الرأي . بيّن في كتابه مذهب جِبُّون[1] في تاريخ الرومان ، ثم قال : « حاولنا أن نعرض الحوادث على صورة أخرى » . وقد ذهب الأستاذ جيُّو[1] ، مترجم الكتاب إلى الفرنسية ، في مقدمة ترجمته ، إلى أن هذا التاريخ « هو ، قبل كل شيء ، صنيع كاتب وسّع دائرة نظره ، فجمل الأمم والمدنيات في مكان الأفراد من كتب الخيال : ومن هنا وقعه التمثيلي في النفس . إن هذا التاريخ — وإن تأسس على أدلة قوية — ليُمثِّل بقدر ما يُحدث ... هو قصص بصف حادثة لم تكن منتظَرة ، بطلها الإنسان ؛ والذين اعتبروا ، حتى اليوم ، من رجال التاريخ ليسوا فيها سوى المخرجين ؛ وما الإمبراطوريات إلا مناظرها ؛... وسيمة البطولة عند ويلز أن يخدم الإنسان ، ويجعل نفسه منفِّذ الأقدار الذي يحتم على الإنسانية بالتدريج ، في جميع المشتركات ، اتحاداً في الفكر وفي الإرادة » . ولم يوافق على وجهة نظر ويلز في كل الأحوال مع موافقتهم في بعضها : جِنْيِبير[2] ، الأستاذ بالسربون ؛ ودِيْرِه[3] ، الأستاذ بجامعة رِنْ Rennes ؛ ودُتَن[4] ، أستاذ الأدب فيها ؛ وبُول[5] ، الأستاذ في المُزيُم ، أي حديقة النبات بباريس ؛ ودُسُّو[6] ، الأستاذ بمدرسة متحف اللوفر ، وأضرابهم ممن ساعدوا المترجم

طال هذا الاستطراد المتعلق بالتاريخ . لكن عذره أن ملاحظة ما فيه تفيد في تقدير « شواهد » الدكتور التاريخية ونظره إلى « تطور الإنسانية »

فهو يقول إن الجماعات انتقلت ، بمقتضى الرقي والعمران ، من قبائل متناثرة ومدن صغيرة إلى دول وشعوب كبيرة ، « وكلما اتسعت الدولة زالت الفوارق في اللغة ، والتقاليد ، والعادات ، والفكر ، والدين »

أما التاريخ فيقول إن الدول تتسع ثم تضيق ، كما اتسعت الدولة العثمانية ثم ضاقت تركيا ، من غير أن تزول تلك الفوارق ؛ وكذلك الإمبراطورية النمسوية ، وغيرها . واللغات وفروعها عديدة ، والشعوب المختلفة لا تعرف غير لغتها ، والراقية تخلّص لغاتها مما يهدد كيانها وإن تعلمت بعض اللغات الأجنبية ؛

(١) Edoued Gebbon المؤرخ الانجليزي المشهور ، صاحب « تاريخ هبوط الامبراطورية الرومانية وسقوطها » .

(١) Edouard Gugot الأستاذ في السربون

(٢) Guiqnebert .

(٣) Déyrez .

(٤) Dottin .

(٥) Boule .

(٦) Dussaud

واليابان التى يعرف بعض أهلها اللغة الإنجليزية ، مثلا ، تحافظ على اليابانية ولا تهمل ثقافتها القومية ، والروسيا اتسعت وليست اللغات العديدة فيها بسبيل الوحدة . ومصر التى اتسعت وضاقت ، وتدانت أرجاؤها ، وكثرت فيها المواصلات والمخالطات ، لمّا تزل بها الفوارق على امتداد القرون بين التقاليد والعادات؛ بَله ظواهر الأمور فى طبقة محصورة من الآخذين عن الفرنسيين أو الإنجليز أو غيرهم ، بل إن ما أخذوا يزيد الفوارق ولا ينتظر أن يعم . وقد تشعّبت الأديان الوثنية والكتابية الأصلية ، ولم تتوحد أصولها ولا مذاهبها فى دولة ولا أمة ؛ ولم ينس التاريخ ما وقع بين الكاثوليك والبروتستان ؛ والذى أصاب اليهود ، فى دولة واسعة كألمانيا قد حدث فى هذا الزمان . فالقول بزوال هذه الفوارق كلما اتسعت الدولة يشعر بعجلة فى التحقيق ، والاستنتاج ، والتعميم ، وإطلاق الكلام

ويقول الدكتور : ظهر عامل جديد « سيقلب كيان الإنسانية كلها » ، و « هو سرعة المواصلات البرية ، والبحرية والجوية »

وويلز يقول ، فى مقدمة كتابه : « أدنت البشر بعضهم من بعض لخيرهم أو لشرهم وسائل مواصلات أسرع » . ويقول فى كتابه : « لمّا كان جيبّون ، من نحو قرن ونصف ، يهنئ الجمعية اللطيفة المهذبة فى ذلك العصر بخاتمة طور الثورات السياسية والاجتماعية الكبرى ، كان يهمل أكثر من أمارة تبدو لنا اليوم ، فى ضوء الحوادث ، منبئة برجّات رهيبة وانفساخات وانفكاكات شديدة[1] ... كانت الإمبراطورية البريطانية ضمان سلامة وأمن للعالم ... إن تقدم الملاحة وبناء السفن ، بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر ، أمكن من سلام بريطانى مقبول عند الجميع ، إن نمو الملاحة الجوية والمواصلات البرية قد يرد هذا السلام أمراً تقل الرغبة فيه بقدر ما يكون غير ثابت آمن[2] » . ويقول أيضاً : إن نظام الدول العظمى كان بأعلى درجاته « فى قريب من الوقت الذى بدأت تظهر فيه القوى الفاتكة التى بلغت مبلغاً يحملنا نتساءل قلقين فى الساعة الحاضرة (حول ١٩٣٠) : هل ستجلب خراب عالمنا بأسره ؟ »[3]

ذلك ما يقول واصف « سير الإنسانية المظفر نحو وحدة عالمية » . وبواكير الأحوال تدل على أن انقلاب « كيان الإنسانية » سيكون [illegible] ، لأن الغريزة الأساسية الدافعة إلى الكفاح فى الحياة والفوارق الطبيعية بين الأفراد والجماعات لم تتغير ولن تتغير

ويقول الدكتور : ستخطو الإنسانية خطوات أخر « يخيل إلينا أنها قريبة الوقوع وهي : وحدة اللغة ، ووحدة التقاليد ، ووحدة الزى ، ووحدة الأساليب فى شتى فروع الحياة » . ومن آيات هذا الاتجاه « أن تركيا اصطنعت الكتابة بالحروف اللاتينية . . . وفى مصر من يريد مثل ذلك » ؛ ومنها « محاولة اختراع لغة عالمية سموها ... اسبرانتو »

وهذه « وحدات » كثيرة أو حجج كأنها واردة لمجرد الاحتجاج ، إذ ليس يخفى على الدكتور أن سكان الأرض ١٨٢١ مليون ، هم ستة أجناس أصلية فروعها أكثر من خمسين ؛ وأن لغاتهم ومشتقاتها ألف على التقريب ، أصولها الأساسية أحد عشر ، ويتفاهم بها الهمجى والمثقف ومن بينهما فى دركات ودرجات لا تحصى ؛ وأن اللغة صور لِما فى النفس من وجدانيات وأفكار . فكيف تنشأ وحدة النفس والمدركات والدركات فيها حتى تتحقق وحدة اللغة فى جميع العالمين ، مع ما بينهم من تفاوت طبيعى من الجهتين الحسية والمعنوية ، ومن اختلاف الوطن والمعيشة والموروث المستقر فى أعماق الجسم والنفس ، والمكتسب المتنوّع تنوع عوامل التطور الباطنية والخارجية . فما « وحدة الأساليب فى شتى فروع الحياة » إلا شئ خيالى . وإن جاز أن يتمنى هذه الوحدة وأمثالها آخذ بالظواهر الجزئية القريبة ، فى عجلة ومبالغة ، فالنهج إلى الحقائق البشرية هو النظر فى الأسباب الفطرية والعلل الجوهرية . أما الإسبرانتو فلغة اصطلاحية وضعها زامنهوف Zamenhof ، الطبيب ، اللغوى ، الروسى ، سنة ١٨٨٧ ، تسهيلاً للملاقات بين الأمم ؛ والمقاطع الأصلية فى هذه اللغة مأخوذة من أكثر المقاطع تداولاً فى أكثر اللغات شيوعاً ؛ وهى تكتب طبقاً للصوت فى النطق ؛ ونحوها بسيط محصور فى ست عشرة قاعدة ؛ ومع ذلك ، فكم من الخلق ومن القائمين بشؤون الأمم استعملوا هذه اللغة بل عرفوها فى السبع والخمسين السنة الماضية ؟ كلاّ ، إن حجة الإسبرانتو هى حجة على رأى المحتج بها وليست له . وأما الترك الجادّون فى إحياء قوميتهم ، بإحياء تاريخهم ولغتهم ، فلم يصطنعوا الكتابة بالحروف اللاتينية ليهملوا التركية التى يتوخون تصفيتها

(١) الصفحة ٤٢٢ من كتابه .
(٢) الصفحة ٥٠٦ منه .
(٣) الصفحة ٤١٦ منه .

من الدخيل فيها . ومَن أراد من المصريين استعمال هذه الحروف لم يقصد سوى المحافظة على اللغة العربية الصحيحة ، أصاب أو لم يصب فى اقتراحه . أما وحدة الزى ، على فرض أنها قد تتحقق ، فإنها تظل شيئاً سطحياً ليس بقوى على تغيير ما هو خاضع للسنن الطبيعية فى القلوب والعقول . ولو تحققت هذه الوحدات جميعاً لأصبح الناس كالآلات التى تخرج من المصنع على غرار واحد ، ولا بد من استحالة الفطرة البشرية قبل أن تحصل هذه الوحدة

تبين ، فيما تقدم من البحث ، ضعف «القوى» و «الأبلغ» من أدلة الدكتور على أن السلام «قريب الأمد» . وبقى أنه خرج منها بقوله : «من العوامل القوية فى منع الحروب وتحقيق السلام — بعد توحيد العالم على النحو الذى وصفنا وقوعه فى المستقبل» :

أولاً : إن «العالم يسير الآن نحو خطة جديدة يرى بها إلى نزع السلاح»

لكن كليمنصو ، وهو من علمتَ ، يعترض إذ يقول : «الأخيرَ هو أن تنظر ملهاة «نزع الأسلحة» الزائف فى نفس الساعة التى تتسع فيها صناعة هذه الأسلحة اتساعاً جنونياً»[1]

وقال لُوى دُه لُنيه[2] ، عضو مجمع العلوم الفرنسى ، بشأن ما تلا الحرب الماضية من المؤتمرات : «منذ مدة ، راجت مؤقتاً مؤتمرات السلام والأحلاف المقدسة . وهذه حال دورية تمتد عادة بقدر بقاء الذكرى الأليمة من حرب أخيرة : افرضه جيلاً . وبما أن من مميزات زماننا عقلية فوّرة تتخيل أنها اكتشفت العالم ، يميل الناس اليوم بوجه عام إلى التسليم بأن هذه الحال نهائية . أرجو أن يشاء الله به»[3] وقد صدق : إذ نشبت الحرب الحاضرة ، وهى أشد إيلاماً من الماضية ، ولذا بدأ الناس من الآن ينتظرون نزع السلاح ويحلمون بإمكان سلم دائمة

ثانياً : إن العالم الآن «يجرى فى التعليم على بث روح السلم واعتناق فلسفة السلام»

ثالثاً : إن الواقع هو «انتشار التعليم بين سواد الناس ، وما يتبع ذلك من رقى عقلى ، ونزوع إلى تغليب الحكمة على الشهوة ، وحل المشكلات بالعقل لا بالقوة . وكلما ارتفعت عقليات الأفراد صعب قيادهم قياداً أعمى لمصلحة ذوى المطامع»

فهل يجب إذن أن نعتقد أن أفراد الشعب الألمانى ، مثلاً ، لم ينتشر التعليم فيهم ، وأن عقليتهم منحطة ، ولذا أن أصحاب المطامع فى عقولهم ونفوسهم حتى انقادوا إلى هذه الحرب انقياداً أعمى ؟ أو أن هؤلاء الأفراد وزعماءهم سوف يهذبون على «فلسفة السلام» حتى ينسوا أحقادهم القديمة والحديثة على أعدائهم ، ويتغلبوا على غرائزهم وشهواتهم فلا يوجد بعد ذلك فيهم أحد يحاول دفعهم إلى حرب ، ولا ينقادون انقياداً أعمى ولا بصير ؟ ومن الذى سيتولى تغذيتهم بهذه الفلسفة ؟ هم ، من تلقاء أنفسهم ، أم غيرهم ؟ وهل أفلحت الدول التى اقتسمت بولونيا منذ أواخر القرن الثامن عشر فى عقليتها ونفسيتها ونزعتها الوطنية إلى الاستقلال ، بالثورة وغيرها من الوسائل ؟ وهل تصدق جميع الدول فى تغذية شعوبها وتهذيبها بفلسفة السلام النظرية ؟ وأيها يبدأ مخاطراً بهذا التهذيب ؟ وما يكون الحامل على هذه المخاطرة ؟ أهو خيفة رزايا الحرب الحديثة ، أم مثل أعلى مهلك ، أم مقتضيات الاقتصاد وهو الذى يسوق إلى الحرب ؟ هذه أسئلة لا نهاية لأمثالها . وقد يغنى عن أجوبتها استشهاد طائفة من العلماء وكبار الكتاب :

يقول له دَنتِيك : «يبدو لى أن الحروب بين الأمم لا مناص منها ... وحين لا توجد حرب أهلية يتباغض المواطنون ويتحاسدون . وهذه الحرب الأهلية الكامنة أليست أمقت الحروب جميعاً ؟ وإن تحقق حلم أنصار السلام كان ذلك نهاية الإنسانية فى أجل قريب ... إن حلمهم يعبر عنه بجمل كريمة جداً ومؤثرة جداً : يقولون إن الإنسان المتخلص من هموم الحرب يخدم صنيع العلم العظيم ... لا أحد يحب العلم أكثر من حبى إياه ، لكن لا أحد أيضاً يلاحظ — بأكثر وضوح من ملاحظتى — عجز العلم عن تغيير الإنسان[1] »

ويقول ويلز : «كل ما يفعل الأفراد والأمم هو نتيجة من البواعث الغريزية المؤثرة تأثيراً عكسياً فى الأفكار التى نفثتها الحادثة والكتب والصحف ودروس المعلمين فى عقل الشعوب . والفرق بين إنسان اليوم وإنسان كرمنيون[2] فرق ضعيف

---

(1) بالصفحة ٤٤٧ فى الجزء الثانى من كتابه (فى سماء الفكر).
(2) Louis de Launey .
(1) الصفحة ٧٠ من كتابه : «نهاية عالم والعالم الجديد» المطبوع فى كندا .
La Fin d' un Monade etle Monde Nouveau. — Editiod Zallandier.

(1) الصفحتان ٢٩٢ و ٢٩٣ من كتابه «الأنانية هى الأس الوحيد لكل جمعية» .
(2) (Cro — Magnon) : غار قرب محطة ليزيز (Les Eyzies) على النزير (Vézère) ، ساعدة نهر الدردنى (Dordogne) فى جنوب فرنسا الغربى وجدوا فى هذا الغار جمجمة إنسان من العهد السابق للتاريخ

كل الضعف : إن الفرق الأساسي هو في سمته ونوع الحصيلة العقلية التي تكونت على مر خمسمائة وستمائة القرن الفاصلة بين الأول والثاني [١] »

ويقول كليمنصو : « إن الانفعال هو الذي يدفعنا إلى الفعل ، وليس القياس (يعني ليس العقل والفكر) ... أليس الذي يفضي بنا إلى أعمال الحياة هو تتابع حركات انفعالية ، تحدث عن صواب أو خطأ ، ثم يتقدم العقل بعد ذلك لتبرير هذه الأعمال ؟ [٢] »

ويقول جستاف له بون ، أو ماكس نُرْدو : « العقل ينشئ العلم ، والوجدانيات تسير بالتاريخ [٣] » . ويقول لُه دنْتك أيضاً : « أن توجد هو أن تكافح ، وأن تحيى هو أن تغلب [٤] » و « الأنانية هي الإس الوحيد لكل جمعية [٥] »

رابعاً : « إن تحقيق المساواة لجميع سكان العالم في الحياة المادية ، وهو ما يقضي به التطور الذي نشهد آثاره ، كفيل بمنع الحرب وإقرار السلام »

والثابت أن المساواة ، مادية كانت أو معنوية ، مستحيلة في البشر لاختلافهم وتفاوتهم تفاوتاً طبيعياً ، جسمياً ونفسياً على ما ذكر آنفاً ، فليست إلا خيالاً وخرافة . ومفهوم المساواة التي أعلنتها الثورة الفرنسية — مثلاً — غير معناها في العقول العامية ومن يظن أن المساواة المزعومة التي تشمل البشر سوف توجد يكون واهماً . وأكبر منه وهماً من يظن أنها ستعم الأرض قاطبة في مستقبل قريب

يقول دُه لُنيّ أيضاً : « إن النظام المنعوت بالرأسمالية أخذ في التهدم لينتهي ، من طريق الدولة الاشتراكية إلى الشيوعية والعبودية ... وتلك قفزة مخيفة إلى المجهول [٦] »

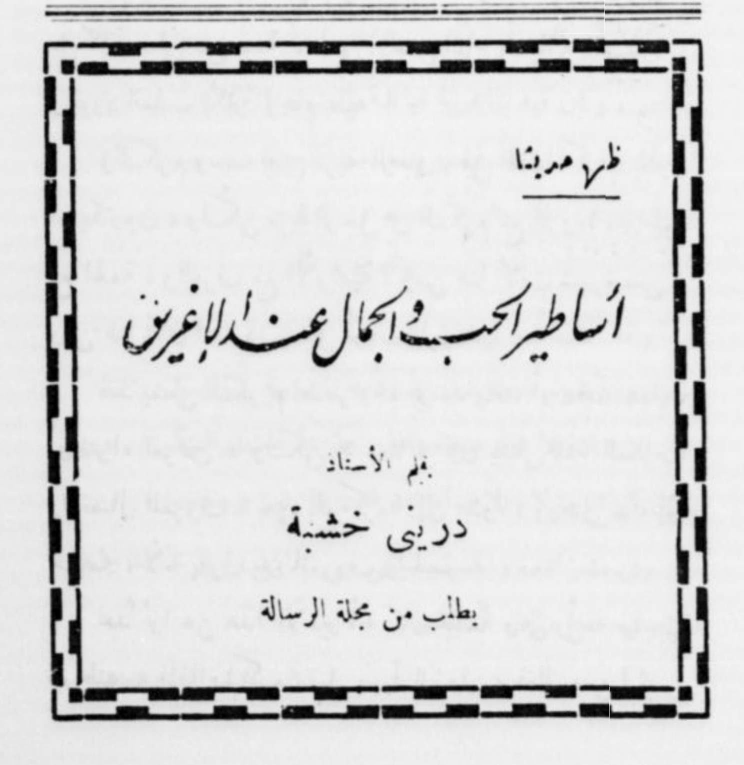
وأخيراً ، يقول كليمنصو أيضاً : « إن جدًّا أعمى يعلّق المستقبل ، ولا يستطيع العقل التجريبي أن يعد بشيء وراء الرجاء وهذه خسارة يتحملها [١] » و « نحن — على الخير والشر — تحت سيطرة سنن لا تلين . فهل من المؤكد أن عندنا ما نتعاتب فيه ؟ ألا يكون أعلى القدور لنا أن نقتتل ونتحاب في آن ؟ إننا نخفف من فظاعة الكفاح بفترات احترام ، حتى يتوادّ بين الأسر الحية ، أليس في ذلك مشابهة قاسية لما نسميه بسلامة طوية عند بني جنسنا سلام الإنسانية ؟ بلى . إن هذا السلام الذي في وسعنا أن نهديه إليكم نرغب فيه ونعظ به الناس وصداه يرن في معابدنا ، فانظروا ما صنعنا به ؛ إن الحرب لا تزال قريبة جداً من حالنا الطبيعية . والسلام لا يزال في أكثر الأحيان نظاماً للقسوة ؛ وأنتم أنفسكم ، يا مَن تشكون بحق ، لا يُبقي بعضكم على بعض ؛ وارتفاع طاقتنا يحملنا جميعاً على حال — سارة أو سيئة — نبيد فيها كل ما يقع تحت سلطاننا [٢] »

مَن يدري درس أو لم يدرس علمي النفس والاجتماع كل أولئك الشهود الذين ورد شيء من كلامهم في هذا المقال . لكن إذا كان لعرفانهم قيمة ، فلا غرو أن يقول قائل : إن منع الحرب حلم الأبد ويوده لو يكون قريب الأمد . والحق أن السلم العالمية أمنية مثالية ، حتى إن فُرض جدلاً أنها قد تتحقق في زمان قصيّ من الأبدية ؛ فليس اليوم بد من اعتبارها حلم الأبد .

محمد نوميد السلحوار

(١) الصفحة ٥٢٢ من كتابه « خلاصة التاريخ العام » .
(٢) الصفحة ٤٦٦ في الجزء الثاني من كتابه « في مساء الفكر » .
(٣) Laraison crée lascieuce, les sentiuneus wénent l' histoire
(٤) Etre c'est lutter, vivrecést vaincre وهي كلة دالة تحت عنوان كتابه سمي « الكفاح العام » .
(٥) L' Egoiswe seule base de toute Société ، والجملة عنوان كتاب له .
(٦) في الصفحة الثامنة من كتابه المذكور في هامش سابق .

(١) الصفحة ١٦ : في الجزء من كتابه المشار إليه آنفا .
(٢) الصفحة ٢١٣ في الجزء الثاني من الكتاب عينه



من سير الرجال :

أمـــيران . . .

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

فى العصر العباسى الأول كان أميران ... عاصر أولهما الخليفة المنصور فى طفولة الدولة ، وعاصر الثانى « المعتصم » فى اكتمال شبابها . ولكل منهما فى الأمارة حوادث وأخبار

فى عصر المنصور بنيت بغداد ، وجذب الخليفة إليها أنظار الناس ترغيباً فى الإقامة فيها ، وقرب إليه الدعاة ممن توسم فيهم نبالة الأصل ، وضخامة المجد الموروث .

وكانت اليمن فى ذلك الحين محتاجة إلى وال رحب الباع ، فسيح الحلم ، حسن السياسة ، مبسوط اليدين . فلم يجد الخليفة فى غير معن بن زائدة طلبته

والأمير معن عريق فى النسب ، فهو من بنى مطر الذين يقول فيهم الشاعر :

بهاليل فى الإسلام سادوا ولم يكن
كأولهم فى الجاهليـــة أول

ولم يكن الأمير معن بخيلاً بمطاء ، ولا ضنيناً بمعروف ، بل كان يعطى عن سمة ، حتى أدهش الناس بعطائه فقصدوه ، والمورد العذب يكثر الزحام عليه

والكرم وحده ليس مزية الرجال . فنى الدنيا كرام يقلون أو يكثرون ، ولكن مزية الرجل هى الكرم مع المروءة ، والجود مع الهمة ، والعرف مع الأريحية ، ومن هنا كانت شهرة معن . ومن هنا كان اسمه فى سجل أرباب المروءات

فقد يعطى الكريم اضطراراً ، أو مداراة ، أو دفعاً لمضنة ، أو شراء لعرض ، ولكن « معنا » كان يعطى للذة العطاء ، ولاتصال المعروف ، حتى بلغ كرمه إلى عدوه ، ووصل نداه إلى خصمه ، لأنه يفرق بين المعروف والخصومة

حدّثوا عن هذا الأمير أنه كان جالساً وعلى رأسه صاحب شرطته ، فإذا براكب مقبل يتهيأ للنزول ، فقال معن لرئيس شرطته : ما أحسب الرجل يريد غيرى . ثم أشار إلى حاجبه قائلاً : لا تحجب الرجل عن مجلسى فلمل له حاجة ، فنزل الرجل ومثل بين يدى الأمير وأنشد :

أصلحك الله قل ما بيدى فما أطيق العيال إذ كثروا
ألح دهر رمى بكلكله فأرسلونى إليك وانتظروا

فترنحت أعطاف معن ، ووصله بناقة فتية وألف دينار وهو لا يعرفه

وقد أجمعت كتب الأدب على هـذه الحادثة ، وذكرها البغدادى صاحب « تاريخ بغداد » بسندها واحداً عن واحد

ولقد بلغ من مكانة معن فى الكرم أن الكرام بعده حاولوا أن يتأثروه فى جوده . فهذا الصاحب بن عباد وزير بنى بويه ، والذى ظهر بعـد معن بأكثر من قرنين من الزمان ، هذا الصاحب كان يعطى على طريقة معن أو يجود على مذهبه ، فقد جاءه شاعر يمدحه ، فقال الصاحب : قرأت فى أخبار « معن » أن رجلاً قال له : ارحمنى أيها الأمير . فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت أن الله خلق مركوباً غير هذا لحملتك عليه ، وقد أمرت لك من الخز بجبّة وقيص وعمامة ودراعة وسراويل ومنـديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس . ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز لأعطيناك إياه ... !

* * *

وكان فى معن رجولة نادرة ، وشهامة عربية عزيزة المثال ، فلقد كان منقطعاً إلى الأمويين قبل ذهاب دولتهم ، فلما جاء العباسيون خاف منهم ، وظل فى البلاد مستتراً عنهم حتى لايقع فى أيديهم ، وجعل « المنصور » لمن يأتى به مالاً جزيلاً . وظل الرجل ضارباً فى الفلاة ، هائماً فى الأرض حتى لوّحته الشمس . وكان يتتبع الحوادث وهو متخف حتى لا تأخذه يد العباسيين ، فلما استقام الأمر للمنصور ، وكادت الدولة تتمكن ، رأى « معن » من حسن السياسة أن ينضم إليهم ، ولكنه تمهل فى الأمر حتى تحين الفرصة ...

وجاءته الفرصة سانحة ... فقد ثار جماعة من خراسان على المنصور . وأرادوا قتله فى يوم الهاشمية

وكان عند معن نبأ عن هـذه الثورة ، فخرج متنكراً ، ومازال يقاتل دون المنصور حتى فرق الثائرين ؛ فقال له المنصور : من أنت ... ويحك ؟ !

فكشف لثامه فى عزة وقال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين !

ومن ذلك الحين اتصل بالعباسيين وانقطع إليهم واستعين به على قضاء الحاجات عندهم ، فما رد سائلاً ، ولا خيب طالبا

واشتد فضل الرجل ، فاشتدت له عداوة الحاسدين وكشح الكاشحين ؛ وهم فى كل زمان لا تهدأ قلوبهم ولا تخبو نارهم . وكانوا يكثرون القول فيه والخوض فى أعماله أمام الخليفة ، وهو هو صلابة عود وشدة أسر ، لا يبالى بحربهم ، بل كان يرد التهم فى شهامة وإباء ، وعزة وكبرياء . فلقد حدثوا أن المنصور قال له يوماً : يا معن ! ما أكثر وقوع الناس فيك وفى قومك ! ! فقال : يا أمير المؤمنين :

إن العرانين تلقاها محسدة ولن ترى للئام الناس حسادا

وفى ذلك الرد من أخلاق الرجال ما فيه ...

وكان معن على يسار فى العيش وبسطة فى الرزق ، ولهـذا ظل بابه مفتوحاً ، ولم يمنعه من فتح بابه إلا سنة ضيقة ، أونقص فى الأموال والثمرات ، فكان يستحى أن يقابل الناس على تلك الحال حتى لا ينكشف نقصه ، ويتعلل بالحجاب زماناً حتى يتسع الضيق أو يكثر السويق ...

* * *

أما الأمير الآخر ، فهو أبو دلف ، وكان معاصراً للخليفة المعتصم . ولقد بلغ عند الخلفاء محلاً عظيما فى الشجاعة وحسن القيام فى المشاهد ، وهو من « ربيعة » ، فهو يتفق مع « معن » فى كرم الأصل ، ولكنه يختلف عنه فى الغناء وحسن الصوت !

ويظهر أنه قسم حياته بين الشراب والشجاعة والعطاء ، فلا تجد له فى كتب الأدب خبراً إلا حول مجلس شراب أو وسط معركة ، أو مقسما على الناس العطاء

وما نهاه الشراب عن مكرمة ، ولا عوقه عن مروءة ، ولا تأخر به عن معركة ، فقد حدثوا عنه أنه كان جالساً يشرب مع جاريته « ظبية » ، وعليه ثياب معطرة بالمسك ، فجاءه الصريخ معلناً طروق الشراة وانقضاضهم على أطراف عسكره ، فلبس درعه ومضى يقاتلهم ، ويأسر منهم ، ويضرب فيهم ، حتى آخر الليل ، ثم عاد فى الصباح يغنى :

ليلتى بالسرادق كملت بالمحاسن
وجوار أوانس كالظباء الشوادن
بدلت بالمسكا ت أدراع الجواشن

* * *

وانقطع إلى أميرينا شاعران من أهل المكانة والقدر ، فانقطع إلى معن الشاعر مروان بن أبى حفصـة و نقطع إلى أبى دلف الشاعر على بن جبلة . وكانت مدائح الشاعرين تثير على الأميرين أحقاداً وعداوات ، وتخلق لهما مع الخلفاء عقداً ومشكلات ، حتى لقد لام الخليفة المنصور الشاعر مروان بن حفصة على مدحه لمعن ، والمأمون نفسه كان يحفظه أن يسمع من ابن جبلة مدحاً فى أبى دلف ، حتى لقد اشتدت به الحفيظة يوماً حين سمع قول هذا الشاعر فى ذاك الأمير :

كل من فى الأرض من عرب بين باديه إلى حضره
مستعير منـه مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

وحق للمأمون أن يغضب ، فإن مدح الحكام والوزراء والأمراء جائز على شرط ألا يكون فيه انتقاص الملوك أنفسهم ، أو إغفال لشرف أقدارهم

* * *

كان أبو دلف أريحياً يهتز للعطاء إذا وهب ، ويطرب للشعر إذا سمع ، وكان فيه شاعرية فياضة بلغت حد الارتجال فى موقف المجلان ، وتلك بديهة منه لم تفسدها العجلة ولم تعوزها الأناة ، فقد أجاد حتى على حال الارتجال

* * *

ولقد كان أروع ما فى هـذين الأميرين مروءة ونجدة ، وشهامة ونخوة . وفى تاريخ الأمة العربية أمارات وأمراء . وهى بلا شك لا تخلو من مواطن كريمة للمثال الكريم . ومن يقلب تاريخ هؤلاء الأمراء يجد فيهم ما يسر ويعجب

وفى نشر محمدة واحدة ما يغنى عن المحامد ، وفى شاهد واحد ما يجزىء عن مئات الشواهد

محمد عبد الغنى حسن

ما لزكى مبارك وكتاب الله

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

لقد فقد زكى مبارك كل حق كان له فى أن يعرض لكتاب الله سبحانه بفهم أو برأى بعد أن ثبت عليه ما ثبت من إنكاره إعجاز القرآن، وقوله بأن القرآن كتاب محمد، وتمديه هذا وذاك إلى القول بمذهب وحدة الوجود الذى هو فى الحقيقة إنكار للخالق بإحلاله فى المخلوق، أو بإحلال المخلوق فيه (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً)

إن الذى يعتقد فى القرآن عقيدة تضاد عقيدة المسلمين لا بد متأثر بما يعتقد حين يعرض للقرآن الكريم ببحث أو بفهم. فالذى يقول مثل زكى مبارك بأن القرآن كلام محمد مضطر أن يحمل القرآن على ما ينتظر أن يقوله بشر فى العصر الذى عاش فيه النبى. أما المعانى التى تدل دلالة قاطعة على أن القرآن من عند الله لاستحالتها على العقل البشرى فى العصر الذى نزل فيه القرآن، فهي عند مثل زكى مبارك ممتنعة عقلاً أن تكون من معانى القرآن. هذا هو السر فى أنه دائماً يحمل القرآن على ما يظن أن الناس كانوا يفهمونه أو يعتقدونه فى العصر الذى عاش فيه رسول الإسلام كما يسمى النبى عليه الصلاة والسلام

حتى الوحى الذى كان ينزل على النبى هو عند زكى مبارك كهذا الإلهام الذى يزعم أنه يلهمه، أو أن الشعراء والمفكرين يلهمونه، ولو كان إلهاماً يلبس أسخف المعانى وأرذلها كما فعل فى مقاله الذى قلت إنه عاد فيه إلى التعرض للقرآن بما لا يليق فانتقم الله منه به فى نفس المقال، وقال هو إنه رجع إلى المقال فلم يجد فيه لفظة واحدة تدل على أنه يخاصم القرآن

ولقد خاصم زكى مبارك القرآن الكريم فى موضعين من مقاله ذلك، بصرف النظر عن موضوعه الذى كله خصومة لما جاء به القرآن ودعا إليه

أما الموضع الأول، فحين أنطق روح صاحبته بقولها له: «لقد أوحينا إليك»؛ ووضعه ذلك هكذا بين أقواس ليدل على أنها كلمات مقتبسات وليست من إنشائه. واستعماله هذه الكلمات فى المقام الذى وصف فيه ما كان بينه وبين صاحبته خفة وخصومة للقرآن. إنه يعلم أن «أوحينا إليك» و«لقد أوحينا» كلمات لا توجد فى العربية فى غير القرآن. إنها من أخص الكلمات القرآنية وأفخمها وأشرفها، لأن ضمير المتكلم فيها هو فى القرآن ضمير الجلالة، وضمير المخاطب فيها هو فى القرآن ضمير الرسالة. فتصور بُعد ما بين الضميرين فى الكلام القرآنى وفى مقال زكى مبارك يتضح لك مبلغ عداوة هذا الرجل للقرآن.

ذلك هو الموضع الأول الذى تعرض فيه زكى مبارك للقرآن فى مقاله. أما الموضع الثانى، فحين أجرى المحاورة الآتية بينه وبين صاحبته التى أراد أن يقنعها بأن الجماد حى، لأن بعض الزلط شكله شكل الدوم والخيار!

هى: وما رأيك فى الآية الكريمة: «يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى»؟

هو: «القرآن يعرض الظواهر التى تعارف عليها الناس لتكون الحجة على القدرة الإلهية أقوى وأوضح. فمن العجيب فى نظر من لا يعرف أن تكون البذرة الخرساء أصلاً للدوحة الشماء، وأن تكون البيضة الصغيرة أصلاً لطائر جميل يغرد أو يصيح

وفى جوابه هذا يفرض أن معنى الكلمات الكريمة لا يمكن أن يخرج عما كان يعرفه الناس فى ذلك العصر، لأن القرآن عنده إن هو إلا كلام محمد العربى الذى عاش فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلاديين. ومن هنا نسبته الخطأ إلى القرآن الكريم مرات فى جوابه هذا: نسب إلى القرآن أنه جارى الناس فى تعجيبهم مما لا عجب فيه فى الحقيقة، ونسب إليه أنه أراد أن يحتج لهم على القدرة الإلهية بما لا حجة فيه فى الحقيقة، ونسب إليه أنه جهل جهلهم حين عجب عجبهم من البذرة تخرج منها الشجرة، والبيضة يخرج منها الطائر، لأن هذا كله عجيب

الدستور فى شعر شوقي

بمناسبة إزاحة الستار عن تمثاله

[بقية المنشور فى العدد الماضى]

للأســتاذ أحمد محمد الحوفى

ـ ٦ ـ

وأية علاقة بين توت عنخ آمون والدستور ؟ قد تكون الجمع بين النقيضين : قديم مغرق فى القـدم يبعث الدهش والعجب ، وحديث طريف تمت إليه الهمسات بسبب ، وقد تكون إخبار توت عنخ بأروع ما جد فى مصر بعد تلك الحقب ، وقد تـكون غير ذلك ، ولـكنها على أى حال ليست بالعلاقة القوية التى تتداعى لها المعانى وتتوافى الخواطر ، فلم يبق إلا أنها نزعة أصيلة فى نفس شوقي إلى الدستور يتلمس للتصريح بها معارض القول ، فيشيد بفضل الدستور فى هداية الأمم وحياتها.

يحدث شوقى توت عنخ فى شمائه بدثور حكم الفرد ، وغبور عهد الظلم ، ويفخر عليه بأنه فى عصر الشورى والحرية وسلطان الرأى العام على الرعاة والحـكام ، وكأنما هجس فى قلب شوقى أن توت عنخ قد يجد فى خضوع الملوك لشعوبهم غضاضة أو انتقاصاً من سلطانهم وأبهتهم ، فبدره بأن الملك فؤادا أجل منه فى قلوب شعبه المتمتع بالدستور ؛ على أنه أشرف بنعمة الإسلام .

وكأنه وازن مجد مصر فى عهد توت عنخ واتساع ملـكها ومنعتها وبأسها بحالها فى عهد فؤاد ، فرجح لدستور وحده ما مضى ، وإنه لشرف للدستور أن يرجح عند الموازنة ، وشرف للملك فؤاد أن يفوق فى المفاضلة والمقارنة .

وينتقل إلى أثر الدستور فى إعزاز الرعاة والرعية ، فيبين فى فخامة وضخامة وجلال أن قوة الملوك وسلطانهم وحبهم ، إنما يكفلها الحـكم النيابى وحده لهم ، وأنه لا استقلال لمصر مالم يعضه الدستور وحكم الشورى ، لأنه يجمع رواد الأمة وزعماءها فى ناد واحد يتحاجون ويقترحون ويراقبون ، وإذا لم ينعقد مجلس النواب فقلوبهم شتى ، تجد الحوادث وهم يلهون ، وأمور مصر فوضى وإن وليها الخلفاء الراشدون

عنده فى نظر من لا يعرف ! أما من يعرف ما يعرفه زكى مبارك من أن الأشياء كلها حية حتى الزلط ، فليس خروج الدوح من البذر ، ولا الطير من البيض عنده بعجيب !

والرجل يفترى فى كلامه ذلك ليتوصل إلى إنكار الإعجاز المعنوى لتلك الآية وأشباهها فى القرآن الـكريم . فلا الناس فى ذلك العصر ، بل ولا جمهرتهم فى هذا العصر يرون عجيباً أن يتحول البذر والبيض إلى نبات وحيوان ، لأن ذلك شىء عادى مألوف قد غطت الألفة على موضع العجب منه ، وصرفتهم عن تدبر سر القدرة الإلهية فيه . والقرآن الـكريم هو الذى عجّب الناس من أمثال هذا المألوف ، واستلفتهم إلى ما فيه من معجز القدرة الإلهية حين طالبوا النبى بالمعجزات ، وأقام منه الدليل العقلى العلمى على إمكان البعث حين أنـكروا البعث ، ودعا إلى التفـكير والبحث عمـا أودعه منزل القرآن سبحانه فى كل ذلك من أسرار كشف العلم الآن عن بعضها ، فتجلى بذلك جانب من إعجاز القرآن قامت به حجة الله على من يعلم ويعقل ولو لم يعرف من العربية ما يدرك به الإعجاز اللغوى للقرآن .

فالعلماء ، لا عوام الناس ، هم الذين يعجبون من خروج النبات من البذور ، وخروج الحيوان من البيض . يعجبون من ذلك عجباً لا يكاد ينقضى ، يحملهم على متابعة البحث عن سر جديد حين يتجلى لهم بالبحث العلمى سر قديم ، ولا ينفكون يسلمهم السر هكذا إلى سر ، جيلاً بعد جيل ، من غير أن يكون لهم أمل فى الإحاطة بكل أسرار الحياة . ثم يجىء زكى مبارك فيزعم أن القرآن يقيم الحجة على الناس بتعجيبهم ممـا لا عجب فيه إلا فى نظر من لا يعرف ! حتى إذا قلنا إنه عاد يعرض للقرآن بالجهل وسوء العقيدة والرأى قال : إنه رجع إلى المقال فلم يجد فيه لفظة واحدة تدل على أنه يخاصم القرآن !

محمد أحمد الغمراوى

لا عاصم لمصر إلا دستورها ، تصلح به ما فسد من أمورها ، وإن شوق لصنع بارع الحيلة فى مطالبة الملك فؤاد بالتعجيل به ، وفى بيان آثاره وفضائله ، فهو النور يهدى الضالين ، والمصباح يستضىء به المصلحون فيبعثون من الكهوف الجهال الغافلين ، وهم يعدون بالملايين يرسفون فى قيودهم ، وينقادون لأفراد يحكمونهم طاغين ، وليس مثله فى علاج هؤلاء الزَّمْنَى إلا معجزة سيدنا عيسى ، فنوره سيشع على الجهلة عمى القلوب فيبصرون ويعلمون ، ويده الرفيقة القوية ستحطم قيود المتحكمين فينهضون ويَصْعُدون ، وإنه للحق والعدل والدواء الوحيد .

ها هنا جلال الفكرة ، وجلال الأداء ، وتأثيره ، وطرافة الخيال ، وها هنا قلب الشعب يخفق ، ولسانه ينطق ، ويده تصفق ، ومن أولى من شوق بذلك كله ؟ ؟

زمان الفرد يا فرعون ولى   ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض   على حكم الرعية نازلينا
فؤاد أجل بالدستور دنيا   وأشرف منك بالإسلام دينا
بنى (الدار) التى لا عز إلا   على جنباتها للمالكينا
ولا استقلال إلا فى ذراها   لمتبوع ولا للتابعينا
ترى الأحزاب ما لم يدخلوها   على جد الحوادث لاعبينا
وإن فقدت فأمر القوم فوضى   وإن وليته أيدى (الراشدينا)
إذا سارت به أيد شمالا   أتت أيد فسرن به يمينا
فعجل يا ابن إسماعيل عجل   وهات النور واهد الحائرينا
هو المصباح فأت به وأخرج   من الكهف السواد الغافلينا
ملايين تجر الجهل قيداً   وتُسْحَب بالقليل المطلقينا
فداو به البصائر فهو عيسى   وفك براحتيه المقعدينا
ومن يَرَ دُونَهُ حقاً فإنى   أراه وحده الحق المبينا

وفى قصيدة أخرى بعنوان توت عنخ والبرلمان يتجلى اعتزازه بالحكم النيابى ، وكفالته بأن تسود مصر ويحكمها بنوها ، وكأنه يلمح دعاوى خصومها بأنها لم تبلغ بعد رشدها ، فليست جديرة بالدستور والبرلمان فيرد عليهم فى حماسة وثقة بالشعب وسلامة عنصره وجدارته بالدستور والبرلمان .

وتنطق أبياته ببهجته بافتتاح البرلمان يوم المهرجان ، وقد احتفى به الشعب من شيب وشبان وعقائل وفتيات ، وتهادى موكب الملك فؤاد على الريحان ، تخطر العظمة فى ركبه ، ومن كفؤاد فى عظمته وعظمة آبائه ؟ ؟ وإنه ليقيم فى دار الندوة مجد مصر ، ويؤسس الشورى ويوطد دعائمها ، ويسوس بها هـذا الجيل السعيد ، وليس أدل على عظمة فؤاد وعلى سخائه من تنازله عن سلطته لشعبه الوفى .

مصر الفتاة بلغت أشدها   وأثبت الدم الزكى رشدها
ولعبت على الحبال وحدها   وجربت إرخاءها وشدها
وبعثت للبرلمان جندها   وحشدها للمهرجان حشدها
حدت إليه شيبها ومردها   وأبرزت كعابها وخودها
ونثرت فوق الطريق وردها   واستقبلت فؤادها ووفدها
مولها وكهفها وردها   وابن الذين قوموا مقدها
وألفوا بعد انفراط عقدها   وجعلوا صحراء ليبيا حدها
وبسطوا على الحجاز أيدها   وسيروا الماتى فيه عبدها
حتى أتى الدار التى أعدها   لمصر تبنى فى ذراها مجدها
فثبت الشورى وشد عقدها   وقلد الجيل السعيد عهدها
سلطته إلى بنينا ردها

— ٧ —

ولما ائتلفت الأحزاب صاغ قصيدته (البرلمان) فكرر الاطمئنان إلى الدستور وأنه أمان من طغيان الفرد ، وعهده ظليل جميل ، وهو الكفيل لكل مجد أن يجنى ثمار جده ، ولقد كسبته مصر بجدها لم تنله عفواً أو يوهب لها وهباً ، فقد جالد رجالها بسلاحهم فى الثورة العرابية فسجلوا جدارتهم بالحياة الراقية والحرية ، وجاهد أبناؤها فى الثورة الحديثة فباعوا دماءهم وأرواحهم. فالدستور إذن يقوم على دعامتين: إحداهما ضحايا النضال فى التل الكبير ، والأخرى شهداء الصيال فى الثورة . والدستور عصمة من الهوى ، ونواب الأمة حراس على مالها لا يغتنمونه ، أعوان لسلطانها لا يستصغرونه ، يتساندون فى الضراء ، ويتعاونون فى السراء ، ويعالجون الأمور برفق وأناة إذا عصف الجو ، وتنمر العدو ، أو اصطدم الاصلاح بقديم من التقاليد لا خير فيه فترسو السفينة على شاطىء السلامة وقد سلم ربابنتها وركبها .

وشوقى لبق فى امتداح النواب بهذه الصفات ، لأنه يدعوهم لها فى معرض المدح بها ، وينبههم عليها فى أسلوب من الاخبار ، ومن هنا يزكيهم للشعب ، ويخصهم بوصاياه من وراء ستار .

الحق أبلج والكنانة حرة   والعز للدستور والاكبار
الأمر شورى لا يعيث مسلط   فيه ولا يطغى به جبار
عهد من الشورى الظليلة نضرت   آصاله واخضلت الأسحار
تجنى البلاد به ثمار جهودها   ولكل جهد فى الحياة ثمار
بنيان آباء مشوا بسلاحهم   وبنين لم يجدوا السلاح فثاروا
فيه من التل المدرج حائط   ومن المشانق والسجون جدار
أبت التقيد بالهوى وتقيدت   بالحق أو بالواجب الأحرار
فى مجلس لا مال مصر غنيمة   فيه ولا سلطان مصر صغار
ما للرجال سوى المراشد منهج   فيه ولا غير الصلاح شعار
يتعاونون كأهل دار زلزلت   حتى تقر وتطمئن الدار
يجرون بالرفق الأمور وفلكها   والريح دون الفلك والإعصار
ومع التجدد بالأناة سلامة   ومع التجدد بالجماح عثار

— ٨ —

ولقد عرض للدستور المصرى ما يعرض لكل وليد أو لكل جديد ، لخورب وأوقف ، فماذا كان موقف شوقى نصير الدستور ؟ لما ائتلفت الأحزاب سنة ١٩٢٦ لانقاذه برياسة الزعيم الخالد سعد سجل شوقى هذا الاجتماع الخطير فى قصيدته (المؤتمر) فامتدح الحزبية ومدح الزعماء ، ثم خلص إلى أن الله أنعم على مصر بائتلاف أقطابها ، وفيهم الحوّل القلّب ، والصّرحة المُصلتة يكمل بعضهم بعضا ، وهم جميعاً أسنادها وأعلامها وأبطالها يشيدون سياج الملك بالدستور لا بالقنا والسيوف .

وبرع شوقى غاية البراعة فعبر فى جلال وروعة أنه لا جلال ولا جمال لتاج لا تلتمع فيه جواهر الدستور وإن شرق بنوادر الماس وروائع الدر . ومن ذا الذى يقرأ له هذا البيت فلا يشعر بالجلال ؟ ومن ذا الذى يقرأ هذا البيت ثم يجحد أن الشاعر كلف بالدستور أيما كلف ؟؟ ثم يأسف أن عطل الدستور وأقفر ناديه وطيرت عنه بلابله ، ويصف فى حسرة هذا التعطيل ، وبشاعة إغلاق البرلمان حصن الحق كما يسميه ، فتنكبانه فى شوق إلى أبطالها وكماتها ، ومقاعد النواب مهجورة ومنبره معطل ، وإنه لموحش قد نسج المنكبوت به بيوته ، ويشبه حاله إذن بغار ثور حين اختبأ فيه الرسول عليه الصلاة والسلام ومعه صديقه فنسج المنكبوت على بابه ، ولعله يريد أن الغار حمى الرسول والإسلام ، وأن البرلمان سيحمى الحق والعدل والشورى ، وإلا فلا وجه للمشابهة بين هذا وذياك .

الله ألف للبلاد صدورها   من كل داهية وكل صراح
وزراء مملكة دعائم دولة   أعلام مؤتمر أسود صباح
يبنون بالدستور حائط ملكهم   لا بالصفاح ولا على الأرماح
وجواهر التيجان ما لم تتخذ   من معدن الدستور غير صحاح
احتل حصن الحق غير جنوده   وتكالبت أيد على المفتاح
ضجت على أبطالها تكناته   واستوحشت لكماتها النزاح
هجرت أرائكه وعطل عوده   وخلا من الغادين والرواح
وعلاه نسج المنكبوت فزاده   كالغار من شرف وسمت صلاح

— ٩ —

وقبيل ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ يوم افتتاح البرلمان الأول أقام نادى المعلمين حفلا ألقيت فيه قصيدة لشوقى عرض فيها للدستور كعادته ، فيوم افتتاح البرلمان غرة فى تاريخ مصر ، وهو فى الأيام عيدها ، وسيتفيأ المصريون بظلال الدستور ويسعدون ، وإذ كان فى حفل تكريم المعلمين والعلم دعامة من دعائم الملك فقد رجا النواب ألا يضنوا على التعليم بالمال ، ويبارك للشبان أن جهادهم أثمر وأينع :

مصر إذا ما راجعت أيامها   لم تلق للثبت العظيم مثيلا
البرلمان غدا يمد رواقه   ظلا على الوادى السعيد ظليلا
نرجو إذا التعليم حرك شجوه   ألا يكون على البلاد بخيلا
قل للشباب اليوم بورك غرسكم   دنت القطوف وذللت تذليلا

— ١٠ —

وبعد فنختتم دعواته إلى الدستور وضرورته وآثاره بأبيات من تحيته للنسر المصرى المرحوم محمد صدقى حين قدم طائرا من برلين إلى القاهرة سنة ١٩٣٠ يدعوه فيها أن يحلق فوق قبة البرلمان السامقة المموكة للفصل فى مشكلات مصر ، يتنافس النواب والشيوخ هناك ذائدين عن الحق كالبنيان المرصوص

قف تأمل من علو قبة   رفعت للفصل والرأى الصراح

نزل النــــواب فيها فتية ... فى جناح وشيوخا فى جناح

حمـــلوا الحق وقاموا دونه ... كرعيل الخيل أو صف الرماح

ثم فى رثاء المرحوم أبى هيف بك يسر إليه حديث الائتلاف ، ويختم الحديث والقصيدة بقوله لسعد :

أخرج لأبناء الحضارة مجلساً ... يبقى على اسمك فى العصور ثناء

ويقول فى رثاء سعد :

أو لم يكتب لهـا دستورها ... بالدم الحر ويرفع منتداها ؟؟

وفى رثاء إسماعيل باشا أباظة يقول :

إذا سلم الدستور هان الذى مضى ... وهان من الأحداث ما كان آتيا

ألا كل ذنب لليـالى لأجله ... سد لنا عليه صفحنا والتناسيا

— ١١ —

ولقد كنا نحمد شوقى لو أنه استمسك بالدستور واستعصم ثم استكفى ، ويحسبنا منه الانارة والأنارة والتوجيه ، ولـكنه مع ذلك أرشد الشعب إلى واجبه فى اختيار نوابه ، السفراء برأيه ، المعبرين عن رغباته ، الناظرين بعينه ، الناطقين بلسانه ، الذائدين عن كرامته وحريته وسلطانه ، فليحسن الشعب اصطفاءهم ، وليحذر عوامل الخديعة ومضلة الاختيار .

فلا يؤثر الثراء أو الجاه ، ولا يبيع التزكية بمـال ، ولا يتخدر بخلابة الخطابة ، أو يتأثر بسحر الوعود الـكذابة ، وضمان ذلك أن ينشر الناخبون أمام عيونهم صفحات المرشحين للنيابة عنهم فيشرفو بالنيابة ذوى الجهاد والخلق والفضل والعلم ونزاهة النفس وعفة اليد والاعتزاز بكرامتهم وكرامة مصر سواء أكانوا أغنياء أم فقراء ، وجهاء أم من صميم الشعب ، ومن العار عليهم أن يبعثوا إلى دار النيابة تماثيل من حجر أو من خشب ، لها حسبان فى العدة ، ولا أثر لهـا فى رخاء أو شدة ، وإذا كان الدستور قـد استنقذ من بين أنياب الاحتلال فإن الانجليز يرصدون على الشعب هفواته ، ويحصون على كل نائب زلاته ، فليدقق الشعب فى الاختيار ، وليفقه النواب تبعة هذا الفخار :

أيها الشعب لقـد صر ... ت من المجلس قابا

فـكن الحر اختيارا ... وكن الحر انتخـابا

إن للقـــوم لعينا ... ليس تألوك ارتقـــابا

فتوقع أن يقولوا ... من عن المال نابا

ليس بالأمر جـديراً ... كل من ألـقى خطابا

أو سخا بالمـال أو قـد ... م جاهاً وانتسـابا

أو رأى أمّـية فاخـــتلب الجهـل اختلابا

فتخـير كل من شـــب على الصدق وشابا

وفى قصيدة مشروع ٢٨ فبراير بكرر هذا النصح ، ويبين وظيفة البرلمان وخطره :

قل للكنانة قول الصدق من مَـلِك

مؤيد بالهـدى لا ينطق الـكذبا

دار النيابة قـد صفت أرائـكها

لاتجلسـوا فوقها الأحجار والخشبا

اليوم يا قوم إذ تبنون مجلسكم ... تبنون للعقب الأيام والحقبا

فما هو الفرد إن شئتم سما صعدا ... إلى الثريا وإن شئتم هوى صببا

وإن رضيتم عمرتم ركنه ثقة ... وإن غضبتم تركتم ركنه خربا

وإنمـا هو سلطان يُدان له ... إذا تكفل بالأعباء وانتدبا

بقول عنكم ويقضى غير متهم ... العهد ما قال والميثاق ما كتبا

وفى قصيدته (المعلم) يقول :

ناشدتكم تلك الدماء زكية ... لا تبعثوا للبرلـمان جهولا

فليسألن عن الأرائك سائل ... أحملن فضلا أم حملن فضولا

إن أنت أطلعت الممثل ناقصاً ... لم تلق عنـد كماله التمثيلا

فادعوا لها أهل الأمانة واجعلوا ... لأولى البصائر منهم التفضيلا

إن المقصر قد يحول ولن ترى ... لجهالة الطبع الغبى محيـلا

ويختم قصيدته (الأزهر) بهذه الصيحة :

دار النيابة هُيِّئت درجاتها ... فليرق فى الدرج الذوائب والذرا

الصارخون إذا أسيء إلى الحمى ... والزائرون إذا أغير على الشرى

لا الجـاهلون العاجزون ولا الألى

يمشون فى ذهب القيـــود تبخترا

نضر الله ذكراك يا شوقى ، وكتب لك الخلود ، فلقد كنت كما قلت :

وإنى لغريد هذى البطاح ... تغذى جناها وسلسالها

ترى مصر كعبة أشعاره ... وكل معلقة قالهـــا

أدار النسيب إلى حبهـا ... وولى المدائح إجلالها

أحمد محمد الحوفى

المدرس بالسعيدية الثانوية

غرام يوم الثلاثاء (*)

للدكتور زكي مبارك

يا ليلْ يا ليـلَي يا ليلْ

يا ساقَ الراح هاتِ الراحَ يا ساقِ
من نور خديك أو من نار أشـواق
واشربْ رحيقَ الهوى الفضّاح يا ساقِ
من نظرتي لك في ســاعات إشراق

يا ليلْ يا ليـلَي يا ليلْ

مضت أسابيعُ لا ألقاك يا روحي
فكيف أنتَ رعاك الحبُّ يا روحي ؟
مِصرُ الجديدةُ مأوَى حبنا الروحي
فارجع إليها نَـعِشْ روحاً إلى روحِ

يا ليلْ يا ليـلَي يا ليلْ

أمرٌ عرفناهُ أنَّ الجافَ الهاجرْ
قد يفتدي وهو روحٌ جاحدٌ غادرْ
الصـبرُ عني نذيرُ الغدرِ يا هاجرْ
أعوذ بالحب وهو المـالك الآمرْ
من أنْ يخيب رجائي فيك يا ساحرْ

يا ليلْ يا ليـلَي يا ليلْ

عهدُ الهـوى البِـكر عهدُكْ
وطـالعُ الســعد وعدُكْ
متى أراكْ ؟
و دارِي حمـاكْ
أنا من نواكْ
مفطورُ الفؤادْ

يا ليلْ يا ليـلَي يا ليلْ

عهدُ الهوَى البِكر هل تنساه يا هاجرْ ؟
عهدُ الهوَى البِكر هل تنساه يا غادرْ ؟
عهدُ الهوَى البِكر هل تنساه يا قاهرْ ؟
يا هاجرْ ، يا غادرْ ، يا قاهرْ ، يا كافرْ

يا ليلْ يا ليـلَي يا ليلْ

مصرُ الجديدةُ أيامَ الثـــلاثاء
كانت ملاعبَ أوطاري وأهوائي
يا فاطرَ الحبِّ في يوم الثـــلاثاء
متى يعود لنـا يومُ الثـــلاثاء ؟

يا ليلْ يا ليـلَي يا ليلْ

لِمن وفاؤك بعدي أيها الغادرْ ؟
إن رُمتَ غيري فأنتَ الغـانم الخاسرْ
حُبي هو الحبُّ وهو الغـالب القاهر
فاندُبْ نَعيمَـك بعدي أيها الغادر

مصر الجديدة أيامَ الثلاثاء
تشكو اغترابيَ أيامَ الثلاثاء

يا ليل ، آه يا ليل
يا ليل ، آه يا ليل

شربتُ دمعي فلا كأسٌ ولا ساقِ
مَضَى نديمي وخـلّاني لأشـواق
يا ساقَ الراح هاتِ الدمعَ يا ساقِ
دمعي هو الراح فاسقينيه يا ســـاقِ
يا ساقَ الدمع بعـد الراح يا ساقي
دمعِي دمٌ فترفّقْ أيهـا الساقي

آه ، واه — آه ، واه — آه ، واه !!!
بَـعد الغناء الحزينْ
وهــذه الآهاتْ
وبعدَ لذع الحنينْ

(*) راجع مقدمة هذه القصيدة في العدد ٥٩٦ من الرسالة

وهـذه الواهات
يقول طيفُ الخيالْ
بلحن ذاك الغزال
ما هـذه النارُ تذكيها بأشعارك
لولا غناؤكَ ما خُلدت فى نارك
إذن أغنّي !
ما ذا تغنّى ؟
إنى أقول :
من أىّ نبع فُطرتَ
من أى سحر خُلقتَ
الزهرُ وحىُ دلالكْ
والشعر وحىُ جمالك

لا أظلمُ الأقدارْ
إن الهوى والنارْ
من بِدْع سحرك أنتَ

تمضى أسابيعُ لا ألقاكَ ، ما أسفى
على حياةٍ بلا لُقياك ظلماء ؟
تمضى أسابيعُ لا ألقاك ، ما أملى
من عيشةٍ أنت عنها باعدٌ نائى ؟

يقول هذا الليل
ما ذا يقول الليل ؟
يقول إنى أحبك
يقول إنى أحبك
يقول إنى أحبك
يا أجملَ الناس ، أين الناسُ ؟ قد تعبَتْ
روحى من البحث عن مَعْناك فى الناسِ

يا قاتلاً بالوفاء
ما ذا تريد الوفاء
إغدرْ ، ودَعنى أعيش
قتلى حرامٌ عليك
إغدرْ ، ودَعنى أعيش
قتلى حرامٌ عليك

مِصرُ الجديدةُ أيام الثلاثاء
كانت ملاعبَ أوطارى وأهوائى

يا فاطرَ الحبِّ فى يوم الثلاثاء
متى يعود لنا يوم الثلاثاء ؟

كان الهوى بغدادْ
أوّاهُ من بغداد !
كان الهوى باريسْ
أوّاه من باريس !
مصر الجديدةُ دارى
والحبُّ فيها قرارى
لا تنسَ يا غدْرْ
جميلَ هذى الدارْ
فيها اهتصرتُكَ غُصناً ناعماً زَهِراً
كدوحةِ الوردِ فى أيام آذارِ

أحنو عليك
أرنو إليك
حُلوانُ تقصيك عنى وهى ظالمةٌ
مِصر الجديدة تشكو بُعدَ حُلوانِ

مصرُ الجديدةُ أنتَ
فَطَرتَها أنتَ أنتَ
بروعة الشعر أمْلِكْ
وأنت بالحسن تملك
الشعر للحسن عبدٌ فارحم إذا شئت عبدَكْ
الحسن بين يديك
إليك أمرى إليك
يا شاعراً روحهُ نارٌ مؤججةٌ وشعره كالرحيق الصِّرف وهّاجُ
إذن أغنّى !
ما ذا تغنّى ؟
إنى أقول :
لروعة الشعر عند الحسن منزلةٌ أقوى من الجاه والسلطان والمال

يا ليلْ يا ليلى يا ليلْ
يا غرامَ الروح والروحُ فِداكْ
أين نجوى الحب فى عهد الصفاء ؟
أحرقَ القلبَ شُواظٌ من نواكْ
بالهوى قل لى متى يوم اللقاء ؟

فرقة التمثيل

للأستاذ حبيب الزحلاوى

قلت فى كلمتى السابقة[1] كل ما يمكن قوله فى نقد أعمال المدير الفنى لفرقة التمثيل ، فليس بالمستغرب أن يدافع الأستاذ زكى طليمات عن نفسه لينقذها من قلم الناقد ، بل المجيب أن يندفع إلى الإقرار والاعتراف بأنى سجلت عليه الجانب الذى يؤاخذ عليه فى منهج الفرقة ولم أذكر الجانب الذى يشرفها .

وردى على هذا الاعتراف الصريح أن الجانب المشرف هو الأساس الذى قامت عليه الفرقة ، ومن أجله وحده دون سواه تنفق الحكومة من أموال الأمة . والحكومة لم تشمل الفرقة برعايتها كما يتوهم الأستاذ طليمات بل الفرقة هى حكومية بكل معانى الحكومية ، فلولا حكوميتها هذه لما التفتنا إليها ولا أضعنا دقيقة واحدة فى الكلام عنها ، وجعلنا شأنها كشأن الأفلام السينمائية التى تلفقها الشركات الاستغلالية . فالواجب إذن يقضى بأن تكون أعمال هذه المنشأة الحكومية مشرفة لها ، أى للأمة التى تحكمها وللقائمين عليها من ممثلين وإداريين بمعدل مائة فى المائة لا أقل من ذلك أبداً ، لأن الإقلال من هذا المعدل الأساسى ، إنما هو انحراف عن الغاية ، فكيف إذن لا يكون انتقادى هو الصدق بعينه ، والحق الواجب الاستمساك به ؟ وكيف أكون مغرضاً فى نقدى ، أو مغالطاً لقرائى ، أو مناهضاً للمدير الفنى ؟

ذكرت من الروايات الملفقة « شهر زاد » و « يوم القيامة » و « كانا كده » و « سلك مقطوع » ؛ وأضيف إلى هذه الترهات المعيبة رواية « قطر الندى » و « شارع البهلوان » . فهذه الروايات الست يعترف الأستاذ طليمات بأنها مشينة ، ويذكر إلى جانبها روايات « يوليوس » و « منلوف » و « مدرسة الأزواج » و « مرتفعات ودرنج » و « قيس ولبنى » ، ويدس معهما روايتى « قطر الندى » و « شارع البهلوان » وهى الروايات المشرفة ، فإذا قلت إن ست روايات من اثنتى عشرة هى خاسرة ألا تكون كفة أعمال فرقة التمثيل هى الراجحة إلى التهريج والمتجانفة إلى الإثم باسم الحكومة وعلى حساب الشعب ؟ وكيف لا أكون عادلاً فى نقدى فيما ذهبت إليه فى تقرير حقيقة ودفع رزية ؟

إن رواية واحدة مما ذكرت تكفى لتلويث الفرقة ، فكيف بها ست روايات ! ! !

أعذر الأستاذ طليمات إذا ذكر هذه الروايات ، لأنها درّت عليه وعلى الممثلين المال الكثير ، واجتذبت الدهماء إلى دار الأوبرا الملكية ! !

إن هذا ادعاء عريض لا يدعيه سوى ممثل يحسب أن لا فارق بين الواقع والخيال ، والحق والباطل ، وأنه لا يتدبر عواقب مايقول

الفرقة المصرية للتمثيل كما أفهمها ، وكما أرادتها الحكومة ، مدرسة عالية للأدب الرفيع واللغة الفصحى ، تصوّر الحياة الاجتماعية أو المشهد الحى من مشاهد الحياة الحقيقية ، وتضع هذه الصورة ضمن إطار يتناسب وحاجات النفس البشرية والمزاج فى التلوين والتسلية والتلميح تارة والردع تارة أخرى ، توصلاً إلى غاية ثقافية تعلو بالأمة إلى المكانة السامية . وليس من غايتها أبداً أن تنحط إلى مستوى العامة والدهماء ، ولا تكون تاجراً من التجار

حبيب الزحلاوى

(١) الرسالة عدد ٥٩٦

أين يا روح ليال سلفتْ وأغاريدُك يا صدّاح زادى ؟
لا تقل تلك الليالى ذهبتْ جمرُها المشبوبُ باقٍ فى فؤادى

آه ، آه ، آه ، آه ، آه ! ! ! !

لم يدننى مَن أريد
فى الحب مما أريد
ماذا تريد ؟ ماذا تريد ؟

أريد قتل همومى فى منابتها بجانحاتٍ من الصهباء هوجاء
الكأس بين يديك
الكأس فى شفتيك
هاتْ اسقنى هاتْ
هاتْ اسقنى هاتْ
أسقيك إن شئتَ أكوابَ الثلاثاء

يا فاطرَ الشّعر فى يوم الثلاثاء

زكى مبارك

فى قصيدتى منها وإليها

وقع فى هاتين القصيدتين أخطاء مطبعية صحتها :

خطأ	والصواب	خطأ
هذه العيون	«	هذى
وتستمد منه	«	وتستمد

فهرس الموضوعات للسنة الثانية عشرة من الرسالة